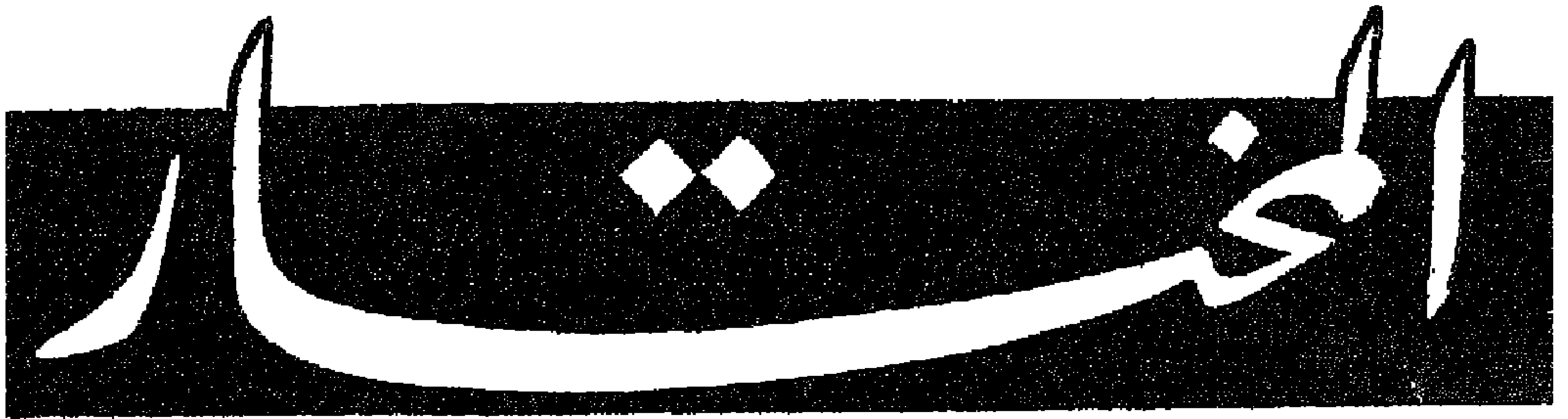
المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة ٣ قروش



المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

سبتمبر ١٩٤٣

أحد عشر مليون نسخة من كل عدد

طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية

إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

فأحد عشر مليون نسخة من هذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد .

وهذا هو العدد الأول من الطبعة العربية . وقد وزّع منه ستون الف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Reg'strata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى انشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

خارج مصر والسودان — ثمن النسخة ٣½ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٤٠ قرشاً صاغاً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى انشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم ، مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الأولى | سبتمبر ١٩٤٣ | المجلد ١ العدد ١

الشخصيات التي لا تنسى

طبيب القرية

ا . ج . كرونن

تسألني عن أغرب شخصية قابلتها لن أنساها ؟

الغريب أنني لا أفكر في أحد من شهوري رجال السياسة ، أو قادة الجيوش أرباب الصناعات ، بل في رجل ساذج يطمع قط في السلطان ، وإنما كان همه مصروفاً إلى السيطرة على قوى نفسه وإلى ب والانتصار على الظروف المحيطة به .

" " " " " " " " " "

ن كرونن طبيباً ناجحاً في لندن إلى أن ضعفت انصرف إلى التأليف الروائي . ومن أشهر قصتا « القلعة » و « مفاتيح المملكة » .

عرفته ولداً صغير الجسم فقيراً لا شأن له . وكان ألصق بنا من ظلنا مع أنه لم يكن بيننا — نحن التلاميذ المغامرين — من يطيقه ، وكان يجتذب الأنظار بدمامته . كان أعرج وشكله يدعو إلى الضحك ، فإن إحدى ساقيه كانت أقصر من الأخرى . فلذلك كان يلبس حذاء يبلغ سمك نعله ست بوصات ، فلو أنك تراه وهو يركض ساحباً ساقه القصيرة وراءه وهو يعرج ، والعرق يتصبب على وجهه لقلت : إن تشرزوم ابن القسيس — وكان مشهوراً بالنكات —

أصاب إذ سماه : « دوط — أند — كارى » (أى الذى ينقل خطواته قفزاً) . ثم اختصرنا ذلك الاسم إلى « كارى » فقط . فكان كل منا يقول متى رآه : « هو دا كارى . لنهرب قبل أن يلتصق بنا » . ثم نعدو مسرعين إلى الغابة أو إلى حوض السباحة ، وكارى المسكين يسير فى أثرنا ضاحكا لا يحتج بكلمة .

ذلك كان خلقه . فقد كان حيياً دائم الابتسام، ونحن نسخر منه، ولا نرى فى شكله إلا غرابته . أما ثيابه فكانت قبيحة دائماً بالرغم من جودة ترقيعها ورفوها. أما هو فيكاد يكون من حثالة الهيئة الاجتماعية . وكانت والدته نحيلة شاحبة ، وقد ترملت عن زوج سكير صعلوك ، ولذلك كانت تسعى لتعول نفسها وولدها بكنس الدكاكين وتنظيفها ، ولم تسلم هى أيضاً من تهكم تشيزوم إذ قال : « إنها تأخذ سلالم البيوت إلى دارها لتغسلها ! ! » . وكان « كارى » يتكسب نزراً يسيراً من المال ، فيستيقظ فى الساعة الخامسة من صباح كل يوم لتوزيع اللبن الحليب على الزبائن .

وكثيراً ما كان يتأخر بسبب ذلك عن الوصول إلى مدرسته فى الميعاد . ولا أزال أذكر كيف كان الأستاذ يستقبله بشراسة ويقول له : « ألا تزال تتأخر عن الحضور ؟ » فيجيبه كارى : « نعم يا سيدى » . فيصيح الأستاذ : « وأين كنت الآن ياصاحب السعادة ؟ لعلك كنت تتناول طعام الإفطار مع الحاكم ؟ » فيجيبه كارى متلعثما : « كل ... كل ... كلا يا سيدى » .

وفى الواقع كانت هذه اللعثمة تنتاب كارى المسكين فى مثل تلك المواقف ، وتشتد به ، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، فيثير ذلك ضحك التلاميذ كلهم ، لما يرون على أسارير أستاذهم مما يشجعهم على ذلك .

ولو كان كارى ذكياً لانتهى كل شىء على خير ، فكل شىء يغتفر فى اسكتلندا للتلميذ الذكى . أما هو فمع أنه كان يحفظ دروسه إلا أن الامتحانات الشفهية كانت جحيما عليه .

وكانت أمه تدرك ذلك وتتحسر ، وكانت أمنيتها الكبرى أن ترى ابنها متفوقاً بين رجال الدين بالكنيسة الاسكتلندية ، وقد أقسمت أن تتحقق تلك الأمنية أو تموت .

أما كارى فكان يفضل فضاء الريف على حشد الكنائس ، ويميل إلى المعيشة فى الغابات والمروج ، ويعطف على الحيوانات عطفاً غريباً . وكانت سعادته لا تقاس بسعادة أحد إذا أتيحت له العناية بطير أو حيوان مصاب . وكانت له دراية بمعالجة تلك الحيوانات . وحقيقة أمره أنه كان شديد الميل إلى دراسة الطب .

ولكنه كان مجبولا على طاعة والدته ، لذلك ترك المدرسة ودخل إحدى كليات الدين ليتعلم اللاهوت . وكانت والدته تكد وتشقى وتقتصد كل درهم ، لتجعل ولدها قسيساً . ولكنه لم يكن يميل إلى السلك الديني ، ومع ذلك فقد جاهد جهاد بطل .

ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمره عين قسيساً في إحدى كنائس اسكتلندا . وأعجب أتباع تلك الكنيسة بأخلاق أمه ، وبما فعلته من أجل ابنها . وفي ذات يوم عهد إليه في أن يعظ عظته الأولى ، فامتلأت الكنيسة بالجمهور الذي كان يتشوق لسماع موعظة القسيس الجديد، وكان هذا القسيس قد قضى عدة أسابيع يستذكر عظته ويحفظها عن ظهر قلب . فلما جاء الوقت وقف على المنبر وقفة هادئة ، ثم أخذ يلقي العظة رابط الجأش . وظل كذلك بضع دقائق ، ثم خطر بالصدفة أن جميع الأبصار تشخص إليه . وكانت أمه جالسة في أحد المقاعد الأمامية ، وقد لبست ثياب يوم الأحد، وأخذها الزهو بابنها وهي تحدق إليه . هزته رعدة شلته فأفقدته ثقته بنفسه فتردد ، وأضاع تسلسل أفكاره ، وبدأ يتلعثم . فلما استولى عليه شعوره بعجزه عن الكلام اضطرب وضل ، وحاول أن يتغلب عليه فلم يستطع ، وخانته الألفاظ ، فأخذ يبذل جهد اليائس . ولكن الابتسامات التي رآها على وجوه القوم ، وضحكاتهم المكبوتة ، ورؤيته وجه أمه وقد أخذها الاضطراب — كل ذلك زاد في تلعثمه ، فقطع الموعظة وطلب إنشاد ترنيمة.

وأثر هذا الحادث في نفس والدته المسكينة فأصيبت بنوبة فالج ، ونقلت إلى منزلها ، ولم تمر ساعة حتى فاضت روحها .

في ذلك اليوم عاد كاري من دفن أمه ، ولم يره أحد في بلدة لفنجفورد فيما بعد ، ولا علم أحد بمقره . وتناولته الألسنة باللوم والسخرية، وقال الجميع: إنه قد أخفق إخفاقاً تاماً فعاد لا يصلح لعمل . على أن كاتب هذه السطور بلغه بعد بضع سنوات أن كاري يعلم في مدرسة حقيرة في إحدى مناطق المناجم باسكتلندا . فعاودتني الذكريات ، وخامرني شيء من الأسف لما مني به ذلك الرجل من أسباب اليأس . ثم ما لبث أن امحت صورته من ذاكرتي .

ومرت الأيام ، وكنت أشتغل في جامعة أدنبره ، فدخل عليّ تشيزوم ذات يوم (وكان قد أصبح المساعد الأول لأستاذ التشريح في تلك الجامعة) ، وقال لي : « هل تعلم من يقوم بتشريح الجثث في دائرتي ؟ » قلت : لا . قال : « صديق صبانا كاري » .

فلم أكد أصدق أذنيّ . وتخيلت كاري وهو في نحو الثلاثين من عمره وقد بدأ

دراسته الطبية . تصورته فى ثيابه الرثة وهو يعرج منحنى الظهر ، ورفاقه فى المدرسة يضحكون منه ويسخرون ، ولا يرضى أحدهم أن يكلمه . وكان يسكن يومئذ فى غرفة حقيرة بمنطقة فقيرة ، ويطبخ طعامه بيده ، ويقتصد من الدريهمات التى ادخرها من مرتبه وهو معلم . وتمثل لناظرى شبح الجهاد الذى جاهده فى السنتين التاليتين ، يوم كانت سنه وملامحه ولعثمته حجر عثرة فى سبيل نجاحه . و مع ذلك جاهد وظل يجاهد ويأبى أن يعترف بإخفاقه ، وروح المرح والعزم والأمل تبدو فى عينيه .

ومرت الأيام ، وانقضت خمس سنوات بل أكثر . وفى ذات يوم كنت فى لندن وقد نسيت كارى ، وانقطعت كل صلة بينى وبينه ، ولكنى كنت أقابل تشيزوم مراراً . وكان منظره الحسن وهندامه وذلاقة لسانه تهيئه لمستقبل سياسى عظيم حتى أصبح عضواً بالبرلمان ، وانفسح أمامه طريق الوزارة . وفى شهر مايو سنة ١٩٣٤ ذهبت معه إلى لينوكس لنقضى عطلتنا فى صيد السمك ، وكان الطعام الذى يقدم لنا رديئاً ، وصاحبة النزل امرأة نحيلة الجسم شرسة الأخلاق . وبعد يومين من وصولنا شاء حسن الحظ أن تزل قدمها فسقطت على أرض الغرفة ، وأصيبت ركبتها برضوض مؤلمة . وحاولنا أن نسعفها بما فى وسعنا بغير اهتمام — وكلانا من الخوارج على علم الطب — فلم تسمح لأحد بأن يمسها إلا طبيب القرية ، التى أخذت تشيد بذكائه ومقدرته ، حتى صرت أنا وتشيزوم نتبادل النظرات والابتسامات .

وبعد ساعة وصل الطبيب يحمل حقيبة سوداء ، وعلى وجهه علامات الاعتداد بالنفس والانهماك فى العمل . فأسكت المرأة التى كانت تتأوه وطمأنها وبعث فى نفسها الثقة ثم طفق يعالج ركبتها بلمسات خفيفة تدل على المهارة والرشاقة، حتى أعاد العظم إلى مكانه . وبعد ذلك التفت إلينا ، وما كدنا نراه حتى همهم تشيزوم : « يا إلهى ! هذا كارى ! »

نعم كارى بعينه ! ولكنه لم يكن ذلك الرجل المتلعثم الحيى الرث الثياب ، بل كان قد أصبح رجلا هادئاً تدل مرآه على الثبات والثقة بالنفس . فحيانا بلهفة وشوق ... علينا فى قبول دعوته للعشاء فى منزله ... استأذن فى الانصراف لزيارة أحد مرضاه .

فى مساء ذلك اليوم دخلنا منزل طبيب القرية بخطوات ثقيلة متئدة . وما كان أشد دهشتنا إذ علمنا أن كارى متزوج . واستقبلتنا زوجته بترحاب عظيم ، وكانت على جانب ... جمال الريفيات ونضارة الشباب ، وكانت ... تشير إلى زوجها « الدكتور » بكل ... واحترام . وإذ كان الدكتور لا يزال ...

عيادته ، فقد أخـذتنا إلى الطبقة العليا من المنزل لترينا أولادها — ولداً وبنتين — وكانوا نائمين وعلى ثغورهم ابتسامة لطيفة. واستولت علينا الدهشة ، فوقفنا صامتين لانبس ببنت شفة .

ثم عدنا إلى الطبقة السفلى من المنزل ، وبعـد قليل وصل كارى ، ومعه ضيفان آخران . ولما جلسنا إلى المـائدة أخذت أراقب كارى ، فوجدته رزيناً هادئاً كأحسن ما يكون المضياف . وكان صـديقاه اللذان حضرا معه — وهما من ذوى المنزلة — يخاطبانه بكل تجلة ووقار ، واتضحت لنا منزلته مما سمعناه عنه من أفواه النـاس . وكانت دائرة عمله واسعة جداً ، وجل مرضاه من سكان الريف المنتشرين فى جهـات متفرقة . ومع أنهم كانوا شديدى الحرص كثيرى الصمت ، فقد استطاع أن يستولى على عقولهم وعواطفهم . فكان حيثما سار تهرع إليه الأمهات وعلى أذرعهن أطفالهن يستشرنه ، ويطلبن منه معالجتهم على قارعة الطريق . وفى مثل هذه الحالات لم يكن يعنى بتقاضى أجر ، لأن ما كان يكسبه كان يكفى ويزيد . ولذلك كانت الهدايا تكوم على باب منزله فى ليلة عيـد رأس السنة من دجاج وإوز وبط وبيض وغيرها .

وكان القوم يتناقلون عنه قصصاً كثيرة . فكثيراً ما كان يقضى الليل بجانب عليل يصارع الموت ، أو طفل يصاب بالدفتيريا ، أو فلاح مصاب بالتهاب الرئة ، أو زوجة تعانى آلام المخاض . وهو يشجع كل واحد ، ويبذل كل ما فى وسعه لإنقاذ المريض من بين براثن الموت .

لذلك أصبح طبيب القرية ذا نفوذ وسلطان بين القوم ، وذاعت شهرته فى تلك الأنحاء . وكان يستعمل فى معالجة مرضاه منتهى اللطف والحكمة ، يقارنهما العلم والاختبار والجد والمثابرة ، والولع بعلم الطب الذى أثبت أنه خلق له . وكان يدرك أنه قد استولى على عواطف القوم الذين كان يقيم بينهم . وقد أبى أن يعترف بانكساره فى أول سيرته ، فظل يكافح ويناضل حتى انتصر .

وعند ختام السهرة انصرفنا من منزل طبيب القرية ، وسرنا نتعثر فى الظلام ونحن صامتان . وفى أثناء الطريق قال صـديقى تشيزوم : « لقد نجح هذا الرجل أخيراً » .

فاستيقظت من شبه الذهول الذى كنت فيـه وقلت لصديقى : « أيهما تفضل أن تكون ياتشيزوم ؟ أن تكون كما أنت أم تكون طبيب لينوكس » .

قال : « قاتلك الله ! ألا تدرى ؟ »

هذا هو ميراثك

ملخصة عن مجلة تايم

كانت «ماريا» مثقلاء قد عظم ما فى بطنها لما استولى الألمان على قرينها فى يوغوسلافيا. وكان زوجها الشاب « بطرس » قد فرّ ليلتحق بعصبة اليوغوسلافيين الوطنيين ، وقد قتل بعد ذلك بأسابيع ، ولكنه قبل أن يلفظ النفس الأخير أخرج قطعة من قلم كتب به رسالة إلى ولده الذى كان لا يزال جنيناً .

وقد تناقل زملاؤه كتابه هذا ، حتى صار بعض مايروى ويؤثر من الأدب الشعبي اليوغوسلافى . وقد وصل من عهد قريب إلى لندن والعالم الخارجى ، وفيه يقول :

«أى بنىّ الراقد الآن فى الظلام يستجمع قوته لجهد الولادة، إنى أتمنى لك الخير وأدعو لك به ، ومتى آن الأوان لك فستكون قد أوتيت قوة تجاهد بها فى سبيل الهواء والنور وهذا ميراثك ، وميراث كل ابن أنثى — أن تجاهد طلباً للنور ، وأن تصبر وتتجلد .

« فلا انطفأت الشعلة التى تصفى وتصقل معدن شبابك الوضاء ! ولتبق دائماً متسعرة ، حتى إذا فرغت من عملك صرت كنار الحارس المرفوعة الضياء على طريق موحش ، يحمدها ويأنس بها كل عابر سبيل .

« وستؤتى وأنت طفل روح التطلع والمغامرة ، وتلك آية الخلود ، أدام الله عليك ذلك ، وأسكن قلبك ما ينشد به الراعى الخضر فيما يلى الصحراء ، والفجر من وراء البحر ، والنور بعد الظلمة .

« وليكن سعيك وكدحك أبداً بخلوص سريرة ، وشجاعة عالية فى هذا العالم الذى يتحلل فيه الإعياء بالناس .

« واحتفظ بحبك للحياة ، واطرح عنك خوف الموت ، ولا بد للحياة أن تحب وإلا ضاعت ، ولكنه لا ينبغى أبداً أن يغرق المرء ويسرف فى حبها .

« واحتفظ باغتباطك بالصداقة ، ولكن تعلم أن تعرف أصدقاءك .

« واستبق موجدتك وقلة تسامحك وادخرها لما يقول لك قلبك إنه شر، ولا تدع شعورك يفتر عما هو عظيم وجليل ، كالـ[illegible] والرعد ، والمطر ، والنجوم ، والر[illegible]

والبحر ، ونمو الشجر ، واستحصاد الزرع ، وبطولة الأبطال . ولتكن أبداً حريصاً على الجديد من المعرفة ، مبغضاً للكذب ، قادراً على السخط والنقمة .

«والآن لامفر من الموت . وإنه ليخجلنى أنى أخلف لك ورائى عالماً قلقاً مضطرباً ، غير أنه لا حيلة لى فى ذلك .

وألثم جبينك ، وعم مساء — وعم صباحاً ، وليكن فجرك وضاحاً » .

ولما كرت عصبة الانتقام إلى قرية « بطرس » وجدوا أن ماريا قتلت قبل أن تضع طفلها ببضعة أيام . فصار الكتاب الذى لم يتسن لزملاء بطرس أن يسلموه إلى طفله، كتاباً إلى كل طفل لم يولد فى هذا العالم الكبير الذى جن جنونه .



حيل النساء

● حدث مرة أن ظفرت الكاتبة الأمريكية دوروثى طمسون من الدكتور إدوار بنش بحديث ، حين كان بنش وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا . وكانت عائدة إلى ڤينا بطائرة ، فهبت عاصفة حملت الطيار على النزول إلى الأرض فى بلدة تشيكية صغيرة . فأسرعت دوروثى طمسون إلى مكتب البريد لإرسال حديثها بالتلغراف ، ولكنها لم تجد فى جيبها النقود الكافية لتوفية أجرة إرسال الحديث بالتلغراف . فطلبت أن يرسل ، على أن يستوفى الثمن من الصحيفة المرسل إليها . فأبى الموظف أن يفعل . فكتبت مس طمسون فى الحال برقية أخرى وناولته إياها ، فما كاد يقرؤها حتى وافق على إرسال الحديث بالتلغراف ، واستيفاء الأجر من الصحيفة . وكانت البرقية الثانية موجهة إلى الدكتور بنش نفسه ونصها : —

« حبيبى . أرجو أن تبذل جهدك لرفت جميع الموظفين فى مكتب البريد هنا . حبوبتك » . [مرجريت كايس هارعان فى مجلة « ذى نيويوركر »]

أسلوب جديد فى التخدير أسفر عن نجاح باهر ، مع أنه لا يزال فى دور التجربة

ولادة بلا ألم

خلاصة مقالة للدكتور موريس فيشبين



فى خلال سنة ١٩٤٢ ، وضعت ٥٨٩ امرأة أطفالا فى أكثر من عشرين مستشفى للولادة بالولايات المتحدة من غير أن تشعر واحدة منهن بالآلام التى تشعر بها المرأة عادة متى حان وضعها . وكانت هؤلاء النساء قبل الوضع مضطجعات على أسرتهن فى راحة وطمأنينة يقرأن أو يحادثن زوارهن إلى أن حان وقتهن ، فوضعن وضعاً طبيعياً دون أن يشعرن بشىء من الألم . وأثبتن أن العلم قد اكتشف أسلوباً مأمون العواقب لمساعدة الأم على الوضع .

وقد اتضح الآن أن جميع المساعى التى بذلها الأطباء سابقا لإزالة آلام الولادة قد أخفقت . فقد جربوا كل دواء ومخدر يزيل الإحساس أو ينشىء الغيبوبة أو النسيان . واستنبط بعضهم ضرباً من التخدير سماه : « سبات الشفق » فأفلح فى إحداث حالة من عدم الوعى أو عدم الشعور بالآلام . ولكن ذلك « السبات » عاق سير الوضع الطبيعى وعرض حياة الجنين للخطر .

ومنذ خمس وعشرين سنة استنبط اثنان من مشهورى الأطباء الألمان الإخصائيين فى فن التوليد طريقة جديدة لإحداث « سبات الشفق » ، وكان لاستنباطهما أثر عظيم فى البيئات العلمية . ومن مقتضى طريقتهما استعمال مزيج من عقارين هما المورفين (ووظيفته تخدير الألم) والسكوبولامين ، (ووظيفته إحداث حالة من النسيان) ، إلا أن الكثيرات من الأمهات اللواتى استعملن هذا المزيج أصبحن يهذين عند الوضع ، وجاء أطفالهن فى حالة شديدة من زرقة اللون بسبب نقص مقدار الأوكسيجين الذى يتلقاه الجنين عن طريق الدم فى أثناء الوضع . ولذلك لم يشع استعمال تلك الطريقة ، وظل العلماء يبحثون

" " " " " " " " " " "

الدكتور فيشبين رئيس الجمعية الطبية الأمريكية سابقاً ومحرر مجلتها ومجلة هايجيا ومجلة الصحة . وقد نشرت هذه المقالة فى مجلة « هايجيا » .

عن طريقة أخرى مأمونة العواقب تزيل آلام المخاض .

وقد وفقوا الآن إلى طريقة يسمونها طريقة « التخدير العصعصى المستمر » . والعصعص ، كما لا يخفى ، هو طرف العمود الفقرى الأسفل . وقد نشأت هذه الطريقة وتطورت على أساس طبي . وكان أول أطوارها إيجاد مخدر موضعى . وقد أدرك الأطباء أنه إذا حقن جزء من الجسم محيط بمجموعة من الأعصاب بمادة الكوكايين أو بأحد مركباتها ، حال دون وصول الألم إلى الدماغ ،فلا يشعر به المرء.ثم جاء بعد ذلك تخدير العمود الفقرى ، وقد ثبت أنهمأمون العواقب إذا تولاه طبيب ذو دراية واختبار.

ومن التخدير الموضعى والتخدير العصعصى تولدت عند الأطباء هذه الفكرة ، وهى : أن فى الإمكان تخدير الأعصاب الممتدة من الرحم (حيث ينمو الجنين قبل الولادة). ولا يخفى أن مبدأ هذه الأعصاب هو فى الجزء الأسفل من العمود الفقرى . وقد تمكن بعض الأطباء الألمان فى سنة ١٩١٣ من تخدير ذلك الجزء تخديراً موضعياً . واقتفى الأطباء الأمريكيون أثرهم فاقتبسوا طريقتهم وحسنوها . وذكر أحدهم أنه استعملها فى أكثر من أربعمائة حادثة من حوادث التوليد . وذكر غيره أنه استعملها فى أكثر من مائتى حادثة . ومن مزايا هذه الطريقة أنها تخفف آلام الوضع ، وإن كانت لا تزيلها بتاتاً ، أى أن السيدة التى هى على وشك الوضع تقضى عدة ساعات تعانى الآلام قبل حقنها بالمادة المخدرة فى الدقائق الأخيرة من المخاض .

وفى ٦ يناير سنة ١٩٤٢ أدخل الطبيبان، روبرت هنجسون ، ووالدو إدووردز ، من أطباء مصلحة الصحة الأمريكية ، تحسيناً على طريقة الحقن المذكورة بقصد إزالة الآلام أثناء مدة الوضع كلها . وقد درسا الجزء الأسفل من العمود الفقرى درساً مسهباً لمعرفة الموضع الذى يجب وخزه بالإبرة عند الحقن لتخدير أعصاب ذلك الموضع عند الولادة بحيث لا يصل المخدر إلى السائل الفقرى ، أو إلى أى مكان يمكن أن يصل التأثير منه إلى العمود الفقرى نفسه . وفى الواقع إذا لم يكن الطبيب المخدر يعرف دقائق تشريح ذلك الجزء من الجسم معرفة تامة فلا يتوقع له النجاح . وقد وقعت حوادث من هذا القبيل أخفق فيها الطبيب .

أما الطريقة الجديدة فهى فى يد الطبيب الماهر مدهشة حقاً . ويجب بذل كل عناية لتقع الإبرة تماماً على الموقع الذى يجب أن تقع عليه ، فلا يصل المخدر إلى الدم ولا إلى سائل العمود الفقرى، بل إلى البقعة المحيطة بالعصب .

ولهذه الغاية تستعمل إبرة من الصلب تقبل الالتواء ، ولا يتطرق إليها الصدأ . وهى لقبولها الالتواء لاتنكسر ، ولو تقلبت المرأة على سريرها . ويجب استعمال مخدر موضعى لقتل الألم عند إدخال الإبرة ، وهذه الإبرة متصلة بواسطة أنبوب من المطاط بزجاجة تحتوى على المحلول المخدر ، ويحقن منه بضع ملاعق صغيرة . واسمه ميتكايين ، وهو أحد مركبات الكوكايين .

وتقول النساء اللواتى حقن بهذا المخدر إنه زال منهن بعد الحقنة الأولى ببضع دقائق كل شعور بالألم . وهذه الحقنات تكرر فى فترات تختلف من ثلاثة أرباع الساعة إلى ساعة بحسب الحاجة . وتظل المرأة التى تنتظر الوضع مضطجعة على سريرها لا تشعر بألم إلى أن يأتى وقت الوضع فتنقل إلى غرفة الوضع .

وفى أثناء ذلك يراقب الطبيب سير الحالة واقتراب الوضع مراقبة دقيقة ، فإن عدم شعور المرأة بآلام المخاض يحرمه معرفة الدقيقة التى يتم فيها الوضع . والدليل الوحيد الذى يكون أمامه فى هذه الحال هو ازدياد تقلص الرحم بشدة فى فترات متقاربة . ولذلك فليس من الحكمة أن يمارس هذه الطريقة إلا الأطباء الملمون إلماماً تاماً بطرق التخدير وبفن التوليد. وقد نشر الطبيبان هنجسون وإدووردر اللذان سبقت الإشارة إليهما مقالا مسهباً فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية قالا فيه : إن نجاح هذه الطريقة يتوقف على مهارة المولد وعلى اجتناب استعمال الحقنة المذكورة فى حالات الولادة غير الطبيعية وعلى السير بحرص وتؤدة . فإذا استعملت الطريقة الجديدة بعناية ومهارة وبغير تسرع كانت النتائج مدهشة .

وقد كانت أقصر مدة انقضت بين الحقنة الأولى والولادة ٣٥ دقيقة ، وأطول مدة ثلاثين ساعة . وفى خلال هذه المدة الطويلة لم تشعر الأم بألم ما من آلام المخاض ، ولا وقع ضرر ما عليها أو على وليدها .

وقد استعمل الطبيبان هنجسون وإدووردز هذه الطريقة الجديدة فى أحد مستشفيات الولادة التابعة لمصلحة الصحة الأمريكية فى عدد كبير من النساء . وفى مائة منهن كانت ٨٩ سيدة فى انتظار الوضع أول مرة . وإحدى عشرة سيدة قد سبق أن وضعن قبل تلك المرة . وروت بعض سيدات الفريق الثانى لكاتب هذا المقال أن الفرق بين وضعهن هذه المرة ، ووضعهن سابقاً ، عظيم جداً . وحدث أن إحداهن كانت تتناول غداءها فقامت عن المائدة ودخلت غرفة الوضع . وبعد أن وضعت عادت لإكمال غدائها ! . .

وقد جربت الطريقة الجديدة فى ٤٨٩ حادثة إضافية من حوادث الوضع فى عدة مستشفيات ومدارس طبية. وقال الدكتور فرنسيس إرفنج استاذ فن التوليد بكلية الطب لجامعة سرا كيوز الأمريكية — وقد أتيحت له الفرص لاختبار الطريقة الجديدة: « لا شك أن هذه الطريقة كاملة من جميع الوجوه، فهى تمنع آلام المخاض ولا تؤثر فى حياة الأم أو الطفل ». وكتب الدكتور نوريس فو أستاذ فن التوليد بكلية جفرسون والطبيب المولد بمستشفى فيلادلفيا يقول: «إن التجارب التى جربناها فى مستشفى فيلادلفيا لاختبار طريقة التخدير العصعصى المستمرة تدعو إلى أشد الارتياح. فهى مضمونة النجاح، وليست خطرة إذا استعملت بحسب إرشادات الدكتورين هنجسون وإدوردز. إلا أنها تتطلب مراقبة مستمرة ممن حذق استعمالها».

ويؤخذ من تقارير بعض الذين استعملوا هذه الطريقة أن عجزهم عن إزالة آلام المخاض بتاتاً لم يكن إلا فى عشر حوادث أو خمس عشرة حادثة من مائة. وقال آخرون: إن نسبة الإخفاق كانت أقل من ذلك. ولكن حتى فى هذه الحالات كانت الآلام أخف.

والخلاصة أن هنالك حقيقة ثابتة وهى أن مئات من حوادث الوضع بلا آلام تمت باستعمال هذه الطريقة التى لا تزال فى طور التجربة. أما الآن فيجب قصرها على المستشفيات فقط، على أن يتولى استعمالها أطباء مدربون تدريباً خاصاً، وأن يساعدهم أطباء خبيرون فى فن التخدير. ولا شك أنه إذا استعملت هذه الطريقة على الوجه الصحيح اتضح أنها من أعظم مراحل الرقى فى علم الطب.



بريطانيا تتكلم

● كان ونستون تشرتشل يجول بين أنقاض مدينة على أثر غارة جوية عليها فى الليلة السابقة. وحيته سيدة عجوز، فسألها عن حالها بعد هول الليلة السابقة فقالت: إن لهذه الغارات مزية خاصة، إنها تنسيك الحرب قليلا.

(أوليفر لتلتون فى إذاعة لاسلكية)

جندى يحلل الصفات التى نال بها وسام الشجاعة

ما يسمونه شجاعة

س . ب . وول

ملخصة عن مجلة « بيل »

قال الليوتننت كولونيل دولارد مينارد: « أحسب أنى الآن ما يسمونه شجاعاً ، ما دمت قد نلت مدالية تثبت ذلك ؛ ولكنى ما زلت أحاول أن أتبين ذلك الذى جعلنى شجاعاً ، أو يسمونه شجاعاً » .

« وقد طال تفكيرى فى ذلك فى الليل ، وأنا راقد فى مستشفى بلندن بعد أن عدت عبر المحيط الأطلسى ، وأظن أنى قد صرت به بصيراً » .

وأمسك ، ورفع أربعة أصابع وقال : « إن الذى أراه هو أن هناك أربعة عناصر فيما يزعمونه شجاعتى .

« الأول : تستطيع أن تسميه التفاؤل ، أو حب الذات ، أو إذا شئت الطيش الصريح وعدم التفكير .

« الثانى : النظام — التدريب الذى تدربه فى الجيش .

« الثالث : الحنق — الرغبة فى الانتقام .

« وأقرب عبارة عن الرابع ، إلى الصواب انه ذلك الإحساس المستقر فى أعماق النفس بعدم المبالاة ، وبأنْ : فليكن ما يكون .

« والآن سأحاول أن أبين لك كيف كان ذلك .

« لم تكن مغامرة دييب أكثر من غارة كبيرة للفدائيين (كوماندو) ، وكنت أقود كتيبة من ستمائة رجل . وكان علينا أن ننزل على ساحل دييب ، ونساعد على قطع الأسلاك الشائكة ، ونطهر أعشاش الرماة ، وأوكار المدافع الرشاشة ، وندمر أهدافاً معينة ، ونعود بأكبر عدد ممكن من الأسرى ليستجوبهم رجال المخابرات .

وكنت فى ليلة تلك الرحلة ، عبر خليج المانش ، أفكر فى أمر رجالى وأتساءل فيما بينى وبين نفسى عما لعلهم يفكرون فيه . وكنت أعرف معظمهم معرفة حسنة ، وكانوا جميعهم تقريباً من أبناء كندا

الفرنسيين مثلى ، وقد رأيت صوراً صغيرة لزوجاتهم وأطفالهم ، وأمهاتهم وبناتهم . وأحسبك تعرف نوع هذه الصور التي يبدو فيها المرء مبتسما متخاوصاً يكاد يغمض عينه من الشمس .

« وسألت نفسى : كم منهم ياترى سيكتب لهم أن يعودوا ؟ وشرعت أصلى ـ لا لنفسى على وجه الخصوص ، بل على وجه العموم ، وأناجى ربى بكلام كهذا : « أسالك اللهم أن ترد أكبر عدد منا سالمين من هذا الذى نحن ماضون إليه »

« فقد كنت أعلم ، وكان كل امرىء فى الكتيبة يعلم ، أن كثيرين منا سيقتلون أو يصابون . ولكنى كنت لا أعتقد فى قرارة نفسى أنى أنا سأقتل ، ولا أظن أن رجلا واحداً فى جميع هذه السفن كان يعتقد أنه سيقتل .

وهذا هو الذى يجعلنى أقول إن العنصر الأول فيما يسمى الشجاعة هو التفاؤل أو حب الذات . وهذا العنصر هو الذى يغذيك ويقويك إلى أن تبدأ مرحلة العمل نفسه ، كأنه أجر السيارة يؤدى عنك إلى ساحة المعركة .

والآن ننتقل إلى العنصر الثانى .

لما صرنا على مرأى من دييب ، قبيل الفجر ، كنا ندرك أننا سنقابل بجحيم من النيران على طول الخط . وكان هناك كثير من المدافع يطلق ، وكنا فى البداية نستطيع أن نسمع الطلقات ونميزها . الصوت الشديد الصلب ، كالرعد ، الصادر عن المدفعية فيما وراء دييب ، وقعقعة المدافع الرشاشة ، ودمدمة مدافع الهاون ، وإرنان بنادق الرماة . ثم لما اقتربنا من الشاطىء اختلطت جميع هذه الأصوات ، فصارت هديراً واحداً ، ثقيل الوطأة على صماخ الأذن .

«وكانت الياردات الخمسون الأخيرة إلى الشاطىء بلاءاً . وكان الألمان يضبطون المدى ليحكموا رمى السفن . وكنت أشعر بجفاف وحرّ فى حلق . وتمنيت أن أصنع شيئاً ، لا أن أظل قاعداً فى هذه السفينة اللعينة .

«وما كادت السفينة تلمس الشاطىء حتى وثبت منها ، وذهبت فى أثر قاطعى الأسلاك الشائكة . وكان أول هدف لى وكرا مبنياً من الأسمنت على مرقب ارتفاعه اثنتى عشرة قدماً ، على مسافة مائتى ياردة من الشاطىء .

«وأحسبنى ماخطوت ثلاث خطوات حتى أصابتنى أول رصاصة . وقد اعتاد الإنسان أن يقول إن الرصاصة أصابته ، ولكن التعبير بلفظ الإصابة خطأ ، والصواب أنها تخبط خبط المطرقة . ولا تحدث لك فى أول الأمر شعوراً بألم حادّ ، ولكنها ترجك إلى

حد يتركك لا تدرى على وجه التحقيق فى أى موضع أصبت ، ولا بماذا ؟

« وقد أصابت هذه الرصاصة أعلى كتفى اليمنى ، فألقتنى على الأرض . ولم تخرجنى من المعركة ، ولكنى شعرت بأنى مضطرب مرتج ، وكان ذلك شبيهاً بإحساسى فى ملعب الكرة إذ يعاجلنى معاجل من الخلف ، على حين أحسب أن الملعب قد خلا فى وجهى . أى نعم ، بوغت ، فذهلت ، فقطع على سبيلى .

« وأقبل على واحد من رجالى فصحت به : « امض فى طريقك فإنى بخير » .

« ولا أدرى لماذا قلت له هذا ، فما كنت أعرف كيف أنا .

« واستطعت بجهد أن أقف على قدمى ، ثم دفعت يدى اليسرى فتحسست بها كتفى اليمنى فألفيتها ضرجة بالدم ، ونظرت فى كفى فرأيتها ملوثة به ، فعلمت أنى أنزف .

« فتناولت جهاز الإسعاف المشدود إلى جانبى فوق الفخذ الأيمن ، وعالجته نحو ثانيتين ثم قلت ، لنفسى « كيف أستطيع أن أضمد كتفى بيدى اليسرى ؟

« وكنت فى أثناء ذلك واقفاً على رقعة مبسوطة من الساحل ، ينهال عليها سيل من قذائف البنادق والمدافع الرشاشة ، ومدافع الهاون والمدفعية الثقيلة . ولكنى ما كدت أصاب بتلك الرصاصة حتى ذهلت عن كل شىء آخر . وكان همى كله أن أتبين هل أنا مازلت قطعة واحدة ؟ ولكن حركة التناول العقيمة لجهاز الإسعاف نبهتنى إلى ما حولى .

« وأظن أن هذه هى اللحظة التى ظهر فيها أثر النظام والتدريب . فإن ما كان خليقاً أن يفعله على هذا الشاطىء رجل ليس له حظ من التدريب ، هو أن يحفر حفرة عميقة فى الرمل يزحف إليها ويختبىء بها وعيناه مغمضتان ، ولكن النظام والتدريب كانا من الوفاء بحيث أعانانا على الاستمرار . وقد لاحظت أن وكر العدو لا يزال ، فشرعت فى الالتفاف به مع طائفة من رجالى » .

وهنا لمس الكولونل مينارد ندبة أرجوانية على خده الأيمن ، تبعد من العين مقدار نصف بوصة ، وقال : « وكانت الإصابة الثانية بعد دقيقة ونصف دقيقة ، وكان لها إيلام ؛ لأن الرصاصة اخترقت الخد ومزقت قطعة من اللحم .

« فرفعت ظهر يسراى مرة أخرى ، وتحسست خدى . وتالله ما أغرب أن ترى الإنسان لا يزال يحاول أن يلمس الموضع الذى أصيب فيه ، أو كان الجلد مقشوراً مع شىء من اللحم ، كأنما علق بها شص مما يصاد به السمك ثم نزع .

« وطأطأت رأسي وانحنيت ، على قدر ما أستطيع ، ومشيت ، وما قطعت مسافة خمس وعشرين ياردة حتى انطرح أحد رجالي وتجمع على الرمل أمامي ، وكان ضابطاً ومن أحب أصدقائي إلي ، وعملنا معاً في الهند وهنج كنج وسنغافورة ، وكنت شديد الاعتزاز به والإيثار له .

« وكانت كلتا يديه على بطنه ، وهذا موضع إصابة بليغة ، لأنه ما من أحد يسعه أن يصنع له شيئاً إلا في مستشفى . وكان وجهه حائلا ، وكان يتنفس بجهد .

« فمددت يدي إلى جهاز الإسعاف مرة أخرى ، وعينه علي ، ولكنه لم يقل شيئاً ، واحتلت حتى أخرجت الحق الذي فيه أقراص المورفين الثلاثة ، وكل منها ربع قمحة ، وفتح فمه وأخرج لسانه قليلا دون أن يحول عينه عني ، فوضعت القرص على لسانه فبلعه . ولم يكن في وسعي أن أفعل غير ذلك ، وكان هو يعرف ذلك كما أعرفه .

« ومضيت إلى الوكر . وإلى هنا يمكن أن أقول إن شجاعتي كان مرجعها إلى النظام والتدريب ، ولم أكن قد شعرت بشيء من الغضب من جراء ما أصابني من جراح ، ولكني الآن ، وصديقي ملقى هناك ، تلهبت غضباً وحنقاً ، ولم يبق في رأسي إلا أني أريد أن أقتل وأن أنتصف

« وكان علي أن أدير أعمال فصيلتي ، فكان لا معدى لي عن كبح هذا الحنق ، غير أن ذهني صفا به على ما يظهر ، فصار تفكيري أقدم وأسرع ، بل كان الحنق كأنه ضرب من البنج العام . ولما بلغنا ذروة المرقب أصابتني الرصاصة الثالثة في رسغي الأيمن ونفذت منه ، فلم أكد أشعر بها . ولا يخالجني شك في أن إصابة كهذه ، في أحوال عادية لا يكون المرء فيها مشبوب العاطفة ، برصاصة كبيرة في الرسغ لا بد أن تتركه كالصريع .

« ولكن حنقي آتاني القوة حتى بلغت الوكر ، فألفيت رجالي قد طهروه بقنابل اليد والقنابل اليدوية المحرقة . ومن هناك استطعت أن أبصر ما يدور حولي ، وأن أوجه الوحدات المختلفة باللاسلكي .

« واستطعنا في مدى ساعة أن نسيطر على الشاطىء ، ولكن كثيرين من الرماة كانوا لا يزالون حولنا ، وقد أصابني أحدهم وأنا أحاول أن أحسن مركزي بالصعود إلى أرض أعلى من أرضي . وكانت الإصابة في هذه المرة في ساقي اليمنى فوق الركبة ، وكان وقعها كوقع المطرقة ، ولكني استطعت على نحو ما أن أظل على قدمي .

« وكان رجالنا ودباباتنا تتسلل إلى المدينة

نفسها ، وودت لو دخلت مثلهم ، ولكنى أشعر بالتهافت والضعف والثقل .

« وأصابتنى الرصاصة الخامسة فوق الكعب الأيمن ، فدفت رجلى معها من تحتى فوقت ، وانتهى بذلك أمرى وقد حاولت أن أنهض غير أنى لم أستطع . وكان جنبى الأيمن كله حاراً ومضرّجاً .

« ثم بدأت أجد الوجع ، فأنشأت أصلى مجتهداً ، ثم غشى على .

« وعلمت فيما بعد أن اثنين من رجالى حملانى ، وهبطا بى إلى الساحل ، وأنزلانى فى مركب . ولما أفقت كانت طائرات فوك وولف تحاول أن تضربنا بالمدافع الرشاشة ، وكانت المدافع المضادة فى السفينة تطلق قذائفها بعنف على مسافة عشر أقدام من رأسى ، فأدرت عينى فألفيتنى راقداً على صناديق من ذخيرة هذه المدافع ! ولم يكن يخفى على أن رصاصة واحدة تستطيع أن تطير ما أنا عليه إلى السماء ، ولكنى فى هذه المرة لم أكن أعبأ شيئاً بذلك . ودار بنفسى أنهم أخطأوا مقاتلى إلى الآن ، فلن يصيبوها بعد ذلك . وأحسب أن هذا الإحساس هو العنصر الرابع فيما يسمى الشجاعة .

« وظللت راقداً هناك ، أشاهد طائرات سبتفاير تطرد الطائرات النازية وكأنى أشاهد شريطاً سينمائياً . وبعد قليل خرجنا إلى عرض البحر ، وأقبل رجل من رجال الأسطول الملكى وسقانى جرعة من « الروم » من كوب من الصفيح ، وبعد دقيقتين عاد إلى يعدو ويقول : « معذرة يا سيدى ! ولكن هل أصابتك فى المعدة ؟ » فهززت رأسى أن : لا ، فتنفس الصعداء وقال : «هذا حسن ياسيدى ، لأنك لو كنت مصاباً فى المعدة ، لما كان ينبغى أن أسقيك هذا الروم » .

فبدا لى أن هذا أبعث ما سمعت على الضحك ، فأغربت فيه ، ولولا الألم الذى كنت أجد منه مثل كى النار فى شق الأيمن لما أمسكت .

وهكذا خضت الحرب ، وإنى لراض عما لقيته فيها .

☆ ☆ ☆ ☆

● فى مأدبة عشاء بإنجلترا جلس المدعوون يتحدثون فقال أحدهم : « إن السجائر قد فسدت منذ أن نشبت الحرب » . وقال ثان : « إن وسائل النقل قد فسدت » . وقال ثالث : « إن كل شيء قد فسد» . وقال رابع : «كل شيء قد فسد إلا الشعب» .

(لويس فيشر)

أشياء لا نستطيع تفسيرها

أرشيبولد روتلدج

كتبت قبل سنوات مقالا فى إحدى المجلات شرحت فيه بعض الاختبارات الغامضة ، مما وقع لى أو لبعض معارفى . وبعد ما نشر هذا المقال تواردت على مئات الخطابات ، كما زارنى كثيرون فى شأن هذه الحوادث النفسية . وفيما يلى بعض هذه الاختبارات البارزة التى تدل على اتصال بعالم الظلال ، وهو عالم لا أشك فى وجوده فيما يتجاوز حواسنا العادية .

زارنى ذات يوم رجل وقور أبيض الشعر عرفت بعد ذلك أنه قاض ، فلما استقر قال لى :

« لعله مما يهمك أن أروى لك حادثاً وقع لى منذ ثلاثين سنة . وأنا عندما أرويه أجد من بعضهم شكا ، ومع ذلك فليس فى حياتى كلها شىء هو أبرز من هذا الحادث .

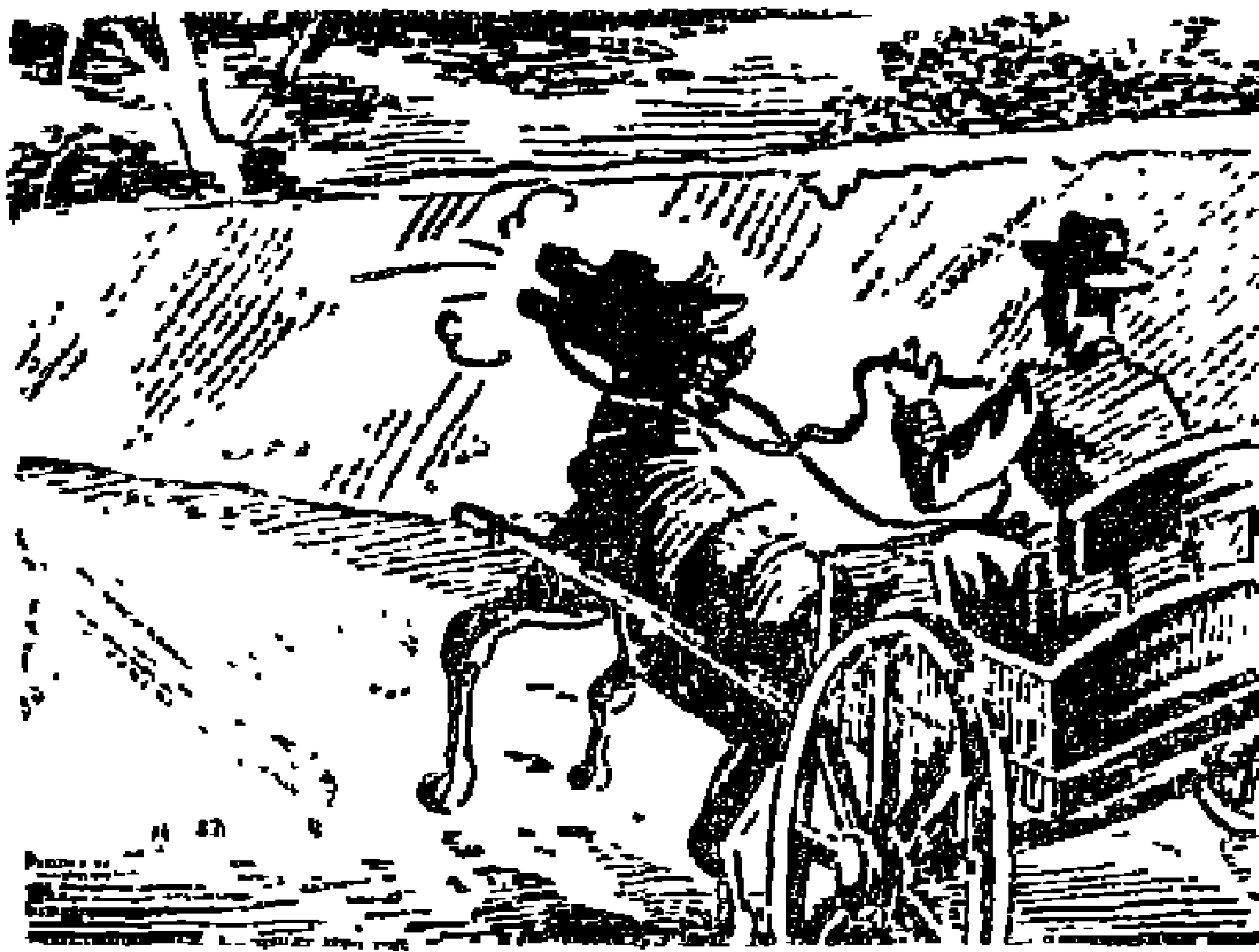
« كان ذلك حين كنت وكيلا للدعاوى وكان عملى يقتضى السفر إلى الريف ، فقصدت إلى إحدى القرى فى أصيل أحد الأيام فى عربتى وكان يجرها جواد ، ولم أكن أعرف الطريق الذى نسير فيه . ولما أدركنا الغروب دخلنا فى طريق ضيق قام على يمينه جدار من الحجر ، ولم يكن فى مدى البصر بيت يرى . ولما كنت غير واثق بأنى على الطريق الصحيح ، وأنى فى حاجة إلى أن أسأل وأسترشد حتى لا أضل ، نظرت فوجدت أمامى رجلا قد قعد على مسافة منى على الجدار . فلما اقتربت منه حتى صرت على أربعين متراً رأيته قد انحدر عن الجدار ، واتجه إلى الطريق ثم « سقط فجأة ووجهه إلى الأرض ». ورأيته منبطحاً على الطريق فى وضوح كما أراك أنت الآن .

« وظننت أن هذا المسكين قد أغمى عليه ، فتركت العربة وأسرعت إليه لكى أسعفه . ولم يتحرك الرجل من مكانه فى الطريق ، ولكنه عندما اقتربت منه تلاشى ، فلما بلغت مكانه لم أجده ، ولم أكن قد تحولت عنه بنظرى ثانية واحدة . ويمكننى أن أقول أيضاً إنى كنت شاباً قوياً حاد النظر ، ولم أكن قد شربت شيئاً .

« وعدت إلى العربة وأنا مرتبك الذهن ، وزاد عجبى عند ما رأيت الجواد — وهو حيوان هادئ فى عادته — وقد أخذه الرعب ، فجحظت عيناه من الخوف ، وكان

يتنفس تنفساً ثقيلا ، وقد شمل جسمه العرق الغزير . ولما وضعت يدى على ظهره ارتعش وانتفض ، وكان كل اهتمامى أن أجعل الجواد يسير ، فلما مر بالمكان شرع يعدو وينفخ فى كل خطوة .

« وبعد نحو نصف ميل وقفت عند بيت منفرد وسألت السيدة الواقفة أمامه عن المكان الذى وقعت فيه هذه الحادثة . فأجابتنى وهى تنظر إلىّ فى استغراب : هذا المكان ! ليس هناك من يحب أن يذهب إليه . فقد كان هناك منزل شب فيه حريق قبل سنوات ، وكانت ترتكب فيه جرائم قتل شنيعة شاع ذكرها . إنك رأيت شيئاً هناك . أليس كذلك ؟ لقد رأى كثيرون غيرك مثل هذا .



« وهذه هى القصة التى وقعت لى وقد أيدت نظائرها السيدة التى تحدثت إليها ، وهى تدل على ظهور أرواح ، ثم هناك رعب الجواد وانتفاضه . وإنى أعتقد أحياناً أن للحيوان حاسة سادسة لمثل هذه الأشياء . فهل تعتقد صحة مارويت ؟ » .

فأجبت بالإيجاب وقلت له : إنى مقتنع بأن هناك عالماً غير منظور يحدث أحياناً أن يظهر سكانه لنا فنراهم .

وكثيراً ما يقال إن للحيوان حاسة سادسة يحس بها ما يظنه كثير من الناس خزعبلات أو تخيلات . وإليك هذه الحادثة التى أرويها نقلا من خطاب أرسل إلى :

« كانت عندنا كلبة صيد اسمها مارسيلا ، وكانت مشغوفة بزوجى الذى كان كثيراً ما يقتضيه عمله السفر بعيداً عنا . وكنت فى مدة غيابه أجعل هذه الكلبة تنام فى غرفتى . وحدث ذات مرة حين كان زوجى مسافراً أن أخذت هذه الكلبة تهمهم فنهضت ، وأشعلت المصباح وأنا أخشى أن يكون قد دخل البيت لص . وكان شعر الكلبة قد وقف وصارت همهمتها عميقة مبحوحة غريبة ثم أخذت الكلبة تعوى فى حزن ثم جرت إلى خزانتى وهى تنشج . ولما نزلت الطبقة السفلى وجدت كل شىء فى مكانه وكان ابناى الطفلان نائمين نوماً هادئاً وبعد ساعة وصل إلى تلغراف ينبئنى بوفاة زوجى فى حادث سيارة . وأنا أعتقد

مارسيلا قد رأت هذا الحادث أو رأت زوجي فيه » .

وإليك هذه الرواية التالية أيضاً من مصدر آخر :

« كانت زوجة أخي وطفلتها البالغة من العمر ثلاث سنوات في غرفة النوم ، وكانت الغرفة مضاءة بضوء براق ، وكانت الطفلة راكعة تصلي جنب السرير ، وكانت الأم إلى جانبها تستمع إليها . وفجأة أحست الأم كأن شخصاً قد دخل الغرفة ، ولكنها لم تر أحداً ، ولم تقل شيئاً عن هذا الإحساس .

« ولما انتهت الطفلة من صلاتها التفتت إلى أمها وقالت : مامي ، من هذا الرجل الشيخ الذي كان واقفاً إلى جنبك ؟ ثم اتضح من سؤالها أن صفات هذا الشخص تطابق جد الأم الذي تركته في السويد .

« وكان أول خطاب وصل بعد ذلك من السويد ينبئها بوفاة جدها الذي مات في الليلة التي قالت الطفلة فيها إنها رأته » .

وكتب رئيس تحرير إحدى الجرائد يقول : « كنت عائداً ذات مساء إلى البيت فمررت بجوار منزل صديق لي . وكنت أشاركه حزنه ، لأن ابنه كان مريضاً بالدفتيريا . فلما مررت بالمنزل رأيت صبياً شاحباً مهزولا قد وقف على الرصيف ، وعرفته لأول نظرة بأنه هو ابن صديقي أي الطفل المريض . وظننت أنه في هذيان المرض قد فر من المرضة ونزل إلى الشارع . فتقدمت وكلمته ، وكنت أوشك أن أحمله إلى البيت ، ولكني حين بسطت ذراعي إليه لم أجده . وسمعت في اليوم التالي أنه مات في الساعة التي مررت فيها بالمنزل » .

ولست قادراً على أن أثبت صحة هذه الروايات ، ولكني أعرف بعض الذين رووها ولي ثقة تامة بهم . أما عن الآخرين فإني أقول : إن ما ذكروه عليه مسحة الصدق . فهل من المعقول أن نسمي هذه الحوادث كاذبة ، لأننا نعجز عن إقامة البرهان على صحتها بمقاييسنا المألوفة ؟

✲ ✲ ✲ ✲

● إن القدرة على الإصغاء بالعينين ، والظهور في مظهر التتبع والافتتان ، وأبواب الأذن مقفلة ، والعقل سارح ، صفة خاصة من صفات الإناث . وقد منح الله المرأة هذه الصفة لكي تتمكن من الإبقاء على زواجها برجل واحد سنين كثيرة ، والاحتفاظ في الوقت نفسه بقدرتها على الابتسام .

(فرانك كايس)

الأرصاد الجوية سلاح حربي

مارك ون و. تيشابطار

معرفة الأحوال الجوية هى اليوم سلاح من أسلحة الحرب كالطائرة والدبابة، وحتى جميع الآلات الحربية الحديثة لا يمكن الانتفاع بها على الوجه الأكمل إلا باستقراء الأحوال الجوية والتكهن بها على أساس علمى .

ذلك أن فى وسع العلماء اليوم أن يتنبأوا بما سيكون عليه الجو بعد يوم أو يومين أو أكثر فى كل ميدان من ميادين الحرب. فيعلمون مثلا أن المطر سينزل يوم الثلاثاء فى جزيرة مدغشقر، وأن الرياح الموسمية سوف تبدأ شدتها تخف فى بورما يوم الأربعاء، وأن الجو سيكون صحواً حول مورمانسك يوم الخميس، وأن القوات الأمريكية فى أيسلنده تكون على صواب إذا توقعت ضباباً كثيفاً وسحباً منخفضة فى نهاية الأسبوع . فإذا أرسلت هذه التنبؤات الجوية إلى إدارة العمليات الحربية فى كل جبهة من جبهات الحرب، فقد يكون لها شأن عظيم فى تقرير الخطة الحربية .

وقد استغل الألمان هذا السلاح طوال مدة الحرب . ويرجع إليه الفضل فى تهريب البارجتين « شارنهورست » و« جنيزناو » من بحر المانش، بالرغم من قوة السلاح الجوى البريطانى الذى يعتمد على قواعد قريبة فى الساحل . وقد أدهش العالم يومئذ هذا العمل البارع، مع أنه ليس فيه ما يثير الدهشة . فقد دبر الألمان خطة هذا التهريب قبل ذلك بأسابيع او أشهر، لتتم كما وقعت تماماً . وبمعرفة الطريقة الفنية للتنبؤات الجوية، نستطيع أن نعيد ترتيب حوادث هذه القصة كما وقعت .

فإن الأميرال ريدر النازى رئيس العمليات الحربية البحرية طلب من خبير الأرصاد الجوية، الذى يعمل تحت إمرته، أن يعين له يوماً يكون فيه الجو على الوجه الذى يطلبه . فقال له : « أريد ستاراً من سحابة تظلل البحر، وتتعذر تحتها الرؤية، وأن تكون من البرودة بحيث تتعرض معها طائرات العدو لتجمد الماء عليها، ويجب أن تساير هذه الحالة الجوية حركة السفينتين

فى مرورها بالمانش . فأخبرنى متى تتوفر هذه الأحوال الجوية ؟ »

وإليك تفصيل الطريقة التى نفذ بها — على الأرجح — خبير الأرصاد الجوية أوامر الأميرال : أخذ هو ومساعدوه يراجعون سجل الخرائط الجوية مدى السنوات الخمس الماضية على الأقل ، فوجدوا أن الحالة الجوية المطلوبة لا تتوفر إلا خلال حركة نوع معين من الضغط الجوى ، محتمل حدوثه على الأكثر فى شهر فبراير . و جد أن الزوبعة المطلوبة قد هبت على بحر المانش ، حول منتصف ذلك الشهر ، فى كل سنة من السنوات الخمس الماضية ، فينتظر أن يحدث ذلك مرة أخرى إذا صدقت الدورة الجوية . ولكن كان لديهم ضابط آخر قريب المدى ، فإن خبراء الأرصاد الألمانيين ، برجوعهم إلى المعلومات الدورية عن الجو ، أمكنهم ، فى اليوم التاسع من فبراير ، أن يعرفوا أن زوبعة كانت تتحرك فى شمال المحيط الأطلسى ، وستصل إلى المانش بعد ذلك التاريخ بيومين ونصف يوم .

ففى ليلة ١١ فبراير غادرت البارجتان ميناء «برست» ، واجتازتا المانش فى اليوم التالى . وقد وصفت برقيات الأنباء كيف كانت الأمطار والثلوج تتساقط شديدة كثيفة ، وكانت البرودة قارسة حتى إنها عاقت طائرات الطربيد وقاذفات القنابل البريطانية عن الوصول إلى أهدافها .

وقد كان التنبؤ بالأحوال الجوية إلى بضع سنوات مضت يتم بمراجعة الخرائط الدورية للأرصاد الجوية ، مما جعل من الممكن أن تقدر الأحوال الجوية قبل وقوعها بأربع وعشرين ساعة أو ست وثلاثين ساعة على الأكثر . أما اليوم فيمكن التنبؤ بالأحوال الجوية قبل وقوعها بمدة طويلة ، وذلك بمعرفة حركات موجات الهواء الكبيرة التى تمر على سطح الكرة الأرضية ، قطبية واستوائية ، وبمعرفة حركة موجة الهواء فى الطبقات العليا من الجو وهى تتحرك سنة بعد سنة بنظام معين . ويمكن معرفة ما يشذ عنها بشىء كثير من الدقة .

وقد ارتقى هذا الفن إلى درجة تسمح للعسكريين بأن يستعملوا معرفة الأحوال الجوية سلاحاً فعالا فى الدفاع والهجوم . وقد استخدمها الألمان من بداية الحرب ، وكان العالم يدهش من حظهم فى غزوهم لبولنده ، حيث استمر الجو صافياً لا مطر فيه أياماً عديدة متوالية ، على حين أنه كان من المتوقع أن تعرقل حركاتهم الأمطار والطرق الموحلة . إلا أن خبراء الأرصاد الجوية من النازيين كانوا قد تنبأوا بأنه

يمكن القيام بالهجوم خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ بغير عائق من الأمطار الغزيرة .

ولما غزا الألمان النرويج استعانوا بستار من السحب المظللة فى أوائل شهر أبريل . وفى أواخر ذلك الشهر صفا الجو صفاء غريباً ، فتمكنوا من إبعاد الأسطول البريطانى عن سواحل البلاد . وقد كانوا على ثقة من صفاء الجو فى الوقت الذى حددوه لغزو بلاد اليونان وجزيرة كريت .

ولكن ماذا كان من أمر الحملة الروسية التى بدأت فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤٢ ، وصادفت أسوأ شتاء فى المائة سنة الأخيرة ؟

لقد ألقى هتلر يومئذ تبعة إخفاقه على الأحوال الجوية ، ولكن قد يجيب خبراء الأرصاد الجوية الفنيون أن فشل الألمان كان فشلا عسكرياً ، فقد قدرت المقاومة الروسية بأقل من حقيقتها ، فعجز الألمان عن التغلب عليها ، مع صفاء الجو وجفافه، كما سبق التنبؤ به تنبؤاً صحيحاً لفصل الخريف .

والمعتقد أن اليابانيين يستخدمون طريقة التنبؤ بالأحوال الجوية تنبؤاً بعيد المدى ، وأنها قد تضع بعض الصعاب فى سبيل حماة ساحل الولايات المتحدة على المحيط الهادى . وعلى وجه الإجمال ، تنتقل حركة الأحوال الجوية من وسط المحيط الهادى شرقاً مارة بالقارة الأمريكية . فقد يستعين اليابانيون بهذه ، الحقيقة ويقومون بغارة مفاجئة مستترين بزوبعة من الزوابع . ومن جهة أخرى ، نعتقد أن أمريكا سوف تجنى ثمرات عظيمة ، إذا هى وضعت خطة هجومية للقيام بغارات جوية على اليابان ، وأنشأ جيش الولايات المتحدة قواعد فى ذلك الجزء من سيبريا — الذى يمتد إلى بحر اليابان ، والذى تقوم على طرفه الأقصى مدينة فلاديفستك — وأنشأ أيضاً قواعد وفى الولايات الصينية البحرية .

ويشتغل اليوم خبراء الأرصاد الجوية فى الجيش بمثل هذه المسائل المتصلة بالخطط الحربية . ومن المحتمل أن ينشأ مكتب مركزى للأنباء الجوية للحلفاء، للقيام بجميع التنبؤات الجوية اللازمة لعمليات الجيش .

ومن أشد القواد تحمساً لفن الأرصاد الجوية الحديثة الجنرال « أرنولد » ، القائد العام للقوات الجوية الأمريكية . ومن خبراء الأرصاد الجوية الأمريكيين الماجور « أرفنج كريك » وهو الذى كان قد أنشأ منذ بضع سنوات مكتباً للأرصاد الجوية البعيدة المدى، يدر عليه مكاسب كبيرة . وكان يلقى دروساً فى هذا الفن فى معهد كاليفورنيا الفنى ، وفيه تخرج الكثيرون من خبراء الأرصاد الجوية البعيدة المدى .

وقد كان اهتمام كريك بالدراسات الجوية

مما دفعه إلى أن يسجل اسمه فى معهد كاليفورنيا الفنى فيما بعد سنة ١٩٣٠ . وكان الأستاذ « جوتنبرج » أحد أساتذته وهو الذى كان خبير الأرصاد الجوية لهيئة أركان حرب الجيش الألمانى فى الحرب العظمى الماضية . وقد علم جوتنبرج تلميذه طريقة التنبؤ بالأحوال الجوية لمدد طويلة . وفى سنة ١٩٣٤ ذهب كريك، وعمره يومئذ ٢٨ سنة، إلى النرويج وألمانيا على نفقة مؤسسة روكفلر . وكان فن الأرصاد الجوية البعيدة المدى فى هاتين الدولتين قد فاق ما يقابله فى كل بلد آخر . وكانت المذكرات التى عاد بها « كريك » إلى بلاده ، والمعلومات التى حصل عليها قبل سفره ، أساساً لمنهج « كريك » فى التنبؤ بالأرصاد الجوية ؛ كما أنها أصبحت أساساً للعمل فى « مكتب كريك الجوى الصناعى » .

وقد استعانت معظم شركات السينما الأمريكية بخدمات كريك ، إذ اتضح أن المعلومات التى يقدمها بشأن الأحوال الجوية عن أى يوم تصدق بنسبة ٩٧ ٪ . وقد كانت تقاريره عن الأحوال الجوية ، خلال خمسة أيام أو ستة قادمة ، ترسل إلى استوديوهات السينما لكى تعدّ — بناء على هذه التقارير — ما تحتاج إليه من زيادة فى العمال والأدوات ، للعمل فى الخارج .

وقد وفرت خدمات كريك لصناعة السينما فى أمريكا ما يقدّر بستة ملايين من الدولارات فى السنة .

وتدفع شركات الخدمات العامة ، (النور والمياه والغاز) ، لمكتب كريك أجوراً سنوية ، فهو يتنبأ لها متى تصيب الصواعق أسلاكها الكهربائية ، وأين يكسرها تجمع الجليد عليها . وتدفع له بعض الشركات المائية الكهربائية ثمرة المعلومات التى يقدمها إليها عن موعد نزول الأمطار ، وامتلاء الخزانات ، وعن النسبة المتوقعة بين القوة المولدة من البخار وبين القوة المولدة من الماء . وتكفل هذه التنبؤات اقتصاداً كبيراً فى نفقات هذه الشركات . وفى الشتاء تقدر شركات الوقود ما تحتاج لتخزينه من الوقود ، وما تنقله على السفن ، على أساس المعلومات التى يبرق بها « كريك » .

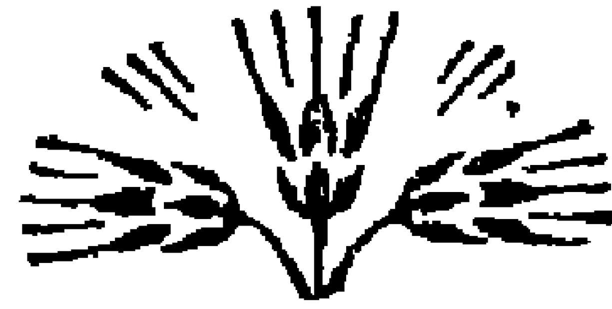
وبين عملاء « كريك » أكبر تجار القطن وكبار سماسرة الحبوب فى أمريكا ، فيصل إلى أحد هؤلاء السماسرة تقارير خاصة مسهبة دورية مدة موسم الزراعة ، فإن نزول البرد أو هبوب الرياح ، قد يسبب لهم خسارة تبلغ ملايين من الدولارات فى مدى ساعة أو ساعتين .

وقد قال مدير إحدى الشركات أنها كسبت مرة ثلثمائة ألف دولار فى صفقة

من الحبوب ، بفضل تقارير الأرصاد الجوية لمكتب كريك . وقد ربح أحد الفلاحين الأمريكيين ، بوادٍ لا تستقر فيه الأحوال الجوية على حال ، تسعين ألف دولار في إحدى السنوات باعتماده على هذه التقارير ، بينما خسر جيرانه خسارة كبيرة .

وتعتمد إحدى شركات السكر على تقارير « كريك » في أعمالها الزراعية . وكذلك تفعل بعض شركات الأناناس الكبيرة .

ويشتغل « كريك » الآن خبيراً جوياً عسكرياً طول مدة الحرب ، وضع خبرته ووقته ومجموع تقاريره تحت أمر القوات الجوية الأمريكية . وقد أصبح في الإمكان اليوم أن يتنبأ مكتب الأرصاد الجوية المركزي بواشنطون بالأحوال الجوية قبل حدوثها بأسبوع فيعرف : أهي مواتية أو غير مواتية للقوات الأمريكية ؟



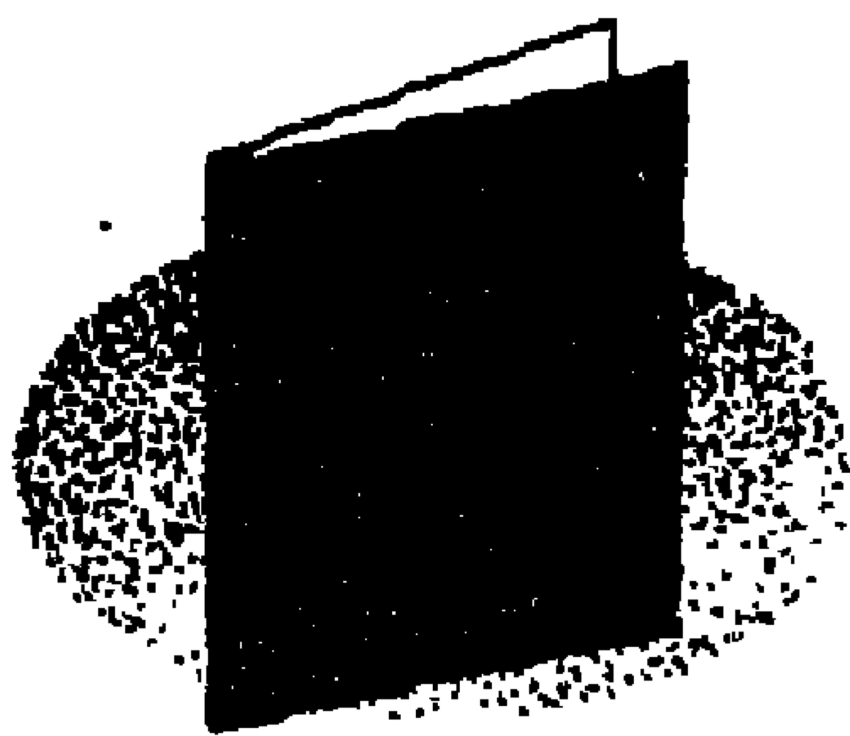
يجب أنه يحب

كان الدكتور لوثر إميت هولت طبيباً مختصاً في أمراض الأطفال ، ويصف وصفة لا تتغير لكل طفل ضعيف لا يزداد وزنه ازدياداً طبيعياً مطرداً . فكان إذا شاهد طفلا من هذا القبيل يكتب في لوحة التعليمات الموجهة إلى الممرضات العبارة التالية : —

« هذا الطفل يجب أن يُحب مرة كل ثلاث ساعات » . (جوزفين كنيون)

المارشال فوش يسأل

كان للمارشال فوش ، في الحرب العالمية الأولى ، سائق سيارة يدعى بيير . وكان زملاء بيير يحاصرونه كلما شاهدوه ويسألونه : « متى تنتهي الحرب يا بيير ؟ إنك تعلم حتما » . وأراد بيير أن يرضي زملاءه فقال لهم يوماً : « حينما أسمع شيئاً من المارشال أطلعكم عليه » . وجاءهم في أحد الأيام وقال : « إن المارشال تكلم اليوم » . فقالوا : « وماذا قال ؟ » فأجاب : « إنه قال لي ، وأنت يا بيير ماذا ترى ؟ متى تنتهي هذه الحرب ؟ » . (ليون فوختفانجر)



مأدبة عشاء

خلاصة فصل للسيدة مونا جاردنر

نشر فى مجلة « ساتردى رفيو » الأدبية

سمعت هذه القصة فى الهند على أنها حقيقية ، مع أن أى عالم من علماء التاريخ الطبيعى يعلم أنها لا يمكن أن تكون كذلك ، ثم علمت بعدئذ أن إحدى المجلات نشرتها قبل الحرب العظمى الماضية . ولم أستطع أن أستقصى أصل هذه القصة أو أعرف مؤلفها .

جرت حوادث القصة فى الهند ، وخلاصتها أن أحد كبار الموظفين وزوجته أقاما مأدبة عشاء ، ودعيا إليها لفيفاً من أصدقائهما . وكان بينهم ضباط وموظفون وزوجاتهم وأحد العلماء الأمريكيين . وكانت غرفة الطعام فسيحة ، وأرضها من الرخام ، وأبوابها الزجاجية تفتح على شرفة (فراندة).

واحتدمت المناقشة بين فتاة من المدعوات وضابط برتبة كولونيل . فقالت الفتاة : إن العصر الذى كانت المرأة تفرّ فيه مذعورة إذا رأت فأراً قد انقضى . وأنكر الكولونيل ذلك قائلا : إن أول ماتفعله المرأة عندما تجد نفسها فى موقف حرج ، هو أنْ تصرخ . ومع أن الرجل فى مثل هذه الحالة قد يشعر بما يدفعه إلى الصراخ ، إلا أنه يضبط أعصابه أكثر من المرأة بقوة قد تزيد مثقالا واحداً فقط على قوتها .

أما العالم الأمريكى فلم يكترث لتلك المناقشة بل ظل يراقب المدعوين فى صمت . وحانت منه التفاتة فرأى ربة الدار وقد امتقع وجهها وشخصت ببصرها إلى جهة معينة ، وقد تقلصت عضلات وجهها قليلا . ثم رآها تشير إشارة خفيفة إلى أحد الندل ، وكان واقفاً وراءها ، وتهمس فى أذنه شيئاً . فانفتحت عيناه واتسعت حدقتاه ، ثم أسرع وخرج من الغرفة .

ولم يلاحظ ذلك أحد من المدعوين سوى العالم الأمريكى . فظل يتبع الخادم ببصره ورآه يضع على الشرفة طاساً مملوءا لبناً حليباً .

وما كاد الأمريكى يرى ذلك حتى هجس به خاطر . فقد كان يعلم أن وضع طاس مملوء لبناً حليباً فى ذلك المكان يعنى شيئاً واحداً ، وهو وجود أفعى من نوع الكوبرا

هنالك . فأخذ ينظر إلى عوارض السقف المنفرجة لعله يجد الأفعى فلم يجد شيئاً . وكانت ثلاث من زوايا الغرفة فارغة ، وفى الزاوية الرابعة ندل المنزل يستعدون لتقديم الصنف التالى من الطعام . فلم يبق إذن إلا موضع واحد يمكن أن تكون الأفعى فيه ، أى تحت المائدة .

وكانت أول فكرة خطرت بباله أن ينبه الحاضرين إلى الخطر المحدق . ولكنه خشى أن يحدث اضطراباً يهيج الأفعى . فأخذ يتكلم بسرعة مسترعياً انتباه الضيوف وقال :

« أود أن أعلم إلى أى حد يستطيع كل واحد منكم ضبط أعصابه . فسأعد ثلاثمائة على ألاّ يحرك أحدكم ساكناً . وكل من يتحرك يدفع خمسين روبية غرامة . هل توافقون على ذلك ؟ »

فثبت الجميع ، وعددهم عشرون ، فى أماكنهم لايتحركون كأنهم تماثيل حجرية ، وأخذ يعد حتى وصل إلى العدد « ٢٨٠ » ، وإذ ذاك رأى الأفعى تنساب خارجة إلى حيث طاس الحليب . وماكاد القوم يرونها حتى صرخوا مذعورين إلا أن نافذة الشرفة أوصدت بسرعة إيصاداً محكما .

وقال رب الدار : « لقد صدقت ياجناب الكولونيل ، إن رجلا أثبت لنا أن الرجل يتحكم فى أعصابه تحكما تاماً » .

ولكن الأمريكى ألتفت إلى ربة الدار وقال لها : « وكيف علمت ياسيدتى بوجود الأفعى فى هذه الغرفة ؟ »

فقالت وهى تبتسم : « لأنها انسابت أمام قدمىّ ! »



عندما كان إرل بركنهيد محامياً ناشئاً ، اعترض فى المحكمة فى أحد الأيام على ما يبدو من عطف القاضى على خصمه . فعنف القاضى المحامى الشاب ، واتصل تبادل الكلام اللاذع بينهما . فلما ضاق القاضى ذرعاً بالمحامى قال : أيها الشاب ، إنك شديد التطاول . فردّ بركنهيد : حقيقة الأمر أننا كلينا متطاول . أما أنا فأحاول أن أتطاول ، وأما أنت ، فبطبعك .

ونستن تشرشل فى (معاصرون عظماء)

عندما تهشمت الطائرة

انطوان دى سانت اكزوپيرى

ملخصة من مجلة أتلانتيك الشهرية

(كاتب هذه المقالة طيار فرنسى ممتاز ، وقد قام برحلة جوية تجريبية من باريس إلى الهند الصينية ، فحطت الطائرة به هو والميكانيكى فى صحراء لوبية ، فقضيا يوماً يجوبان التيه الملتهب ، ثم عادا إلى الطائرة التى نفذت مؤونتها ، حيث يبدو أنه قضى عليهما أن يهلكا بين ما لا نهاية له من الحر والسراب) .

فى ذلك اليوم الأول قطعنا ٣٦ ميلا من أرض فضاء تخطف الأبصار ، وقد أجهدنا العطش ، فلما أقبل علينا الليل كنا قد استنفدنا آخر قطرة من الماء . فجمعنا قطعاً من جناح مكسور ، وأوقدناها ناراً لتدل علينا ، ولكنى كنت على يقين من أن أحداً لن يراها .

وفى صباح اليوم التالى مسحنا ما على جناحى الطائرة من الندى بقطعة من قطن ، ثم اعتصرنا منها قليلا من ماء ملوث بالدهن . كان كريه الطعم ، ولكنه بلّ شفاهنا .

قال بريفو : « من حسن الحظ أن معنا مسدساً ! » . فالتفت إليه فى ثورة من الغضب ، ولكنه كان قد نطق بكلماته هادئاً غير مكترث ، كأنه يقول : « يحسن بنا أن نستحم » ! ! ولكن لا ريب فى أنى وإياه قد تلاقينا فى هذا الخاطر ، فإن رؤيتى لقراب المسدس أمس ، قد حملتنى أنا أيضاً على التفكير .

ومع ذلك ، فحين أقبل النهار عدنا نجوب الأرض ، وقد سلك كل منا فى اتجاه يضادّ اتجاه صاحبه .

وبينما كنت أسير ، جعلت أحشد كل ما استطعت أن أذكره عن صحراء لوبية . ففى الصحراء الكبرى تبلغ رطوبة الجو ٤٠ ٪ ، أما هنا فتهبط إلى ١٨ ٪ ،

فتتصاعد الحياة نفسها مع الأبخرة . يقول البدو وضباط المستعمرات : إنه من الممكن أن يبقى الرجل حياً ١٩ ساعة لم يذق فيها ماء ، فإذا برق بصره وتلألأ الضوء بين عينيه — فى الساعة العشرين — فقد دنا أجله . أما نحن ، فلا شك أننا ندين ببقائنا لريح الشمال الندية التى يندر هبوبها فى هذه المنطقة ، ولكن ما قدر المهلة التى تكون لنا قبل أن تبرق أبصارنا وتلتمع الأضواء .

وعلى فجأة صرخت صرخة عنيفة . لقد لمحت رجلا يلوح لى ! كلا ، كلا ! سراب آخر ! والآن أرى الصحراء كلها مقبلة على الحياة . كم يصعب على المرء أن ينكر دليلا يقدمه البصر ، فيمنع نفسه من الجرى نحو القافلة التى تتحرك أمام عينيه ! ! جعلت أهمهم : « إنها هناك ، عريضة ممتدة كالحياة ! » . هذا سراب يومىء إلى بعد سراب ، كله من خلق خيالى ! .

وجاء شفق المغرب فردّ على صوابى . وقفت مكانى ، وأخذنى الرعب حين عرفت بعد ما بينى وبين منزلنا الذى نزلناه . قلت لنفسى : « ليس بعيداً أن يكون بريفو قد وقع على قافلة » .

وبعد أن طفت ساعتين ، رأيت لهباً ساطعاً على الأفق . إنه بريفو ، قد ارتاع حين ظن أنى قد ضللت طريقى ، فأشعل ناراً . ساعات أخرى أسيرها ! ٥٠٠ ياردة سأمشيها ، ثم بقيت خمسون ياردة .

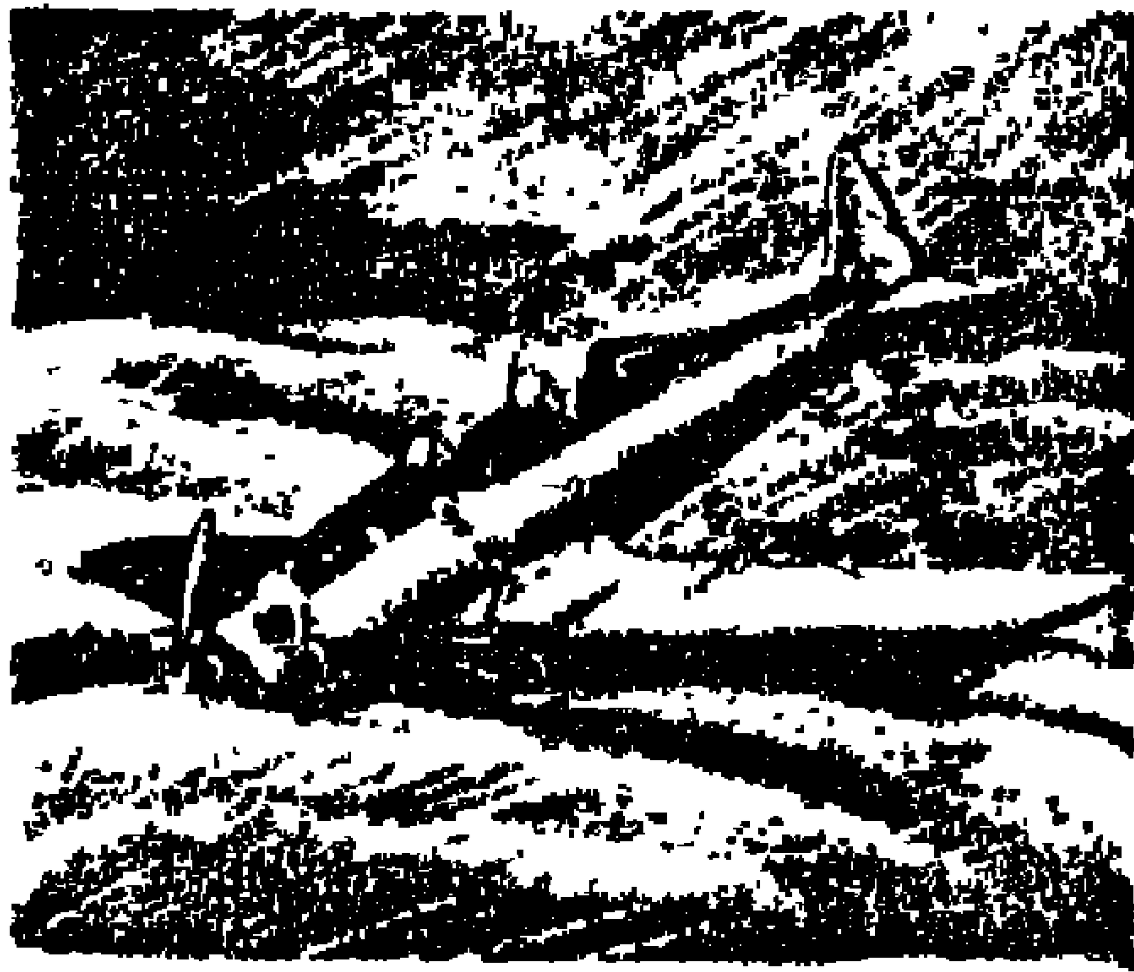
وقفت فى ذهول شامل ، وجاش موج من الفرح فى قلبى . إنه بريفو ! رأيته فى ضوء النار يحادث رجلين من البدو . ناديته متهللا : « هوه ، هوه » . أجفل البدويان ، وحدّقا فى ناحيتى ، وأسرع بريفو إلى . فتحت له ذراعى ، فأمسكنى وأسندنى ... أكنت إذن أتطوّح ؟

قلت له : « وأخيراً جاءوا ! » ، قال : « من ؟ » ، قلت : « هذان البدويان ، قاتلهما الله ! اللذان كنت تحادثهما » ، ولكن يظهر أنه لم تعد لى قدرة على حبس دموعى .

بقينا ٢٤ ساعة وليس لدينا ما نشربه إلا ملء ملعقة من قطرات الندى ، فنشرنا مظلة واقية لعلنا نظفر بقطرات أخرى من الندى . وحين اعتصرنا المظلة عند الفجر فى صفيحة ، وجدنا أننا قد جمعنا قدراً لا بأس به من الندى . وإذن فقد انتهى ما نعانيه من حدة العطش ، ونستطيع الآن أن نشرب حتى نرتوى .

كان هذا الماء أبيض أخضر لامعاً ، فلما جرعت الجرعة الأولى وجدته من شدة لذعه ، بحيث لم أستطع — مع ما أنا فيه من العطش — أن أسيغ شيئاً منه .

أما بريڤو فقد جعل يدور ويدور وعيناه إلى الأرض ، ثم انحنى فجأة وجعل يقذف ما فى جوفه . وما هى إلا ثلاثون ثانية حتى تبعته على الأثر ، وكذلك انمحى أملنا الشاحب الأخير . (لم أستطع أن أعرف هل يرجع ما أصابنا من سوء الحظ إلى دهان المظلة ، أو إلى بعض الرواسب الكيميائية فى الصفيحة)



لقد آن أوان السير . يجب علينا أن نولى عن هذا المكان اللعون ، وأن نتخلى عن الطائرة ، وأن نضرب فى الصحراء حتى نهلك . وقال بريڤو : « إذا تركت وشأنى ، فلا أفعل أكثر من أن أضطجع ، ثم أنام » .

ولكننا سرنا جنباً إلى جنب متجهين شرقاً إلى الشمال الشرقى ، ولا ندرى أتقربنا كل خطوة نخطوها من طريق القوافل ، أم تغوص بنا فى أعماق الصحراء التى لا قرار لها ؟

وكل ما أتذكره عن ذلك اليوم هو الأثر الباقى فى نفسى من السرعة القاتلة التى كانت تهوى بى إلى القرار المحتوم . جعلت أطيل النظر إلى الأرض ، وكان السراب كثيراً حتى أكاد لا أحتمله . وبين الفترة والفترة كنا نعدّل طريق سيرنا على اتجاه البوصلة ، ومن وقت لآخر كنا ننام على الأرض لنجد شيئاً من الراحة .

ولما جنّ الليل ابتدرنى بريڤو وهو يقول : « الماء هناك لا شك ! سأجازف بحياتى فى الوصول إليه . من المحال أن يموج سراب فى مثل هذه الساعة » .

لم أجب ، لم أعد أصدق عينى . ولكن بريڤو مضى يقول : « سأمضى لأرى ، إنها مسيرة عشرين دقيقة » .

لقد علمت أن بريڤو لن يعود إلىّ أبداً ، إنه سيسقط هناك ليقع ميتاً على مواطىء قدميه ... كما سأقع أنا هنا ميتاً على مواطىء قدمى . ليكن ما يكون ، أى فرق بين هذا وذاك ؟

جعلت أتساءل فى حيرتى : « إلى أين انتهيت ؟ » . حاولت أن أدفع ببعض الريق إلى سقف حنكى ، ولكن أعيانى أن يأتى من هذا الريق شىء . وحين أغلقت فمى

نشأت على شفتي مادة كالغراء، فغطتهما بطبقة جامدة ألصقت إحداها بالأخرى. حسن .. مازلت ــ على كل حال ــ استطيع أن أبتلع، لم يبرق بعد لعيني وميض الأضواء الخاطف.

وجاء الليل فاتجهت أفكارى إلى بريڤو، إلى رفيق التائه . يا له من صاحب ! لم أسمعه مرة واحدة يبكى.

ما هذا ؟ إنه هو هناك — على بعد ٥٠٠ ياردة — يلوّح بمصباحه . لقد ضل طريقه لا شك . وقفت على قدمى وجعلت أهتف به . لا إخاله قد سمع . ثم لمع مصباح آخر على بعد ٢٠٠ ياردة من مصباحه ، ثم أومض ثالث . «هكذا إذن .. هم جماعة يبحثون ! ».

واستمرت المصابيح الثلاثة تلوّح . جعلت أهمهم : « لا ريب ! إننى سليم ، لا بأس بى ولا ببصرى » . ثم عصف بى الرعب حين رأيتهم يعودون على أدراجهم . « انتظروا إنى آت ! ! » .

وأخيراً . . . أجاب الصوت ! انقطعت أنفاسى ، ولكنى ظللت أعدو إلى الصوت . لقد كان هو « بريڤو » . عثرت بالأرض ثم سقطت .

— « حين رأيت كل تلك الأضــواء لم أستطع . . . » .

— « أى أضواء ! ! » .

فنظرت فرأيت . . . لقد كان وحده . والآن لم أعد أشعر باليأس ، بل بإحساس يتلهب من الغيظ .

وأخيراً قال بريڤو : « نعم ، إننا فى طريق شنيع ملعون »

وأخذ الليل ينقلب بارداً، وجعلت أسنانى تصطك ، وأطرافى تضرب على وترتجف ، وخدرت جسمى نفحة برد قارس فاسترخت أعضائى . حفرت لنفسى خندقاً واضطجعت فيه، وغطيت جسمى كله بالرمل إلا وجهى. أما بريڤو فقد أبى أن يدفن نفسه، لأنه حسب أن أفضل الحالين أن يستمر فى الحركة . لقد أخطأ بريڤو ، فإن البرد لم يزعجنى بعد ذلك بل سكن جسمى ونام .

طلع الفجر فإذا أنا أحسن حالا ، وقلت لصاحبى : « لننطلق الآن يابريڤو ، إننا لا نزال أحياء ، فخير لنا أن نستمر نتحرك ما استطعنا أن نفعل » .

لم ينزل ندى فى تلك الليلة بل باتت تهبّ ريح غربية ، تلك الريح التى يتجمد فيها جسم الإنسان فى مدى ١٩ ساعة . وجدت لسانى كأنه قطعة من الحجر ، ووجدت طعماً كريهاً فى فمى ، وجعلت تتراقص أمام عينى ذرات من الضوء . كان معنا قليل من الأثير النقى ، فحاولت أن أمتص شيئاً منه ، فشعرت كأنى أبتلع موسى حلاقة ، فارتشفت

شيئاً من الكحول ، ولكنه سد حلق .

غلبنا اليأس ، فانطلقنا مسرعين ننتهز هذه الساعات المبكرة الباردة قبل شدة الحر ، فقد كنا نعلم علم اليقين أنه متى ارتفعت الشمس والتهب الجو وتوقدت الرمال ، فقد وجب علينا أن نكف عن السير .

لم نكن نستطيع أن نمشى أكثر من ٥٠٠ ياردة ، حتى نستلقى على الأرض قليلا ، ولكن كان يعرض لنا دائماً ما يستحثنا على السير . وبعد قليل تبدل المنظر الذى أمامنا ، إذ رأينا على بعد ميل أو نحو ذلك خطاً ممتداً من الكثبان ، تبدو عليه الشجيرات الصغيرة كأنها نقط . ولكننا صرنا الآن لا نسير ٢٠٠ ياردة حتى نتساقط من الإعياء .



همست إلى صاحبى : « لنستمر حتى نبلغ هذه الشجيرات » . ولكنا كنا قد بلغنا فى إعيائنا الغاية القصوى ، وكنت على يقين من أن رجلىّ لن تحملانى إلى أبعد من ذلك .

فكرت فى نفسى : « بالأمس نفضت يدى من الأمل ، أما اليوم فالكلمة نفسها (الأمل) لا معنى لها . نحن نسير الآن بلا إرادة ، كالثور فى المحراث . وبالأمس كنت أحلم بجنة من أشجار البرتقال ، أما اليوم فأنا لا أومن بالبرتقال . . . » .

وفجأة . . . ماذا رأيت ؟ حدقت فى بريڤو ، خيل إلى أنه يشاركنى ذهولى ، وأنه أيضاً غير قادر على أن يعرف حقيقة ما يخالجه من شعور . لقد رأيت آثار أقدام على الرمل ! ! وبغتة سمعت ديكا يصيح ، قلت لنفسى : « وأذناى أيضاً تعبثان بى الآن ! » .

امسك « بريڤو » بذراعى وقال : « أتسمع هذا ؟ » ، قلت : « ما هو » ، قال «هو ديك»! وإذن ، فلا جدال الآن ، لقد نجونا ! .

ولاح لنا فجأة بدوى على ظهر كثيب بعيد ، فناديناه حتى كلت حناجرنا ، ولكن أصواتنا لم تتجاوز ٥٠ ياردة . وتحرك البدوىّ فى بطء حتى غاب عن أبصارنا ، ولم يكن قد بقى لنا من القوة ما يعيننا على الجرى وراءه . ثم لاح بدوىّ آخر على الكثيب ، هتفنا به ، ولكن أصواتنا عجزت

مرة ثانية عن إسماعه. لوّحنا له بأذرعتنا، ولكنه ظل مصراً على النظر إلى ناحية أخرى. وأخيراً دار على عقبيه فى بطء معذّب!! إنه كان يقطع هذه الرمال متجهاً إلينا!!

لم يزد على أن حدّق فينا، ثم وضع يديه على كتفينا وضغط عليهما ليقعدنا على الرمل، وفى تلك اللحظة صارت فوارق الجنس واختلاف اللغة أشياء لا قيمة لها، وإنما القيمة كلها لهذا البدوى الفقير واضعاً، يديه الطاهرتين على كتفينا.

لبثنا قليلا، فعاد الرجل إلينا يحمل إناءً فيه ماء. فنمنا على بطوننا، وغمسنا أفواهنا فى الإناء كما تغمس البهيمة فمها فى الحوض. وقد بلغ منا السير مبلغاً لم نستطع معه أن نقف على أرجلنا. (حين عدنا على أدراجنا بعد أسبوع وجدنا أن كل ما قطعنا فى مسيرنا هو ١٢٠ ميلا).

وحمل إلينا البدوىّ — بأحسن ما استطاع من التعبير — نبأ وجود بعض الأوربيين فى جوارهم. فركبنا جملا وانطلقنا لنلحق بهم. وبعد ثلاث ساعات ونحن نقاسى رجة الجمل العنيفة، رجونا منقذينا أن أن يتركونا فى أحد أحياء البدو، وينطلقوا هم ليأتونا بالنجدة. وفى نحو الساعة السادسة مساء جاءت سيارة يحرسها بدو مسلحون، فالتقطونا وأركبونا السيارة. وفى منتصف الليل كنت على سريرٍ فى القاهرة ...

واستيقظت فوجدت نفسى بين ملاءات بيض، ورأيت الشمس — التى لم تعد عدواً لى — تنسلّ إلى من بين الستائر. أخذت رغيفاً فدهنته بالزبد، وأفرغت عليه عسلا، فعادت إلى معه أمانى طفولتى فى أن أعيش بأرض العجائب التى لا تنتهى. وزاغت عيناى فوقعتا على البرقية الموضوعة على اللحاف، فيها ثلاث كلمات من كلام الناس، ولكن لأنها جاءت من أحب الناس إلىّ، كانت أعجب رسالة :—

« إننا سعداء حقاً ... ».



● كل امرأة تحن على ذكر الرجل الذى أراد أن يتزوجها. أما الرجل فعلى ذكر المرأة التى أبت أن تتزوجه.

(فيولا برذرس شور)

امتحن ذكاءك

ثم امتحن ذكاء أصدقائك

ملخصة من مجلة « ذى أمريكان مجازين »

١ — إذا كانت ثلاث قطط تستغرق ثلاث دقائق فى قتل ثلاثة فيران ، فكم دقيقة تستغرق مائة قطة فى قتل مائة فأرة؟

٢ — ثمن كأس جيلاتى بالصودا ٥٥ مليما . وثمن الجيلاتى يزيد على ثمن الصودا ٥٠ مليما . فكم ثمن الجيلاتى ؟ وكم ثمن الصودا ؟

٣ — أيجوز لرجل أن يتزوج شقيقة أرملته ؟

٤ — قرد واقف فى قعر بئر عمقها ثلاثون قدماً . وفى كل يوم يقفز ثلاثة أقدام إلى أعلى ويسقط قدمين . ففى أى يوم يبلغ رأس البئر ؟

٥ — أيهما أصح ٨ زائد ٨ تعدل ١٥ أو ٨ زائد ٨ تعدلان ١٥ .

٦ — فى درج من الأدراج توجد عشرة مناديل بيض ، وعشرة مناديل سود . فإذا مددت يدك فى الظلام الدامس إلى الدرج ، فما هو أقل عدد من المناديل يجب أن تسحبه منه ، حتى يكون فى يدك منديلان من لون واحد .

٧ — عليك أن تلحق بقطار ، وأمامك دقيقتان لتقطع فيهما ميلين قبل اللحاق بالقطار . فقطعت الميل الأول بسرعة ٣٠ ميلا فى الساعة . فبأية سرعة يجب أن تقطع الميل الثانى لكى تلحق بالقطار ؟

٨ — البيض فى السلة يتضاعف كل دقيقة ، وفى نهاية ساعة كانت السلة قد امتلأت بيضاً . ففى أية دقيقة كانت السلة نصف ممتلئة ؟

٩ — كان لراع سبع عشرة نعجة. ماتت جميعها إلا ٩ نعجات. فكم بقى له منها ؟

١٠ — سفينة راسية وعلى جانبها سلم من حبال طوله ١٠ أقدام ، والمسافة بين كل درجة وأخرى من درجات السلم قدم واحدة . والدرجة الأخيرة واقعة على سطح الماء تماماً . والمد يرتفع بمعدل ست بوصات كل ساعة . فمتى يغمر الماء الدرجات الثلاث السفلى ؟ .

رجل يصافح الموت

تأليف

وليم د. بايلز

ملخصة من مجلة :
« ستردى إيفننج پوست »



فى صباح يوم من أيام السنة الماضية تضمنت نشرة البلاط البريطانى هذا البيان الموجز : « تعطف الملك تعطفاً مقروناً بالسرور ، فأنعم بوسام صليب جورج على : تشارلز هنرى جورج هوارد إرل صافوك وبركشير (المتوفى) ، لبسالته الباهرة فى التخلص من القنابل » .

كان « جاك الطائش » ، إرل صافوك العشرين ، وإرل بركشير الثالث عشر . وكان رجلا غريب الأطوار ، فكأنه بقية من أيام القرصنة فى القرن السابع عشر ، قذف به الزمان إلى القرن العشرين . وكان على خلقه سمة من عصر الملكة إليزابث ، ولا سيما فى احتقاره العظيم للعرف المتبع ، وانحنائه الشديد عند دخوله حجرة استقبال واهتمامه بكل شىء جديد ، وقدرته على القسم بأغلظ الأيمان فى يسر يزيل ما فى ألفاظ القسم من غلظة وإسفاف .

وقد ازدرى زائر فرنسى الخردل الإنجليزى أمامه ، فكان ردّ صافوك أن أكل ما تحتوى عليه زجاجة كاملة منه دون أن تطرف له عين .

كان ظهوره على مسرح لندن الحربى ، مطبوعاً بطابع « صافوك » مفاجئاً يستوقف الأنظار ، ولكن بغير تدبير مقصود . وقد حدث ذلك فى يوم ٢١ يونيو سنة ١٩٤٠ ، وهو اليوم الذى تليت فيه الشروط الألمانية لتسليم فرنسا فى غابة كومپيين . ففى ذلك اليوم دخل ردهة وزارة التموين البريطانية حاملا حقيبتين مهشمتين . كان يعلوه القذر ، وكانت عيناه الملتهبتان من السهر غائرتين فى لحية كثيفة لم تحلق منذ أسبوعين . وكان يخيل للناظر إلى سراويله المبقعة المصنوعة من الفانلا ، ومعطفه الحربى الرث ، وقبعته السوداء العريضة ، أنه قاطع طريق كورسيكى .

وأعطى بطاقة ليملأها ، فكتب أماء

عبارة « سبب طلب المقابلة » ، لفظة « الماس » ؛ وأمام عبارة الاسم الكامل ، لفظة « صافوك » . فبادره البواب بقوله ، وكأنه يعنفه : « إن المطلوب هو اسمك لا عنوانك » . ولكن الزائر الطويل فتح معطفه وكشف عن قرابى مسدسين كبيرين .

وبعد محادثات تليفونية مستعجلة ، أدخل صافوك على وزير التموين فقال بغير مقدمة : « معى بضع ماسات ، فماذا أصنع بها ؟ » . فأراد الوزير أن يعرف من أين جاء بها ، فأشار صافوك بيده وفيها سيجارته نحو فرنسا ، وقال : « إن فى سيارة التاكسى حجارة كثيرة أخرى » . وبعد أن استرد الوزير المدهوش رباطة جأشه ، أرسلت حجارة الماس إلى البنك فى حراسة فصيلة من الحرس الأسكتلندى ، ثم وضع صافوك بعناية سيجارة فى فم أسود طويل وقال : « اذهبوا بى الآن إلى وزير البحرية ، إذ يجب تدبير مدمرة تذهب إلى الساحل الفرنسى ، لتعود بحجارة الماس أخرى أخفيتها هناك » .

وفى وزارة البحرية ماج السخط فى صدور الموظفين، فالدخول على وزير البحرية لا يكون على هذا النوال ، وبخاصة لأن وزارة البحرية كانت منهمكة حينئذ فى ترحيل الجنود من فرنسا ، ويشغلها خطر الغزو الذى كان محدقاً ببريطانيا .

وقد وقف وزير البحرية أولا موقف الذى لا يبالى بمظهر زائره الشاذ وقصته الغريبة ، وقال فى جفاء : إنه لا يستطيع أن يرسل مدمرات تبحث عن « عنقاء » ، وأظهر رغبته فى إنهاء المقابلة

ولكن صافوك بسط على مكتب الوزير خريطة كبيرة ، وقال فى رزانة : « إنكم تجدون الحجارة فى هذه البقعة . أصدر أمرك إلى سفينتك بإعطاء إشارة ضوئية عند وصولها». وكان فى خريطة صافوك من تفاصيل المواقع على الساحل الفرنسى قرب بوردو ، ما لم يكن مثلها فى خريطة أخرى من خرائط دار الأميرالية . وقبل أن يغادر صافوك مكتب الوزير كان الأمر قد صدر إلى قائد مدمرة بالسفر . ولم تنقض ثلاثة أيام حتى وصلت إلى أحد الموانىء البريطانية شحنة من أنفس شحنات الحرب ، وقد وجدت فى المكان الذى عينه صافوك يحرسها رجل واحد .

ورث صافوك ثروة ، واسماً عظيما ، وتراثاً لا يقدر بثمن . فقد كانت حياة أعيان صافوك منذ سنة ١٦٠٣ ، حافلة بألوان المغامرات والطيش . فقد كانوا قرصاناً فى مياه إسبانيا وروّادَ قارات مجهولة . وقد أمرت الملكة

إليزابث بقطع رأس والد الأرل الإول . وحمل بعض أبناء هــذه الأسرة — أسرة هوارد — تقاليــد الطيش والتهور إلى ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية والجنوبية فى أمريكا . وقد أشارت الملكة فيكتوريا إليهم بقولها : « آل هوارد المجانين » . وتزوج الإرل التاسع عشر من كريمة « لايتر » ملك القمح فى مدينة شيكاجو فى أواخر القرن المـاضى ، وعند ما توفى محارباً فى العراق سنة ١٩١٧ انتقل اللقب إلى ابنه هذا ، وكان فى الحادية والعشرين من عمره .

كان فى وسع علماء الوراثة أن يتنبأوا بأن امتزاج دم أسرة هوارد بدم أسرة « لايتر » يولد بركاناً وراثياً . وهــذا ما حدث تماماً . فقد كان الإرل العشرون فى السابعة عشرة من عمره حين انتظم باسم « جاك هوارد » بحاراً عادياً فى سفينة شراعية ، فوصل فى آخر المطاف إلى أستراليا حيث شارك رجلا آخر فى شراء مزرعة لتربية الأغنام وإدارتها . وكان الفلاحون الأستراليون الجفاة ، يصفونه بقولهم : « جاك هوارد الطائش ، ذلك الإنجليزى المجنون » .

ولـكنهم أحبّـوه لأنه كان النوع الذى يعجبون به من الرجال إلا انهم لم يهتدوا إلى حقيقته . واتفق مرة أن صحيفة لندنية بعثت بمراسل من مدينة سدنى إلى المزرعة ليكتب فصــلا عن صافوك ، فرافق صافوك نفســه المراسل الصحفى يوماً كاملا فى البحث عن « الإرل » ، وفى آخــر النهـار قال له : « أخطأت يوم مجيئك ، لأن اللورد يسكر فى أيام السبت ، ولن تستطيع العثور عليه حتى يصحو من سكره » .

بعد ستة أعوام عاد صافوك إلى إنجلترا لإدارة أملاكه التى مساحتها عشرة آلاف فدان . وفى سنة ١٩٣٤ تزوج فتاة كانت راقصة فى أحــد المسارح ، وعندئذ بدأت تتجلى ناحيــة جديدة من طباعه الشاذة ، فقــد وطن العزم على الأخذ بناصية العــلم ، فالتحق بجامعة أدنبره ، وأكب على دراسة الـكيمياء وعلم العقاقير ، كما أكب من قبل على الصــيد والمغامرة . وفى سنة ١٩٣٧ — وكان حينئذ فى الحادية والثلاثين من عمره — تخرج فى جامعة أدنبره فائزاً بمراتب الشرف فى دراسته ، وانضم إلى معمل « نفيــلد » للبحث العلمى فى أكسفورد باحثاً كيميائياً ، وكان اهتمامه منصرفاً على وجــه الخصوص إلى دراســة المتفجرات والسموم .

وأرسل فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ إلى باريس كضابط اتصال بين وزارة التموين البريطـانية ووزارة التسليح الفرنسية ،

فوثق صلة التعاون بين معامل البحث البريطانية والفرنسية توثيقاً لم يحققه جيل من التبادل الدبلوماسى الرسمى . وكانت التقارير التى بعث بها من باريس أخاذة بما تحتوى عليه من خليط عجيب من البيانات العلمية ، والأخبار السياسية والشخصية ، وعبارات السخرية والازدراء .

وفى ربيع سنة ١٩٤٠ حملت عليه جريدة موالية للفاشية ، ونصحت له بالرحيل عن فرنسا . وألح عليه البوليس الفرنسى فى تعيين حرس خاص له ، ولكنه فضل أن يبتاع أضخم مسدسين استطاع أن يجدهما ، وعلقهما بمكان ظاهر على صدره . ووجد بحاراً فرنسياً قديماً ، كان يخشى بأسه ، لأن وجهه شرس كوجه الغوريلا ، ولأنه مشهور بطعن المدى ، فعينه حرساً خاصاً له ، وكانا يغدوان ويروحان معاً على نمط يستوقف الأنظار . وكان البحار يتقدم صاحبه فى الشارع أو إلى المقهى ، فإذا وجد المكان مأموناً صاح : « هلم يا مسيو جاك . كل شىء على ما يرام » ، وعندئذ يظهر صافوك كأنه على مسرح .

نزلت الكارثة على باريس نزولا مفاجئاً يخطف النفس ويذهل العقل . وذهب صافوك فى صباح أحد الأيام إلى وزارة التسليح ، ليحصل على رسوم بعض الآلات ، فوجد رجالها يخلونها والفوضى تشملهم ، فرجع منها وليس معه إلا بطاقة من الوزير « دوترى » ، وقد كتب عليها كلمات يوصى بها خيراً بإرل صافوك . وعلم صافوك أن مقادير كبيرة من الماس كانت وصلت إلى باريس من أنفرس وبروكسل وأمستردام . ولما تبين أن أصحاب البنوك عازمون على ترك هذه الحجارة الكريمة فى خزائنهم ، عزم هو على أخذها إلى إنجلترا لحفظها فيها . فطاف صافوك أحياء المدينة بسيارته المكشوفة ، ولم يكن معه مستند ما غير بطاقة « دوترى » — ولكنه كان يلوح بمسدسه عند الحاجة — فجمع أكياساً من الماس .

وجمع كذلك مواصفات ونماذج لآلات خاصة وحقائق علمية نفيسة ، لو أنها وقعت فى أيدى الألمان لجنوا منها فائدة عظيمة . وجمع مقادير وافرة من المواد الكيميائية النادرة كانت قد نقلت من معامل البحث فى البلاد المحتلة . وأخيراً طوّف بكبار العلماء الفرنسيين الذين عرفهم وعمل معهم ، وأرسلهم إلى بوردو ، مؤكداً لهم أنه دبر لهم طريقة الرحيل إلى انجلترا ، مع أنه لم يكن دبر شيئاً على الإطلاق . ثم وضع ماغنمه فى مؤخرة سيارته ، واتجه إلى بوردو . وجلست سكرتيرته الإنجليزية الشقراء قريباً منه فى المقعد الأمامى ، وجثم الغوريلا وراءها

على الجواهر النفيسة ، وعيناه لا تبرحان تستطلعان وحدات الاستكشاف الألمانية أو طائرات الضرب . وكانت الطرق إلى الجنوب غاصة بالفارين اللاجئين ، وكثيراً ما كان يضطر صافوك أن يسير أمام السيارة ، ليشق لها طريقاً وهو يهول بمسدسه ، ويصيح ، بينما تسوقها سكرتيرته .

وفى القنصلية البريطانية ببوردو صرف صافوك تحويلا بألف جنيه ، ومضى يبحث عن ربان سفينة فرنسية ليغريه بالسفر إلى إنجلترا . وكان لا بد من السرعة ، لأن المريشال بتان قد ألف حكومة فرنسية جديدة ، وبدأ يخاطب النازى ، وكانت الجيوش الألمانية على أقل من مائة ميل من بوردو . وقضى ثلاثة أيام يبحث فى منطقة الأحواض ، ولكن مدخل الميناء كان ملغماً ، وأبى كل بحار فرنسى أن يفكر فى رحلة كهذه .

وفى اليوم الرابع دخلت سفينة فحم بريطانية مصب النهر جاهلة أن فرنسا قد سلمت ، فاستولى صافوك عليها حالا . وكان همُّ ربانها وبحارتها ، بعد أن علموا بما حدث ، أن يرحلوا . فوضع صافوك على ظهرها الماس والمواد الكيميائية ، وشحنة من آلات أمريكية حديثة العهد بالوصول من أمريكا ، وأخذ الباقى مما لم يمكن شحنه وخبأه فى مكان ما على الساحل ، ثم بحث عن العلماء لكى ينقلهم إلى ميناء فالموث فلندن .

ولما انتهت هذه المرحلة من حياة صافوك تطوع للبحث العلمى فى القنابل . وكان هذا البحث إلى ذلك الحين يعد ملهاة لذوى الغيرة القومية من طلاب الانتحار . ولكن صافوك رأى أن الطريقة السليمة هى : أن يغامر فريق من الخبراء بحياتهم فى سبيل الكشف عن أفضل الطرق للتخلص من القنابل التى لم تنفجر . وكانت دراسته العلمية خير معوان له فى هذا البحث ، فأعد سيارة كبيرة وجهزها بأجهزة دقيقة . واقبل ، باحتقاره المعهود للطبقات الراقية ، على جمع معاونيه من عامة لندن (الكوكنى) ، وهم أحب الناس إليه ، وقد أجاد مخاطبتهم بلهجتهم ونفذ إلى روحهم . وكان بعضهم يجهل كتابة اسمه أو يجد مشقة فى كتابته ، ولكنهم كانوا جميعاً متحلين بتلك الصفة البارزة فى خلق الملايين من عامة الإنجليز وهى : — شدة المراس

وسرعان ما أصبحت القنابل شغل صافوك الشاغل ، وكان كل نوع جديد من القنابل يقذف به فى سورة من النشاط المتوقد .

وحدث يوماً أن بدأ يداعب قنبلة

فى بهو فندق أمام قائدين ، فجمدا فى مكانهما خوفاً ، ولاحظ علامات الرعب على وجههما فطمأنهما بقوله : « لا تذعرا ! لا خطر فى هذه القنبلة إلا إذا أدير أحد هذين الجهازين، وأنا أحاول أن أعرف أيهما هو ».

وكانت طريقة صافوك فى معالجة القنابل لا تتبدل ، فهو يفحص القنبلة من جميع الجهات ، ويقرعها ، ويصغى إليها ، ويخاطبها بألفاظ تستوقف الأنظار . فإذا أتم ذلك أملى على سكرتيرته وصف خطته فى معالجتها ، فإذا فشلت ، علم من يجىء بعده ما يجب اجتنابه .

ثم كان يزيل فم سيجارته الطويل من بين شفتيه ، والآخر من جيب صدرته ، ويعطيهما إلى أقرب أعوانه إليه وهو يقول : « أمسكهما قليلا فقد ينكسران » . وكان قوله هذا إنذاراً لجماعته بالابتعاد عن القنبلة إلى مكان مأمون . ولم يكن صافوك طائشاً متهوراً برغم ما يبدو من سلوكه ، فقد كان يتخذ كل احتياط ممكن ليقى نفسه ومعاونيه . أما كيف أفلت من الموت برغم فشله فى كثير من الأحيان ، فلن يعلم . وكل ما يعلمه رجال هيئة البحث العلمى ، أنه كان يطلع عليهم ، ويقرأ عليهم ، فى سكون وثبات ، تقريره بأن قنبلة ما قد انفجرت فى أثناء تجربتها ، ولكنهم كانوا يعجزون عن حمله على أن يقول كلمة ما فى كيف نجا من تمزيق جسده إرباً إرباً .

وكذلك عجز معاونوه عن فهم رئيسهم . ففى مساء يوم من الأيام الباردة ، إذ كان يجوس مع بعضهم خلال منطقة ريفية جرداء، سألهم فجأة : « ما رأيكم يا (جدعان) فى فنجان من الشاى الساخن وقليل من الكعك ؟ » .

« حباً وكرامة » . ولكن نغمة الشك والهزء كانت تغلب على كلماتهم . فأوقف السيارة ، وأخرج مسدساً ، وأطلق منه طلقتين فى الهواء ، وإذا سيارة تبدو فجأة فوق التل ، ثم تقف ويخرج منها السائق والخادم ، ويبسطان مائدة شاى انجليزى فاخر . أما رفاقه فلم يعلموا أنه كان هنا . على بضع مئات من الأمتار عن أملاكه ، ولكنهم آمنوا به بعد ذلك بأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء . وكان صافوك يحتفل بنجاحه فى إنجاز مهمة ما بنفس الحماسة والمبالغة اللتين تتصف بهما سائر أعماله . فكان يأخذ أعوانه فى سيارة ، ويذهب بهم إلى مطعم كمبنسكى قرب ميدان بيكاديللى بلندن حيث يجد مائدة معدة له على الدوام . وما كان يحفل بموعد دخوله أو بملبسه ، وكان رواد المطعم ، من متانقى الطبقة الراقية ، يأخذهم العجب إذ يرون أولئك الرجال القذرين يندفعون إلى الداخل ، حتى يهمس هامس

هذه الكلمات السحرية : « هـذا إرل صافوك ! » .

ولا ريب فى أن صافوك كان يتوقع أن نهايته تقترب . فقد كان ينادى رئيس الخدم وهو خارج من مطعم كبنسكى ويبادره قائلا : « اسمع يافيلكس . قد يجىء إلى هذا المكان فى مساء يوم ما « إصبع صغير » أو « أذن » ، لتناول الطعام . فكن كريماً . لأنه سيكون الشىء الوحيد الذى سيبقى منى» ولا يزال « فليكس » يعد مائدة صافوك كل ليلة ، وهو يفسر عمله هذا بقوله : « إنه كمن يدخل الكنيسة ويشعل شمعة لذكرى من فارق الحياة » .

وكانت نهاية صافوك حادثة من تلك الحوادث التى كان يصفها ساخراً بقوله : « إنها فى منتهى السخافة » ، فقد انهمك هو ومعاونوه فى عملهم مدة طويلة ، فقرر استصحابهم لقضاء إجازة أسبوعين فى أملاكه ، وكان قد حولها إلى مستشفى للجنود الذين فى دور النقاهة . فأنفق هو ومعاونوه « بعد ظهر يومهم » الأخير ، فى تنظيف بعض الأجهزة . وكان احد هذه الأجهزة قنبلة مهملة ظلت فى المكان الذى سقطت فيه عدة أشهر .

وكان أحد الأشخاص قد كتب على جانبها : « المخلصة القديمة » ، فصح عزم صافوك على فكها . ولم يكن أحد يعيرها اهتماماً .

وإذا النوافذ تتهشم على بعد ربع ميل من ذلك المكان ، والأهالى فى المدينة القريبة يشعرون بهزة أرضية .

وقد قتل ثمانية من أعوان صافوك .

ولم يجد الخبراء من جسم صافوك إلا قطعة من لحمه ، فوضعت فى صندوق خشبي عرضه ست بوصات ، وطوله ست بوصات ، وارتفاعه ثمانى بوصات ، ودفن فى صحن الكنيسة القديمة القائمة فى الدار التى ورثها صافوك عن أسلافه .

وعلى هذا النحو انضم «جاك الطائش» « إرل صافوك العشرون ، إرل بركشير الثالث عشر » ، وهو فى السادسة والثلاثين من عمره إلى جوار أسرة هوارد الشهيرة .

ولكنه فى حياته ومماته أضاف إلى أوسمة الأسرة أرفع وسام تمنحه إنجلترا لأبطالها المدنيين وهو : « صليب جورج » .

* * * *

● لن تكون محدثاً مجيداً حتى تتعود أن تجيد الإصغاء (كرستوفر مورلى)

النفس التي تعايشها

ملخصة من كتاب : وينفريد رودز

النفس ليست شيئاً توهبه مع الحياة ساعة الميلاد ، وإنما هي شيء لا تزال تكونه وأنت تحيا حياتك اليومية . وهي تخبث أو تطيب ، وتعقم أو تخصب ، وتكون علة شقاء ، أو مصدر قوة ، تبعاً لما تعنى به ، وتتوجه إليه من المطالب ، وللخواطر التي تأذن لها أن تهجس في ضميرك ، وللمثل العليا التي تتعلق بها وتسعى لها ، ولما تدع نفسك تستمتع به من ألوان الشعور .

إن أعظم أعمال الحياة هو هذا التجديد الدائم لنفسك بحيث تصبح آخر الأمر وقد عرفت كيف ينبغي أن تحيا . وما زال صحيحاً في نظر علم النفس الحديث أن « عليك أن تولد من جديد » كصحته في الأقوال المقدسة المأثورة . وكل امتعاض تملى لنفسك فيه ، وحقد تمسك في قلبك ، وكل غرور تخلد إليه ، أو كل ضبط لأمر نفسك وحزم في امتلاك عنانها ، وكل جلد عظيم تروض نفسك عليه ، وكل مواجهة للحقيقة السافرة — هذا أو ذاك يهد كيان النفس أو يبنيها .

وإذا غشيتك غاشية تركتك تتساءل : « ما الفائدة ؟ » ، فارجع إلى صحائف التراجم التي أراقت علينا السنى قصص أصحاب النفوس الكبيرة الذين آلوا لتكونن للروح الكلمة العليا وليكونن الجسم أداة طيعة . واذكر قول إبكتيتوس « تذكر أن في كل وليمة ضيفين يكرمان : الجسم والروح ، وأن ما يعطاه الجسم لا يلبث أن يفقده ، أما ما تعطاه الروح فيبقى على الزمن » .

وتعد قصة إبكتيتوس من أعظم كنوز العالم وذخائره ، فقد كان عبد رق معتق ، وكان أعرج ، ولم يكن يملك شيئاً مما يجعل الحياة رغيدة ، ووسعه مع ذلك أن يبسط سلطان الروح على الجسم ، حتى رفع نفسه إلى مقام الملكات بين النفوس في كل زمان ، وخلف للعالم آراء صار بها الرجال والنساء أملك لزمام الحياة .

واذكر أيضاً هذا الكتاب الذي كتبه روبرت لويس ستيفنسون بعد غشية من غشيات العلة التي كان يشفى منها على التلف « ولكني لم أكن أود أن أموت ، وأحسست أني لم أصنع شيئاً يبرئ ذمتي من الحياة ، وأني قد توليت تبعات عدة لا حق لي في التخلي عنها ، وأني إذا مت أكون كالجبان الذي

يهرب من الصف ويلوذ بالفرار »

وهذه الكلمات النبيلة هي شعار النفوس الكبيرة من أقدم عصور التاريخ . أكانت هيلين كيلر هي التي كتبت مع أنها صماء عمياء خرساء : « إذا كان العالم حافلا جداً بالآلام فإنه حافل أيضاً بالتغلب عليها » ؟ إنها كتبت ذلك بروح ستيفنسون .

وهؤلاء أشخاص تعرف الدنيا أسماءهم . ولكن لهم أنداداً أكفاء لهم في البيوت المظلمة الصغيرة ، وفي الضياع الفقيرة ، وبين الكادحين في المكاتب ، والذين يتلقفون ما يتيسر لهم من العمل في شوارع المدن ، والذين قلبت الليالي حياتهم رأساً على عقب . وقد تلقيت حديثاً رسالة تقول فيها صاحبتها « أراني أحياناً يسرني أني كابدت ما كابدت من المحن ، فقد أفادني ذلك سكينة نفس ، وفهماً ، وتسامحاً » وقد نشأت الكاتبة في ظل الترف والنعمة ، ولكنها الآن ربما احتاجت أن تقترض أجرة الركوب لتذهب إلى مستوصف ، غير أنها تتعلم على الأيام أن النفس التي ينميها المرء في جوفه لا الثراء الذي يكون له ، هي التي ترتهن بها أمر حياته وهل يؤتى فيها السكينة أو عنى فيها بالكمد ، بل يتوقف عليها إلى حد كبير هل يكون أو لا يكون على حظ من الصحة .

ذلك أن ضبط النفس وأخذها بالعقل مأخذ الحزم ، واعتياد توجيه الفكر توجيهاً مثمراً ، أهم لطيب الحياة وأجدى من صحة البدن . والنشاط الوجداني الذي يحرك خواطرك وآراءك ، إما أن يفضي إلى البوار أو يكون مثمراً . فعليك أن تختار : فإما أن تدعه يستنفد نفسه في مجرد استمتاع عاطفي بإحساس ما ، وإما أن تيسر له أن يدفعك إلى عمل ينطوي على الإقدام والطموح .

إن المنساق على غير هدى ، يدع نفسه يفكر أية فكرة تخطر له ، ويستسلم لأية عاطفة يتفق أن تخالجه . أما الرجل الذي آلى أن يكون له نفساً يستطيع أن يعايشها على قدر من المساناة وحسن المعاشرة ، فهو لايزال يكبح نفسه ويصدها عن العبث من عادات التفكير ، ولا يطيل أبداً إمساك الحقود والعداوات والمآخذ والخيبات ، في قلبه ، بل يتعمد أن يربي في نفسه العواطف التي تعتقه من رق الشر . ولما كان ينشد نفساً ذات اتزان وقوة واجتراء وطموح فإنه يستبقي تحت يده كتاباً يحث المرء على نشدان ، العظمة ويعود نفسه أن يحيا حياته اليومية في حفل من ذوي الأرواح العظيمة الذين وسعهم، مثل إبكتيتوس وستيفنسون، أن يحلقوا بقوة العقل والروح فوق شدائد كانت خليقة لولا ذلك أن تقوض حياتهم ، ويجعل النماء واطراد النماء منية قلبه مادام حيا.

هـذه قصة مدرسة فريدة فى بابها ، تهيء الفرصة لأى إنسان كان ، أن يتعلم ى شىء يريد ، وتخلق ممن يفرون من دور العلم والمعرفة ، عشاقا للعلم والمعرفة .

إذا أردت أن تتعلم

مارك أ. روز

ملخصة عن مجلة « أمريكان ليجيون »

صبى نافر ، يدفعه أبوه المسكين فى الطرقة المزدحمة إلى مكتب ناظر المدرسة ، لا تقع العين منه إلا على أيدٍ تلوّح ، وأرجل تتحرك ، ووجه مقطب متجهم . كان مكتب الناظر على مقربة من باب المدرسة . أسرع الوالد إلى الناظر والغضب يخنق صوته قائلا : « لقد عدمت كل حيلة مع هذا المخلوق . إنه يهرب من المدرسة ويتشرد متسكعاً فى الطرقات » . فقاطعه الناظر قائلا : « أرجو أن تتركه ، فأنا لا أستطيع أن أكلمه وأنت موجود ، وعلى مثل هـذه الحال من الثورة » . فتردد الرجل وهز كتفيه ، وأوسع الخطى إلى الخارج .

سأل الناظر الصبي :

— والآن ، ماذا بك ؟

— يريد أبى أن أدخل هذه المدرسة ، ولكنى لا أريد .

— إذاً فلا تقلق . لن يرغمك أحد على المجىء ، بل لن أسمح لك بالمجىء ! .

وامتعض الصبي وقال :

— ولم لا أستطيع ذلك ؟ ألست أهلا لدخولها ؟

— لا تستطيع دخول هذه المدرسة ، لأنك لست راغباً فيها . ولا يستطيع دخولها من لا يرغب فيها . هذا هو القانون هنا ، فلا تحزن . ولكن يحسن بك يا بنى أن تبقى قليلا ، حتى يظن أبوك أننا تحادثنا طويلا . علىّ الآن أن أمر على فصول المدرسة ، فهو جزء من واجبى اليومى ، تعال معى !

وهكذا انجرّ « بلاسك » الصغير العنيد وراء الناظر ، فى دكان المطبعة ، ثم فى غرفة بها اثنتا عشرة آلة تلغراف تتكتك بغير انتظام ثم فى المخبز المفعم برائحة الخبز ، ثم فى غرفة بها عشرات من الآلات الكاتبة تحدث جلبة عظيمة .

وأصغى بضع دقائق إلى فتاة تخطب

بن ستين شخصاً من مختلف الأعمار، وألقى نظرة على غرفة للخياطة، وصالون للتجميل، وتأمل الجامعين لحروف الطباعة، والبنائين والنجارين، ثم وقف طويلا أمام «مخرطة» فى غرفة الآلات. فوقف معه الناظر ولم يقل شيئاً. فلما عاد الناظر إلى مكتبه قال له: «والآن، هـذا هو كل شىء. أرأيت شيئاً أعجبك؟».

وخرج الصبى من صمته وقال: «قل لى يا مستر . . . الآلات! ما أفخمها! أحب أن أدير واحدة منها . . . كيف يستطيع التلاميذ أن يتعلموا ذلك؟».

— أواثق أنك تريد أن تدير إحداها؟

— طبعاً أريد.

ولكن لم يلبث أن مرت على وجهه سحابة من الغم، ثم قال:

— أى شىء غير هـذا يجب على أن أفعله؟ أى شىء يجب على أن أتعلم؟

— لا شىء، لا شىء ألبتة.

— ولكن فى المدرسة يفرض على التلميذ دائماً أن يتعلم شيئاً لا يحبه: الحساب، الخط، التاريخ، وما يشبه ذلك.

— أما هنا فلا.

وهكذا بدأ «بلاسك» يتعلم فى «مدرسة الفرص» (فى دنفر بولاية كولورادو الأمريكية)، ليصبح ميكانيكيا.

ولم يمض وقت طويل حتى وجد نفسه ملزماً أن يكتب على ورقة صغيرة ليطلب أنواعاً معينة من المواد، ويبين لم يحتاج إليها. فيقول له معلمه: «لا أستطيع أن أقرأ هذا، لا أفهمها، ولا أظن أن فيها معنى ما».

حدث هذا مراراً، وحار «بلاسك». لقد بدأ يدرك أنه لا يستطيع أن يحسن عمله الميكانيكى فى المصنع حتى يحسن الكتابة والتعبير. وإذن فلم يجد بداً من أن يدخل فصلا ليتعلم الانجليزية. وحين تبين أنه لا يستطيع أن يحسب $\frac{3}{4} \times \frac{7}{8}$ من البوصة، ليعين مكان ثقب يجب أن يثقب، لم يجد بداً من أن يقبل على تعلم الحساب، وبرع فيه أيضاً، إذ وجد فيه — لأول مرة — شيئاً من الفائدة.

ولهذه القصة خاتمة: فقد أصبح «بلاسك» الآن ميكانيكياً بارعاً.

يتعلم عشرة آلاف من النساء والرجال، كل عام فى «مدرسة الفرص» هذه فى «دنفر». وأصغرهم سناً، كما يظهر من السجلات، فى الثالثة عشرة من عمره، وأكبرهم رجل فرنسى كان حلاقاً واعتزل عمله، وقد نال دبلوم القسم الثانوى وهو فى الثانية والثمانين من عمره!

إن هذه المدرسة من أعجب مدارس العالم: فليس لها قوانين موضوعة، ولا

فيهـا درجات ، ولا شروط التحاق ، ولا دبلومات إلا فى القسم الثانوى ، وهو من أصغر أقسام المدرسة . وقد زارها جماعة من أئمة المربين، وفحصوا نظمها، وشهدوا بأنها المدرسة الوحيدة من بين جميع المدارس القائمة ، التى تقترب من المثل الأعلى للمدرسة التى تهيىء : « أى نوع من المعرفة لأى فرد ، حين يلتحق بها » .

وعلى صدر بنائها البالى العتيق كلمة منقوشة ، إنها ليست حكمة لاتينية براقة ، بل هى هذه الكلمة البسيطة : « لكل من يحب أن يتعلم » . وتعبر هـذه الجملة عن الحقيقة كما هى . فهناك فصل للفتيات اللواتى على وشك الزواج ، ولم يسمح لى بزيارته ، ولكنى دخلت الفصل الذى يدرس فيـه تعدين الذهب ، وفصلا آخر فى مبادىء اللغة الانجليزية . ولمحنا من فتحة الباب جماعة قد شابت لحاهم وعدداً من الجدات ، وفتيات مكسيكيات سمراً ، وشاباً أبيض وضىء الوجه طموحاً من مهاجرى فينا . وفى فصل علم الجبر لقينا عجوزا ضئيلة الجسم قالت لنا إنها قضت حياتها كلها فى العمل النافع ، فأرادت أن تتعلم الآن شيئاً لا فائدة فيه .

وقد علمت التجارب أصحاب هـذه المدرسة أن يحذروا : « التطوع بإرشاد الطلاب إلى احتراف عمل بعينه » . ونصيحتها إلى طلابها هى دائماً : « افعل ما ترى أنك تريد بحق أن تفعله » . ولذلك لم يحاول أحد أن يثنى عزم الغسالة الزنجيـة البدينة العجوز ، حين أرادت أن تدرس فى فصل صناعة القبعات ، وقد برعت فيها ، وهى الآن تكتسب منهـا رزقاً حسناً ، فقد كان لها شغف بعمل قبعات تلائم نساء جنسها .

ومن الطلاب فتاة صماء بكماء ، اختارت لدراستها فن التجميل . وكان المعلمون يعجبون كيف يمكن أن تجد هذه الفتاة من يقبلها فى عمـل ، ومع ذلك فالعجب أن صاحب المحل الذى استخدمها جاء يسأل : « أعندكم من أمثالها كثير ؟ ليتهن جميعاً لا يستطعن أن يتكلمن ! » .

وعدد الذين تساعدهم إدارة المدرسة على التوظف كل عام ١٥٠٠ ، فلو سألت : ما مصير البقية وعددهم ٨٥٠٠ ؟ فالجواب أن أكثرهم كان له عمل فعلا ، ولكنهم الآن قد ظفروا بأعمال أحسن وأربح . وقد درس أحد الباحثين حالة ١٧٨ من النساء والرجال المتخرجين العاملين ، ليعرف مدى ما استفادوه من هذه المدرسة ، فتبين أن عشرة منهم فقط لم تتغير أجورهم ، وأكثر من نصف الباقين استطاعوا أن يضاعفوا دخلهم أو زاد على الضعف ، لأنهم اكتسبوا من تعليمهم مهارة جـديدة . وأما البقية

فزيدت أجورهم ما بين ١٠٪ و ١٠٠٪ وكل هذا مجاناً — كما تعلم — ، لأن « مدرسة الفرص » جزء من نظام المدارس العامة فى « دنفر » ، وإن المدينة لتزهى بهذه المدرسة فخراً .

ومن الصعب أن نقول أى أقسام المدرسة — على كثرتها — هو أفضلها ، على أننى اعتقد أن أهم ما تفعله هو إعداد العاملين ليخطوا الخطوة الثانية نحو التقدم فى أعمالهم ، فإن لم يكن ، فليحتفظوا بمراكزهم فى أعمالهم . ولقد وجدتهم فى فصل عمال السكك الحديدية يدرسون « فرملة هوائية » جديدة لم تكد تعرف بعد ، وفى إصلاح السيارات يدرسون طرقاً فنية جديدة فى لحام المعادن . وهناك عشرات من فتيات المخازن العامة يدرسن ليزددن قدرة على التقدم ، وكثيراً ما تكون دراستهن بتشجيع من صاحب العمل نفسه .

وفى المدرسة غرفتان غاصتان بفتيات مشتغلات بأعمال السكرتيرية ، جئن يتدربن على الكتابة مع الإملاء السريع .

أما فصل الخطابة العامة ، فأكثر من فيه من ذوى الأعمال ، وعيبه الوحيد أنه مكان عام مزدحم جداً . وليس غريباً فيه أن يلتقى الكاتب ورئيسه ، وقد جاء الكاتب ليتغلب على خوفه وتهيبه ، وليكتسب من الثقة بنفسه ومن الثبات ، ما يكفل له أن يصبح بائعاً ممتازاً . وجاء رئيسه ليتعلم كيف يخطب خطبة حماسية فى موظفيه ، وكيف يحسن التعبير عن بعض الآراء التى يود أن يذيعها فى اجتماع الغرفة التجارية .

وفى هذا الفصل تظهر العجائب . فهذه أمٌّ ثلاثةٍ حديثة العهد بالترمل ، قد واجهت مشكلة اكتساب رزقها ، فرأت أنها ربما استطاعت أن تظفر بعمل فى أحد المخازن ، إذا استطاعت أن تتغلب على حيائها وخجلها . فلما جاء دورها لتخطب تكلمت فى الموضوع الوحيد الذى تفهمه ، وهو : « كيف تطبخ عشاء متقناً شهياً ؟ » . وقد يبدو ما أقول تلفيقاً ، ولكن هو الحقيقة : فإن أحد التجار سمعها تلك الليلة فاستخدمها . فهذه الأرملة تقف اليوم بين الجموع الكثيفة تخطب وتحاضر ، وتروّج لشركته التى تصنع الأفران .

ومن أهمّ ما تقدّمه المدرسة لطلابها هو أنها تهيئ الفرص لآلاف ممن كانوا غير لائقين لدخول المدارس النظامية ، ككبار السن من سكان الجبال ، حيث كانت فرص التعليم قليلة لديهم فى صغرهم وكأمثال « بلاسك » . وأما الصبيان المتمردون من ذوى العناد الذين لا يستقرون فى مكاتبهم ، فقد أعطوا شيئاً يعملونه بأيديهم ،

فتحسنوا بسرعة وتقدموا بحماسة . وآخرون ممن لا يطيقون ألبتة قيود النظام المدرسي العادي ، ولم يفلحوا بسبب هذه الحالة النفسية الشائعة ، استطاعوا أن ينجحوا في هذا الجو الذي « لا قيود فيه » في مدرسة الفرص ، حيث لا مواعيد ولا امتحانات ولا درجات ولا واجبات ولا مقررات . وذلك لأنهم يدرسون الشيء الذي يحب أحدهم أن يتعلمه فحسب ، فإذا أفضى ذلك بهم إلى دراسة الكتب أيضاً ، كما فعل « بلاساك » ، فإنه يكون من الخفاء والرفق بحيث لا يشعرون أبداً أن ذلك مقصود متعمد .

أما ناظر المدرسة « بول ألرت » فهو يحادث كل طالب من طلبته ، وهم ١٠٠٠٠ في السنة ، وأكثرهم يأتي إليه فيقص عليه قصته . وأما الباقون فهو الذي يبحث بنفسه عن جلية أمرهم . والسبب الأول الذي من أجله كان الناظر لا غرفة له ، هو أنه ليس في المدرسة غرفة فارغة ، إذ أن كل بوصة من المكان مشغولة بالليل والنهار ، حتى إن كثيراً من الفصول تتلاقى في الردهات لا يفصل بينها إلا ستار حاجز . وأما السبب الثاني فهو أن « ألرت » نفسه يحب أن يكون مألوفاً عند الجميع ، فإن هذه الألفة هي روح هذا المكان ، وهي نفسها الروح التي تدفع رجال الأعمال في « دنفر » إلى التدريس في بعض فصول هذه المدرسة ليلا .

ويرجع الفضل في وجود هذه الروح إلى « إميلي جريفث » التي كانت مدرسة من الدرجة الثامنة في « دنفر » ، وكان إذا غاب بعض الطلبة في فصولها ذهبت إلى منازلهم لتسأل عنهم وتعرف سبب غيابهم . فرأت أن ٩٠ ٪ من متاعب بيوتهم واختلالها تعود إلى البطالة ، وأن مرجع البطالة إلى أحد ثلاثة أسباب : إلى تقدم الآلات الصناعية ، وإلى حاجة العامل إلى التدريب ، وإلى الجهل باللغة الأنجليزية .

ففكرت في مدرسة تدرب الناس على المهارة في هذه الأعمال الجديدة ، وأخيراً سمح لها أن تبدأ في تحقيق ما تريده في دار المدرسة القديمة في ضاحية « دنفر » ، فكان نجاحها باهراً . وبقيت هذه الروح سائدة إلى الآن منذ أن اعتزلت هي عملها .

وتعلم « مدرسة الفرص » شيئاً كثيراً غير المهارة اليدوية ، فهي مدرسة أخلاقية تربي الطلبة على احترام النفس ، والثقة بالذات ، وتعلمهم حسن المعاملة ، ورعاية حقوق الزملاء ، والكياسة . والدقة في العمل ، وحب التعاون .

وأصحاب الأعمال يعرفون ذلك عنها ، فبطاقة من « مدرسة الفرص » هي أحسن شهادة أو توصية يمكن أن يحصل عليها طالب

عمل . ومع ذلك فكل ما فى هذه الشهادة هو « حضر « بلاسك » (مثلا) دروساً فى فصول الآلات بمدرستنا لمدة ... شهر» : هذا كل ما فى البطاقة ، ولكنك لا تستطيع أن تحصل عليها حتى تكون كفؤاً قادراً على مزاولة عملك .

وللمدرسة عقيدة ثابتة وهى : « نؤمن إيماناً لا حد له بقدرة كل إنسان عادى على أن يسير معتمداً على نفسه ، معتزاً بها ، عضواً عاملا سعيداً فى المجتمع ، إذا هيئت له فرصة للجهاد فى سبيل ذلك » .

وقد تكون معانى هذه الكلمات فوق مستوى بعض طلاب المدرسة ، ولكنهم جميعاً يفهمون ما فى اللوحة المعلقة فى كل مكان من المدرسة وهى :

« إنك تستطيع أن تعمل هذا » .

✲ ✲ ✲ ✲

الأجوبة الصحيحة

(انظر صفحة ٣٣)

١ — ثلاث دقائق . لأن كل قطة من المائة تستغرق ثلاث دقائق فى قتل فأرة .

٢ — ثمن الجيلاتى ½ ٥٢ مليم ، وثمن الصودا ½ ٢ مليم .

٣ — وجود أرملة يعنى وفاة الزوج . فكيف يتزوج من توفى ؟

٤ — فى اليوم الثامن والعشرين . ففى ٢٧ يوماً الأولى ارتقى القرد ٢٧ قدماً . وفى اليوم ٢٨ يقفز ثلاثة أقدام ، ويصبح على سطح الأرض .

٥ — كلاهما خطأ لأن ٨ زائد ٨ يساوى ١٦ .

٦ — ثلاثة مناديل قد تستخرج مصادفة منديلين من لون واحد . ولكن إذا كان أحدهما أبيض والآخر أسود فالثالث يجب أن يكون إما أبيض وإما أسود .

٧ — لن تلحق بالقطار لأنك أنفقت الدقيقتين فى قطع ميل واحد .

٨ — فى الدقيقة التاسعة والخمسين . لأنه إذا كانت السلة ممتلئة فى الدقيقة الستين ؟ فإنها كانت نصف ممتلئة فى الدقيقة السابقة .

٩ — تسع نعجات .

١٠ — لن يغمر الماء درجات السلم الثلاث ، لأن السفينة والسلم يرتفعان بارتفاع المد .



كلّ منهن تريد مشاركة رجلها المجنّد

النساء فى الجيش

بلايك كلارك

ملخصة من مجلة
نيويورك هيرالد تريبون

نظر الجنرال من وراء منضدته ، وقد تكوّمت عليها الأوراق المبعثرة ، إلى سيدة أنيقة الزىّ من فرقة النساء المعروفة « بالمجندات الإضافيات » ، وقد تلألأ على كتفها النجم الأزرق الذى هو سمة فرقته فقال لها :

« يسرنى أن أراك يا بنيتى العزيزة . أرجو أن تكونى قد أتيت لتحلى محلى ؟ »

إن أمنية الجنرال قد تتحقق يوماً ما . ففرقة المجندات قد أطلقت الكثيرين من الضباط من قيود الأعمال المكتبية ليقوموا بالخدمة . وهؤلاء المجندات ، وعلى رأسهن السيدة الكولونيل «أوفيتا هوبى» ، قطعن شوطاً بعيداً فى طريقهن إلى هدفهن ، وهو أن يحللن محل عدد من الضباط والجنود يعادل عشر فرق من المقاتلين . وقد كان أمر الرئيس روزفلت أولا يقضى بتجنيد ٢٥ ألف منهن لأعمال الجيش ، فزاد إلى ١٥٠ ألفاً . وقد أرسلت معسكرات التدريب نساء متخصصات إلى أفريقيا الشمالية ليحللن محل الجنود فى ٣٦ نوعاً من وظائف الجيش ، وهن يقمن بواجباتهن على أفضل وجه ، حتى لقد بلغ العدد الذى يطلبه الجيش منهن الآن أكثر من ستمائة ألف .

وأول فرقة منهن دخلت الخدمة العامة فى أمريكا هى الفرقة الرابعة والثلاثون المعسكرة الآن فى « فورت ديفنز » بولاية « ماساشوستس » . ومن الأعمال التى تتولاها نساء هذه الفرقة الكتابة على الآلة الكاتبة ، وحفظ السجلات ، والتليفونات ، والتصوير بالأشعة ، وإجراء التجارب الخاصة بالدم . وفى كل عمل يزاولنه من هذه الأعمال ، يعفى الجنود من مزاولته ليتوفرو

على الخدمة العاملة . وقد كان معظم الضباط فى « فورت ديفنز » يرتابون أول الأمر بعض الريبة فى مقدرة المجندات ، أما الآن فقد غيروا آراءهم . فمن ذلك أن اللازم « جيمز فار » — المشرف على إصلاح السيارات ، والذى عمل تحت إمرته عدد كبير من الميكانيكيين خلال ٢٧ سنة — أبدى رغبته فى أن يكون لديه عدد كاف من المجندات ليتولين قيادة جميع سياراته ، وهى ١٦٣ سيارة .

وكل واحدة من المجندات الميكانيكيات مسئولة عن سيارتها ، فهى تفحصها صبيحة كل يوم قبل الخروج إلى العمل ، وتغسلها يوماً بعد يوم ، وتحافظ عليها صالحة للعمل .

وقد قال بعض الضباط فى أول الأمر : « لن أقبل أن تطوف بى امرأة ! » أما الآن فيقول اللازم « فار » : « إذا كان لدينا ألف سائقة من فرقة المجندات ، فسيطلبن جميعاً » . وآخر من انحاز إلى المجندات هو ضابط الصف القديم « جون لنسكى » ، الذى قال حين وصلت فرقة المجندات : « سأحتفظ برأيى حتى أشاهدهن يقمن بالتمرينات العسكرية » . وفى ذات يوم وقف يشاهد الكابتن « اليزابث استرنز » تدرب مائة وخمسين مجندة على الحركات العسكرية فقال لمن حوله : « حقاً إنهن بارعات ! حتى ليبدو بعض المحنكين من جنودنا سخرية بالقياس إليهن » . وقد أفضى إلحاح كبار الضباط فى طلب المجندات إلى إضافة خمسة وعشرين نوعاً آخر من الأعمال إليهن . ففرقة الطيران وحدها مثلا تطلب عاملات كهربائيات للطائرات ، وإخصائيات فى آلات الطائرات ، وفى إعداد المظلات الواقية ، وعاملات للراديو ، ومراقبات للأحوال الجوية ، وللقيام بإصلاح آلات إحكام قذف القنابل ، وللتدرب على الطيران الشراعى . وفى الجيش الآن ٦٢٥ نوعاً من الأعمال يتولاها الرجال ، وتتمرن المجندات على القيام بأكثر من مائة نوع منها . ومن المحتمل أن ينتهى بهن الأمر إلى أن يقمن بأربعمائة نوع وعشرة من هذه الأعمال .

وتظهر المجندات فى مراكز التدريب مقدرة مدهشة على ملاءمة معيشتهن لأحوال لم يكن لهن عهد بها من قبل ، إذ يجدن أنفسهن فى مجتمع جديد ، يمثله القائد — : « رجل يأمر ولا يرد عليه » . ولا تستطيع إحداهن أن تنبذ عملها إذا ثارت ثائرتها ، ولا أن تطمع فى أن يخصها قائدها بملاطفته .

وقد قال أحد الضباط : « لم نعطهن إلا امتيازاً واحداً ، وهو أننا وضعنا لهن أستاراً على النوافذ » .

ولعل أحب شىء إليهن مما يتلقينه خلال

مدة تدريبهن خمسة أسابيع ، هو طوابير العرض ، وهذه نزعة جامحة لا يدرك كنهها الجندى العادى من الرجال .

والمجندات حديثاً يرجون ضباط الصف أن يدربوهن على الحركات العسكرية فى ساعات فراغهن . ولذلك اضطرت القيادة فى « دايتونا بيتش » إلى إصدار أمر بمنعهن من القيام بالحركات العسكرية على أنوار البطاريات .

فإذا ماصارت إحداهن «ضابطة صف» أصرت على أن تستجيب المجندات لنداءاتها العسكرية فى حركة نشيطة محكمة . وقد سمع أحد الذين زاروا مراكز التدريب فى « حصن دى موين » مجندة برتبة جاويش ، كانت تدرب طائفة من المجندات وتصرخ فيهن : « أناديكن « انتباه » ، فأنا أريدكن على الانتباه » . وتبدأ المجندة أيامها الأولى « بحصن دى موين » فى حيرة وارتباك . فهى تقبل عادة مع ٤٠ أو ٥٠ مجندة ، وحين ينزلن من القطار يراهن الناظر خليطاً من الأزياء المدنية ، بين سراويل ، ومعاطف من الفراء الثمين ، وبين أحذية كعوبها عالية ، وأخرى كعوبها قصيرة .

ومن الصعب على المجندة فى أول أيامها أن تنظر فى جد إلى عناية الجيش الدقيقة الصارمة بالجزئيات ، مثل التفتيش اليومى للثكنات ، حيث يجب أن تكون كل (بطانية) مستوية لاعوج فيها، وأن تكون كل منشفة مطوية طياً أنيقاً ، وأن يكون كل زوج من الأحذية تحت السرير متحاذيين ، وقد ربطا حتى العروة الأخيرة وأدخل طرف رباطهما داخل الحذاء . على أن المجندة تحاول جهد طاقتها أن تفعل كل شىء على وجهه الصحيح ، حتى إن إحدى المجندات (وكانت قد تلقت التعليمات بأن تحيى كل ضابط تقابله التحية العسكرية) مرت يوماً بضابطين معاً ، فما كان منها إلا أن أدّت لهما التحية العسكرية بيديها الاثنتين ! !

وتظل المجندة فى كل دقيقة من يومها فى حركة مستمرة من وقت اليقظة فى الساعة السادسة والنصف إلى الساعة الخامسة بعد الظهر ، فى العناية بجزئيات ثكنتها ، ثم تقوم إلى طابور عسكرى ، وإلى فصول تعليمية ، ثم إلى طابور بعد طابور . وبعد العشاء تقرأ مذكرات دروسها فى النهار، وتدرس «دليل الجندى » ، وترفو جواربها ، وتغسل ملابسها ، أو تكتب إلى أهلها .

وأما يوم فخارها فهو ذلك اليوم الذى تسير فيه لأول مرة فى الاستعراض ، يوم تسير على أنغام الموسيقى العسكرية ويوم ترى العلم الأمريكى يخفق فى طليعة سريتها ، وحين تقترب من منصة الاستعراض ، وتعزف

الموسيقى نشيداً أمريكياً عسكرياً معروفاً ، تشعر بنشوة جديدة ، لأنها أصبحت أحد أفراد هذه الفرقة الجيدة .

وتزهى المجندة ببزتها العسكرية التى فصلت لها خاصة لتلائم قصانها الخمس . اما قفازها فمن أرقى أنواع الجلود ، ويبلغ ثمنه اثنى عشر دولاراً أو أكثر فى المخازن . وكل ما تلبسه متجانس لوناً ونوعاً وشكلا ، حتى قميصها الداخلى الحريرى ذو اللون الزيتونى الأخضر . ويقولون إنه إذا عثرت إحداهن فوقعت على الأرض ، فكل ما تراه « لون واحد » !

وبعد تمام تدريبها نوجه المجندة إلى إحدى وجهات ثلاث ، فإن دلت على مهارة خاصة، فلها أن تلتحق رأساً بالخدمة فى أحد مراكز الجيش ، ولها أن تدخل مدرسة الضابطات ، ولها أن تلتحق لثمانية أسابيع بإحدى مدارس المتخصصين العديدة — كالنقل الميكانيكى ، أو الإدارة ، أو اللاسلكى ، أو الطباخين ، أو الخبازين . ولقد جاء فى شهر فبراير الماضى أسمى اعتراف بأن المجندات قد برهنّ على مقدرتهن ، حين بدأت ست عشرة ضابطة منهن دراستهن فى مدرسة هيئة أركان حرب جيش الولايات المتحدة . وهذه هى أول مرة يسمح فيها للنساء بدخول تلك المدرسة التى تعد أعظم المدارس العسكرية فى الولايات المتحدة شدة وصرامة . ولا تقبل عادة إلا ضابطاً من رتبة ماچور (صاغ) فما فوق ، قد قضى سبع عشرة سنة على الأقل فى الخدمة العسكرية .

ويرجع الجانب الأكبر من إجادة المجندات أعمالهن إجادة فائقة إلى أنهن جيش من المتطوعات . فقد ترك الكثيرات منهن أعمالا فنية يتقاضين عنها أجوراً سخية حبا فى أن يخدمن فى الفرقة . وحاولت إحداهن — وهى ابنة قائد برتبة جنرال — أن تدخل مدرسة الضباط فأخفقت ، فتطوعت فى الجيش جندية عادية .

ولعل السبب الذى يدفع معظم الطالبات للتطوع فى الجيش هو وجود رجل لهن فى القوات المسلحة . فالزوجة أو الخطيبة أو الحبيبة أو البنت أو الأم — كل منهن تتلهف على أن تشارك رجلها المجند فيما يلقاه زمن الحرب . وفى الثكنات حيث يسمح لكل مجندة بأن تعلق فى غرفتها ثلاث صور فقط ، تزيد صور الرجال على أية صور أخرى بنسبة اثنين إلى واحد ، على أنه ليس بينها صور نجوم من نجوم السينما . وكل صورة منها موجودة هناك بحق القربى : قربى الدم أو قربى القلب .

والمجندات من خيرة الجنود ، ولكن الأنوثة لا تزال تغلب على طباعهن . وقد

ثارت ثائرتهن مرة حين ذاعت إشاعة بأن الأحزمة لن تكون ضمن ما تصرفه لهن الحكومة من لوازمهن . فتقدمت مجندة مليئة الجسم إلى ضابط وفتحت سترتها ، وسألته : « أترى كيف يكون شكلى بغير حزام ؟ » .

وإن الحياة الحافلة التى تحياها المجندة ، تهيء لصداقاتها وقتاً أقصر وفرصاً أقل مما كان لها فى بلدها . فإذا كان لها صديق قريب منها فهو يستطيع أن يراها ثلاث مرات أو أربعاً فى الأسبوع فى قاعة الاستراحة التى لا تنقطع منها الحركة أو فى النادى المزدحم . وكثيراً مايشاهد المرء المجندات مع أصدقائهن من الجنود فى سينما الجيش ، أو وهم يتناولون العشاء فى مطعم قريب ، أو وهم يتمشون ذراعاً إلى ذراع نحو النادى حيث يلعبون (البنج بنج) ، أو حيث تتمرن المجندات على إصابة الهدف ، أو يجتمعون حول البيانو للغناء .

. . .

وماذا بعد انتهاء الحرب ! !

لا شك أن معظمهن يتطلع إلى الزواج والأمومة ، وبعضهن يدبر أمره لمزاولة الأعمال التى تدربن عليها فى الفرقة أثناء خدمتهن فى الجيش . وفريق منهن يود البقاء فى الجيش للاشتراك فى أعمال التعمير بعد الحرب خارج القارة الأمريكية ، إذ يعتقدن أنه جدير بالمرأة أن تطعم أطفال أوربا الجياع



● قد يبنى المرء لنفسه عرشاً من الرماح ، ولكنه لايستطيع أن يجلس عليه .

(الأسقف انج)

● قبل أن يرتفع الستار على مسرحية جديدة ، جلست ساره برنار وأعضاء فرقتها وكلهم واجم فى الحجرة الخضراء . وإذا بالمارشال فرنسوا كانروبير قد دخل عليهم . وكان المارشال بطل فرنسا فى حرب القرم . ولم يكد يدخل الحجرة حتى لاحظ الوجوم فيها ، فقال قولا ردّت عليه ساره برنار بقولها : « إننا نوشك أن نخوض معركة كبيرة . فنحن خائفون » . فقال المارشال متعجباً : « خائفون » ؟ فقالت برنار : « معذرة ياجناب المارشال » ، ونادت أحد المستقبلين فى المسرح وقالت : « بيكار . هات لنا قاموساً للمارشال ! » .

ابن الصحراء

ملخصة من قصة : جيمز بارتون

خرجت غداة يوم من « عينتاب » في بلاد الشام قاصداً بغداد عن طريق بطحاء الجزيرة ، في قافلة لشيخ العرب محمود بن موسى تبلغ تسعين جملا امتطى الشيخ ذو اللحية حماراً أبيض كبيراً كان يبالغ في بره وإكرامه . وكانا يبيتان في خيمة واحدة ليلا ، وقلما يفترقان نهاراً . وكان رجال القافلة التسعة عشر من عامة أبناء البادية ، وكانت أوامر شيخهم لا غير هي قانونهم ، ومن يديه ينالون ثوابهم وعقابهم .

كنت أحمل ثمانين جنيهاً ذهباً في حقيبة من الجلد أحفظها معي في خيمتي إذا جن الليل . وكنت أحرص على أن أدس يدي في الحقيبة — كل صباح — لأتحقق من سلامتها ، ولم يرعني في صباح اليوم التاسع إلا ضياعها . بادرت إلى ابن موسى وقلت :

« يا محمود بن موسى ، ثمانية أيام وأنا ضيفك ، فأنا أعرب مخلصاً عن شكري لك » .

فضرب ابن موسى بيده على صدره وانحنى ثم قال : « أحب شيء إلى العرب إكرام الضيف » . تابعت كلامي : « يسوؤني أن أجدني مضطراً إلى أن أقول لك : إن سحابة قد حجبت شمس ابتهاجي ، ويجب علي أن أخبرك بما حدث لأنني ضيفك » .

وأخبرته خبر ضياع الحقيبة . فألقى علي بعض الأسئلة ، ثم قعد صامتاً يمسح لحيته بيده ثم قال : « سنبقى اليوم في منزلنا ، فبعض الرحال محتاجة إلى إصلاح ، وقد ضاعت نعال حمارين أو ثلاثة . قبل غروب الشمس ستجد ذهبك بين يديك ، إن شاء الله . اذهب بسلام » .

وبعد ساعة أو بعض ساعة رأيت شيخ القافلة يهيم وحده بعيداً عن منزلنا ، وانتصف النهار قبل أن يعود . أمر ألا يزعجه أحد ثم دخل وأسدل باب خيمته ، فأخذ يساورني القلق على مالي ، فإن الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يرده على نائم !

" " " " " " " " " " "

جيمز بارتون كاتب أمريكي عرف بلدان الشرق الأوسط ، وساح فيها ، ودرس في غير معهد واحد من معاهدها وألف كتابي « فجر تركيا » و « أعمال الإغاثة في الشرق الأدنى » .

وبعد ثلاث ساعات خرج الشيخ ودعا بالعشاء ، فلم أبرح حتى بدأت أرتاب فى الشيخ نفسه .

وحين فرغ القوم من طعامهم دلف الشيخ الكهل من خيمته مرتدياً أبهى ثيابه ، واعتلى كومة الأحمال المكدسة فى وسط المنزل ، فلما استوى على الذروة ، أومأ إلىّ أن أجلس قريباً منه . وبعد قليل نادى بصوت متجهم : « اجمعوا الرجال جميعاً » . فلما اجتمعوا حول العرش جعل الشيخ يصعد نظره ويصوبه — بأبلغ أناة — فى هذا الصف من الوجوه العاتية ، وكل عين منها قد تعلقت به . ودام ذلك خمس دقائق على الأقل ، حتى شعرت أنه يجب على أن أفعل شيئاً يفضّ هذا الصمت الرهيب . رأيت الرجال قد أخذوا ، فلم تتحرك عضلة ولم تطرف عين . ولما انتهى الشيخ من هذا الاستعراض الصامت أنشأ يقول فى عبارات محكمة :

« اليوم ألبست الخزى بين يدى هذا السائح وبين يدى الله . إن السرقة جريمة منكرة يكرهها الله والناس ، وإن الرجل إذا سرق من ضيفه فهو ملعون سبع لعنات . لقد أمن إلىّ هذا السائح فإذا هو يسرق فى بيتى . وما دام لم يطرقنا غريب فالسارق هنا أمامى » .

وبعدئذ انفجر الشيخ عن لعناته وصرح بأنه ما من عقاب يراه صارماً حقيق بهذا المجرم ، وأن الله لا ينظر إلى جماعة يكون بينهم مجرم طريد كهذا المجرم ، وأن الله يأمره أن يهلك الجانى وأن يرد الذهب . وكان كلما أوغل ارتفع صوته ثم سكت بغتة ، ثم استمر يقول بصوته الهادئ :

« إن فى الخيمة الآن حمارى الأبيض الكريم . إنه لا يستطيع أن ينطق بلغتنا لأن حلقه حلق حمار . ولكن فى روحه نفحة عالية وسيخاطبنا بطريقته مشيراً إلى السارق .

« فأنا آمركم أن تدخلوا خيمتى واحداً بعد واحد ، ومن دخل فليسدل سترها عليه فلا يكون فى الخيمة إلا هو والحمار . ثم ليجذب ذيل الحمار ، فإن اليد البريئة حين تمس ذيله يظل الحمار ساكناً ، وأما حين تقبض عليه يد السارق فسينهق من فوره . وسيكون هذا رسالة الحمار إلينا لنقبض على الجانى ونذبحه بغير رحمة » .

وقام آخر رجل فى الصف حين أمر أن يكون أول من يدخل . قام فى وقار ودخل الخيمة ، وأسدل الستر ولبث بضع ثوان ثم عاد إلى مجلسه . فأومأ الشيخ إلى ثان وثالث . لقد كان من الصعب أن تعرف أينا كان أشد اضطراباً ، أنا أو هؤلاء الرجال ، وكنت مصغياً إلى النهيق المنتظر ،

فزعاً من الانتقام الذى سأشهده بعد . دخل الخيمة اثنا عشر رجلا ، ولا صـوت . الثالث عشر ، الرابع عشر ، الخامس عشر ، السادس عشر ، لم يبق إلا ثلاثة . زاد اضطرابى . هـذا هو السابع عشر ، الثامن عشر . والآن ، كان الرجل الأخير فى طريقه إلى الخيمة ، هذه هى الغاية وإلا فقد ذهب كل شىء . ودخـل الرجل التاسع عشر ، وخرج ولاصوت . لقد وكلنا قضيتنا إلى حمار خسرناها . ولكن الشيخ محمود بن موسى قال لى فى سكون : « الزم الصمت ، كل شىء على ما يرام » .

كان الرجال وقتئذ قعوداً أمامـه على ترتيبهم الأول فصاح بهم : « قفوا » . فلما وقفوا جميعاً قال : « ابسطوا أيديكم » . بسط كل واحد كفيه ونزل ابن موسى عن منصته ، وقصـد إلى أول من دخل الخيمة فى طرف الصف ، وانحنى عليه ، ووضع وجهـه فى راحتيه الممدودتين ، وبقى ما يقرب من خمس دقائق . وأعاد ذلك مع الذى يليه . دهشت وتجاوزت دهشتى الحد . وأقبل على الرجل الثانى عشر ومال بوجهه على راحتيه ، فلم يلبث أن ارتد عنه وسدد رمحه إليه وقال : « أيها اللص الكلب القـذر ، هات الذهب من فورك وإلا بقرت بطنك فى موقفك هذا » .

فأكب الرجل على قدميه يسأله الرحمة ثم هب قائماً . وانطلق إلى ما وراء جماعة الجمال ، ورفع حجراً مستوياً ونبش بالتراب وعاد ومعه حقيبتى : « أعطها للخواجة » .

وضعت الحقيبة بين يدى ، وقد وجدت الذهب لم يمس . بعد ذلك أمر الشيخ رجلين من رجاله أن يجـلدا السارق . وبعد بضع جلدات قليلة غـير عنيفة ، شفعت له فى العفو عنه ، فأطلق . وانقلب الشيخ إلى خيمته وانفض الجمع .

لقـد كنت فرحاً باسـترداد مالى ، ولكنى ما زلت مشتاقاً إلى أن أعـلم كيف عرف اللص . إذ لم أستطع أن أفرض فرضاً يفسر ما حدث .

ولما رحلنا فى اليوم التالى سألت الشيخ من فورى أن يبين لى كيف كان ذلك . فنظر إلى ساخراً وقال : « ولكن لا تحدث رجالى بما تسمعه . لقد غمست ذيل الحمار فى محـلول روح النعناع ثم جففته ، وكلهم أمسك ذيل الحمار إلا السارق ، ولذلك كانت يده هو وحدها هى التى لا رائحة للنعناع فيها » .

فقلت ، وأنا لا أملك نفسى : « ماشاء الله ! الله أكبر ! » .

* * * *

نابليون يتقهقر عن موسكو

إدوين مولر

في صبيحة ١٤ سبتمبر سنة ١٨١٢ وصل « الجيش الأكبر » إلى أسمى هدف من أهدافه ، فقد بلغت طلائعه أرضاً مرتفعة ، أشرفت منها على السهل الممتدّ المنبسط . وهناك تحت قبة السماء المكفهرّة جرى على منتصف الأفق خطّ أبيض مغبر . ومن فوقه ظهرت كالفقاقيع الطافية قبابُ مدينة شرقية — موسكو !

ولمح الإمبراطور بعينيه النفّاذتين قباباً تعلو على سائر القباب : هو قصر الكرملين ! طابت نفس نابليون ، وترجّل عن جواده ليتهيأ لاستقبال الوفد ، فقد توقع أنه لا بد آت إليه يستجديه شروط التسليم .

كانت هذه اللحظة أوجَ أعظم حرب خاطفة عرفها التاريخ إلى ذلك الوقت . فقد شقّ « الجيش الأكبر » طريقه فقطع ٧٠٠ ميل في ٨٢ يوماً ، وهي سرعة مدهشة لجيش من المشاة ينقل عتاده الحربيّ على ظهور الجياد .

وكان « الجيش الأكبر » أضخم قوة مقاتلة منظمة عرفت من « عهد دارا الأول » ملك الفرس . ففي ٢٤ يونيه والأيام التي تلته عبر نهر (نيمن) نصف مليون رجل ، بينهم جيوش من رجال الدول التي فتحها « الجيش الأكبر » ، ولكن كان قلب « الجيش الأكبر » من الفرنسيين ، أولئك الرجال الذين لم يعرفوا الهزيمة أبداً . والذين كان أمضى أسلحتهم تلك الأسطورة التي تزعم أن « الجيش الأكبر » جيش لا يقهر .

فاقتحموا حر الصيف وغباره ، يدفعون جيوش الروس بين أيديهم حتى أرغموها على خوض المعركة في « بورودينو » فنالوا النصر الذي لم يكن يخالجهم فيه شك . كان نصراً باهظ الثمن ، دفعوا في سبيله ٣٥ ألف فرنسيّ بين قتيل وجريح ، ولكنه فتح لهم الطريق إلى موسكو حيث يقفون الآن .

ولم يعد يقفُ في طريق نابليون إلى السيطرة على العالم إلا عقبة واحدة هي بريطانيا . بريطانيا التي ناهضته وعاسرته من قبل ، والتي رفضت الهدنة السرية حين بعث أخاهُ يفاوضهم في عقدها ، والتي ظلت تجذب الخيوط من وراء الستار في روسيا لتثير في وجهه حفيظة القيصر .

وهكذا وقف نابليون بونابرت أمام

موسكو: رجلٌ أسمر اللون ، عبوس الوجه ، ضئيل الجسم ، شديد البأس ، يطأ تقدميه طريقاً ممهداً يفضى به إلى أن يحكم العالم . وإن تكن فى هذا الرجل غميزة ضعف ، فهى تهافته فى حب الأبهة والمواقف المسرحية ، ثم يشتد ولعه بالمواقف التى يرى فيها الأمراء المهزومين والوفود المفوضين وهم ينحنون له بين يديه .

وأبطأ هذا الوفد الروسى ، وعيل صبر الامبراطور . فأرسل الرسل يستحثونه . ولكنهم عادوا يقصون عليه قصة غريبة ، بلغت غرابتها مبلغاً استفز نابليون فانطلق ليتحقق من جلية الأمر بنفسه . فدخل المدينة من بوابتها الكبرى المزدوجة ، فلم يتلقه عندها أحد . فركب وطاف بشوارعها فلم يجد أحداً يقف له على أفاريزها ولا أحداً يتطلع إليه من نوافذها ، بل جثم عليها كلها صمتٌ مطبق ، فأرسل العسس إلى الدور ليخرجوا إليه سكانها ، ولكنهم لم يجدوا بها أحداً يخرجونه ، فقد كانت القصور والأكواخ والكنائس والمتاجر خاوية مهجورة . ومشى الإمبراطور إلى الفناء الكبير بقصر الكرملين ، ودخل الجناح القيصرىّ ، فوجد الساعات لا تزال تواصل دقاتها . ولكنه لم يجد هناك أحداً .

واستولى القلق عليه ، فمنذ دخل روسيا ، اتخذ كل ما يراه ألواناً من المعانى جديدة . فمن ذلك هذا الخراب الذى يراه : لقد ذهب الفلاحون وذهبت معهم مواشيهم وأحرقوا بيوتهم ، وأتلفوا محاصيلهم . وحار الامبراطور وبدأ يتساءل : ترى ماذا يخبأ القدر لى فى هذه البلاد الغريبة ؟

ولكنه عالج الموقف بطريقته المألوفة ، فاتخذ مركز قيادته فى جناح القيصر ، وأصدر أوامره باحتلال المدينة ، وأرسل قوة من الجند لتشتبك مع العدو فى القتال .

وكذلك عالج جنوده الموقف على طريقتهم أيضاً ، فاقتحموا المتاجر والقصور ، وحملوا على ظهورهم ما يطيقون حمله من الفراء والحرير ، والصور الزيتية ، والأوانى الفضية . ثم وجدوا مقادير كبيرة من الخمر فسكروا حتى اضطرب النظام .

وفى ظهر اليوم التالى رأى الحرس الواقفون على أسوار الكرملين سحباً من الدخان فى القسم الشمالى من المدينة ، فقدروا فى أنفسهم أن بعض الجنود سكروا ، فأهملوا النار ، فشب الحريق . غير أن الفرقة التى ذهبت لحصر النيران ، عادت أدراجها تحمل النبأ المزعج : أن آلات مطافىء المدينة كلها قد اختفت . وبعد قليل شاهدوا حرائق أخرى فى الشرق ، ثم فى الجنوب ، وأخيراً قبضت إحدى الدوريات على روسى وهو

يشعل النار . ولم تلبث أن هبت ريح وصلت ما بين هـــذه الحرائق المتباعدة ، حتى صارت سحب الدخان سقفاً واحداً يظلل أرجاء المدينة .

وبات نابليون ليلتــه تلك واقفاً على أسوار الكرملين يرقب — صامتاً .

فلما كان اليوم التالى صحت عزيمته على الرحيل ، فقد صارت المدينة بساطاً من النار عرضه أربعــة أميال . وظلت النار تتأجج أسبوعاً كاملا . ونجا قصر الكرملين وحده منها ، فعاد إليه الإمبراطور .

لم يتكلم نابليون فى خلال تلك الأيام إلا قليلا ، فقد كان يلوح عليه أنه وقع فى حيرة عقلية شــديدة . فهو لا يمكنه أن يصدق أن أحداً من أولياء الأمور — فى أشد الشعوب همجية — يستطيع أن يأمر الناس بعمل شيء كهذا العمل : فبكلمة واحدة يصبح ٣٠٠٫٠٠٠ شخص لا مأوى لهم ! وحتى هو نفسه لم يستطع أن يبلغ هذا المدى من الاستهانة بأرواح الناس . ثم بدأ يفكر أيضاً فى مئات الأميال من القرى التى احترقت ، والحقول التى أتلفت ، التى تقع على طريق العودة إلى الوطن .

لقــــد أحرقت مخازن الحبوب فى موسكو ، وعادت فرق التموين التى أرسلت إلى الريف وليس معها إلا القليل . وبدأ الجيش يجوع ، فدخــل على النظام من الاضطراب أكثر مما كان فيه .

ومع كل ذلك ، فلم يزل نابليون يعتقد أن هزيمتــه للجيش الروسى ، واحتــلاله عاصمة الروس ، قــد وضعا حداً حاسما للحرب . فأرســل بعثة إلى بطرسبرج لتعرض على القيصر شروط الصلح ، وهى شروط أكرم قليلا مما كان ينوى فى أول الأمر أن يعرض . ومضت أسابيع ولم يأت رد من القيصر ، فصار الأمر واضحاً ، فلن يصل منه أى رد .

وانفجر نابليون عن ثورة جامحة من الغيظ ، ودعا قواده وأعلن إليهم أنه زاحف بجيشه على سان بطرسبرج . لقــد كانت قرارات نابليون فيما مضى حكماً لا معقب عليه ، ولكن هذه الخطة يستحيل تنفيذها ، فقد امتدت خطوط مواصلاته حتى أوشكت أن تنقطع ، وهذا الشتاء أيضاً على الأبواب . لم يحاول القواد أن يجادلوا ويناقشوا المشروع ولكنهم قتلوه بصمتهم .

وأخــيرا أصبح من الواضح — حتى لنابليون نفسه — أنه لا حيلة فى علاج هذا الموقف إلا الارتداد .

وفى ١٨ أكتوبر بدأ التقهقر .

لم يقدر لمعظم هذا الجيش الضخم الذى عبر نهر « نيمن » أن يصل إلى موسكو .

فقد عهد إلى بعض جنوده فى حراسة خط المواصلات وحماية المدن على طول الطريق ، وهلك كثيرون فى المناوشات وفى حروب العصابات ، وسقط أكثرهم صرعى فى ساحة القتال فى « بورودينو » . أما الجيش الذى أخذ يغادر الآن موسكو فقد كان عدده ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل .

ومن « موسكو » إلى « نيمن » مسافة سبعمائة ميل ، كل ميل منها يشبه الذى يليه : أرض سهلة منبسطة تمتد أميالا لا تكاد تنتهى ، ثم يعترضها نشز قليل الارتفاع يجعل ما وراءه فى رأى العين أشد انبساطاً واستواء . وتتناثر على هذه الأرض بعض غابات متفرقة ، وتنساب فيها جداول بطيئة الجريان ، تتلوى فى مسيرها خلال المستنقعات المترامية . وكان الطريق مستقيما لا انحناء فيه ، فيراه الناظر إليه على مدى البصر كأنه نهر بطىء الجريان يسيل بالمدافع وعربات النقل ، وعلى شاطئيه تسير الجنود المشاة ، تحف بهم فرق الفرسان ، فلم يزل هذا الجيش المتقهقر جيشاً منظما .

وكانوا من بدء رحيلهم يعانون قلة الزاد ، فكان لزاماً على كل سائق عربة أن يحرس جواده ويحميه من الذبح ، وإن كان الهزال قد ترك الجياد عظاماً عليها قليل من اللحم . وحيثما رأوا كوخاً مسقوفاً بالقش ، عمدوا إليه فانتزعوا أعواده ، ليطعموا دوابهم التى كاد يهلكها الجوع .

ونثر الجيش وراءه أسلاباً تركها وألقاها ، من كتب وصور وأوانى الفضة ، ثم المدافع وعربات النقل ، إذ لم يبق لهم من الجياد ما يكفى لجرها . ولكن بقى لهؤلاء الفرنسيين من القوة ما أعانهم على قتال من كان يتعقبهم من الروس .

ثم هوت على الجيش فجأة ضربة الشتاء !

ففى ليلة ٥ نوفمبر وقفت حركة الجيش الممتد على أميال من الطريق ، وبات بالعراء بغير غطاء أو خيام . وهبت ريح صرصر عاتية ، ثم أخذت تشتد ثم تشتد ، وكان مهبها من قبل الشمال الغربى ، من السهول المترامية المتجمدة ، وقطعت ألف ميل تعصف لا يقف فى طريقها شىء . وجاءت معها بالبرد ، وكلما مضت ساعة من الليل زاد البرد ، وظل يقذف النيران الموقدة فيطفئها واحدة بعد واحدة . برد قارس لا عهد لهؤلاء الفرنسيين به . وفى تلك الليلة تجمدت أجسام عدد كبير منهم فهلكوا ولم يفلت الجيش لحظة واحدة من قبضة الشتاء الروسى .

واختل نظام التموين حتى لا سبيل إلى القوت إلا بالخروج من صفوف الجيش ، والتجول فى القرى بحثاً عن الطعام . وهكذا

بدأ الطابور الطويل يتصدع إلى جماعات ذاهبة على وجهها بغير هدى .

لقد قيل إن نابليون شارك رجاله فيما نزل بهم من الشدائد . ولكن الحقيقة هي أنه لم يفعل ، بل ظل يوفر لنفسه الدفء ، والطعام والخبز ، بل حرص على ألا يفتقد شرابه « البرغندي » المفضل . وكان يركب عربة متدثراً بفرائه ، فربما وطئت جثث رجال قتلهم البرد ، أو أشرفوا على الموت .

أما أشد الكوارث التي نزلت بالجيش الأكبر فهي : فرسان القوقاز . فقد كانوا رجالا أولي بأس شديد ، صغار الأجسام ، كثيفي الشعر ، ذوي لحى كثة ، يرتدون معاطف من الشعر ، وعلى رؤوسهم أغطية من الشعر ، ويمتطون جياداً قصار الأرجل طوال الشعر ، وكانت أرجلهم قصيرة مقوسة ، فمن رآهم ظنهم قد ولدوا على صهوات جيادهم ونشأوا معاً نشأة واحدة . وهم يحملون حراباً طويلة ، ويركبون إلى القتال وهم يصيحون صيحات منكرة .

كانوا يستترون بين الأشجار ، ثم ينقضون فجأة على رجال أنهكهم البرد والتعب يبحثون عن شيء يقتاتون به ، أو على آخرين قد جمدوا حول نار موقدة جلسوا إليها يصطلون . وكثيراً ما كانوا ينزعون الثياب عن فرائسهم ، ويسوقونهم عراة حتى يهدهم الإعياء فيسقطوا ويموتوا .

واشتد البرد على الجنود ، وهبطت درجة الحرارة إلى ما بين الثلاثين والأربعين تحت الصفر ، ولكنهم كانوا يتصببون عرقاً في هذا البرد القارس ، وهم يشقون طريقهم بين أكوام الجليد . فإذا جن الليل وانقلبوا إلى مضاجعهم على الأرض العارية ، تجمدت ملابسهم الندية ، وعندئذ تتسرب الحرارة من أبدانهم كما يتسرب الماء من إنائه .

واكتظ الطريق بالمدافع والعربات المهجورة ، إذ لم يبق لهم سوى عدد قليل من جياد هزيلة ، بدت ضلوعها ومشت تترنح في أعنتها من الإعياء ، ومشى في أثرها رجال يتبعونها ، حتى إذا أعيي جواد فسقط ، انقضوا عليه ففتكوا به حياً ومزقوه ، وتنازعوا على الشرب من دمه الحار .

وخطف بريق الجليد أبصار مئات منهم فعموا وعجزوا عن كل شيء ، وآخرون أضاع الجنون ألبابهم .

وحاولت فئة قليلة أن تنجد الذين سقطوا ، ولكنهم كانوا يتوسلون إليهم أن يتركوهم وشأنهم ، أن يتركوهم لينامو ا !

أما آخر لقاء بين العدوين يمكن أن يسمى معركة فهو ما كان عند عبورهم نهر « بيريزنيا » ، فقد كانوا يأملون أن يجدوه متجمداً فيعبروه ، ولكنهم وجدوه قد ذاب

وبقيت قطع من الجليد تدور فى تيار الماء.

وأخيراً استطاعت فرق المهندسين الحربيين أن تقيم جسرين على النهر ، بينما كانت مؤخرة الجيش تدافع الروس دفاعاً شديداً إلى أن تمكنت من صد زحفهم. وتهيأ لهم عبور النهر بنظام زمناً ما ، ووصل الإمبراطور سالماً إلى الشاطىء الآخر ، ثم انكسر أحد الجسرين فجأة ، فسرعان ما انقلب « الجيش الكبير » جمعاً من الغوغاء يقتتل على ركوب الجسر الآخر.

ورأت المدافع الروسية هدفاً عرضه نصف ميل وطوله ميلان ، فأطلقت قنابلها ومهدت بها طرقاً فى هذا البناء المرصوص من الرجال. ويقال إن ١٢٫٠٠٠ جثة انتشلت من نهر « بيريزينا » فى ربيع تلك السنة.

وظلت فلول الجيش تترنح وهى تعبر النهر.

ولم تكن لهذه القصة نهاية واحدة ، بل سلسلة من نهايات صغيرة محزنة ، فهنا وهناك جماعات قليلة متفرقة ذهبت على وجوهها تبحث عن طعام يرد جوعها ، فاغتالها الجوع أو اغتالها القوقاز.

ولا يعلم على التحقيق كم عدد الذين نجوا بأنفسهم من معركة روسيا ، ولكن الجيش النظامى الذى وصل كونجسبرج بلغت عدته ما يقرب من ١٠٠٠ رجل.

ولم يكن الإمبراطور مع هؤلاء ، فقد فرَّ متخفياً إلى باريس فى أوائل ديسمبر وجعل يحدث رفيقه فى هذه الرحلة ويتهكم ويسخر بإنجلترا ، ويزعم أنه وضع خططاً جديدة لغزو بريطانيا ، ولكنها كانت خططاً تدخل فى حيز المستحيل.

كان الإمبراطور على يقين من أن أنباء التقهقر قد سبقته إلى باريس ، فوصلها مشدوهاً لا يدرى ماذا يلقى بها. لقد دهش الرجل ، بغير شك ، حين وجد الفرنسيين مقيمين على الولاء له. فاستأنف مظاهر الأبهة والعظمة فى بلاطه ، فهو « الإمبراطور » لا يزال !

على أن هذا التقهقر كان قد قضى عليه ، ولكن لم يقض عليه بضربة واحدة. فظل يداور أكثر من عامين ، ولكن فى غير طائل ، فإن شعوب أوربا التى قهرها ، نظرت إليه فرأته ليس أكبر من أن يقهر فثارت فى وجهه ، بل بدأ رجاله أنفسهم ينفضون من حوله. وأخيراً جاءت الخاتمة فهزم هزيمة حاسمة بفضل ثبات البريطانيين أمامه فى « واترلو ».

وبقى له من عمره سنوات قلائل يقضيها فى جزيرته الصغيرة الموحشة ، فأنفقها فى التدليل على أنه كان دائماً على صواب فيما يذهب إليه. ثم أطبقت عليه وحشة الموت.

خمسة عشر ولداً وأتمنى الزيادة

السيدة وينفريد كيدى كلوسترمان

ملخصة عن مجلة « ذى أمـيركان ماجازين »

مضت علىّ إلى الآن ثلاثون سنة قضيتها فى حياة زوجية سعيدة، وحملت فيها ستة عشر طفلا ليس بينهم توائم . ومع ذلك ليس فى رأسى شعرة بيضاء . ومن هؤلاء خمسة عشر على قيد الحيـاة كلهم يمتاز بالذكاء والجمال على أحسن ما يحب إنسان ، وكل منهم يتمتع بالصحة التامة، وليس بينهم طفل شاذ . وهم تسع بنات وستة أبناء كلهم محبوب. وقد نالوا نصيبهم من الجوائز فى واجباتهم المدرسية وألعابهم الرياضية ، وفاز الكبار منهم بأعمال يتكسبون بها . وتزوج منهم أربعة وجميعهم موفق فى زواجه . وهم من حيث الأخلاق على غاية ما أحب ، يقصدون إلى الكنيسة أيام الأحد ، وليس فيهم من يدخن سوى الابن الأكبر ، ولا بينهم من يعرف الخمر .

وفى هذا العام عند ما قبلنى « تومى » — وهو أصغرهم — لكى يعدو فى مرح الطفولة إلى المدرسة لأول مرة فى حياته ، وقفت أراقبه من النافذة وبكيت . فقـد تزوجت حين كان عمرى ١٨ سنة ، وخلال تسع وعشرين سنة من حياتنا الزوجية لم يكن بيتنا يخلو من طفل سـنة ما. والآن كبر أصغر أبنائى ووجدتنى وحيدة فى البيت، فشعرت كأن المنزل وكأن حيـاتى قد أصبحا فارغين ، وشعرت أنى أرضى بأن أسـخو بأى شىء — حتى هذه الثلاجة الكهربائية التى أهداها إلى أبنائى — على أن يكون لى طفل آخر .

ولست أزعم أنى كنت هانئة راضيـة بحظى فى كل لحظـة من حياتنا الزوجية ، فقد مرت بى أيام كنت فيهـا متعبة واهنة العزيمة ، حين كان الفقر يدق على الأبواب وحين كان الشك يخالجنى فأتساءل : « هل الأطفال نعمة كما يزعم الشعراء ! » . وأذكر أنى حـين طلبت الطبيب بالتليفون سـنة ١٩٣١ ، وكانت سنة ضنك ، لكى يسعفنى فى الولادة وأخـبرته أنه الطفل الرابع عشر ، فقال لى : « هل تعرفين يا مسز كلوسترمان أن التى تهز المهد تحكم العـالم ؟ » فأجبته وشفتاى مزمومتان : « إنى أود لو أترك الحكم لك لأنى تعبت » .

وقصدت إلى المنزل وأنا كسيرة القلب لكى أهيئ العشاء ، فوجدت المنزل حافلاً بالأزهار التي جمعها الأطفال في الحقول . وكأن الكبار منهم عرفوا بالحدس ماأنا فيه، فهرعوا الى يقبلوننى ويطلبون منى أن أستريح . فبسطت ذراعى وضممت منهم ما استطعت أن أضمّ . وانحدرت دموع الفرح من عينى وشعرت بتأنيب الضمير لشكى لحظة فى صدق رغبتى فيهم جميعاً .

نشأنا أنا وزوجى فى الريف . وكان هو مزارعاً ناجحاً تربى فى أسرة كان عدد الأولاد فيها اثنى عشر ولداً ، وكنا نرغب فى إنجاب أطفال كثيرين . ولم يكن أحدنا يفكر فى ضبط التناسل أو منع الحمل ، لأن زوجى كان يعتقد أنهما شر ، وأنهما يعودان بالضرر على الصحة ، ثم لأننا كنا نحب الأطفال . ولكن لو أن أحداً تكهن لى قبل زواجى بأنى سوف أحمل وألد ستةعشر طفلا لآثرت فى الأغلب أن أبقى بغير زواج .

وقليل من الفتيات من تحب الأطفال ذلك الحب العميق المقيم . ولكن حب الأطفال يزيد زيادة المتواليات الهندسية ، أى كلما ولد طفل ازداد الحب . ولست أفتات على سيدة فأحثها على الإكثار من الأولاد . ولكنا وجدنا أنه إذا كان عندك طفلان فإن ما يكفيهم يكفى أيضاً ثلاثة ، وإذا كان لك تسعة أبناء فليس العاشر كثيراً .

وإنى أقول للنساء اللائى يتمتعن بالصحة ويخشين الأطفال ويرفضن الحمل : لا تخفن ، وانسين الخوف . فإن ما تخفنه يشبه الغطسة الأولى فى الماء البارد ، فإنه عقب الصدمة تحس النشاط البديع . وقد حدث غير مرة أنى كنت أهيئ العشاء للعائلة ثم بعد العشاء أغسل الأطباق ثم أضع الصغار فى اسرتهم ، وفى صباح اليوم التالى يكون فى البيت طفل جديد . وقد حدث أن تأخر الطبيب مرتين لتراكم الثلج والوحل فى الطريق ، فأقبل الطفلان فى الحالين قبل وصول الطبيب .

وكلما كثر أولادنا كانت صحتى تجود وتتحسن . ولم أصب بأمراض سوى التهاب الزائدة مرة ، والأنفلونزا مرة أخرى . وحتى الآن لا أحس التعب من أعمال المنزل . وفى كل أسبوع أقصد أنا وزوجى إلى مرقص حيث نشترك فى الرقص طيلة المساء . وقد يضحكك أيها القارئ هذا الطيش ، ولكن ثق بأن هذا المرح يشعرنا بالشباب مرة أخرى

وقد عشنا فى المزارع ١٨ سنة بعد زواجنا ، وكنا نعمل ونجتهد . ولو قيست أحوال معيشتنا بالمقاييس المألوفة لعدّنا كثيرون من الفقراء ، ولكنا كنا أصحاء

نأكل أحسن الطعام . وبقينا إلى أن انفرجت الأزمة الاقتصادية ونحن لا نكاد نشعر بهم . وكنا نقصد حيناً بعد حين إلى المدينة للتفرج على السينما ، ولكنا كنا معظم الليالى نجتمع حول البيانو فيعزف أحدنا ، وكنت أنا أعزف أو أغنى . وكنا نعالج الشجار بين الأطفال ، أو الخلاف بينى وبين زوجى ، بالغناء فيصفو الجو .

ولما انفرجت الأزمة صار من المحال أن نجد العيش الكافى فى الريف ، فانتقلنا إلى المدينة حيث اشتغل زوجى ببيع صكوك التأمين ، وكان يستعين بكل عمل آخر يعرض له . ووجد « كنيث » عملا فى مخزن تجارى ، وعملت « ماريان » و « أديلين » فى الخدمة المنزلية ، وكنا من وقت لآخر نوشك أن نبلغ الحضيض .

وحدث أن « روث » — وعمرها ست سنوات — كانت عائدة من المدرسة فصدمتها سيارة . وقال الأطباء إن الصدمة أحدثت فى مخها ارتجاجاً ، ولا سبيل إلى علاج وهى معلقة بين الموت والحياة ، ولا حيلة فى الصبر . وكانت فى صباح اليوم التالى لا تزال فاقدة الوعى حين نهض زوجى من جانبها وهو يقول : « فى جنبى وجع » ، وبعد دقائق حمل بسرعة إلى المستشفى حيث أجريت له عملية استئصال الزائدة . وبعد أشهر قليلة وجدتنى ولدت طفلا آخر .

وكان أكبر الأولاد وقتئذ يبلغ السابعة عشرة . وبعد ذلك هب كنيث وماريان وأديلين إلى معونتى ، وعنوا جميعهم بروث التى عادت إلى وعيها ، كما عنوا بالأولاد السبعة الآخرين ، وتولوا طهى الطعام حين هرعت أنا إلى المستشفى .

ولم يكن لدى نقود ، وكان جيب زوجى خاوياً ، وكنا ننتظر حوالة مالية بمبلغ ٨٠ دولاراً ولكنها لم تصل . فاقترح على كنث أن أقترض من البنك .

وقصدت فى اليوم الثانى إلى مدير البنك ومعى صرة صغيرة بها بعض الحلى والساعات . فسألنى المدير : « كم تطلبين ؟ »

وكنا فى حاجة إلى ثمن الطعام ، فقررت أن أطلب مبلغاً كبيراً وقلت : « هل تستطيع أن تعطينى عشرة دولارات ؟ »

فابتسم مدير البنك وقدم إلى المبلغ بغير رهن .

وقضينا سنوات الأزمة أحسن حالا من معظم العائلات ، بمساعدة الأولاد ، حتى الصغار منهم كانوا يساعدون ببيع الجرائد والمجلات . ولما أخذت الأحوال فى التحسن ، قصد كنث إلى إحدى المدن حيث وجد عملا فى شركة للتنظيف الجاف للملابس .

وأرسل بعد ذلك إلى ماريان وأديلين لكى تلحقا به فى هـذه الشركة نفسها ، وانتقلنا جميعاً إلى هذه المدينة .

ونحن الآن عائلة كاوسترمان نبلغ ١٧ شخصاً — أو ٢١ شخصاً وهو أصح لأن كينيث وماريان وجوزفين وآدى تزوجوا — وليس عندنا أحفاد ، ولكن آمالنا معقودة على قدومهم . ونحن نجتمع كل أحد ، ونتنزه معاً فى أيام الإجازات ، ونحتفل بعيد ميلاد كل منا . وقد حسبت قبل أيام أنى صنعت ٢٤٧ كعكة لهـذه الأعياد . وعند ما نجتمع فى وليمة نحتاج إلى مقدار كبير من الطعام ، وأتولى أنا شراء الحاجات للطبخ ، فأشترى البرتقال والتفاح بالقفص ، أما البطاطس فأشتريها بالشوال ، وفيه ١٠٠ رطل .

ومن المشكلات العويصة فى بيتنا مشكلة الحمام . فإن عندنا حماماً واحداً وغرفة أخرى للاغتسال ، ولذلك تجدنا نعين لاستعمالها المواعيد الدقيقة كأنها جدول الإذاعة . وعند ما تخالجنى رغبة فى طفل آخر أفضل أن يكون فى بيتنا حمام آخر .

وفى عائلة عدد أفرادها ١٧ نفساً ، لايسمى أحد، بل لايستطيع أحد أن يكون زعيما متحكما . ويسر أولادنا أنهم أعضاء فى عائلة كبيرة ، فهم يجدون فيها لذة الاجتماع . وليس بينهم من يميل إلى التحكم أو العزلة أو الوجل ، فقد ربى بعضهم بعضاً . وإذا كنت أنا قد علمتهم شيئاً فهو حسن المعاملة والوداعة واللطف .

ولكنى عند ما أحاول أن أفكر فى ما أسديته إلى أطفالى ، أجدنى على العكس أفكر فى ما أسدوه إلىّ . وعندئذ أتمنى لو كان عندى من أمثالهم دستة أخرى ، فإن لم تكن فواحد !



وجه عاداتك إلى خدمتك

وليم جيمز

ملخص من : مختصر علم النفس

« هل العادة حقاً طبيعة ثانية ؟ كلا ، بل قل إنها عشرة أمثالها فى القوة » . هكذا قال الدوق أوف ولنجتون . وليس ثمة من يدرك صدق هذه الحقيقة كالجندى المحنك، ولا غرابة فى ذلك فالتدريب اليومى، والنظام الدقيق الذى لا هوادة فيه ، يخلقان فى الجندى طبيعة جديدة وخلقاً جديداً .

العادة للمجتمع فى منزلة محرك السفينة ، وهى فى مقدمة العوامل التى بها نحتفظ بتراث الإنسانية . فالمهم إذن أن نجعل الجهاز العصبي حليفاً لنا لا عدوا ، وأن نكون منذ نعومة أظفارنا ، أكبر عدد مستطاع من العادات النافعة التى تصبح بها الأعمال تلقائية، وأن نحذر العادات الضارة ، ونبعد عنها بعدنا عن الطاعون والوباء . وكلما سلمنا زمامنا فى التافه أو المفصل من أعمالنا اليومية إلى العادات التى لا حاجة فيها إلى جهد أو نصب ، تفرغت المراكز العليا فى الدماغ للقيام بما يعهد إليها فيه من المهام .

وليس هناك أشقى من رجل لم تتأصل فيه من العادات إلا عادة التردد . فهو يجعل كل عمل يبدؤه موضعاً للتردد والتأمل فيقضى نصف وقته فى اتخاذ قرارات، والتحسر على أشياء ، كان خليقاً به أن يجعلها شطراً منه ، بحيث ينجزها دون أن يحس بوجودها .

هناك أربع حكم ينبغى ذكرها ، كلما شرعنا فى تكوين عادة جديدة أو نبذ عادة قديمة ، وهى : (أولا) التسلح بأقوى ما لدينا من عوامل الإقدام . يجب أن نعبئ كل ما يعين على تقوية الدوافع وشد أزرها ، وأن تكون جميع أعمالنا منافية للعادات القديمة ، ولا تلائمها ، وأن نقطع على أنفسنا عهداً إذا لزم الأمر . وبالإيجاز يجب أن يكون العزم محاطاً بسياج متين من جميع العناصر التى تقوى ساعده . وبهذا يكون البدء فى العمل ميسوراً ، والجنوح إلى

" " " " " " " " " " "

وليم جيمز من أشهر علماء النفس الأمريكيين فى العصر الحديث . والفصل الذى كتبه عن « العادة » كان فى رأى الرئيس ويلسون مما يجب أن يطالعه كل إنسان .

الفشل والاستسلام أقل احتمالا . ومن ثم يؤجل النكوص والاستسلام يوماً بعد يوم، إلى أن يصبح الفشل مستحيلا .

(ثانياً) لا تدع للاستثناء سبيلا إليك قبل أن تتأصل العادة فيك . فكل استثناء يكون فى منزلة كرة من الخيط تهوى إلى الأرض بعد حبكها بكل دقة وعناية . وكلما هوت الكرة مرة ، أفسدت ما طوى عليها من الخيط مرات . والاستمرار فى المرانة ومواصلة العمل بغير استثناء ، هو السبيل الوحيد الذى به يؤدى الجهاز العصبى وظيفته معصوماً من الخطأ .

فالنجاح فى بادئ الأمر لابد منه لأن الخيبة مثبطة لكل محاولة فى المستقبل ، كما أن النجاح يزيد فى النشاط ويدفع صاحبه إلى العمل . طلب أحدهم من « جوته » المشورة فى أمر ، وكان الطالب قليل الثقة بنفسه . فقال له « جوته » : « آه ، إنك لا تحتاج إلا أن تنفخ فى يديك » . ويدل هذا القول على الأثر الذى تركه نجاح جوته المتواصل فى نفسه .

ويدخل فى هذا الموضوع ، الفشل فى نبذ العادات السيئة كإدمان الخمر مثلا ، وإن اختلف الإخصائيون فى أمرها . على أنه يمكن أن يقال بوجه عام أن الجميع متفقون على أن الأخذ بالعادة الجديدة طفرة واحدة هو الطريقة المثلى ، إذا كان التنفيذ ممكنا .

وينبغى أن نحذر تكليف الإرادة ما يشق عليها ، لنتجنب خطر الهزيمة فى البداية . فإذا كان فى وسع امرئ أن يتحمل فترة قصيرة حادة من الألم فليفعل ، فستأتى بعدها فترة من الراحة . ويستوى فى ذلك الإقلاع عن عادة الإدمان ، وتغيير مواعيد النوم أو العمل . ويدهشك أن ترى الرغبات تموت ، وإن كانت قوية ، إذا أنت حرصت على ألا تغذيها بشئ أبداً وبغير استثناء .

ينبغى أن نتعلم كيف نبدأ بحزم وقدم ثابتة — كما يقول الدكتور بانسن — قبل الشروع فى تكوين أنفسنا تكويناً جديداً . ومثل الرجل الذى يعزم كل يوم عزماً جديداً ، مثل من يبلغ حافة القناة التى يريد القفز إلى الجانب الآخر منها ، ثم يتقهقر عائداً ، على أن يعيد الكرة فى اليوم التالى ، وهكذا دواليك . فيتضح إذن أن تعبئة القوى لا يتيسر النجاح فيها إذا لم يكن التقدم متواصلا وبغير هوادة . (ثالثاً) انتهز أول فرصة ممكنة متى سنحت ، وليكن ذلك فورا لإخراج العزم من حيز الفكر إلى حيز العمل . فليست العبرة فى العزم مجرد تكوينه ، وإنما العبرة فى أثره « الحركى » ، إذ بهذا الأمر وحده تنتقل العادة المكتسبة الجديدة إلى الدماغ . فمهما يكن عدد ما حفظناه من الحكم والإرشادات والنصائح ، ومهما تكن

نياتنا ، فإن صفاتنا وأخلاقنا لن يدخلها تحسين ما ، إن لم ننتهز كل فرصة سانحة فنعمل عملا جدياً . والنيات وحدها لن تفيدنا بشىء ، إذ أن الطريق إلى الجحيم — كما يقولون — مرصوف بالنيات الحسنة.

يقول الفيلسوف الإنجليزى « جون ستوارت مل » : إن الخلق إرادة تامة التكوين . والإرادة فى المعنى الذى يقصده هنا ، هى مجموعة الميول والاتجاهات التى بها نسخر أهم قوى الحياة وطاقتها بكل ما أوتينا من حزم وثبات وسرعة وجلاء غرض ، لمواجهة طوارئ الحياة الرئيسية . وهذه الاتجاهات تكون درجة تأصلها فينا وفقاً لتكرار الأعمال التى توجهها هذه الاتجاهات ، وما يتركه هذا التكرار من الأثر فى الدماغ .

فإذا ما تأجج فى وجداننا بصيص من العزم أو الشعور ، ثم تركناه يخبو فإن نتيجة هذا الإهمال تكون أشد خطراً من مجرد فرصة تضيع ، لأن هذا يعوقنا فى المستقبل عن تنفيذ قرار نقره ، أو عن الانقياد لعاطفة نبيلة نحسها . وليس فى أخلاق البشر ما هو أحط من ذلك الخيالى العاطفى الضعيف الذى يقضى العمر سابحاً فى بحر من دقة الحساسية وشدة الانفعال ، ولكنه لا يأتى عملا ما جديراً برجل . مثل هذا الرجل مثل السيدة الروسية التى جلست فى مقصورتها فى الأوبرا تذرف الدمع مدراراً على أشخاص خياليين فى الرواية ، فى حين أن سائق عربتها فى الخارج يرتعش من البرد القارس فى انتظارها . من الحمق أن ندع عواطفنا تتحرك إثر مشاهدة رواية أو سماع موسيقى أو قراءة كتاب ، بغير أن نسخر هذه العواطف فى القيام بعمل فعال معين . وليس المهم أن يكون هذا العمل عظيما أو أن يتجه فى ناحية من نواحى البطولة ، وإنما المهم ألا تترك العاطفة بغير تعبير ، وإن كان العمل فى ذاته تافهاً كتقديم مكانك فى القطار لسيدة ، أو التحدث إلى جدتك فى لطف . وإننا إذا أهملنا بذل الجهد عند الحاجة ، فإن قدرتنا تضعف من حيث لا ندرى . وإذا ما جلنا بأبصارنا هنا وهنالك على غير هدى ، فإن أبصارنا تتجه إلى هذا الميل على الدوام فتجول هنا وهناك على غير هدى .

(رابعاً) وأخيراً ، احرص على أن تكون نار جهدك دائمة الاشتعال ، وذلك بتغذيتها يوميا بالمرانة . ومعنى ذلك أن تعوّد نفسك شيئا من الزهد والتقشف والبطولة فى أشياء تافهة مرة كل يوم أو يومين . أى تعود القيام بعمل نافع يشق عليك عادة القيام به ، أو تميل عادة إلى تجنبه ، حتى إذا ما اشتدت الحاجة يوماً ما

إلى تأدية مثل هذا العمل ، ألفيت أعصابك قادرة على احتماله . ومثل هـذا اللون من الزهد مثل القسط الذى تدفعه تأميناً لمنزلك من الحريق . فإن هـذا القسط لا تظهر فائدته وقت الدفع ، وربما لن تظهر فائدته مطلقاً ، ولـكن إذا احترق المنزل فقد يكون فى مال التأمين نجدة من الخراب .

كذلك الرجل الذى يروض نفسه يوماً يوماً على قوة الإرادة ، وتركيز الفكر ، وإنكار الذات ، حتى فى أشياء تافهة لا حاجة به إليها — مثل هذا الرجل يبقى كالطود الراسخ حين تهز الزلازل كل شىء حوله ، وحين يطير غيره من الرجال ، كما يطير الدريس فى الهواء

هذه جهنم التى نعدها لأنفسنا فى هذه الدنيا بما نكتسبه من العادات السيئة تشبه جهنم التى يحدث عنها رجال الدين . ونحن إذا علمنا أننا مجرد كتل من العادات تتحرك ، وتسير ، وتنام ، وتأكل — إذا ما علمنا ذلك ، اشتدت عنايتنا بتثبيت العـادات الحسنة . ونحن حقا ننسج حظنا بأيدينا ، حسن أو ساء ، وعبثاً نحاول فك خيوطه بعد أن يتم نسجه . وكل ذرة من الفضيلة أو الرذيلة لا بد أن تترك آثارها ، وقلما تكون هذه الآثار غير كبيرة .

يقول السكير الذى يحاول الامتناع عن الخمر ، كلما تجرع كأسا جديدة : لن أحسب هذه الـكأس هـذه المرة . أجل . قـد لا يحسبها، وقد تشفق عليه السماء فلا تحسبها ، ولـكنها محسوبة عليـه حتما على كل حال . ففى الألياف العصبية وأعماق خلاياها ، تقيد هذه الـكأس أسوة بسواها ويخزن أثرها هناك إلى أن تتخذ سلاحا ضده ، يوم تسول له نفسه أن يجرع كأسا أخرى .

وكل عمل نعمله ، وكل كبيرة وصغيرة نأتيها تقيد فى سجل الحساب ، ولن تمحى . هذا ما يقوله لنا العلم . بيد أن هـذا المبدأ له حسناته كما أن له سيئاته . فـكما أننا نكون عادة الإدمان بشرب الخمر كأسا كأسا ، فـكذلك نصبح فى منزلة القديسين فى عالم الأخلاق والدين ، والخبراء فى ميدان العلم والعمل ، بمزاولة لون خاص من الأعمال واحـداً فواحداً وساعة فساعة .

من الخطأ أن نـنـدم على نوع التربية التى نسير فى طريقها ، فمهما يكن من شىء فإن النتيجة مضمونة ما دمت تعمل بأمانة يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة . وستستيقظ يوما لتجد نفسك أحد أولئك الذين يشار إليهم بالبنان فى زمانك ، أيا كان الطريق الذى سلـكته فى الحياة .

هى العادات يجرى الشيخ منها على شيم يعوّدها الصبىُّ

المستقبل دائماً للشباب

ملخصة من كتاب "لنكولن ستفنز: يتكلم"

حنفية تسيل ولا أستطيع أن أحكم إقفالها. إذن سأنادى ولدى الصغير الذى هو فى السابعة من عمره ليتلق درساً آخر من أخطر الدروس التى يجب على أن أعلمه إياها. يأتى فيقبض عليها، يحاول أن يلويها فيعجز، فيكشر مبتسما، أسأله: « ماذا جرى يا بنىّ؟ »، فيرفع بصره إلى قائلا: « حتى أكبر يا بابا ».

فاستويت فى مقعدى لألقى عليه درساً وعلمته أننا نحن، من هم أكبر منه سناً، لا نستطيع أن نصنع حنفية محكمة، ولكن هو قد يستطيع، فثمة عمل له ولجيله فى صناعة السباكة، بل فى كل صناعة.

إنى أعلم طفلى، وأقول للأطفال على اختلاف أعمارهم، من لم يدخل المدرسة بعد ومن دخلها، ومن هو فى الكلية ومن فارقها:

أن لا شىء قد فرغ منه فصار عملا تاماً.

" " " " " " " " " " "

لنكولن ستفنز كاتب وصحفى أمريكى درس فى أمريكا وألمانيا وفرنسا. ومن مؤلفاته المشهورة « عيوب الحياة فى المدن » و « لنكولن ستفنز يتكلم »، وقد أودع فيه آراءه فى التربية وتهذيب النفس.

وأن لا شىء قد درس فأصبح معرفة يقينية جامعة.

وأن الدنيا كلها دنياهم، وهى مليئة بجميع أنواع الأشياء مهيأة لهم، ليكشفوا ويعملوا، أو ليجددوا العمل، ويعملوا بإتقان. وهاهم أولاء يستمعون فيلتهمون هذه البشرى الجميلة، إنهم فرحون كما أفرح ببعض الأشياء التى بقيت لهم ليكشفوا، وليقولوا كلمتهم، وليفكروا، وليعملوا. قلت « بعض الأشياء » كلا بل « هو كل شىء » للشباب ليضطلعوا به، وهأنذا ألقنهم ليتعلموا:

إنه لا توجد الآن — بل لم تكن أبداً فى التاريخ — حكومة صالحة.

وإنه لا توجد الآن — بل لم تكن أبداً — سكة حديدية، أو مدرسة، أو صحيفة، أو مصرف، أو مسرح، أو معمل، أو دكان بقالة أنشىء على نمط كامل.

وإنه لا مصنع الآن — بل لم يكن أبداً — قد بنى أو أدير أو موّل كما ينبغى. ولكنه يجب أن يكون كل ذلك، وسيكون يوماً ما.... ولعله يكون من أيامهم هم. وإن ما يصدق على العمل والسياسة، هو

أعظم صدقاً على الحرف والفنون والصناعات ، وعلى العلوم والرياضات . وإن أبدع صورة لم ترسم بعد ، وأعظم قصيدة لم يتغن بها شاعر بعد ، وإن أعظم قصة لا تزال تنتظر من يكتبها ، وإن أسمى لحن موسيقى لم يلهمه أحد إلى اليوم . وفى العلم أيضاً لا يزال ٩٩ فى المائة على الأرجح مما يمكن معرفته فى انتظار من يكتشفه . إننا لا نعرف من علم الفلك إلا فروعاً قليلة ، أما علم الكيمياء والطبيعة فلا يزيدان إلا قليلا على كومة من الأسئلة الملحة .

حين كان ابنى طفلا كان مهيأ لانحناء الظهر ، فكان من السهل أن يتقبل عقله « مركب النقص » وينمو فيه ، فلما بدأت أبين له أنى ، أنا والرجال غيرى ممن هم أكبر منه ، لسنا فى كل شىء كباراً كما نحن فى مظهر أجسامنا ، وأنه حيث يفشل الرجال والنساء فثمة فرصة ممكنة للأولاد والبنات فى حياة ملؤها النجاح . فعندئذ اعتدل فقار ظهره ، وانفرجت كتفاه فى اعتداد بالنفس ركين .

« سأعمل هذا أنا » ! هكذا كان يقول باعتداد وبغير وقاحة أيضاً . ذلك لأن الوضع الطبيعى عنده أنه هو والجيل المقبل سيكونون أكثر إتقاناً لما يعملون . نعم ، سيكون بعضهم كذلك ، فلم لا يكون ابنى أحدهم ؟ أنا أب ، فعملى هو أن أجعل ابنى يشعر أن له فى الحياة منازل كثيرة يعمرها .

أيام كنت صغيراً وقعت فى نفسى — بطريقة ما — صورة لدنيا طاحنة ليس لى فيها ما أعمله إلا قليل ، فكرت فى نفسى : أنى إذا عملت على أن أكون صبياً مجتهداً وصدقت فى طلب العلم ، فعندئذ أرجو أن أجد لى مكاناً ضيقاً هنا أو هناك فى هيئات المجتمع ، حيث أكتسب رزقاً يسيراً ، ولكن لم أكن أؤمل فى شىء جديد أو عظيم أعمله . وذات يوم غمرنى إحساس مقرون بالتحقق من أن أمامنا فرصاً ، ملايين من الأعمال بين جليل وحقير ، لنا نحن الشبان صغيرنا وكبيرنا ، وذلك إذا أمكن أن نصان عن الأوهام العتيقة ، والأساطير الفزعة ، وأن نعلم أن نرى الأشياء كما هى — أى أنها مشاكل قابلة للحل ولم تحل بعد ، وأنها فرص ممكنة — ويومئذ تصير الحياة جديرة بأن نحيا من أجلها .

وقد علمتنى التجارب أن النظرة إلى الدنيا على أنها كلها مجهول ومهمل وفاسد وغير متقن كانت خيراً لى ، وهى خير لابنى ، وأظن أنها ستكون خيراً للأولاد والبنات جميعاً . إنها تنشىء هدفاً لدراستهم ، ثم لعملهم ، ثم لحياتهم .

بعثة سرية إلى شمال أفريقية

فردريك بايتتون

تفرس الجنرال « دويت إيزنهاور » ، وهو جالس إلى مكتبه فى مقر قيادته بلندن ، فى برقية تلقاها من وزارة الحربية الأمريكية عليها عبارة : « سرى جداً » . وقد ألجأته هذه البرقية إلى اتخاذ أخطر قرار فى حياته العسكرية . وإليك خلاصتها :

« يقترح جماعة من الضباط الفرنسيين الموالين للحلفاء فى الجزائر أن يذهب خمسة من ضباط أركان حرب الجنرال «إيزنهاور»

" " " " " " " " " " "

خاض فردريك بايتتون الحرب العالمية الأولى وجرح فيها مراراً ، ثم اشترك فى تحرير صحيفة الجيش الأمريكي . وبعد الحرب زاول الصحافة وكتب فى أشهر المجلات الأمريكية . وقد اختص أخيراً فى الكتابة عن أعمال الجيش الأمريكى ، وعينته « ريدرز دايجست » مندوباً خاصاً عنها ، وسافر إلى أفريقية فى سفينة ضربتها غواصة فأغرقتها ، ولكنه نجا مع الناجين .

سراً ، وفى الحال ، إلى مكان ما بالقرب من مدينة الجزائر ، ومعهم معلومات عما تنوى الأمم المتحدة فعله ، لمواجهة ما يتهدد تلك البلاد من خطر غزو المحور » .

فكر الجنرال « إيزنهاور » ملياً فى هذا الأمر ، وقال لنفسه : « ستنزل القوات الأمريكية والبريطانية إلى شواطئ شمال إفريقية فى الساعة الواحدة فى صباح يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ . ومن المحتمل ، إذا نحن ضربنا موعداً سرياً مع الفرنسيين الموالين لنا فى تلك البلاد ، أن نتمكن من الحصول على معلومات قد تنقذ أرواح عدد كبير من الجنود الشبان الذين يحتشدون الآن على سفن النقل . بيد أن هذه المغامرة تنطوى على خطر رهيب ، فقد يكشف أمر البعثة السرية ، ويكون هذا إنذاراً لكبار ضباط فيشى والضباط النازيين بما يجرى

الآن على قدم وساق . فإذا حدث شيء من هذا فقد ينتهي عمل الغزو بكارثة مروعة» .

ثم التفت الجنرال « إيزنهاور» إلى رجل مديد القامة، طوله ست أقدام وثلاث بوصات، كان جالساً قبالتـه ، وهو الميجور جنرال « مارك واين كلارك » وكيله في القيادة ، وبادره قائلا في هدوء: «أعتقد أنك تستطيع الاضطلاع بهذه المهمة يا كلارك » .

وما إن اتفق الرجلان على الأمر حتى توجها معاً إلى شارع دوننج رقم ١٠ (مقر رياسة الوزارة البريطانية) ، وأطلعا المستر تشرتشل على الخطة في أثناء تناولها معـه طعام الغداء. فرحب بها لأنها مغامرة تصادف هوى في قلبه ، ولأنها من تلك المغامرات التي ما كان ليتردد في الإقدام عليها والاستبسال فيها قبل نصف قرن . ثم قال : « اتفقنا . سأعاونكم معاونة تامة » .

ومن ثم خرج الجنرال « كلارك » للبحث عن الرجال الأربعة الذين كان عليه أن يصطحبهم معـه ، فوقع اختيـاره على الكابتن « جـيرولد رايت » من ضـباط البحرية الأمريكية ، وهو من أبرع الرجال في الرماية ؛ والكولونيـل « جوليوس هومر » ، وهو يجيد الفرنسية ويعرف بلاد الجزائر ، والكولونيل « آرتش هامبلن » الخبير في الشـئون البحرية ، والبريجادير جنرال « ليمان لمنتزر » من ضباط العمليات البحرية . وقد أصدر الجنرال « كلارك » التعليمات الآتية إلى كل منهم :

« غادر مكتبك كأنك ستعود بعد ساعة على الأكثر . وخـذ معك ما تستطيع أن تضعه في حقيبة صغيرة تحملها فوق ظهرك ، ولا تأخذ مستنداً ما . سنرحل الليلة » .

وقد حمـل هؤلاء الضـباط معهم — علاوة على تلك الحقائب — مسدسات كبـيرة ، ومدافع « تومي » ، وكمية من نقود الذهب ، كانت قيمتها ٦٠٠ دولار —لا ١٨٫٠٠٠ دولار كما روت الصحف— للاستعانة بها في الطوارئ .

وفي منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم ١٨ أكتوبر ، حلقت طائرتان كبيرتان في الجو ، فانطلق هدير محركاتها في الفضاء . وهكذا بدأت تلك البعثة التاريخية مغامرتها .

وفي أثناء ذلك أرسلت برقيات بالشفرة فيها أوامر للكابتن « د . ا . فاوكس » في إحدى القواعد البحرية البريطانية ، لإعداد غواصة وأربعة زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب والقماش — وهي زوارق تعرف باسم كاياك — لاستخدامها في نقل الركاب من الغواصة إلى البر . وقد انضم ثلاثة من ضباط « الكوماندو » الخبراء في هذه الشئون إلى البعثة وهم : الكابتن « ج . ب . جامبو

كورتنى»، والكابتن «ر.ب. لفنجستون»، واللفتنانت « ج . ب . فوت » .

وقد وصل الميجر جنرال « كلارك » وزملاؤه إلى تلك القاعدة فى ساعة متأخرة من بعد الظهر . فأصغى الكابتن « فاوكس » باهتمام إلى تفاصيل الخطة، ثم قال فى هدوء : « إن هذا عمل محفوف بخطر عظيم . فى وسعنا أن ننقلكم إلى البر . وليس فى هذا مشقة ما . ولكن هذه الزوارق صغيرة خفيفة كالأصداف . ولن تتمكنوا من تعويمها والعودة بها إذا كان البحر مائجاً » . فقال « كلارك » : إنه فكر فى هذه المخاطرة، وقبل الاضطلاع بها بعد ما قلبها على جميع وجوهها .

واستأنف « فاوكس » حديثه قائلا : « إن مغامرتكم هذه ياجنرال شديدة الشبه بالقصص البوليسية التى يؤلفها « أوبنهايم » حيث تجد البطل يذهب إلى دار ريفية مسكونة، فيبدو من نافذتها ضوء عند منتصف الليل » .

فقال « كلارك » فى حدة : « وكيف عرفت هذه التفاصيل ؟ »، ذلك بأن الاتفاق كان قد تم على ألا ينزل رجال البعثة إلى البر إلا إذا لمحوا ضوءاً من نافذة دار ريفية .

وعند ما دلف الضباط الأمريكيون الخمسة ورجال الكوماندو الإنجليز الثلاثة خلف اللفتنانت « جويل » قائد الغواصة إلى سفينته التى تفريغها ٧٥٠ طناً، كان القمر قد طلع . وقد أخذ هؤلاء الرجال معهم « بطاريات » ينبعث منها ضوء أزرق لا ترى أشعته من الجانبين، وذلك لاستخدامها فى إرسال الإشارات المتفق عليها بطريقة « مورس »، على أثر نزولهم إلى البر . وحملوا معهم كذلك جهازاً لاسلكياً صغيراً يمكنهم من الاتصال بالغواصة، بحيث لا يتمكن الألمانيون من التقاط ما يدور بين الفريقين من حديث . ثم دارت محركات الغواصة وأقلعت .

وفى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل التالى لمح أفراد البعثة إشارة اللقاء الضوئية على الشاطئ الأفريقى، ولكنهم أبوا أن يخاطروا بالنزول إلى البحر، لأن الشمس كانت على وشك البزوغ، فما كان منهم إلا أن غاصوا بغواصتهم فى البحر انتظاراً للمساء . وكان فى وسع « كلارك » أن يرى من خلال منظار الغواصة (البيريسكوب) الدار الريفية القديمة المبنية على الطراز المراكشى، والقائمة فوق حافة منحدر صخرى كأنه جرف هار، ورأى خلف هذه الدار الطريق الرئيسى المؤدى إلى الجزائر، ولكنه لم يتبين أثراً ما لشخص ما فى ذلك المكان .

وبعد أن تأمل الكولونيل « هومز » هذا المشهد ، وهو نهب لانفعالات مختلطة قال : « لقد رأيت هذا الطريق آخر مرة عند ما قطعته مع زوجتي إبان شهر العسل » .

وقد ظلت تلك الغواصة الصغيرة خمس عشرة ساعة تحت سطح الماء ، ففسد الهواء داخلها ، حتى تعذر إشعال عود من الثقاب فيها . وكان الرجال يتنفسون بصعوبة ، ويلهثون ويبتلعون ريقهم بمشقة . ثم أصيبوا بشبه دوار ، وكانوا إذا بذلوا أقل جهد أحسوا تعباً شديداً وإعياء .

وأخيراً جن الليل ، وارتفعت الغواصة إلى سطح الماء . وصعد الرجال إلى برجها ، فداعب هواء الليل وجوههم ، وأعاد إليهم نشاطهم وصفاء أذهانهم ، وأقاموا ينتظرون انبثاق الإشارة الضوئية من جديد .

وقد بلغت الساعة الثامنة مساء ، ثم التاسعة ، والدار الريفية لا تزال مظلمة . فجعل أفراد البعثة يتساءلون : هل كان مقدراً لهم أن يقضوا أربعاً وعشرين ساعة أخرى في هذا الجو الخانق ؟ زمجر «لمنتزر» قائلا : « لقد حدث شيء . ولن تنبعث إشارة ضوئية ما » . فقال « كلارك » : « بل سينبعث الضوء . وأنا أراهن بعشرة دولارات على ذلك » .

وقد قبل الجميع هذا الرهان إلا «هومز» . ثم هبط « كلارك » إلى داخل الغواصة ليغفوا غفوة قصيرة . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة أيقظه « هومز » قائلا : « ربحت الرهان ، فقد لمحنا الإشارة الضوئية منذ لحظة » . ومن ثم أخرج الرجال الزوارق الصغيرة من كوة الطوربيد وأنزلوها إلى الماء ، واستقلوها وسيروها متقاربة ، ويمموا الساحل في موج يرشهم رذاذه البارد . ولما أصبحوا على نحو ٥٠٠ ياردة من الشاطئ توقفوا عن السير ، واستقر رأيهم على إرسال اثنين منهم للاستيثاق من خلو المكان ، إذ من الجائز أن يكون البوليس الخاضع لإشراف حكومة فيشي قد وقف على الخطة ، وأمر رجاله بالتربص بين الأشجار على الشاطئ ، فيكون معنى ذلك أنهم على قيد خطوات من شرك نصب لهم .

كان « جوليوس هومز » أعرف باللغة الفرنسية من سائر أعضاء البعثة ، وكان يعرف بعض الأهالي في تلك المنطقة ، فتقدم رجال البعثة مصطحباً الكابتن «لفنجستون» من رجال الكوماندو . وإن هي إلا عشر دقائق حتى وصل بهم الزورق إلى الشاطئ ، فنزل الاثنان إلى البر وفي يد كل منهما مسدسه ، وتقدما في حذر واحتراس . وفجأة أدركا أن شخصاً يتحرك على مقربة

منهما . فدارا على أعقابهما بسرعة وشهرا المسدسين ، ثم سمعا صوتاً يخاطبهما بالإنجليزية قائلا : « من هناك ؟ » ، فرد عليه «هومر» قائلا«من أنت؟»، فأجاب : « أنا ردجواى نايت» . وكان « ردجواى نايت » هذا وكيل القنصلية الأمريكية ، وقد اشترك فى اتخاذ التدابير اللازمة للمقابلة. فقال «هومر» « أنا جوليوس هومر . أين بب مورفى؟ » (كان مورفى القنصل الأمريكى العام فى شمال إفريقية ، وكان صاحب الشأن فى تدبير هذا الاجتماع) . فأجاب «نايت» : «سيصل بعد لحظة . إن كل شىء على ما يرام » .

ثم تلفت « هومر » إلى «لفنجستون» قائلا : « أرسل الإشارة » .

وأرسل لفنجستون إلى بقية أفراد البعثة إشارة ضوئية فهموا منها أن الأمور تجرى فى المجرى المتفق عليه . وإن هى إلا دقائق معدودات حتى نزل بقية الرجال إلى البر من الزوارق الصغيرة . ثم أرسلت إشارة ضوئية أخرى إلى الغواصة ، وكانت راسية تجاه الشاطىء ، فتوقفت محركاتها عن الدوران .

ولكى يخفى هؤلاء الرجال المبللون المرتعدون زوارقهم ، جروها إلى الدار الريفية ووضعوها فى المطبخ . ثم خلعوا ملابسهم ، ونشروها لتجف . وبعد أن تناولوا طعاماً خفيفاً — والمرء إذا انفعل ضعف اشتهاؤه الطعام — استسلموا للنعاس ، حتى جاء الفرنسيون فى الساعة السابعة صباحاً فبدأ المؤتمر .

فى هذا المؤتمر حصل أفراد البعثة على بيانات غاية فى خطر الشأن ولا تقدّر بمال ، وهى تتضمن حقائق عن حمولة السفن التى تستطيع الرسو فى موانىء الدار البيضاء والجزائر ووهران وتونس . ووقفوا على الخطط التى وضعتها البحرية الفرنسية للحيلولة دون نزول قوة ما إلى السواحل ، وظفروا بكشف الأماكن التى ينتظر أن تكون فيها مقاومة الجيش الفرنسى عنيفة ، والأماكن التى لن يقاوم فيها الفرنسيون إلا ذراً للرماد فى العيون ، كما ظهروا على معلومات خاصة بمهابط الطائرات . وقد اتضح فيما بعد أن هذه المعلومات الأخيرة ذات قيمة لا تقدر .

وارتفعت الشمس فى كبد السماء ، ثم مالت إلى الغروب والرجال لم يفرغوا من الكلام ودراسة الأرقام ووضع العلامات على الخرائط .

بيد أن حظ الجنرال« كلارك » أوشك فى آخر الأمر أن ينتهى إلى الخيبة . فقد سمع «جيرون رايت» صوتاً رابه ، فخرج مسرعاً من الدار . وكانت الريح تصفر حول سطح الدار المغطى بقطع من القرميد الأحمر ، وكانت ترتطم بالشاطىء أمواج عالية

من مجورة . وكان « رايت » يعلم أنه لن يمكن إنزال الزوارق إلى الماء إذا ظلت الأمواج مصطخبة على هذا النحو ، فعاد إلى زملائه وقد تبدت الكآبة على قسماته . وفى أثناء ذلك توجه خادمان أعرابيان — كان صاحب الدار قد أعفاهما من العمل فى صباح ذلك اليوم مبالغة فى الاحتياط — إلى مدينة واقعة بالقرب من ذلك المكان ، حيث زارا مدير البوليس وقالا له إنهما رأيا أناساً غرباء يحملون حزماً (الزوارق) كبيرة إلى الدار الريفية ، وقالا إن تلك الدار كانت فى وقت من الأوقات وكراً للمهربين ، فمن الجائز أن تكون الآن مستخدمة للغرض نفسه . فما كان من مدير البوليس إلا أن أرسل بعض رجاله فى سيارة إلى ذلك المكان الذى اجتمع فيه رجال البعثة بالفرنسيين الموالين للحلفاء ...

هوت الشمس إلى البحر واختفت وراء الأفق ، وكانت الأنوار تضىء غرفة الاجتماع من خلف نوافذ الدار الريفية المغطاة . وكانت المباحثات قد انتهت تقريباً ، ولم تبق سوى نقطة واحدة تحتاج إلى الفصل فيها والاتفاق عليها . قال أحد الضباط الفرنسيين : « لا بد من أن يكون لنا قائد نتبعه ونتقاد لأمره . وأقترح أن يكون هذا القائد الجنرال « هنرى هونورى جيرو » فعارضه « كلارك » قائلاً : « ولكنه فى فرنسا شبه سجين . » . فقال الضابط الفرنسى : « لابد من إنقاذه وإحضاره إلى هنا فهو الضابط الوحيد الذى يستطيع أن يفوز بولاء الشيع الكثيرة المتنازعة هنا » .

فوافق « كلارك » على كلامه ، ووعد بإنقاذ جيرو وإحضاره إلى شمال إفريقيا . (وقد بر « كلارك » بهذا الوعد — ولكن هذه قصة أخرى) .

ثم حدث أن دق جرس التليفون فى الغرفة المجاورة ، فاعتدل المجتمعون فى مقاعدهم ، ونظر كل منهم إلى الآخر . وبعد أن أجاب صاحب الدار المتكلم فى التليفون ، عاد مهرولا إلى غرفة الاجتماع وقد جحظت عيناه من شدة الخوف ، وقال : « البوليس ! سيكون رجال البوليس هنا بعد خمس دقائق ! » . فأسرع معظم الضباط الفرنسيين — الكبار منهم — إلى الخارج ، لعلمهم أن العثور بهم فى ذلك المكان وفى هذه الحالة معناه إعدامهم رمياً بالرصاص ، لأن عملهم هذا يعد خيانة . وبعد ثوان معدودات دارت محركات سياراتهم وأدبروا .

أما زملاء « كلارك » فقد جمعوا الخرائط والأوراق ودسوها فى ملابسهم ، وأدركوا أنهم وقعوا فى شرك بين بوليس فيشى والبحر المائج . وهاهى ذى سيارات

البوليس قد اقتربت من الدار ، وانعكست أضواء مصابيحها اللامعة على جدرانها البيض ، فأين يختبئون ؟

وكان من رأى « كلارك » أن يسرع الجميع إلى الغابات ، فاعترض « مورفى » قائلا : « إذا ارتاب رجال البوليس فى الأمر وشرعوا فى البحث ، فقد لا يتعذر عليهم الاهتداء إلى أماكن الأمريكيين » . ثم استطرد « مورفى » قائلا : « هنا قبو خال مخصص لحفظ النبيذ ، فاختبئوا فيه وسأتخلص أنا من رجال البوليس » .

ولكن « كلارك » لم يرتح إلى هذه الفكرة ، لأن القبو كان أشبه ما يكون بمصيدة الجرذان ، ولا مجال للحركة فيه . على أنه لم يبق لديهم الآن وقت للتفكير فى طريقة أخرى للاختفاء ، فقد كانوا يسمعون حركة رجال البوليس وهم يهبطون من سياراتهم . فجمع الضباط الثمانية مسدساتهم وبنادقهم الرشاشة ونزلوا إلى القبو . أغلق «مورفى» الأبواب عليهم ، ووضع فوقها عدداً من الصناديق ، ثم عاد لمقابلة رجال البوليس .

وخطرت لمورفى خطة قد يكتب لها النجاح ، فقد كان على المائدة التى جلس إليها المجتمعون أعقاب سجائر وزجاجات نصف ممتلئة بالنبيذ ، فطلب إلى ضابطين فرنسيين أن يغامرا بحياتهما ويتظاهرا بأنهما يسكران مع « مورفى » ، فجعلوا ينشدون طائفة من الأغانى التى يغنيها السكارى ، ويقهقهون ويتكلمون بصوت عال . وكان هذا هو المنظر الذى رآه مدير البوليس عند ما دخل الدار بعد لحظة .

والآن ننتقل إلى القبو — ولم تكن مساحته تتجاوز عشر أقدام مربعة — فنجد « كلارك » قد صف زملاءه خلف السلم ، وإلى جوار الجدران ، حتى لا يراهم من يطل من كوة السقف . ولكن ماذا تكون الحال إذا ما نزل أحد رجال البوليس لإلقاء نظرة عليه ؟ لقد أصدر الجنرال « كلارك » أمراً قاطعاً إلى رجاله بإطلاق النار بقصد القتل على الفور . على أن الموقف ما لبث أن ازداد تحرجاً فى الطابق الأعلى ، فقد كانوا يسمعون « بوب مورفى » يجادل مدير البوليس ، ويقول له صاخباً محتجاً إنه أقام مع بعض أصدقائه وليمة ، فأية جريمة فى هذا ؟ ماذا يقول جناب المدير لو داهم رجال البوليس الأمريكى منزلا يقيم فيه بعض الرعايا الفرنسيين فى نيويورك ؟ بيد أن الأصوات كانت تقترب من القبو حتى خيل إلى « كلارك » وصحبه أن رجال البوليس قد هبطوا إليه .

على أن شهقات مكتومة قطعت الصمت الشديد فى القبو . فقد كان «جامبو كورتنى»

يحاول كتم سعال انتابه ، وقد خيل إلى رفاقه أن شهيقه يدوى فيسمع فى مدينة الجزائر ! وهنا قال « جامبو » وهو يحاول ما وسعته المحاولة أن يكتم سعاله : « أعوذ بالله ! أخشى أن أختنق » . فقال « كلارك » فى تجهم : « أما أنا فأخشى ألا تختنق . . خذ هذه « اللبانة » وامضغها » . فمد « جامبو » يده وأخذ « اللبانة » وأخذ يمضغها مضغ اليائس ، فزال تشنجه هنيهة وعاد السكون إلى القبو ، وأصبح فى وسع هؤلاء الرجال أن يسمعوا نبضات قلوبهم . أما فى الطابق الأعلى فلم يكن « مورفى » قد فرغ من جدله وصياحه ، وكان الضباط الفرنسيون البسل ينشدون إحدى أغنيات السكارى . وكانت الدقائق تتوالى فى بطء شديد ، وكل دقيقة كأنها قرن طويل .

ثم حدث أن تغيرت لهجة الأصوات فى الطابق الأعلى ، إذ بدا أن مدير البوليس خفف من حدته ، فتنفس « هومر » الصعداء وقال هامساً : «لقد أقنعه بوب» .

وبعد أن قرر مدير البوليس أنه لم يجد أثراً لأعمال التهريب فى الدار ، قال إنه مضطر مع ذلك إلى تقديم تقرير عن الحادث إلى رئيسه ، وأن هذا الأخير سينظر فى الأمر لا محالة .

وفى تلك اللحظة انتابت « جامبو » نوبة سعال أخرى . فهمس « كلارك » فى أذنه قائلا : « امضغ اللبانة » . فقال « جامبو » : « إنى أمضغها يا سيدى ، ولكنها لم تعد حلوة المذاق » .

فرد عليه « كلارك » هامساً : « لا عجب ، فقد مضغتها أنا ساعة قبل أن أعطيك إياها » .

فعد هذا نكتة بارعة . . . ولكن بعد أن انتهت المغامرة طبعاً ! وأخيراً خف وطء الأقدام فى الطابق الأعلى . وبعد أن سمع « كلارك » ورفاقه سيارة البوليس تبتعد عن الدار ، صعدوا متلهفين للوصول إلى الغواصة فى أقرب وقت ممكن . بيد أن الأمواج كانت لا تزال ترتطم بالشاطئ . وهنا قال « جيرى رايت » : « إن إنزال زورق كبير إلى هذا البحر المصطخب الأمواج من أشق الأمور » . ومع ذلك فقد تكللت أعمال البعثة بالنجاح حتى الآن ، ولم يبق أمامها إلا العودة بالمعلومات التى ظفرت بها حتى يكمل هذا النجاح .

قال كلارك : « فلنحاول العودة » . وفى الحال أرسلت إلى الغواصة إشارة لاسلكية فحواها : « اقتربوا من الشاطئ بقدر ما فى استطاعتكم . إننا نعانى شدة . وسنستقل الزوارق فى الحال » .

ثم حمل أفراد البعثة الزوارق على الشاطئ الذى تعصف عليه الرياح عصفاً

وكان إنزال هذه الزوارق ، وحجمها لا يكاد يزيد على حجم الزوارق الصغيرة التى يلعب بها الأطفال ، إلى هذا البحر المائج عملا جريئاً حقاً . وقد خلع « كلارك » ملابسه الخارجية وحملها وسار بين الأمواج المتلاطمة المتكسرة مع « لفنجستون » ، وحاولا أن يستقلا زورقهما الصغير مستخدمين المجاذيف . ولكن حدث فى تلك اللحظة أن ارتطمت بهم موجة كالحائط ، فانقلب الزورق واختفيا بين زبد الأمواج المصطخبة.

وبعد هنيهة تدحرجا إلى الشاطىء وقد غطى رمل البحر جسميهما ، وشرقا بمائه الملح ، وسحب الآخرون الزورق . أما المجاذيف وملابس الجنرال فقد حملها التيار بعيداً . وهنا صرخ أحدهم : « أحضر له سراويله ! » فصاح « رايت » : « دعك من سراويله الآن . أحضر المجاذيف ! » وقد أحضرت ، أما السراويل فلا تزال فى مكان ما بأفريقية !

ولقد اضطر « كلارك » نفسه إلى التسليم بأنه لم يكن فى استطاعتهم أن ينزلوا الزوارق إلى البحر فى تلك الليلة ، كما أدرك أنهم قد يرون أن لا معدى لهم عن البقاء فى ذلك المكان عدة أيام ، إذا ظلت الريح تهب هذا الهبوب الشديد . ولكنه أبى أن يعود إلى القبو ، سواء أجاء رجال البوليس أم لم يجيئوا ، مفضلا الاختباء فى الغابات حيث يستطيع المرء أن يشق لنفسه طريقاً بالرصاص إذا طرأ طارىء ما .

وعلى ذلك اختبأوا وخبأوا الزوارق معهم بين أشجار النخيل ، وكانت فرائصهم ترتعد من شدة البرد ، إذ لم يكن يستر أجسامهم إلا ملابسهم الداخلية الخفيفة . وفى اليوم التالى تولى كبار الضباط الحراسة بالتناوب وهم مرتدون سراويلهم القصيرة ! وظلت الريح تهب بعنف وتحول بينهم وبين النجاة .

وقد عاد رجال البوليس فى الساعة ١١ مساء ، وكان رجال البعثة متوارين فى الغابات، شاهرين أسلحتهم مستعدين للطوارىء . أما « مورفى » فقد حيى رجال البوليس مرة أخرى بابتسامته الرقيقة، وجعل يتحدث معهم بسرعة وذلاقة . بيد أن رجال البوليس لم يفتشوا الغابات واكتفوا بالإعراب عن عدم ارتياحهم قائلين إنهم سيعودون فى الصباح .

وفى حوالى الساعة الرابعة صباحاً هدأت الريح قليلا على الرغم من أن البحر كان شديد الهياج . فقال « كلارك » : « لنحاول مرة أخرى » . وفى الحال بعث برسالة لاسلكية إلى الغواصة أفرغها فى قالب أمر هذا نصه : « اقتربوا من الشاطىء إلى اقصى حد ممكن ».

ثم أعد « جامبو » و « رايت »

واللازمان الفرنسيان الزورق الأول، فاستقله « كلارك » و « رايت » . وجعل الرجال الأربعة يحاولون تعويم الزورق بالرغم من الأمواج التي كانت ترتطم بالشاطىء، إلى أن صاح بهم « رايت » قائلا : « والآن تشجعوا يارفاق » ! فدفع الرجال الأربعة الزورق إلى الأمام على شاطىء عجاج . ولما شاهد « رايت » رقعة هادئة من الماء صاح: « هنا » ! وجعل « كلارك » و « رايت » يجذفان بكل قوتهما ، فتسلق الزورق موجة عالية ، ثم لم يلبث أن انساب بين الأمواج .

وبينما كان الكابتن « رايت » يوجه الزورق نحو الغواصة قال بصوت أجش : « لم يارب ! أبعد ثلاثين سنة في خدمة الأسطول أنتهي إلى قيادة زورق ! » . وفي أثناء ذلك كان الآخرون يحاولون تعويم زوارقهم .

وقد استخدم الجنرال « لمنتزر » ، واللفتنانت «فوت» ، لتعويم زورقهما نفس الطريقة التي لجأ إليها « جامبو » و« نايت » والضابطان الفرنسيان ، بيد أن زورقهما انقلب من فوره ، وجرفتهما الأمواج مع الزورق إلى الشاطىء . ثم حاولا محاولة أخرى فتمكنا من تعويم الزورق بأعجوبة . وقد عوم « هومر » و « لفنجستون » زورقهما دون أن يحدث لهما حادث ما .

أما « ارتش هامبلن » و « جامبو » فقد خابا في المحاولة الأولى ، وكانا آخر من وصل الغواصة . ولما وصلا ارتطمت موجة هائلة بزورقهما ورفعته إلى علو كبير ، ثم هوت به على الغواصة ، فانتشل رجال الغواصة الرجلين ، بينما تدفقت المياه على ظهر الغواصة . أما الزورق فقد شطرته الموجة شطرين ، وحملته معها .

وقد أدرك أفراد البعثة خطر ترك الزورق المشطور على هذا النحو ، بما فيه من خطابات وملابس عسكرية وحقيبة فيها نقود من الذهب ، فقد يعثر على هذه الأشياء مبعثرة على الشاطىء ، فيفضح أمر الأمريكيين . ولهذا أرسلوا في الحال إنذاراً إلى «مورفي» ، لكي يطهر الشاطىء من هذه الأشياء .

وفي ساعة مبكرة من الصباح بحث « مورفي » و « نايت » والضابطان الفرنسيان عن حطام الزورق والملابس والحقيبة وأبادوها كلها .

أما الغواصة فقد أدارت مقدمتها نحو الشمال ، وطفقت تسير بأقصى سرعتها ، وهي أربع عقد بحرية في الساعة حين تكون غائصة . ولما كان « كلارك » مهتماً بحمل البيانات والمعلومات التي حصل عليها إلى لندن في أقصر وقت ممكن ، فقد وطن العزم على

المخاطرة باستعمال التخاطب باللاسلكى ، وأرسل رسالة لاسلكية إلى أقرب قاعدة إنجليزية ، بين فيها مسير الغواصة وسرعتها ومكانها ، طالباً أن ترسل إليه طائرة . وفى الساعة الثالثة والثلث من بعد الظهر حلقت طائرة مائيـة من طراز « كاتالينا » فوق الغواصة . وإن هى إلا ساعة ونصف ساعة حتى وصلت الطائرة بـ « كلارك » ورجاله إلى قاعدتها ، وما هبطوا منها حتى أرسلوا برقية فيها أنباء نجاحهم العظيم ، ثم استقلوا طائرتين عمتا بهم شطر انجلترا . وقد واجهت الطائرة التى كانت تقل « كلارك » جميع أنواع الصعاب ، كأن القدر كان يأبى عليه التوفيق التام فى مهمته . وظلت هذه الطائرة عدة ساعات ضالة فى الضباب ، وترنحت فى وقت ما لكثرة ما تراكم عليها من الجليد . وقد وصف الجنرال « كلارك » رحلته على متن هذه الطائرة بقوله : « إنها تركت فى نفسى ألذ قشعريرة أحسست بها فى جميع مراحل المغامرة » .

وعندما وصلت الطائرة الأولى إلى انجلترا استولى القلق على نفوس الجميع ، بيد أن الطائرة التى كانت تقل « كلارك » هبطت سالمة أخيراً ، ولم يكن قد بقى فيها من البنزين ما يساوى أكثر من درهمات.

وقد قدمت هـذا المقال إلى الجنرال « كلارك » فى مقر قيادته بشمال أفريقية . حيث يتولى قيادة الجيش الأمريكى الخامس ، ورجوته أن يلقى عليه نظرة للتحقق من دقته ، ثم بادرته قائلا : « والآن ما هى النتائج التى أسفرت عنها مخاطرتكم ؟ » فتأمل هنيهة ثم أجابنى قائلا : « إنى مقتنع بأن المعلومات التى حصلنا عليها أنقذت آلافاً من أرواح الأمريكيين والبريطانيين . ولن أعين لك رقماً ما ، إذ ليس فى وسع أحد أن يحدد ذلك بدقة . وعلاوة على ذلك ، فإن القوات الفرنسية تستبسل الآن فى القتال فى خطوطنا الأماميـة ، بفضل الخطط التى وضعت خلال المؤتمر الذى عقدناه فى تلك الدار الريفية . أما فيما يتعلق بى فحسبى أن أقول لك : إننا جوزينا على عملنا خير الجزاء ، ولا شك أن العمل يستحق المخاطرة التى تعرضنا لها » .



● قد يفشل الرجل مراراً فى عمله ، ولكنه لا يعد خائباً إلا إذا بدأ يلوم غيره .

(برنارد شو)

فامر بسمعته ، وغامرت بحياتها ، ففتحا فى الطب فتحاً مبينا

بطل البرارى

جيمز توماس فلكسنر

ملخصة من كتاب « أطباء على ظهور الجياد »

أمام كوخ فى قرية من قرى غابات الحدود ، التى بلغها الأمريكيون فى استعمارهم الولايات المتحدة فى القرن الثامن عشر ، تجمع لفيف من الناس على صوت حافر من بعيد ، فشخصت أبصارهم إلى ما وراء التل .

وازداد وقع الحافر على جليد الأرض وضوحاً ، وإذا فارس فوق التل ، على رأسه غطاء من فرو ، وقد رفع ياقته ، وهى من فرو ، حتى كادت تبلغ غطاء رأسه . وظهر من بين الفروين عيناه : صغيرتين براقتين ، وظهر أنفه كبيراً أزرق من شدة البرد . وترجل الراكب فى بطء المتعب المجهود ، وتلقاه طبيبا القرية ، فانتحى بهما جانباً يتحدثون .

تلقى الطبيبان زميلهما الوافد بكل إجلال ، فإن هذا الرجل ، ابن الثامنة والثلاثين ، كان يعدّ الجراح الأول فى الإقليم كله فى السنوات العشر الماضية ، أى منذ عام ١٧٩٩. وكان اسمه إفرايم مكدوول ، وهو اسم ذائع فى كل مستعمرة بكل غابة من غابات تلك الناحية . فما احتاج أحد من سكان تلك المستعمرات إلى عملية جراحية تكبر على حذق الطبيب المحلى ، إلا وذهب خبر ذلك إلى جراحنا هذا ، ثم لا يكاد يبلغه الخبر حتى يحشر على عجل عدده وعقاقيره فى خرجه ، وهو من جلد بال ، ثم يركب الأميال الطوال إلى غايته . وقد ركب الأميال أيضاً هذه المرة لعلاج مسز كروفورد ، ركب ستين ميلا لبلوغ دارها ، ومع هذا لم يعدها مسافة طويلة شاسعة يعتبر اجتيازها من الخوارق لأنه كثيراً ما ركب المائة من الأميال .

وأخبر الطبيبان القهان الطبيب الزائر ، مكدوول ، أن مسز كروفورد حامل ، وأنه مر عليها الشهر التاسع والشهر العاشر بآلام للوضع جسام ، ومع كل هذا لم يريا عليها قط علامة من علامات الوضع . ودخل مكدوول الكوخ ، فوجد امرأة على

قصرها ضخمة الجسم ، ترقد فى فراش حشوه من أغصان الصفصاف . وحاولت أن تبتسم له بالسلام ، ولكن جاءتها نوبة من الألم زمت لها شفتيها . وجلس مكدوول إلى جانبها ، وأخذ يمتحنها ، ويمر بيده خفيفة على جسد شاع الوجع فيه . ولما انتهى ، رجا من حوله أن يتركوه مع المريضة وحدها . فلما فعلوا قال لها : يا سيدتى ، إنك لست حاملاً ، ولكن بك تضخم فى المبايض .

وذهب ظلام الليل بأضواء الشفق من وراء النافذة ، ولم يكن يسدها زجاج وإنما هو ورق أشرب بالزيت حتى شفّ ، والطبيب لا يزال عند سرير المريضة يحدثها حديثاً خطيراً أحدث فى تاريخ الطب حدثاً عظيما . قال لها الطبيب إنه تعلم الطب فى إدنبرة عاصمة الاسكتلنديين ، وهى عاصمة بالطب شهيرة ، وتعلم فيها الجراحة على أيدى جراحين من خير من تعرف الدنيا . وأنهم علموه أن النساء إذا أصابهن تورم المبيض وتضخمه فقد حل قضاء الله بهن ، وانهن لا بد طائرات إلى الموت على الأرجح ، بعد نامين يذقن فيهما العذاب مراًمتزايدة مرارته على الأيام . وقال لها : إن هؤلاء الأساتذة ، على قلة رجائهم واستسلامهم فى هذا الداء لليأس ، كانوا دائماً يتساءلون : أفى الإمكان الشفاء ببتر تلك الأجزاء التى أصابها الداء ؟ وإذن تكون العملية كاستئصال المبيض فى الحيوانات ، والحيوانات تشفى بعد استئصال المبيض . وحرص مكدوول على أن يزيد فيقول لمسز كروفورد : إن هذا الاقتراح لم يكد يقترح فى مجامع العلماء العظماء من الأطباء حتى لقى معارضة شديدة اضطرت أصحابه إلى استرداده .

فقد كانت الجراحة عند ذاك قصراً على تضميد الجراح وبتر الأطراف ، أما أحشاء الجسم الباطنة فلم يجسر جراح على غزوها . وساد الاعتقاد بأن جدران البطن، إذا شقت فتعرض باطنها للهواء ، لا يلبث أن تصيبه العدوى، ثم الموت من جرائها . لهذا لم يجرؤ طبيب قط على المجازفة بإجراء عملية كهذه وتركوا المريض يموت بعد آلام طوال . ولكن مكدوول شذ فلم يعتقد هذه العقيدة، فارتأى أن المريض لا بد أن يبرأ كما يبرأ الحيوان . وهب أن الشفاء غير محقق ، وهب أن احتمال النجاح واحد فى الخمسين ، أفليست هذه المخاطرة خيراً من قطع الأمل ؟

علم مكدوول أنه إذا أجرى العملية فخابت ، وماتت صاحبتنا بسببها كما يتنبأ الأطباء أجمعون ، فعندئذ لن يكون له من حكم القضاء مفرّ ، وعندئذ لن تستطيع محكمة إلا أن تدينه بالقتل ، لأنه لن يوجد

طبيب آخر يشهد أمام المحكمة بغير ذلك . وهب أنه فر من حكم القضاء ، فماذا يكون مستقبله بعد ذلك ؟ لا شيء . فعيادته التى أسسها على السنوات الطويلة لا بد ذاهبة . فمن من الناس يأمن بعد ذلك جراحاً بلغ هذا الحد من الرعونة وإرخاص الحياة ؟

علم مكدوول كل هذا ، ولكنه رأى أنه قد يكون فى هذه العملية خلاص هذه المريضة ، فرغب فى إجرائها والمقامرة بسمعته فيها ، وحسب أن غيره من الأطباء قد يكون غالى فى تقدير سمعته ، فقدر لها ثمناً أكبر مما قدر لحياة مرضاه .

قال الجراح لمريضته : «إذا أنت رضيت المخاطرة ، وقبلت الموت فيها ، فأنا راض بإجراء العملية » . ولكن عندئذ يجب أن تذهب معه إلى دنفيل . نعم ، إلى دنفيل ، ففى دنفيل بيته وعيادته وأجهزته وأدويته ، وفيها المساعدون المتدربون . وفيها وحدها يستطيع أن يبذل لها من العناية ما هو حقيق بعملية خطيرة كهذه ، بلغ من خطرها أن أحداً قبله لم يقدم على إجرائها .

فأجابت السيدة بصوت هادئ رزين : « سأذهب معك » .

وفى الصباح التالى اقترضوا لها من أهل الناحية أهدأ حصان يمكن اقتراضه ، وحملوها عليه . وصحبتها زوجة جار لها ، لأن زوجها هى لم يستطع أن يصحبها ، وتخلف عنها يرعى المزرعة والأطفال . ومر ثلاثتهم وسط القرية ، فنظر إليهم أهلها ، وفى أعينهم رحمة للمرأة المنكوبة ، وكراهة لهذا الطبيب الذى يريد أن يضحى بها إشباعاً لغباوة فى فكره وعجب فى نفسه

وكان سفراً طويلا بطيئاً شاقاً إلى دنفيل — ولم تكن عند ذاك غير قرية تباهى القرى بما لا يزيد عن مائة بيت . ولما وصلوا استقبلتهم زوجة الجراح ، واعتنت بالمريضة عناية من يفهم الصناعة ، وذهبت بها فأرقدتها تواً فى الفراش .

وكان لمكدوول ابن أخ جراح ، تعلم فى فيلادلفيا فأحسن تعلماً ، وكان شريكه فى العمل . فلما سمع بالذى اعتزمه عمه استاء استياءاً شديداً . لأنه علم أن مسز كروفورد لا بد ذاهبة للموت ، وستذهب سمعتهما وعيادتهما . وناقش عمه ونفض يديه من أمر ينطوى على مثل هذا الجنون .

طغى الحديث عن هذه العملية المنتظرة على أحاديث الناس فى هذه القرية الصغيرة . وبدأ الحديث عنها كأحاديث الإشاعات ، ثم إذا به يقوى ويشتد ، وإذا بالرجال تقول : إنه لابد أن يمنع مكدوول من إجرائها .

واختار الجراح لإجراء عمليته يوماً حسب القلوب تتعطف فيه . اختار لها يوم

مولد المسيح بن مريم ، واستعد له بمراجعة كتبه ليستذكر بها صور البطن . وقام كل يوم يتمثل ما يعتزم فى العملية إجراءه ، حتى تفاصيلها الصغيرة . وفى صبيحة اليوم الموعود جاءه ابن أخيه ، وقد شد العزم ملامح وجهه ، فقال له إنه قضى الليلة يفكر ، وينازع نفسه الحجة بين جذب ودفع ، وأخيراً قرر أن من واجبه المعونة ما وقعت حياة فى خطر .

ودخلت مسز كروفورد حجرة العمليات ، وكانت الطرقات فى سكون ، لأن الناس كانوا فى الكنائس يتعبدون . وكان فى الكنيسة قسيس لسن ، اشتهر بقوة وعظه ، واختار هذا القسيس لخطبته فى هذا اليوم موضوع هذه العملية الجراحية . ولمن اختارها ؟ ولمن يتحدث فيها ؟ لقوم أبعدوا عن المدنية ، فأبعدوا عن المحاكم والقوانين ، فلم يبق لهم غير سواعدهم من قانون . وقال لهم هذا القسيس الطيب : إن مكدوول يتأهب لإتلاف حياة مما برأ الرحمن .

وكانت حجرة العملية فارغة إلا من مائدة من خشب . فعلى هذه المائدة أنام الطبيب ومساعدوه المريضة ، وبها ربطوها . ولم يكن اكتشف الأثير عند ذاك للتخدير . فكل ما استطاعوه لتخفيف آلامها حبات من أفيون أعطوها إياها . ولم تكن تعرف عند ذاك تلك الملابس البيض التى يلبسها الجراح ، وهى مطهرة تدفع العدوى عن المريض . ولم تكن تعرف تلك الكمامات التى يلبسها الطبيب على وجهه ليحمى بها المريض من أنفاسه . فقام الجراحان فى تلك الحجرة فى ملابسهما العادية . وكل الذى صنعاه أن رفعا أكمامهما عن سواعدهما حتى لا يصيبها الدم عند انبثاقه . والأدوات لم تكن وضعت فى أوعية التطهير البخارى كما توضع اليوم . ففى تلك الأيام كانت المطهرات ومعنى التطهير سراً من أسرار الوجود لم يبح به الزمان بعد . فكل الذى صنعاه أن غسلا المشارط والملاقط كما تغسل سكاكين الأكل وملاعقه ، ووضعاها على غطاء نظيف عادى من الكتان .

ويخبرنا مكدوول نفسه عن هذه العملية فيقول إنه عرى بطن المريضة ، فظهر فى انتفاخه ، نخط عليه بقلم مجرى المشرط على الجلد عند القطع ، ثم أعطى المشرط لابن أخيه . ورأت مسز كروفورد المشرط بارقاً مصلتاً فوقها ، فأغمضت عينيها ، وأخذت تسبح . وذهب المشرط عميقاً فيها فارتعد صوتها وتجلجل ، ولكنها ظلت تسبح .

وفرغ ابن الأخ من القطع المطلوب ،

فقام العم يتمم ما بقى من العملية ، وهو أخطر ما فيها .

وجرت يده فى بطنها حيث أرادت متئدة غير مرتعشة ، ولكن وجهه احمرّ التهاباً ، وجرى العرق يتصبب عليه ، وهو فى تلك الحجرة الباردة . وأخذت المسكينة تنتقل من تسبيحة لله إلى أخرى ، واضطرب صوتها اضطراباً بالغاً دليل ألم بالغ ، فكان يطمئنها الجراح ويسليها كما يطمئن طفلا روعه الخوف .

وبغتة تبدل سكون الطريق فصار لغطاً كبيراً . فقد خرج الناس من الكنيسة ، وتجمع عند باب الكوخ أكثر من مائة منهم ، وصاح الرجال فيهم غاضبين للحق محتجين يطلبون وقف العملية ، حتى غمرت أصواتهم صوت المريضة وهى تسبح فلم يعد يسمع لها تسبيح . ولكن المسكينة لم تقطع تسبيحها ، بل مضت فيه ، وقد هرب الدم من عقل أصابعها ، وقد شدت بها على خشب المائدة ، مصابرة على الألم ودفعاً للخذلان .

وعمد الحشد إلى حبل فربطوه بشجرة حتى إذا ماتت المريضة عجلوا بشنق الجراح . ومضت عليهم دقائق طويلة وهم ينظرون إلى البيت فى سكونه الرهيب ، فلم يأتهم منه خبر ، فاعتزم رؤساء العصبة فتح بابه عنوة ، ولكن تدخل العمدة ، وأعانه فى تدخله بعض المتزنين من السكان ، فجرت مناوشة بينهم عند الباب ، وقد يكون سمعها مكدوول من خلف الباب . فإن كان فعل ، فإنه لم يظهر عليه شىء من اضطراب ، بل جرى فى العملية متئداً ساكناً .

وكانت المريضة بدأت تخفت ترانيمها ثم سكتت . وحملها مكدوول هو ومعاونوه إلى الفراش بين الوعى والغيبوبة . وسمع المتجمهرون بأن العملية انتهت ، وسمعوا بأن المرأة عاشت من بعدها ، فصمتوا حينا فى ذهول ، ثم إذا بالهواء يتمزق عن هتاف من الناس عظيم .

ولكن القوم فى جهلهم استعجلوا الأمور بهتافهم ، فالخطر الحقيق لم يكن جاء بعد أوانه . فالتهاب البريتون ، التهاب ذلك الغشاء الذى يلف الأحشاء داخل البطن ، كان أخشى ما يخشى من بعد العملية ، فهو إذا تلوث فالتهب صار بصاحبه إلى الموت . وجعل مكدوول لمريضته غذاء من شأنه أن تظل به الأمعاء فارغة ، فهكذا كانوا يكافحون الحمى . ثم انتظر .

ودخل حجرتها بعد خمسة أيام ، فهاله أن رآها واقفة تسوى فراشها . وبالإغراء تارة والتهديد تارة حملها على أن تعود إلى فراشها لتقضى دور النقاهة فيه خمسة وعشرين يوماً .

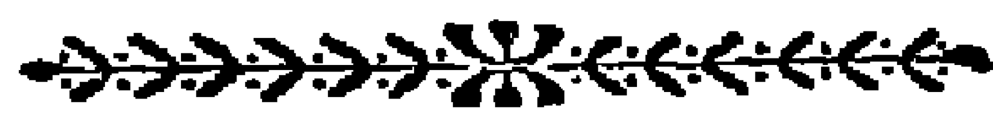
وما انتهت هذه الأيام حتى أصرت على العودة إلى بيتها لتصلح ما اختل من أمره فى غيبتها ، وعادت إليه راكبة . وعاشت من بعد ذلك فى صحة جيدة إلى أن جاءها الموت فى سن التاسعة والسبعين .

كانت عملية مكدوول هذه من أخطر العمليات فى تاريخ الجراحة . إن تضخم المبيض صار اليوم داء عادياً لا يخاف ، ومن الأطباء المختصين من صار يعالج منه فى العام مائة حالة . وفضل مكدوول بين فى هذا ، ولكن فضله الأكبر ليس فى أنه جاء بعلاج لداء ، ولكن بإثباته عملياً أن جوف البطن يمكن فتحه من غير ما ضرر . فتلك العملية التى أجراها هذا الطبيب الجرىء فى تلك البرارى من أمريكا ، بين التلال والأدغال ، مهدت الطريق لما جاء بعدها من عمليات انتزعت فيها من الأعور زائدته ، ومن الحويصلة الصفراوية حصوتها .

كانت هذه العملية فتحاً جديداً ، به انفتح الباب لجانب كبير من فن الجراحة الحديث .

ومن سخرية القدر أن جراحنا هذا الكبير لم ينتفع بكشفه الجليل ، حين صار هو أحوج ما يكون إليه . ففى مساء من عام ١٨٣٠ ، بعد حياة نافعة طويلة ، أصابه فى بطنه تشنج شللى أذاقه شر عذاب ، وعالجه الطبيب المحلى زاعماً أنه يشكو التهاب المعدة . فلما عجزت حيلة الطب فيه ، أخذ يهبط إلى الموت بطيئاً ، ثم حضرته الوفاة بعد أسبوعين .

إن عمليته التاريخية مهدت السبيل إلى الشفاء ببتر الزائدة الدودية من الأعور عند التهابه . وأغلب الظن أن صاحبنا مات من أعور ملتهب ، انفجرت زائدته .



● كانت طائفة من القاذفات تتأهب للنزول على أرض مطار بإنجلترا ، حين تلقت رسالة من برج المراقبة بالتحويم حول المطار . ومضت دقائق وهى تحوم ورجالها لا يعرفون سبباً يحول دون نزولهم إلى الأرض ، إلى أن جاءتهم رسالة لاسلكية ثانية من عامل برج المراقبة مؤداها : امضوا فى التحويم . حدث حادث طارىء على الأرض . هنا كلبة غير معروفة النسب . تضع جراءها فى وسط المطار.

(الصحافة المتحدة)

ينظف الأرض من ألغامها مهندسون من الجنود ، لهم أعصاب من حديد ، وحكمة لايفتأون يرددونها : « أول أخطائك آخرها ».

ألغام بالملايين

الكولونيل پول و. طمسون

ملخصة من مجلة « انفنترى جورنال »

لاجواب على ألوف الدبابات التى تستخدم فى هذه الحرب ، غير الملايين من الألغام ، ألغام خفيفة ، رخيصة ، يسهل إيداعها فى الأرض . ومن أجل هذه الخفة وهذا الرخص وتلك السهولة ، أسرف المحاربون فى استخدامها إسرافاً كبيرا .

إن الدبابات لا تخاطر بنفسها فتندفع هاجمة فى أرض ملغومة ، لأنها إن فعلت كان هذا آخر ما يسمع عنها وعن رجالها . وإنما هى تصبرحتى يفتح لها رجال الفرق الهندسية طريقاً فى الألغام ، تنفذ منه الدبابات بسلام . وليس فى أعمال الحرب كلها عمل أخطر على أصحابه ، وأشد امتحاناً لأعصابهم ، من تطهير أرض ملغومة .

إن اللغم المصنوع للفتك بالدبابات يتألف عادة من أسطوانة من الفولاذ ، قطرها ١٦ بوصة ، وسمكها ٤ بوصات ، وحشوها عشرة أرطال من ت. ن. ت ، وهو رمز لمادة شديدة الانفجار تصنعها الكيمياء . واللغم يضبط بحيث لا ينفجر إلا إذا بلغ الضغط فوقه حداً معلوماً . والرجل يستطيع أن يمشى فوقه فى الغالب دون أن ينفجر . وهو إذا انفجر من تحت دبابة نسف تلك السلسلة الحديدية الدوارة التى تجرى عليها عجلاتها ، وقد يشق بطنها من أدنى فيصل إلى ركابها فيذهب ببعض أطرافهم أو يشوه أجسامهم ، وهذا أخوف ما يخافه جنود الدبابات .

ولكن اللغم الذى قاعدته فى حجم طبق الطعام ، لا يستطيع أن يسيطر فى الميدان إلا على مساحة منه صغيرة جداً ، ومن أجل هذا وجب بث الألغام بالمئات والألوف . وكثيراً ما اضطر الألمان فى روسيا إلى إزاحة ٢٥٠٠٠ لغم من مدخل موقع روسى واحد.

والمهندسون الذين يختصون بتطهير هذه

الألغام ، يتخذون لذلك إحدى خطتين : إما إزاحة الألغام بالأيدى لغما لغما ، وإما التوسل بوسيلة آمنة إلى نسفها جميعاً . وكلا الطريقتين وصفها أهون من تنفيذها .

وقبل أن تزيح لغما لابد لك من أن تجده ، وهذا وحده عمل غير هين . فالعدو لا يضع ألغامه فى الأرض على رسوم منتظمة ، وهو يستخدم جميع حيل الإخفاء للتضليل عنها ، ثم هو يرد إلى الحفر ما استخرج منها من رمل أو تراب بعناية كبيرة ، حتى تعود الأرض إلى مظهرها الأول . فإذا بقى شىء من رمل أو تراب ، حمله إلى ناحية أخرى . وقد تأتى الطبيعة لعونه، فترسل الريح بالرمال السافية ، أو السماء بثلوجها ، فتسدل على الميدان الملغوم غطاء أى غطاء .

وأقدم طريقة لاقتحام ميدان كهذا ، وهى كذلك أضمنها ، هى أن ينكش الجنود كل قدم من الأرض بشوكة أو سنجة مما تحمل بنادقهم ، وذلك قبل أن يطأوها . فإذا أحست الشوكة أو السنجة بشىء صلب ، قريباً من سطح الأرض ، حفر الجندى عن اللغم حفرا يسيراً حتى يكشفه . فإذا كشف عنه ، فقد فرغ واجبه الأيسر ، وبدأ واجبه الأخطر . فعندئذ يجب عليه أن يزيحه من الأرض قبل أن يزيحه هو من الدنيا .

فيأخذ برفع التراب عن اللغم ليزيده ظهوراً . وحشو اللغم لا ينفجر إلا إذا انفجرت قبله كبسولة تحمل قليلا من مفرقع آخر أشد إحساساً بالضغط . فهذا ينفجر أولا ، وبانفجاره ينفجر حشو اللغم الأعظم . وإذن فعلى الجندى أن يأمن انفجار اللغم برفع كبسولته قبل رفع اللغم ذاته . وهو يأخذ يتفحص الكبسولة قبل نزعها ، ثم هو يضع دبوساً هنا ، ويفك أكرة هنا ، ولا يحرك فى كل هذا إصبعاً حتى يستوثق من عواقب هذه الحركة .

وحتى الرجل الخبير برفع الألغام لا يستطيع أن يفرض شيئاً ما ، ويقبله أمراً مسلماً به . فالألمان على الأخص لا يفتأون يخلقون الحيل القاتلة لإفساد مجهود أعدائهم فى نزع ألغامهم . من ذلك أنهم يضعون مكان اللغم الواحد لغمين ، أحدهما فوق الآخر ، يربطونهما بسلك ، فإذا رفع أعلاهما ، شد السلك أسفلهما فانفجر . فالجندى الحذر لا يرفع لغماً حتى يحفر من تحته بمطواة ليستوثق مما قد يكون تحته من ألغام .

وقد يضطر الجند أحياناً إلى رفع الألغام من حقول تنهال عليها نار العدو ، وهذا أخطر عمل يكلفه جنود فى ساحة القتال . وهو فيه من الخطر الكفاية والنهار طالع ، فكيف به فى الليل ؟ كيف به والجندى ينكش الأرض حوله فى الظلام الدامس ، يفتش

عن ألغام حية توشك أن تنفجر ، والعدو يوشك أن يفتح افواه مدافعه الرشاشة لكل صوت يسمعه عند اللغم ؟ كيف به والجندى فى هذا الظلام ، وعلى خشية العدو ، يعلم أيضاً أن رشقة من يده فى غير موضعها قد تجعل منه قطعاً تتناثر فى الهواء عديدة صغيرة حتى لا يجدها واجد ؟

وفى أغلب الجيوش الآن جهاز كهربائى مغنطيسى يتحسس به الجندى الأرض لكشف الألغام فى الميدان . ولهذا الجهاز حساسات ، أشبه بقرون الحشرات ، يمر بها الجندى على الأرض المخوفة ، فإذا هى مرت فوق لغم زنت سماعة يلبسها الجندى فوق أذنيه . وهذا الجهاز أكثر استخدامه فى الميادين الملغومة التى يستولى عليها الجيش كاملة . أما الميادين التى يتنازعها جيشان ، فالمهندس الجندى يفضل أن يذهب فيها غير مثقل بالجهاز ، ونار العدو من فوقه . أما منظر هؤلاء المهندسين بأجهزتهم هذه ، فهو أشبه بمنظر ربة الدار النشيطة وهى تدور على بساط بيتها بمكنسة كهربائية .

وطريقة أخرى لتطهير الألغام أحب إلى قلب المطهر ، تلك طريقة الطربيد ، ويسمى هذا الطربيد « طربيد بنجلور » . وهو يبلغ من الطول ٢٠ قدماً ، وهو ماسورة من الحديد الزهر ، تملأ بالمفرقع المعروف ت . ن . ت ، وتركب فيها كبسولة لفرقعتها . والطربيد يوضع فى البقعة التى يراد تطهيرها ، ثم يفرقع . فإذا انفجر فجر معه كل لغم مثله فى نطاق ثلاث أقدام أو أربع حوله ، ونتيجة هذا بالطبع فتح ممر فى الحقل أمين .

وحتى هنا يجد المرء فى الحساء ذبابة ، فالألغام تنفجر بالطربيد كلها فى العادة . ولكن قد يقع أن يتخلف بعضها ، وإذن يجب على المهندس ، مبالغة فى الاطمئنان ، أن ينكش الأرض بعد الطربيد .

وهناك طريقة لفرقعة الألغام بالتناغم أسرع من طريقة الطربيد ، ابتدعها الجنرال رومل عندما أخذ طبرق . فقد علم الجنرال طريقة الطربيد هذه ، وعلم ما تستغرق من زمن فاستكثره ، واستهوته طبرق لفائدة ميناءها ، ولمائها وهو مصدر الحياة فى تلك الصحارى الجديبة . فزعم أنه إذا استطاع أن يقتحم ما بينه وبين هذا البلد من أراض ملغومة ، وأن يقتحمها سريعاً ، طلع عليه على غرة فأخذه أخذاً سهلا هيناً . فابتدع طريقة خاطفة لذلك .

ذلك أنه أمر طائراته المنقضة بأن تنقض على الحقول الملغومة طوائف طوائف ، فى الوقت الذى تكون فيه دباباته السريعة بلغت حافة تلك الحقول . فلما فعلت ظهر للحلفاء

أن أسلوباً جديداً من أساليب الحرب قائم. فهدف تلك الطائرات لم يكن الحصون البريطانية، ولا مساطب مدافعهم، ولا حتى رجالهم، ولكن كان هدفها تلك الحقول الملغومة وحدها. وألقت الطائرات قنابلها فى خطوط على الأرض مستقيمة، فتفجرت عن حفر على هذه الخطوط كثيرة، فانفتحت للألمان بهذا طرقات اقتحمها الجند المشاة إلى طبرق فدهموها، فكانت ضربة فى المقتل.

ولكن لا يظن أحد أن تطهير الحقول من ألغامها أصبح بذلك أمراً سهلا مستطاعاً فى كل حين، فالذى فعله روميل لن يفعل مرة أخرى بكل تلك البساطة. فى الأحوال العادية لن تتوفر تلك الطائرات المنقضة بتلك الأعداد الكبيرة، ولن تفلت من العقاب وهى تعمل عملها. فتطهير الالغام يظل غداً كما كان فى أمس عملا يدوياً. وطرق المهندسين وحيلهم فى رفعها ستكون دائماً محفوفة بالمخاطر، لما يبتدعه العدو من حيلة جديدة يرد بها على حيلة أخرى للخصم جديدة.

ومن أشهر تلك الحيل لغم قصد به إلى الجند أنفسهم، وبدأ الألمان باستخدام هذه الحيلة بفرنسا فى خريف عام ١٩٣٩. فعندئذ أخذت التقارير تصل إلى قيادة الجيش الفرنسى عن أحداث غريبة تحدث فى غابة «أرنت». فقد كان يخرج الجند فى هذه الغابة للاستكشاف فلا يعودون، وبعد أيام يعثر على أجسامهم وقد مزقتها الشظايا. عندئذ ظهر للقيادة أن رجالها لاشك واقعون فى فخ من فخاخ الحرب جديد مميت.

ثم حدث ما يحدث دائماً لكل سلاح جديد فى الحرب: وقع أحد هذه الفخاخ سليما فى أيدى الفرنسيين، فإذا به طراز جديد هو أحدث ما عرف من الألغام. وأجد ما فيه أنه، إذا خطت عليه قدم، رفع اللغم عن الأرض جهاز فيه، حتى إذا بلغ من العلو أوسط الرجل انفجر فيه. لقد كان هذا الفخ فى الحقيقة قنبلة، إذا انفجرت نثرت شظاياها الكثيرة فى مساحة كبيرة. فهى من أجل هذا أكثر إتلافاً للرجال من قنبلة تنفجر تحت الأرض. فلم يكن إلا أن تدوس قدم فرنسية زناداً من الأزندة الكثيرة المنتشرة فى حشيش الأرض، حتى تعلو تلك القنبلة فتنفجر فتحصد زمرة الجند الكاشفة، وتحصدها فى الأغلب كلها.

واستخدم الفرنسيون لرفع هذه الألغام طريقة معروفة قديمة: أطلقوا على الحقل أسراباً من الخنازير، فلما داست على الأزندة انفجرت قنابلها.

وتجرى العادة اليوم أن يفرّق العدوّ فى

الحقل ، بين ألغام الدبابات ، ألغاماً لقتال الرجال شبيهة بهذه ، لها أسلاك عليها أزندة رفيعة كالشعر ، زيادة فى بلوى المطهرين من المهندسين . فهذه ، وكثير غيرها من أفخاخ جهنمية ، يبثها المحارب فى الأرض التى يعتزم إخلاءها ، فإذا أخلاها وقع الخصم عليها فتردّى فيها . وتسمى هذه الأفخاخ اسما ظريفاً يَصدُق عليها ، يسمونها « أفخاخ المغفلين » . وهى توضع حيث لا يظن أحد أن فى الأمر خطراً ، ثم إذا بها تنفجر عند تحريك أكرة باب ، أو عند فتح شباك ، أو حتى عند إزاحة كرسى من مكانه . فكل هذه الأشياء يصلها العدو بسلك يتصل بزناد قنبلة يفجّرها ، فإذا انتهى انفجارها انتهت الحرب بالنسبة لمن حولها من الرجال . وهناك فخ أُغرم الألمان بنصبه للفرنسيين ، فهم إذا أرادوا إخلاء بيت ، وضعوا صورة هتلر فى مكان ظاهر مُشرِف من حجره . فإذا دخله الفرنسى ، دفعته غريزته إلى إنزال هذه الصورة من مكانها العالى ، وضرب الأرض بها ، وفى إنزالها ذهابه هو عن هذه الدنيا .

وقد تعلم اليوم المحاربون من رجال الدول المتحدة ، كيف يَنصِبون تلك الأفخاخ ، « أفخاخ المغفلين » . فمن زمن غير بعيد دخل كبير من كبراء الجيش الألمانى دار الأوبرا فى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا وما إن دفع باب مقصورته ليفتحه ، حتى خرج من الدنيا خرجة اكتنفها ضجيج كثير . ويتعلم رجالنا أيضاً أن لا يخدعوا عن أنفسهم بتلك الفخاخ ، فهم إذا دخلوا اليوم أرض العدوّ ، لم يسرعوا ، كما كانوا يفعلون بالأمس ، إلى خوذة يجدونها ، أو إلى مسدس أو زجاجة ترموس أو جهاز تصوير ، طلباً لتذكارات من تذكارات القتال ، فطالب التذكار اليوم من ميادين القتال يموت فى الغالب قبل حينه .

ولعل القارئ يعجب إذا نحن قلنا إن تعب المهندس وبلواه قد يكونان من الألغام التى لا تنفجر . فمن بعض حيل العدو أن يَبثّ فى الأرض صوراً للألغام خرساء بين الألغام الناطقة . وهو قد يصنع تلك الصور من خشب ، ويظهرها كأصلها الصادق ، فإذا وجدها المهندس المجهود الشتت لم يجد بدا من الحذر ، فهو يصنع بها بالضبط مثل ما يصنع بغيرها ، فيضيع وقته سدى . ولكن لا مفرّ له من هذا ، فاللغم القادم قد يكون لغما صادقاً ، غيروا من ظاهره حتى بدا كالزائف . فهل تعجب بعد ذلك أن يتخذ هؤلاء المهندسون لأنفسهم تلك الحكمة التى تقول : « أول أخطائك آخرها » .

كيف تكون أفكارك سر مرضك

الزي مكورميك

ملخصة عن مجلة « يورلايف »

منذ أكثر من عشر سنوات أخذت جماعة من الأطباء البارزين فى بحث التأثير الذى يحدثه العقل فى الجسم . وهم يجدون الآن شواهد تفوق ما كان الأطباء يتوقعونه منها، وهى تثبت أن الأحوال العقلية يمكنها أن تحدث اضطراباً فى وظائف الجسم الطبيعية ، وأن تضعف مقاومتنا للعدوى ، بل قد يبلغ من خطرها أن تحدث تغيراً ماديا فى الأعضاء الحيوية . فقد درست الدكتورة فلاندرز دونبار هى وبعض زملائها فى المركز الطبى المعروف باسم « كولومبيا — برسبيتريان » فى نيويورك ، ١٥٠٠ مريض يشكون أمراضا مختلفة . فوجدوا أن الأصل فى مرض نصف هؤلاء المرضى أو أكثر من نصفهم ، هو اضطراب عاطفى . وقد فحص أيضا الدكتور كانبى روبنسون فى جامعة « جونز هوبكنز » خمسين مريضا كانوا يشكون الغثيان أو آلام المعدة ، فلم يجد علة عضوية معينة إلا فى ست حالات . أما الباقون فكان مرجع عللهم إلى الهم والقلق . فإن أحد هؤلاء كانت ترجع علته إلى ما قبل سنوات حين فقد عمله وتعطل . واعترفت سيدة مريضة بأن علتها ترجع إلى اليوم الذى استمعت فيه إلى إذاعة لاسلكية فى وصف سرطان المعدة.

وقليل من الأمراض ما يكشف بوضوح عن العلاقات بين العقل والجسم كما تكشفها قرحة المعدة . ففى مستشفى فى نيويورك فحص الدكتور هارولد ولف عن ٢٠٥ من المرضى لكى يعرف كيف يؤثر الاضطراب العاطفى فى تدفق الحمض الإيدروكلوريك ، وهو الذى يجعل حالة قرحة المعدة تتفاقم . وكان ، وهو يقوم بهذا الفحص ، يحادث المرضى فى موضوعات يظن أنها ترعبهم أو تؤلمهم . وكان سيل هذا الحمض يزداد زيادة عظيمة حين كان الحديث يتجه نحو موضوع الإفلاس فى التجارة أو خيبة الأمل فى العمل ، وكان مقداره يتضاعف عند ذكر زوجة مغاضبة . ودرست حالات الالتهاب المعدى المخاطى فى المستشفى العام فى « ماساشوستس » ، فاتضح أن ٩٢

فى المائة من هذه الحالات كانت تصاحبها هموم أو توترات عاطفية . مثال ذلك أن أحد المرضى كان يحس هذا الألم كل يوم وهو فى طريقه إلى عمله . فلما سئل اعترف بأن رئيسه السابق – وكان رجلا متسامحا – قد استبدل به خبير شديد المراس . وقد شفى هذا الرجل بتغيير عمله . وشفيت مريضة مما أصابها يوم اغتفرت لها أسرتها زواجها من رجل مذهبه الدينى مخالف لمذهب أهلها .

ومن المعروف منذ سنين أن الغضب يزيد ضغط الدم حتى يرتفع إلى أعلى الدرجات. والآن يظن الأطباء أن الغضب حين يختزن مدة طويلة فى النفس يحدث حالة من الارتفاع الشديد فى ضغط الدم ليس لها أصل عضوى واضح فى الجسم . ولهذا الاكتشاف شأنه وخطره إذا عرفنا أن وفيات كثيرة بعد سن الخمسين ترجع أسبابها إلى ارتفاع ضغط الدم والاضطرابات الناشئة عنه .

وفى السنوات القليلة الأخيرة درس العلماء هذه الحالات (ضغط الدم العالى)، وقد وجدوا أنها تتصف بصفات عامة واحدة . فأولئك الذين يشكون هذه الحالة يبدو عليهم الخوف أو التهيب ، ولكن تحت هذا التهيب نجد فى العادة سخطاً يتأجج . وعندما يعرفون كيف يتخلصون من العاطفة المكظومة ينخفض ضغط الدم عندهم انخفاضاً سريعاً . فقد وجد مثلا عامل حلم متواضع ينتسب إلى نقابة عمال مشاغبة ، وكان يشكو زيادة الضغط فى الدم طيلة الشهور أو السنين التى يسودها السلام ، فإذا حدث إضراب زال عنه الضغط . وذلك لأن عاطفته المكتومة أو سخطه المدفون كانا يجد أن التفريج والتنفيس فى السباب والصخب على الذين يحاولون وقف الإضراب .

وقد اتضح أيضاً من الفحص عن مائة من المرضى بالدرن (السل) أن أصحاب العواطف المضطربة منهم ، يسير فيهم المرض أسرع من سيره فى الذين لا يعانون مثل هذا الإجهاد العاطفى . وأثبت البحث أن هناك حالات كثيرة من مرض السكر قد تفاقمت بسبب صدمة عاطفية عنيفة . وأن النوبة الروماتيزمية تزيد بزيادة الاضطراب الفكرى ، وأن الهموم تعجل التسوس فى الأسنان . وهناك أمراض كثيرة أخرى لا تزال قيد البحث والفحص ، ولكن ما عرف حتى الآن يكفى لتخفيف كثير من الآلام التى لا ضرورة لها .

وقد عالجت الدكتورة « دونبار » ومعاونوها ١٢١ مريضاً بالقلب . وكان الطبيب المعالج يقضى مدة تتفاوت بين ساعة و ٣٦ ساعة مع كل مريض يبحث معه

المشكلات العاطفية ، ويقترح عليه طرقاً للمعيشة تهيء له السكينة والسلام . لم تقع معجزة شفيت بها القلوب التي أثر فيها المرض تأثيراً بالغاً ، ولكن الأعراض المؤلمة انقطعت في أكثر هذه الحالات تقريباً . وقد ثبت أن هذه النوبات القلبية لم تعاود المرضى فيما بعد ، كما دلت على ذلك تقارير تتبع سير الحالة خلال سنوات بعد الشفاء .

ومن الواجبات الجديدة التي ينهض بها الأطباء في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر معالجتهم للجنود الذين يشكون الحنين إلى بيوتهم وعائلاتهم .

وهنا يقول الدكتور « أدوين زابرسكى » — الطبيب النفسي سابقاً في الفرقة التاسعة والثلاثين — : « إذا كنا نرغب في تجنب أمراض القلب التي تفشو بين الجنود ، فإننا يجب أن نجيز لهم التحدث في صراحة عن الخوف . فإن الخوف بين بعض الجنود يشتد حتى إن القلب يأخذ في الخفقان كأنه مطرقة حين يشرعون في القتال ، فيظنون أنهم جبناء لا يرجى منهم نفع . ثم يغالون في هذا الظن فتتفاقم الأعراض حتى يبلغوا حالة من العجز لا بد معها من تسريحهم دون أن يخدش شرفهم . ولكنا إذا أفهمنا الجنود أن دق القلب هو تعبير طبيعي عن خوف له ما يسوغه في المعركة ، فلعلهم يستنكفون حينئذ أن يتخذوا قلوبهم جوازاً يبيح لهم مفارقة الميدان إلى المستشفى » .



وقد كشفت الأبحاث الجديدة أن معرفة هموم المريض وأنواع قلقه لا تقل قيمة عن التحليل الكيميائي أو الفحص بالأشعة في العلاج ، فلذلك أخذت بعض الكليات الطبية في أمريكا تفرض على طلبتها دروساً واسعة في بحث أصول المرض وعلاقتها بالحالة النفسية والعقلية . وقد صاغوا لهذا الأسلوب الجديد في الطب اسماً مركباً من لفظين يونانيين معناهما « العقل والجسم » أي الطب العقلي الجسمي .

وقد يكون الصراع العاطفي مدفوناً بحيث يجب عرض المريض على أحد المتخصصين في الطب النفسي ، ولكن الطبيب العادي ، ممن مرن على الأسلوب الجديد في دراسة العلاقات بين الجسم والعقل ، يستطيع أن

يكشف عن المشكلة الكامنة حتى ولو حرص المريض كل الحرص على إخفائها عن نفسه .

وأسلوب الطبيب فى معالجة مريضه هو أسلوب الصديق المهتم بصديقه . فهو يعرف أن معظمنا يدفن مشكلات مقلقة فى الطوايا الغامضة من عقولنا ، وأن السكينة الظاهرة التى نحصل عليها إنما نشتريها بثمن هو ضعف الصحة . والطريقة التى يتبعها الطبيب فى علاجه هى تطبيق القاعدة الحديثة وهى : « إذا نحن لم نمكن عواطفنا من التعبير الصريح الظاهر ، فإن أجسامنا ستتولى التعبير عنها بما تستهلكه من لحم ودم » .

وإخراج هذه العواطف من ظلام الكتمان إلى ضوء النهار يتيح لنا فرصة نبذها قبل أن تندس وتؤذى أعضاءنا الحيوية .

وبالطبع هناك مشكلات لا يستطيع « الطب العقلى الجسمى » معالجتها . فإن كثيراً من الأمراض لا تنشأ عن حالة عقلية ، وكثيراً من الصعوبات الاقتصادية والطبيعية لا تسهل إزالتها . وفى مثل هذه الحالات يستطيع الطبيب العصرى أن يساعد المريض على أن يواجه مشكلاته ومصاعبه وأن يقبلها ، ثم يجتهد أن يوجد فى نفسه ما يغنيه عنها أو يعوضه منها . ونحن حين نكف عن الجهاد فى سبيل ما يستحيل تحقيقه نطلق الحرية للقوة التى كانت موقوفة على هذا الجهاد ، وكذلك نستطيع أن نستخدمها فى تحقيق حياة غنية بالخير ، حتى مع الصحة الضعيفة .

والطبيب العصرى على صغر سنه يستطيع أن يعالج حالات يعجز عنها الطبيب المسن من المدرسة القديمة . فقد حدث أن صبية كانت تشكو القىء المتوالى ، وعجز أطباء المدرسة القديمة عن معالجتها ، فلما عاينها طبيب جديد حديث التخرج ، وجد أن التحليل الطبى لم يثبت وجود مرض ما فى الأمعاء . فعمد إلى محادثتها فتبين من حديثها أنها مضطربة اضطراباً عاطفياً مؤلماً ، وسبب هذا الاضطراب أنها كانت تمنت فى ساعة غضب وفاة معلمتها ، وبعد ثلاثة أيام اتفق أن ماتت المعلمة بسكتة قلبية ، فاعتقدت الصبية أن تمنيها كان سبب هذه المأساة ، فأسفت أسفاً شديداً انقلب إلى اضطراب فى المعدة . فلما أقنعها الطبيب أنْ لا شأن لها بهذه المأساة عادت فاستردت صحتها .

وفى هذا يقول الدكتور « فرانز الكسندر » : « إن المريض أصبح الآن موضع اهتمام الطب على أنه إنسان كامل بما فيه من هموم ومخاوف وآمال ويأس ، لا على أنه مجموعة من الأعضاء » . والأطباء المجددون يحرصون الآن على معرفة طبيعة المريض ولا يقتصرون على معرفة طبيعة المرض .

« العاملون فى الخفاء » يعلمون أنهم بين ضرورة اليقظة الدائمــــة وضعف الطبيعة البشرية ، موتى ممهلون .

موتى فى إجازة

جون . ب . جانسن وستيفان ويل

ملخص من مجلة اتلانتيك الشهرية (١)

كل من يعمل فى ألمـانيا خفية على محاربة النازيين ، يعلم أنه لا يتوقع أن يعيش سوى عامين أو ثلاثة . وأمثال العاملين على ذلك يصفون أنفسهم بتعبير : « موتى فى أجازة » وبرغم ذلك كان هناك على الدوام رجال ونسـاء مستعدين للمضى فى هــذه الحرب غير التعادلة ومتابعتها .

واصطلاح « العمل فى الخفاء » اصطلاح مضلل ، فلست بمستطيع الإفلات من مراقبة الدكتاتورية الدقيقة الوافيـــة ، ولـكنك تستطيع أن تضلل رجال الشرطة إذا عشت — بقدر الإمكان — عيشة مألوفة جارية على العرف المتبع ، وعلى قدر ما تشابه الرجل العادى فى سلوكه وأسلوب حياته تبعد عن مواطن الشبهة . فأول قاعدة يجب أن يستمسك بها العامل فى الخفاء هى أن يعيش عيشة عادية مألوفة ، وأن يتظاهر فى شتى الأحوال بأنه يزاول عملا من الأعمال المعروفة ، وأن له علاقات عائلية مثل سائر الناس ، وله معارف وأصدقاء ومصالح وعادات .

ولـكن هذا ما يبدو على السطح وفى الظاهر ليس غير ، وكل « عامل فى الخفاء » يجب أن يفكر سلفاً فى كل حركة من الحركات التى يقوم بها ، وعليه أن يدرس

. . . .

(١) جون ب. جانسن وستيفان ويل هما اسمان مستعاران لاثنين من اللاجئين السياسيين يعيشان الآن فى الولايات المتحدة . وهما يتخذان هذين الاسمين الزائفين حتى لا يضار أقاربهما فى المانيا ، وجانسن كان يعمل فى صناعة المعادن عنـد ما استولى هتلر على زمام الأمور ، وكان ويل قد أتم رسالته للحصول على إجارة فى العلوم ، وانضما إلى الحركة التى تعمل فى الخفاء ، وكانا من أعضائها العاملين سنوات عدة حتى نبا بهما المقام واضطرا إلى الهجرة . وقد اشتركا فى تأليف كتاب « الحرب الصامتة »

بعناية الأعمال الصغيرة التى يقوم بها غيره مما يعد أعمالا عادية مألوفة . وأعمال التآمر لا تستلزم شجاعة نادرة أو أعمالا مثيرة رنانة ، وإنما تتطلب سيطرة تامة على النفس .

من أمثلة ذلك أنك قد تقضى ساعتين تذرع برلين من أقصاها إلى أقصاها لكى تسلم صديقاً لك رسالة بنفسك ، مع أنك كنت تستطيع أن تبلغه مضمونها بالتليفون فى دقيقة واحدة ، أو أن تثابر على الاحتفاظ بالأشياء المحظورة التى يتناولها عملك فى منزل أوفر أمناً وأبعد عن الشبهة من منزلك ولا تخضع للإغراء الذى يزين لك إبقاء الأشياء فى منزلك خلال الليل ، لأن ذلك يجنبك ركوب عربة الترام التى تعرضك للبرد . والدؤوب على عمل أمثال هذه الأشياء يومياً دون أن تسمح لنفسك بالتفكير فى « أن هذه المرة قد لا ينجم عنها خطر » ، هو سر عمل التآمر ولبابه .

وكل عضو من أعضاء جماعتنا التى تعمل فى الخفاء لا بد أن يكون عنده تفسير مقبول مجهز لكل عمل من أعماله . وعندما كنا نحاول أن نعقد اجتماعاً كنا نغتنم فرصة أعياد الميلاد وأمثالها من المناسبات للدعوة إليه وعقده . وقد أرجأ أحد أعضاء جماعتنا حفلة عرسه أربعة أسابيع ليتمكن عضوان من الحضور إلى برلين .

ولا تستطيع أن تبدو شخصا عادياً دون أن يكون لك عمل منظم تباشره ، ولذلك أخذ أحد القادة من رجالنا يشتغل عاملا فى شركة تأمين ، وأتاح له عمله عذراً للتنقل فى مختلف أنحاء المدينة ، فإذا ما وقع فى مأزق أوضح أنه يبيع صك تأمين . واحترف عضو آخر من جماعتنا قيادة سيارات الأجرة ، وكان عمله فى الجمعية نقل الرسائل . واتخذ عضو ثالث علم الأنساب صناعة له ، وهى صناعة شائعة فى الريخ الثالث ، حيث كل إنسان عليه أن يثبت أن أسلافه من الآريين ، وكان يجد هذا النسابة سهولة فى القيام برحلات إلى الأقاليم .

وكانت هوايات أعضاء جماعتنا تتجه إلى خدمة أغراض الجمعية ، فالالتحاق بجمعيات جامعى طوابع البريد أو هواة أندية التصوير الشمسى يتيح لهم فرصة الاجتماع دون أن يثير الريب أو يستوقف الأنظار .

وإذا مرض أحد الأعضاء ، كان حرصه على التكتم لا يبيح له الاستمتاع بمزايا العلاج الممنوحة لغيره من الناس . وقد أصيب أحد أصدقائنا بالتهاب الزائدة الدودية ولكنه تذكر أنه فى مرة سابقة تحدث ساعات تحت تأثير المخدر ، وخشى أن يفشى فى هذه المرة شيئاً من أسرار الجمعية ، فلم يستطع أن يذهب إلى المستشفى ، وتحتم

علينا أن نبحث له عن طبيب نثق به ليتولى عمل العملية فى عيادته الخاصة .

وكل عامل فى الخفاء يواجه عاجلا أو آجلا موقفاً لا تسعف فيه القواعد المتبعة ، فقد يكون عليه أن يقطع برأى فى الحال أن يدخل منزلا ليحذر زميلا له أن رجال الجستابو يبحثون عنه ، وهو يعلم أن الجستابو قد يكون فى انتظاره خلف الباب . وفى أغلب الأوقات عليه أن يبت فوراً فى أن يثق بشخص معين أو لا يثق ، وفى أمثال هذه الأحوال عليه أن يسترشد بحدسه ثم يرجو الخير .

ومنا كثيرون أسعدهم التوفيق ، ففى مرة قرع الجستابو الباب الخاطئ فى شقة منزل وأمضى ساعات يفتش أوراق رجل برئ ، وسمع صديقنا المقصود الضجة واللغط وفطن لحقيقة ما يجرى وفر سالماً . وفتش أحد جنود الصدام فتاة من فتيات جمعيتنا ، وكانت تحمل كتباً محظورة ، وكانت مخبأة فى كيس من أكياس البقالة تحت قليل من البيض وخشى الجندى أن يكسر البيض فلم يهتد إلى الأوراق .

ولكنا كنا نتحاشى أن نعتمد على التوفيق فى أعمالنا جهد الطاقة ، فأقلعنا فى رسائلنا عن استعمال الحبر الذى لا يظهر ، لأن كل حبر سرى ينكشف أمره عندما يعرض لبخار اليود فى فراغ ، وبدلا من ذلك كنا نستعمل التصوير الميكرسكوبى ، وأصبح كثيرون من أعضاء الجمعية من غواة التصوير الشمسى المتحمسين ، وأعدوا حجرة مظلمة فى أحد منازلهم . وتمكنا فى نهاية الأمر من أن نصور على شريط لا يتجاوز مساحته نصف قيراط فى قيراط ثمانى صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة .

وبهذه الطريقة كانت تدس الرسائل الطويلة والتقارير المختلفة فى كل شئ يمكن تصوره ، وتخترق ألمانيا وتتخطى حدودها . وحدث مرة أن دست هذه الشرائط فى لعبة من ألعاب هدايا عيد الميلاد كانت مرسلة إلى طفلة صغيرة فى براج ، وحمل مرة موزع رسائلنا شريطاً مخبأً فى إسفنج حمام .

وإخراج هذه الأخبار والمعلومات من ألمانيا ، مكن إدارتنا فى الخارج من إعداد التقارير عن حالة ألمانيا الداخلية التى كانت تذاع فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الديمقراطية فى أوروبا .

ومن المشكلات التى واجهتنا مشكلة البحث عن رموز وعلامات بحيث لا تعرف أنها كذلك . وهناك رموز يستعصى حلها على غير العارفين بأسرارها ، ولكن رجال الجستابو ليسوا جماعة من الهواة . وبعد أشهر من المحاولة والتجربة استطعنا تحويل

معلوماتنا وأخبارنا إلى جداول من الأرقام كالتى يستعملها العلماء الطبيعيون . وكان لنا من الكسور العشرية والفواصل سجل للأسماء والعناوين فى ألمانيا وخارجها وما إلى ذلك من المعلومات كالمواعيد والمواقع التى لا غنى لنا عنها ، وكان هذا السجل مما لا يمكن حل رموزه .

إن الجواسيس فى الروايات والقصص ، يملكون الأجهزة الكاملة والمال الوافر ، أما نحن فكنا فى حاجة دائمة إلى المال ، وكان حرصنا على التكتم يمنعنا من جمعه بالطرق العادية ، وكان أكثر الناس يخشون من أن يكون لهم أدنى اتصال بنا .

وأعظم خطر تعرض له الجمعيات السرية يأتى من الأعضاء الذين يضعفون بعد إلقاء القبض عليهم، ويتحولون إلى شهود فى جانب الحكومة . وليس فى مستطاعنا أن نتنبأ كيف يستطيع الإنسان أن يستمسك ويثبت لتعذيب الجستابو ، ومع ذلك فإن عجز أحد الأعضاء عن احتمال هذه المحنة يقضى على كثيرين من أصحابه . وقد استطاع الجستابو باستعمال التعذيب المجرد من الرحمة أن يعرف أسماء جماعات برمتها من أعواننا .

وأنت تستطيع أن تتصور الجمعية السرية المثلى ونظامها ، ولكنك لا تستطيع أن تنشىء جمعية مثلى لأنك تعمل مع أناس مستهدفين للخطأ وغير معصومين .

فقد يشعر أحد الناس بأنه من الأمن فى حرز بحيث لا يكلف نفسه عناء حفظ عنوان عن ظهر قلب ، ويعمد إلى كتابته على قطعة من الورق ، ثم يلقى عليه القبض وهو يحملها . وقد يفقد الإنسان صوابه فى المواقف الخطرة فيلقى بحقيبة حافلة بالأوراق الموجبة للاتهام فى بحيرة ، دون أن يلقى معها شيئاً ثقيلا كافياً لإغراقها ، وتقذف بعد ذلك الأوراق على الشاطىء ، وتصل إلى يد الجستابو . أو قد يحرق أحدهم مستندات مثيرة للشبهة فى موقدة وترتفع إلى المدخنة ورقة لم يتم حرقها ، وتسقط فى الطريق .

وكل منا على وجه التقريب قد شاهد أصدقاء له يذهبون إلى السجن أو يسيرون إلى الموت من جراء أخطائنا . ولا تستطيع جمعية سرية أن تفخر بأنها لم ترتكب خطأ ولم تقع فى محظور سببه ضعف الطبيعة الإنسانية ، وهذا هو أهم الأسباب التى من أجلها يعرف المشتغلون فى الجمعيات السرية أن احتمال بقائهم أحياء ، ضعيف جداً .



باب الكتب



مدام كورى

مقدمة كتاب ايف كوري عن والدتها

« لو أضفت أقل زخرفة إلى قصة والدتى هذه ، التى تشبه الأساطير أتم الشبه ، لكان ذلك إجراماً منى » . هذا ما كتبته إيف كورى فى مقدمة كتابها . ثم استطردت قائلة : « إنى لم أذكر حادثاً ما لم أكن مستوثقة منه ، بل لم أخترع من عندى ولا لون فستان . فقد ذكرت الوقائع على حقيقتها وأعدت العبارات المقتبسة كما قيلت .

« وإنى لأرجو أن يشعر القارئ بما كان فى مارى أندر وأعظم شأناً من عملها وحياتها ، ألا وهو بناء خلقها المتين ، تلك الصفة النفسية التى لم يتمكن الصيت الذائع ، ولا المعارضة القاسية ، من تغيير طهارتها الفذة . تلك الصفة التى حملت اينشتين على القول : « إن مارى كوري هى الشخص الوحيد ، بين جموع المشهورين ، الذى لم تفسده الشهرة » .

فى خريف سنة ١٨٩١ انتظمت فتاة من المهاجرين البولنديين تدعى « مارى سكلودفسكا» فى قسم دراسات العلوم بجامعة السوربون بباريس . وكثيراً ما قابل الشبان هذه الفتاة الحيية ذات الملامح العنيدة ، والتى ترتدى ملابس تدل على الفقر والخشونة ، وتساءلوا فيما بينهم: «من هى» ؟ إلا أن الجواب كان غامضاً : « هى أجنبية يصعب نطق اسمها ، تجلس دائماً فى الصف الأمامى فى فصول علم الطبيعة » . وكانت عيون الشبان تتبع قوامها الرشيق ، وأخيراً يتهامسون « ما أجمل شعرها ! » . وظل شعرها الأشقر ورأسها الصغير السلافى — زمناً طويلا — هما كل ما يعرف به طلبة السوربون زميلتهم الخجول .

أما هى فكان أقل ما يسترعى التفاتها هؤلاء الشبان ، لأن دراساتها العلمية استحوذت عليها ، فكانت تنكب على العمل بحرارة كحرارة المحموم ، فكل دقيقة لا تنفقها على التحصيل كانت فى نظرها دقيقة مضيعة .

ولما لم يسمح لها حياؤها المتناهى بصداقة الفرنسيين ، لجأت إلى الحى الذى سكنه مواطنوها ، وقد كان بذاته جزيرة بولندية مستقلة فى وسط الحى اللاتينى بباريس . وهناك عاشت عيشة بسيطة منعزلة جعلتها وقفاً على الدرس والتحصيل . أما دخلها فكان أربعين « روبلا » فى الشهر ، وهو ما اقتصدته من عملها مربية فى بولندا ، وما يرسله إليها والدها من مبالغ يسيرة . وكان أبوها معلم رياضة وطبيعة فى بولندة ؛ فمن هذا الراتب — وهو ثلاثة فرنكات يومياً — كانت توفى أجرة حجرتها ، وثمن أكلها ، ولبسها ، ونفقاتها بالجامعة .

لم تشترك مارى عمداً فى مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية خارج برنامجها الدراسى ، كما امتنعت عن مجالس الأصدقاء . فعاشت عيشة تقشف ، اسبرطية ، غريبة عن طبائع البشر ، حتى لكأنها كانت تنكر أنها تستطيع أن تبرد أو تجوع . فكانت تهمل إشعال موقدها حتى لا تضطر إلى شراء فحم ، كما كانت تكتب الأرقام والمعادلات دون أن تلاحظ أن أصابعها متجمدة أو أن كتفها ترتعشان . بل كانت الأسابيع تمر دون أن تأكل شيئاً غير الخبز والزبدة والشاى ، فإذا أرادت أن تنعم بوليمة اشترت بيضتين أو قطعة من الشوكولاتة أو قليلا من الفاكهة .

ولكن سرعان ما أصيبت تلك الفتاة القوية ، التى تركت وارسو منذ أشهر قليلة ، بفقر الدم . فكثيراً ما كانت تشعر بالدوار وهى تهم بالقيام عن مكتبها ، ثم لا تلبث أن تفقد وعيها قبل وصولها إلى فراشها . فإذا ما استعادت رشدها ، وساءلت نفسها عما

أصابها ظنت أنها مريضة ، فاحتقرت مرضها كما تحتقر كل شيء يعترض عملها . إلا أنه يخطر ببالها حينئذ أن مرضها الوحيد هو افتقارها إلى الغذاء .

بيير كورى

كانت مارى قد حذفت الحب والزواج من برنامج حياتها ، واستولى عليها شغفها العلم ، فبقيت متمسكة تمسكا شديداً باستقلالها حتى بلغت السادسة والعشرين .

ثم ظهر فى الميدان بيير كورى ، وهو عالم فرنسى نابغة وقف روحه وحياته على البحوث العلمية ، وبقى غير متزوج إلى سن الخامسة والثلاثين . كان طويل القامة ، ذا يدين طويلتين مرهفتين ، ولحية كثة ، ووجه يعبر عن الذكاء النادر الممتاز .

تقابلا أولا عام ١٨٩٤ ، فى العمل ، وسرعان ما قرب بينهما تبادل الشعور وتشابه الميول . فلقد وجد بيير كورى فى الآنسة سكلودفسكا الصموت شخصية تبعث على الدهشة . ما أغرب الحديث إلى فتاة ساحرة بلغة الاصطلاحات العلمية والتراكيب المعقدة . . . بل ما أحلاه !

تأمل بيير شعر مارى الأشقر ، وجبينها العريض المقوس ، ويديها المتأثرتين بأحماض العمل ، فحيره ظرفها الخالى من كل دلال ، فحاول بلطف وحزم أن يفوز بصداقة تلك الفتاة ، وطلب إليها السماح له بزيارتها . فاستقبلته فى غرفتها بود ، ولكن بكل تحفظ ، فانقبض قلب بيير مما رآه حوله من دلائل الفقر المدقع ، ولكنه قدر فى الوقت نفسه الانسجام التام بين خلقها ومسكنها . ففى غرفتها الخالية من الأثاث تقريباً ، وفى ملابسها الرثة ، وفى ملامحها التى تدل على شعور عميق بالحياة ، وعلى شكيمة شديدة ، ظهرت مارى أجمل منها فى أى وقت آخر .

فى تخيله فقط إخلاصها المتناهى لعملها ، بل شجاعتها ونبلها كذلك . فهذه الفتاة الرقيقة تحلت بأخلاق الرجل العظيم ومواهبه .

وبعد أشهر قليلة طلب بيير يد مارى ، فلم تقبل هذه الفتاة العنيدة فكرة الزواج إلا بعد مضى عشرة أشهر لأنها رأت أن الزواج من فرنسى ، والتخلى عن أسرتها وبلادها المحبوبة المظلومة ، خيانة شائنة .

* * *

قضى بيير ومارى الأيام الأولى من حياتهما معاً فى التجول فى منطقة « إيل دى فرانس » ، على عجلتين اشترياها بنقود قدمت إليهما هدية عند زواجهما . فتغذيا بالخبز والجبن والفاكهة ، واستراحا فى فنادق لا يعرفانها ، صادفتهما فى الطريق . وهكذا نعما بالوحدة أياماً وليالى طويلة لم ينفقا أثناءها إلا الطاقة التى تقتضيها العجلتان ،

وقليلا من المال فى الفنادق القروية . أما الشقة الصغيرة التى استوطناها أخيراً بشارع جلاسيير رقم ٢٤ ، فكانت مفتقرة إلى جميع وسائل الراحة ، كما أنهما رفضا قبول الأثاث الذى قدمه إليهما والد بيير ، فإن مارى لا تجد وقتاً لتنظيفه ! فلم تضم تلك الجدران العارية إلا بعض الكتب ، ومقعدين ، ومكتباً من الخشب الأبيض عليه رسائل فى علم الطبيعة ، ومصباح يضاء بالغاز ، وباقة من الأزهار . فلا يستطيع أجرأ زائر إلا أن ينسحب ، حين يرى نفسه أمام مقعدين لم يعد واحد منهما له . إلا أن مارى تقدمت تدريجياً فى علم تدبير المنزل فاستنبطت بعض المأكولات التى لا تحتاج إلا إلى إعداد بسيط أو التى يمكن تركها على النار مدة دون مراقبة حتى تنضج . فقبل خروجها إلى عملها كانت تضبط حرارة الموقد ضبطاً علمياً . وتترك الطعام لينضج ، ثم تعود إلى الدور الأسفل لمشاركة زوجها فى العمل . وهناك بعد ربع ساعة تضبط حرارة النار المشتعلة ، وعليها أوان تختلف كل الاختلاف عن الأوانى التى تركتها فى مطبخها.

لم تختلف السنة الثانية من زواجهما عن السنة الأولى ، لولا حالة مارى الصحية التى تأثرت بحملها . ومع أن مدام كورى كانت تحب كثيراً أن ترزق طفلا ، إلا أنها ضجرت من مرضها وعجزها عن الوقوف فى المعمل لدراسة مغنطيسية الصلب .

وقد يظن أن حالة مارى الصحية خففت من حماسة بيير ، وحملته على قضاء صيف هادئ معها ، ولكنهما اندفعا بطيش كطيش الحمقى فقاما برحلة إلى بريست على عجلتيهما ، وهى فى الشهر الثامن من شهور حملها ، فقطعا فى رحلتهما مسافات بعيدة كعادتهما. ولقد صرحت مارى بعد ذلك أنها لم تشعر بتعب ما ، كما تملك بيير شعور غامض بأن زوجه خارقة للطبيعة فلا تخضع للقوانين البشرية . ولكن سرعان ما اضطرت الزوجة إلى أن تقطع رحلتها ، برغم شعورها أن فى ذلك إذلالا لها ، وعادت إلى باريس حيث وضعت ابنتها الأولى إيرين ، تلك الطفلة الجميلة التى فازت بجائزة نوبل سنة ١٩٣٤ (مع زوجها الأستاذ جوليو) .

لم تخطر ببال مارى فكرة الاختيار بين الأسرة وبين الحياة العلمية . ومع أنها عنيت بأمور المنزل ، وشؤون كريمتها ، وإعداد الطعام ، إلا أنها فى الوقت نفسه واصلت عملها فى معملها الحقير ، ذلك المعمل الذى توصلت فيه إلى اعظم اكتشاف فى العلم الحديث .

كشف الراديوم

فى نهاية عام ١٨٩٧ كانت مارى قد فازت بدرجتين جامعيتين ، وزمالة ، ووضعت

رسالة فى مغنطيسية الفولاذ المسقى ، وكان مرماها التالى هو نيل درجة الدكتوراه . وبينما كانت تفكر فى موضوع تختص فى بحثه، استرعت نظرها نشرة حديثة للعالم الفرنسى هنرى بيكرل . أما بيكرل فكان قد كشف أن أملاح الأورانيوم أطلقت إطلاقاً ذاتياً أشعة لم تعرف ما هيتها . وضع مركب الأورانيوم على لوحة للتصوير الضوئى يحيط بها ورق أسود فوجد أنه يترك أثراً على اللوحة بعد احتراق ذلك الورق . فكانت مشاهدة بيكرل هذه الشاهدة الأولى لتلك الظاهرة التى اسمتها مارى بعد ذلك بالنشاط الإشعاعى ، إلا أن طبيعة الإشعاع وأصله بقيا سراً غامضا .

فتن آل كورى بكشف بيكرل، وتساءلا عن مصدر الطاقة المنبعثة من مركبات الأورانيوم فى هيئة إشعاع ، ففتح لهما هذا السؤال باباً واسعاً للبحث، بل قفز بهما قفزة نحو مملكة مجهولة ، إلا أنهما واجها فى الوقت نفسه صعوبة الفوز بمكان موافق للمضى فى أبحاثهما فيه . وأخيراً منحت مارى ، بفضل مدير مدرسة الطبيعة التى كان بيير مدرساً فيها ، استعمال غرفة أرضية رطبة كانت تخزن فيها الماكينات المنبوذة .

لم يكن المضى فى البحث العلمى فى هذا الجحر بالأمر الهين . فالحالة الجوية فيه أضرت بالآلات الحساسة الدقيقة كما أضرت بصحة مارى ، غير أنها لم تعر هذا الأمر اهتماماً ما ، فكلما شعرت ببرودة الجو انتقمت لنفسها منها بتدوين درجة البرد فى جدولها !

وكلما زادت مارى تعمقاً فى دراسة كنه أشعة الأورانيوم ، زادت اعتقاداً أنها الأولى من نوعها . وبعد أن قامت بتلك المهمة الشاقة ، مهمة امتحان جميع الأجسام الكيميائية ، وجدت أن مركباً من عنصر آخر هو عنصر الثوريوم أطلق إطلاقاً ذاتياً أيضاً أشعة تشبه الأشعة التى يطلقها الأورانيوم . هذا فضلا عن أن النشاط الإشعاعى فى كلتا الحالتين كان أقوى مما كان ينتظر ، بالقياس إلى مقدار الأورانيوم أو الثوريوم الذى فى الجسم الذى أطلق ذلك الإشعاع .

فما مصدر ذلك الإشعاع غير العادى ؟ لم يكن هناك إلا جواب واحد . لابد من أن تكون هذه المواد محتوية على مقادير صغيرة من عنصر أقوى فى نشاطه الإشعاعى من الأورانيوم والثوريوم . ولكن ما هو ذلك العنصر ؟

كانت مارى فى تجاربها قد امتحنت جميع العناصر المعروفة ، ولم تجد بينها رداً على سؤالها . فلا بد للعالم إذن أن يجيب بتلك

الجسارة الفذة التى تتصف بها العقول الكبيرة : « إن تلك المواد تحوى عنصراً غير معروف إلى الآن ، وهو يمتاز بهذا النشاط الإشعاعى العجيب » .

عنصر جديد ! نظرية خلابة ! ولكن لا بد من كشف القناع عن تلك المادة المجهولة ، حتى تتمكن من أن تعلن وهى واثقة : « ها هى ذى ! » .

وبعد أن تتبع بيير كورى باهتمام كبير تقدم زوجه السريع فى تجاربها ، انضم إليها لمساعدتها صادفاً عن بحوثه الخاصة . فتعاون الآن عقلان وأربع أيد فى الكشف عن ذلك العنصر المجهول، فى تلك الغرفة الصغيرة الرطبة ، ثم دام هذا التعاون ثمانية أعوام كاملة ولم ينهه إلا حادث أليم .

بدأ بيير ومارى بحثهما بفصل كل عنصر من العناصر الداخلة فى مادة البتشبلند ، وهو ركاز الأورانيوم ، ثم عملا فى قياس نشاطه الإشعاعى فتوصلا إلى أن هناك عنصرين لا عنصراً واحداً يتصفان بالنشاط الإشعاعى . وفى شهر يوليو من عام ١٨٩٨ أعلنا اكتشاف أحد هذين العنصرين ، وقد سمته مارى « بولونيوم » تيمناً باسم بلادها المحبوبة بولندة .

وفى ديسمبر من عام ١٨٩٨ أعلن آل كورى كشف العنصر الآخر الذى سمياه «الراديوم» ، وهو يتصف خاصة بأن نشاطه الإشعاعى عظيم للغاية .

العبقرية فى سقيفة

لم تتفق الصفات الخاصة بالراديوم مع كثير من النظريات العلمية التى قبلها العلماء مدى مئات السنين ، فلذلك كان موقف علماء الطبيعة إزاء الكشف الجديد موصوفاً بالتحفظ الشديد . أما علماء الكيمياء فكانوا أكثر تحفظاً منهم ، لأن الكيميائى بطبيعته لا يسلم بوجود عنصر جديد إلا بعد أن يراه ، ويختبره ، ويمتحن تأثير الأحماض فيه ، ويقرر وزنه الذرى .

أما الراديوم فلم يره أحد ولم يقرر وزنه الذرى بعد . فلكى يبرهن آل كورى على وجود هذين العنصرين — البولونيوم والراديوم — تعين عليهما العمل المتواصل مدى أربع سنوات . ومع أنهما كانا قد توصلا إلى طريقة عقدا عليها أملهما فى فى فصل الفلزين الجديدين ، إلا أن مهمتهما الجديدة اقتضت استخدام مقادير وافرة من المواد الخام ، لاستخراج دقائق من هذين العنصرين .

كان ركاز الأورانيوم الذى يحوى عنصرى البولونيوم والراديوم يعالج فى مناجم سنت جواشمتسال ببوهيميا ، لتستخرج منه أملاح الأورانيوم المستعملة فى عمل الزجاج .

وقد كان هـذا الركاز غالى الثمن ، إلا أن آل كورى توصلا ببحثهما إلى أن استخراج الأورانيـوم منه يترك عنصرى البولونيوم والراديوم بغـير نقصان فى الفضـلات ، فلم لا يستخدمان هذه الفضلات التى لا قيمة لها ؟

وفازا من الحكومة النمساوية بطن من فضلات ركاز الأورانيوم ، وبدآ عملهما فى سقيفة مهجورة بجوار الغرفة التى أجرت فيها مارى تجاربها الأولى . أما هذه السقيفة الجديدة فكانت تستخدمها كلية الطب قديماً حجرة للتشريح ، إلا أنها عادت لا تصلح حتى لحفظ الجثث ، إذ كانت عارية من البلاط ، خالية من الأثاث ، لولا طاولات مطبخ قديمة ، وسبورة ، وموقد غاز قديم من الحديد الصلب .

كانت هذه السقيفة خانقة فى الصيف ، كما أنهـا فى الشتاء مثل المنطقة الثلجية فى بردها برغم إشعال الموقد بها ، إلا أنهما لم يستعملاها كثيراً بل أجريا أغلب تجاربهما فى الخلاء ، لافتقارها إلى المداخن الصارفة للغازات الخانقة .

وقد كتبت مدام كورى بعد ذلك قائلة : « إن أسعد سنوات حياتنا وأفضلها هى تلك التى قضيناها فى هذه السقيفة التعسة ، حيث وقفنا كل وقتنا على العمل . فكثيراً ما قضيت أياماً كاملة وأنا أحرك بعض المواد ، وهى تغلى ، بمراوة من الحديد يقرب وزنها من وزنى . فإذا ما أتى المساء شعرت بأنى منهوكة القوى تماماً » .

وعلى هذا المنوال استمر الأستاذ كورى وقرينته فى عملهما من عام ١٨٩٨ إلى عام ١٩٠٢ . وقد كانت مارى — وهى تعمل فى صحن تلك الدار ، بملابسهـا الرثة الملوثة بالأحماض ، وشعرها المنثور تداعبه الريح ، يحيط بها الدخان الكثيف الخانق — كانت مارى وحدها عبـارة عن معمل كامل . وقد كتبت مرة تقول : « وصل بى الأمر أن اشـتغلت بمقدار من المواد يبلغ وزنه عشرين كيلو جراماً فى وقت واحد ، مما اضطرنى إلى ملء الحجرة بأوعية السوائل والرواسب . ولقد كان حمل تلك الأوعية وصب السوائل منها ، وتحريك المواد المغلاة منهـا فى حوض الصهر ساعات طويلة ، عملا مضنياً حقاً » .

وامتدت أيام العمل أشهراً ، وانعقدت الأشهر سنوات ، غير أن ذلك لم يثبط من همة بيير ومارى . وكانا أحياناً يتركان أجهزتهما مدى لحظات قليلة ، فينتقلان فى حديثهما عن الراديوم المحبوب من البحث فى ناحيته الفائقة إلى التحدث فى الأمور الصبيانية المتعلقة به .

ففى أحد الأيام سألت مارى بحماسـة

وتشوق تقربان من حماسة الطفل الموعود بلعبة جديدة : « ترى ما يكون شكله ! وبأية هيئة تتصوره يابيير ؟ » .

فأجاب العالم بلطف : « لا أدرى ! ولكنى أتمنى أن يكون لونه جميلا » .

وإذ مضت مارى فى معالجة الطن من ركاز الأورانيوم الذى أرسل إليها قدراً بعد قدر ، امتلأت الطاولات القديمة فى حجرتها بمواد زاد فيها تركيز الراديوم زيادة مطردة ، وحين أشرفت على الدور النهائى ، دور تنقية السوائل ذات النشاط الإشعاعى القوى عاقها عن العمل افتقارها إلى الأجهزة اللازمة والاستعداد الكافى . ففى هذه السقيفة المعرضة للرياح ، اختلطت ذرات الحديد والفحم المتناثرة بالمواد المنتقاة التى اقتضت تنقيتها منها عناءاً كبيراً ، فانقبض قلب مارى من تلك الحوادث اليومية التافهة التى استنفدت كثيراً من وقتها ومجهودها .

وهنت عزيمة بيير أمام هذه العقبات المستمرة وفكر فى اعتزال العمل وقتاً ما لعل الأيام تهيئ لهما أحوالا أصلح للبحث العلمى .

إلا أنه فى تفكيره هذا لم يحسب لأخلاق مارى حساباً . فلقد أرادت مارى فصل الراديوم عن المواد الأخرى ، وإنها لفاعلة ذلك ، مستخفة بالمتاعب والمشاق ، غير آبهة لما يعوزها من المعارف لإنجاز عملها . كانت عالمة حديثة العهد بالأساليب العلمية ، وكثيراً ما صادفتها ظواهر طبيعية وعمليات حسابية لم تعرف عنها إلا القليل ، فاضطرت إلى دراستها دراسة عاجلة حتى تتمكن من مجابهتها .

وفى عام ١٩٠٢ ، بعد انقضاء خمسة وأربعين شهراً على اليوم الذى أعلن فيه آل كورى فرض وجود عنصر الراديوم ، تمكنت مارى من إحراز النصر بعزيمة وإصرار يفوقان صفات البشر ، إذ توصلت إلى إعداد ديسجرام من الراديوم النقى ، كما تمكنت من تقرير وزنه الذرى . فما كان للكيميائيين مفر من أن يطأطئوا الرأس أمام الوقائع ، ويعترفوا بوجود الراديوم .

حياة شاقة

ومما يؤسف له أنه كان أمام آل كورى نضال غير نضالهما مع الطبيعة فى معملهما . فلقد كان مرتب بيير شهرياً بمدرسة علم الطبيعة خمسمائة فرنك فقط ولذلك اضطربت الميزانية البيتية حين اضطرا إلى استخدام مربية بعد مولد إيرين ، فكان لا بد من البحث عن موارد أخرى .

وفى سنة ١٨٩٨ خلا كرسى أستاذ الكيمياء الطبيعية بجامعة السوربون ، فقرر بيير أن يطلب تعيينه فيه . فعلى أن مرتبه فيه كان عشرة آلاف فرنك ، كانت ساعات التدريس المخصصة له أقل من ساعات التدريس

بالمدرسة ، إلا أن طلبه رفض . ولم يتمكن من الوصول إلى مرتبة أستاذ إلا فى سنة ١٩٠٤ ، بعد أن اعترف العالم كله بمكانته العلمية العالية . أما حينئذ فقد اضطر إلى قبول منصب درجته أقل من درجة المنصب الشاغر بالسوربون ، حيث رضى أولو الأمر كل الرضا أن يعهدوا إليه فى تعليم بعض العلوم ذات المقام الثانوى ، مما يستغرق كل يومه . وفى الوقت نفسه حصلت مارى على منصب مدرسة فى مدرسة للبنات بالقرب من فرساى.

توصل الآن آل كورى إلى موازنة ميزانيتهما ، إلا أنهما أثقلا كاهلهما بالعمل الفنى فى الوقت الذى احتاجا فيه إلى كل قواهما لمواصلة تجاربهما فى النشاط الإشعاعى. فحاول أصدقاء بيير جهدهم أن يقربوه من ذلك المقام الذى يصعب الوصول إليه ، ألا وهو منصب أستاذ ، فخطر لهم أن عضويته فى أكاديمية العلوم لا بد أن ترفع من شأنه ، ولذلك اقترحوا عليه أن يرشح نفسه لها فى سنة ١٩٠٢ . فتردد أولا ثم سلم غير راض ، لأنه كان يثقل عليه القيام بالزيارات المعتادة لأعضاء الأكاديمية ، والكلام عما أحرزه من شرف ، وما قام به من جلائل الأعمال ، بل إنه وجد أنه يتعذر عليه بتاتاً القيام بهذه المهمة . فنتج عن ذلك أنه قام بالزيارات ولكنه امتدح منافسه المسيو أماجا .... فاختار أعضاء الأكاديمية المسيو أماجا .

بعد مدة قصيرة أبى بيير قبول وسام اللجيون دونور ، لأنه ظهر له أنه من بواعث السخرية أن يقدم إلى عالم أوصدت أمامه أبواب العمل ، صليب مغنى بالميناء ومربوط بشريط أحمر من الحرير ، وذلك على «سبيل التشجيع » ! !

ومضى آل كورى فى التعليم بروح طيبة ، وبدون تذمر ، باذلين جهدهما فى تأدية الواجب عليهما . ولانهما كهما الشديد فى عملهما ، بين تعلم وإجراء تجارب علمية، نسيا حاجتهما إلى الطعام والنوم ، بل تماديا فى حماقتهما هذه حتى أساءا إلى نفسهما وإلى صحتهما . فكثيراً ما كان يضطر بيير إلى الإسراع إلى فراشه من جراء ألم شديد فى فخذيه . أما مارى فتمكنت بصلابة أعصابها من المقاومة ، ومع ذلك فقد أفزع أحد أصدقائها شحوب وجهها وهزاله . وكذلك تقدم النشاط الإشعاعى ونما ، بينما كان يضنى تدريجيًّا العالمين اللذين وهباه الحياة .

قرار « لا قيمة له »

هذا الراديوم العجيب ! عند ما حضر كلوريداً ، ظهر مسحوقاً أبيض عادياً يشبه ملح الطعام تمام الشبه . إلا أن خواصه مدهشة حقاً ، فإشعاعه فاق فى شدته غاية ما يمكن توقعه ، حتى كان أقوى من إشعاع

الأورانيوم مليونى مرة ، فاخترقت أشعته أقسى المواد وأعسرها اختراقاً ، ولم تحجبها إلا ستارة كثيفة من الرصاص .

أما أحدث أعاجيبه وأعمقها أثراً فهى التمكن من الاستعانة بالراديوم فى كفاح السرطان . وهكذا ثبت أن الراديوم نافع ، أى أن كشفه لم يقتصر شأنه الخطير على الناحية التجريبية فقط ، بل تعداها إلى إنشاء صناعة جديدة .

وعند ما عرفت قيمة الراديوم الطبية نشطت حركة فى مختلف البلدان ، ولا سيما فى بلجيكا وأمريكا ، لاستغلال الركاز الغنى بالنشاط الإشعاعى ، ولكن العلماء لم يتمكنوا من استخراج هذا « التماز العجيب » منه ، لجهلهم سر العمليات الدقيقة اللازمة لذلك .

شرح بيير هذه المسألة لزوجه فى صباح أحد ما عقب قراءته رسالة وصلته من بعض أرباب الصناعات بالولايات المتحدة الأمريكية الذين يريدون استخراج الراديوم ويطلبون منه تزويدهم بالمعلومات اللازمة .

فقال لها بيير : « أمامنا طريقان يمكننا اختيار أحدهما . فإما أن نشرح لهم نتيجة بحثنا دون تحفظ ، بما فى ذلك عملية تنقية الراديوم . وإما . . . . »

وهنا أشارت مارى إشارة ميكانيكية تدل على الموافقة وتمتمت : « نعم طبعاً » .

ثم مضى بيير فى حديثه :

« وإما أن نعد أنفسنا مالكى الراديوم أو بعبارة أخرى « مخترعيه » ، ونسجل طريقة معالجة ركاز البتشبلند ، فنحتفظ لأنفسنا بامتياز صناعة الراديوم فى العالم كله » .

تأملت مارى بضع ثوان ثم قالت : « هذا مستحيل ، لأنه يتعارض مع الروح العلمية » . فانفرجت أسارير بيير ، ولكنه استطرد إراحة لضميره وهو يضحك ضحكا لطيفاً ، مشيراً إلى الأمر الوحيد الذى عزت عليه التضحية به : « ويمكننا حينئذ أن نمتلك معملا كامل المعدات » . أما نظرة مارى فلم تتغير ، لأنها ثبتت على رأيها وهو رفض الربح المادى : « إن علماء الطبيعة ينشرون دائماً بحوثهم كاملة . فإذا كان كشفنا له فائدة تجارية فهذا عارض يجب ألا نستفيد منه . وحيث إن الراديوم سيستخدم لمعالجة الأمراض ، فيجب ألا نستغله » .

لم تحاول أن تقنع زوجها ، لأنها وثقت بأنه ذكر أمر ملكية الكشف على سبيل الاحتياط فقط . فالكلمات التى فاهت بها بثقة تامة كانت تعبر عن شعورهما كليهما ، عن رأيهما الصادق فى مكان العالم فى الحياة . ثم أضاف بيير وكأنه يقرر أمراً لا قيمة له : « سأكتب هذه الليلة إلى الخبراء

الأمريكيين ، وأزودهم بالمعلومات التى طلبوها منى » .

وبعد ربع ساعة من هذا الحديث القصير فى صباح الأحد ، قام بيير ومارى بنزهة على عجلتين فى الغابات ، بعد أن اختارا إلى الأبد بين الفقر والغنى .

وفى المساء رجعا منهوكين ، وأذرعهما ملأى بأوراق الحقول وأزهارها !

المجد

والآن بدأت مقدمة تلك القطعة الموسيقية الرائعة التى سرعان ما بلغت أوجها . ففى يونيو من سنة ١٩٠٣ ، دعا المعهد الملكى بلندن بيير لكى يحاضر فيه فى موضوع الراديوم ، وتبع ذلك سيل من الدعوات لحضور الحفلات والولائم ، لأن لندن بأسرها تاقت إلى مشاهدة « والدى الراديوم » .

تحمل آل كورى هذه الحفاوة مدة أيام قليلة بشىء من التململ ، ثم رجعا إلى مسكنهما الصغير . ولكن الإنجليز السكسون متصفون بالولاء لمن يعجبون به .

ففى نوفمبر سنة ١٩٠٣ منحت الجمعية الملكية بلندن بيير ومارى مدالية داقى ، وهى من أسمى أوسمتها .

وكانت بلاد السويد هى التالية فى الاعتراف بفضلهما . ففى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٣ اعلنت أكاديمية العلوم بستوكهلم أن جائزة نوبل لعلم الكيمياء فى تلك السنة قد قسمت مناصفة بين هنرى بيكرل من ناحية ، ومدام كورى وزوجها من الناحية الأخرى ، لكشفهم النشاط الإشعاعى .

كانت قيمة جائزة نوبل هذه سبعين ألفاً من الفرنكات ، ولم يكن قبولها « يتعارض مع الروح العلمية » . فكانت فرصة عظيمة الآن لإنقاذ بيير من ساعات التدريس الطويلة ، ولرعاية صحته .

ويوم قبضا تلك النقود أفاضا الهدايا والقروض على أخى بيير وأخت مارى ، والهبات للجمعيات العلمية ، والعطايا لبعض الطلبة البولنديين ، ولإحدى صديقات مارى منذ طفولتها . وأعدت مارى حماماً متقناً فى بيتها الصغير ، وأثثت غرفة بسيطة . ولكن لم يخطر لها قط أن تحتفى بشراء قبعة جديدة . ومضت فى مزاولة التعليم مع أنها أصرت على أن يعتزل بيير عمله بمدرسة الطبيعة .

ذاع صيتهما ، وتكدست طاولتهما بأكوام الرسائل البرقية ، ونشرت عنهما آلاف المقالات فى الجرائد ، وتلقيا مئات الطلبات للحصول على إمضائهما أو صورتهما وكثيراً من الخطابات من المخترعين ، وكثيراً من الأشعار فى مدح الراديوم . ولقد وصل الأمر بأحد الأمريكيين أن طلب السماح له بتسمية فرس للسباق باسم مارى . ولكن

سوء تفاهم مستديم فصل بين آل كورى وبين الجمهور الذى أعارها التفاته الآن . فلقد وصلا إلى لحظة مؤلمة جداً فى حياتهما ، إذ كانا فى حاجة إلى التفرغ للعمل ليتمما رسالتهما التى لم تنته بعد ، على حين أن ذيوع الصيت لم يحسب حساباً ما لذلك . ذلك بأن الصيت يطغى على العظماء بحمله الثقيل ، ويحاول أن يعوق تقدمهم غير عابئ بالمستقبل الذى يجاهدون له .

إن منحهما جائزة نوبل أنالهما من الصيت الذائع ما حمل الملايين على حساب كشف النشاط الإشعاعى ، الذى لم يتجاوز بعد دور الطفولة ، ضمن الانتصارات المحققة . بل إن كثيرين شغلوا أنفسهم بالتدخل فى حياة هذين الزوجين الخاصة التى تقرب من الأساطير ، فسلبوهما الكنز الوحيد الذى اعتزا بالاحتفاظ به ، ألا وهو التأمل والهدوء .

وعلقت مارى على ذلك ، بما كتبته فى ربيع سنة ١٩٠٤ :

«... ضوضاء مستمرة . فالقوم يلهوننا عن عملنا ، ولذلك اعتزمت على التسلح بالشجاعة ورفض مقابلة الزائرين ، ولكنهم يصرون على إزعاجنا . لقد أفسد علينا الصيت حياة العمل الهادئة التى كنا نحياها» .

ولقد تألمت مارى بنوع خاص من الدور الذى انتظر العالم أن تمثله ، لأن طبيعتها لم تتفق مع المظاهر التى تقتضيها الشهرة من الاندماج فى الحياة الاجتماعية ، والصداقة المتكلفة ، والقسوة فى المعاملة أحياناً ، وادعاء التواضع أحياناً أخرى .

فالحادثة التالية ، من آلاف الحوادث مثيلاتها ، تبين جلياً موقف آل كورى من حماسة الجمهور واهتمامه بهما . فبينما كانا يتناولان الطعام مرة بقصر الأليزيه مع الرئيس لوبيه وقرينته ، سألت مدام لوبيه مارى قائلة : « هل ترغبين فى أن أقدمك إلى ملك اليونان ؟ » .

فأجابت مارى بكل بساطة وأدب وإخلاص : « لا أرى جدوى من ذلك »

ولكنها لاحظت حينئذ دهشة السيدة التى تكلمها ، فامتقع وجهها وقالت مستدركة كلامها : « ولكن . . . ولكن . . . بالطبع أعمل مايسرك . كل شيء يسرك » .

وقد كان يجب على الصيت الذائع الذى أنزل بآل كورى كثيراً من النكبات ، أن يأتيهما بشيء من البركات مثل مقام الأستاذية ، ومعمل يليق ببحثهما ، وفريق من العلماء للتعاون معهما . ولكن متى تأتى هذه النعم ياترى ؟

الانتقاد معاً

لما حلت نهاية حمل مارى الثانى فى

سنة ١٩٠٤ ، كانت منهوكة القوى لطول المدة التى لازمت فيها فراشها ، وهى فى حالة تعب شديد . وأخيراً فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٤ ولدت طفلة سمينة يعلو رأسها شعر كث وهى إيف[1] . ولكن سرعان ما عادت مارى إلى عملها بالمدرسة والمعمل . حاول آل كورى كالمعتاد الامتناع عن الظهور كثيراً فى المجتمعات ، ولكنهما لم يجدا بداً من حضور الحفلات الرسمية لتكريم العلماء الأجانب . ففى هذه الحفلات فقط كان بيير يلبس سترته الطويلة الرثة ، ومارى فستان السهرة الوحيد الذى امتلكته .

فهذا الفستان الذى احتفظت به مارى سنين طويلة ، مستعينة بإحدى الخياطات من وقت لآخر على تغييره بعض الشىء ليوافق الزى المتبع ، كان من الحرير « الجرينادين » الأسود . ولا غرابة إذا كان موضع احتقار أية سيدة عادية ، أما مارى فقد أوجدت لنفسها ، بما اتصفت به من الاتزان والتحفظ ، زياً خاصاً ملائماً للابسها . بل لقد ظهرت بمظهر فاتن حقاً حين صففت شعرها الأشقر ، وعقصته فوق رأسها ، وتحلت بعقد لطيف من الذهب صياغته فى غاية الرقة ، فتجلى ما فى جسمها النحيف ووجهها من جمال وفتنة .

(١) مؤلفة هذه السيرة .

وفى إحدى هذه الحفلات تمتم بيير قائلا : « إنه من المؤسف حقاً عدم حضورنا الحفلات ، فملابس السهرة تناسبك جداً » . ثم أضاف فى حسرة : « ولكن يعوزنا الوقت لها » .

وانتخب بيير أخيراً فى ٣ يوليه سنة ١٩٠٥ عضواً فى الأكاديمية ، ولكن مع ذلك نال منافسه اثنين وعشرين صوتاً . وفى السنة نفسها أيضاً عينته السوربون فى منصب أستاذ للطبيعة . فتحققت جميع آماله ، إلا الحصول على معمل وافر المعدات للبحث .

وبقيت أمام مارى ثمانى سنوات كاملة أخرى قبل تمكنها من وضع أجهزة النشاط الإشعاعى فى معمل لائق بها ، ذلك المعمل الذى لم يسعد الحظ بيير برؤيته . فبقيت طول عمرها منغصة العيش متألمة ، لأن زوجها حرم تحقيق الأمنية المفضلة على جميع أمانيه .

فى ١٤ أبريل من سنة ١٩٠٦ كتب بيير يقول : « إننا نعمل معاً ، أنا ومدام كورى ، لنقيس بالضبط مقدار الإشعاع الذى ينطلق من الراديوم .

« وقد يبدو هذا أمراً هيناً ، ولكننا قضينا الشهور فى بحوثنا ، والآن فقط بدأنا نصل إلى نتائج منتظمة » .

« إننا نعمل معاً أنا ومدام كورى... »

تلك الكلمات التى خطها بيير قبل موته

بخمسة أيام فقط ، فعبر أحسن التعبير عن طبيعة اتحاد جميل وثيق ، ما كانت الحوادث لتنال منه أي منال .

فكل تقـدم فى العمل ، سواء أفوزاً كان أم إخفاقاً ، كان مدعاة لتعزيز تلك الرابطة القوية بين الزوجين وتوثيقها . فبين هذين الندين اللذين أعجب أحدهما بالآخر إعجاباً كبيراً ، نشأت زمالة قوية كانت أسمى تعبير عن حبهما العميق .

وحيدة

حوالى منتصف الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ ، فى يوم قاتم ممطر ، ودع بيير زملاءه أساتذة كلية العلوم بعد أن تغدى معهم ، وخرج إلى شارع دوفين وحاول عبوره دون أن يلتفت إلى عربة نقل قادمة . فلما رآها وقف مذهولا وحاول الإمساك بصدر الجواد الذى يجرها ، فتراجع الجواد إلى الوراء ، إلا أن بيير تزحلق على الأرض المبتلة ، ومرت عليه تلك العربة الضخمة المحملة بستة أطنان من البضاعة ، فسحقت جمجمته برغم محاولة السائق أن يوقفها . فرفع رجال البوليس ذلك الجسم الدافئ الذى فارقته الحياة فى أسرع من لمح البرق .

الآن الساعة السادسة مساء ، ومارى ملأى بالبهجة والحياة ، واقفة بباب المنزل تستقبل ضيوفاً وافدين ، ولكنها لاحظت فى نظراتهم وسلوكهم عطفاً خاصاً . فوقفت مارى جامدة ، قليلة الحركة ، بعد أن رووا لها وقائع الحادث . وبعد صمت طويل فاهت بهذه الكلمات :

« أحقاً إن بيير قد مات ؟ مات حقاً ! » . ومنذ اللحظة التى سجل فيها عقلها تلك الكلمات الثلاث « بيير قد مات » غدت مارى امرأة حزينة ، وحيدة لا تعزى

وبكلمات قليلة طلبت نقل جثة بيير إلى المنزل ، ثم طلبت إلى إحدى صديقاتها أن تأخذ إرين وإيف إلى بيتها ، وبعثت رسالة برقية إلى والدها بوارسو . وبعدئذ خرجت إلى الحديقة وجلست صامتة ، ساكنة ، محدقة فى غير وعى ، ممسكة برأسها بين يديها تنتظر وصول زميلها .

أدخلت النقالة ببطء من الباب الضيق إلى غرفة بالدور الأرضى بالمنزل ، فبقيت مارى بعض الوقت وحدها مع زوجها وهى تقبله ، وما زال جسمه ساخناً . بقيت هكذا إلى أن أخرجت بالقوة من الغرفة ، حتى لا تشاهد الجثة عند لفها بالأكفان . أطاعت دون التفات ، ولكن سرعان ما تنبهت أنها بخروجها من الغرفة قد حرمت تلك الدقائق القليلة الباقية ، فهرولت إلى الداخل إلى جانب جثة زوجها .

وبعد موت بيير وانقضاء المأتم ، عرضت الحكومة رسمياً على زوجه أن تمنحها هى طفلتيها معاشاً ، فأبت مارى محيية بشجاعتها المعتادة : « لست بحاجة إلى معاش ، فأنا صغيرة السن ، وأستطيع أن أعمل لكسب عيشى أنا وطفلتى » .

وفى ١٣ مايو سنة ١٩٠٦ قرر مجلس كلية العلوم بالسوربون بإجماع الأصوات إسناد منصب بيير فى السوربون إلى مارى . وكان إسناد هذا المنصب إليها أول مرة أسند فيها منصب فى التعليم العالى إلى امرأة . وبعد أن أصغت مارى ، وهى ذاهلة عن نفسها ، إلى كلام حمها فى أن الواجب عليها يقضى بقبول هذا المنصب لتتم رسالتها، أجابت بهذه العبارة القصيرة : « سأحاول ذلك » .

حل ميعاد محاضرتها الأولى بالسوربون فملأت الجماهير بهو المحاضرات ، وازدحمت بالدهليز والميدان ، وامتدت الأعناق فى انتظار مدام كورى ، وبدأ القوم يتساءلون : ما تكون أولى كلماتها ياترى ؟ هل تبدأ بشكر وزير المعارف أو الجامعة ، أو تذكر شيئاً عن بيير كورى ؟ لا بد أن تذكر شيئاً عنه فقد جرت العادة أن يبدأ الأستاذ الجديد محاضرته الأولى بالثناء على سلفه ...

وفى منتصف الساعة الثانية فتح الباب الخلفى ، وتقدمت مارى كورى إلى المنصة فى عاصفة من التصفيق . أحنت رأسها تحية للجمهور ، ولكن حركتها كانت جامدة بعض الشىء . ثم بقيت واقفة حتى هدأت العاصفة ، ثم تطلعت مارى إلى الأمام وقالت : « متى فكر المرء فى التقدم الذى أصابه علم الطبيعة فى السنوات العشر الأخيرة ، أخذته الدهشة من مبلغ ما طرأ على أفكارنا من التغيير بشأن الكهربائية والمادة ... » . وهكذا وصلت مدام كورى ، بهذه العبارة ما انقطع من الكلام فى نفس الموضوع الذى عالجه بيير كورى قبل مصرعه ، فاغرورقت عيون الحاضرين وسالت الدموع على وجوههم ، وبعد أن انتهت من محاضرتها خرجت من الباب الصغير بنفس السرعة التى دخلت بها .

انتصارات وتجارب

ذاع صيت مدام كورى ومنحت كثيراً من الدبلومات ودرجات الشرف من الأكاديميات الأجنبية . ومع أن أكاديمية العلوم أبت أن تشرفها بعضويتها — إذ أخطأها صوت واحد فأخفقت فى الانتخاب — إلا أن السويد كافأتها بجائزة نوبل لعلم الكيمياء فى سنة ١٩١١ ، وهذه هى المرة الوحيدة التى منحت جائزة نوبل مرتين لأى رجل أو امرأة فى العالم .

بعد ذلك اشترك السوربون ومعهد

باستير فى إنشاء معهد للراديوم ، يضم قسمين : أحدهما معمل لأبحاث النشاط الإشعاعى تحت إدارة مدام كورى ، والآخر معمل للأبحاث البيولوجية ودراسة معالجة السرطان تحت إدارة طبيب مشهور . ورغماً من معارضة آلها ، تبرعت مارى للمعمل بجرام الراديوم الذى جهزته هى وبيير بيديهما ، وكان يساوى أكثر من مليون فرنك ذهب . وقد بقى هذا المعمل مدار حياتها إلى النهاية .

وفى أثناء الحرب خدمت مارى وطنها الثانى بكل ولاء وإخلاص . وإذ وجدت أن المستشفيات تعوزها الأشعة السينية التى تكشف موضع الرصاص فى المصابين ، قررت فى الحال أن مهمتها هى إعداد مراكز خاصة بالكشف بالأشعة السينية ، فجمعت أجهزة الأشعة التى تمكنت من الحصول عليها فى المصانع ومعامل الجامعات ، ووزعتها على المستشفيات القريبة من باريس . كما حشدت عدداً كبيراً من المتطوعين من الأساتذة والمهندسين والعلماء ، لكى يدربوا تلك الآلات . وإلى جانب ذلك أعدت مارى سيارة خاصة لنقل المصابين من الخطوط الأمامية فى الميدان إلى المستشفيات ، وكانت تلك السيارة المجهزة بجهاز رونتجن ودينامو ، هى الوحيدة المستعملة فى أثناء واقعة المارن . ثم جاهدت مارى طويلا حتى تمكنت من الحصول على عشرين سيارة لهذا الغرض جهزتها كسابقتها ، فدعيت تلك السيارات « بالكوريات الصغيرة » . ولم تتأخر عن قيادة إحداها بنفسها ، برغم ما عانته فى سبيل ذلك من التعب .

وأضافت مفخرة أخرى إلى تاريخ جهادها إذ تمكنت من إعداد مائتى غرفة بأجهزة الراديوم ، حتى بلغ عدد المصابين الذين عولجوا فيها ما يزيد عن المليون . أمام كل ما لاقته مارى من المتاعب والصعاب لم تظهر أدنى تململ أو كلل ، بل لم تعن بتأثير الأشعة السينية فيها ، أو بتعرضها لخطر النيران حولها فى ميادين القتال . ومما هو جدير بالذكر أنها لم تنل اعترافاً رسمياً ما بالخدمات التى أسدتها إلى فرنسا فى الحرب ، ولكنها شعرت فى الوقت نفسه أنها نهضت بالواجب عليها على أكمل وجه.

أمريكا

فى سنة ١٩٢٠ اكتتبت نساء أمريكا بمبلغ مائة ألف دولار لشراء جرام من الراديوم لإهدائه إلى مارى كورى ، وطلبن منها مقابل ذلك زيارتهن ، فترددت مارى أولا فى إجابة طلبهن ، ولكنها إزاء كرمهن لم تجد بداً من التغلب على حيائها وانزوائها ، والتعرض لأول مرة فى حياتها ، وهى

فى الرابعة والخمسين ، لما تفرضه عليها رحلة رسمية عظيمة كتلك الرحلة .

وهناك على رصيف ميناء نيويورك انتظرتها الجماهير الغفيرة مدة خمس ساعات كاملة ، فعبرت لها بذلك عن مبلغ إجلالها لها . كان الأمريكيون — قبل رؤيتها — قد أحاطوا اسمها بما يقرب من الولاء الدينى، أما الآن وهى بينهم فليس لإجلالهم حد ما . لن أحاول فى هذا المقام أن أعرف روح أمة ، ولكنى أقرر أن الحماسة المتناهية التى قابل بها الأمريكيون ماري كورى لها مغزاها العميق .

فإن الشعوب اللاتينيـة ، مع اعترافها بعبقرية الأمريكيين ونبوغهم ، تزعم لنفسها الانفراد بتبجيل المثل العليا ، ولكنه ثبت الآن أن الأمريكيين ما ساروا فى احتفائهم بمارى هذا الاحتفاء العظيم إلا وراء تلك المثل العليا التى يجلونها .

قدتثيرسيدة كهذه بشخصيتها ومكتشفاتها شيئاً من حب الاستطلاع والإعجاب، ولكن ليس هذا كافياً لوصف ماأظهره الأمريكيون من العطف والحب ، فإنهم ما كانوا حينئذ إلا محتفين بالنبل فى الحياة ، النبل الممثل فى احتقار الربح المادى ، والتفانى فى حب الحياة الفكرية الخالصة ، والرغبة الشديدة فى خدمة الغير . كانت الجامعات الأمريكية جميعها قد دعت مدام كورى لزيارتها وأعدت لها المداليات والدرجات العلمية، ولكن مدام كورى وقفت مذهولة حينما أحاطها القوم بالإعجاب والتبجيل ، وشعرت بالخجل والحياء كلما تطلعت إليها الجماهير المتشوقة لرؤيتها ، بل إن خوفاً غريباً استولى عليها أولا ، ألا وهو الخوف من أن تطغى عليها الجماهير .

وأخيراً ضعفت صحة مارى فلم تتمكن من إتمام رحلتها ، واضطرت إلى الرجوع إلى فرنسا نزولا على مشورة أطبائها . رجعت مارى منهوكة ولكنها مغتبطة راضية ، وإن حياءها وتواضعها ما كانا ليحجبا عنها الحقيقة ، وهى أنها قد بثت السرور فى قلوب ملايين من الأمريكيين .

وإنى أعتقد أن رحلة والدتى إلى أمريكا قد علمتها أن حياة العزلة التى تحياها تتناقض ومقامها العالى . فمع أن مدام كورى الباحثة قد تمكنت قبلا من الانعزال عن العالم ، إلا أن مدام كورى فى سن الخمسين لم تكن باحثة وعالمة فحسب، بل إن مقامها الاجتماعى هيأ لها النجاح فى تأدية رسالتها إلى العالم ، فكان لا بد لها من أن تحمل تلك الرسالة .

أما رحلاتها بعد ذلك فكانت متشابهة ، إذ شملت حضور المؤتمرات العلمية والمحاضرات والاحتفالات الجامعية ، وزيارة المعامل ، فكانت حيثما حلت موضع التكريم والتبجيل.

وفى ذلك الوقت جمعت وارسو مبلغاً من المال عن طريق الاكتتاب العام ، وانشأت به معهداً للراديوم أسمته : « معهد مارى سكلودفسكا كورى » ، كما تبرعت النساء الأمريكيات ثانية بجرام آخر من الراديوم لمدام كورى . فأعاد التاريخ نفسه إذ زارت مارى نيويورك فى ١٩٢٩ ، كما زارتها فى سنة ١٩٢١ ، لشكر النساء الأمريكيات ، ولكن زيارتها كانت باسم بولندا هذه المرة ، فحلت ضيفاً على الرئيس هوڤر فى البيت الأبيض .

ومما يسترعى الانتباه أن مدام كورى لم تتغير ، فلم تتغلب على خوفها من الجماهير المحتشدة ، كما أن الشهرة لم تؤثر فى أخلاقها . ويخيل إلى أنها لم تتمكن من الوصول إلى « اتفاق ودى » مع ذيوع الصيت ، بل كان حليفها الأول والأخير هو المعمل ، حتى كتبت مرة تقول : « إنى أشك هل أتمكن من الحياة بدون المعمل ؟ » . وفهم هذه العبارة يقتضى منا فهم مدام كورى وتعرف نفسيتها ، فلقد كان يغمرها السرور والغبطة متى نجحت فى تجربة ما تجريها ، على حين كانت تنقض عليها صواعق الهم إذا ما أخفقت فيها .

خاتمة الرسالة

ومضت مارى فى عملها إلى النهاية بنشاط فذ ، وبإهمال فريد أيضاً لراحتها وصحتها ، فلم تحترس ألبتة من خطر الراديوم ، فتناولته واشتغلت به دون أن تأخذ بالحيطة التى نبهت طلبتها إليها . وبعد جهد جهيد أذعنت لامتحان دمها فى معهد الراديوم ، فأظهر الكشف مادة غريبة به . وما هى ؟ لقد قضت مدام كورى خمساً وثلاثين سنة وهى تعمل بالراديوم ، وتتنفس الهواء المشبع به ، كما تعرضت فى أثناء الحرب لإشعاع أخطر من الأول ، وهو إشعاع جهاز رونتجن ، ولكنها لم تحسب ما أصابها من ألم أو حروق إلا شيئاً يسيراً فى مقابل الأخطار التى تعرضت لها .

لم تعر مارى إصابتها بالحمى التفاتاً كبيراً ولكن فى مايو سنة ١٩٣٤ لازمت الفراش لإصابتها بنزلة . ولما توقف قلبها القوى أخيراً عن النبض ، أصدر العلم حكمه ، وهو أن ما طرأ عليها من الأعراض الغريبة ، وما أثبته الامتحان فى دمها ، يرجع إلى الراديوم ، فهو المجرم الحقيقى .

وفى يوم الجمعة فى السادس من شهر يوليو سنة ١٩٣٤ أودعت مارى مقرها الأخير بدون احتفال رسمى — إنفاذاً لوصيتها — فدفنت بجانب زوجها بيير فى مدفن «سو» ، بحضور أقاربها وأصدقائها وزملائها .

قصة مجلة عجيبة

ملخص من قصة « ريدرز دايجست » بقلم محرريها

● بدأت فكرة فى فبراير سنة ١٩٢٢ ، ثم تجسمت خدمة ينعم بها نفر قليل من أعضاء رابطة محدودة ، ثم تحولت مجلة عالمية يقرؤها ملايين من الناس فى قارات الأرض الست وجزائر البحار .

● أما الفكرة فأساسها : إن ما تصدره المطابع كل شهر من مجلات عامة ، وفنية خاصة ، وكتب ، تتعذر مطالعته كله والافادة منه على كائن من كان . ومطالعة هذه المجلات والكتب ، واختيار أجودها وتلخيصه وإباحته لمن يريد ، فكرة عظيمة .

● وقد حققت هذه الفكرة فتجسمت خدمة ينعم بها عدد محدود من الناس انتظموا جماعة . تراقهم العمل ، وجنوا منه متعة وفائدة ، ووفر عليهم وقتاً كثيراً .

● وعندئذ شاع ذكرها ، واشتهرت مزاياها ، واشتد الطلب عليها ، فتحولت مجلة عامة يقرؤها ملايين من الناس فى خمس لغات أو ست . فهى متاحة الآن لكل من يريد ، وليست مزية يتمتع بها نفر قليل .

● كل عدد من أعداد هذه المجلة ، يستغرق إعداده ٥٦٧٠ ساعة من ساعات العمل الدقيق المحكم . ومحررو المجلة يقرأون كل شهر ما يزيد على ٥٠٠ مجله ونشرة فنية . وهذه القراءة وحدها تمثل عمل ٧٠٠ يوم ، ثمانى ساعات كل يوم . ولو أقام فرد على قراءتها ولم يفعل شيئاً آخر لما أنجز قراءتها فى سنتين .

● وكل مقال فى كل عدد من هذه المجلة يستغرق تلخيصه ، عمل ستة من الكتاب الأكفاء المختصين ، على المعدل .

● يطالع محررو المجلة عشرات من الكتب الجديدة التى تصدرها المطابع كل شهر ، ويختارون أجودها وأهمها شأناً وأقومها أدباً ، ثم يلخصونه تلخيصاً يحوى لباب الكتاب وروح كاتبه وأسلوبه . وقد دل استفتاء القراء شهراً بعد شهر على أن « باب الكتب » لا يقبلون عنه بديلاً فى المجلة .

● كل مقال يلخص من مجلة ما ، وكل كتاب يلخص فى باب الكتب ، يستأذن فى تلخيصه ، أصحاب المجلة أو الكاتب أو الناشر وتمنح المجلة أو الناشر مكافأة على إذن التلخيص ويعطى الكاتب مكافأة قد تزيد أحياناً على المكافأة التى نالها على مقاله الأول ، ولم يحدث أن امتنع كاتب ما عن الإذن للمجلة فى تلخيص مقال له ، ومن النادر أن يمتنع ناشر .

● إن محررى هذه المجلة يعدونها خدمة تسدى إلى قرائها فى المقام الأول ، وهم لا يدخرون وسعاً فى إجادة الاختيار والتلخيص ، وإجادة العرض بحيث تكون المجلة رفيقاً أنيساً وصديقاً مرشداً لكل قارىء .





رمـــز التـــفوق

جرى الانسان من الأزل ، على استخدام الرموز للدلالة على ما تصبو إليه نفسه من امانى ومثل عليا. فأصبحت الراية، مثلا ، علامة على اتحاد أمة، وبات الختم فى يد الحاكم دليلا رسميا على ما يملك من أمر ونهى ، بل ذهب الامر إلى أبعد من ذلك ورأينا كيف أن خطين متقابلين على حائط عاطل أصبحا رمزان إلى النصر المنشود والحرية المأمولة فى أغلب بلدان العالم .



والصناعة أيضاً رموزها ، ففى مضمار صناعة أجهزة الراديو ومعداته على اختلافها ، وأجهزة الاستقبال والاذاعة الخاصة بالمسارح ودور الصناعة ، وفى حلبة الاستحداثات والاختراعات الكهربيه الجديدة احتلت علامة R C A المنزلة الأولى وأصبحت رمزاً على التفوق و R C A شعار المؤسسة الأمريكية الكبرى :

Radio Corporation of America



واليوم ، فى الوقت الذى عبأت فيه R C A جميع ما لديها من موارد وأساليب صناعية وفنية وخبراء خدمة لجهود الأمم المتحدة الحربي ، تتطلع بعين الثقة إلى المستقبل ، عندما ترجع الأمور إلى نصابها الطبيعى وتعود هذه المؤسسة من جديد إلى بذل خير جهودها فى خدمة العالم العربى الذى يدرك تماما قيمه الشعار ومرماه .

راديو كوربوريشن أوف أمريكا

تشمل R C V.A ڤيكتور - كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة



معبأة جميعاً في خدمة النصر

من ٢٨ سنة ومصانع « جوديير » محتلة مكان الصدر بين أعظم منتجى إطارات السيارات وفى خلال هذه السنين لم تكتف مصانع « جوديير » بإدخال تحسينات لا حصر لها فى صناعة الاطارات العصرية فحسب ، بل تناولت بالتجديد والتحسين كثيراً من منتجات المطاط الأخرى

أما اليوم فإن خبرة « جوديير » التى لا تجارى ومهارة إخصائييه وموارده العظيمة جميعاً ، كلها عبئت لخدمة النصر . فمصانع جوديير تنتج من شتى المعدات الحربية اللازمة ما يربى عدده على السبعين مثل : رصاص البنادق وخزانات الجازولين للطائرات التى تسد ثقوبها من تلقاء نفسها ، ومجموعات من الزوارق التى تنتفخ انتفاخاً ذاتياً ، وبالونات صغيرة لمطاردة الغواصات وأجنحة الطائرات وذيولها وغيرها من الأجزاء التى تضبط بها الطائرات . وكذلك الاطارات على اختلاف أقيستها للوحدات الميكانيكية المتنوعة

فيتضح أن تقدم جوديير إبان السلم قد خدم قضية الحلفاء خلال الحرب خدمة لا تقدر ، وعلى هذا الأساس ستضع مصانع جوديير كل ما اكتسبته من خبرة الآن ، فى خدمة منتجاتها الجديدة — بعد النصر



والاستقرار ، ترحب بالاستعانة بكل جديد نافع . فقد كنا أصحاب مدنية قديمة استمد الغرب منها مقومات نهضته التي ملأت الدنيا بما نشهد من روائع الآثار ، وعادت أحلام القرون الغابرة حقائق ملموسة . فلو رجع إلى الحياة واحد من أولئك الحالمين لأغمض عينيه طويلا قبل أن يستيقن من صحة ما يرى ويشهد .

لقد غزا الفكر الإنساني جميع الآفاق ، وطوف فيها ما شاءت له الهمة والعزيمة أن يطوف ، وحاول أن يكشف عن كل مستور ، ويصحح كل خطأ ، ويقترب بالإنسانية جميعها من أهدافها ، ويمهد للعقول القادمة طريق البحث والاستقراء والتمحيص . فمن أوجب واجبات قراء العربية أن يقفوا على تيارات الفكر في جميع أشكالها وصورها حتى تدنو من الصواب في كل ما نعمل .

إنما نريد لمصر أن نساهم مع الشعوب كلها في أداء حق الضمير الإنساني ، وتقدير كرامة الإنسان ، والقيام برسالة الحق والعدل ، وتخليص البشرية من ويلات رذائلها البغيضة .

ولن يهيأ لنا ذلك إلا إذا اقتبسنا مشعلاً من كل أمة ، ووصلت بين عقول أبنائها وبين أفكار أولئك الرجال الملهمين ، الذين توفروا على دراسة هذه الحياة في مختلف نواحيها ، وهم يقدمون نتائج بحوثهم المضنية الشاقة في فصول سهلة ميسورة الفهم والإدراك .

ومما لا ريب فيه أن التراث المادي قد تحتجز فيختص به شعب دون شعب ، وفريق دون فريق ، ولكن الفكر الإنساني لا يمكن أن يحول دونه حائل عن التجول في كل مكان يعمره الناس ، وخاصة بعد أن وضحت معالم التبادل بين الناس في شتى وسائل المواصلات .

ويقيننا أن ما بين مصر وأمريكا من أسباب التعاطف والمودة سوف يضاعفه قيام مجلة « المختار » من ريدرز دايجست التي أرجو لها من صميم القلب كل نجاح وتوفيق .

محمود النقراشي

جزء متمم للثقافة العالمية

للأستاذ محمود أبو الفتح

عضو مجلس الشيوخ ، صاحب جريدة المصرى ، ورئيس نقابة الصحفيين

يسعدنى كثيراً أن أقدم إلى قراء العربية فى مصر والشرق مجلة « ريدرز دايجست » ، التى ظفرت بتقدير رجال الفكر فى العالم ، وفاضت صفحاتها بثمرات قرائح الموهوبين والنوابغ فى شتى البحوث والموضوعات . حتى أصبحت جزءاً متمماً للثقافة العالمية . ويسرنى أن يفكر القائمون بأمرها فى أن يصدروا طبعة منها باللغة العربية ، لتؤدى رسالة من أنبل رسالات النشر فى استنارة العقول ، وإضافة أفق جديد من آفاق التفكير المتزن وصحة الإدراك وملاحقة تيارات الآراء المختلفة التى تقود الحياة الذهنية فى العالم .

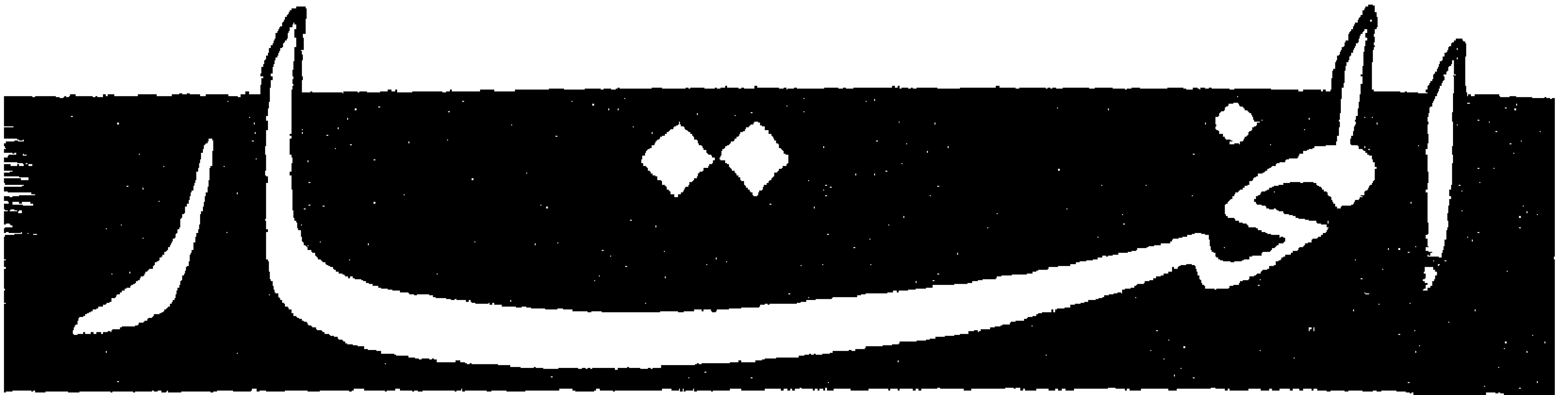
ومن مزايا هذه المجلة أن تلخص مختلف الدراسات التى يقوم بها إخصائيون ممتازون وتقدمها إلى القراء ، فيصيب الأديب والمتأدب والقارئ العادى حاجته من هذه البحوث ، ويغذى عقله بأرقى ألوان الثقافة والمعرفة ، ويجد نفسه على أتم الصلات بأولئك الرجال المفكرين الذين يحاولون جهدهم تيسير الحياة على الناس وتعبيد الطرق أمامهم بحل معضلات الحياة نفسها على قدر ما يستطيع ذهن العبقرى الوصول إليه من فتح مغاليق هذه المعضلات .

ولست أشك فى أن نهضة مصر قد صاحبتها وثبة صحفية ملحوظة . فلم يعد جهد الصحافة محصوراً فى أن توجد قراء بقدر ما هو محصور فى إفادة هؤلاء القراء الموجودين فعلا ، والذين يتزايدون كل يوم بانفساح ميادين التعليم أمام مواكب المتعلمين ، وكذلك لا أنكر حاجة مصر إلى هذا اللون الصحفى الذى يقوم على تغذية القراء بأشهى ثمرات العقول الناضجة ، والأفكار النيرة ، والأبحاث الطريفة .

وفى نهضتنا هذه التى نحاول أن نستكمل لها أسباب القوة والطمأنينة

[التتمة على الصفحة السابقة]

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة   ٣ قروش



المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أكتوبر ١٩٤٣

احد عشر مليون نسخة من كل عدد
طبعات في الانجليزية والاسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية
إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

نأخذ عشر مليون نسخة من هـذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغـة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العـددُ الثانى من الطبعة العربيـة . وقد وُزِّع منه ستون الف نسخة فى مصر وفلسطين وسـوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس
سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل
قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً
فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سـوريا ولبنان ٣٥ قرشاً
الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

كتاب فيه لكل يوم، مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الأولى | اكتوبر ١٩٤٣ | المجلد ١ العدد ٢

هل أنت حي؟

ستيوارت تشايس

ملخصة عن مجلة « النيشن »

كثيراً ما حيرني الذين يلهجون بذكر « الحياة » وهم يقولون لي إن الأمريكيين لايدرون كيف يحيون، أما الفرنسيون — أي نعم الفرنسيون — أو الهنغاريون، أو البولونيون أو الباتاجونيون . . . « فهؤلاء أدرى » .

وأسألهم عما يعنون بالحياة، فلا يفيدونني شيئاً فيما أبغي من تعريف الحياة .

فما معنى أن يكون المرء حياً ، وأن يحيا حياة قوية ؟ وماذا يعني رسل الإصلاح الاجتماعي حين يعدون الناس نظاماً جديداً للحياة ؟ إن من البديهي أنهم لا يمكن أن يعنوا ضرباً جديداً من الحياة لم يسبق أن نعم به أحد ، بل لعل المقصود أن تنبعث وتنمو في نفوس الجماهير الإنسانية صفات الحياة التي لم ينعم بها إلى الآن — على وجه طبيعي — إلا أفراد قليلون ، ولم تنعم بها جماعات كبيرة من الأفراد إلا نادراً .

ماهو المؤدي المحسوس لهذا «الإدراك» ، لهذا « الوجود الصالح » ؟ أريد بأسلوب

شخصي أن أسوق إليك الحقائق كما وجدتها. وأريد أن أبين لك متى كنت فيها أرى «أحيا» ، ومتى كنت في رأيي لا أعدو أن «أوجد» على اعتبار أنهما حالتان متميزتان. وأريد أن أستجلي معنى الحياة من تجاربي ، فإن المرء في مسائل من هـذا الضرب يكاد يكون هو الينبوع الوحيد الذي يستمد منه المعلومات . ولست أدري مامعنى الحياة عند غيري ، ولـكني أدري معناها عندي ، وقد اتخذت لنفسي مقياساً أقيسها به .

أنهض من فراشي في الصباح ، وأذهب إلى مكتبي — إلى آخر ذلك . وهـذه هي الأصـول . تناول الأيام كما تجيء ، وضع علامة زائد (+) أمام الساعات الحيــة ، وعلامة ناقص (—) أمام الميتة . وابحث عما يجعل الحية تحيا ، والميتة تموت وتذهب ضياعاً . فهل نستطيع أن نهتدي إلى حقيقة الحياة بمثل هـذا التحليل ؟ فأما الشاعر فيقول كلا ، ولـكني رجل صناعته الحساب ، ولا أنظم الشعر إلا في ساعة فراغ ولهو .

وأرى من مذكراتي أن هنـاك تسع حالات أحس فيها أني حي ، وخمساً أحس فيها أني موجود ليس إلا .. ولا حاجة بي إلى القول إن هذه الحالات هي الـكبرى ، وهنـاك ، فضلا عن هـذه ، عشرات من حالات أدنى ، أراها أغمض من أن أستطيع تحليلها . وإليك الحالات التسع :

أرى الجبال والبحر والنجوم — وكلها موضـوعات قديمة تناولها آلاف من الشعراء — تجدد الحياة في نفسي . وكما هو الحال في الفن لا يحدث ذلك على منوال آلي ، فإني أمقت البحر أحياناً ، ولـكني في الأغلب والأعم أحس أن خط الوجود تحتي حين أرى هذه الأشياء .

والحب هو الحيـاة — بقوته وشـدة الحاجة إليه — ومن الحب الحقيق عندي أيضاً ما ينطوي عليه المرء لأصدقائه .

وأنا أحيا حين يحركني وينعشني الحديث الطيب والحوار الطيب . وإن في تناول الآراء بمجردها لنوعاً من الحيوية أراه ، أنا على الأقل ، حقيقياً جداً .

وأنا أحيا حين أكون عرضة لخطر — كأن أتسلق صخرة مثلا .

وأحس أني حي جـــداً حين أكون بمحضر حزن صادق .

وأحيا حين ألعب — وأفضل ما كان خارج البيت ، كالغطس ، والسـباحة ، والرقص ، وكقيادة سيارة ، أو المشي أحياناً .

ويحيا المرء حين يأكل بعد جوع شـديد ، أو حين يضع شفتيه في نبع ماء بارد سلسال بعد أن طال إصعاده في جبل .

والمرء يحيا حين ينام ، فإن النوم العميق

المستغرق بعد يوم يقضيه الإنسان خارج البيت يكسبه الإحساس بمثل المولد الكهربائى الدائر فى سكون . وأنا مقتنع بأن المرء يحيا فى الأحلام الواضحة .

وأنا أحيا حين أضحك — من قلبى ، ومن تلقاء نفسى ، أى بباعث من إدراكى لما يدعو إلى ذلك .

وعلى نقيض ذلك أجد خمس حالات كبرى للوجود هى كما يأتى :

فأنا أعد موجوداً حين أجشم عملا كالسخرة من أى نوع مثل جمع الأرقام ، والرد على الرسائل ، ومراجعة الشئون المالية ، ومطالعة الصحف ، والحلاقة ، وارتداء الثياب ، وركوب السيارات العامة ، والصعود والنزول فى المصاعد ، وابتياع الأشياء .

وأعد نفسى موجوداً حين أشترك فى الواجبات الاجتماعية العادية مثل الشاى أو العشاء ، أو الإصغاء إلى حديث ممل ، أو الكلام فى الجو .

والطعام والشراب والنوم إذا كان المرء شبعاناً ، أو كانت حواسه فاترة كليلة ، تعد حالات من الوجود لا من الحياة ، وأنا أكون موجوداً لا أكثر ، معظم الوقت ، حين أمرض .

والمناظر القديمة ، والأشياء العتيقة المملة — كجدران المدينة ، والشوارع المألوفة ، والمنازل ، والغرف ، والأثاث ، والثياب — هذه كلها تسوق الإنسان إلى مستوى الوجود . والدمامة الصريحة ، كالتى يراها المرء فى مخازن البضائع ، أو فى الأحياء الفقيرة فى مدينة ، تدفعنى إلى الاكتئاب الشديد .

وأنا أتراجع عن الحياة حين أغضب ، وأصبح موجوداً فيما أنا فيه من الشجار والخلاف ، وفى تيه الانتقام .

وهكذا أفرق ما بين الحياة والوجود ، على صورة عامة . ولا بد من الاعتراف بطبيعة الحال بأن كون المرء يحيا يعد فى أكثر الأحيان حالة عقلية مستقلة عن البيئة المادية وعن العمل . وقد يشعر المرء فجأة — فى الربيع مثلا — بأنه حى ، وإن كان ما يحف به قديماً مألوفاً . وفى هذه الحالة يصبح مجرد ارتداء الثياب أو غسل الصحاف حادثاً ، ويروح المرء يغنى وهو يحلق . ولكن هذه الفورات شاذة على العموم . ويبدو أن هناك فى الأغلب سبباً جلياً لشعور الإنسان بأنه يحيا ، وسبباً جلياً لشعوره بأنه موجود لا أكثر ، أو هذا ما أراه أنا على كل حال . وأعتقد أن فى وسعى ، بإرادتى ، أن « أحيا » فى ساعات ضعفى ما أحيا الآن إذا وسعنى أن أصدع عنى

قيود الضرورة التي تكبلني ، وهي اقتصادية على الأكثر .

وقد حسبت الزمن الذي قضيته فعلا فوق « خط » الوجود وتحته . مثال ذلك أنه يؤخذ من مذكراتي أني في أسبوع لم أحي سوى أربعين ساعة ، من الساعات المائة والثماني والستين التي هي عدة ساعات الأسبوع ، أي ٢٥ في المائة من جملة هذه المسافة من الزمن . وفي هذه الفترة قمت بعمل إنشائي ، وذهبت أتمشى يوم الأحد ، وجعت جوعاً حقيقياً ، ونمت نوماً هنيئاً ، وقرأت قليلا مما يوقظ النفس ، وشهدت فصلين من رواية مسرحية ، وبجانباً من شريط سينمائي ، وسلخت ثماني ساعات في حوار ممتع مع طائفة من الأصدقاء .

ولعل الحالات التي تطلق الحياة في نفسي وينبثق من جرائها ينبوعها في صدري ، تطلقها أيضاً في معظم الآدميين . ويمكن أن نقول على العموم : إن خلاص المرء مرتبط أوثق ارتباط بخلاص الناس جميعاً — وإن نسبة الحياة تنمو وتزداد تبعاً لنسبتها في جمهور الناس .



على كل جيل أن يحمي تراثه

الجهاد في سبيل الحرية معركة لا تنتهي . انتصار غير حاسم وهزيمة لا تدوم . وعلى كل جيل أن يحمي تراثه ، لأن كل ظفر في هذه المعركة يظهر قوى جديدة تحاول أن تستبدل بأساليب الاستبداد القديمة أساليب جديدة . وإذن فلا سلام في عالم قانونه الحياة والنمو . فكل معركة ظن الآباء أنها انتهت ، فلا مناص للأبناء من أن يخوضوها مرة ثانية إذا ما أحبوا أن يحافظوا على حريتهم ويوسعوا نطاقها .

[فيليب فان دورن ستيرن]

تصيد بلسانها

إن حرباء طولها سبع بوصات تستطيع أن تصيد ذبابة على بعد اثنتي عشرة بوصة منها ، دون أن تتحرك . وسلاح الحرباء لسان طوله طول الحرباء نفسها ، تطلقه كالصاعقة ، كما تنطلق بذرة البطيخ عندما تضغطها بين إصبعيك . ورأس اللسان تغطيه مادة لزجة تلصق الذبابة به .

[مجلة التاريخ الطبيعي]

علموا الصّغار فنون الحياة

كورين أوپدجراف ولز

فى أذهان كثيرين منا ذكريات حية على الزمان ، لأمكنة وأزمنة كشف لنا فيها الكبار عن إحدى حقائق الحياة ، بطريقة تستوقف النظر أو تثير الخيال ، فعلقت بالخواطر وحركت مشاعر لم تخمد نارها .

وإنى أذكر أن عمتى الطاعنة فى السن كانت كلما تشاجرتُ مع إخوتى أو رفاقى ، فى صغرى ، تطوقنى بذراعيها قبل المساء وتقول : « لاتدعى الشمس تغيب على غضبك يا عزيزتى » . وكنت ، وأنا واقفة جنبها أتطلع إلى الشمس وهى تتوارى وراء الأفق ، وأنظر إلى الابتسامة العذبة فى عينى عجوز ، أشعر أن شيئاً بارداً قاسياً فى داخلى قد ذاب حناناً . وسرعان ما أهرع إلى إخوتى ورفاقى فنعود إلى الصفاء . وقد قطعت من ذلك الحين عهداً على نفسى بأن لا أدع الشمس تغيب قبل أن أضع حدًّا لكل ما يكدر وأبدد كل ظل لسوء التفاهم .

وأعرف رجلا يعد فى محيط أسرته وأصدقائه وزملائه فى العمل ، ركنا من أركان الشجاعة والقوة والوفاء . وقد باح لى بسره من عهد قريب فقال : إن أمه عودته منذ طفولته أن يبتسم فى المرآة كلما برح به الدهر . . . « كانت أمى تحملنى منذ نعومة أظفارى ، أمام المرآة ، كلما حدث لى مايؤدى جسمى أو عقلى أو يؤلم شعورى ، ثم تصطنع الإشارات المضحكة ، ودموعى تنهمر ، إلى أن أجد الابتسام أمراً لا مفر منه ، فتقول : « الحمد لله لقد زال ما يؤلمه » ، ثم تضعنى على الأرض .

« ولما كبرت وجدت أن عادة النظر فى المرآة قد تمكنت منى ، حقيقة ومجازاً . فقد كنت وأنا صبىّ يافع أهرع إلى المرآة فى غرفتى وأكشر مبتسما لأزيل ألماً أو شعوراً بخيبة ألمت بى . والواقع أنك لا تستطيع أن تنظر إلى نصب الحياة وتعبها فى مثل هذه الحالة نظر المكترث . فوجهك الذى تعلوه أمارات الهمّ يبدو مثيراً للضحك عندما تنظر إليه فى المرآة . وعلى ذلك تزداد الابتسامة عمقاً وعرضاً حتى تنفذ إلى الروح . وعندئذ يغلب مايؤلمك على أمره » .

ومن عهد قريب ذهب شاب إلى مدير إحدى الحدائق العامة وقال له : « لعلك لا تذكرنى . ولكننى كنت أحد الصبيان الذين كانوا يلعبون هنا ، عندما كنت مساعداً للمدير . وفى أحد الأيام جلست فى ظل شجرة وحدثتنى عن النجاح فى الحياة ، وقد أشرت إلى دودة سمراء كانت قد زحفت

من منبسط العشب إلى جـذع الشجرة . فقلت : إنها بدأت رحلتهـا فى مكان ما ، وستبلغ قمـة الشجرة سائرة رويداً رويداً متخطية حائلا حائلا . فوقع هذا الشبه من نفسى موقعاً عظيما . ففهمت . فسرت متخطياً الحـوائل ، فجزت الكلية . وفى الأسبوع الماضى قيد اسمى فى جدول المحامين » .

وعنـد ما كنت صبية كان على إخوتى الصغار أن يعنوا بحديقة الخضر وتنقيتها من الحشائش ، وكانوا كارهين لهـذا العمل طبعاً ، وكانوا يرجئون إنجازه ما استطاعوا . ولذلك كان يتعين عليهم على الأكثر أن يصرفوا عطلتهم فى أيام السبت وهم ينجزون ما عليهم . وجاء أحد أعمامنا فى أحد الأيام وخرج متمشياً فى الحديقة ورأى الصبيان يعملون متبرمين ساخطين فسألهم : أتعلمون يا أبنائى لماذا تقتلعون هـذه الحشائش ؟ إنكم تقتلعونها لأنها لصوص ، تسرق الغذاء الخاص بالخضر . أتدرون خير طريقة للتغلب عليها بغـير أن تضيعوا وقتاً ما من أوقات لعبكم ؟ أقسموا الحديقـة إلى ست مزارع صغيرة ، (وأشار بعصاه كيف يكون التقسيم) ثم يتولى كل منكم تنقية إحدى هذه المزارع الصغيرة مرة كل يومين بعد الظهر ، وهذا لا يسـتغرق كثيراً من وقتكم ، وتبقى أيام السبت والأحد للراحة واللعب . وعلاوة على هذا وذاك تكون الحديقة كلها نقية من الحشائش وتغدو مدعاة لفخركم ومباهاتكم .

أما الحديقة فأصبحت جنة تبهر الأنظار فعجب أخونى كيف كان قلع الحشائش عملا يعملونه على مضض من قبل .

وكلما سمعت الناس يقولون: «لايستطيع أحد أن يعلم الصغار فنون الحياة ، فعليهم أن يتعلموا بالتجربة والاختبار » ، أتذكر قصة الحديقة والحشائش وما كان عمى مطبوعاً عليـه من الفهم والعطف . إن القول بأن الصغار يجب أن يتعلموا وحدهم فنون الحياة ، عار عن الصحة . . وفى وسـعنا أن نلقنهم دروساً فى فن الحياة ، كما نلقنهم الحساب . وعمى لقن إخوتى الثلاثة دروساً فى معالجة عمـل شاق ، فرسخت فى نفوسهم مـدى الحياة ، إنه علمهم :

١ — تصـور الباعث على عمـل ما ، وضعه نصب عينيك .

٢ — تصور العمل وقد تم .

٣ — قسم العمل أقساماً صغيرة تسهل معالجة كل منها ، ثم عالج كلا منها على حدة .

ويخطر لى ذكر رجل آخر كان حكيما فى فهم الصغار وتعليمهم . فمن أشق الأمور تعليم الأطفال قيمة المال إذا كان أهلهم من ذوى اليسار . فهذا الرجل كان يحتفظ دائماً بفكة جنيهين من المليم الجديدة ، وهى ألفا

قطعة براقة . وإذ كان أولاده أطفالا ، كانت تشتد رغبة أحدهم فى لعبة ما ، أو يظن أن رغبته فيها شديدة فيلحف فى طلبها ، فكان الوالد يسأل : ما ثمنها ؟ ثم يجلس مع أولاده بعد العشاء يعدون ثمن تلك اللعبة بالملاليم على غطاء المائدة الأبيض . ثم يسأل : أتريد حقاً اللعبة التى ثمنها كل هذه النقود ؟ فإذا قال الولد : « نعم » فالمحتمل أن يبتاع الوالد لفتاه هذه اللعبة . ومما يبعث على الدهش أن الصغير كان فى الغالب يقرر أن اللعبة لا تسوى هذه الكومة من النقود !

ولما كبر الأولاد واتجهت رغبتهم إلى أشياء أغلى ثمناً — دراجات وآلات تصوير السينما وزوارق — كان والدهم يسحب من البنك الثمن المطلوب أوراق نقد ، كل ورقة قيمتها دولار واحد ، وينشرها أمامهم على المائدة ويقول مشيراً إلى المال : « أيهون عليك كل هذا فى سبيلها؟ » . وأعرف والدين كانا يقولان لصغارهما : «ما أكثر النجارين الذين هشموا أصابعهم فى سبيل تعلم الطرق بالمطرقة ، وكثيرون من الجزارين قطعوا أصابعهم فى سبيل إجادة الذبح وتقطيع اللحم . أفليس من الحمق أن نجلب الأذى على أنفسنا فى سبيل تعلم شىء حذقوه ويسرّهم أن يعلمونا إياه ؟ والآن إليكم الطريقة التى يشير بها الجزارون . . . » . « إن أذكياء الناس لا يرتكبون من الأخطاء ما ارتكبه سواهم من قبل » ، هكذا كانوا دائماً يسمعون من والديهم . وكانا يعلمانهم كيف يستعملون المقص وعيدان الكبريت ، وكيف يدبرون أمرهم فى رفع الصحون وهى فى الفرن . وأهم ما فى هذا أن الصغار يتعودون منذ صغرهم استشارة الخبراء فى حل مشكلاتهم العملية . وقد يأتى من الكبير الفطن عمل تتجلى فيه للصغير دروس لا تنسى خالدة الأثر . أعرف سيدة من كبار العلماء ، تعزو عادة التأمل والتفكير إلى نزهة صغيرة قامت بها مع والدها فى غابة يوماً ما ، فلما أن لاحظ والدها أنها تمطره بسيل من الأسئلة ، استوقفها فى الحال ودق بعصاه على جذع شجرة وخاطبها حازماً : « لا تسألى أحداً سؤالا قبل أن تحاولى جهدك الإجابة عنه بنفسك . اقتصدى بعض النقود واشترى عدسة مكبرة ، وادرسى بها فم النملة ، وتحققى من شكله وحدك » . فأثر فيها هذا القول ، فأخرجت الفكرة إلى حيز العمل ، إلى أن أصبحت عالمة يشار إليها بالبنان .

إن تعليم الأطفال فنون الحياة يتطلب حنكة وحكمة وصبراً . وكثيراً ما تثبط عزائمنا فنفشل ، ولكن المثابرة فى هذا السبيل تجارة رابحة ، بل صفقة مقطوعة النظير ، والعمل على بلوغها تحدٍ لأسمى ما فينا من الكفايات ، وامتحان لأجلّ مواهبنا .

صدِّق أو لا تُصدِّق

● كان الفلاحون فى أوربا إلى أوائل القرن التاسع عشر ، ينامون ، وأقدامهم لا رؤوسهم على الوسائد ، اعتقاداً منهم أن الأقدام أكثر من الرؤوس معاناة فى النهار ، فهى أجدر منها بالراحة .

● عندما تزوج الملك لويس الرابع عشر مدام ده مانتنون فى سنة ١٦٨٤ كانت تستدعى طبيبها مرة أو مرتين فى الأسبوع لكى يفصدها حتى لا تتورد وجنتاها خجلا إذ تسمع الحكايات البذيئة التى كانت تروى فى البلاط الفرنسى .

● من أغرب الحقائق التى جمعها القسم الطبى للقوات الامريكية المسلحة ، أن فى جنوبى المحيط الهادى محارات كبيرة تطبق على قدم السباح كما يطبق الفخ المنصوب . وأن فى أدغال بورما علقاً ضخما شرهاً يحدث فقر الدم فى فترة قصيرة ، وإذا علق الجلد وأخذ يمتص الدم فلا يجب أن يزال بنفضه باليد نفضاً ، لأن ذلك يترك رأسه غارزاً فيسبب مرضاً ، بل يجب مس جسمه بسيجارة مشتعلة فينكمش ويسقط .

● سكان الولايات المتحدة سدس سكان الكرة الأرضية ، ولكنهم يستهلكون من البن ما يفوق ما تستهلكه سائر البلدان مجتمعة .

● فى ريو ده جانيرو عاصمة البرازيل سيد كريم يدفع عشرين ريالا فى السنة بدل اشتراكه فى صحيفة يومية تصدر فى نيويورك ، ويدفع ٤١٠٠ ريالا إضافياً لكى تنقل إليه بالبريد الجوى .

● كانت إميكلى إحدى مدن يونان القديمة ، وكثيراً ما كان يزعجها ما يشاع عن قرب غزو الإسبرطيين لها ، فصدر قانون شديد يمنع ذكر العدو . وبعد قليل وصل الإسبرطيون ، فلم يجرؤ أحد على إنذار الشعب ، فوصفت فى التاريخ بأنها « المدينة التى أهلكها السكوت » .

● أغار الألمان على لندن فى الحرب العالمية الأولى مائة غارة وثلاث غارات ، ولكن مجموع القنابل التى ألقيت على قلب بريطانيا لم يزد وزنها على ٢٧٠ طناً ، وهو أقل قليلا من عشر وزن القنابل التى ألقيت على همبورج فى غارة واحدة من غارات أواخر يوليو ١٩٤٣

● فى خرطوم الفيل — على ما يرويه فرانك لاين فى كتابه « مشهد الطبيعة » — أربعون ألف عضلة . فهو أقوى عضو واحد بين أعضاء الأحياء جميعا ، وبه يستطيع الفيل أن يرفع حملا وزنه طن تقريبا ، وأن يقذف رجلا مسافة أربعين ذراعاً . وقد اصطدم فيل نافر بقطار مشحون ، فخرجت القاطرة وبضع عربات عن الخط وانقلبت ، وقتل الفيل ودفن تحت أنقاض القطار .



حدث خطير بعد
الطائرات في تاريخ الحروب

رادار

أخطر سلاح سرّى فى هذه الحرب

دونالد ولهلم

فى سنة ١٩٤٠ أصيب هتلر بهزيمته الأولى على أيدى فئة قليلة من طيارى سلاح الطيران البريطانى ، وكان هتلر يكثرهم بطائراته، بنسبة عشرة إلى واحد . فقد أراد هتلر أن يقضى على سلاح الطيران البريطانى ويدمر مطاراته بغارات النهار ، فلما عجز عمد إلى ضرب المدن ليلا بالقنابل . ولكن أمكن هذه « الفئة القليلة » ، وظهورها إلى السماء ، أن تتصيد طائراته السود ، على أى ارتفاع كانت . وقد استطاعت طائرات قليلة متفرقة فى مهابط عديدة ، أن تصد طائرات العدو ، من أى جهة جاءت ، وفى أى مكان أغارت ، لأنها كانت تتلقى الإنذار قبل اقترابها بمدة كافية . ولكثرة ما حطم من الطائرات الألمانية ، لم يكن لهتلر بدّ من التسليم بالهزيمة .

وقد بذل وكلاء النازى جهدهم ليكشفوا سر ما صنع البريطانيون بطائراتهم . ولو أنهم التمسوه فى سنة ١٩٣٥ ، يوم كانوا أحراراً فى تطوافهم بإنجلترا ، لجاز أن يقفوا عليه فى طريق ريفى هادئ بجوار مدينة دافنترى .

ففى الصباح الباكر ، فى يوم من مارس سنة ١٩٣٥ ، كانت عربة عتيقة رثة واقفة على الجليد فى جانب الطريق ، وفى السماء طائرة من طائرات سلاح الطيران البريطانى لا تفتأ تظهر وتختفى . وكان فى العربة امرأتان شابتان من المساعدات فى معامل البحث العلمى ، ممن يعرفن كيف تكتم الأسرار ، ومعهما رجل اسكتلندى قصير مكتنز ، أسود الحدقة ، يلبس نظارة ، وعمره ٤٣ سنة ، هو روبرت وطسن واط (وهو الآن السير روبرت) ، وهو عالم بريطانى ، ومخترع ، وخبير بالأجواء . وكان معه فى العربة علماء فى الطبيعة ، وآخرون فنيون ، يحدقون فى أجهزة صنعوها على عجل . وأخيراً لانت نظراتهم الصارمة ، وجعلوا يتبادلون الرأى

فى انفعال وابتهاج ، فقد نجحت تجربتهم . وهذه الأجهزة على قلة إتقانهـا وخشونة صنعها ، اسـتطاعت أن تـكشف اقتراب الطائرة ، وأن تتبعهـا حيث طارت كأنهـا إصبع تتحرك .

فهذا ميــلاد أكبر سلاح سرى لهذه الحرب فى بريطانيا ، هذا ميلاد « رادار » . وهو السـلاح الذى به كسبت « معركة بريطانيا » . ولقد كان لدى الولايات المتحدة حينئذ جهـاز يؤدى الغرض من كشف الطـائرات بالراديو ، ولم تـكن الأمتان فى ذاك الوقت تتبادلان ما لديهما من أسرار حربية . والفئة القليلة من الناس التى عرفت الغرض منه لم تذكر شيئاً عنه إلا بالشفرة . فظل سراً محفوظاً على أحسن ما تحفظ الأسرار الحربيـة — حتى ١٧ يوليـو سنة ١٩٤١

ففى هذا اليوم أذاع اللورد بيفر بروك إذاعة يستنجد فيها بكل فنى خبير بالراديو ، أن يسرع إليه ليدخل فى خدمة « رادار » . ولم يكن عنـدئذ سبب يدعو إلى حفظ « رادار » سراً على الألمان ، إذ كانوا قد صنعوا جهازاً شبيهاً به ، وإن كان أقل منه جودة ، قلدوا به جهـازاً وقع فى أيديهم . (بعـد ذلك رأى البريطانيون العدو يبنى محطة « رادار » على الجانب الفرنسى من بحر المانش فى برونيفال ، فلما أتمها أرسل إليها البريطانيون فرقة من فرق الـكوماندو فعادت بكل ما فيها) .

فما هـــذا السلاح السحرى الخفى ؟ وكيف يعمل ؟

« رادار » — كما هو اليوم — يطلق أمواجاً قصيرة من أشـعة الراديو تفحص الهواء فى مدى أميال من فوقه ومن حوله ، وتسير بسرعة الضوء أى ١٨٦٫٠٠٠ ميلا فى الثانيـة ، وهى أكبر مليون مرة من سرعة أمواج الصـوت ، التى كانت قديماً تسـتخدم فى كشف الطـائرات بكشف أصواتها على مدى قصير . وأشعة « رادار » لا تتأثر بالضـباب ولا بالدخان ولا بالمطر ولا بالثلوج .

فإذا اصطدمت أشعة « رادار » بطائرة أو سفينة ارتدت راجعة بسرعة هائلة ، فتسجل ما تجده على لوحة الجهـاز . ويبين جهـاز « رادار » الارتفـاع والسرعة ، واتجاه الطائرات المغيرة أيضاً .

وأجهزته قائمة حول بريطانيا ، وفوقها لا تنـام ، ولا تـكل ، ولا تخطئ ، ولا يفلت من نظراتها المحيطة شئ . وعلى مداها لا تستطيع سفينة أو طائرة ، فوق الماء أو تحت السماء ، أن تفلت دون أن تـكشف . فإذا هى « أبصرت » شيئاً منها أو أشياء ،

كان من الممكن فى الحال إحكام تسديد المدافع والأنوار الكاشفة ، بالرغم من أن أهدافها لا تزال خافية .

وفى سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ حين زين لنا أن نعتقد : أن بين طيارى سلاح الطيران البريطانى رجالا لهم « عيون القطط » ، وأن آخرين كانوا يطعمون الجزر ، فصارت لهم قدرة — على الإبصار فى الظلام — كان « رادار » هو الذى يدل رجال الطائرات المطاردة الليلية على مواقع قاذفات القنابل المعادية . ولو قال أحد ، قبل خمس سنوات : إن طائرة أو سفينة تستطيع أن تعين بالراديو هدفاً من أهداف العدو ، فتنطلق إليه ، فتنسفه قطعاً ، لعدّ هذا إغراقاً فى الخيال ، ولكن « رادار » جعله ممكناً .

وقد أنقذ «رادار» الطيارين والطائرات ورجال المطارات ، فى بريطانيا ومالطة ، من الإعياء والتلف ، حين ثقلت عليهم وطأة العدو . أما ما وفره « رادار » من استهلاك قطع الطائرات ، ومن البنزين والزيت وأعمال الصيانة ، بأن جنبهم ضرورة الدوريات الجوية المستمرّة ، فهو أكثر من أن يحصى .

و « رادار » أسرع عملا من حواس الإنسان ألوف المرات ، إذ يؤدى وظيفته فى أجزاء من مليون جزء من الثانية .

وبواسطته يستطيع رجال الأسطول أن يبصروا ما حولهم على مدى عدة أميال ، مهما تكن حالة الجو . فإذا هم أبصروا سفينة للعدو ، أرسلوا إليها طائرة أو أطلقوا عليها نيرانهم ، فى دقة خارقة . وقد لا يسمع أحد من رجال السفينة المصابة دوى المدافع ، أو يدرى من أى ناحية جاءتها هذه القذائف .

و « رادار » يبذل فى كل مكان معونته للدفاع ضد الطائرات ، ليكفل له زيادة مستمرة فى أن يكون دفاعاً فعالا . ولما أقبلت الطائرات الألمانية لتهاجم لندن فى قوة كبيرة ليلة الإثنين ١٨ يناير سنة ١٩٤١ — انتقاماً لغارات سلاح الطيران البريطانى على برلين — تلقت ضربة قاتلة . وبالاعتماد على تعيين مواقع الطائرات بالراديو لم تعد المدافع الجديدة المضادة للطائرات تملأ الجو قذائف متفجرة ، بل تطلق لتصيب القتل .

ولعل « رادار » كان خليقاً أن يدفع الكارثة التى حلت بميناء بيرل . ففى ذلك الصباح المشئوم ، صباح الأحد ٧ ديسمبر ، كان الجندى جوزف لكهرد فى راحته ، فصرف وقت فراغه يجرب جهاز «رادار» ، فأبلغ أن طائرات تقترب على بعد ١٣٢ ميلا . ولكن كان رؤساؤه يعلمون أن هذا موعد وصول عدد كبير من الطائرات

الأمريكية ، فلم يأمروا بإطـلاق صفارات الإنذار . أما جزيرة مدواى فقد اسـتخدم حماتهـا « رادار » فـكسبوا به المعركة التى وصفها روزفلت بأنها : « نصرنا الأكبر فى سنة ١٩٤٢ » . وأعان « رادار » على إنقاذ لينينجراد وموسكو وستالينجراد . وبعـد هذه الحرب سيجد كثير من رجال المعامل عملهم مدى الحياة فى « رادار » ، فيعينون على زيادة السلامة والأمن فى الهواء وعلى الماء . فبهذه «العين السحرية» يستطيع رجال المطارات أن يتبعوا عبور طائرات الركاب ، فإذا خرجت عن خط سيرها المرسوم أمكن تنبيهها بالتليفون اللاسلكى . ويمكن إنذارها بما أمامها من جبال أو غيرها من الحوائل ، وبما هو قريب منها من الطائرات الأخرى أو السفن . فإذا وجب عليها أن تهبط اضطراراً فى جو كثيف معتم ، أمكن أن تبلغ أين موقعها من موقع أحد مهابط الطائرات.

والبواخر الـكبيرة لن تتحسس فى المستقبل أيضاً طريقها فى الضباب ، خائفة من جبال الجليد أو من السفن الأخرى ، ويمكنها أن تعرف تماماً أين موقعها ــ فى كل وقت من الأوقات ــ من مواقع أى جزيرة أو أى عقبة أخرى فى المـاء .

ومن قبل فى سنة ١٩٢٢ ، اكتشف العلماء الأمريكيون أنه إذا مرّ بين جهاز لاسلـكى مرسل وجهاز مستقبل ، جسم صلب ، كسفينة مثلا ، أحدث هذا الجسم تأثيراً فيما يستقبله الجهاز . ثم اكتشفوا بعد ذلك أنه ليس من الضرورى أن يمر الجسم الصلب بين المرسل والمستقبل لـكى يستكشف ، فإن الجسم الصلب يعكس أو « يرد » أشعة الراديو الـكثيرة التذبذب التى تصدمه ، فلذلك كان من الممكن أن تجعل المرسل والمستقبل فى مكان واحد . وكما يمكن أن يكونا على ظهر سفينة ــ مثلا ــ فليس بعيداً أن يمكن ذلك على طائرة .

وفى سنة ١٩٣٠ كان لدينا جهاز يستطيع أن يكشف الطائرة فى الجو ، وفى سنة ١٩٣٤ استطعنا أن نقيس المسافة بين الجهاز الـكتشف وبين الطائرة . وركبت البحرية البريطانية أجهزة « رادار » على عدد من السفن الحربية والقواعد الساحلية. واستقلت بجهاز صممتـــه لنفسها قام مكتب المعايير البريطانى ببحث أسسه العلمية تحت إشراف الدكتور دلينجر وكذلك كان قسم الإشارات بالجيش فى طليعة المهتمين بتنشئة « رادار » وتحسينه فى معامله الواسعة السريعة النمو .

إن القواعد التى بنى عليها « رادار » كانت معروفة لدى عدد عديد من صـغار هواة الراديو وطلبة المدارس الثانوية . وقد تسلم مكتب تسجيل المخترعات فى بريطانيا

والولايات المتحدة مئات من الطلبات لاستعمال هذه المبادىء استعمالا تجارياً، ومنح عشرات من الرخص، ونشر تفاصيلها. ومنها رخصة منحت سنة ١٩٣٦ لجهاز يقيس ارتفاع الطائرات بواسطة صدى أمواج الراديو، وهو جهاز صنع فى معامل بل فى مدينة نيويورك.

لقد بلغ « رادار » اليوم مبلغاً من التعقيد والتنوع والتقدم حتى لم يبق إلا مجال ضيق – إن كان قد بقى شيء – لآراء أحد من المخترعين الذين لم يحيطوا بعلمه بعد. من أجل هذا رجا وكلاء الحكومتين فى بريطانيا والولايات المتحدة أن يكف الجمهور عن توجيه الأسئلة أو تقديم المقترحات.

وقد استعملت ألمانيا وإيطاليا واليابان جهاز رادار فى نطاق واسع، فبين الفريقين المتحاربين سباق يجرى الآن على قدم وساق للتفوق فيه. وتعلن الصحف البريطانية بين وقت وآخر عن تقدم مدهش فى هذا الميدان الجديد من ميادين العلم. وأما الولايات المتحدة، وهى موطن الراديو الأكبر فى زمن السلم و « مقر قيادته »، فقد ضمت مواردها العلمية إلى موارد بريطانيا والأمم المتحدة الأخرى، فإذا استطاعت أن تحتفظ بما لها من تفوق « رادار » فقد يكفى هذا لكسب الحرب.



● فى العالم قوتان — السيف والروح، والروح أبداً غالبة.
[نابليون]

الصبر جزاء . . .

● كانت ميرل أوبيرون ممثلة السينما المشهورة تزور الجرحى فى مستشفى بلندن فسألت أحدهم « أقتلت نازياً » فأجاب بالإيجاب فقالت « بأى يديك ؟ » فرفع يمناه فانحنت عليها ميرل وقبلتها. ثم انتقلت إلى الجريح الثانى وسألت: « وأنت، أقتلت نازياً » فقال على الفور « حتما، وقد عضضته حتى مات » !
[ولتر ونشل]



فى ليلة الأربعاء ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٠ كانت السفينة « أنجلو ساكسون » — وهى باخرة إنجليزية موقرة بالفحم إلى أمريكا الجنوبية — قد غادرت جزر الأزورز وصارت منها على مسافة خمسمائة ميل. وكانت تشق طريقها بين الأمواج المتلاطمة فى اتجاه جنوبى غربى. وكان الليل حالك السواد، والسحب الدانية المسفة تسبح فى صفحة السماء، وإذا بأربعة انفجارات متلاحقة حتى لكأنها انفجار واحد، ترج السفينة من مقدمها إلى مؤخرها. وبدا على ربع ميل منها شبح أسود يسرع إليها ومدافعه تومض.

وكانت القذيفة الأولى التى أطلقتها الغواصة قد أهلكت كل من كانوا على الجانب الأيمن من الباخرة، ثم غمرها كلها وابل من الرصاص، واشتعلت النار فى زوارق النجاة، وطار سلك اللاسلكى.

وكان اثنان يجثمان عند مرقب الربان، فرأيا قارباً يدلى فزحفا إليه، فلما لامس الماء انحدر إليه ثلاثة على الحبل، وبعد هنيهة هبط إليه اثنان آخران من سطح السفينة.

ونجا القارب من مراوح المحركات ولما يكد، وذهب يسبح حتى صار على مائة قدم من الغواصة. فانكفأ من فيه وربضوا كأنهم حيوانات مطاردة، وحبسوا أنفاسهم. وانطلقت فجأة ألسنة من النور قرب « الأنجلو ساكسون » تدور على الموج وتكشف ما عليه. أطواف النجاة! سددت الغواصة مدافعها وانطفأت الأنوار. فما أسرع ما امحت الألواح بمن كانوا يتعلقون بها!

وامتد لسان من النور الكشاف، ونفض السفينة المنكوبة «الأنجلوساكسون» وتهاوت القذائف المحرقة على حطام غرفة اللاسلكى، حتى لا يبقى أحد حياً فيبعث برسالة. ثم ارتفع مقدم السفينة حتى كاد يصبح عمودياً، فلما ابتلعتها الأمواج اختفت الغواصة فى ظلام الليل.

وقضى السبعة الناجون ، من ملاحى الأنجلوساكسون الأربعين ، ليلتهم متزاحمين تعساء ، وطلع الفجر فلم يطلع عليهم إلا بأميال عارية من المحيط والسماء .

وتولى الضابط الأول س . ب . دينى القيادة ، وكان الجرحى أول ما عنى به . وكان أبلغهم إصابة ر . ه . بلتشر عامل اللاسلكى الثانى ، فقد مزقت قدمه شظية ، فنظف له الضابط بمعاونة المهندس الثالث قدمه المهشومة كأحسن ما يستطيع ، ثم نقلوه إلى مقدم القارب .

وكان المدفعى ريتشارد بنى قد شقت شظية فخذه الأيمن ، والطباخ لزلى مورجان قد مزقت الشظية ما فوق كعب رجله اليمنى ، والنوتى روبرت تابسكوت قد انكسرت إحدى ثناياه وبدت أصولها ، والنوتى روى ويديكوم قد هرست يده حين حشرت بين جانب السفينة والقارب عند تدليته .

وبعد مواساة الجرحى على خيرما تيسر ، وجه الضابط الأول القارب وجهة جزر ليوارد — على مسافة ٢٨٠٠ ميل — فى هذا القارب المكشوف الذى لا يتجاوز طوله ١٨ قدماً ! ولكن لم يكن من هذا مفر ، فقد كان تيار الماء واتجاه الريح يحولان دون السير شرقا . ونزح الأصحاء القادرون الماء من القارب ، وشدوا فى وسطه صارياً مدوا عليه شراعاً . ثم نظروا فى أمر زادهم ، فلم يجدوا إلا ثمانية عشر رطلا من لحم الضأن المساوق المحفوظ ، وإحدى عشرة علبة من اللبن المركز ، واثنين وثلاثين رطلا من الكعك ، وكان فى فنطاس الماء أكثر من نصفه ، وفيه حوالى أربعة جالونات .

وكان عامل اللاسلكى هو وحده الذى وسعه أن يحمل معه شيئاً من السفينة ، فكان معه موسى ، ومقدار رطل من الطباق « الدخان » ، وسجله اللاسلكى وجداوله . وكتاب يشتمل على مقتطفات من الإنجيل ، بعدد أيام السنة . وقد اتخذ القوم أوراقه للف السجاير ، وكانوا يحرصون على أن يقرأوا ما فيها قبل أن يفعلوا ويحيلوها دخاناً . واتخذ الضابط من ظهر الجداول سجلا له ، وكان التقويم الذى ابتدعه أن يحز لكل يوم حزاً فى حافة السفينة .

وتناولوا أول طعام ذلك المساء فى الساعة السادسة ، فخص كلا منهم كعكة . وشربوا أول ما شربوا عند طلوع الشمس فى اليوم الثانى . وقدر الضابط جراية كل رجل فى اليوم بنصف كوب من الماء صباحاً ومساء ، ومعه قليل من اللبن ، ونصف كعكة صباحاً ومثل هذا مساء .

وطاب لهم السير إلى يوم الأحد ، ثم ركدت الريح وامتنعت المطاوعة ، وظلوا

طول يومهم يسيرون على غير هدى والشمس الحامية تضربهم ، وجفت أجسامهم وتعذر عليهم أن يبلعوا الكعك الناشف إلا بعد أن يبلوه أولا .

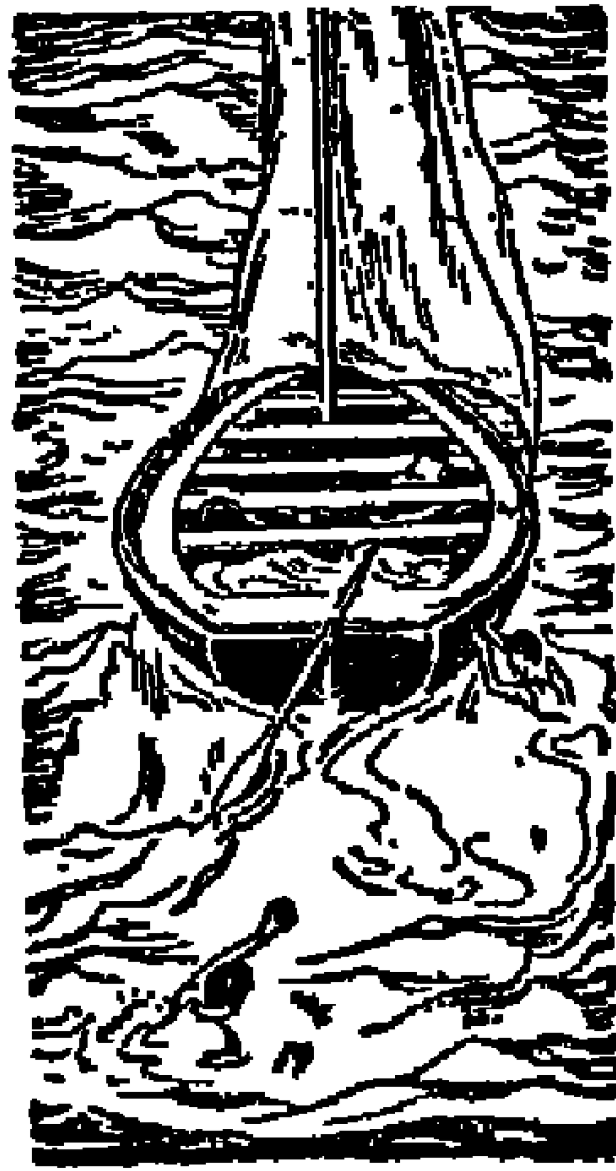
وكان بلتشر ومورجان يكابدان آلاماً متزايدة البرح ، وورمت قدماها ، فاحتاج الأمر إلى أن ترخى الضمادات المشدودة ، فلما أرخيت شاع في القارب نتن الجراح التي تقيحت .

وفي الساعة السادسة وزع الضابط جراية الماء ثم قال : « احتفاء بيوم الأحد سيكون عشاؤكم لحم الضأن » . وكان القوم يشخصون إليه مفتونين وهو يفتح العلبة ويوزع نصف ما فيها . فجعلوا يأكلون على مهل وفي رفق ليطيلوا متعتهم بكل لقمة . وكان هذا أنعش لنفوسهم من الشراب .

ولكن اليوم التالي ، والذي بعده ، جعلا عذابهم غليظاً في هذا القارب الذي سكن به الموج والريح . وكانت الشمس المتلظية تشويهم ، واحتمى بعضهم بالشراع من الوقدة فألفوا أنفسهم في مثل الأتون ، واشتد بهم العطش ووجدوا حره في جوفهم ، وعدمت مسامهم ما يخرج منها فانسدت ، ولوحت الشمس جلودهم فنشفت وتجعدت ، ويبست ألسنتهم فلا ريق لهم . وتلقوا جراية الصباح من الماء فألقوها في أفواههم بلهفة ، فكانت أشبه بقطرة على ورقة من النشاف .

وصب الأصحاء من ماء البحر على أجسام الجرحى ، ثم تدلوا هم فيه ، وحرصوا على أن تكون وجوههم فوق الماء لئلا تغلبهم الرغبة في الشرب ، وامتصت أجسامهم الماء من المسام فعاد الريق يجرى على ألسنتهم ، ولكنها راحة لم تدم .

وفي مساء اليوم السابع أراد الضابط أن يشجعهم ويقوى في نفوسهم الأمل . فأجرى قرعة ، اختار لها سبعة أيام — من التاسع إلى الخامس عشر من سبتمبر — يلتقطون في خلالها أو يبلغون أرضاً ، وكتب الأسماء على قصاصات وألقاها في قبعة عامل اللاسلكي ، فسحبها الطباخ . والذين يخسرون يكون عليهم حينئذ أن يسقوا الذي يربح كل ما يستطيع أن يشرب .



وقد لقيت القرعة نجاحاً عظيما ، فعظم ضجيج القوم وعلت أصواتهم المشقوقة المبحوحة ولهج كل منهم باليوم الذي في قصاصته ، وتهيأوا للنوم في ليلتهم وهم لا يزالون يتجادلون . فكأن مجرد إجراء قرعة على إنقاذهم ،

كان كافياً لجعل الأمر حقيقة واقعة .

وفى اليوم التالى اشتدت الريح ، وصار البحر مضطرباً رجافاً ، فساروا سيراً حسناً واغترف قاربهم من البحر ملء بضعة دلاء ولكنهم لم يكترثوا للماء ووطنوا نفوسهم ، وهى منشرحة ، على البلل فى ليلتهم ، وحدثوا أنفسهم بأصوات مشقوقة من العطش أن هذه آخر ليلة يقضونها فى الماء . ولكن النوم لم يواتهم ، فقد كان بلتشر يهذى ، وكان ما يطلقه من الضحكات العصبية ، ويرفع به صوته من الغناء ، أو عقيرته من الشتائم لا تتسنى معه راحة .

وأجمعوا رأيهم فى الصباح على أن البتر هو الوسيلة الوحيدة التى يرجى معها إنقاذ حياته . وكانت الأداة التى لا أداة لهم غيرها لهذا البتر ، هى « فأس » ، وكانت إلى هذا كليلة الحد صدئة ، ولم يكن عندهم مطهر أو بنج .

وكان بلتشر حاضر الذهن صافيه وإن كان ضعيفاً منهوكا . وقد وافق بشجاعة على بتر قدمه ، ولكن أعصاب الضابط وعزيمته خانته فى اللحظة الأخيرة .

فقال له : « تجلد ياصاحبى ، فلا بد أن يعثروا علينا ، وحينئذ يتولاك طبيب فيصلح من حالك » .

فابتسم بلتشر بضعف ، وأغمض عينيه .

ولما حملوا إليه جرايته من الماء قال لهم : أعطوه من هو أحوج إلى الماء منى . ولفظ روحه فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى فى هدوء . فنظر الباقون بعضهم إلى بعض غير مصدقين ، أبهذه السرعة يموت ؟ إن هذا غير ممكن ! ووقفوا حيارى عاجزين ، وقد كبتهم الموت بما ينطوى عليه من حسم فظيع . وألقى الضابط أوامره بإيجاز وبصوت خفيض ، لإنجاز ما ينبغى إنجازه . وحمل تابسكوت وأحد النواتية الجثمان إلى الحافة ودلوه فى البحر فى رفق ولم يكن ثمة ما يلفونه عليه ، أو يثقلونه به ، فحمله الموج ، ولبثوا يلحظونه حتى غاب عن أبصارهم .

وفى اليوم الحادى عشر اعترى الضابط هيضة فى جوفه أورثته مغصاً وتشنجاً وغثياناً ، فازرقّ وجهه وارتسمت عليه للألم خطوط ، وصار جلده ، حتى حيث لوحته الشمس ، ميتاً وبلون الطين فى رأى العين ، فخط فى سجله آخر ما أثبته فيه بيد لا تقوى على أكثر من رسم الحروف : «اقتراح فيما يتعلق بمؤونة القارب ــ على الأقل قنطاسان من الماء ، وعلب من الفواكه مثل الخوخ والمشمش والكمثرى الخ الخ »

وفى الرابع من سبتمبر أثبت وثقل ، فلم تبق له قدرة على الحركة ، ولم يعد يستطيع

أن يتولى القيادة ، وشربوا آخر جرايتهم الضئيلة من المـاء ظهراً . وبعد قليل مال القارب بغتة ، ولم يكن ثم أحد عند الدفة ، وكان « بينى » الذى تناولهـا ، يطفو على مسافة من القارب ووجهه إلى المـاء . وكان من العبث أن يحاول أحد إدراكه .

وانقضى يومان آخران . ولا شىء فى السماء يؤذن بمطر. وكأنما أبت المقادير إلا أن تتم النكبة ، فأقبلت موجة عظيمة فنزعت الدفة وحملتها ، فجعلوا المجداف مكانها .

وبعد ساعات طويلات رفع الضابط نفسه على كوعه ، وقال وشفتاه منتفختان قد تغير لونهما : « سألقى بنفسى فى المـاء ، فمن يجىء معى ؟ »

قال النوتى الثالث : « أنا » .

فأدار الضابط عينه فى الباقين ، فهزوا رءوسهم ، واحداً واحداً ، ولـكن هول ما لا بد أن يشهدوه ، راعهم ، فشخصوا بأبصارهم إلى الرجلين اللذين قضيا على نفسيهما بالهلـكة .

وقال النوتى الثالث ، بلهجة تـكاد تـكون مرحة : « لحظة واحدة فإنى أنوى أن آكل وأشرب ! » ، وملأ طاساً من ماء البحر وجرع جرعاً شديداً ، ثم بل كعكة فى ماء البحر وأكلها . ونزع الضابط خاتمه ومد به يده إلى ويديكوم وقال : « اعط هذا لأمى إذا نجوت » . وفهق ، ثم قال : « وثابروا على الاتجاه غرباً » .

وتحامل الرجلان على نفسيهما حتى ركبا الحافة ، ثم سمع صوت الغطس فى المـاء . . .

ولم يكن للثلاثة الذين بقوا ما يقيم أودهم فما كان معهم ماء ، ولا خير فى الـكعك بغيره . وكان مورجان يهذى معظم الوقت وكان تابسكوت وويديكوم أضعف من أن يستطيعا التجديف أكثر من ساعة . ولـكنهم تشبثوا بالحياة ، وجعلوا ينفقون ما بقى لهم من قوة ضئيلة بحساب وتدبير .

وفى ذات صباح نهض مورجان من حيث كان راقداً وقال بصوت جلى ، وكأنما يذكر أمراً عرضياً : « سأذهب فى هـذا الشارع لأشرب شيئاً » . ومشى بسرعة إلى المؤخرة وخطا فهوى ولما ظهر مرة أخرى كان الموج ينأى به ، ولم يتحرك حركة ، ولم يصح صيحة . فنظر كل من تابسكوت وويديكوم إلى صاحبه فما بقى غيرهما من السبعة الذين غادروا « الأنجلو ساكسون » .

ولما كان الظهر ، بلغ العطش بتابكسوت مبلغاً عجز عن احتمال عـذابه ، فشرب قليلا من ماء البحر ، وما كاد يفعل حتى اعترته نوبة من القىء تركته ساكناً لا يقوى على شىء .

وأخـذت ويديكوم آلام تشنجية فى

أحشائه كأنها التمزيق ، فألقته متيبساً فى قاع القارب ، وكان يتقلب من تبريح الأوجاع ، وتتقبض يداه على بطنه ، وينفجر غضبه ، وقد خبله ما يقاسى ، باللعنات العصبية .

ومالت الشمس عن كبد السماء ، وأخذت تدلف إلى المغرب فى بطء . فلما قل الحر خفت آلامهما ، وظلا راقدين فى ذهول محموم . ولما طلعت الشمس فى اليوم التالى لم يدركا أكثر من أن هذا نهار . وراح القارب يسبح كما يشاء ، على ماء مطمئن فى جو حار رطب ، وقد حل بالطبيعة نفسها مثل الفتور الذى حل بنبض الحياة فى القارب .

وقال تابسكوت وهو يستجمع ما بقى فيه من قوة كليلة ، بجهد ، : « سألقى بنفسى فى الماء ، فهل لك فى مثل ذلك ؟ »

فهز ويديكوم رأسه بضعف أنْ نعم ، ودلى نفسه من الحافة وهو متعلق بها . ورمى تابسكوت نفسه فى الماء ، فطفا ، وبدا كأنما تشرب الماء البارد ، ونبهت الصدمة أعصابه الوانية ، وحركته إلى العمل فرفع رأسه فألفى نفسه على مسافة خمس أقدام أو ست من القارب . وكان ويديكوم لا يزال متعلقاً بالحافة .

فصاح تابسكوت « تعال ! » ولكن ويديكوم لم يبد عليه أنه سمع .

وعاد يصيح : « دع القارب » ، غير أن ويديكوم لم يتحرك .

وعالج تابسكوت أن يذهب إليه ، فأدهشه أنه يستطيع أن يسبح ، فلما صار إلى جانب القارب سأله : « لماذا لا تدع القارب ؟ »

فهز ويديكوم رأسه هزاً عنيفاً .

فتلهب تابسكوت غضباً ، وحدث نفسه أن ويديكوم يخلف وعده ، فمد يده فتعلق هو أيضاً بالحافة .

وتجادل الرجلان وهما معلقان هكذا ، وكان تابسكوت قد آلى ليذهبن ، ولكنه آلى أيضاً إذا ذهب أن يذهب معه صاحبه ، ولكن ويديكوم كان قد خفت حدة آلامه ، وأنعشه الماء .

وقال : « إذا كانت فيك بقية من القوة استطعت بها أن تسبح هذه المسافة ، فإنك تستطيع أن تصبر وتحتمل زمناً آخر » .

فرأى تابسكوت أن هذا صحيح ، وكان قد أصبح مستعداً أن يقتنع . وبعد جهد ما استطاعا أن يعودا إلى القارب ، وأن يزحفا فيستترا بغطائه ، وأحسا أنهما وهبا فسحة جديدة من الأجل .

وخطر لتابسكوت خاطر : لماذا لا يشربان الكحول الذى فى القارب ؟ فأفرغاه فى علبتى لبن مركز ، فخص كلا

منهما حوالى ثلاثة أرباع كوب من الزجاج ، وجلسا متقابلين كأنهما يتشاربان فى حان بنيو بورت . وشربا ، فكوى الكحول حلقيهما الجافين وألهب أحشاءهما ، ولكنه سائل على أى حال !

وبعد عدة جرعات تبسما ، ونسيا الخطر والألم ، وراحا يضحكان ويتمازحان مزاحا خشناً بأصوات غريبة مشقوقة ، وأفواه مشوهة كالميزاب ، ، وتذاكرا سهرات لهما فى موانئ اجنبية . ولما ذهب أثر الكحول ، استلقيا وناما ، وكان هذا أول نوم مريح ظفرا به منذ غادرا السفينة المشتعلة .

وقبيل الصبح أيقظتهما جلجلة رعد فظيعة ، وبعد هنيهة سقطت قطرات على غطاء القارب . المطر !

وكان الماء يسح حثيثاً متداركا ، فسرعان ما صار الرواق ، الذى نشراه بين دسر المجدافين ، بركة . فراحا يلقيان فى حلقيهما الماء بالعلب ، فيسيل من جانبي الفم على ذقنيهما وصدريهما ، وهما يضحان ويعجان من فرط السرور بأصوات كأصوات الحيوان ، فما سرهما شراب فى حياتهما كما سرها هذا . ثم تقلا الماء — ستة جالونات منه — إلى إناء .

وبعد أن ارتويا أدركا ، لأول مرة فى الأيام الأخيرة ، أن ما يحسان به هو الجوع ، فغمسا الكعك فى الماء وأكلا ، وارتدت إليهما الحياة . ولم تثب إليهما القوة، فقد كانا ضعيفين جداً ، غير أن التيار تحول ، والجزر آذن بالمد . فصار ويديكوم جذلا .

وقال : « لقد كنت واثقاً أننا سنجتاز هذه المحنة أيقنت من ذلك فى اللحظة التى عدنا فيها إلى القارب . وما دمنا لم نذهب حينئذ فى سبيل غيرنا ، فإن من المعقول أن تكون النجاة قد قسمت لنا » .

وكان هذا هو اليوم الثانى عشر من سبتمبر ، ويومهم الثالث والعشرين فى القارب

وظلت الريح طيبة ستة أيام ، وفيها وجدا كل ما اشتهيا من الماء . وبلغ من اغتباطهما بالنجاة من الموت عطشاً أنهما صارا يسخران من جوعهما . وجمعا ما بقى من طباق عامل اللاسلكى وحشوا «البيبة» ودخنا قليلا

ولكن الحر صار أشد عليهما وآلم لهما والهواء أثقل ، والرطوبة أكثر ، وكانت أشعة الشمس عند الظهر تصهرهما وتخزهما وتلسعهما لسع الإبر المحماة . ولما دخلا فى اليوم الثامن عشر من سبتمبر كان الماء قد نفد مرة أخرى ، ولكن هذا لم يكربهما كما كربهما من قبل ، فقد تعلما فن احتمال

الآلام والتشدد لها . وجادتهما السماء مرة أخرى فى بكرة اليوم العشرين من سبتمبر ، فمدا الغطاء وشربا حتى هنئا . وبينما كان الماعون يمتلىء بالماء بلاّست كعكات ، وكان زادهما قد قارب النفاد ، ولكنهما كانا قد قضيا يومين على الطوى .

وكانا لا يعلمان أن دون أقرب أرض أميالا وأميالا من المحيط الأطلسى . وفى الرابع والعشرين من سبتمبر كانا يستقطران آخر ما عندهما من الماء فى الكوز ، وفتشا فى صفيحة الكعك فلم يجدا سوى كسرات وفتات ، فأصبحا وليس عندهما طعام ولا ماء .

وكانت الأسابيع الخمسة التالية حلماً ثقيلا طويلا . واليوم يتلو اليوم ولا شىء يتغير — لا الجوع ، ولا الشمس ، ولا البحر ، وصار كل شىء غيما لا يتضح أو يستبين فى هذا الألم المستمر .

وكان المطر قلما يحتبس عنهما ، ولكنهما سلخا أياماً كثيرة من غير أن يطعما شيئاً . ثم سمعا ذات يوم صوت شىء يخبط الشراع ويضرب مضطربا فى القارب . وما راعهما إلا أن سمكة طيارة قد وثبت إليهما . فأخرج تابسكوت موسى عامل اللاسلكى ، وقطعها نصفين ، وأخذ النصف الذى فيه الرأس ، وأخذ ويديكوم النصف الآخر ، فأتيا على كل شىء ، حتى العينين والعظام والزعانف .

ثم وقعا بعد ذلك على بعض نباتات البحر ، وسرهما أنهما وجدا ضرباً من سرطان البحر عالقاً بها ، كما وجدا إربياناً (جمبرى) وبعض المحار . وقد عالجا عدداً كبيراً من هذه ، ولكن إعداد وجبة كان يستغرق ساعات .

وفى التاسع من أكتوبر ، وكان يوماً ماطراً يأخذ بالنفس ، بصرا بباخرة كبيرة على مسافة نصف ميل منهما تتجه جنوباً ، فوقفا فى القارب يلوّحان بأذرعهما ويصيحان ، وحملا المجدافين وجعلا يشيران بهما ، ونفخا فى صفارة الضابط حتى انقطعت أنفاسهما ، ولكن الباخرة مضت فى طريقها .

فتهافتا على المقعد وما بقيت فيهما ذرة من القوة ، وكان قلباهما يخفقان كأنهما سيتمزقان ، ورئتاهما تعلوان وتهبطان ، فيلعان الهواء كأنهما مشفيان على الانتحاب .

ومرت أربعة أيام أخرى ، فاستيقظا بعد منتصف الليل على أصوات الرياح العاصفة واضطراب القارب ، وكان الموج عالياً ، وكأنما فقد القارب قدرته على الطفو . فأضاء ويديكوم المصباح الكهربائى فرأيا الماء على ضوئه الخافت ، إلى قريب من دسر

الجدافين . وفى هذه اللحظة انصبت عليهما ذروة موجة ، فتنــاول تابسكوت الدلو وويديكوم الـكوز ، وراحا ينزحان المـاء بكل ما أوتيـا من قوة . فـكانت تلك ليلة ليلاء .

وطلع الفجر كأنه البرق فى سماء مكفهرة وكانت الريح عاصفة حاصباً ، فجعلت تضربهما بالبرد فيلسعهما كأنه أطراف الســياط . واحتاج الأمر إلى جهدهما معاً للتجديف ، واختلطت السماء بالماء فى رأى العين وإحساس القلب ، وظلا يكافحان العاصفة طول يومهما وليلهما أيضاً . ولم يدع لهما ذلك فرصة للنوم ، فالتفا بالغطاء وقد هدهما التعب وهرأهما البرد .

وفى اليوم الثانى من هذه العاصفة كانت الريح أقل اختلافاً ، فمضى القارب يخطف مع الموج العالى الذى يدفعه بأقصى سرعة . فقال ويديكوم وهو متجهم : « على كل حال ، هذا سير حثيث » .

وطلعت الشمس فى اليوم التالى على بحر مصطخب العباب ولـكنه مأمون ، فارتميا على القاعد منهوكين ، ثم تبادلا النظر وتبسما ، فقد خرجا سالمين من خطر جسيم آخر .

وسكنت العاصفة ، وقل ما يلقطانه من البحر ، فتكسرا على الجوع وكاد عقلهما يطير منه ، فقشرا ما جف من جلدهما ويبس وأكلا ، ماقشراه منــه ونزعا ما فى بطانة كيس الطباق الذى كان لعامل اللاسلكى وجعلا يمضغانه . ودار رأساهما ، وصار تلف أعصابهما المتفاقم يغريهما بالتماس الراحة فى الشجار المر .

ومن الأسبوع التالى وهما لا يكادان يدريان شيئاً منه ، ثم اتفق ذات ليلة أن تابسكوت ظن أنه سمع حركة سمكة فى جوف القارب ، وما كاد الصبح يتنفس حتى انحدر إلى قاعه يبحث عنها .

وأخيراً قال : « وجدتها ! »

ولـكن ويديكوم لم يقل شيئاً .

فعاد تابسكوت يقول : « لقد وجدت السمكة » ، وصعد طرفه إلى ويديكوم ليتبين السبب فى أن ويديكوم قد تلقى هذا النبأ العظيم بمثل هــذا الفتور ، فألفى ويديكوم شاخصاً ببصره .

وقال ويديكوم : « انظر ! » ، وأشار بيده .

فرفع تابسكوت نفسه لينظر ، ويده مطوية على السمكة ، فإذا أمامه خط طويل من الأرض الواطئة وشاطىء .

فقال : « أرض ، أو لا أرض ، سآكل هذه السمكة » .

وشطرها شطرين بالموسى ، وأكلاها معاً وهما يخدجان الأرض ببصرهما .

وفى عصر ذلك اليوم أذاع الراديو على العالم أن روبرت جورج تابسكوت وولبرت روى ويديكوم الوحيدين اللذين سلما من الباخرة أنجلو ساكسون التى ضربت بالطوربيد ، قد قطعا ثلاثة آلاف ميل من المحيط فى قارب مكشوف ، وسلخا سبعين يوماً من الظمأ والجوع والعواصف .

وقد عثر عليهما أحد الزنوج على الشاطئ فى اليوثيرا إحدى جزر بهاما إلى الشرق فى الطرف الجنوبى لفلوريدا ، فحملا إلى مقر الحاكم حيث استقبلهما الموظفون والأهالى استقبال الأبطال .

وقد تبين من الفحص ، فى المستشفى العام فى بهاما ، أنهما أصيبا بتلف جسيم فى الأعصاب واضطراب فى العقل ، فضلاً عما حاق ببدنيهما من جراء التعرض للشمس والتضور من الجوع والعطش . فكانا لا يناماه ، وقد تنتابهما الهستيريا أو يفتران ويكتئبان . ولكن حذق العلاج وحسن التعهد بضعة أسابيع ردها إلى قريب مما كانا عليه من قبل .

وادخر القدر لويديكوم آخر سخرية له فى ملحمة هذا الكفاح فى سبيل الحياة . ذلك أنه ذهب إلى كندا فى فبراير ليلتحق بالباخرة « سياميز برنس » ، وفى ١٨ فبراير ضربت بالطوربيد وأغرقت على مسافة من اسكتلندا .

وأذاعت الشركة : « أن كل من كان على الباخرة سياميز برنس يجب أن يعد مفقوداً » .



واجه النجاح كفتى كريم . وواجه الكارثة كرجل رجل .

(لورد بركنهيد)



المثل العليا نجوم لن تستطيع أن تلمسها بيديك ، ولكنك ، كالمقاديم من البحارة ، تتخذها مرشداً لك وتتبعها فتبلغ غايتك .

(كارل شورتز)

توجيهات لطيفة تعينك على معرفة الغرباء ، ومعرفة أصدقائك كذلك .

الناس مسلاة

جيليت بورجس

مؤلف « هل ثقفت قلبك ؟ » . ملخصة عن مجلة « الروتيريان »

ما من تجربة فى الحياة أمتع من لقاء شخص جديد . وليس المعنىّ بهذا أن تقدم إلى حسناء وضيئة من معبودات السينما ، فإن مخاطبة أى شخص عادى يمكن أن تحرك النفس أيضاً إذا عرفت كيف تستخلص المتعة منها .

وقد اتفق لى أن كنت فى ليلة موحشة بمطعم لا ينعش النفس فسألت الفتاة القائمة بالخدمة فيه: ألا تسأمين رؤية الناس يأكلون ويأكلون ؟ . فقالت : « يا لله ! كلا ! إنك لا تدرى من ذا عسى أن يجلس إلى مائدتك ، وهم يختلفون اختلافاً بيناً ، وأنا يطيب لى أن أراقبهم » .

فسألتها : « حتى ولو كانوا جفاة غلاظاً لا ينفكون يصيحون بك ويزعقون ؟ » .

قالت : « نعم على التحقيق ، فإنى أتخذ لى ملهاة ، فأزعم أنهم جميعاً ممثلون يؤدون أدوارهم فى شريط سينمائى هنا . أى نعم . واليوم فقط — عند الظهر — أقبل فتى غرير داخلا فى خفة ونشاط فألفيته كخير ما يكون ميكى رونى . وصدقنى حين أقول لك إن الناس مسلاة كبيرة » .

هذه الفتاة ذات موهبة نفسية نادرة ، فإنها تستطيع أن تفكر تفكيراً موضوعياً ، وفى وسعها أن تجد فى الناس ما يعنيها ، وأن تستمتع بهم سواء أتستخفهم كانت أم تستثقلهم ، ومتى تسنى لك أن تنظر هذه النظرة المجردة عن الهوى فإن الناس يبدون لك كأنما يؤدى كل منهم دوراً لتسليتك ، وإدخال السرور على نفسك ، فتفيد من شذوذ من تراهم كل يوم وخصائصهم ، من اللهو والمتعة نظير ما تفيده من رواية جيدة .

ومن المفيد أن تنظر إلى من تلق ، حتى من إخوانك أحياناً ، هذه النظرة ، فإنك إذا استطعت أن تضع حولهم إطاراً خالياً ، وأن تعزلهم عن بيئتهم الاجتماعية والعملية كنت خليقاً أن تراهم كما هم بلا تحيز ، وأن تطلع على ما لم تفطن إليه من قبل . فقد يعرف أحدنا رجلا معرفة طويلة ولا يكون مع ذلك عارفاً به معرفة شخصية

صحيحة ، إذ كانت الألفة كثيراً ما تجعلنا ننظر إلى المرء نظرنا إلى الأمر المفروغ منــه ، فنعده طيباً ، أو امرء سوء ، وحكيما أو مأفوناً ، ونحبه أو نبغضه ، ونحن لا نعرف سبب ذلك على وجه الدقة .

وما زال دأب الكتاب ووكدهم أنهم ينشدون الشخصيات الطريفة ، وينظرون إليها نظرة موضوعية . وهل تظن أن دكنز حين التقى أول ما التقى بالأصل الذى نقل عنه شخصية « يورياهيب » كبر عليه وهاله نفاقه ؟ كلا ، ولعله كان أكثر عناية بأن يوريا مسيح الحاجبين ، وكيف كان يفرك كفيه فى ذلة ومسكنة .

ويحسن أن تجرب ذلك حين يدعوك الواجب مرة أخرى إلى زيارة عمتك . لماذا تدعها تسأمك ؟ أدرس تعابير وجهها ونبرات صوتها وإيماءاتها ، كأنك تنوى أن تصور شخصيتها فى كتاب . فإنك بذلك تمسح سَدَدَ الذهول عن عينيك ، وتشرع فى معرفتها على حقيقتها للمرة الأولى .

والناس مسلاة إذا راقبتهم فقط ، إلا أنه لما كانت كل خلة خاصة فيهم تعنى شيئاً ، فإن مزية الدرس لا تقتصر على المتعة بل تتجاوز ذلك إلى الفائدة ، فإذا استطعت أن تترجم هذه الخصائص الإنسانية فإن المتعة السلبية تصبح إيجابية فيتحرك خيالك وينشط .

وجرب أن تثنى على امرىء ثناء صادقاً ولكنه غير منتظر ، وراقب أثر ذلك فإن له إمتاع التجربة الكيميائية . وإذا اتفق لك مرة أن تناول أحداً مالا فانظر كيف يتلقاه ، فإنك تستطيع إذا جعلت بالك إلى الطريقة التى يتناوله بها ، وهل يأخذه بسرور الوامق أو بغير احتفال ، أن تعرف هل هو شحيح مقبوض اليد ، أو كريم مبسوطها . فإذا كان المال نفقة طفل فإن من المحتمل أن يضعه فى راحته ويروح يحركها ليسمع رنينه استباقاً للذة إنفاقه . أما إذا كان ديناً يرد فإنه يتقبله كأنما يستهجن رده ، إلا إذا كان قد يئس من ذلك ، فإنه فى هذه الحالة يسرع إلى طيه إيثاراً للاطمئنان .

ولست تستطيع أن تعرف إنساناً حق معرفته ، إلا إذا اتصلت أسبابك بأسبابه ، فإن الناس لا يكشفون عن حقيقة نفوسهم فى أول لقاء ، وما أشبه الاتصال من أجل المعرفة بنزع اللفائف عن مومياء ، فإن كل ما يقوله المرء يعد كشفاً جزئياً عن شخصيته . وإذا عرفت الطريقة وساعفتك الحيلة فإنك تستطيع أن ترفع طبقة بعد طبقة من الحديث وتزداد اقتراباً من المطوى حتى

تصـل إلى الحقيقة الباطنة ، فإذا أنت أمام ملك أو عبـد أو قرد مقدس . وثم دائماً تلك الفرصة التي تسنح مرة في كل ألف مرة فتهتدي إلى أندر ما في الدنيا — الصديق .

على أنك لا تستطيع أن تكتفي بأن تدع الطبيعة تفعل فعلها بغير عمل منك إذا أردت أن تجعل لقـاء شخص جديد تجربة ، فإن هذا فن ، وينبغي أن يكون لك فيه أسلوب، وفي وسعك بالحديث الذي يراد به الاستطلاع أن تعرف هواه وتغريه بالتحدث عنه .

وإذا حرصت على أن تظل عيناك وأذناك مفتوحة فإن هنـاك دلالات كثيرة تهـديك إلى أهواء الإنسان . ولنفرض مثـلا أنك راكب قطـاراً ، فانظر ماذا يقرأ جارك ، فإنك تستطيع دائماً أن تعرف أي إنسـان هو مما يقرأ . وقد تعينك طريقته في ارتداء ثيـابه على معرفة ذوقه ، ومن الممكن أن تدلك على عمله أو حرفته . وإذا أردت أن تستدرجه إلى الحديث تخمن من أي بلد هو فلن يثقل عليه ذلك .

ثم دعه يتـكلم وأنت مصـغ ، فإن من المرجح أن تسـتفيد شيئاً من المعـلومات الممتعة . ومما يجعل التـلاقي الجديد ذا قيمة أن كل امرىء تلقاه يعرف في الأغلب شيئاً لاتعرفه ، فإن لـكل امرىء علماً أو خـبرة بشيء ما . وقد اتفق لي أخـيراً ، وكنت مسـتقلا قطاراً ، أن وسعني أن أتلقى من رجل كان جالساً بجواري درسا مسهباً في العزل : كيف يصنع مادة العزل ؟ ومنذ متى تستعمل ؟ وما نفعها للبيت ؟ ولقيت رجلا آخر في مطعم فأفضى إلى بتفاصيل كثيرة رائقة عن تجـارة الحلي والجواهر ، كنت أجهلها كل الجهل .

وتجـد في أول عـدد من « ريدرز دايجست » النصيحة الآتية بقلم المرحوم جون م . سيديل محرر « الأمريكان مجازين » :

« ينبغي لتحصيل المعرفة أن تقرأ ، وتدرس ، وتدير عينك فيما حولك ، وتسأل عما تجهـل . وبعض النـاس يفعل ذلك ، ومعظمهم لا يفعـلون . وسؤال المرء عمـا يجهل يقتضي التواضع والوداعة . ولا يزال أبرع رجال العـالم هم الذين لا يفتأون يجمعون الحقائق » .

وبعـد أن نشرت رواية كبلنج المسماة « الربابنة البسل » سأل بعضهم ربان سفينة الصيد التي ركبها كبلنج كيف كان ؟ فقال : « رجل غريب . شاربان كثيفان ونظارة كبيرة ، وعيناه كأنهما مجهران وله ست آذان وقد سأل عشرة ملايين من الأسئلة » .

كان كبلنج رجـلا يفيد التجـارب والمنفعة من معرفة الناس . وكان يعلم أن الناس مسلاة .

الحرب في معسكر التدريب

دون وارن

خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « أميريكان ليجيون »

لم يعد الجندى الأمريكى اليوم يخوض المعامع غراً غير مدرب . فكل رجل منهم يمارس — قبل لقاء العدو — ضرباً من المعارك التدريبية هى أقرب ما يكون إلى حقيقة الحرب .

فمن ذلك أن جنوداً فى معسكرات التدريب يزحفون مسافة ١٠٠ ياردة تحت وابل من مقذوفات المدافع الرشاشة ، وهى مدافع حقيقية ينقذف رصاصها على ارتفاع ثلاث أقدام فوق سطح الأرض ، فتراهم ينسابون تحته انسياب الأفعى ، فيجتازون الخنادق ، ويزحفون على المرتفعات التى تدنيهم إلى قدم ونصف من القذائف القاتلة . ثم تنفجر على مقربة منهم قذيفة ، تهزهم وتهيل عليهم الوحل والأقذار ، بينما تمضى المدافع السريعة فى قذف حممها فوق رؤوسهم .

ثم يتقدمون إلى الأسلاك الشائكة وهى تعلو ست بوصات عن سطح الأرض، فيتلوى الرجال تحتها على ظهورهم وأكتافهم . فإذا هم يدنون من أفواه الرشاشات المتدفقة حتى يشعروا بحرارتها المتوقدة . فإذا جمد أحد الجنود من الرعب حيث يكون ، فى هذه المائة ياردة التى لا تنتهى ، لم تنقطع من أجله المدافع عن قذف نيرانها . وقد بلغ الذعر من بعضهم حتى قضى ساعتين يجتاز المسافة التى يقطعها من هم أثبت جناناً فى ست دقائق . وسواء أساعات كانت أم دقائق ، فإن الجندى إذا هو اضطرب فنهض فقد هلك .

وهذا التدريب العملى على أسلوب «التغلغل» جزء من خطة حربية شاملة يراد بها توطين الجنود على صدمات القتال . ومنذ سنين وضباط الجيش الأمريكى يتمنون مثل هذا التدريب ، ولكنهم وقفوا صامتين خشية الرأى العام . أما الآن وقد واجهوا حقائق الحرب المتجهمة ، فقد وجب على كل جندى أن يتعرض لكل ما يشاهد ويسمع ويحس فى القتال الحقيقى . وأساس هذه الفكرة ، هو أن المخاطرة بأرواح قليل من القتلى تنقذ آلافاً من الأرواح . ومنذ عهد قريب أصيب أحد جنود « الهابطات » فى فخذه برصاصة منحرفة من مدفع سريع الطلقات فى أثناء التدريب ، فصرخ

صرخة منكرة ، ولـكن رفاقه جميعاً ، ازدادوا التصاقاً بالأرض – بفضل تدريبهم – ولم يقفزوا من الذعر . فهذا الجرح اليسير سيســاعد على إنقاذ حيـاة كثيرين متى جد الجد .

ويتدرب الجنود اليوم على الزحف فى الغـابات والسهول وقذائف المدافع تصفر فوق رؤوسهم مسددة إلى مواقع الأعداء . ويحفرون الخنـادق ويضطجعون فيها بينما تدمدم دبابات الاعـداء مارة فوق رؤوسهم ، ثم يثبون منهـا ليلقـوا عليها القذائف اللاصـقة وقذائف مولوتوف . وتنقض عليهم طائرات ترش عليهم الغازات المسيلة للدموع .

ويعـــدو الجنود فى طرق وعرة ، ويجتـازون الجداول وهم يتطوحون على الحبال ، والمواد المتفجرة تنفجر من تحتهم ، ويطلقون النار على أهداف تبدو لهم فجأة – يطلقون ذخيرة حقيقية لا فارغة .

يتدربون أول ما يتدربون على مواجهة الأشراك المحجوبة التى دست فيها الألغام . وقد رأيت أحد المشاة يفجر منها أربعة فى دقيقة لقلة دربته . وقد كان الجنود منـذ سنتين يشتكون من اسـتعمال بنادق التمرين فى المنـاورات ، أما اليوم فهم يتسللون وراء الرماة المختفين فى الغـابات الـكثيفة ، بينما الرماة المجيدون يقذفون الرصاص فيمر على قيد شعرة منهم .

وعلى كل معسكر من المعسكرات أن يحذق جنوده القتال فى قرى « الأعداء » . ففى « حصن بننج » بولاية جورجيـا الأمريكية شيدوا قرية « ألمانية » ببيوتها ومخازنهـا ومدرستها ، بل بيت « للعمدة » أيضاً . وتمتـد القرية ربع ميل على جانبى شـارعين كبيرين ، تصـل بينهما شوارع صغيرة . وفى الهجوم عليهـا يجب على المرشحين لرتب ضباط فى المشاة أن ينتزعوا المدينـة من زملاء لهم مقيمين فى مبانيهـا الرئيسية . ويقع الهجوم فى وقت متفق عليه تكتسح فيــه قذائف الرشاشات شـوارع القـرية . وبينما يهجم فريق على طائفة من المبـانى يمنع رجال الرشاشات العـدو من التقدم . ثم يعطى أحـد الضباط الإشارة ، فيقف إطلاق النـار ، ويقتحم المهـاجمون المبانى القائمة على الجانب الآخر من الشارع . وهـذا عمل مروع ، فإن الإشارة الخاطئة معناها عندئذ إبادة نصف كتيبة .

ويدرب جنود الهابطات ، بولاية نورث كارولينا الأمريكية ، على مهاجمة قرية للعدو ، وهم يقفزون من طائراتهم ، ويجمعون مدافعهم الرشاشة ومدافع الهاون والذخيرة ، ويقطعون عشرة أميال مستعينين بالبوصلة

مخترقين مستنقعات فيهـــا المواد المتفجرة والأسلاك الشائكة ، ويزحفون تحت نيران المدافع الرشاشة ، ثم بعد ذلك يهجمون على القرية بنيران حاصدة .

وجنود الهــابطات من أصلب الجنود عوداً ، فلكى يخترقوا أسلاك العدو الشائكة يجب عليهم أن يزحفوا حتى يصبحوا على مقربة منها والديناميت ينفجر من حولهم . ثم يثب اثنان منهم ، ثم يعـدوان إلى الأمام وهما منحنيان ، ثم يقذف كل منهما بكل شدة جسمه على أحد أعمدة الأسـلاك الشائكة . وفى لمح البصر يأتى على إثرها جنديان آخران ، قد غطيا وجهيهما بأذرعتهما ، وينقذفان على الأسلاك الشائكة نفسها ، فيما بين العمودين المتداعيين . وبعـدئذ يتخذ الجنـــود ظهـــور هؤلاء الرجال جسراً يمرون عليه .

وفى كل مكان ضباط أذكياء يبتدعون طرقاً لتعـويد الجنود منـــاظر الحرب وروائحها . وقد تمكن علماء الكيمياء من عمل روائح تشبه روائح المعارك ستضاف إلى التدريب على القتال . فإذا أحسن استعمالها فلا شك فى أنها ستخفف من وقع الصدمة التى تلحق الجندى حين يجد لأول مرة رائحة جيف القتلى .

والجهود تبـذل الآن لصنع دمى تمثل رجالا أثخنتهم جراح مخيفـة . وقد تمكن أحد قواد الفرق من الفوز بصبغ أحمر كالدم يفصده الجندى من تحت ثيابه وهو يتقدم تحت القذائف .

وقد ذهب أحد ضباط الهابطات بولاية « ألاباما » إلى مذبح ، واشترى ما فيه من أمعاء الخنازير ثم نشرها على الأسلاك الشائكة وكتم الأمر عن جنوده ، ثم أمرهم بالزحف تحت تلك الأسلاك . واشترى ضابط آخر من ضباط الهابطات جثتى بغلين ماتا منذ يومين ، لتمرين جنوده على الطعن بالحربة . أما غيره فقد اتخذ لهذا التمرين جلود بعض الحيوانات فملأها سائلا أحمر يشبه الدم .

واتخذت إحدى فرق الجيش الأمريكى « غرفة الأهوال » ليعتاد ضـباطها رؤية المناظر المروعة . فيجتمع الضباط ليلا فى غابة ثم يزحفون فى خنادق مفتوحة لوضع خطة لتنفيذ أمر صادر إليهم ، وفى أثنـاء ذلك يزعجهم أزيز رصاص البنـادق ، ودمدمة السيارات على مقربة منهم ، وتنفذ إليهم الروائح المنتنة ، ونبـاح جريح يتعذب ، ووميض أنوار مختلفة الألوان ، وريح تسفى الرمال فى وجوههم . وإذا عمد أحد الضباط إلى التليفون يجده مكسواً بمادة لزجة حمراء ، فيضىء مصباحه الكهربائى فيرى جثة رجل

ميت — وهو دميــة — دامى الوجه قد بقرت بطنه شظية .

وعلى ما بلغته هذه التمرينات من البشاعة فإن العـائدين من مختلف ميادين القتـال يغالون فى الإصرار على ضرورتها وأثرها . ويروون عن جنود قتلوا لأنهم لم يمرنوا على الزحف تحت رصاص المدافع السريعـة . وقد روى لى أحـد ضباط الهابطات ممن شهدوا معـارك تونس أن بعض الـكتائب كانت — أحياناً — تبطئ عن الاقتحام فى أول القتال ، وذلك لما يلحق الجنود من هول الصدمة ، إذ تفجؤهم منـاظر المعركة وأصواتها . وقد رأى مرة شرذمة من الجنود الأمريكيين يحملون المؤن والذخائر فى خلال المعمعة ، جمدوا فى أماكنهم لا لشىء إلا لأنهم سمعوا لجب القتال ودويه الشديد . ثم لم يتقدموا لتسليم ما تنتظره المدفعية من الذخائر ، بل لبـد بعضهم فى بعض ولصقوا بالأرض من الفزع ، وقد غفلوا عن أن طريقهم قد اعترضه تل يحميه .

هذه العبر المستخرجة من ميادين القتال تدل على قيمة نظام التـدريب العسكرى الجـديد ، ولا شك فى أن هـذا التدريب الغليظ الجـافى يودى ببعض الأرواح ، ولـكنها لا تزيد على ما يماثلهـا بين الذين يتعلمون الطيران أو سوق مركبات الجيش . وقد أخبرت أنه لم يجرح إلا نفر قليــل ، ولم يقتل إلا اثنان ، من ألوف الجنود الذين تدربوا على الزحف تحت رصاص المدافع الرشاشة ، ولم يغرق سوى ثلاثة رجال فى تمرينات شاقة لا يكلف القيام بها إلا المجربون من الجنود . وقليلا ما يصاب جندى فى أثناء التدريب من ديناميت متفجر .

ومنــذ عهد قريب تعب أحــد جنود الهابطات وهو يحفر خندقاً ، فاعتراه النوم فنام ولم يستيقظ حين رحلت فصيلته ، وكان لا يزال نائماً حين بدأت القنـابل تتساقط إلى جواره ، ولـكنه نجا منها غير مصاب . ووصف قائد فرقتــه الشعور الذى خالجه وهو « تحت نار المدافع » .

وبعــد حديثى مع عشرات من الضباط والجنود لم أجـد بينهم من يعارض فى هذا النوع من التدريب الجديد على المعـارك . بل هذا هو رأيهم : كلما زاد التدريب جفاء وشــدة ، زادت فرص النجـاة التى تتاح للجندى فى معركة القتال . بقــدر ما يشتد التدريب تزداد فرصة النجاة فى القتال الحقيقى .



تبنّاناقبل أن نتبنّاه

ملخص من " يورلايف "

طالما قرأنا فيما رواه الكتاب عن أبناء السبيل ، أن من صفاتهم المرح والجاذبية وحلو السجايا وسحر الطباع ، وأنهم إذا ما تحدثوا بدت فى حديثهم لثغة عذبة ، ونطقوا بأجمل الأقوال فى خير المناسبات . بيد أن الطفل « جونى » الذى تبنيناه لم يكن كذلك . فقد كان من أبناء الشوارع ، وكان فظاً فى القول والعمل ، حتى خفنا على أطفالنا الثلاثة من الاختلاط به .

وقد كان ، قبل مجيئه إلينا ، شريكا فى عصابة غلمان يكبرونه سناً . وذات يوم وضعت هذه العصابة فوق شريط السكة الحديدية أكواما من الأحجار سببت خروج قطار للبضاعة عن الخط . وقد أودع أفراد العصابة الكبار مدرسة إصلاحية ، أما « جونى » فقد حار ولاة الأمور فى أمره لصغر سنه ، إذ لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره ، وكانت أمه قد ماتت ، وكان أبوه معطلا عن العمل . وأخيراً رأينا أن نتطوع فنأخذه إلى شاطئ البحر لقضاء أسبوعين هناك ، إلى أن يجدوا له مكاناً ملائماً .

وصل « جونى » إلى المنزل فى المساء حاملا متاعه القليل فى حقيبة من الورق . ألقى ما يحمل ، ونظر إلى مائدة العشاء وصاح دهشاً : « ما هذا ! أتأكلون لحماً والأسبوع لم ينتصف بعد ؟ إذن أتأكلون اللحم مراراً ياقوم ؟ »

وسرعان ما قدمت له طبقاً مملوءاً باللحم والخضار ، فاغترف الطعام بيديه يلتهمه التهاماً بغير أن يكلف نفسه مؤونة البحث عن الشوكة والسكين .

ولكنه مع ذلك لم يستطع الاحتفاظ بما أكله إلا دقائق معدودات .

ولما أن طال إعياؤه استدعيت له الطبيب فقال : إنه كاد يموت من قلة الزاد ، ونصح بإعطائه ملعقة من الخبز المغموس فى اللبن الساخن مرة كل ساعة إلى أن يتمكن من الاحتفاظ بالطعام فى معدته . ثم أودعته الفراش ، وألبسته قميص ابنى البالغ من العمر ست سنوات ، فبدا على هيكله العظمى متهدلا فضفاضاً ، رغم أنه فى العاشرة من عمره ، وقد برزت ضلوعه كقفص الطائر ، وظهرت عظام الكتفين كأجنحة من الورق المقوى التى يلهو بها الأطفال فى عيد الميلاد .

وبينما كنت أضع ملعقة من اللبن فى فمه الجائع فى الساعة الثانية صباحاً ، كنت أتساءل والحزن يملأ جوانحى : « ترى ما الذى ألجأنى إلى الوقوع فى هذه الورطة ؟ » . ولم يمض

وقت طويل حتى عادت إليه قواه فاستطاع أن يأكل ثلاث مرات فى اليوم ، ولـكنه ظل غريباً فى منظره ، وبات بياض بشرته كريهاً ، تبدو عليه صفرة الموت ، وكان فمه مترهلا تعافه العين ، وكان يتعمد الحول فى عينيه حتى يتجعد جبينه ، ويسعل سعالاً عميقاً كأنه كاب ينبح فى مقبرة، حتى خشينا إصابته بالدرن . وقد وجد الطبيب قناة الأذن مسدودة بالألياف، ولكنه وجد الصدر صحيحاً والعـين سليمة ، ولم يكن الحول والسعال إلا نتيجة لحدة مزاجه .

وكان «جونى» يعلم أن المدة التى يمكثها معنا لن تتجاوز الأسبوعين . فلما أوشكت هذه المدة أن تنتهى ، عاوده القىء ، فأرقدته فى السرير وهو يستعطفنى بكل حماسـة أن أبقيه معنا ، وتعهد بأن يقوم بكل ما نريده منه بعد ذلك .

فقلت له : «وكيف ذلك وأنت فى شجار دائم مع الأطفال ، تلجأ إلى الغش فى اللعب فيمنعونك عن الاشتراك معهم ، وتلجأ إلى الكذب فى القول ، فلا ندرى متى تصدق ؟ » فأجاب : « لن افعل شيئاً من هذا إذا بقيت هنا ، فأرجو ألا تبعدونى » .

فقلت : « ليـكن ما تريد » . فهرول مسرعاً إلى زوجى ، ليحمل إليـه الخبر ، ولم أكن على يقين من أن زوجى سيرضى عن ذلك . ولـكنه بدأنى قائلا : « اسمع أننا رزقنا ولداً آخر » ، وقبل أن تقوى اعصابى فتمكننى من الجواب قال : « ألا يوجد لدينا غرفة فى أعلى المنزل ، فما بها ؟ » فقلت : « حقائب قديمة» . قال : « لا أظن أن هناك ما يمنع أن نضع مكانها ولداً » .

وبعـد بضـعة أيام جاءنى « جونى » يقول : أأستطيع الآن أن أناديك « أماه » كالآخرين ؟ وقبـل أن ينبلج صباح اليوم التالى كان صوته يرن فى صحن الدار وهو ينادى « أماه » . فقـال زوجى وهو بين اليقظة والمنام : « ها هو ذا ، أجيبيه فإنه يخشى أن تكونى قد ذهبت هباءاً منثوراً خلال الليل »

فقلت: « أجل ، أتريد شيئاً ؟ » ولكنه لم يكن يريد إلا أن يقول : « يا أماه » فتعثر فى أقواله يبحث عن جواب ، ثم قال : « لقد لبست قميصى ياأماه » .

وقبل نهاية الصيف تغير جسم «جونى» حتى كأنه طفل آخر . فأخذ يتنفس من أنفه ويغلق فمه ، وأضاء جبينه ، وأصبح الناظر إليه يرى رأساً حسن التكوين، وعينين سوداوين مرحتين ، وشعراً كثيفاً حالك السواد .

ولـكن شخصيته كانت شديدة التعقد ، لا يسهل حلها . ولم يمض طويل وقت حتى تبينت النموذج الذى يتبعه فى كذبه . فقـد كان يكذب فى بادىء الأمر ليظفر

بالاستحسان ، ثم أخذ يكذب خشية العقاب كما يفعل سائر الأطفال الذين تساء معاملتهم . ثم تحول الكذب ابتغاء المباهاة والظهور والتفاخر أمام زملائه ، فيسرد روايات خيالية تظهره بطلا مغواراً .

وحدث ذات يوم أننا اصطدنا سمكة فقلت للأطفال : « هذه السمكة إذا دغدغت انتفخت حتى تصبح ثلاثة أمثال حجمها ، وإذا نخست عادت صغيرة ، إلى حجمها الطبيعى » . وبعد هذا الحادث كان الأطفال يصيحون « السمكة ، السمكة » ، كلما أخذ « جونى » فى سرد حكاياته الخيالية . وكان هذا الدرس خيراً من عدة عظات تلقى عليه .

على أن البيانو كان له أكبر فضل فى إصلاحه ، وكنا لا نعلم أن له مواهب موسيقية حتى عدنا من المصيف إلى بيتنا . فلم يكد نظره يقع على البيانو حتى صاح فرحاً وهو يشير إليه ، مستأذناً فى أن يلعب . وبينما كنا مشتغلين بفتح حقائب السفر كان «جونى» يتعثر فى عزف لحن النشيد المعروف بعنوان « أميركا بلادى » . فلما حان وقت العشاء أبى النهوض فوضعنا له الطعام بجانبه وقلت له : « كل متى تشاء » . وفى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين كان لا يزال جاداً فى توقيع المقطع الأول من اللحن ، فحملناه على الذهاب إلى الفراش ، ولكنه استيقظ مبكراً فى السادسة وجلس إلى البيانو يوقع عليه .

فقال زوجى وهو يرفع الغطاء إلى رأسه : « ها هو ذا ابنك موزار » . وفى الساعة الخامسة مساء صاح « جونى » : « ماما ، اسمعى . أستطيع أن أعزف اللحن الآن» . وفعلا عزفه ، وبكلتا يديه . فلم يسعنا بعد ذلك إلا أن نحضر له معلماً للموسيقى . وقد كان لشغفه ، الولد الوحيد فى المنزل الذى لابد من أن ننتهره قائلين : « كفى كفى » .

وقد كانت مقدرته الموسيقية سبباً فى وثوقه بذاته ، حتى كف عن التفاخر . ومتى توسم المرء فى نفسه القدرة على إحسان عمل ما ، اتصف بالتواضع ، وأقلع عن عادة المباهاة بذاته .

بيد أن هناك عقبة كأداء ، لم تستطع مواهبه الموسيقية التغلب عليها ، وهى الخوف . ولا يخفى أن تربية الشوارع لاتشمل الرياضة البدنية ، ولذلك شب « جونى » يخاف الألعاب . وقد زودناه بمضرب وقفاز وكرة للعبة الأمريكية المعروفة باسم « بيسبول » . ولكنه كان كلما أخذها إلى المدرسة عاد إلى والدموع تنهمر من عينيه ، لأن زملاءه كانوا لا يقبلونه شريكا لهم فى اللعب لخوفه من الكرة . وكنت أخرج وإياه لتدريبه ، فأرمى الكرة نحوه فلا تكاد تبلغه حتى يرفع يديه

خوفاً ، ذلك بأنه تعود فى حياة الشوارع أن يرفع يديه دفاعاً كلما هم أحد بضربه . وأقبل زوجى على تدريبه بعد ظهر كل يوم باستعمال كرة لينـة ، فعوده رويداً رويداً التقاط الـكرة . وفى أحـد الأيام كانت ابنتنا جالسة على سطح الحظيرة ، فقذف والدها بالـكرة نحوها فالتقطتها وأعادتهـا إلى « جونى » فداخله السرور حين رأى فتـاة صغيرة تلتقط الـكرة وتعيـدها على الفور ، فمد يده والتقطها فصاح زوجى : « أرأيت أنك تستطيع ؟ ... أحسنت ! » .

كذلك كان يخشى الظـلام ، ولذا كان يترك النور حتى الصباح موقـداً فى حجرته طول الليل ، ولـكنه نادانا يوما معلنا أنه قرر إطفاء المصباح لأنه لم يعد يخشى الظلام ، كما لم يعد يخاف الـكرة .

وأخيراً أصبح لاعبا فى فرقة الـكرة فى المدرسة الثانوية وعضواً فى الأوركسترا ، وفاز بجائزة المجانية أربع سنوات للدراسات العليا ، واشتغل فى أوقات فراغه بعدة مطاعم ومخازن تجارة ، ليستعين بما يربحه منها على الإنفاق على نفسه ، ثم أحرز شهادة طيار وأصبح عضواً فى فرقة الطيران البحرى . وقبل أن يقبل ضابطا فى الأسطول الأمريكى تطوع لى بقدر كبير من دمه على أثر عملية جراحية خطيرة ، وبعد أن نلت الشفاء صاح قائلا : « أرأيت يا أماه ! نحن أقارب ، إنه يجرى الآن فى عروقنا دم واحد » .



حكمة كنفوشيوس

قيل إن الحكيم الصينى كنفوشيوس كان سائراً ذات يوم فى نفر من تلاميذه عنـد سفح جبل تاى فشاهد عن بعد امرأة تنوح على قبر . فحث السير إليها ، وعندما أقبل عليها بعث بتلميذه « تزى لو » يسألها ما مصيبتها ، فدنا منها وقال : إنك تنوحين نواح من نكب مرة بعد أخرى .

فقالت : والصواب ما قلت . إن وحشاً افترس حمىَّ هنا . ثم نزلت المصيبة نفسها بزوجى . وها هو ذا إبنى يسقى الردى من كأس واحدة .

فقال الحكيم : ولماذا لا تبرحين هذا المكان وتلجأين إلى آخر .

فقالت : لأنه لا توجد حكومة مستبدة هنا .

فقال الحكيم : تذكروا يا أبنـائى هـذا واحفظوه — إن الحـكومات المستبدة شر من الوحوش المفترسة .

[برتراند رسل فى كتاب «السلطان»]

جنكيزخان
فاتح العالم

أدوين مولر

« لو محيت جميع أخبار الحروب من صفحات التاريخ ما عدا أخبار جنكيزخان ، لبقى لرجال الحرب كنز زاخر تستخرج منه أنفس المعلومات عن تعبئة الجيوش وتنظيمها » .

هكذا قال الجنرال دوجلاس ماك آرثر .

ويقول ماك آرثر إن الجندى لا يستطيع أن يحذق الجندية بالتمرين وحده . ومهما تتغير أسلحة القتال فلا بد للجندى من الرجوع إلى الماضى ليحذق المبادئ الحربية الأساسية التى لاتتغير . ولن يجدها ممثلة خيراً من تمثلها فى سيرة إمبراطور المغول لسبعمائة سنة مضت.

فقدأنشأ جنكيزخان بفتوحه إمبراطورية شاسعة لم ير التاريخ مثلها ، إذ كانت تمتد من المحيط الهادى إلى أواسط أوربا وتشتمل على معظم العالم المعروف يومئذ ، وعلى أكثر من نصف سكانه . وكانت عاصمة قبيلته مدينة فى أواسط بلاد المغول تسمى « قرة قوروم » فغدت عاصمة العالم الشرقى .

إن نابليون انتهى أمره بالهزيمة . وأما جنكيزخان فلم ينهزم فى موقعة حاسمة ما ، بل مات شيخاً وهو فى أوج انتصاراته ، وإمبراطوريته لا تزال تمتد وتتسع . وكان قيصر والإسكندر مدينين بكثير مما أحرزاه لأسلافهما ، فالرومان أتقنوا فن تنظيم الكتائب المعروفة «باللجيون» . والمقدونيون ابتدعوا كتائب « الفالنك » ، وأما إمبراطور المغول فهو الذى أنشأ بنفسه جيشه وأداته الحربية .

كانت جيوش أعدائه فى أغلب الحروب أكثر عدداً من جيشه . والمرجح أنه لم يقذف فى ميدان معركة ما بأكثر من مائتى ألف مقاتل ، ومع ذلك استطاع بهذه القوة الصغيرة أن يسحق إمبراطوريات فيها من الرجال ملايين كثيرة . ولعله كان أوفر قادة الجيوش نجاحاً فى التاريخ كله . ولفظ جنكيزخان يعنى « أقوى الحاكمين » ، وهو الذى اختار هذا الاسم لنفسه . أما اسمه

الحقيق ، الذى كان يعرف به فى صباه فهو « تيموجن » .

ولما كان تيموجن فى الثالثة عشرة من عمـره مات أبوه مسموماً بيـد أعدائه ، ولـكن الفتى كان قد بلغ مبلغ الرجال قوة وجسما ، فهو يمتطى صهوات الجيـاد طول النهار، ويجيد رماية السهام من قوس شديدة. وكان قوىّ النفس ، فعقد عزمه على أن يخلف والده زعيما لرجال القبـائل الرحل الأشداء التى كانت تضرب فى نجود آسـيا الجافية لتنتزع منها رزقاً يسيراً . إلا أن تلك القبائل أبت زعامته . وحاول شيوخ القبائل أن يتخلصوا من منافسهم الفتى ، فصـاروا يطاردونه فى برارى آسيا كما يطارد الوحش، إلى أن ظفروا به ، فوضعوا فى عنقه نيراً ثقيلا من خشب وقيـدوا فيه رسغيه . وفى ذات عشية غافل حارسه فضربه بالنير وأوقعه على الأرض وفر هارباً من جوف المخيم والناس نيام . ولما شـعر الفرسان بفراره أخـذوا يطاردونه ، ولـكنه اختبأ فى جدول ماء إلى أن توارى مطاردوه عن العيان ، بعد أن فتشوا الضفتين ، فخرج من الجدول وسار حتى قابل صياداً فأقنعه بأن يحل وثاقه .

إن تاريخ تلك السنوات الأولى سجل حافل بحوادث نجاته العجيبة من المطاردة والخيـانة . على أن تيموجن ظل يكافح فى سبيل الوصول إلى غايته وهى زعامة القبائل .

وقد رماه أحد أعدائه مرة بسهم فجرحه فى عنقه جرحاً بليغاً طرحه عاجزاً على الأرض المتجمدة قريباً من معسكر أعدائه . فامتص أحد رفقائه الدم والقذى من الجرح ، ثم خلع رداءه ودثره به ، وزحف إلى معسكر الأعـداء فى طلب قليل من اللبن ، ثم نقله إلى حيث يكون بمأمن من الأعـداء . وبمرور الزمن بدأ يجتمع حول تيموجن نفر من الأنصار ممن كانوا يلتفون حول أبيه .

وقبل أن يبلغ العشرين من عمره أصبح زعيم قبيلته ، فمضى يحوك الدسائس ويحارب لـكى يضم القبائل الأخرى إلى قبيلته . ولم يرض بمنزلة دون منزلة الزعيم ، وإذا حاول أحـد أن يقاسمه السلطان قتله . وكان له ابن عم يسمى « جاموكا » ، كان فى أيام بؤسه يقاسمه شظف العيش ، وكانا ينامان تحت غطاء واحد ، وكثيراً ما كانا يخرجان إلى الحقول ليصطادا الفئران ويقتاتا بها يوم لا يجدان غـيرها شيئاً يأكلانه . ولم يقنع جاموكا بأن يكون تابعاً لابن عمه ، فوقعت بينهما حرب دارت فيها الدائرة على جاموكا فوقف أسيراً بين يدى ابن عمه ، فما كان من تيموجن إلا أن أمر به أن يخنق ، غير محتفل .

وكان طغرل صديقاً لأبيه ، وكثيراً

ما أعان تيموجن فى أوقات محنته . فلما أبى الزعيم الشيخ أن يخضع للفتى، أمر تيموجن بقتله . ومع ذلك فقد كان يسرف فى بذل العطايا للقواد الذين يدخلون فى طاعته .

ومرت السنوات ، واتخذ تيموجن مقر قيادته فى « قره قوروم » (ومعناها مدينة الرمل الأسود) ، وهى مجموعة خيام على طريق القوافل التى تسير شرقاً وغرباً . ولم يكن تيموجن يتعرض لتلك القوافل بسوء لأنه كان ينوى أن يستغلها فى تحقيق أغراضه فيما بعد .

كان شديد البأس مفتول العضل ، يلبس جلود الغنم ، ثقيل المشية ككل من ينشأ على صهوات الجياد . وكان وجهه غليظ الجلد كثير التجاعيد يكسوه طلاء من الشحم لاتقاء البرد القارس والريح اللاذعة . والأشبه به أنه لم يكن يستحم إلا من سنة إلى سنة . أما عيناه فكانتا متباعدتين، قد استقرتا تحت جبهة مائلة ، تحيط بهما هالتان حمراوان من لفح الرمال السافية ، تتوهجان بلهيب القسوة الوحشية . وكان قليل الكلام فإذا تكلم فبعد أناة وروية .

وما كاد يبلغ « تيموجن » الخمسين حتى كان قد وحد جميع قبائل آسيا الوسطى وجعل منها قوة واحدة ، وكان هو قائدها الأوحد . وذاع صيته فى جميع السهول المترامية التى يعيش فيها قومه . ومع ذلك ، فلو أن سهماً من سهام أعدائه وجد — يومئذ — فى درعه ثغرة ينفذ منها إلى مقتل ، لكان بعيداً أن يسمع التاريخ ذكره . ذلك لأن الأعمال الخالدة التى خلدت ذكره احتشدت فى السنوات الست عشرة الأخيرة من حياته ، إذ كان قد أعد أداة حربية ليفتح بها العالم .

كانت مملكة الصين فى شرق بلاده ، وفيها أقدم حضارات العالم . وكانت يومئذ تنقسم إلى إمبراطوريتين ، إحداهما إمبراطورية « كين » ، والأخرى إمبراطورية « صنج » . وفى غرب بلاده كانت دول الإسلام التى نمت واتسعت بعد الفتوحات الإسلامية . وفى الغرب الأقصى بلاد الروس، ثم مجموعة دويلات ، ثم أواسط أوربا ، وهى خليط من دول صغيرة وكبيرة .

فبدأ جنكيز خان بالهجوم على الصين ، فاخترق السور العظيم ، وقذف بكتائبه على البلاد الواسعة فى « كين » أو الإمبراطورية الشمالية . فاستولى على « ين كنج » عاصمة الإمبراطورية ، وفر الإمبراطور ، فقد كانت هزيمة « كاملة » .

وبعد ثلاث سنوات سار جنكيز خان غرباً . ولم تكد تمضى شهور قلائل حتى كانت جنود المغول فى سمرقند تنهب عاصمتها

الجميـلة ، أما سلطان سمرقند فكان يفر يومئذ بحياته .

وفى السنوات التى تلت هذا ، اندفعت جيـوش جنكيزخان منحدرة إلى سهول الهنــد ، واكتسحت الشرق الأوســط ، واخترقت روســيا إلى وسط أوربا . كانوا منتصرين أبداً وفى كل مكان . فلماذا ؟

كان لجنكيزخان عزيمة لا تقهر ، ونشاط طاغ فى جسمه وعقله ، وكان ملء نفسه قسوة . ولكن عظمته ترجع إلى شىء أقوى من ذلك كله . وقد درس أعـداؤه تفاصيل نظامه الحربى وخططه العسكرية ، وهذه الدراسة تكشف سره .

كان جنكيزخان يثق بقـدرته وقوته فيجرؤ على إهمال جميع التقاليد العسكرية وينفذ إلى صميم كل مشكلة فيعالجها علاجاً جديداً كل الجدة . وكان قادراً على أن يستعرض جميع الخطط والأساليب والأسلحة المعروفة ، ثم يدمجها معاً ويفرغهـا بعناية عظيمة فى قالب جديد يحقق أغراضه .

وهو أول من عبأ شعباً كاملا لغرض واحـد هو الحرب . أى إن هــذا الرجل الذى عاش منذ سـبعمائة سنة وضع للحرب صـورة يزعمون أنها حديثة وهى صـورة « الحرب الشاملة » .

كان الجواد المغولى والفارس المغولى هما أروع عناصر جيشه . فالجواد لا يكل أبداً ويستطيع أن يواصل السير إذا ما سقى الماء مرة فى كل ثلاثة أيام ، ويستطيع أن يجد لنفسه طعاماً حيث كان ، فقد يحفر بظلفه



امتـداد امبراطورية المغـول

فى الثلج والجمد باحثاً عن بقايا عشب جاف . أما الفارس فلا يعجزه أن يظل على صهوة جواده ليلة ونهارها ولا أن ينام على الثلج ، وهو يطيق أن يقضى الأيام بطعام قليل أو بغير طعام . وهو محارب بفطرته ، فقد نشئ فى المعارك والملاحم ، وعلم الرماية من يوم تعلم أن يتكلم .

ومما يدل على عبقرية جنكيزخان فى العناية بتفاصيل التنظيم الحربى ، اهتمامه الدقيق بتسليح هذا الجندى . كانت درع المغولى من جلد مقسى مطلى ، ولكل رجل قوسان ، إحداهما للرمى وهو على جواده ، والأخرى لإحكام الرماية إذ يكون مترجلا . ومعه ثلاثة أنواع من السهام — للأهداف القريبة والمتوسطة والبعيدة . فأما الأولى فكانت ذات أطراف فولاذية تخترق الدروع . ويحمل كل جندى الجراية الضرورية من اللبن الخاثر المجفف ، ويكفى لغذائه نصف رطل طول يوم القتال . ولا تخلو جعبته من احتياطى من أوتار القسى ، ومعها إبرة وشمع لإصلاحها . ويضع سلاحه فى جعبة من الجلد يمكن نفخها ليستعين بها على اجتياز الأنهار .

وكان الجيش يتألف من فصائل قوام كل منها عشرة أو مائة أو ألف أو عشرة آلاف من الجنود . وفيه — فضلا عن المقاتلة — فصائل إضافية من مهندسين وإخصائيين فى فن قذف المجانق ، واستعمال معدات الحصار . كما كانت له أيضاً فرقة خاصة بتموين الجيش وأخرى للعناية بكل ما يحتاج إليه الفرسان وحفظة للذخيرة . وكانت الأمة كلها تعمل خلف الجيش ، لتوفر له ما يحتاج إليه من طعام وكساء ومعدات . ولا تزال تقتر على نفسها لتموينه .

أما أساليب القتال التى ابتدعها جنكيزخان فكانت معجزة من معجزات الإتقان المكتسب بالتدريب الدقيق المحكم . وكانت المقاتلة خمسة صفوف وبين كل كتيبتين فراغ واسع . ففى الطليعة كانت جنود الهجوم ، وهى مدرعة أحسن تدريع تحمل السيوف والحراب والصوالج . وفى مؤخرة الصفوف الفرسان الرماة .

وكان هؤلاء يندفعون بجيادهم من خلال الفراغ الذى بين كتائب الهجوم ، فيشرعون فى رماية العدو ، والخيل تعدو بهم بأقصى سرعة . فمتى دنوا منه ترجلوا وأخذوا القسى الأخرى فيمطرونه وابلا من السهام الثقيلة .

وأساس هذا الهجوم هو الشدة والتركيز فى الرماية إلى حد لم يكن قد عرف إلى ذلك العهد .

فإذا اختلت صفوف العدو ، أجهزت عليه كتائب الهجوم وأتمت هزيمته . لقد

كان تعاون الأسلحة المختلفة يجرى فى يسر وإحكام . ولم تكن الأوامر تعطى بأصوات عالية بل ترسل بالتلويح برايات بيض وسود.

فالفضــل فى انتصار المغول يرجع إلى تفوقهم فى الأسلحة ، وإلى سرعة إطباقهم على العدو بها ، ثم إلى سرعة الرماية وإحكامها . لذلك اندحرت أمامهم جيوش الصين وصناديد الإســلام المتقحمون ، وفرسان المسيحية وأبطالها ، ولم يستطيعوا الثبات أمام وابل نبالهم . وكثيراً ما كان الذعر يدب فى صفوف الأعداء قبــل أن تشرع كتائب الهجوم فى الانقضاض عليهم .

ومع أن جيوش جنكيزخان كانت أقل عدداً من جيوش أعدائه ، إلا أنه كان يحشد أكثر ما يتيسر له من الجنود ، ولــكن فى الموقف الحاسم من المعركة . وكان يعرف كيف يفرق قوات أعدائه ، وكيف يحشد قواته . وكان واسع الحيلة كثير الخدع يتوقع العدو أن يراه فى جهة ، فإذا به يفجؤه من جهة أخرى . وكان يحرز النصر فى المعركة بالالتفاف حول جناحى العدو، ويتجنب الهجوم المواجه وما يكون فيـه من خسارة كبيرة .

كانت أعماله الحربية قائمة على السرعة وعلى قدرته فى الســبق ، فـكانت جحافله السريعــة تخترق جيوش العــدو فتمزق أوصالهم تمزيقاً منظما محكما ثم تبيدهم . وكان جنكيزخان يجاوز الحصون المنيعة ويتركها تسقط فيما بعد .

ولم يكن يرتجل الخطط الحربية بل كان يضعها غير مهمل شيئاً من تفاصيلها ، قبل أن يعرف العــدو أن حرباً ستقع . وكان يستطيع أن يوجه إلى بلد ما ثلاثة جيوش أو أربعة تفصل بينها المسافات الشاسـعة ، وقد تكون بينها طرق اتصال قليــلة ، وقد لا تـكون . ومع ذلك كانت تلك الجيوش تعمل طبقاً لخطط تنسق ما بينهـا وتزحف حتى تتلاقى عند هدف متفق عليه .

وقد ربح جنكيزخان فى بعض حروبه نصف المعركة بالدعاية ، قبل أن يلقى بالجيش فيهـا . ولم يكن فى قادة الجيوش من فاق هذا المغولى الأمى فى اتخاذ الكلام أداة حرب . وكانت قوافل التجـــارة هى « طابوره الخامس » . فكان يتخذ من رجالها عمالا لنشر الدعوة فى البلاد التى ينوى غزوها . ومتى استقر رأيه على غزوها درس جغرافيتها وأحوال شعبها وسياستها، واتصل بالطوائف المتمردة فيها ، وألقى بذور العداوة بينها .

ونقل إليـــه جواسيسه فى بعض بلاد الإسلام أن والدة السلطان تغار من ابنها ومما كان يتمتع به من حول وطول . فبعث إليها بكتاب يوهم ظاهره أنه ردّ على كتاب منها إليه ؛ وأنه يشكر لها المعونة التى عرضتها

عليه . وحرص على أن يقع الرسول أسيراً في يد السلطان . فلما زحف جنكيزخان على هذه السلطنة بعد ذلك ، وجد البلاد على شفا حرب أهلية .

وكان لهذا القائد أنصار خونة (كويزلنج) في أقطار كثيرة . وكان يرشو من لا أمانة له من رجال السياسة . فقد علم أعوانه مرة أن وزير الحربيـ [illegible] ـية الصيـ بدّد أموالا كثيرة ، فلما أذيع الخبر في جميع أنحاء الصين أحدث أزمة سياسية خطيرة ، وإذا المغول يزحفون للهجوم .

وكثيراً ما توسل هذا القائد بضروب الدعوة لإلقاء الرعب في القلوب . وجرى على تذكير كل قوم يريد غزوهم بالويلات التي حلت بكل من حدثته نفسه بمقاومة « الخان العظيم » . فكان ينذر كل شعب : الخضوع أو الإبادة ! فإذا أخضع أعداءه زحف عليهم وأبادهم على كل حال .

وحذق جنكيزخان بث الدعوة في داخل مملكته لتعزيز عزيمة شعبه . وبلغ من إطرائه الجندية أن صار الشعب كله يرى العمل من أجل الجيش أمراً طبيعياً . وكان يلقي في نفوس قومه أن الجنس المغولي هو وحده أسمى أجناس البشر . وهي نظرية لا تقوم لها قائمة ، لأن أجناس البشر في ذلك الزمن - كما هي الآن - خليط من سلالات مختلفة .

أما الإرهاب فكان خطة محكمة ينفذها بغير رحمة وبغير مبالاة . فإذا قاومته مدينة ما حرقها وقتل الرجال والنساء والأطفال . فإذا غادرها جيشه ترك نفراً من رجاله مختبئين في بعض الأنقاض ومعهم بضعة اسرى . وبعد قليل يؤمر الأسرى بالخروج من مكمنهم لينادوا في المدينة بأن المغول قد انصرفوا عنها . فإذا ما خرج من بقي من الأهالي من مخابئهم ، أخذهم المغول فقتلوهم أيضاً وقطعوا رؤوسهم ليستوثقوا من موتهم . وقد ذبح في إحدى المدن ٥٠٠٫٠٠٠ نفس . ولا يعلم أحد كم أهلك جنكيز خان من ملايين الناس .

تلك كانت الأداة الحربية التي فتح بها جنكيزخان العالم . وقد مات سنة ١٢٢٧ في أثناء حملة حربية وكان في السادسة والستين من عمره وهو في أوج قوته .

وظلت هذه الأداة الحربية تعمل بعد وفاته ، وأصبح خلفاؤه أسياد آسيا كلها ، وتوغلوا في أوروبا فدوخوا البولونيين والهنغاريين والألمان ، ولم يستطع أحد أن يقف أمامهم . وظلت السيادة لقوة المغول قائمة إلى عهد حفيده كوبلاي خان ، ثم أخذ نجمها يأفل في عهد الذين جاءوا من بعده . وقد عاد المغول - اليوم - جماعة من قبائل البدو الضعيفة ، ودرست عاصمتهم

«قرة قوروم» ، وانهالت عليها رمال صحراء جوبى ، وكاد اسمها ينسى .

أما اسم جنكيزخان فلن ينساه رجال الحرب . ولذلك نصح الجنرال ماك آرثر بأن تدرس سيرته درساً دقيقاً للالمام بآرائه فى « ضرورات الحرب التى لا تتغير » . وإذا جردنا تلك النظريات من المجازر الفظيعة ، ومن القسوة الوحشية ، بدت لنا حقائق فن الحرب الجوهرية التى لا تتغير : « وهى التى لابد من مراعاتها إذا أريد إنشاء جيوش قوية كالجيش الذى أنشأه ذلك المغولى منذ سبعمائة سنة » .

سمك يصيد بقذف الماء

إن فى بعض بلدان الشرق الأقصى سمكا عجيباً يحسن الرماية، فيعرف بالسمك الرامى . وهو يصيد الحشرات التى يأكلها بقذف قطيرات من الماء عليها . ففى سقف حلقه قناة عميقة ، تصبح ، إذا ما أطبق اللسان عليها ، بمنزلة أنبوب . ومن هذا الأنبوب تطلق السمكة قطيرات الماء فى تيار مستمر . وبصر السمكة حاد فتستطيع أن تتبين الحشرة على نبات قائم على ضفة الجدول فتقذفها وهى تجيد الرماية ، فتكفى قطرة أو قطرتان من الماء لإسقاط الحشرة .

حيلة حربية من إملاء الطبيعة

إن الطبيعة جهزت بعض السحالى بأسلوب من أغرب الأساليب وأعجبها للدفاع عن النفس . فحين يهدد الخطر سحلية ما ، تحرك السحلية بعض عضلات وعصائب خاصة ، فتجرى عملية بتر عجيبة بغير إراقة دم ما . ذلك بأن تحريك هذه العضلات والعصائب ، يفصل ذيل السحلية عن بقية جسمها ، ويبقى الذيل متلوياً متحركا على الأرض ساعة تقريباً ، فيسترعى بحركته ولونه الزاهى نظر متعقب السحلية ، وتنجو هى من الخطر ، وبعد قليل ينمو لها ذيل جديد .

[فرانك ر. لاين : مشهد الطبيعة]

فلاحون تحت الأرض

روبال ديكسون

مؤلف كتاب « شخصية الحشرات »

كل شىء كان يجرى فى سكون وهدوء فى تلك المدينة برغم ما احتوته من بضعة ملايين من السكان . حتى إذا أعلن هزيم الرعد اقتراب العاصفة ، ظهر بغتة ، ومن حيث لايدرى الناظر ، ألوف من رعاة البقر ، واقتحموا طريقهم بين الشجر ، حيث كانت ترتع آمنة قطعان من المواشى قد فقدت أبصارها . وخف كل راع إلى بقرة فاحتملها على ظهره ، وأسرع بها إلى حظائر تحت الأرض . وكانت حظائر مريحة حتى فى أشد العواصف . وقبل أن تنزل من المطر قطرة واحدة ، كان سكان هذه المدينة قد اختفوا جميعاً فى بطن الأرض .

ولا أحسبك تصدق كلمة واحدة مما أقول ! ولكن هو الحق ، فأنا إنما أتحدث عن مدينة للنمل . وأنا عالم بالتاريخ الطبيعى طوفت فى الأرض عشرين عاماً ، وقعت فيها على هذا النمل مراراً ، وراقبته وهو يرعى أبقاره . وما هذه

زراع ورعاة ومهندسون — النمل — وفى مدنه المزدحمة اخصائيون يقاتلون فى اختصاصهم المرضات «والحوانيتية»

الأبقار إلا خنافس صغيرة رباها النمل فى جوف الأرض زماناً طويلا ففقدت فى الظلام أبصارها .

ولا يدرى أحد فى أى العصور بدأ قبيل النمل هذه الصناعة ، صناعة الرعاة ، ولا متى أخذ فى تسخير هذه الأبقار . ولكن الذى نعرفه أننا ، معشر بنى الإنسان أنسنا لمتعتنا نحواً من عشرين حيواناً وحشياً ، ثم سخرناها فى منافعنا ، بينا أنس قبيل النمل مئات الأجناس من حيوانات أدنى منه جنساً .

إن بق النبات حشرة من الحشرات التى يعسر استئصالها ، ولهذا أسباب ، منها أن أجناساً كثيرة من النمل ترعى تلك الحشرات . ففى



الربيع الباكر يرسل النمـــل الرســل لتجمع له بيض هــذا البق ، فإذا جاءوا به وضـعوه من مستعمرتهم حيث يضعون بيضهم ، ثم هم يولون هذا من العناية مايولون ذلك . فإذا فقس البيض فخرج صغاره ، أطعموها وأكرموها . وبعـد قليل من الزمن يأخذ البق يدر سائلا حلواً كالعسل ، وعنــدئذ يقوم على حلب عســله فى كل مستعمرة أفراد من النمل يختصون بذلك . وهم يحلبون هذه الأبقار ، أو أشباه الأبقار ، بمسها بقرونهم . والبقرة الحلوب منها تنتج مقــداراً من العسل قد يبلغ ٤٨ قطرة فى فى أربع وعشرين ساعة. فإذا نحن قارنا بين ما تنتج بقرة البق هذه وبين ما تنتج أبقار المزارع ، حجما بحجم ، إذن لتصاغر محصول أكثر أبقار الحقول إنتاجاً إلى جانب ما تنتجه هذه . وبقر البق يخرج فيطلب طعامه مما يأكل من النبات ، فإذا أنت زرعت طماطم ، ثم وجــدت شجيراته بعد ذلك تذبل وتمــوت ، فافحص النبـات فلعلك واجد فيه بقاً يرعاه كما ترعى الأبقار الحشائش طلباً للبن ، ولعلك واجــد هذا البق قد جاءه من بيوت للنمل قريبة .

ولا يعنى النمل بتربية المواشى وحدها ، بل هو يعنى كذلك بالزرع وفلاحة الأرض ففى الربيع الباكر ، فى سنة من السنوات كنت أخبط فى الغابات ، فوقعت على قطعة من الأرض قد نما بها أرز قصير من نوع نصف برى ، وكانت مساحة القطعة خمس أقدام طولا فى ثلاث عرضاً ، وكان طول الأرز بوصتين أو ثلاثاً . وتراءى لى من كل مظاهر هــذه الأرض أن أحداً لا بد يعنى بهـا . فالطينة حول الجــذور كانت مشققة والأعشاب الغريبة الضـارة كانت مســتأصلة .

وأغرب من هذا أنه لم يكن على مقربة من هذا المكان عود آخر من الأرز واحد فهذا الأرز لم يكن من تلقاء نفسه ، وإنما زرعه زارع .

ولاحظت أن طوائف النمل تأتى إلى هذا الأرز المزروع وتذهب عنه ، فانبطحت على الأرض أرقب ماذا يصنعون . ولم ألبث أن عرفت أن هــذا النمل هو هو القائم بزراعة الأرز فى تلك البقعة من الأرض ، وأنه جعل من زراعتها شغله الشاغل . فبعضه كان يقوم بشق الأرض ، فكان يحرثها كأحسن ما يقضى به علم الزراعة ، وبعضه كان يزيل ما ضر من الأعشاب .

* * * * * * * * * * * * * * * *

رويال ديكسون كاتب اشتهر بدراسة أحوال الحيــوان وبخاصة الحشرات وله مؤلف مشهور عنوانه « شخصية الحشرات » .

فإذا ظهر عود من عشب غريب ، قام إليه خلان منهم ، فقضماه عند أصله ، ثم حملاه بعيداً عن المزرعة . وأقام النمل على هذه المزرعة خفراء يحمونه من الدود القارض ، ومما قد يعبث بها من سائر الحشرات .

وقضيت الصيف أزور مزرعة النمل هذه . فني أواخر أغسطس كانت أعواد الأرز بلغت من الطول ٢٤ بوصة . وكان حب الأرز قد استوى ، فبدأ موسم الحصاد فكنت أرى صفاً من شغالة النمل لا ينقطع يتجه إلى العيدان ، فيتسلقها إلى حب الأرز فتنتزع كل شغالة من النمل حبة ، وتنزل بها سريعة إلى الأرض ، ثم تذهب بها إلى مخازن تحت الأرض . وأردت أن أميز النمل بعضه من بعض ، فدهنته بالألوان ، ثم تتبعته ، فعرفت أن الفريق الواحد من النمل يذهب دائماً إلى العود الواحد حتى يفرغ ما عليه من الأرز . ونظرت فإذا بأحد الأركان فريق شغل رأســه ليوفر أرجله ، فهذا الفريق ، كانت طائفة منه تتسلق الأعواد ، فتلتقط الحب ، ثم ترمى به ، بينما طائفة أخرى كانت تتلقاه على الأرض فترفعه وتذهب به إلى المخازن .

وفرغ الحصاد ، فتلاه مطر دام أياماً . فلمــا أقلع المطر ، أسرعت إلى زراع النمل لأتعرف أحوالهم ، فوجدت مداخل بيوتهم وهى تحت الأرض ، مزدحمة بالعمال والأعمال ووجدت النملة منهم تخرج من بيتها تحمل حبة الأرز ، فتذهب بها فى العراء إلى جانب مائل من الأرض تضرب فيه الشمس ، فتضع عليه حبتها . وذلك أن المطر نفذ إلى مخازن الأرز ببيوت النمل ، فأخرجه إلى الشمس ليجففه . فلما ولىّ الظهر وجف الأرز ، عاد به إلى مخازنه تحت الأرض .

ويكثر هــذا النوع الزارع من النمل فى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة . ولعل أقرب منافس له فى الذكاء هو نمل البرازيل « ذو المظلة » ، فإنه يزرع طعامه فى أحوال مصطنعة فى قيعان بيوت له تحت الأرض . ولكم رقدت على الأرض أرقب هذا النمل يسير صفوفاً ، ومن فوق رءوسه قطع من ورق الشجر يحملها كأنما يتقى بها حرارة الشمس ، وهى شــديدة حارة . وليست قطع الورق هــذه بالمظلات ، ولا النمل يتقى بها حرارة الشمس . فإنك لو أتيت بفأس وكشفت به بيوت هــذا النمل من الأرض ، لوجدت شغالته فى تلك القيعان يقمن على هذا الورق من الشجر ، فيقطعنه شرائط ، ثم ينظفن هذه الشرائط بألسنتهن ثم يتركنها حتى تختمر وتتعفن . فإذا تم اختمارها وتعفنها صارت أرضاً صالحة طيبة يزرع النمل فيها لطعامه « عش الغراب » .

فإذا هو زرعه فنمت أعواده ، جاءها النمل وهى غضة طرية فتضمها عند ارتفاع معلوم وعندئذ يعود « عش الغراب » إلى النمو من جديد ، كما يفعل الأسبرجس (الهليون) .

ومع هذا النشاط الزراعى ، يعيش هذا النمل عيشة مدنية فى بيوت كبيوتنا ذات شقق وطبقات ، إذا رأيتها وجدتها كومات من التراب ، بعضها تحت الأرض وبعضها يعلوها ، وإذا أنت نسبت أحجام هذه البيوت إلى أحجام سكانها ، لوجدتها بيوتاً واسعة عظيمة البناء واسعة الأرجاء ، يتصاغر إلى جانبها أكبر عمائرنا فى أكبر عواصمنا . ولقد رأيت مدينة من مدائن النمــل بجبال بنسلفانيا ، احتوت من هــذه البيوت على نحو من ٢٠٠٠ بيت ، أقيمت على مساحة من الأرض تبلغ ٣٠ فداناً ، يسكنها من ١٢ إلى ١٤ مليون مخلوق .

وتجد فى هــذه المدن الخدم والعبيد حاضرين ، وتجد الممرضات حاضرات قائمات بواجباتهن فى الليل والنهار ، وتجد فيها من يرفع جثث من يموت من الأحياء .

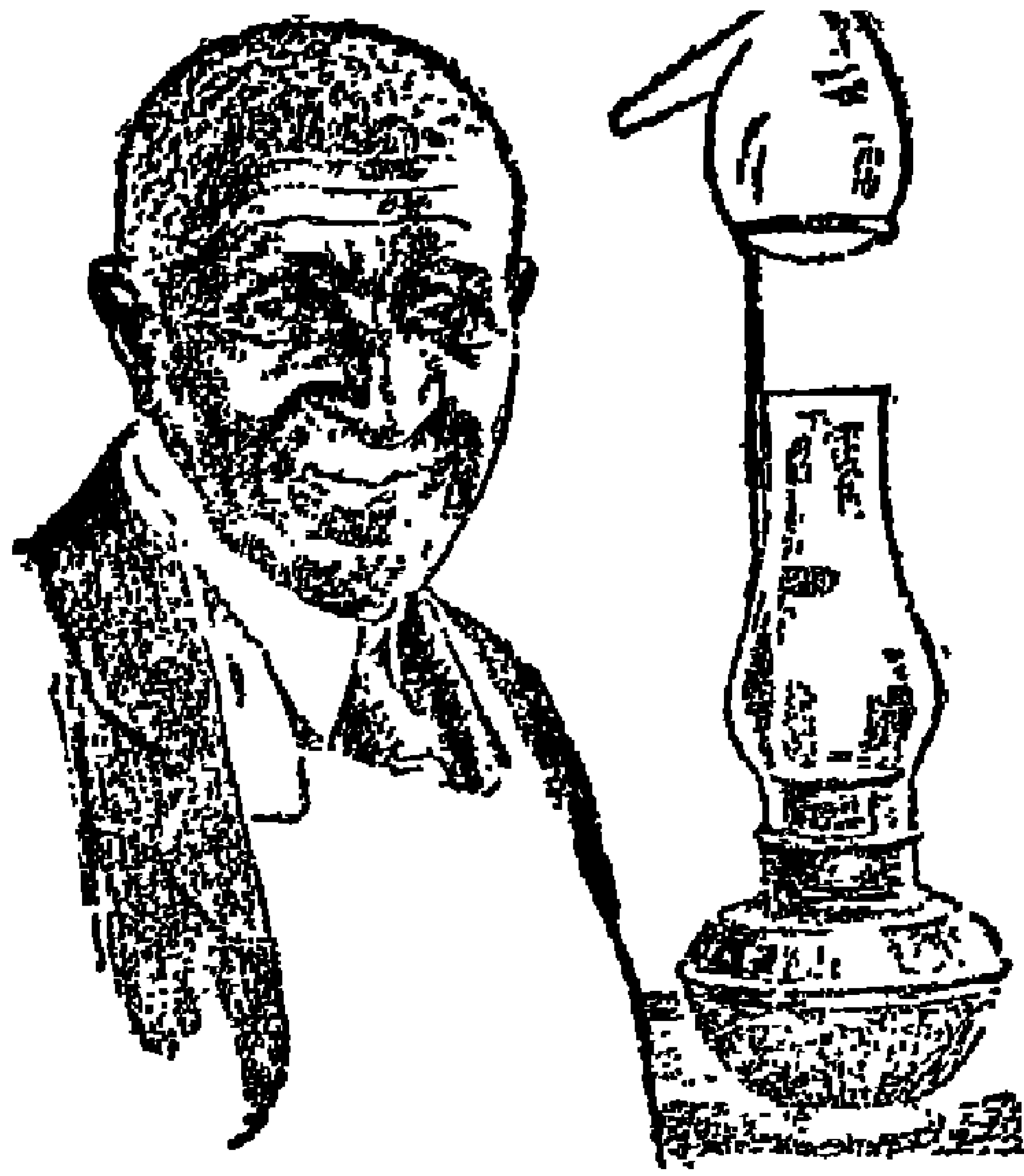
والنمل يعنى بصحة أطفاله أشد عناية ، وله حواضن خاصة كل واجبها رعاية هــذه الأطفال . ومن واجبات الحاضنة أن تفكك قرون الصغار وأرجلها عنــدما يثين أوان ذلك . ويوزع الصغار على حجرات شتى ، فكل سن وكل درجة للنشوء لها حجرة خاصة ، فكأنما هم فى مدرسة من مدارســنا توزع تلاميــذها على فصولها بحسب أعمــارهم وكفاياتهم . وبهذه الحجرات تغسل الصغار وتطعم فى أوقات معلومة . فإذا شب الطفل واســتطاع المشى ، جاءت حاضنته تخرج به للرياضة ، فترى المئات من هذه الأطفال فى صحبة حواضنها تقودها فى رفق فى حارات هــذه المدينة ، مدينة النمل ، رائحة غادية . فإذا غزا الغزاة المدينة ، حملت هذه الحواضن أطفالها فى لمح البصر ، واختفت بهــا إلى حيث الأمن والسلام .

وللنمل ذكاء خارق وأبرع مظهر رأيته لهــذا الذكاء كان عنــد باب كوخى فى كولورادو . فعلى أرض هــذا الكوخ ، وهى من خشب ، جاءت نملة تسعى ، وكانت هناك فرجة بين لوحين من خشب الأرض ، فأخذت النملة تأتى إلى حافة هــذه الفرجة وتنظر فيها فيهولها عمقهــا ، كأنما تنظر فى هوة . وأخــيراً ذهبت من حيث أتت . ولــكن ما أسرع ما عادت تحمل إبرة من إبر الصنوبر أطول من جسمها عشر مرات فوضعت هــذه الإبرة عند حافة الهــوة ، وأخذت تدفع بها حتى استقر طرفها الآخر على حرف الهوة الآخر . وعندئذ مشت على هذا الجسر عابرة ، وهى فرحة بالنصر مسرورة .

المراعى الخضر حيث تريد

ستانلى هاى

ملخصة من صحيفة « بلطيمورصن الأحدية »



كان أبوه وأمه من العبيد السود ، ومع هـذا سماه الناس أول كيميائى ، وأكبر كيميائى ، عرف كيف ينتفع من خامات الأرض فى الصناعة ، لا سيما ما تنبت الأرض من زروع .

وقد نشأت صناعات عديدة ، تقوّم الواحدة منها بالملايين من الدولارات ، وكلها أو بعضها يرجع الفضل فيـه إلى مكتشفاته . ومن أكبرها صناعة الفول السودانى وفروعها ، وهى تدر فى العام مائتى مليون من الدولارات . وافتن فى محاصيل الأرض، فأكسب افتنانه الفلاحين فى جنوب الولايات المتحـدة الملايين من الدولارات تدخل جيوبهم كل سنة .

وجاءه التشريف يطلبه من كل وجه . فقد دعاه توماس إديسون لينضم إلى رجال مصانعـــه بأجر قدره ٥٠٫٠٠٠ ريال فى السنة . وخصص له هنرى فورد معملا ليقوم فيه بما تتطلبه الحرب من الأبحاث فى الأغذية .

ومنحته مجـــلة « الفلاح الراقى » الزراعية جائزتها السنوية « لخدماته الرائعة للزراعة فى الجنوب » . أما مدالية ثيودور روزفلت ، لسنة ١٩٣٩ ، فقد جاءته تسعى ، « لأنه حرر الرجال البيض كما حرر السود » .

قالت النيويورك تيمس : « أى رجل غـيره صنع للزراعة فى الجنوب ما صنع صاحبنا ؟ »

« جورج واشنطن كارفر » ، هذا هو الرجل الذى تريد الدنيا أن تظفر به ، فتجده لا يزال قائماً فى صومعته العلمية ، حيث قضى فى العمل ٤٦ سنة ، فى مقاطعة ماكون بولاية ألاباما ، وفى رحبات ذلك المعهـد الكبير المشهور ، معهد السود ، معهد تسكيجى . وفلسفته الخاصة هى التى تحبسه عن مغادرة هذه الأرض ، فهو يعتقد أنه لا أرض أخصب من المراعى الخضر فى الأرض التى أنت فيها .

ودفعــه تفكيره العلمى إلى أن يحوّل عقيــدته إلى قاعدة ، وهى : « إبدأ حيث أنت ، وبما تملك أنت ، واجعل منــه شيئاً تنتفع به ، ثم لا تقنع أبداً » . ومع أنه الآن قد قارب الثمانين ، فهو لا يزال يطبق تلك القاعدة .

زرته حديثاً فطاف بى بمتحفه المعروف باسمه فى بلدة تسكيجى ، وقد بناه بما اقتصده من المال ، ليجمع فيــه ما أفاد من تجاربه وكشوفه التى كشفها فيما حوله من مناطق . وهو لا يزال يلبس قبعته المعهودة البالية ، وسترته الرمادية الجرباء . وقد ضعف صوته وتقوست كتفاه ، ولكنى لم أجد أثراً للوهن فى عقله أو روحه .

ومررنا بحقــل صغير وراء المتحف ، فأشار لى فيــه إلى نحو خمسين لوحاً من خشب الصنوبر قد عرِّضت جميعاً للشمس بعد أن دهنت بدهانات مختلفة ، من زاهية زرق ، ومن صفر وحمر وخضر .

قال لى : إن الزارعين بأرضنا هــذه لا يدهنون بيوتهم ، وليس هذا عن كسل أو قلة احتفــال ، بل لأن المــال يعوزهم . وهذه الدهانات التى تراها معرضة للشمس والجو لا تكلف إلا أقل من القليل . وألوانها من طفل نجــده فى أرضنا هنا . أما زيتها فمن فضلات زيت السيارات .

فهــذه الدهانات ، التى صنعها وجربها الدكتور كارفر فى تسكيجى ، تســتخدمها السلطات الآن بوادى تنيسى فى تجميل البيوت القروية القائمة فى ١٤ محلة .

كان وما فتئ الدكتور كارفر أكبر داعية إلى استغلال أرض الجنوب البائرة ، ومحاصيلها التالفة ، والاستفادة من كل هذا لسد النقص الكائن فى تغذية السواد من أهل الريف الجنوبى . وهذا العمــل يحتاج من ضروب المعرفة إلى أكثر من العلم بالزراعة. فلهذا بذل جهده حتى يصــير حاذقاً فى علم التغــذية وفن الطبخ . نشر مجموعة أسماها «٤٣ طريقة لإنقاذ محصول البرقوق البرى» وهى مجموعة من وصفات لعمل المربى ، والشراب ، والخل ، والحساء ، والكفتة ، جربها ورضيها جميعاً الدكتور كارفر .

وأجرى تجـــاربه الشهيرة فى الفول السودانى ، فأفضت به إلى إنتاج أكثر من ٣٠٠ مادة نافعة . ومن هــذه المواد ، مما يصنع اليوم للتجارة ، زبدة الفول ودقيقه ، وأنواع شتى من الزيت والسماد . وله رسالة منتشرة بين نســاء الزراع ، اسمها « ١٠٥ طريقة مختلفــة يجهز بها الفول الســودانى للمائدة » . ويتضمن هذا الكتاب وصفات لصناعة الحساء من هذا الفول ، والخبز ، وعجائن الفطائر والحلوى، والجبن . وباتساع

نطاق استعمال الفول السودانى زادت غلته من ٧٠٠ مليون رطل فى سنة ١٩٢١ إلى ١٤٠٠ مليون رطل فى سنة ١٩٤١

وفى مارس الماضى نشر كارفر نشرته الخاصة للمساهمة فى مجهود النصر بتوفير المزروعات ، وسماها : « بستان النصر والسلام » . وصدرها بكلمة اقتبسها من سفر التكوين فى التوراة : « وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه الأرض . . . لكم يكون طعاما » . وفى هذه النشرة جدول يحتوى أكثر من مائة نوع من العشب ، ومن برى الزهر ، يمكن جعلها طعاما ، وفيها وصفات لطريقة تسويتها أو تهيئتها . من ذلك قهوة الشيكوريا ، ومن الناس من يفضلها على قهوة البن . ومنها فطائر حشوها نوع من الحشيش حامض ، تشبه فطيرة التفاح أو فطيرة الراوند . ومنها السلطات ، وتصنع من البرسيم البرى . ومنها الشطائر حشوها الحشائش ، ولها رواج واسع فى رحاب المعهد ، معهد تسكيجى .

ولد الدكتور كارفر حول سنة ١٨٦٤ فى ميسورى . ولم يعرف أحداً من أبويه ، فقد اختطفهما النخاسون وهو طفل وليد . فكفله أمريكى أبيض هو موسى كارفر ، ورباه ، وخلع عليه اسمه . وكان الطفل ضعيف البنية فاختصه بأعمال النساء ، بالطبخ والخياطة والغسيل .

ولكنه وجد قلبه تحرقه نار غريبة بأمل مبهم . وهو لا يذكر من الكتب التى رآها فى منزل سيده غير كتاب هجاء . فحفظه عن ظهر قلب . وافتقر آل كارفر ولم يستطيعوا أن يرسلوه إلى المدرسة ، فذهب إليها على نفقته ، وصار ينام فى الأجران ومخازن التبن ، ويكسب طعامه من أى عمل يلقاه . وكانت مدرسته الأولى تتألف من حجرة واحدة ، فاستوعب كل ما تستطيع مدرسة كهذه أن تقدم إليه . أما المدرسة الثانوية ، وهى مجانية ، فكان يكسب رزقه خلال دراسته فيها بغسل الثياب لبعض البيض .

وكتب إلى جامعة أيوا ليلتحق بها فقبلته . فلما جاءها فرأته ، رفضته لأنه عبد أسود . فما كان منه إلا أن فتح مغسلا صغيراً . ثم لم تنقض السنة حتى كان قد جمع من المال ما يكفيه لدخول كلية سمپسون . وقضى السنوات الثلاث التى قضاها بهذه الكلية ، يدرس ويغسل الثياب ، ويحك الأعتاب وينظف المنازل . ولما فرغ منها ذهب ليقضى أربع سنوات أخرى يستتم بها تعليمه الزراعى بكلية الحكومة بأيوا . فظهرت موهبته فى علم الأرض وعلم النبات ، فكسبت له مكاناً بين مدرسى الكلية عند تخرجه .

وفى نحو هذا الوقت ، فى ألاباما الوسطى كان الزعيم الأسود ، بوكر وشنجطن ، مؤسس معهد تسكيجى ورئيسه ، يحلم لأحلام لتحرير الزراع السود تحريراً اقتصادياً . واحتاج فى تحقيق هذه الأحلام إلى رجل ، فوقع اختياره على كارفر .

ووصل كارفر إلى تسكيجى فى سنة ١٨٩٦ ولما بلغها لم يجد إلا قليلا يعمله ، وقليلا يعمل معهم . فإن وشنجطن أراد أن ينشىء معملا زراعياً ، ولكنه لم يجد الأجهزة ولا المال . وأراد أن ينشىء مدرسة زراعية ولكن الأرض كانت عنيدة أبية . وأراد لأفنية المعهد حشيشاً يغطيها ، ولكنه لم ير إلا الرمل .

وترى اليوم فى متحف « كارفر » صندوقاً زجاجياً فيه بعض الأدوات التى استخدمها لتجهيز معمله الأول ، فقد استخدم لتوليد الحرارة فى معمله مصباحاً استنقذه من مخزن غلال ، وتجده اتخذ هاوناً من فنجان مطبخ ثقيل ، واتخذ له مدقة قطعة مبسوطة من حديد . والكاسات صنعها من قنينات استخرجها من قمامة المدرسة وقطع رؤوسها . وقلب زجاجة حبر فصيرها مصباح كحول ، وصنع له فتيلا من عنده .

وكانت مساحة مزرعته التجريبية ١٦ فداناً ، وكانت تربتها رملية جرداء مجدبة . فأرسل تلاميذه بالسلال والجرادل إلى الغابات والمستنقعات ، فجلبوا القمامة والحمأة المتكونة من أوراق الشجر ، يوماً بعد يوم فغطوا بها وجه الأرض الرملية .

وعلى هذه الفدادين ، أثبت أن أردأ أرض فى الجنوب ، تستطيع أن تنتج من البطاطس محصولين فى العام الواحد لا محصولا واحداً . وعلى هذه المزرعة جعل الفدان ينتج بالة من القطن ، فكان من أوائل من جنى هذا القدر من المحصول فى ولاية ألاباما .

قال كارفر : « قال لى كل من لقيته : إن هذه الأرض غير منتجة . ولكنها كانت أرضى التى لا أرض لى غيرها . ولم تكن غير منتجة ، بل كانت مهملة » .

ووجد بها منافع أخرى . فمن الطفل ، وهو ذو ألوان كثيرة ، صنع فخاراً ، وصنوفاً من الجبرلتاوين ورق الحيطان ، وألواناً شتى لقوالب الأسمنت الزخرفية . وكان عدواً لدوداً للتبذير ، فصنع من سيقان القمح والقطن والذرة ألواحاً عازلة للحرارة . وصنع الورق من فرع أعشاب «الوستارية» ومن عباد الشمس ، ومن الخبيزة . ونسج من حشائش « ذيل الهر » — التى تكثر فى المستنقعات — حصائر للمائدة توضع عليها الأطباق . وصنع أوشحة الموائد من زكائب

العلف وصبغها بألوان زاهية حرجة من الطفل .

وفى سبيل نشر دعوته إلى تعميم المراعى الخضر ، جاء بعربة قديمة فجعلها مدرسة زراعيــة متنقلة ، وملأها بالمعروضات الزراعية ، واستعار حصاناً ، وأخذ يطوف به الريف المجاور بانتظام . فهـذه هى المدرسة المتنقلة الأولى ، من المدارس الكثيرة المتنقلة اليوم فى ألاباما تحت رعاية وزارة زراعة الولايات المتحدة .

وكانت مقاطعة ما كون عندئذ ، كأكثر ولايات الجنوب ، تزرع القطن وقلما تزرع غيره . فأراد كارفر أن ينقذ الأرض من هذا الإجهاد ، وأن يزيد دخل الفلاح ، فنصح بزراعة البطاطس والفول السودانى أما البطاطس فصارت اليوم محصولا دائماً من محاصيل الجنوب . وأما الفول السودانى فربما بلغت قيمته هـذه السنة ما يقرب من ٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

وبذل كارفر من الجهد ما لم يبذل مثله أحد سواه ، حتى حطم قبضة القطن الآخذة بخناق الزراعة فى الجنوب .

وفى أيام جهاده الأولى ، فى مقاطعة ما كون ، لم يكد يجد فيها بستاناً واحداً للبقول ، وإلا قليلا من الخنازير والدجاج والبقر . وشاع مرض البلاجرا بين أهلها لسوء حالة التغذية . فرغب الناس فى هذه البساتين ، وألف لهم الوصفات ورسم لهم الطرائق لتحضير الخضر وحفظها ، حتى قال وكيل الزراعة بهذه المقاطعة إنه لا توجد مزرعة يمتلكها أسود إلا بها بستان للخضر ودجاج وخنازير ، وبقرة على الأقل . أما مرض البلاجرا فاختفى تقريباً .

ويصر الدكتور كارفر على أن القاعدة التى وضعها : « ابدأ حيث أنت » تنفع الإنسان حيث كان من الأرض . وقد خطب — منـذ أعوام — فى حفل من الزنوج ، ولكى يشرح لهم القاعدة شرحاً عملياً ، خرج فى بكرة يوم إلى تل قريب ، وعاد يحمل سبعة وعشرين صنفاً من النبات لها كلها خواص طبية .

قال كارفر : « وذهبت بعـدئذ إلى صيدلية قريبة ، واشتريت منها سبعة أنواع من أدوية مسجلة تحتوى على عناصر موجودة فى هذه النباتات . وهذه الأدوية نقلت إلى هنا ، من نيويورك ، وكان حقها أن تصنع هنا » . ثم قال : « إذا انطمست البصائر فقد هلك الناس ! » .

وسمعت الدكتور كارفر يحدث جمعاً من السود ، قال : « إن السود عليهم أن يجيبوا سؤالا واحداً هو : « أعندنا هـذا الشىء الذى يتطلبه الناس ؟ » ثم قال لهم إنه

مع جماعة من البيض يبحثون عن رجل يعين لهم مواقع البترول من الأرض .

قال كارفر : « فقد نسيت هذه الجماعة أن تذكر : أهي تريد رجلا أبيض أو أحمر أو أصفر أو أسود ؟ لم يقولوا إلا أنهم يريدون رجلا يعين مواقع الرادل إلى

قال كارفر : « لا تذهب تمـد الجأة إلى ثمرات جارك ، فكلكم خليق أن يجد من هـذه الثمرات ما يكفيه حيثما يكون » .



الطاعة العمياء

يستعمل أهل تشيكوسلوفاكيا مبـدأ الطاعة العمياء أو « سـوء الفهم المقصود » ليسخروا من الغزاة ويقاوموهم . مثال ذلك أن الطائرات البريطانية حلقت مرة فى جو بوهيميا ومورافيا وألقت على أهاليهما المنشورات . فأمر رجال السلطة الألمانية جميع الأهالى بأن يسلموا إليهم كل ما يعثرون عليـه من تلك المنشورات . فما كان من بعضهم إلا أن ألصق نماذج منها فى أماكن بارزة من الطرق والساحات العامة وألصقوا بجانب كل منشور إعلاناً يقول : « كل من وجد منشوراً من المنشورات التى ترى نموذجاً منها هنا ، فعليه أن يبادر إلى تسليمه إلى السلطات الألمانية فى الحـال وإلا عرض نفسـه لعقاب شديد » . وبهذه الطريقة أتاحوا الفرصة لجميع الاهالى لقراءة تلك المنشورات .

(نقلا عن جريدة نيويورك پوست)



الأعداء المتوددون

اعتقـل تاجران سويسريان فى اليابان فاحتجا إلى موظف يابانى فابتسم معتذراً وقال : « أنا أعلم أنكما محايدان . ولكنكما عدوان محايدان » .

فقال أحدهما : إذن ماذا تعـد الأمريكيين والبريطانيين ؟ فقـال : أعدهم أعداء محاربين . فقال أحد السويسريين : والإيطاليين والألمان ؟ فقال اليابانى : أعداء متوددين ؟

تستطيع أن تترك التدخين — وأن تكون راضياً

على التدخين السلام

كورتى رايلى كوبر

المشهد منقوش فى صفحة ذهنى فلن أنساه . كان الوقت فى الأصيل والجو يسوده شعور الاسترخاء ، كما يكون شأننا بعد الظهر . وكانت كلابى الأربعة تغط فى نومها . وفجأة طرحت سيجارة مشتعلة وأنا أقول بصوت عال : «لا . إننى أبطلت التدخين». ها هى ذى نهاية تصميم تكرر خلال سنوات ، وكان فى كل مرة أضعف من أن يقوم بذاته فلا يلبث حتى ينهار ، ولكن الأثر تجمع حتى أصبح أساسا للوقفة الحاسمة . فعلى الآن أن أغلب هذا العدو ، أو أن أعترف بأنى ضعيف أحمق .

إلا أن الخوف تملكنى فجأة . . . أهذا القرار تضحية سخيفة على مذبح العزم ؟! كانت الأمسية من تلك الأمسيات التى يطيب فيها للفتى أن يقوم ظهره المنحنى فوق آلته الكاتبة، ويلقيه إلى ظهر كرسيه ليستريح وينسى عمله هنيهة ما ، ويمد يده ليشعل سيج . . . .
ولكننى عزمت على أن أبطل التدخين .

كان تدخينى قد بلغ حدود الإغراق . وقد مضت على أربعون سنة مصصت فيها النيكوتين كما يمص الاسفنج الماء . حتى فى الليل ، كنت استيقظ مراراً ، وأمد يدى إلى سيجارة . وهأنذا الآن أرتعش إذ أفكر فيما أنا مقدم عليه . وكنت فى تلك الساعة محروماً كل سند وتأييد ، فزوجتى غائبة ، وأنا وحدى . ولكنى ضحكت عندما تذكرت أننى وحدى . وحدى ! إذن لست فى حاجة إلى أن أخبر أحداً بما فعلت . ولست فى حاجة إلى التفاخر به إن نجحت ، أو إلى التماس الأعذار إذا خبت فيما عزمت عليه . وإذا خبت فلا مجال للشعور بالخجل . وما دام أحد لا يعرف عزمى ، فلن يحاول أحد أن يثبطه .

وفجأة شعرت بالغبطة ، وأن كل شىء على ما يرام . فتناولت عمداً بضع سجائر ووضعتها فى جيبى ، وداعبتها بأصابعى مئات المرات خلال المساء ، ثم أخرجتها ووضعتها جانباً . ها أنذا عشت ثمانى ساعات بغير تدخين ، فلم لا أقوى على أن أعيش ثمانى ساعات أخرى ؟ وأبيت أن أمس علبة سجائرى قبل أن أنكفىء إلى سريرى .

وتمكنت من أن أنام ، ثم استيقظت وأنا يغمرني شعور بالرعب كأني أتيت عملا مخيفاً.

ثم سمعت الساعة تدق الرابعة ، أي أني نمت ست ساعات ، وهو ما لم يتح لي منذ سنين . فزال رعبي ، وضحكت مستبشراً . فأنرت المصباح ، وفتحت علبة السجائر ودفعت أصابعي بينها وأنا أقول متهللا : « إني غلبتكن » ، ثم قلت : « إذا كنت قد امتنعت عنكن هذه المدة ففي وسعي أن أمتنع عنكن إلى الأبد » .

في مساء ذلك اليوم من أيام نوفمبر ، عندما حدث هذا الحادث العظيم ، كان وزني يقل عشرين رطلا عن المتوسط ، وكنت لا أستطيب الطعام ، وكان حلقي جافاً كحلق المدخنين ، وكان ينتابني السعال ، وكنت أشكو تهيج الأعصاب والتهاب التجاويف الأنفية ، وكانت سلسلتي الفقرية متصلبة ، وكانت أصابع اليدين مدبوغة بلون الجوز الغامق . وكنت أخجل أن أفتح فمي ، لئلا تبدو أسناني تعلوها طبقة كثيفة من بقايا النيكوتين أو أن يبدو لساني المطلي بطلاء بني . وحقيقة أمري أني كنت أتوناً مشتعلا.

ولكنني تغيرت في شهر واحد تغيراً كبيراً ، فإن نبضي — كنبض المدخنين — كان يدق بمعدل ١٢٠ دقة في الدقيقة ، فهبط إلى ٧٢ في الدقيقة . وصرت أستطيب الطعام وهو ما لم يتح لي خلال السنوات السابقة. وزالت البحة والسعال ، وخف التهاب التجاويف . والآن أشعر أنني لست على ما يرام ، إذا لم أنم ثماني ساعات كل يوم . والأسف الوحيد الذي يساورني هو أني لم أفعل ما فعلت قبل خمس وعشرين سنة .

وقد حاولت ذلك مراراً ، ولكنني لم أكن مسلحاً بالرأي السديد ، فكنت في أغلب الأحيان أخبر كل أحد بأني سأجرب أن أبطل التدخين ، أو أبدأ على أساس إبطاله تدريجياً ، أو على أساس سخيف آخر من هذا القبيل .

وكانت الأيام ، تمضي وإذا أنا أدخن ثانية وأسرف . ويجب أن أعترف بأني لم أفهم مطلقاً كيف يستطيع إنسان منكوب بحالة « النيكوتين » العصبية الحادة . أن ينقطع عنها تدريجياً . بل على الضد من ذلك ، فكل من درس موضوع التدخين يعترف بأن هناك طريقة واحدة للاقلاع عن هذه العادة وهي الترك التام . وقد بحث ج . س . فرناس ، من عهد قريب ، بحثاً مسهباً فسأل المدخنين وخلص إلى القول بأن ترك التدخين ، إما أن يكون تاماً ، وإما أن لا يكون على الإطلاق .

وقد بحثت الموضوع مع خمسة وأربعين من معارفي الذين طلقوا التدخين ، فاتضحت

لى غرائب فى أقوالهم . ومن هذه الغرائب أن الذين عانوا أقل المصاعب فى الإقلاع عن التدخين ، هم الذين كانوا أقل من غيرهم ، حديثاً عنه . وقد صاغ أحد أصدقائى هذا المعنى فى قوله :

« إذا كنت تنوى أن تبنى قناطر تعود عليها إلى التدخين — حتى قبل أن تبطله — فإبطاله دعوى زائفة . وقد تقول إنك ستقلع عن التدخين مرة ما ، ثم تبدأ تدخن قليلا فى الخفاء ، ثم تعود مدخناً مبالغاً فى التدخين كما كنت . وفى خلال ذلك توهم نفسك أنك وجدت بالتجربة أنه خير لك أن تتركه تدريجاً » . إن فى سيجارة واحدة خطراً كبيرا على من كان يدخن كالخطر الكامن فى كأس واحدة على من كان سكيراً فأقلع . وحقيقة الأمر أن المغالاة فى التدخين هى نوع من السكر .

وليس هناك شك فى فائدة الإقلاع عن التدخين ، فجميع أصدقائى الذين أقلعوا عن هذه العادة يعترفون بأن صحتهم تحسنت ، ويستثنى من ذلك صديق أو صديقان . فالصداع قد زال ، ومتاعب التجاويف الأنفية قد قلت ، وفى بعض الحالات تحسن البصر ، وهناك من يشير إلى إرهاف حاسة الشم بل حاسة السمع أيضاً . ونال الكثيرون تحسناً فى الهضم ، وقلة فى الغثيان ، وزيادة فى القدرة على مقاومة الزكام والأنفلونزا ، أما البحة المألوفة فى حلق المدخنين فقد زالت تماماً ، وبعضهم زاد وزنه ولكنه لم يسمن . وقد زاد وزنى منذ أقلعت عن التدخين عشرين رطلا ، وأنا أشتهى المآكل الشهية وأقبل على أكلها ، ولكن ملابسى لم تضق على ، ونطاق خصرى لا يزال ٣٢ بوصة . ولعل هذه الحقيقة — أعنى زيادة وزن الجسم بغير أن تصحبها السمنة — ترجع إلى اشتداد الرغبة فى النشاط البدنى ، فالشعور بتحسن الصحة يدفع إلى الرياضة . ويلوح أن ما يكتنزه الجسم على أثر ترك التدخين يختلف عن « الكرش » الناشىء عن الاسترخاء .

وهناك اعتقاد عام بأن استطابة كأس من الخمر لا تتم بغير أن يصحبها التدخين . فالعقبة الأولى التى يتعرض لها تارك التدخين ، هى عقبة اجتماعية ، إذ يرى فى حفلة ما جميع المدعوين يشربون ويدخنون فيغرى بالتدخين ويحس أن الامتناع صعب عليه . ولكن الامتناع مستطاع ، وما عليك إلا أن تقول ما تقوله عادة عندما لا يعن لك أن تدخن ، « شكراً » . فتقديم السيجارة عادة ميكانيكية اجتماعية . ولعلك تدهش إذا علمت أن قليلا جداً من الناس من يلاحظ أنك لست فى عداد المدخنين . وثمة قاعدة

يجدر بك أن تجرى عليها ، احفظ فى جيبك عيدان الكبريت : فكلما زاد عدد السجائر التى تشعلها لغيرك بهذه العيدان يقل عـدد السجائر التى تعرض عليك لتدخينها .

ويشعـود مدمنو التدخين — على الزمن — إلتهاباً فى الحلق وطعما خاصاً فى الفم . وأصدقائى متفقون على أن غلبة هذا التعود هى أكبر حائل يجب تخطيه فى سبيل الامتناع عن التدخين . أما أنا فقد حاولت مص حبوب المنتول المانعة للسعال أو حبوب النعناع ، وغيرى جرب الحلوى . ولكننى أشـير عليك بأن تبتعد جهدك عن الحلوى التى من قبيل الشكولاتة فإنك ستلتهم علبة كاملة منها قبل أن تدرى ما أنت فاعل .

وعلى كل من يترك التدخين أن يعود نفسه العلم بأن كل ذكرى قديمة مرتبطة بالتدخين تجدد اشتهاءه . فإذا أدركت ذلك كان فوزاً لك . ففى قدرتك أن تتغلب على هذا الاشتهاء بمناقشة نفسك مناقشة تبين لك سخفه . ويأخذ هذا التطور فى الضعف كلما هزأت بالتدخين ، وعددت ما كان يصيبك منـه من مضايقة ، فلا تلبث أن تجد من النادر أن يخطر لك التدخين ببال .

ومهما يكن من أمر فإن رائحة السيجارة لن تزعجك ، بل على الضد من ذلك ، كلما طال عهد تركك التدخين ، ازداد شعورك بأن دخان السجاير كريه الرائحة ، وتبدو لك أنفاس مدخن آخر كأن فيها نتن قطـة ميتة ، ثم لا تحرك فى نفسك إلا ذكريات الصـداع ، والسعال القوى ، وإحساس الخمود ، وساعات كنت تقضيها عاجزاً عن كل عمل إلا مص أنبوب من النيكوتين .

وعليك أن تذكر دائماً ، أن أحداً لم يمت أو يجن لأنه لم يجـد دخاناً . وأقصى ما يحتمل أن يصيبك هو انزعاج ، تعتاض منه بنبض منتظم ، ونفس سهل ، وفم زال منه طعم الغراء . إن ترك التدخين عمل كبير ، ولـكنه ليس تضحية بالقدر الذى يزعمون . ويا ليتنى أستطيع أن أقف ويدى فى صدرى موقف جبـار كنابليون ، أروى ما قاسيت من تجاريب ومحن . وكل ما أستطيع قوله هو أن ترك التدخين ، كـكل تحول مفاجئ فى الحياة ، عمل عظيم الشأن ، ولـكنه ليس مستحيلا . فعـلى المرء أن يستعين بجميع عناصر التفـكه ، والاستنجاد بالـكرامة ، والاعتماد على الفطنة . إذ كيف يسوغ لأحد أن يغتم ويأسف على ترك عادة وجد فى تركها راحة بعد النوم وصـفاء الذهن وترجيح طول العمر بزوال الضعف الجسمانى .

ولعلك تحس الآن بشهوة شديدة إلى سيجارة ، ولـكن لماذا تسمح لقصاصة من الورق ملفوفة حول قليل من التبغ أن تلعب بك ؟

تؤثر الألوان تأثيراً غريبا
فى فكر الانسان وشعوره .

سحرة الألوان

هوارد كتشام

قالت لى سيدة ذات يوم : « سأقيم مأدبة عشاء ، وأريد أن تكون رائعة ، فهل أجد عندك بعض الرأى ؟ » .

قلت : « جربى النور الأرجوانى القانى ، فاشترى ثلاثة مصابيح أو أربعة — من قوة ألف واط وبعض الحوامل ، وغطى المصابيح بقطع من ستار قان ، وأثبتيها فى جوانب أرض الغرفة تحت الأثاث ، ثم اطفئى سائر المصابيح ، ثم انظرى بعدئذ ماذا يكون ؟ » .

فحدجتنى السيدة بنظرة غريبة ، ولكن لا ريب فى أنها كانت ترى أنى أحسن هذا الذى أتحدث عنه . وفى صباح ليلة المأدبة وصفت تأثير النور بأنه « لا يقل شيئاً عن المعجزة » ، فإن هذا الضوء المتوهج الرقيق زهت به ألوان النساء حتى صرن فى رأى العين أصغر مما هن بعشر سنوات ، وكان هذا وحده كافياً لتفجير ينابيع الغزل الحلو فى صدور الرجال ، وألهمهم ، فاستفاض حديثهم ناعماً مرحاً . لم تأخذنى الدهشة ، فإنى قد استعملت الأنوار الأرجوانية فى الحفلات زمناً طويلا ، وتقديرى أنها على الأقل تقوم مقام كأسين من الشراب .

إن تأثير اللون فى نفس الإنسان بعيد الغور ، فالنور الأرجوانى القانى يلين الأعصاب ويميل بها إلى الاستقرار ، واللون البنفسجى يجلب الكآبة والانقباض ، واللون الأصفر يبعث النشاط فى الجهاز العصبى .

وقد ذاع فى أوائل المائة الثامنة عشرة اتخاذ زجاج النوافذ من الزجاج الأزرق والأرجوانى ، إذ كان يظن أنها أوفق لصحة الانسان . وهذه النظرية أقل إغراقاً فى الخيال مما يبدو لك ، فإن الضوء الأرجوانى إذا أحسن استعماله كان من خير المنومات (جربه مرة بنفسك) . وأما الأزرق فيهدىء الأعصاب ويجدد النشاط . ومن الحقائق الثابتة أن أنواعاً معينة من البزور التى تبقى ثمانية أيام حتى يبدو نباتها فيستقبل الشمس ، يبدو نباتها بعد يومين إذا ما استنبتت فى بيوت من زجاج أزرق . وقد اتخذ الإنسان ، منذ أقدم العصور ، هذه الألوان رموزاً وأضافها إلى بعض العواطف والأفكار . فالأحمر رمز الشجاعة والإقدام

ولكنه أيضاً رمز الفوضى والمذابح . والأصفر رمز المجد والبهجة والرخاء ، إلا أن بعض ظلال هذا اللون يرمز بها إلى الجبن والمرض والتبذل . واللون الأرجوانى رمز البطولة والعظمة أو رمز الوجد فى الحب والآلام والأسرار . وقد بلغت هذه القرائن المشتركة من التأصل فى أعماق شعورنا ، حتى تعد سبباً من أسباب تأثير الألوان فى النفس . وأبلغ مثل يدل على تأثير الألوان تلك التجربة التى جربتها مدينة لندن رغبة فى تقليل عدد حوادث الانتحار فوق جسر « بلاك فرايار » ، فدهن الجسر القديم القاتم اللون بطلاء أخضر ناضر . فنقصت حوادث الانتحار ما يزيد على الثلث فإن يكن اللون الأخضر قد أعاد شيئاً من السرور إلى النفوس اليائسة فقد يعزى التحسن أيضاً إلى إزالة اللون الأسود ، الذى توارثنا عنه أنه رمز الموت والأحزان .

وإذا تأملنا ما للألوان من التأثير فى حياتنا أدهشنا قلة ما نعلمه عنها . ولم يتمكن أحد أبداً من أن يصف تماماً بكلمات اللغة لوناً من الألوان . وقد أراد « روبرت لويس ستيفنسون » يوماً ما أن يطلب من انجلترا ورقاً من لون وردى معين ليلصقه على الجدران فى داره بجزيرة تاهيتى (فى المحيط الهادى) ، فبعد محاولات كثيرة لم يجد بداً فى النهاية من أن يقر بعجزه عن أن يصفه .

ولا شك أن مثل هذه الحالة لا يمكن أن تبقى فى عصر كعصرنا اتسع فيه نطاق الصناعة واستبدت الألوان بالعقول . وقد ابتكرت حديثاً طريقة محكمة لقياس الألوان وتحديدها وتعريفها ، وبهذه الطريقة أصبح من اليسير أن تنقل بالتلغراف « صفة » ٣٠٠٫٠٠٠ لون . ولكى يستطيع « الملون » أن يوجد اللون الدقيق كما تدل عليه « الصفة » ، يضع اسطوانتين أو أكثر من الورق الملون بعضها فوق بعض ، فى آلة تدور شبيهة بآلة الجرامفون . وقد شق فى كل من هذه « الاسطوانات » شق من مركز دائرتها إلى محيطها ، وذلك ليمكن تغيير وضع الأجزاء الظاهرة منها ، وحين تدار اسطوانة الجرامفون تندمج الألوان حتى تصير إلى اللون الدقيق كما هو مطلوب فى الصفة . وقد يسرت هذه الطريقة لأعظم محل تجارى فى أمريكا أن يتلقى من باريس رسالة تلغرافية ، لم تستغرق إلا ٢٠ ثانية ، وفيها أحدث معروضات الألوان فى محلات الخياطة الباريسية العظيمة ، وبذلك استطاعت الشركة أن تسبق منافسها بأسبوع كامل فى بيع أقمشة ملونة بأحدث الألوان .

فمن الخطأ العظيم مثلا أن تحاول بيع

سيارة حمراء فى اليابان فإن هذا اللون خاص هنالك بآلات المطافىء ومركبات البريد . وفى انجلترا قلما ترى سيارة خضراء ، فهم يتوهمون أن السيارة الخضراء شؤم على صاحبها . واللون الأبيض فى الصين ، وفى كثير من الأقطار الشرقية ، هو لون ثياب الحداد . ولقد خسرت إحدى شركات الزيت خسارة مالية كبيرة لأنها تجاهلت كراهة الصينيين لهذا اللون حين طلت جميع محطات بيع البنزين التى كانت تملكها باللون الأبيض ، فكانت النتيجة أن تجنبها الجمهور .

ومن أهم المبتكرات الحديثة فى استخدام الألوان هو تلوين الطرق المرصوفة التى تمر فيها السيارات . فقد أثبتت التجارب الكثيرة التى أجريت فى جزائر المانش الإنجليزية أن الطرق المرصوفة حين طليت باللون الأقحوانى الأصفر أو البرتقالى القاتم ، صار تألق أشعة الشمس ومصابيح السيارات عليها أقل بمقدار ٤٠ ٪ من تألقه على الطريق المرصوفة بالحجر الأبيض . وأثبتت التجارب فى بريطانيا أن نسبة حوادث السيارات فى ميل من الطرق الملونة أقل مما فى غيرها ، وأن المشاة فيها ليلا أشد وضوحاً . أضف إلى هذا أن الذى يسير ، أو يسوق سيارة ، فى طريق ملونة لا يحتاج إلى إشارات أو علامات ترشده . ونفقات تلوين الطريق المرصوفة زهيدة جداً . وقد اكتشفت أخيراً وسيلة لوقاية اللون من الزوال . ولو استبدل الناشرون بالحبر الأسود والورق الأبيض ، الحبر الرمادى والورق الأصفر لأعانوا على صون بصر القارىء . فالحبر الأسود على الورق الأصفر هو أشد لونين مجتمعين وضوحاً ، ولكن التباعد الذى بين اللونين شديد بعض الشدة ، حتى أن العين لا تستطيع أن تصبر على ملازمته زمنا طويلا . أما الحبر الرمادى على الورق الأصفر فهو يقلل من إجهاد البصر ، ويجعل الحروف الصغيرة أشد وضوحا . ويجدر بالمدارس أيضاً أن تجرب الطباشير الأسود اللون على سبورة صفراء .

وتغطى أحدث موائد البلياردو بغطاء أحمر قان ، إذ ظهر أن شبح الظل الذى تتركه الكرة فى حركتها أقل ظهوراً على الغطاء الأحمر منه على الأخضر .

وقد بذلت جهود كثيرة من التفكير فى تلوين داخل طائرات النقل . فبعض الألوان التى وقع الاختيار عليها توهم الناظر أن المكان أوسع مما هو فى حقيقته ، ووقع الاختيار على ضروب من اللونين الأزرق والأخضر تحدث تأثيراً ملطفاً ، لتقاوم دوار الطيران . أما اللون الأصفر — وهو

لون يثير الغثيان — فقد أعرضوا عنه إلى النهاية .

وينبغي لمهندس اللون أن يعلم أن المقابض الحمر تجعل « فرش » الأسنان — التي ثمن الواحدة منها قرشان — أكثر رواجاً من غيرها ، أما اللون الكهرماني فهو أروج للفرش التي ثمنها ٥ قروش . وينبغي أن يعلم أيضاً أن الناس أكثر استجابة للاعلان الذي يوزع على ورق أحمر فاتح أو أصفر أو أخضر ، أما الأبيض الخالص فتأثيره أقل . وينبغي له أن يعلم أن كل لون يحتوي على الأصفر والأحمر يشعر المرء بالدفء ، وأن كل لون يحتوي على الأزرق يشعر بالبرد ، وأن يعلم كيف يحسن استخدام هذه الألوان لفائدته . وقد حدث أخيراً أن صاحب مصنع في أمريكا أعاد تلوين حجرة استراحة النساء ، باللون الأزرق الخفيف الزرقة ، فبدأ النساء يشكون من أن الغرفة شديدة البرودة دائماً حتى اضطررن إلى لبس معاطفهن حين يذهبن لتناول الغذاء . ولكن المهندس كان يعلم أن هذا مستحيل لأن حرارة المصنع كانت مضبوطة ضبطاً « آلياً » دقيقاً . ولكن الشكوى لم تزل مستمرة ، وأخيراً استدعى أحد مهندسي الألوان فأشار بأن تطلى الألواح التي تغطي أسفل الجدران باللون البرتقالي ، وأن توضع على الكراسي أغطية برتقالية اللون ، فلما تم ذلك انقطعت الشكوى .

وسواء أأدركنا ذلك أم لم ندركه ، فإن اللون يؤثر في إقدامنا أو إحجامنا عن الشراء ، ويشعرنا بالحر أو بالبرد ، وبالسرور أو الكآبة ، ويؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته إلى الحياة ، كما يؤثر أرق أو زكام أو وجبة طعام شهي . وقد قال « جرانت آلن » وهو من كبار علماء النفس المقارن : ليس في طبيعة إحساسنا عامل ما يتيح لنا لذة أعظم أو أكثر تنوعاً مما يتيحه الإحساس بالألوان .



إن عصبة أمم بغير طائرات جمعية مناظرة .

(ستيوارت تشايس)

أفضل أن يقول الناس : لماذا لم ينصب له تمثال ، على أن يقولوا : لماذا نصب له .

(كاتو الروماني)

أسطورة هولنـــدية تصف شعور
الهولنديين حيال ما عانوه فى هذه الحرب

البغضـــاء

هنريك ولم ڤان لون

قبل ثلاثة أشهر كان صديق فى «الهاى» يواصل فى هدوء عمله كطبيب ، ويشـترك فى الحركة الخفية ضد النازى . ثم علم ذات يوم أن أمراً قد صدر بالقبض عليـه ، ففر بأعجوبة ، وجاء إلى أمريكا . وهو الآن جالس فى مكتبي .

وأوغلنـا فى الليل ونحن نتحدث ، واستطردنا أخيراً إلى الكلام فى البغضاء ، وإنه لموضوع لا يوائم أبناء أمتنا ، فإننا نحن الهولنـــديين معروفون بأننـا لا نحسن أن نبغض .

فبعد الحرب الماضية فتح الهولنديون دورهم وقلوبهم لأطفـال ألمـانيا المتضورين الجيـاع ، فعاش عشرات الآلاف منهـم فى هولنـدا سنين عديدة . ولـكن لما غزا النازى هذا البـلد السالم ، قاد الهجوم عليه هؤلاء الأطفـال أنفسهم ، وقد بلغوا الآن مبـالغ الرجال ، وارتدوا زياً هولنـديا مسروقاً ، واختلطوا بالجنود الهولنديين ، ثم رموا ظهورهم غيلة بالرصاص .

وقد محا الطيارون النازيون جانبـاً كبـيراً من روتردام بعد توقيـع الهـدنة ، وأحرقت « مدلبرج » أجمل مدن هولندا القديمة ، فلم يسعنى إلا أن أتساءل : أترى هـذه الوحشية المتعمدة قد خلفت أخـيراً أثرها فى الخلق الهولندى ؟

وملأ صاحبي لنفســه فنجاناً آخر من الشاى ثم قال : « إن معظم الذين يتحدثون عن العـالم بعد الحرب يغفلون كل الإغفال أمراً واحداً له أعظم قيمة » .

فسألته : « ما هو ؟ » .

« البغضاء ، والضمير القومى الذى بلغ فى عمق الإساءة إليه أن لا يخمد ثائرته إلا انتقام يكون فيه من الهول كفاء العـدل .

" " " " " " " " " " "

هنريك ولم ڤان لون كاتب أمريكى من أصل هولندى . وهو مؤلف رفيع المقام يبسط العـلم والحكمة فى مؤلفاته ويقرن التبسيط برسوم كما فعل فى كتابه « الجغرافيــة » وكتابه « قصــة الانسانية » . ومن مؤلفاته المشهورة «التسامح» و « السفن » ، وترجمة حياته بقلمه .

وسترى فى الأسابيع القليلة بعد انتهاء الحرب انفجاراً للبغضاء والنقمـة فى أوربا لم يشهد العالم مثيلا لها .

« ولكن دعنى أقص عليك قصة ، وهى ضرب من القصـص المأثور المتواتر الذى يرويه الهولنديون ، حين يلتقون ليسلا فما بقى لهم من بيوتهم . وستدرك حين تسمعها إلى أى حد نجح الألمان فى تعليم ضحاياهم الهولنديين البغضاء » .

وإليكم القصة كما رواها لى صديق :

« انتهت الحرب فجأة ، وقبض على هتلر وجىء به إلى أمستردام ، وقضت عليه محكمة عسكرية بالموت . ولكن على أية صورة ينبغى أن تكون ميتته ؟ إن ضربه بالرصاص أو شنقه يكون أسرع مما ينبغى ، وأرحم أيضاً . وهنا نطق بعضهم بما كان يدور فى النفوس جميعاً : « إن الرجل الذى أنزل بالناس مثل هـذا العذاب الذى لا يصدق ، لينبغى أن يحرق حتى يموت » .

وقال أحد القضاة معترضاً : « ولكن أكبر ميادينا العامة فى أمستردام لا يتسع لأكثر من عشرة آلاف نفس ، وما من فرد من الملايين السبعة من أهل هولندا ، رجلا كان أو امرأة أو طفلا ، إلا وهو يريد أن يكون حاضراً ، ليلعنه وهو يجود بأنفاسه » .

وخطرت لقاض آخر فكرة ، فاقترح أن يحرق ، ولكن الحطب يشعل بانفجار حفنة من البارود يطلقه فتيل طويل يبـدأ من روتردام ويمد على الطريق إلى أمستردام ماراً بمـدن دلفت ، والهاى ، وليدن ، وهارلم . وبذلك يتسنى للملايين المحتشـدة على جانبى الطرق الواسعة أن يشهدوا سريان النار فى الفتيل شمالا إلى تنـور هتلر .

واستفتى النـاس فى أمر هـذا العقاب فقال : ٤٫٩٨١٫٠٧٦ إنه كاف مـلائم ، وخالفهم واحد ، وكان هذا المخالف رجلا يؤثر أن يشد هتـلر إلى أربعـة جيـاد فتمزقه إربا إرباً .

وأخيراً جاء اليوم العظيم ، وبدأت الحفلة فى الساعة الرابعة من صباح يوم من أيام يونية . وكانت هناك أمٌّ رمى النازى أبناءها الثلاثة بالرصاص من جراء عمل من أعمـال التخريب لم يرتكبوه ، فتولت هى إيقاد الفتيل ، ورتلت فرقة أنشودة شكر لله ، ثم ضج الخلق بصيحات النصر .

ومضى اللهب بطيئاً فى الفتيل من روتردام إلى دلفت ، ومن ثم إلى الميـدان الكبير فى أمستردام ، وكان الناس قد أقبلوا من كل فج وناحية من البـلاد ، وأعدت مقـاعد خاصة للشيوخ والعرج ، ولأهل المقتولين من الرهائن .

وكان هتلر قد شدّ وثاقه على عوارض الخشب ، وهو فى قميص أصفر طويل ، وظل صامتاً متجلداً حتى ارتقى غلام صغير فى كوم الحطب المحيط « بالفوهرر » السابق ، وأقام لوحاً كتب عليه : « هذا أكبر سفاحى العالم » . فهاجه هذا لما به من الكمد المكظوم ، وراح يدهور فى شدقيه إحدى خطبه القديمة .

فبهت الحشد ، فقد كان من المناظر الباعثة على السخرية أن يرى الناس هذا الرجل الضئيل يتشدق بالكلام كأنما يخاطب أتباعه . ولكنه ما عتم أن أخرسته صيحات الاستهزاء . ووافت اللحظة المترعة فى ذلك اليوم . ذلك أنه حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وصل اللهب إلى مشارف أمستردام . فسمعت فجأة قرعات طبول ، فانطلق الناس وبهم من الشعور ما لم يعهدوه فى أنفسهم من قبل ، ينشدون النشيد القومى . فاربد وجه هتلر ، وراح عبثاً يعالج الفكاك من وثاقه .

ولما انتهى النشيد القومى كانت النار قد صارت على خطوات قليلة من البارود ، ولم تبق إلا دقائق خمس ثم يموت هتلر ميتة شنيعة . ومرت دقيقة ، ثم ثانية ، وساد الصمت ، وصار الفتيل المتقد على قيد أشبار . وفى هذه اللحظة وقعت الأعجوبة . ذلك أن شيخاً ضاوياً نحيلا شق طريقه بين الجنود المصطفين للحراسة ، وكان كل امرئ يعرفه . فقد كان له ولدان أرداهما جنود المظلات بمدافعهم الرشاشة ، ولقيت زوجته وبناته الثلاث حتفهن فى حرائق روتردام . فصار المسكين بعد ذلك وكأنما طار عقله ، وراح يضرب فى الأرض على غير هدى ، والناس يتصدقون عليه ويحسنون إليه ، ومامن أحد إلا وهو يرثى له

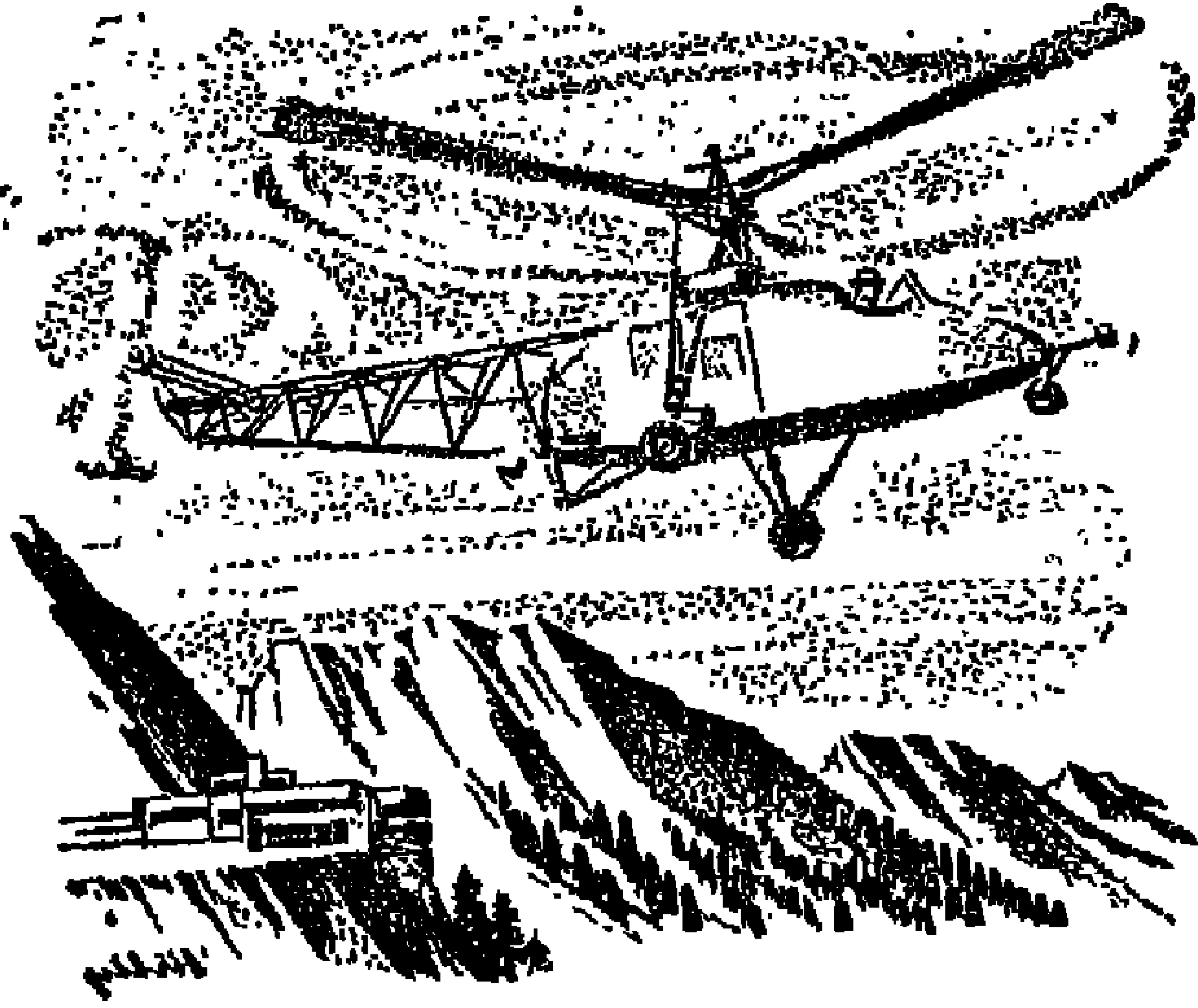
ولكن الذى صنعه الآن ، جعل الجمهور يحتدم غيظاً ، فقد داس الفتيل عامداً ، وأطفأه . فصاح الخلق: «اقتلوه ! اقتلوه !» غير أن الشيخ واجه الجمهور الناقم المرعد ، فى هدوء وسكينة . ثم رفع يديه على مهل إلى السماء ، ثم قال بصوت يتهدج من النقمة:

« والآن دعونا نصنع هذا من جديد ، مرة أخرى » .

وسكت صاحبى ، فعرتنى رعدة .

ثم قال : « نعم ؛ أنا أيضاً أرتعد كلما قصصت هذه الحكاية . فإن بغضاء تتولد منها قصة كهذه ، لا جرم تكون أفظع شىء فى العالم . والآن أحسبك عرفت ماذا تصنع أربع سنوات فى هذه المذابح بروح أمة مسالمة . والله المسئول أن يرينا اليوم الذى يصبح فيه كل هذا ذكرى محزنة مظلمة للعنة البغضاء التى خلفها الطغاة وراءهم، يوم انحدروا إلى قبورهم التى جللها الخزى » .

مركبة الهواء قد أقبلت



ايجور سيكورسكى فى حديث
مع فردريك باسنون

ملخصة عن
مجلة « أتلانتيك » الشهرية

نحن فى سنة ١٩٥٥ فى ضاحية على سطح تل يشرف على بحيرة جميلة فى منطقة جبلية تبعد ١٢٠ ميلا عن المدينة ، وأنت على وشك الانتقال إلى مكتب عملك فيها . ومع ذلك فإن أقرب طريق إليك يقع على مسافة خمسة عشر ميلا ، وبينه وبين محطة السكة الحديديه أميال عديدة .

" " " " " " " " " " "

قليل من الرجال من أسدى إلى الطيران ما أسداه إيجور سيكورسكى ، تخرج سنة ١٩٠٨ من مؤسسة كيف للفنون الصناعية ، ثم صنع سنة ١٩١٣ أول طائرة متعددة المحركات وحلق بها ، ثم قضى الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩١٨ فى تصميم قاذفات ضخمة وبنائها للجيش الروسى . وسافر إلى أمريكا بعد الحرب ثم تجنس بالجنسية الأمريكية سنة ١٩٢٨ . وفى نفس السنة أسس شركة سيكورسكى للطيران . ومن الطائرات التى تولى صنعها وتحسينها النوع البرى المائى المعروف باسمه ، وهو نوع من ناقلات الركاب الفاخرة .

وتبدو فى الأفق آلة طائرة ، فتضغط على زر فى صندوق قريب منك فتنطلق إليها إشارة لاسلكية . وعندما تصبح مركبة الهواء — وهى أشبه ما تكون بمروحة كهربائية أفقية — فوق الرأس مباشرة ، تشرع فى الهبوط عمودياً حتى يصبح مدخل « القمرة » على ارتفاع قدم من الأرض . وتقف المركبة ساكنة تحت مروحتها الدوارة كأنها طائر ضخم يرفرف بجناحيه . وتدخلها فيأخذ منك الطيار المساعد تذكرة السفر . وفى الحال يرقى « الهليكوبتر » عمودياً إلى ١٠٠٠ قدم ، ثم ينطلق إلى الأمام وقد بلغت سرعته فى التو ١٤٠ ميلا فى الساعة .

ويقول الطيار المساعد : « هذه بقعة محبوبة ، لقد كثر الإقبال على السكنى هنا حتى اضطررنا إلى تنظيم رحلة إضافية » . وبعد خمسين دقيقة يحوم الهليكوبتر فوق

المدينة . ثم يهبط فى بطء على سقف مسطح مساحته حوالى ٦٠ ياردة مربعة . وتنزل بالمصعد إلى الشارع ، وتسير قليلا إلى مكتب عملك ، ولما تمض ساعة منذ شربت قدح القهوة صباحاً فى منزلك فى الجبل .

إن رحلة كهذه ليست وليدة الخيال ، فبعد عشر سنوات من انتهاء الحرب ستنشأ مئات من خطوط النقل بالهليكوبتر لنقل الركاب مراحل قصيرة ، وستكون مئات الآلاف من « آلات الصعود المباشر » ملكا خاصاً لأفراد تحملهم فى أعمالهم أو فى لهوهم .

وعندنا اليوم نوع منها سهل الاستعمال يمكن أن يستخدم فى كل ماذكرت، فهو يرقى ويهبط بالسرعة التى تختارها ، ويسهل أن يتراجع أو يدور أو يتحرك إلى الجنب . وفى أبريل ١٩٤١ ظلت إحداها ترفرف مدة ساعة و٣٢ دقيقة فوق بقعة لا تتجاوز مساحتها نصف فدان . وقد أدخلت عليها منذ ذلك الحين تحسينات كثيرة .

ولولا أن الهليكوبتر أصبح الآن سلاحاً عسكرياً — فصارت جميع التحسينات التى أدخلت عليه أسراراً حربية — لأمكننى أن أضيف إلى ما تقدم تفصيلات إضافية . ولولا أن الحرب قد حولت تفكيرنا إلى أدوات الدمار ، لما كان عليك أن تصبر عشر سنوات أخرى حتى ترى آلافاً من طائرات الهليكوبتر تستخدم فى أعمالنا اليومية .

وفى الطيران السريع يتطلب الهبوط والانطلاق بالطائرة بديهة حاضرة وبتاً سريعاً ، وبخاصة إذا كانت الأحوال الجوية غير ملائمة . ولكن « آلة الصعود المباشر » تنقل إلى الطيران ما ألف من سهولة استعمال السيارة ومرونتها . فلننظر كيف تدير زوجك « هليكوبتر العائلة » — كسيارة العائلة — وهى تقطع بها ٥٠ ميلا لتقضى ساعات العصر مع صديقة لها .

تدفع زر المحرك وهى جالسة فى قمرة ذات مقعدين ، ثم تضغط على جهاز تعشيق العجلات بالمحرك فتدرج الآلة خارج الحظيرة التى لاتزيد كثيراً على حظيرة تتسع لسيارتين ثم تفصل جهاز « التعشيق » فتصبح الآلة متأهبة للصعود .

وتجد أمامها مباشرة وهى جالسة ، عصا القيادة ، وهى تذكرنا بذراع تغيير السرعة فى السيارة . وعن يسارها ذراع أخرى مماثلة لفرملة اليد المألوفة . وتحت قدميها دواستان مريحتان أشبه ما تكونان بما يقابلهما فى السيارة . وبالقرب من يدها صمام الوقود . وفى لوحة الأجهزة عداد لسرعة دوران المروحة فى الدقيقة .

وتفتح صمام الوقود فتتزايد سرعة المحرك حتى تصل دورات المروحة إلى ٢٤٠ دورة

فى الدقيقـة ، ثم تمد يسراها فتجذب برفق الذراع الرافعـة فتتغير زاوية الميل فى ريش المروحة الدائرة ، فيزداد اغترافها للهواء . ويرقى الهليكوبتر رفيقاً هادئاً فى الاتجـاه الرأسى . وعندما تصل إلى ارتفاع ١٢٠٠ قدم تدفع عصا القيادة إلى الأمام فتنحرف زوايا الميل فى الريش ، فتتحرك الطائرة إلى الأمام . وإذا بدا لها أن تثبت فى الهواء فهى تترك العصا فى الوسـط ، وإذا أرادت أن تنكص فهى تجذبها نحوها ، وهى تدفعها يميناً أو شمالا إن شاءت أن تدور .

وتنعم بالسير بها فى راحة ويسر بسرعة ١٢٠ ميلا فى الساعة ، ثم تخفف من سرعتها بعد ٣٠ دقيقة لترفرف فوق حديقة صديقتها الخضراء . فتطلق الذراع الرافعة فيهبط الهليكوبتر رفيقاً إلى الأرض . ويمكنها أن تتحكم فى سرعة الهبوط فلا تتعدى قدماً فى الدقيقة . وتمس العجلات الأرض وتستقر القمرة على الأرض دون أن ترتج .

وهى عمليـة أسهل فعـلا من قيادة السيارة لأن ضوابط الحركة هنا أقل عدداً . ولأن الأعصاب لا توترها السرعة التى تبتدرنا بها السيارة أو الطائرة المألوفة عند بدء تحركهما . ولكن التعود هو الذى يجعلنا لا نشكو من السيـارة السريعة ، التى تمرق مارة بنا على قيـد بوصات قليلة ، ولا من الطرق الزلقة وزحمة المرور فيهـا . ولـكنى أعتقـد ، لو أن الصدفة كانت قد أخرجت الهليكوبتر وأتاحتـه للاستخدام العـام قبل اختراع السيارة ، لتراجع الناس فزعاً من أخطار الانطلاق بالسيارات فى طريق من الطرق الحديثـــة ، ولعدّوها بدعة آلية خطرة .

وماذا يحدث لو توقف المحرك فجأة فى الفضاء ؟ يتخذ الهليكوبتر من نفسه وضع السـباحة فى الهواء ، وتنفصل المروحة عن المحرك ، ولـكنها تظل دائرة تحت تأثير ضغط الهواء ، وتبقى جميع الضوابط الأخرى فى أوضاعها كما هى . فتسمح الريش الدوارة للمركبة بالهبوط آمنـة من أى ارتفاع . ويبصر الطيار مرجاً صغيراً فينحرف إليه فى هبوطه ، ويمس الأرض وبه سرعة اندفاع أماميـة طفيفة ، وقد يدرج عليهـا عشر أقدام أو ١٢ قدماً .

وآلة الصعود المباشر كلها معدنية فهى تلائم الإنتاج الصناعى الضخم ، ولن تزيد تكاليف إنتاجهـا عن تكاليف السـيارة المتوسطة الثمن ، ولن تكون أيضاً تكاليف صيانتها مرتفعة . وسيمكنك الاحتفاظ بها فى حظيرة فى أرض دارك . والنوع الخفيف منها ذو المقعدين يستهلك جالوناً من البنزين لكل عشرة أميـال . وقد يساعدنا الزمن

على خفض هذا الاستهلاك . ومحركها يعمل في تلاحق منتظم ، فإن ريش المروحة يدور بسرعة تكاد تكون ثابتة ، سواء أثلاثة أميال كانت سرعة الطيران أم ١٤٠ في الساعة ، إذ أن الحركة الأمامية تتوقف تماماً على زاوية انحراف الريش . والقطع المستهلكة في السيارة أكثر من المستهلكة في الهليكوبتر ، لما تتطلب السيارة من تبديلات متكررة في تروس السرعة خلال السير ، ولأنها تتركب من أجزاء أكثر عدداً . ومن المحتمل أن يصبح المرء قادراً على قيادة هذه الآلة بعد فترة من التعليم تتفاوت بين ١٢ ساعة و ٢٠ ساعة .

وهل قدرنا ما ينجم عن طيران مئات الآلاف من هذا الطراز من الطائرات في كل اتجاه من ازدحام الحركة في السماء ؟ نعم . لقد تدبرنا الأمر بعض الشيء ، فلا بد من أن تكون هنالك مسالك في الهواء لا تسلكها الطائرات إلا في اتجاه واحد ، بالقرب من المراكز المأهولة الكبرى . وستحدد ارتفاعات معينة للحركة البطيئة ، وأخرى للسريعة . وستكون المسالك التي تتبعها الهليكوبترات بعيدة عن الارتفاعات المخصصة للطائرات بعداً مأمون العاقبة .

وماذا يكون من أمر الأحوال الجوية : المطر أو الثلج ، الضباب أو الريح ؟ إذا اكتنفك ضباب مرتفع فيمكنك أن تخفف من سرعتك حتى تصبح خمسة أميال في الساعة ، وأن تهبط في حذر ، وأن تنتظر حتى تتحسن الأحوال . وسقوط الثلج الكثيف الذي يشل حركة الطائرة والسيارة إلى أن تنظف مدارج الطائرات وطرق السيارات ، لا يمكنه أن يقيد من حركة الهليكوبتر ، إذ أن في وسعه أن يشق طريق ارتفاعه في الثلج مباشرة !

ويسهل على الهليكوبتر بلوغ مناطق كان من المتعذر الوصول إليها . ففي وسعه أن يحمل المؤونة إلى منجم في قاع أخدود عميق ، ينحدر جانباه ، انحداراً عمودياً إلى ٢٠٠٠ قدم ، وأن يرتفع منه بالمعدن الخام . ويمكنه أن يرفرف ليلقي ، مثلا ، بالحبال إلى سباح منهك . وقدرة الهليكوبتر على الاختباء خلف الأشجار والتلال ، وعلى أن يدنو من أخطر العقبات القائمة على ظهر الأرض ، وأن يطير فوقها وهو يكاد يلامسها تدل على قيمته العظيمة في المعارك الحربية .

وإني لموقن بأن إنتاج هذه الآلات التي تصعد في الجو صعوداً مباشراً ، والاتجار بها ، والقيام على صيانتها ، ستنشىء صناعة قيمتها بليوناً من الدولارات في أقل من عشر سنوات بعد هذه الحرب ، كما نمت صناعة السيارات نمواً ضخماً بعد الحرب الماضية .

وسيدخل هذا الأمر على أسلوبنا فى الحيـاة تغييرات متعددة .

كان نمو المناطق الريفيـة خارج نطاق المدن محـدوداً بمدى الأتوبيس والسـيارة والقطار الفرعى فارتفع ثمن الأراضى فى جوار المحطـات وعلى جانبي الطرق العـامة ارتفاعاً فاحشاً . ولـكن استعمال الهليكوبتر يتيح إنشاء بيوت صغيرة لأصحاب الدخل اليسير والمتوسط فى مناطق لم يكن الوصول إليها سهلاً حتى الآن .

وإنى لأتخيـــل ظهور طراز معمارى جديد ، فربما صارت المنـازل ذات سقوف مسطحة ، وفى جانب السقف حظيرة جميلة التصميم لطائرة من هذا الطراز ، فلا يكون عليـك إلا أن تدفع الآلة على عجـــلاتها من الحظيرة لتصبح قادراً على التحليق بها . وستعمل الفنادق على تهيئة المهابط والحظائر لنزلائها . وسيألف الناس القيام برحلات تمتد إلى ١٠٠٠ ميل دون أن يجدوا فى ذلك إجهاداً كإجهاد السيارة تكبدهم تعباً كبيراً إذا قطعت بهم ٤٠٠ ميل فى يوم واحد .

وعند ما يشرع العالم فى الانتفاع بمزايا الهليكوبتر الأخاذة نكون بحق قد دخلنا « عصر الطيران » .



أتصدق الأرقام ؟

يقولون إن الأرقام لا تكذب ، ولـكن الـكذوب يستطيع التلاعب بالأرقام ، ولذلك تستطيع أن تعتمد على الإحصاءات لتقيم الدليل على ما تريد . خذ طائفة مؤلفـة من عشر إناث تسع منهن عذارى وواحدة حامل . فكل واحدة منهن على المعدل حامل عشرة فى المائة والحامل منهن تسعون فى المائة عذراء !

[جيمز فينان]

● فى القنصلية الأمريكية بلشبونة عاصمة البرتغال كان موظف الجوازات منهمكا بعمله إذ دخل عليه رجل خجول المحيا وقال « هل لك أن تنبئنى إن كنت أستطيع الفوز بجواز لدخول بلادكم العجيبة » . وكان الموظف قد قضى أياماً بلياليها يعالج مئات أو ألوفاً من مثل هذا الطلب فقال : « مستحيل الآن . عد بعد عشر سنوات » . فمشى الرجل إلى الباب ثم توقف والتفت وقال وهو يبتسم ابتسامة صفراء « أأجيء حينئذ فى الصباح أو بعد الظهر ! »

[ولتر ونشل]

من أحرى بوصف الجنود الروس من الألمان :

الجندي الروسيّ في نظر النازيّ

الكولونيل پول طمسون

ملخصة من مجلة « إنفنتري جورنال »

إن أعظم عدة من عدد الحرب وأجلها خطراً في هذه الأيام هو الجندي الروسي — ومنهم عدد وفير بحمد الله . فماذا يقول الألمان أنفسهم في هذا الشخص الذي كان بمقاومته التي لا تلين أول من أصاب فاتح العالم المنتظر بالصدع الأول في درعه ؟

لقد وصفه الألمان بأبلغ بيان في كثير من كلام أرادوا به أن يذموه فمدحوه ، وفي البلاغات الحربية الموجزة الصادرة من ميدان القتال .

فمن ذلك ما أورده رئيس أركان الحرب في الجيش الألماني الثاني عشر ، الذي أقام تسعة شهور قبل أن يتم له إخضاع قلعة سباستبول المعزولة . ويصف لنا هذا التقرير في كلمات تنم على نفاد الصبر ، ما لقيه الألمان من المقاومة مرة بعد أخرى في كل حصن من الحصون . وهذه نبذة بنصها : « كان في الحصن ثلاثون جندياً روسياً يحمونه ، وقد شققنا طريقنا إليه بعد أن ركبنا من الصعاب ما لا يخطر ببال . وأمكننا في آخر الأمر أن نحدث في سوره ثغرة ، وقذفنا منها بقنبلة يدوية . وقضت القنبلة في الحال على خمسة وعشرين رجلا من الثلاثين الذين كانوا بالحصن . فهل سلم الخمسة الباقون ؟ » وأجاب التقرير على هذا التساؤل مؤكداً في حدة الساخط : « كلا ! » وكان لا بد من إخضاع الخمسة الباقين بالقهر والغلبة .

وقد هاج هائج الألمان لهذه الأساليب الحربية ، وعجبوا كيف يطيق إنسان من البشر أن يمضي في تنفيذها ! وهم يتساءلون : أنى للطعام الروسي من الخبز الأسود ، وحساء الكرنب ، والشاي ، أن يبعث في الروسي هذه الحيوية وهذا العزم الذي لا يلين على مواصلة القتال ، وكل شيء حوله يقطع الرجاء ويغري باليأس ؟ وكيف صحّ للجندي الروسي أن يكون هذا الخصم المخوف ، وهو لا تعدل سترته المبطنة كاللحاف ونعله المصنوع من اللبد ، ما يلبسه النازي من كسوة رشيقة ؟

وجاء مسلك الجندي الروسيّ مناقضاً لمنطق العقل التيوتوني ، ولم يزل يثير حنق الجنس الألماني « سيد الأجناس » سنتين

كاملتين . ولقد حدث فى يونية سنة ١٩٤١ أن وقع فى الشرك جيش روسى ، فانقطعت به الأسباب ما بين مدينتى بياليستوك ومنسك وأبيد عن آخره ، فهل سرت من ذلك هزة سرور فى صفوف الألمان ؟ حسبك أن تقرأ ما كتبه فى ذلك الحين علم من أعلام المعقبين الحربيين هو الكولونيل سولدان ، قال :

« إن الفرق بين الروسى فى موقعة تانينبرج سنة ١٩١٤ ، وبين الروسى فى موقعة بياليستوك ومنسك عام سنة ١٩٤١ ، هو أن الأول سلم حين حوصر ، وأما الثانى فقاتل إلى النهاية الفاجعة . والأمر على غير ما عهدنا فى معارك بولندا وفرنسا . فالروسى فى أحرج المواقف التى لا ترى فيها بارقة من أمل ، تراه يزحف زحفاً لقتالنا . وليس بين الروس إلا عدد قليل لا يعتدّ به يطرح السلاح ويسلم تسليم المقاتل الكريم العاقل ، أما السواد الأعظم منهم فيؤثرون القتال حتى النهاية » .

كذلك عرض الكولونيل سولدان على قرائه ما رآه بفكره الثاقب من مزايا قيادة العدو فقال :

« والروسيون أول من لمسوا الحقيقة التالية وذكروها فى كتبهم ، وهى أن التطور الحديث جعل من الممكن أن تعود مرة أخرى معارك الإبادة والفناء التى دارت عامى ١٩١٤ ، ١٩١٥ . فبينما نرى الفرنسيين والإنجليز مستمسكين بنظرية الدفاع ، نرى الروس مؤمنين أشد الإيمان بقوة الهجوم . وهذا هو السبب فى أننا قد لاقينا هنا ، فى الميدان الشرقى ، عدواً له ما لنا من المبادىء والتدريب والعدة » .

وقد ورد تقدير ألمانى آخر للمقاتل السوفيتى موجز العبارة فى أحد كتب التدريب الرسمية : « ينتفع الروسى أتم انتفاع بما أوتيه ، من إدراك عجيب لاتجاه المواقع ، ومن إتقان لفن الإخفاء والتعمية ، ومن صدق الرغبة فى الالتحام بالعدو . وكثيراً ما يترك الروس وراءهم رقباء يتخذون مكانهم فى الأشجار فى حذق ومهارة ، ليرشدوا المدفعية بواسطة آلاتهم اللاسلكية إلى المواضع التى يصبون عليها نارهم وإن تعرضوا هم أنفسهم لهذه النار » .

ويفخر الألمان بأنهم « جند من حديد » . ولكن كثيراً ما يجد « الرجل الحديدى » نفسه ، ينظر نظر المعجب المغيظ إلى الحديد نفسه مصبوباً فى تجاليد الجندى الروسى . ومن ذلك ما يقوله الجاويش الألمانى الذى يوافى صحيفة « نجماين تسيتونج » الألمانية بصورة موجزة عن الحياة فى الميدان الشتوى المتجمد :

« ترى الدبابات المحترقة المهجورة مبعثرة فى الأرض الحرام بين معسكرى الفريقين ، ولكنها لا تخلو من المتصيدين الروس بمناظيرهم المقربة ، وبنادقهم مسددة على أكتافهم ، متربصين يرقبون من يظهر منا ليل نهار . وثمة يقبعون وينتظرون ، فى عناد وفى جلد لم يظفر بمثلهما أحد غير الروسى وجيوبهم مملوءة بالحبوب يقتاتون بها . وقد تقع لهم بين الحين والحين زجاجة من الفودكا . وإلى جانب كل واحد منهم كيس من الذخيرة . وعلى هذه الحال يظلون فى أماكنهم منتظرين ، معزولين لا عون لهم — ولكنهم مع ذلك خطر محقق مبين — متحصنين فى الدبابات وراء بوصتين من الصلب ، فى تلك المنطقة الحرام » .

وقد أخذ كاتب عسكرى آخر على نفسه شرح الأمر فى المجلة الحربية الألمانية «ملتار وشنبلاط » فخرج من بحثه إلى أن الروسى ليس إنساناً كباقى الناس ، بل هو : « شىء طارىء على عالمنا من خارجه » ، وهو : « ذو غريزة حيوانية قوية متأصلة ، تجعله لا يحس الزمهرير ، ولا تلين قناته الشدائد ولا يعصف بصبره الألم » ، وإلا : « فكيف كان منه هذا الهجوم على الدوام ، مهما تكن كفته مرجوحة وظروفه غير مواتية ؟ » أما الألمانى العاقل فلا يعرف الهجوم إلا أن تكون معه قوات زاخرة تسنده .

وحب الجندى السوفيتى للكدح ، وانكبابه على العمل ، شوكة أخرى فى جنب الألمانى . فهو لا يكتفى بما فرض عليه بل ينطلق يبحث عن عمل يعمله . فقد يذهب ليشق طريقاً فى موضع من المواضع لا ينتظر أن يقع فيه عمل حربى فى القريب العاجل ، فى حين أن الجند النازيين « إذا تراخت المعركة وفترت حدّتها ، كانوا أميل إلى الكسل » .

ولقد كتب جندى ألمانى من ميدان القتال يشبه الروسى « بحيوان لا يعرف له اسم ، فى أمريكا الجنوبية ، يستطيع أن يحفر فى طرفة عين نفقاً فى جوف الأرض الصلبة يحتمى به . والروسى مثله فهو يفوقنا فى حفر الخنادق التى يتحصن بها » .

ولقد أظهر الروسى تفنناً لا يسر الألمان. فقد ابتكر ما يسمونه « كوكتيل مولوتوف» ، وهو جهاز يتألف من زجاجة فارغة من زجاجات الفودكا ، فيها البترول المكرر يستصفيه من الدبابات المعطلة ويصبه على ألياف القطن من بطانة كسوته ، فكان هذا الجهاز قذيفة شديدة الفعل تضرم النار فى دبابات العدو وسياراته . وقد كتب أحد المعقبين من النازيين يحث زملاءه : « أن يظلوا متنبهين متحفزين — وإلا فليوطنوا

أنفسهم على موت داهم ، فالروسى حرىّ بأن يظهر فى أى مكان ، وكأنما يتولد من الهباء ورقيق الهواء » .

وأبلغ شاهد على ما يختص به الروسى من الصبر الذى لا ينفد والإقدام العجيب النادر ، ما وقع عند الاستيلاء على بلدة فى أثناء الهجوم المضاد فى شتاء عام ١٩٤١ فقد ظل المشاة الروس عدة ليال متتاليات — وهم فى ثياب بيض وأسلحتهم ملففة بالبياض — يزحفون إلى الأمام فى سهل واسع أجرد لا شجر فيه ، تغطيه الثلوج ، وتتناثر فيه نقط سود هى مراكز الألمان الأمامية . وكانوا قبل بزوغ الفجر من كل يوم يمسحون آثارهم على الثلج ، ثم يقبعون فيه مختبئين ، ويستقرون بلا حراك سحابة النهار كله ، وهم تحت عيون الرقباء الألمان . فإذا خيم الليل استأنفوا دبيبهم الخفى البطىء إلى البلدة المقصودة . وفى آخر الأمر شارفوا المكان ، فهجموا هجمتهم عند انبثاق الفجر ، وكانت المفاجأة تامة وتلقى الألمان مرة أخرى درساً قاسياً .

ولقد لخص الكابتن شوت أحد ضباط الجيش الألمانى هذه المزايا التى يتصف بها المقاتل الروسى فى التعاليم التالية التى نشرها أخيراً فى « ملتار وشنبلاط » ، يخاطب بها « الجندى الذى يحب أن يخطئه الموت فى روسيا » . وهذا الخطاب ولا شك ثناء غير مقصود على الروسيين — قال الكابتن الألمانى :

« على الجندى فى الميدان الروسى أن يكون صياداً . فإن أعظم ما يمتاز به الروسى على الألمانى هو ما عنده من قوة السليقة وإلهام الغريزة ، ومن عدم تأثره بتقلبات الجو وأحوال الأرض . فينبغى لكل رجل أن يحسن كيف يخطو على حذر ، وكيف يدب دبيباً كما يفعل الصيادون . .

« على الجندى فى الميدان الروسى أن يكون حاضر البديهة ، فالروسى أستاذ فى حضور بديهته ، فهو يقذف بالقنابل من الطائرات الشراعية ، ويحسن استخدام ما يغنمه من سلاح العدو فوراً من غير إبطاء . ولقد تلقينا عنه طريقة بناء المآوى المتنقلة لفصل الشتاء ، من رقائق ألواح الخشب ، وطريقة إنشاء الطرق فوق المستنقعات من جذوع الشجر .

« على الجندى فى الميدان الروسى أن يكون دائماً مستعداً للحركة ، فإنه لا يكاد يمضى يوم لا يحاول فيه الروس — ولو كانوا ضعافاً — أن يحملوا على صفوفنا . وهم يعملون يوماً بعد يوم على تحسين مواقفهم .

« على الجندى فى الميدان الروسى أن يكون يقظان ساهراً فالروسى يهجم فى أثناء

الليل وفى أثناء الضباب . وينبغى لمن كان فى جبهة القتال أن يقوم الليل ويستريح فى النهار ، ولكنه لا يكاد يكون ثمة فرق فى روسيا بين رجال المقدمة ورجال المؤخرة . وكل من بدا له أن يضع سلاحه ساعة فى هذا الميدان الشرقى، فما وراء حدود الريخ فقد لا تمضى عليه لحظة حتى يندم ولات ساعة مندم .

« على الجندى فى الميدان الروسى أن يكون جليداً صبوراً . فالرجال حق الرجال هم المطلوبون للقتال فى درجة ٤٠ تحت الصفر، أو أشد حرارة فى الصيف ، أو فى أوحال تبلغ الركب ، أو فى التراب السافى الكثيف. وكثيراً ما يكون لضحايا الهجمات الروسية منظر رهيب ، فيجب على الجندى الشاب أن يألفها رابط الجأش . إن أقران الروس فى الحرب هم الرجال الذين لا يفقدون رباطة جأشهم فى حومة الموت » .

هذه صورة الجندى الروسى قد صورها أحق الناس بمعرفته — ونعنى بهم أعداؤه . فهو صلب العود مقدام ، واسع الحيلة ، شجاع ثابت العزم . لقد وصف الروائى الإنجليزى والتر سكوت فى مارميون « ذلك الفرح الشديد الذى يشعر به المقاتل حين يجد خصمه أهلا لمقاتلته » . ولكن شعور الألمان بأدنى فرح من هذا القبيل أمر مشكوك فيه ، والأقرب إلى الواقع أن يكون شعورهم شعور القابض على ذيل النمر !



حياة الفنان

شوهد ثورفولدسون المثال الدانماركى وهو ينتحب أمام آخر تمثال له ، فسئل لم ينتحب ؟ ألم يرضه التمثال ؟ فأجاب إنه لم يجد عيباً فيه فأدرك أن الضعف أخذ يتطرق إلى مخيلته

(جون أومان)

كلاهما واثق ولكن ...

عند ما يقول الزوج : « إننى أثق بزوجتى » ، فهو يعنى أنه يثق بها .
وعند ما تقول الزوجة : « إننى أثق بزوجى » فهى تعنى أنها واثقة بنفسها .

(فرنسيس ده كرواسه)

إن بدت الأحلام سخيفة مسرفة فى الخيال ، فإنها تؤدى لنا خدمة مفيدة

الأحلام: حماة النوم

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن مجلة « يور لايف »

تعد الأحلام من أعجب ما يقع لنا فى حياتنا . وقد نسجت أخبارها فى آداب جميع اللغات ودخلت فى تواريخ جميع الشعوب . و « كتب الأحلام » التى تروم أن تفسرها تباع كل سنة بالملايين .

فما هى تلك الرؤى التى تخلو فى كثير من الأحيان من المنطق والمعنى ، والتى تتراكض فى رءوسنا وقت النوم ؟ أهى مخلفات عقل نشيط خالية من المعنى أم هى تقوم على تحقيق غاية نافعة ؟

لقد وجهت هذه الأسئلة وغيرها إلى أطباء النفس المعروفين . وكل باحث كبير فى مسائل العقل البشرى قد أرصد جهداً عظيما لبحث مشكلة الأحلام . وفى وسع العلماء الآن أن يوضحوا من بعض غوامضها ما يبدد حيرتنا .

وهم يقولون إنه ليس للأحلام علاقة ما بالمستقبل ، لأنها ثمرة الماضى والحاضر . وهى على الرغم من مظهرها المضطرب تسير على نظام ، وتتبع نماذج معينة ، وبعضها نماذج يشترك فيها البشر جميعاً . لأن الحلم وظيفة أصلية من وظائف العقل ، وله غاية مفيدة . فالأحلام حماة النوم .

وقد يدهش هذا الرأى جمهور الناس الذين يميلون إلى اعتبار الأحلام مزعجة للنوم . وقد انقضت أربعون سنة منذ ذهب فرويد أولا إلى أن الأحلام تحمى النوم ، فلم يقبل العلماء على الأخذ به إلا رويداً رويداً . ومعظم الأطباء يسلمون الآن بأنه مذهب سليم من الناحية الطبية .

والنوم ضرورى للجسم البشرى السليم كالطعام والشراب . فخلايا جسمك تدخر — خلال نومك — طاقة من النشاط تهيئك لتحمل العناء فى اليوم التالى . ولو لم يكن العقل الواعى العامل المتحفز الحافل بالآمال والهموم — ينام هو أيضاً ، لكان استجمام النشاط بالنوم عملا مستحيلا .

ولكن هذا العقل الواعى ما هو إلا جزء من العقل البشرى . أما سائره فهو العقل الباطن ، مستودع التجارب « المنسية » . وهذه الذكريات الغامضة المختبئة قد تحدث رجعاً فى النفس له من السيطرة ما لشواغل

النهار الذى لم يكد ينقضى . ولو أتيح لهذه الذكريات طريق تنفذ منه إلى العقل لأيقظتنا . ولذلك تزودنا الطبيعة بما يحمينا منها ، وهو الحلم الذى يحرص على إخفاء معالم محتويات هذا العقل الباطن ، فيجعل عناصر الحلم أقل ما تكون إزعاجاً للنوم . وعند ما نستيقظ ونتذكر ما حلمنا نجد فى الأغلب أن هذه الأحلام سخيفة أو مسرفة فى الخيال .

إن علم النفس يقرر أن للأحلام ثلاثة دوافع . أما أولها : فهو « المنبهات » التى تصل إلى حواسك النائمة من خارج العقل ، من شئ يحدث فى الغرفة أو شىء يزعج الجسم . أما الدافع الثانى فهو « مخلفات النهار » ، أى ما قرب عهدك به من الأفكار والهموم التى تتلكأ فى مكانها من العقل ، بعد أن تأخذك سنة من النوم . أما الدافع الثالث : فهو تلك « الاختبارات المنسية » ، والرغبات التى تنبعث من العقل الباطن .

فالأحلام التى تحدثها المنبهات الخارجية توضح لنا وظيفة الحلم فى حماية النوم من الإزعاج . فهناك مثلا « حلم العطش » ، وهو حلم مألوف لروّاد الصحارى ، فهو خليق أن يطوف بأى إنسان تقريباً . امتنع عن الشرب مدة قبل أن تأوى إلى فراشك ، وكل طعاماً مالحاً ، فسيبلغ منك العطش أثناء النوم مبلغاً يجعل نومك عرضة للقلق . وعندئذ قد تحلم بأنك تعبّ الماء عبًّا ، وكأن الحلم يقول لك : « أنت عطشان . لا . لا . كيف تعطش مع كل هذا الماء ؟ » وبعدئذ تنام هانئاً بنومك ، إلا أن يلح عليك العطش حتى يعجز الحلم بعد ذلك عن حمايتك من إزعاجه .

وفى حلم « الساعة المنبهة » تجد صلصلة الساعة قد نسجت ببراعة فى قصة تسكن النفس إليها . إن ما تسمعه ليس ساعة منبهة تقول لك : استيقظ . كلا . بل أنت فى فناء كنيسة ونواقيسها تقرع ، أو أنت تزور مكتباً فيه تليفون يدق . وذلك أن الحلم ، حين يوجد ما ينبهه ، يعمد إلى ما تراكم من الحوادث التى مرت بك فى حياتك ، فيستمد منها العناصر ليكتب القصة ، ويعد المسرح ، ويهيئ الممثلين . وأخيراً تستيقظ فى أكثر الأحوال بعد أن يعجز الحلم عن حماية نومك ، ولكنه مع ذلك قد بذل غاية جهده . وقد يغلبك النوم — بعد هذه اليقظة — فتعود وتحلم أنك فى مقر عملك وقد تعود إلى النوم .

وقد دوّن الدكتور ألفريد مورى العالم الفرنسى عدداً كبيراً من الأحلام التى أحدثتها منبهات مفتعلة . فكان أحد مساعديه يأتى ، ليلة بعد ليلة ، فيوجه إليه وهو نائم منبهات حسية مختلفة . فإذا استيقظ

دوّن صفة أحلامه ، قبل أن يعرف نوع المنبه الذى وجه إليه . فإذا قرب إلى أذنه طنين خفيف بات يحلم أنه يسمع قرع النواقيس . أما بخار الكبريت من عود الثقاب فيجعله يحلم باشتعال النــار . وأما الضــوء الملون ، إذا لوّح به أمام عينيه ، فهو يرمى به فى عاصفة تلمع فيهــا البروق . ولـكنه فى جميع تلك الليالى كان يظلّ مستغرقاً فى نومه ، أى أن الأحلام قد أدت وظيفتها .

أما أحلام « مخلفات النهار » فهى تنزع غالباً إلى حوادث اليوم السابق التى لم تتحقق فيها رغباتنا . مثال ذلك : أن صبية ركبت قارباً للنزهة فى حديقة ، فلما جاء أوان العودة إلى المنزل ، أبت وأرادت أن تبقى فى القارب . ففى تلك الليلة كان لها ما أرادت ، ولـكن فى الحـلم . وذلك أن رغبتهـا فى استمرار لهوها ظلت قوية ، حتى أنها كانت خليقة أن توقظها من نومها ، لولا أن الحلم صانها وحماها .

وشبيه بذلك رجل نشيط حبسه المرض فى مستشفى ، فظل طول نهاره يتحرق غيظاً لهذه البلادة الإجبارية ، فصار يريد أن ينهض ويعمل ، وبات تلك الليلة يريد ذلك وهو فى نومه ، ولذلك هيأ له الحلم نزهة طويلة بهيجة . فسار أميالا يعلو وينحدر على ضفة النهر ، ويستكشف مسالك فاتنة على طول الطريق .

وهذا مراجع حساباتك الجديد الصلف المتبجح ، قد ملأ عليك مكتبك ضجيجاً من أجل بعض حساباتك ، ولم تزل طول ليلتك متبرماً به حتى اجتاح راحة نفسك . فلذلك يعود بك الحلم إلى مكتبك ، وإذا الـكاتب هناك أيضاً ، وإذا على رأسه قبعة غريبة كأنها قبعة أبله ، وقد ارتدى ملابس صبى صغير بحار ، وركب عجلة طفل وهو يحرك (بدالها) برجليه . فيقول لك الحلم : « لماذا ! إن هو إلا مهرج سخيف قليل العقل ، فلم تـكترث بما يقول ؟ امض فى نومك ولا تبال به » .

أما الأحلام التى تنشأ خواطرها المقلقة للنوم من العقل الباطن ، فهى تتغلغل إلى أعماق الزوايا الخفية فى العقل . فهل تذكر مثلا « حـلم الطيران ؟ » فقد طرت فوق رءوس الجمهور ، ودنوت فى طيرانك من سطوح المنازل وقمم التلال ، وسرت فى الجو سعيداً لا يعوقك شىء . إنك فى حلمك هذا تعبر عن رغبتنا المشتركة فى أن نظفر بالقدرة على قهر المصاعب والعقبات .

بل لقد وجد الأطبـاء أن الأحلام التى لا تسر ، كثيراً ما تقوم بحماية النوم قيـام الأحلام التى تسر وكل الناس — مثلا — يعرف « حـلم الامتحان » . فقد رجعت ثانيــة إلى الـكلية أو المدرسة ، ويجرى الامتحان فى مادة أتقنت دراستها ولـكنك

لا تتذكر الإجابة الصحيحة عن أى سؤال فيها . وهذا الحلم قد أثاره القلق على مشكلة ما يجب عليك أن تواجهها . وهذه هى طريقة العقل فى تذكيرك بمشكلة أخرى قد حلت حلا موفقاً . وكان الحلم يقول لك : « تلك مشكلة قد صح لك حلها ، وستحل هذه كذلك ، فلا تقلق » .

وقد يكون الدافع إلى حلم السقوط دافعاً جسمياً أو عاطفياً . ويعتقد كثير من علماء النفس أن تذكر خوف السقوط من مكانتنا الاجتماعية له بعض الأثر فى هذه الأحلام ، أو أن أجهزة الدماغ المحكمة ربما كانت قد سجلت اختلالا فى مضجع الجسم على الفراش .

ألم تحلم مرة بأنك فى مكان عام وأنت عريان ، أو لم تتم ارتداء ملابسك بعد ، فيعصف بك الخجل مما تورطت فيه ، ولكن يلوح لك أنه ما من أحد يلاحظ ما أنت فيه غيرك ؟ ويظن بعض الباحثين أن طرح الغطاء عن الجسم فى النوم قد يؤدى إلى هذا الحلم ، ويعزوه آخرون إلى الرغبة العامة فى التحرر من العرف .

أما بعض « أحلام المستقبل » التى تصدق نبوءتها ، والتى يرويها قوم لا ريب فى صدقهم ، فيفسرها علماء النفس ، بأنها مصادفة واتفاق . وأما البعض الآخر فيفسر على أنه خدعة من خدع العقل الباطن .

وقد رأى طبيب فى نومه — وكان يهوى جمع بيض الطيور — أنه كان سائراً فى طريق مألوف له ، فاعترضته شجرة فعثر فيها على عش مملوء بيضاً ملوناً جميل الألوان . فذهب فى الصباح التالى ليبحث عنه ، فوجد البيض فى عشه على الشجرة . ولكن الطبيب لم يعد هذا الحلم نبوءة عن المستقبل ، بل فسره فقال : لم ألاحظ أنا هذا العش من قبل، لأن عقلى كان مشغولا بأفكار أخرى، وإنما لاحظه الجزء غير الواعى من عقلى ، وأبلغنى ذلك فى أول فرصة » .

ويذهب الدكتور مورى إلى أن الحلم الطويل الفصل قد لا يستغرق إلا بضع ثوان، ولكن من الباحثين من يعتقد أن ذلك يتوقف على الحالم نفسه . فالدكتور بلايفير الطبيب النفسى فى مستشفى سان بارتلوميو فى لندن يقول : « إذا كان خيالك خيالا حياً سريعاً فحلمك كذلك يستغرق زمناً نسبياً قصيراً . وإذا كنت مفكراً بطيئاً مرتباً كان زمنه أطول » .

يقول العالم النفسى: ليس لنا سلطان ذهنى على أحلامنا . وإذا شككت فى هذا فحاول أن تطبع ذهنك بالأشياء التى تريد أن تحلم بها ، واعزم على أن تستيقظ إذا لم يأت الحلم وفقاً لنيتك . ولو حاولت ذلك لأخفقت فى

الحالين ، ولذلك فنحن غير مسئولين عن أحلامنا على أى وجه . أما أصحاب النفوس المطهرة الذين تسوءهم الأمور الجنسية ، والخطيئات التى تتمثل فى أحلامهم ، فعليهم أن يذكروا أن القديس أوغسطين حمد الله على أن لم يجعله مسئولا عما يرتكب فى أحلامه . وكل إنسان قد ورث فى نفسه شهوات ودوافع يجب أن تكبح ، فلما حبست خارج العقل الواعى تسللت لتظهر فى الأحـــلام . ويحيلنا الأطباء على كلمة أفلاطون وهى: أن الرجل الفاضل يقنع بأن يحلم فى نومه بما يفعله الشرير فى اليقظة .

وعند ما يكون عامل إزعاج النوم أقوى من الحلم ، فقد يبلغ الحلم مبلغاً عظيما من العنف والذعر ، فيستيقظ النائم وقد اعتراه العرق البارد ، وقلبه يدق . ويكره الأطباء أن يصدروا أحكاماً عامة فى سبب هـذه الكوابيس . فقد تنشأ عن اختلال فى الهضم أو اضطراب فى العواطف ، أو عن عادات سيئة فى طريقة النوم . فالنوم على الظهر مثلا مع الغطاء الثقيل على الصدر ، قد يجلب الكابوس . والكتب الطبية لا تكاد تشبع تطلع الجماهير فى أمر الأحلام ولذلك يتساءل الناس : « لماذا يحيط الأطباء تحليل الأحلام بستر فى الخفاء ؟ » .

والجواب على هـذا أن الدراسة العلمية للأحلام معقدة جداً ، وهى من شأن الخبير المتخصص . وما يعنى به الطبيب ليس تفسير الحلم بل ما وراء هذا الحلم من أفكار . وكثير من العلماء النفسيين المحدثين يتوسلون بأحـــلام ضعاف العقل ، فيتلمسون منها طريقهم إلى الذكريات الدفينـة ، ليعرفوا السبب الأول للمرض .

والأحلام فى نظر الرجل العادى أعمال طبيعية مثل الأكل والتنفس والنوم . وقد قال أحد الأطباء : « مهما يكن الحلم الذى رأيت ، ومهما يكن الرجع الذى حدث لك فى اليقظة من أثر هذا الحلم ، فاسأل نفسك : هل نمت واسترحت ؟ فإذا كنت قد نمت فقد أدى الحلم وظيفته . وإذن فانس الحلم » .

والمألوف أن يقال عنـد الفراق قبل النـوم : « لتكن أحـلامك سعيدة » ، ولكن علم النفس الحديث يجعلها : « لتكن أحلامك موفقة » ، فالأحلام الموفقة هى التى تتيح لنا النوم الهادئ المريح ، وهـذا هو كل ما نريد .



تراب المعادن يخوض الحرب

روبرت ماركس وهارلند منشستر

ملخصة من مجلة « فوربس »

هل هناك ما هو أعجب ، أو أمتع من كومة من تراب دقيق خفيف تكاد العطسة تطيره ، تراه بعينيك تراباً فإذا هو يتحول إلى قطع جامدة صلبة من آلة ؟

فى مصانع كريزلر الشهيرة ، قسم يدعى قسم تراب المعادن . وعلى رأسه مدير هو أندرو لنجهامر . زرته ، فرفع لى قطعة من مدفع ، ثم قال : « انظر إلى هذه . إنها قطعة من مدفع كانت تؤرق ليل الصانع لما يلقاه من العنت فى صنعها ، وكان يقضى فى تشكيلها على حذقه ساعتين ، أما اليوم فلا يستغرق غير ثوان . وقد أصبح ضغط أمثال هذه القطعة من تراب المعادن يوفر علينا — فى صنع حاملة المدفع — مجهود ٢٤٠ رجلا فى ساعة . ومع ذلك لا يقع هذا الاقتصاد على حساب الجودة ، فنحن نصل بهذه الطريقة إلى ضبط المقاييس إلى جزء من ألف من البوصة » .

ليست هذه الصناعة بالجديدة ، ولكن تقدمها — منذ بدأت هذه الحرب — يعد معجزة ميكانيكية . وليس فى أسسها شىء عويص ، فكل ما فيها أن معدنين أو أكثر يخلط تراباهما ، ثم يصب الخليط فى قالب ، ثم فى سرعة يهبط عليه مكبس يضغط ما فيه بقوة قد تبلغ عشرين طناً . فينتج عن هذا قالب من المعدن يوصف عندئذ « بالنيء » . وتظهر هذه القوالب المعدنية « النيئة » كأنها صلبة ، ولكنها فى الواقع هشة تتفتت ، لو أنت ضغطتها بين أصابعك . فإذا خبزت فى أفران ، درجة حرارتها دون متوسط درجة انصهار الخليط ، انقلبت صلبة . وهذه التقوية بالكبس والحرارة عملية تفسيرها لا يتفق عليه اثنان . فبعض الخبراء يقول إن الضغط والحرارة يجعلان سطوح ذرات التراب المعدنى يلتصق بعضها ببعض . ويقول آخرون : بما أن أحد هذه العناصر المعدنية يسرع إلى الانصهار قبل غيره ، فهو يهيء للخليط مادة لزجة تشد ذراته بعضها إلى بعض . ومهما يختلف تفسيرهم فإنهم جميعاً يتفقون على أن المواد تدخل الفرن ضعيفة ، ثم تخرج متماسكة قوية .

وقبل موقعة ميناء بيرل ، كانت قطع الآلات التى تصنع من تراب المعادن ، أجزاء صغيرة الحجم بسيطة الشكل فى الغالب ، حتى سماها المهندسون « حبوباً » . فقد كان المعتقد أنه من غير الممكن صناعة قطع

تزيد وزنها على ثلاثة أرطال ، أو يخرج شكلها عن تلك البساطة المعهودة .

ثم كان أن تطلبت الحرب الميكانيكية الحاضرة ، السرعة فى إنتاج قطع معدنية للآلات ، على آلاف مؤلفة من الأشكال والأحجام ، فلبت هذه الصناعة بكفاية ، تلك المطالب . واليوم نجد الطائرات والسفن والدبابات والعربات وحوامل المدافع والراديو والقاطرات فى أمريكا تستخدم ألوفاً من قطع الآلات المصنوعة من تراب المعادن . وأصغر قطعة منها تزن جزءاً من عشرين من الأوقية ، وأكبر قطعة أخرجت إلى اليوم كرة لمحور دبابة ، وهى تزن ٦٥ رطلا . وفى العام الذى مضى ، وفرت هذه الصناعة من مجهود الرجال مايساوى مجهود ٢١٠٠٠٠٠ رجل فى ساعة ، فى إنتاج سلاح واحد . فلو حسبنا قيمة ما توفره من الوقت ، لأفضى بنا حسابها إلى أعداد لا نهاية لها .

وقطع الآلات التى لا سبيل إلى صنعها بغير هذه الطريقة هى التى تصنع من تراب المعادن . ومن الأمثلة الرائعة كرات محور العجلة التى تزيت نفسها بنفسها ، فهى تمتص الزيت كما يمتص الاسفنج الماء ثم تخرجه شيئاً فشيئاً طول بقائها ، وكثيراً ما يكون بقاؤها أطول من بقاء الآلة نفسها . أما كيف تصبح كرة المحور ذات مسام تمتص ، فذلك بأن تضاف إلى تراب المعادن مادة سهلة التطاير . فإذا خبزت ، تطايرت من الحرارة وتركت موضعها فارغاً ، فتتكوّن شبكة من أنابيب دقيقة تمتص من الزيت مايبلغ ٣٥ فى المائة من حجم القطعة نفسها .

وإذا أنت وضعت قطعة من هذا المعدن بعد امتصاصه الزيت ، بين فكى منجلة وضغطت عليها ، أفرزت قطرات دقيقة من الزيت من مسامها . فإذا أنت فككت المنجلة وارتفع الضغط ، امتص المعدن تلك القطرات . وهكذا تعمل كرات المحور التى تزيت نفسها بنفسها فى الدبابة . فكلما زاد جهد الدبابة زاد إفراز الزيت من كرات المحور ، فإذا توقفت الدبابة امتصت الكرات الزيت ثانية ، وهذا النوع يخفف عن جنود الدفعية كثيراً من متاعب التزييت .

وفى الأقطار التى تنزل درجة الحرارة تحت الصفر لا يتجمد زيت هذا النوع ، كما يتجمد زيت النوع الآخر الذى يتولى الجنود تزييته . وفى الصحراء المتوقدة لا يسيل زيتها فيضيع سدى . وهكذا لا يقتصر توفيرها للزمن على الزمن فى المصانع ، بل يتعداه إلى زمن المحاربين فى الميدان ، حيث التأخر معناه أرواح ضائعة .

وقد ظفرت صناعة تراب المعادن بأروع انتصار ، إذ وقفت — منذ سنوات — إلى

عمل آلة قاطعة من كربيد التنجستون ، تقطع الفولاذ كما تقطع الجبن السكاكين . وتفسير هذا أن: « التنجستون» معدن من أصلب المعادن ، وهو مع ذلك من أهشها وأسرعها إلى التهشم، فلايمكن صبه أوخرطه كما تصب وتخرط معادن أكثر منه ليناً ، ولكن يمكن سحقه ، وخلطه بمواد أخرى ، ثم كبسه فى الشكل المطلوب ، ثم خبزه . والنتيجة سكين قاطعة قد تسخن عند العمل فتبلغ سخونتها درجة ٣٠٠٠ من درجات فهرنهيت ، ومع هذا لا يتأثر حدها القاطع من ذلك أبداً . وقد خرطت إحدى الآلات القاطعة المصنوعة من « التنجستون » ، رءوس ١٠٠٠٠٠٠ من القنابل الثقيلة وشكلتها دون أن ينثلم حدها . وقد جاء فى تقرير أحد المهندسين : أن بعض الآلات القاطعة التىتدور بسرعةعظيمة ، ينثلم حدها الفولاذى القاطع بعد عمل ست ساعات ، فلما استبدل حدها بحد من كربيد التنجستون ، اشتغلت تسعين ساعة ولم تنثلم .

والمعادن التى لا يمكن اتحادها بالطرق العادية ، تعالج بأن تنسحق ، ثم يخلط ترابها ثم تكبس ثم توضع فى الأفران ، فتتحد وتتآخى . وبهذه الطريقة يجمع مثلا بين معدنين لهما صفات مختارة ، ويزاوج بينهما فى سبيكة واحدةمزاوجةمصطنعة، تؤدى إلى الغرض المطلوب، وهوالجمع بين هذه الصفات المختارة فى كلبهما . مثال ذلك أن النحاس موصل جيد للكهرباء ، ولكن عيبه أنه ينصهرفى درجة حرارة واطئة، والتنجستون يقاوم الحرارة فلا ينصهر إلا فى درجة حرارة عالية جداً . فمن البديهى الجمع بينهما والانتفاع بمزاياهما . ولكنك إذا مزجتهما بالنار ، انصهر النحاس وتبخر كله قبل أن يبلغ التنجستون درجة الانصهار . ولكنك إذا صيرتهما كليهما إلى تراب ثم خبزتهما معاً اتحدا اتحاداً سهلا . وقد نتج من اتحادهما اليوم معدن جديد يمتاز بأنه موصل جيد للحرارة، وأنهيحتمل الحرارة العاليةللقوس الكهربائية التى تستخدم فى لحام المعادن .

ولا يزال المخترعون يخترعون كل يوم شيئاً جديداً يستخدم له تراب المعادن . من ذلك أن إرل پاتش ، بشركة جنرال موتورز دخل مصنعه يوماً وبيده كنكة قهوته ، واقترح على رجال الأبحاث فى المصنع أن يصنعوا لها مصفاة من معدن ذى مسام . فصنعوها على هذه الطريقة ، إلا أن ثفل البن دخل مسام المصفاة ، فانحبس فيها ، ثم تحلل ففسد . ولكن ما أسرع ما انتفع هؤلاء الرجال بالفكرة ، فقلبوا مصفاة القهوة إلى مصفاة زيت ، تصفى الزيت من وسخه فى محركات دزل . وهو اختراع

يحمده رجال الدبابات حمـــداً كبيراً .

وخطر لشركة كبيرة تصنع الآلات الكاتبة ، أن المعدن ذا المسام إذا تشرّب الزيت ، فهو يتشرّب الحبر أيضاً ، فصنعوا آلة بغير شريط ، وجعلوا حروفها من برنز كثير المسام يمتص الحبر ، ويقال إن إشراب الحروف بالحبر مرة واحدة يكفيها لكتابة بضع مئات من ألوف الكلمات .

وصنع كريزلر غرابيل رفيعة الأسلاك من تراب النحاس . فجاء به فضغطه فى مكابس على الأشكال التى أرادها ثم خبزها ، فلم تعد له حاجة إلى نسج الأسلاك وأسلاكها لا ترتخى ولا تتفكك ، لأن نقط تقاطعها جميعاً ملتحمة ، وهى من أجل هذا تنفع كل النفع لأعمال المعامل الدقيقة .

ويتنبأ المهندسون بأن الأشياء المعدنية البسيطة على اختلافها ستصنع من تراب المعادن ، فتخبز كما تخبز الفطائر . فالذهب والبلاتين ، والفضة ، يمكن خلطها بمعادن أصلب منها ، فتصاغ منها دفعة واحدة مقادير كبيرة من الحلى تكون أبقى على الزمن ، وقد تحتاج إلى صقل قليل بعد خروجها من الفرن ، وقد لا تحتاج إليه البتة .

وتراب المعادن أغلى ثمناً من المعادن نفسها ، لما يتكلفه سحقها وتحويلها إلى تراب . والطريقة التى تحول بها المعادن السريعة الانصهار إلى تراب ، هى أن يسلط تيار قوى من منفاخ هوائى على سائلها المنصهر ، فيتناثر ويصير ذرات معدنية . وأما المعادن الأخرى فتسحق تراباً بالتحليل الكهربائى .

على أن ما يتكلفه تحويل المعادن إلى تراب يقابله وفر يذهب بأكثر هذه الكلفة فإن الطريقة القائمة القديمة فى صناعة المعادن لا تزال تضيع ٥٠ إلى ٧٥ فى المائة من المعدن بين خراطة وبرادة . أما صناعة الأشياء من تراب المعادن فلا يضيع معها شىء . وعدا هذا فهى صناعة أكثر عملها بالآلات ، فحاجتها قليلة إلى الرجال ، ويكفى فيها الرجل ذو الحذق المتوسط .

وتتناول هذه الصناعة ثمانية وعشرين معدناً ، كلها تحول إلى تراب ، ثم تمزج على مقادير مختلفة كثيرة ، ويصنع من أخلاطها عشرات الألوف من الأشياء . ويقول الخبراء إن ما تم منها ليس إلا بداية . وتدل البشائر على أنه سيكون فى قدرتها أن تخرج كل شىء من هذه الأتربة : من قطع الساعات الصغيرة إلى عجلات القاطرات الكبيرة ، مع سرعة واقتصاد لم يعهدا من قبل .



معقل للإنسانية فى قلب أفريقية

بن لوسيان برمان



« أحد أولئك الأبطال الذين يقبلون على الأخطار المخوفة ، فيقتحمونها وهم متوحدون مغمورون ، ليستطيع العالم أن يخطو بضع خطوات متعثرة إلى الأمام فى طريقه الوعر الطويل »

أما اسمه الحقيق فلا أستطيع ذكره ، ولنكتف بأن ندعوه « مسيو روك » إلى أن تضع الحرب أوزارها

التقيت به لأول مرة فى أعالى نهر بالغابة الكبرى التى تكون الجزء الجنوبى من أفريقية الفرنسية الحرة ، وهى من أخوف بقاع أفريقية وأشدها وحشة : مستنقع مترامى الأطراف ملىء بذباب « تسى تسى » الذى يحمل معه مرض النوم ، وهو يزخر أيضاً بالبعوض والملاريا الخبيثة ، إنها بقعة عرفت لعدة سنوات خلت ، بمقبرة الرجل الأبيض .

فى هذه المستنقعات الخبيثة انساب نحونا ذات يوم قارب طويل يحمل مسيو روك ، ويتولى تسييره عشرة من الأهالى السود طوال القامة ، يحركون بمهارة مجاديفهم الطويلة ، ويترنمون بألحان حزينة . ولما دنا القارب تبين الرجل الأبيض جماعة من السود كانوا واقفين على الشاطىء أمام أكواخهم ، فهرعوا لاستقباله مهللين لمقدمه ، وأخذوا فى نقل الحقائب والصناديق التى كان القارب محملا بها إلى الشاطىء .

ولقد شعرت فى الحال بما يجذبنى إلى ذلك الرجل الذى أثار مقدمه تلك المظاهرة . كان يبدو فى قسمات وجهه نبل وحصافة وقوة فريدة فى بابها . كان له وجه شاعر ، وعيون متصوف ، وبنية رجل من رجال الحدود الأشداء . وكان يسير فى إثره شخص ضئيل الجسم ، يثير الضحك بهذه

البزة الحمراء الزرقاء التى يرتديهـا جنود المستعمرات الفرنسية ، وكان هذا أول قزم أفريقى وقعت عليه عيناى .

وبينا كان قائد السفينة يقـدمنى إلى المسيو روك ، انحدر إلينا من القرية جماعة من الأولاد والبنات السود ، وأحاطوا به وتطلعوا إليــه بعيون تفيض حباً وإعجاباً ، وأخذوا يتكلمون جميعا بأصوات مرتفعة يهزها الانفعال .

وقال لى مســيو روك : « هؤلاء أولادى » . ولما رأى أنى أخـذت بعض الشىء أضاف : إنهم أولادى قانوناً ، فلقد كنت أتـكفل بالصـداق للزوج الذى لا يستطيع إليه سبيلا ، وفى عرف هؤلاء أن مقـدم الصداق يعدّ والد أول طفل ، ويصبح الطفل ملك يمينه . فها أنت ترى أن لى منهم أسرة كبيرة » .

فلما انتهى قائد السفينة مرن تقديمى قال : « إن مسيو روك سيد هذه الأدغال التى يعيش فيها أقزام « البابنجا » . وكانوا قبل مقدمه يولون الأدبار إذا ما لمحوا رجلا من البيض ، كما كانت تفعـل الأمهـات وأطفالهن أيام النخاسة والنخاسين ، أما اليوم فقد انقضى كل ذلك ، وأصبح مسيو روك ملـكهم » .

وقد سرد لى مسيو روك ، عصر ذلك اليوم ، الـكثير عن نفسه . فقد وصلت إليه أخبار انهيـار فرنسا ، وهو فى معقله بين المستنقعات ، فاتخذ طريقه بين الأدغال وقطع مئات مرن الأميال إلى القيادة العـامة للفرنسيين المحاربين ، كى يستطيع أن يحمل السلاح ضد أعـداء بلاده . وقد اتفق أن التقينا أثناء رحلته هذه .

قال لى مســيو روك فى بساطة : إنى أريد أن أشترك فى طرد الألمان من باريس . فقد كان يحب فرنسا حباً عميقاً ، ولما كان ماهراً فى الرماية ، كان قوى الأمل فى أن يحين الوقت الذى يستطيع فيه أن يســدد سهامه إلى صدور من عاثوا فساداً فى بلاده المنكوبة .

وسرنا بضعة أيام معاً فى الأدغال ، وحيثما ذهبنا سمعت العجب العجاب عن أعمـاله الفريدة بين الأقزام . وإنه لمن الغريب أن ترى القدر يخلق البأس الشديد ثم يوجد له فى اللحظة المواتيـة من يستطيع التغلب عليــه .

وليست الغابة عـدواً للرجل الأبيض فحسب ، بل هى عـدو للسود من سكانها أيضاً . فقد كانت الأوبئة تجتاح هذه المنطقة، وأشرف الأقزام على خطر الانقراض ، حين قدم مســيو روك مبعوثاً من فرنسا بعيد الحرب الماضية ، للاشراف على صحة الأهالى

وقد حاول الأطباء الفرنسيون المرة تلو المرة أن يتصلوا بأولئك الأقزام ليوقفوا سير الوباء بينهم ، ولكنهم لم يتمكنوا حتى من رؤيتهم . ثم ظهر مسيو روك واتخذ له بادئ ذى بدء صحاباً من بين ذوى الأجسام الطبيعية من الأهالى ممن كان الأقزام يتجرون معهم ، واستقر رأيه على أن يكسب صداقة الأقزام بأن يكسب صداقة أطفالهم أولا . فشرع فيما عزم عليه ، واتخذ النقود الفرنسية البراقة ليعطف بها قلوبهم . وسار فى مسالك الغابات التى يرتادها الأقزام ، فإذا بصر بهم ، أخذ يقذف النقود البراقة فى الهواء أو يدحرجها على الأرض ، ثم يختفى فى جوف الغابة .

وبتلك الطريقة نصب شباك صداقته للأقزام . فقد ظهر بعدئذ قزم من أطفالهم ثم تلاه آخرون ، فالتقطوا النقود وأنعموا إليها النظر فى تشوف واستطلاع . فلما انهمكوا فى مناقشاتهم الصبيانية ، اقترب مسيو روك منهم فى هدوء ، فولىّ معظمهم الأدبار ، ولم يبق إلا قليل منهم كانوا أربط من رفقائهم جأشاً وأثبت جناناً . وأخذ مسيو روك يتحدث إليهم ، وكان قد ألم من قبل بشئ من لغتهم ، وجاءت أمهاتهم ، وكن يرقبنهم فى قلق من وراء الأشجار ، للاشتراك معهم . وفى خلال أيام معدودات كان مسيو روك قد تحدث إلى كل فرد من أفراد القبيلة ، من أصغر طفل إلى أكبر رجل حكيم فيها .

ورغبة منه فى كسب ثقتهم اتخذ مقامه بينهم فى محلتهم ، وخرج إلى صيد الفيلة وهى غذاؤهم الرئيسى . وكان يتحدث بالليل إلى زعمائهم وإلى أطبائهم من السحرة ، ويستمع إلى أساطيرهم الخرافية . فلما مرّت أسابيع ، شرع يحدثهم عن الطب ، وينبئهم بخبر تلك الأفاعى الصغيرة (يعنى الديدان) التى تسرى فى دماء الناس ، وعما لديه من تعاويذ للقضاء عليها .

وبينا كان سحرتهم ينصتون إليه ، أخرج مسيو روك حقنة من جعبته ، وأنبأهم أنها تحتوى على تعويذة سحرية تقضى على هذه الأفاعى التى تسبب مرض النوم الطويل . ثم غرز إبرتها فى جسمه عدة مرات ليريهم أنها لا تضر شيئاً . فحملق زعماؤهم وسحرتهم مأخوذين مشدوهين . وسرعان ما اجتمع إليه كل مصاب بينهم بمرض النوم ، فحقنهم وبدأ التحسن على من لم يصل بهم المرض إلى دوره الأخير .

وسرى الخبر مسرى النار فى الغابة ، ولم يعد مسيو روك فى حاجة إلى البحث عن الأقزام بل كان الأقزام أنفسهم يلتمسونه أين كان . وأخذ مرض النوم يتقلص ظله عن تلك الناحية

وتتابعت الشهور ، فلم يكن مسيو روك صـديق الأقزام فحسب ، بل كاد يكون فى نظرهم إلهـاً . كان يقضى كثيراً من وقته متنقلا فى أنحاء الغابة ومعه مستحضراته الطبية وكان يقصد مع مجدّفيـه إلى قرية الأهالى أو إلى محلة الأقزام ويتخذ مقامه بينهم .

فإذا لم يصب بها كوخاً نظيفاً ، أقام له تابعوه سريره فى فضـاء القرية ، وغرسوا رماحهم كالعمد عند كل ركن منه ، ونشروا عليها الناموسية الواقية من البعوض ، وبغير هـــذه الناموسية تكون الحيـاة فى الغابة مستحيلة . وكان الزعمـاء يحملون إليـه الطعام ، فيسمر معهم حول النـار الموقدة إلى ساعة متأخرة من الليل ، يستمع إلى أقاصيصهم . ويروى لهم بدوره قصصاً عن فرنسا بلده النازح . وإذا دقت الطبول معلنة مقدمه هرع إليه الأقزام — ومن هم أطول منهم قامة — يلتمسون عنده البرء والشفاء فإذا فرغ من حقنهم استقل قاربه وانساب فى النهر إلى قرية أخرى .

وقد كانت له قوة عجيبـة حتى إنه ليبز أقوى رجل من الأهالى فى رفع القـارب وتسييره ، أو فى قطع الأشجار . ولا شك فى أن بنيته كانت من القوة بحيث استطاع أن يقاوم كل أوبئة المناطق الحارة ، ماعرف الطب منهـا وما لم يعرف . على حين كان غيره من البيض يؤوب إلى أوربا بعد سنة أو سنتين تنهشهم الحمى وتلهب أجسامهم ، أما مسيو روك فلم يكن مثلهم .

وعلى الرغم من قوته ، كان أودع الناس خلقاً . فلم يكن يرى القتـل مذهباً ، حتى فى هذه الغـابات المخوفة ، إلا إذا سدت فى وجهـه جميع السبل الأخرى . كنت معه عصر يوم فى الغـابة فحلقت فوق رءوسـنا جماعة من الوطاويط الأفريقيـة الكبيرة الحجم التى يبلغ طول انتشار جناحيها خمس أقدام أو ستًّـا ، وكانت تنعب نعيباً مزعجاً مروعاً . رأيتها بشعة الشكل مخيفة إلى حد كبير ، فتجهم وجه مسيو روك وبدا عليـه القلق والتفكير ثم قال : « كلما شاهدت أحد هذه الوطاويط وخزنى ضميرى . فقد خرجت للصيد يوماً مع الأقزام ، وأطلقت النار على فهـد كان يتعقب آثارنا ، فأصابت إحدى طلقاتى وطواطاً فوقع على الأرض . وكان حين أدركته لا يزال حياً يلفظ النفس الأخير . ولعلك تعلم أن هذه الوطاويط من الحيوانات الثديية ، فكان الوطواط المصاب أماً ترضع صغيراً لم يتجاوز من العمر أياماً . كان وجهها وهى تنظر إليه وجه آدمى يثير الرحمـة والرثاء . وكانت نظرتها هى تلك النظرة التى طالما رأيتها فى عيون الأمهات ، وهى فى النزع الأخير ، يودعن بها صغارهن .

ولقد جهدت أن أحفظ على الوطواط الصغير حياته بتغذيته بقطارة ، إلا أنه مات !

ومن ذلك اليوم لم يفارقنى شبح تلك النظرة التى ودعت بها تلك الأم صغيرها .

ورأيت مسيو روك لآخر مرة بعد أن بلغه أن السلطات التى طلب منها الإذن له فى الخدمة فى جبهة القتال ، قررت بالإجماع — على غير رغبة منها — أنها لا تستطيع الإذن له فى ذلك ، لأن رفاهيـة القبائل وأمنها من ألزم اللوازم فى زمن الحرب ، ولم يكن ثمة رجل آخر فى أفريقيا يقوم مقامه .

وكاد هذا القرار ينقض كل فلسفته فى الحياة ، وارتسمت سمات الحزن العميق على محياه ، وجعل يردد : « إنى أريد أن أذهب إلى لوبية لأقاتل الألمان . ماذا أستطيع أن أفعل هنا لإنقاذ فرنسا ؟ »

وقد تملكته الكآبة والحزن طيلة ذلك اليوم وأخيراً قال : « ليس ثمة فيما أعتقد شىء يمكننى أن أعمله إلا أن أعود إلى أعالى النهر » .

وأمر ، فشرع تابعوه فى تكديس الحقائب فى القارب ، وكانت تبدو على وجوههم — كما بدت على وجه سيدهم — سمات الهم والتفكير ، لما كان قد ذاع بينهم من أن ملكهم العظيم كان على وشك الرحيل إلى ساحة الحرب . أما وهو باق معهم ، فقد انطلقت حناجرهم بمرح الغناء وهم ينقلون أحمالهم الثقيلة من الشاطئ . وتهلل وجه الرجل الأبيض وهو يستمع إلى غنائهم .

وكان كل شىء معداً للرحيل ، حين جاءه يسعى على وجل واستحياء ، جمع من الأهالى ، بين رجال ونساء ، ممن أزمنت معهم الأمراض ، وكانوا قد سمعوا بوجوده فى الناحية .

وتقشعت عن وجهه آخر سحب الكآبة وتحدث إلى كل منهم كما يجب أن يفعل كل طبيب جدير بصناعته ، فتراه تارة يفيض شعوراً نحوهم ، وتارة يسألهم فى اهتمام عن مرضهم ، ولكنه فى الحالين مقبل عليهم مهتم بأمرهم يعطيهم مما فى جعبته من دواء وعلاج .

وانبسطت أساريره ، وتبلج وجهه ثم قال : « هؤلاء هم أولادى ! » ثم صعد فى النهر ، وظللت أرقبه حتى توارى .

لقد كان مسيو روك يمثل معقلا أمامياً من معاقل الإنسانية . وكان على تواضعه من أولئك الأبطال المغاوير الذين يقبلون على الأخطار المخوفة ، فيقتحمونها وهم متوحدون مغمورون ، ليستطيع العالم أن يخطو بضع خطوات متعثرة إلى الأمام فى طريقه الوعر الطويل .

هدية إلى حبيبين مفترقين

الكسندر ولكوت

هذه قصة بحث عن هدية عرس ، والباحث عنها رجل لم يزل يغار على الآداب القديمة التي تؤلف بين قلوب الأصدقاء والجيران فيجتمعون ليعينوا زوجين شابين على تأثيث بيتهما الأول . وقد كنت منذ سنين — في مثل هذه المناسبة — أميل الرأى فى الاختيار بين إحدى هديتين : إما مجموعة من مؤلفات « جين أوستن » ، وإما مجموعة كاملة من مناشف الحمام النفيسة ، مطرزة بالحروف الأولى ، فإن لم يكن أصدقائى جميعاً يشاركوننى فى إيثارى لجين أوستن ، فجميعهم يستحم إلا قليلا لا يعبأ به ! ولكن هذان زوجان ينطلقان فى طريق الحياة مفترقين لا مجتمعين . ولا محيص لى من أن أجد شيئاً يصلح أن يكون أثاثاً لبيت زوجين صغيرين لن يكون لهما بيت ؟ زوجان صغيران متحابان قد فصل البحر ما بينهما ، ولا أمل لأحدهما فى أن يرى الآخر حتى تضع الحرب أوزارها .

كان بدء تعارفنا فى نوفمبر من السنة الماضية ، وكنت أتأهب للسفر من انجلترا إلى بلادى (امريكا) . فقد كتب إلىّ أحد رجال الحرس الإرلندى رسالة ، وهو يطمع فى أن أتصل بالتليفون بفندق (كذا) — إذا ما وصلت إلى نيويورك — لأبلغ زوجته أنه بخير وعافية ، ثم يأذن لى فى أن أقدم لها كأساً من الشراب ، وهو على ثقة من أن ذلك سيسرها بل يظن أن لقاءها سيسرنى أنا أيضاً . ثم قال : إنها تستطيع أيضاً أن تسمعك جملا مختارة من مؤلفات « دوروثى باركر » — ما طبع منها وما لم يطبع — ثم لا تسقط منها حرفاً واحداً .

ولم تمض إلا بضعة أسابيع حتى كنت جالساً معها ، وبيننا كأسان من نبيذ ، ويومئذ التقطت منها أخبارهما : أما هى فكانت إحدى الفتيات الأمريكيات ، وقد رحلت لتستمتع بإجازتها ، وأما هو فكاتب انجليزى قد انطلق ليتمتع بأيام راحته فالتقيا بباريس فى الصيف المكفهر من سنة ١٩٣٩ . فلما شبت نيران الحرب ودعى إلى الجيش ، التمس تأجيل انضمامه إليه ، فهو غير مطلوب فى إحدى صناعات الحرب الحيوية ، بل هو يطمع فى أن يظفر بفترة من الزمن تكفيه أن يذهب إلى أمريكا ، فيتزوج فتاته ، ويقضى معها شهر العسل ثم يعود . وكان له بعض المال ، وفى حوزته بعض العقار ، فهو يترك كل هذا ، ويجعله جميعاً رهناً ضامناً لعودته . فلم يزد مجلس

التجنيد على أن ربت على ظهره بعطف وحنان ثم باركه ، ولم يسأله ضماناً ولا كفيلا إلا كلمة العهد : أن يعد بأن يعود فى مدى ستة أشهر . فوعد ، ووفى بما وعد .

هذه هى القصة التى روتها لى زوجته فى مجلسنا بنيويورك . وألحّ عليها الفكر فى أنى لم ألق نظرة واحدة على « رجلها » ، فصار يضجرها أنها لا تجد عندها أىّ صورة له لتريني كيف هو . ولكنها أرسلت إلىّ صورة أخرى رسمتها بنفسها ، بأن اقتطفت بضع فقرات من بعض رسائله إليها ، وكتبتها على الآلة الكاتبة . وأنا أشك فى أن هذه الصورة تشبه الرجل شبهاً قريباً ، أما الزوجة فكانت غير راضية عنها ، فإن فى بعض رسائله — التى لم تستطع أن تضع يدها عليها فى هذه اللحظة — فقرات مميزة بارزة هى أدل على صورته . ثم عقبت على ذلك بقولها : « إنها رسائل كثيرة جداً ، ونحن الآن لا نستطيع إلا أن نبنى حياتنا الزوجية على الورق ، ولذلك تغمر الرسائل درج مكتبى ، حتى لا أجد بداً من حفظها فى حقائبى فى المخزن » .

فهــذه الكلمة العارضة فى وصف زواجها — أنه يبنى على الورق — صارت شبحاً يطوف بى ويلح على طول اليوم ، كما يطوف الوجه الذى يعذّبنا تذكره بعد أن نلمحه لمحة سريعة فى زحام . وأخيراً تحققت من وجه الشبه ، فما هو إلا أن كنت مكباً على الرسائل التى تبادلها « برنارد شــو » و « إلن ترى » فى أوائل العقد الأخير من القرن التاسع عشر . « إلن ترى » التى قال عنها « بارى » يوماً ما : « هى من بين جميع الممثلات أحبهن شابة ، وأعزهن عجوزاً »! وكأنه الأمس القريب يوم كان جميع أصحاب النفوس الخيالية يتقدمون إلى خطبة حبائبهن بمثل هذه الكلمات اليائسة المختبلة : « مادمت لم أستطع أن أحظى بالآنسة ترى ، فهل لى أن أحظى بك أنت ؟ » . إن نجوى برنارد شو إلى إلن ترى ، وهى كأناشيد دانتى التى ناجى بها بياتريس ، كانت رسائل حب إلى امرأة رآها ، ولكنه لم يلقها أبداً . لم يعرفها إلا بقلبه وحده . وفى المقدمة التى كتبها نفسه ، حين طبعت الرسائل بعد وفاة إلن ترى ، وجدت هذه الجملة فنقلتها :

« ليذكر الذين قد يؤلمهم أن هذا كله »
« كان على الورق ، أنه على الورق وحده ، »
« أتقنت الإنسانية حتى الآن صنع الجمال ، »
« والحق والمعرفة والفضيلة والحب الخالد » .

ولا ريب فى أنى جعلت هذه الجملة هدية العرس : وستكون جدواها عليهما — فيما أظن — كجدوى إبريق شاى من الفضة ، مثلا ، بل أبقى على الزمن وأطول عمراً .

رجلان وجيش العلمين





فى صيف ١٩٤٢ القائظ كان فى القاهرة اضطراب مكظوم ، فقد كانت جيوش الفيلد مارشال أروين روميل على مسافة ساعات من عاصمة مصر ، وكان الهجوم الذى قام به الجيش الثامن فى لوبية والذى بدأ مبشراً بالنجاح فى الشتاء السابق قد أخفق ، فتراجعت الجيوش البريطانية نحو النيل وقد تحطم عتادها المدرع أو ذهب غنيمة .

وكان الجنرال السير كلود أوكلنك قد تولى بنفسه قيادة الجيش الثامن ، فلم شعث الجيوش الحائرة الخائرة فى العلمين ، عند خط دفاع أنشىء على عجل ، وهو يمتد من البحر المتوسط مسافة أربعين ميلا إلى الرمال اللينة الخداعة فى منخفض القطارة . وكان المحور قد أوقف ولكن لم يكن أحد يدرى إلى أى مدى يطول وقوفه .

وعلى مسافة تقرب من سبعين ميلا أمام روميل تقع الإسكندرية ومن ورائها الجائزة السنية التى سلخت جيوش المحور ثلاث سنوات فى الجهاد من أجل الظفر بها ، وهى قناة السويس ، ذلك الطريق المفضى إلى الهند وإلى الاتصال باليابان . ومن الواضح أن روميل كان يود أن يخاطر بكل شىء حتى يبلغ هذا الهدف . وفى أقل من ستة أشهر بعد ذلك سيم الذل جيش روميل ، الذى كان يوماً ما مختالا فخوراً . فقد طورد أبعد مما طورد أى جيش فى التاريخ — أى ١٦٠٠ ميل فلما ألجىء إلى جحر ضيق بين بنزرت وتونس، قضى عليه .

وقد أعانت أشياء كثيرة على هزيمة روميل ، فمنها جودة العدات الحربية ووفرتها ، وتفوق الحلفاء الجوى ، والتعاون التام بين وحدات الجيش البرية والجوية . ولكن قصة هذه الأشهر الستة ، التى غيرت مجرى الحرب ومصير العالم ، إنما هى بعد كل شىء قصة رجلين وجيش .

وقليـل من اهتم ، من الذين كانوا يحتسون الكوكتيل فى شبرد ، بأن يرفع بصره فى ذلك اليوم الحار من صيف ١٩٤٢ ، ساعة وصل قائد بريطانى نحيف طويل الأنف ، ونظر إليهم نظرة الساخط ، ثم مرّ مسرعاً يجتاز الشرفة إلى داخل الفندق . ولو كانوا رفعوا إليه أبصارهم لما عرفه إلا قليل ، فإن القائد السير برنارد مونتجومرى ، الذى عين قبل ذلك قائداً للجيش الثامن ، لم يكن معروفاً إلا فى الأوساط الحربية .

وكان رجال الجيش يعدونه ضابطاً شاذ الطباع غير أنه كفء نزاع إلى الكد فى عمله ، وأنه رجل ورع صارم لا يشرب الخمر ولا يدخن ولا يمزح . وأنه قد امتاز وهو ضابط ناشئ فى الحرب العالمية الأولى ، فنال الشهرة — من يومئـذ — بأنه قائد فرقة بارع .

وتذكره الجيوش التى قادها فى انجلترا بأنه صاحب النظام الصارم ، وأنه كان يرمى بهم فى تمرينـات رياضية شـديدة يؤودهم احتمالها . وكان لشـدة إيمانه بما يجب أن يكونوا عليه من سلامة البدن والاستعداد الدائم لكل عمل ، يأمر جميع رجاله وضباطه إلى مرتبة لواء ، أن يجروا شوطاً يبلغ سبعة أميال مرة كل أسبوع . وكان فى الأغلب يجرى معهم . ولما شكا إليـه الضباط المتقدمون فى السن جعل الشوط ستة أميال !

وسمع المحاربون القدماء فى الجيش الثامن عن هـذا القـائد الأسبرطى ، وساورهم الشك فى أنه سينال حبهم ، ولكنهم لم يلبثوا حتى صاروا يدعونه « مونتى » ، ويزدحمون حوله ليظفروا بنظرة منه كلما طلع بينهم .

وقد كان مونتجومرى فى الواقع المختار الثانى لقيادة الجيش الثامن ، ولم يستدع إلا بعد وفاة الجنرال وليم جوت فى حادث سقوط طائرته . غير أنه كان مرشحاً لإحدى القيادات العليا . ففى ربيع سنة ١٩٤٢ عهد إلى السفير الأمريكى وينـانت فى أن يخالط رجال الجيش البريطانى ويبلو قدرتهم ويتخير منهم قائداً يستطيع أن يضطلع بقيادة القوتين البريطانية والأمريكية . وفى أثنـاء زيارته لمونتى سأله : « أيها القائد ، افرض أنك أمرت بمهاجمة كاليه فكم من الزمن يقتضيك وضع خطة الهجوم والشروع فى التنفيـذ ؟ وكان وينانت يتوقع جواباً يستغرق أسابيع ، ولكن مونتى تحدث بالتليفون مع أركان حربه ، وفى فجر اليـوم التالى كانت فرقة تقوم بمناورة تمثل هجوما على الألمان . فبلغ هذا من وينانت مبلغاً حمله على أن ينصح باختيار مونتجومرى لقيادة الهجوم الأمريكى البريطانى فى شمـال أفريقية ، وكان إعداده حينئذ لا يزال فى مراحله الأولى .

وكان الجنرال السير هارولد الكسندر ،

الذى عين فى مكان أوكنلك ، صديق مونتجومرى الحميم . وكلا الرجلين قد شهد المشـاهد الحرجة . فالكسندر بطل مغامر شعاره : «هاجم وهاجم ثم أعد الكرة حتى حين تكون فى موقف المدافع » . ومع ذلك شاءت سخرية القدر أن يتولى قيادة انسحابين من أعظم الانسحابات البريطانية ، وهما الجلاء عن دنكرك ، والارتداد عن بورما .

ففى دنكرك نظم الكسندر الجلاء النهائى . ولما تأوه أحد رجاله قائلا «إننا فى كارثة» أجابه الكسندر فى جفوة : « إنى آسف لأنى لا أفهم الكلمات الضخمـة من أمثال هذه الكلمة » . وسرت رباطة جأشه إلى الجنود الصابرين ينتظرون الزوارق ، والقاذفات النازية تزمجر فوق رءوسهم . ولما لم يجد ما يعمله إلا أن ينتظر ويصبر على البلاء ، جلس على رمال الشاطئ وبنى لنفسه حصناً من الرمل . وفى أصيل اليوم الأخير طاف برمال الشاطئ ليتثبت بنفسه على أنهم لم يخلفوا وراءهم أحداً من الجنود الأحياء . وكان هو وضابط بحرى، آخر من برح الشاطئ .

أما الموقف فى بورما فكان لا أمل فيه عند ما أرسل على عجل ليتولى القيادة . وقد أمر بأن يدافع اليابان حتى يتمكن ويقل من تنظيم الدفاع عن الهند . فحارب بجيشه الصغير السيئ العتاد ، المؤلف من ٢٥٠٠٠ ، مائة ألف يابانى مدة أربعة أشهر . وأفلت من الطريق الجبلى الوحيد المفضى إلى الهند قبل أن تهب الرياح الموسمية بأيام ثم يتعذر المرور فيه . وتعد الدوائر الحربية البريطانية هذا العمل من الأعمال الباهرة التى لا يفوقها إلا الانسحاب البارع من دنكرك .

ومونتجومرى أيضاً كان فى دنكرك وقد قال لرجاله « إذا نفدت ذخيرتكم فمزقوا العدو إرباً بأيديكم » . وبعد دنكرك أسندت إليه وإلى الكسندر قيادتان متجاورتان فى جنوب انجلترا وجنوبها الشرقى ، وهى المنطقة التى كانت — ولا ريب — ستتحمل عنف الصدمة إذا غزا الألمان بريطانيا .

هذان هما الرجلان اللذان جمع تشرشل بينهما لإنقاذ الموقف الخطر فى الشرق الأوسط . وكانت أوامر تشرشل بسيطة : « لا بد من القضاء على روميل » . وكانت الخطة الحربية واضحة ، فخط العلمين يجب أن يصان حتى تصل الأمداد من الرجال والعتاد إلى الصحراء، ثم يجب أن يرد الفيلق الأفريقى الألمانى بعد ذلك إلى الوراء . كانت مهمة الكسندر هى وضع الخطة اللازمة لتنسيق تقدم الجيش البريطانى الثامن مع الغزو البريطانى الأمريكى لشمال أفريقيـة ، وكان

حينئذ فى دور الإعداد ، أما أساليب هزيمة روميل فقد تركت لمونتجومرى .

لم يضيع مونتجومرى وقته فى القاهرة ، بل ذهب من فوره إلى الصحراء فى صباح اليوم التالى لوصوله ، واعتلى تل عيسى ، وفحص خطوط الأعداء بمظاره ، وهى كانت على نحو ألفى ياردة فى الصحراء المتوقدة .

وكانت تقف وراء خطوط روميل عشرات من المدافع من عيار ٨٨ مليمتراً ، التى أرهقت الدبابات البريطانية الأمريكية ، ومن ورائها عدد من الدبابات لا يقل عن ٣٠٠ دبابة ، وفى المؤخرة حوالى ٨٥٠ دبابة أخرى . وكان مع روميل ١٦٠,٠٠٠ جندى ، وكانت تصل إليه الأمداد يومياً تبعاً لاطراد التحسن فى طرق مواصلاته .

وكان خط العلمين يشبه عنق الزجاجة من أى جانب تقف فيه ، وقد منعت الجيوش البريطانية روميل من التطرق إلى وادى النيل والانتشار فيه ، ولكن جيوش روميل كانت سدادا لا بد أن يزيله البريطانيون قبل أن يتوجهوا إلى أى وجه .

والذين شاهدوا مونتى ذلك اليوم فوق تل عيسى ، يعتقدون أنه قرر فى نفس المكان : كيف ومتى يمكن أن يهزم روميل . وشرع فى تلك الليلة نفسها يضع أسس الخطة الحربية التى مكنته بعد ذلك من تعقب آثار روميل حتى تونس .

وقد أدرك مونتجومرى لساعته أن طبيعة حرب الصحراء قد تغيرت ، فحرب الدبابة ضد الدبابة والمعارك التى تجرى على نمط المعارك البحرية فى الرمال المترامية ، قد تحولت فى تلك الفترة إلى حرب الخنادق الثابتة كما كانت فى الحرب العالمية الأولى . فسلاح الهجوم فى معركة العلمين ينبغى أن يكون هو الجنود المشاة الذين وصفوا فى الحرب العالمية الأولى بأنهم « تلك الفئة المضرجة بالدماء الخليقة بالرثاء » . وأن يكون على المدفعية وسلاح الطيران تمهيد السبيل . أما الدبابات فعليها أن تنتظر حتى يستبعد السداد من عنق الزجاجة .

وشعر مونتى أن حسابه يدل على احتمال نجاحه . فإذا نفذ خطته ، وإذا استطاع أن يحطم الدبابات الألمانية . فليس أمام روميل إلا أن يقطع مواصلة القتال ثم يفر . ففى الصحراء لا تستطيع أن تثبت وتمضى فى الحرب بغير أساحة مدرعة .

وكان فى الجيش الثامن ست فرق من خيرة فرق المشاة ، بينها الجنود النيوزيلنديون والأستراليون الأشداء ، الذين بلوا معارك اليونان وكريت ، وهم جنود لا نظير لهم فى ملاحم السلاح الأبيض ، والفرقة الهندية الرابعة التى استولت عنوة على هضاب كيرن

فى إريترية ، وهى التى انتزعت من الألمان فى مصر ذلك المجاز الصخرى المعروف بمضيق حلفايا . ووعد تشرشل بإرسال فرقتين إضافيتين ، وعدد كبير من المدافع البريطانية الجديدة المضادة للدبابات التى وزن قنبلتها ستة أرطال ، وعدد وافر من الطائرات والدبابات الجديدة الثقيلة ، وخير من ذلك كله كانت مئات عديدة من دبابات شرمان الأمريكية الجديدة بمدافع من عيار ٧٥ مليمتراً تنزل حينئذ من السفن فى السويس .

وطلب مونتى شهرين ليتم استعداده للهجوم ، وكانت مهمتـه فى خلال تلك الفترة صد هجوم روميل . وقد هجم روميل بعد وصول مونتى بثلاثة أسابيع ، فقذف بثلثمائة دبابة إلى وسط الخط وجنبيه يتحسس نقطـة ضعيفة تستطيع قوته المدرعة أن تتـدفق منها وتلتف حول جناح المواقع البريطانية ، وهى أساليب روميل المأثورة عنـه . وكان مونتى يدخر قوته المدرعة ، فأبى أن ينزل إلى القتال فى معركة الحديد ، ولـكنه سمح بدهائه لدبابات روميـل أن تتـدفق فى شقوق فى خطوط الدفاع ، ثم واجهها بعـد ذلك بالمدافع المضادة للدبابات والمدافع من عيار ٧٥ مليمتراً ، وهى مدافع دبابات جنرال جرانت الأمريكية ، وكانت رابضة بين كثبان الرمل . وحين انسحب القـائد النازى كان قد فقد ١٤٠ دبابة وهى ما يقرب من نصف قوته المدرعة ، وفقـد البريطانيون سبعاً وثلاثين دبابة .

وأعلن مونتجومرى حينئـذ فى ثقة : « إن مصر قد أنقذت » . وقال لوندل ويلـكى — وكان يزور مقر قيادته بالصحراء فى ذلك الحين — : « بالتفوق فى الطائرات والدبابات الذى أحرزته نتيجة لهذه المعركة ، أصبح من المؤكد تأكيداً حسابياً أننى سأهزم روميل فى النهـاية » .

ومونتى يشـعرك بأنه فخور مختـال وكذلك هو . ولـكنه قد أدرك كل مايسوغ فخره واختياله . وهو يؤمن بوجوب الدقة فى وضع الخطط ، ويصر على الإحاطة بكل جليل ودقيق من موارده الحربية حتى آخر رصاصة . وفى زياراته اليومية للجبهة يدهش قواد الميدان بمعرفته أشياء أكثر مما يعرفون عن تنظيم جيوشهم وتوزيعها . وكل فرقة ، وكل لواء ، وكل كتيبة ، وكل فرقة مدفعية ، وكل سرية ، قد أنيط بهـا عملها الخـاص الدقيق ، ومونتى يراقب تنفيـذه تنفيذاً حرفياً ، وهذا هو قاعدة النجاح فى رأيه .

وقد كان هجومه على روميـل محسوباً إلى آخر علبة من اللحم المحفوظ . فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وهى ليلة كان ضوء القمر فيها يتيح استمرار القتال طول

الليل ، كان مونتى على أتم استعداد للهجوم .

كانت طائرات الحلفاء قد ظلت مدة أسبوعين تلقى قنابلها على الأهداف الحربية فى مؤخرة روميل على حين كانت الطائرات البريطانية والأمريكية المطاردة تحاول أن تطهر الجو من الطائرات الألمانية . ولما دنت ساعة البدء اشتد الهجوم الجوى ، وأخذت القاذفات تذهب وتجىء ضاربة خطوط تموين روميل ومطاراته بينما كانت طائرات المطاردة تنزل أشد العقاب بخطوطه الأمامية ومواقع مدفعيته . ويعتقد مونتجومرى أنه ينبغى على كل رجل من القائد إلى الجندىّ ، أن يعلم ما يجرى فى الميدان وماذا ينتظر منه أن يعمل . ولذلك دعا ضباطه فى إبان اشتداد الهجوم الجوى ، وأفضى إليهم بخططه ثم صرفهم ليخبروا وحداتهم .

وقبل بدء الهجوم بثلاثين دقيقة قذفت المدافع قنابلها قذفاً لم يعرف له نظير منذ الحرب العالمية الأولى ، وكانت مدافع البريطانيين مصفوفة متلاصقة على طول خط العلمين البالغ أربعين ميلا . وكان مونتى يردد على الدوام : إن ستار نار المدافع يجب أن يبلغ من القوة والشدة مبلغاً يزعزع قلوب الأعداء . فى الساعة العاشرة مساء ، إذ كان ستار نار المدفعية يتقدم رويداً رويداً ، أخذ المهندسون الحربيون يطهرون طرقاً واسعة فى حقول الألغام ، ويتقدم المشاة على أثرهم بعناد وعزم من موقع إلى موقع .

وباتت المعركة سجالا فوق رمال الصحراء ، ثم فى اليوم التالى إلى عدة أيام . وكان روميل يكر كرات محنقة ، وكم مات رجال فى سبيل كل ياردة تكسب أو تفقد ! وفى ٢ نوفمبر قرر مونتجومرى أن الوقت قد حان ليسدد ضربته المفاجئة القاصمة . فانطلقت دبابات شرمان من تحت أغطية الخيش التى تحجبها واندفعت فلقيت عند « العقاقير » فلول الفرقتين المدرعتين ، الخامسة عشرة والسادسة عشرة وصكتهما صكا شديداً وحطمت ثلثى الألف دبابة التى كانت مع روميل . وتهلل وجه مونتى ، وقال فى أحد أوامره اليومية للجنود : « فى أقصى الغرب صيد صالح فامضوا فى مهمتكم وأتمنى لكم جميعاً صيداً طيباً . . »

وأسرع روميل فى جمع شتات فيلقه المنهزم بسيارات النقل ، وترك معظم الجنود الإيطاليين خلفه حين أعوزته السيارات ، وانقلب فارًّا على طريق الساحل . وكان بين الحين والحين يحارب حرب مؤخرة ليكسب الوقت ، ومونتجومرى يتعقبه أسبوعاً بعد أسبوع بجيشه الثامن المنتقم . فأسر فى الطريق ٣٠٠٠٠ من الإيطاليين ، و ٢٠٠٠٠ من الألمان . وصاح مونتجومرى

قائلا : «لم يعق تقدمنا شيء ولن يعوقه شيء» وقد حاول روميل فى انسحابه الطويل أن يقف عند العقيلة ثم عند خط مارث ، وفى المرتين سحق مونتجومرى دفاع المحور .

قال مونتى لوبلكى : « إن روميل قائد بارع ، ولكن فيه ضعفاً واحداً ، وهو أنه يكرر أساليبه وخططه ، وهذا الضعف هو طريقى إلى الانتصار عليه » .

أما مونتجومرى فقد دل على أنه متنوع الأساليب . فقد يستعمل أحدث الأساليب الألمانية فى معركة، ثم يعود إلى أحد الأساليب التاريخية فى معركة تليها . فاتبع أسلوب الحرب العالمية الأولى ليحطم خط العلمين . أما فى خط مارث فقد جمع بين الهجوم المواجه وبين الاندفاع الجرئ فى الصحراء للالتفاف حول جناح العدو الأيمن . وفى مواقع أخرى فى الميدان الأفريقى حطم استحكامات العدو بهجوم قواته المدرعة .

وقد كان مونتجومرى مقتنعاً تمام الاقتناع بأن الكوارث البريطانية السابقة إنما نجمت عن ضعف التعاون بين سلاح الطيران والجيش الزاحف والدفعية ، فصمم على أن لا يتكرر هذا الخطأ . وكان القائد الجوى السير أرثر كونتجهام يقيم مع مونتى فى مقر قيادته ، فوضعا معاً خطة التعاون بين سلاح الطيران والجيش، وهذه الخطة لم تهزم روميل فحسب بل ستكون أنموذجاً يحتذى لكل هجوم آخر .

وحين كان الجيش الثامن يطارد روميل، كانت شهرة مونتجومرى تذيع فى الخافقين. أما الكسندر فقد كان فى مقر القيادة العليا بالقاهرة يغمره النسيان . ولكن الرجلين يستحقان نصيباً متعادلا فى القضاء على روميل فكلاهما أتم عمل صاحبه أحسن إتمام . فالكسندر بما له من القدرة على رؤية الأشياء فى أفقها الواسع ، كان أمثل رجل لتناول مشكلات قيادة الشرق الأوسط الحربية والسياسية . أما مونتجومرى المتفجر فقد قدح الشرارة التى جعلت الجيش الثامن لايقاوم . وكلا الرجلين كان جندياً منذ البلوغ فقد انضم مونتجومرى إلى فرقة وروكشاير الملكية بعد تخرجه فى كلية سندرهست الحربية سنة ١٩٠٨ ، وجرح مرتين فى الحرب الماضية ، ونال وسام الامتياز ووسام صليب الحرب الفرنسى. وعين فى الفترة بين الحربين ضابط أركان حرب فى إرلندة وانجلترا والهند . وتولى التدريس فى كليتى أركان الحرب فى كامبرلى بانجلترا وفى كويتا فى بلوخستان ، وقاد فرقة فى فلسطين سنة ١٩٣٨

والكسندر هو أحد أفراد فرقة « المحتقرين القدماء » (وهم أفراد فرقة

الحملة الانجليزية سنة ١٩١٤) وقد قاد كتيبة من الحرس الإرلنـدى الممتاز فى الرابعة والعشرين من عمره فى الحرب الماضية ، وأبلى بلاء حسناً أكثر من ثلاثين مرة ثم جرح جرحاً بالغاً ، ونال وسام الامتيـاز ووسـام الصليب الحربى وفى الفترة بين الحربين بذل معونته فى إعادة تنظيم جيش لاتفيا ، وحارب فى حدود الهند الشمالية الغربيـة ، وعقد له لواء القيادة فى جبـل طارق وفى انجلترا . وفى الخامسة والأربعين من عمره رقى إلى ميجر جـنرال ، فكان حينئذ أصغر القواد سناً فى الجيش البريطانى. وكلا الرجلين لا يزال صغير السن لتولى قيادة عاليـة ، خلافاً لمـا يعهد فى الأوساط الحربية البريطانية فألكسندر عمره ٥١ سنة، ومونتجومرى عمره ٥٥ سنة .

ولكن الرجلين يتشـابهان فى أسـس دراستهما الحربية وحسب . فالكسندر — الأنيق فى ملبسه المجزوز الشاربين ، والإبن الرابع للنبيل إرل كاليدون ، هو ثمرة يانعة من ثمرات مدرسة هارو الأرسـتقراطية . وهو ذو لسان طليق يتكلم الفرنسـية والإيطالية والألمانية والروسـية والأردية وكان يوماً ما ياوراً للملك إدوارد السابع . وهو أحد القواد القلائل فى الجيش البريطانى الذين لهم إيراد خاص .

وأما مونتى فوالده أسقف ، وقد رحل بأسرته إلى تسمانيـا ، وعمر برنارد شهر واحد . وكان ينوى أن ينشئ ابنه تنشـئة دينية ، إلا أنه ، وهو فى الثانية عشرة رأى الاستراليين وهم يسيرون إلى حرب البوير فعقد عزمه على أن يصبح جندياً .

والكسندر دمث الأخـلاق ، كثير الأسفار ، وهو ينال بغيته برقة أخلاقه . وهو ليس ممن يسهل التغلب عليهم ، ولكن أدبه يبلغ به أن يخفض جنـاحه حتى يرى كأنه يوارى نفسه . أما مونتجومرى فإنه وعر الجانب ، جهير الصـوت ، خشن اللهجة ، لا يحاول أن يخفى أثرته ، ولا بد من أن يسيطر على كل محادثيه . وهو ذو حاسـة مسرحيـة قوية فلا يدع فرصة تفلت منـه ليظهر موقفاً يستوقف النظر . وحين أسرت جيوشه الجنرال ولهم ريتر فون توما لم يتريث ، فدعاه إلى الغذاء معه . وهو يحتفظ بصورة روميل معلقة فوق فراشه ، ويتمنى أن يكون قد عرف القائد الألمانى . قال : « لو أننا تلاقينا لعرفت من أى نمط من الرجال هو ، وبذلك أستطيع أن أحسن تقدير ما ينتظر أن يفعله فى عقب ذلك » .

وقـد عثر فى مكان ما بمصر على بذلة داخلية حريرية لضابط ألمـانى وهو يرتديها الآن . ومونتى يزدرى القبعة المزركشة

بالشرائط التى يلبسها ضباط أركان الحرب ، ويفضل عليها القبعة الاسترالية المتدلية المرصعة بالشارات المميزة لجيشه ، أو القلنسوة التى يلبسها أفراد فرقة الدبابات . وهو ضابط يعزل أركان حربه لأقل غضبة ، وقد عزل مرة ضابطاً كان معيناً لمركز قيادته ولما يكد الرجل يشرع فى حل حقائبه ، قائلا له فى حدة : « أنت ضابط كفء ولكنك لست كفؤاً لأركان حربى » . وكان دأبه أن يستهل محاضراته بهذا الأمر الموجز : « لا أوافق على التدخين أو السعال . لا تدخين . وفى مدى دقيقتين لكم أن تسعلوا . وبعد ذلك ينقطع السعال عشرين دقيقة . وسأسمح بعدها بستين دقيقة أخرى للسعال » .

ولما تزوج فى سن الأربعين أقام أمر منزله على النظام الحربى ، فكان يصدر الأوامر اليومية للعناية بابنه الوحيد وتنشئته . ولما سأله بعضهم أهو يتمنى مزيدا من الأولاد ، أجاب « لا ، بكل تأكيد ، فعندى ما يكفينى من أعمال أركان الحرب » .

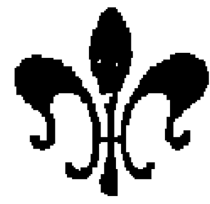
وقد كان لاشتراك الكسندر ومونتجومرى فى القيادة مزية إقبالهما على مهمتهما فى وقت بدأت تصل فيه إلى الجيش الثامن أمداد بريطانية وأمريكية من الطراز الأول . وكان على أسلافهما أن يعملوا دون أن يكون لهم الأسلحة المناسبة ولكن مع توافر الدبابات والمدافع والطائرات لم يكن فى وسع قائد أن يتغلب على روميل لولا روح رجال الجيش الثامن المحاربين .

وقد قضوا ثلاث سنوات وهم يشنون حرباً تتردد بين الإقبال والإدبار فى بقعة من أجفى البقاع فى العالم . واحتملوا الحرارة التى تجعل أنابيب البنادق ساخنة مثل محراك النار ، واحتملوا رياح الخمسين التى كان رملها الملتهب ينفذ فى أبدانهم ، واحتملوا الذباب الذى كان يتكدس على أكلهم وأجسامهم ، واحتملوا المرض والخيبة والحرمان . وقد كانت خسائرهم فادحة ، فالفرقة الرابعة الهندية مثلا تطلبت تعويضاً ١٠٠ ٪ من الرجال ، لما فقدت من رجالها منذ ابتداء الحرب . وقد تركوا موتاهم — من أبناء بريطانيا وجنوب أفريقية ونيوزيلاندا وأستراليا وفرنسا واليونان وبولندا — على امتداد ساحل البحر المتوسط ، وغادروهم فى قبور قريبة القعر موحشة كتب عليها : « هذه أرض مقدسة . لقد قضوا نحبهم فى سبيل الوطن » .

وكانوا يقادون أحياناً قيادة سيئة ، كما كان أمرهم فى ذلك اليوم الفظيع من أيام يونيو سنة ١٩٤٢ حين قذف بدباباتهم فى كمين مدافع روميل من عيار ٨٨ مليمتراً وقد شهدوا أخطاء ولدتها الغفلة ، ففى مرة من المرات أخذت ٩٠ دبابة ثقيلة من دبابات

فالنتين تدمدم على حقل من حقول الألغام ولم ينج منها سوى ١٩ دبابة . وكان سبب ذلك توجيههم توجيهاً خاطئاً . ولم يكن عندهم أبداً ما يكفى من العتاد . ففى الأيام الأولى ردوا الإيطاليين بأقل من ١٥٫٠٠٠ رجل ، وعدد قليل من السيارات المصفحة العتيقة ، و٨٧ طائرة . ومع ذلك أبى رجال الجيش الثامن أن يعترفوا بالهزيمة ولذلك لم يهزموا . هم لم يفقدوا الثقة أبداً فى أنهم متى أعطوا العتاد الكامل قادرون على أن يهزموا جيوش روميل . وقد انتظروا زمناً طويلا ليثبتوا ، يوم يقاتلون رجلا لرجل ، أنهم خير من الجنود النازيين .

وقد ولد الجيش الثامن فى البأساء ، وغذى بلبان الهزيمة والارتداد ، ونشأ فى الرمل والدماء ، وترعرع فى المعارك ، ليصير أحسن الجيوش وأقواها عتاداً . وأتيح لتشرشل أن يفيه حقه ، ويقدم له تحية العالم الحر ، فلما زار طرابلس مشى فيها مختالا وقال : إذا سئل رجل ، بعد الحرب ، عما فعل فسيكفيه أن يقول : « لقد سرت مع الجيش الثامن » .



السؤال المسكت

● لما كان فيليب جاد الله المؤرخ الانجليزى المشهور ومؤلف سير ولنجتون وتشرشل وغيرهما ، رئيساً لجمعية المناظرة فى جامعة أكسفورد ، طلب إلى صديق أن يوجه إليه قبل بدء المناظرة سؤالين كان جاد الله قد أعدَّ الجواب البارع عليهما إعداداً دقيقاً . فوافق الصديق ووجه إلى جادالله السؤال الأول فجاءه على الفور الرد اللبق المحكم فسرت فى الجمهور موجة من الضحك . فلما رد على السؤال الثانى رداً ألمعياً بارع النكتة ، ضج الجمهور بالضحك والهتاف . وعندئذ شعر الصديق أن فرصته قد سنحت ، فوقف وسأل فى وقار :—

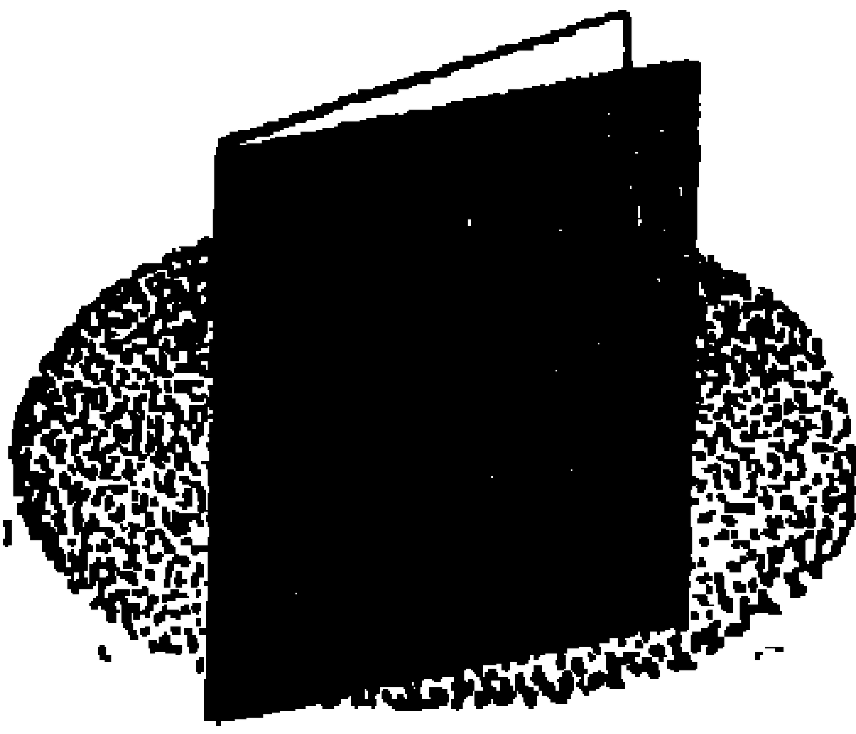
ما هو السؤال الثالث الذى سألتنى أن أوجهه إليك ؟ !

(هسكيث بيرسون فى كتاب « تهوية »)

سرّ القصر

كاترين دانلاپ

عن مجلة « ستردى رڤيو » الأدبية



فى مساء يوم من هذه الأيام الأخيرة رويت لجماعة من الأصدقاء قصة قرأتها من عهدٍ بعيد . ولم يستطع أحد أن يعرف كاتبها أو يذكر عنوانها . فهل تستطيعون ؟ وإليكم القصة .

لقد وقع فى نفسى شيء من توجس الشر وتوهم السوء حيال هذا القصر القديم ، بنوافذه المطبقة ، وأبوابه الموصدة ، وحديقته المهملة . فذهبت أستطلع خبره ، فعلمتُ أن القصر كان للكونت والكونتيس ميريه ، وأن الكونت كان حاد الطبع متكبراً . وأما هى فكانت رقيقة الشمائل ، متدينة ، جميلة الطلعة . ومضت سنوات وهما — كما يظهر للناس — فى عيشة منسجمة سلسة ، حتى كان ذات يوم فإذا القصر عاطلٌ منهما . وكان هذا آخر عهد مدينة ڤندوم بهما . وقد توفى مسيو دى ميريه على أثر ذلك فى باريس . وأما السيدة فعاشت وحيدة فى ضيعة لها نائية ، وكأنها شبح أشيب .

ولما أنْ علمتُ أنّ روزالى الخادمة فى الفندق الذى نزلت فيه كانت خادمة الكونتيس ، طلبتُ إليها أن تزيدنى بالأمر علماً . وقد أفرغتُ كل ما عندى من وسائل الإقناع ، وأخيراً أجابت طلبى .

قالت روزالى : « كانت الحياة فى القصر هادئة ، وكان فى المسيو دى ميريه شيء من التكبر والتحكم ، وأما السيدة فكانت شديدة التقوى ، وكانت تسلم له فى كل شيء . وبلغ من ذلك أنه فى الصيف الذى توعكت فيه السيدة بعض الوعكة ، لم يشأ أن يحتمل أدنى مضايقة فاتخذ غرفة مبيته فى الطابق الأعلى ، فلم تنطق السيدة باحتجاج ولا شكوى . بل لعلها وجدت متنفساً فى تركه حجرة نومها الكبيرة فى الطابق الأرضى لها وحدها ، وهى تطل على الحديقة الغناء وعلى النهر الجارى . وكان فى أحد طرفى الحجرة مدفأة ، وفى الطرف الآخر مقصورة كبيرة تعلق فيها السيدة ثيابها .

وكان السيد فى أثناء مرض زوجته يقضى سهراته فى النادى بالمدينة ، يلعب الورق أو يجادل فى السياسة . وكان فى المدينة وقتئذ الكثير من الإسبان يغدون ويروحون ، وهم أسرى الحرب أخذ عليهم

الإمبراطور نابليون العهد أن لا يحاولوا الهرب . وقد لحظت روزالى من بينهم خاصة فتى من علية الإسبان ، كان كثير الإنفراد بنفسه ، ثم يخرج فيطيل التجوال حين يخيم الظلام . وقد زعم أحد سوّاس الخيل أنه رآه يسبح فى النهر فى ساعة متأخرة من الليل على مقربة من القصر .

وكان المسيو دى ميريه إذا عاد من المدينة ذهب تواً إلى غرفته فى الطابق الأعلى ، إلا أنه فى ليلة من ليالى الخريف ، عاد من النادى متأخراً إلى داره ، فترك مصباحه بأسفل السلم ، وانحدر فى الممر الحجرى المعقود إلى باب حجرة السيدة . فلم يكد يبلغه حتى خيل إليه أنه سمع باب مقصورة ثيابها يغلق على عجل . ولكنه حين دخل الحجرة ألفى السيدة واقفة عند المدفأة .

وتلقته الكونتيس فى هدوء قائلة : « لقد تأخرت ! » .

وفى هذه اللحظة دخلت روزالى قادمة من الردهة . فليست هى إذا التى سمعها تغلق باب المقصورة ! ورأت روزالى الريبة فى وجه السيد ، ثم بدا عليه الغضب . فبادرت إلى الخروج من الحجرة ، ولكنها تريثت خارجها ، فسمعته يقول فى مثل برود الثلج :

« سيدتى ، فى هذه المقصورة شخص ! » فأجابته زوجته بكل بساطة : « لا ، ياسيدى » .

فأسرع الخطى إلى المقصورة ، ولكن السيدة استوقفته دونها قائلة : « وإذا أنت لم تجد فيها أحداً ، فهذا آخر العهد بينى وبينك » .

فنظر الكونت إلى زوجته ملياً ، ثم قال : « حسناً سوف لا أفتحها . ولكن استمعى إلى . إنى أعهدك أحرص من أن تغضبى الله وتحرمى من جنته . فأقسمى أنْ لا أحد هناك فيظل الباب مغلقاً » .

وتناول الكونت صليبها — وهو صليب إسبانى بديع من آبنوس محلى بالفضة . فوضعت السيدة على الصليب يداً غير مرتجفة وقالت : « أقسم على ذلك » .

وعندئذ طلب إليها أن تدعو خادمتها . فلما حضرت روزالى قال لها الكونت : « هيا التمسى جورنفلو البناء . وقولى له أن يأتى ، ومعه محارته وبعض اللبنات والملاط مما يجده فى مربط الدواب الجديد » .

وهرعت روزالى مرتاعة إلى إنفاذ أمره . وأتى البناء وعليه سيماء الدهش ، فابتدره السيد : « عليك أن تبنى حائطاً يسد باب هذه المقصورة ، وليكن ذلك على عجل ومن غير جلبة . وليكن عملك متقناً محكما . وسوف أواصل لك العطاء ،

ما أمسكت لسانك عن الكلام — وكذلك أنت ياروزالى » .

وجعل يرقب ، والبناء ماض فى عمله . وفى لحظـة من اللحظات نادت السيدة خادمتها روزالى لتأتيها بطرف تضعـه على كتفيها . وفى أثنائها لمست بيدها المثلوجة أصابع الفتاة،وهمست لها : «قولى لجور نفلو أن يترك — كيفما كان — ثغرة فى البنيان » ثم قالت فى صـوت مسموع : « أحضرى شموعاً أكثر من هـذه حتى يكون البناء أبصر بما يعمل » .

وخيم الصمت فلم يكن يسمع غير مسح البناء بمحارته . وارتفع الجدار شيئاً فشيئاً فلمـا أن بلغ نصف ارتفاعه ، انتهز البناء أن كان السيد مولياً ظهره ، فكسر لوح الزجاج الصغير فى أعلى باب المقصورة بضربة من محارته فاطلت عينان سوداوان واسعتان من الفزع ، ولكن لم يرتفع صـوت ، وسرعان ما غابتـا حين استدار الكونت .

وعند انبلاج الفجر كان البنيان قد تم . ونادى السيد خادمه الخاص وقال : «السيدة زوجتى مريضة ، ولن أدعها وحدها . فقدم لنا طعامنا هنا »

ولبث مسـيو ميريه عشرين يوماً فى حجرة زوجته لا يبرحها . وقد حـدث فى الأيام الأولى أن سمعت ذات مرة حشرجة أنفاس فى المقصورة المسـدودة فصاحت السيدة ، وهى يكاد يغشى عليها من الجزع ، ولـكن السيد لم يدعها تلفظ ما كانت تهم به ، قائلا لها : « لقد أقسمت على الصليب أن لا أحد هناك . فى هذا الكفاية » .

وبعد برهة لم يعد ثمـة حس يسمع ، إلا نحيب السيدة فى صمت .

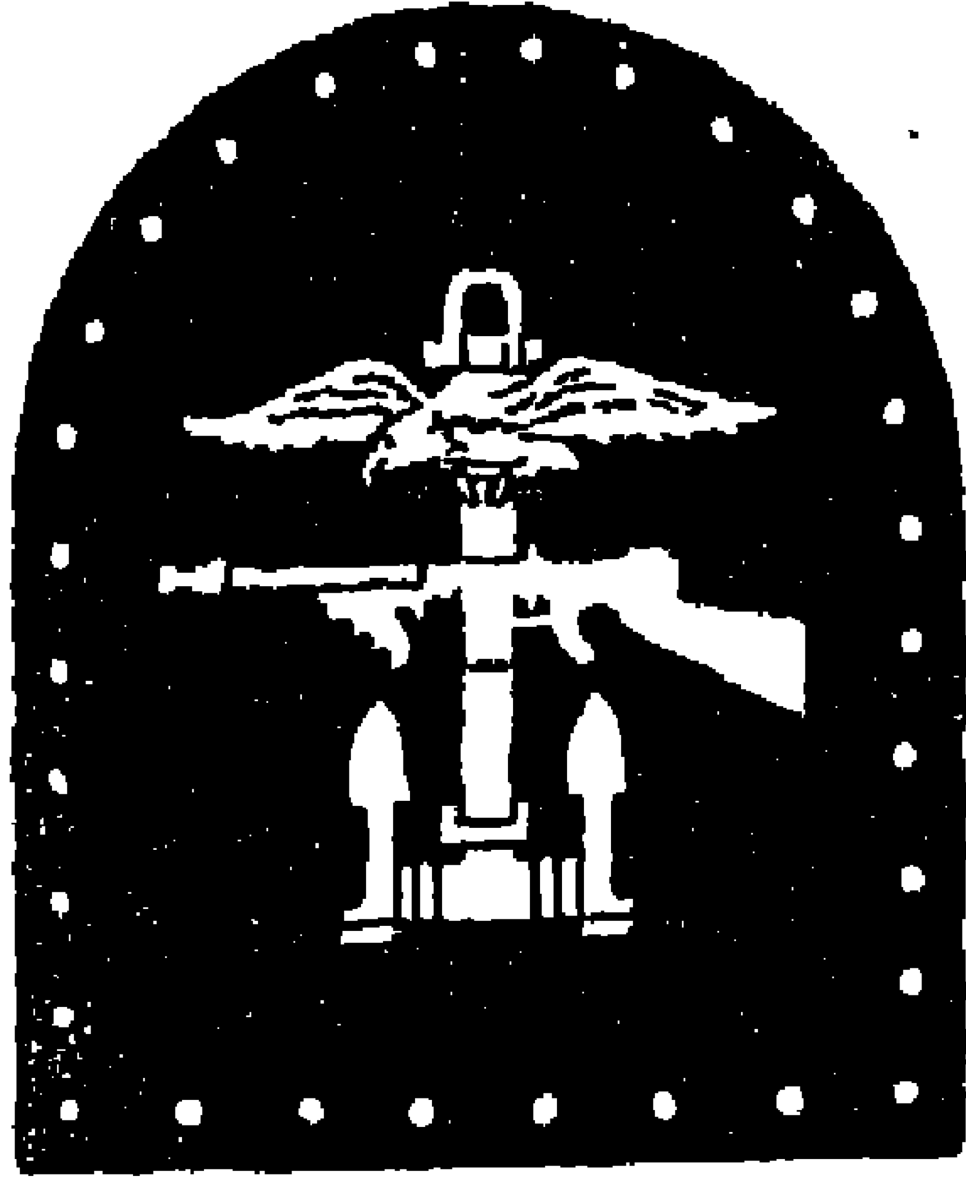


العيب فى كثيرين منا أنهم يتسافون مع الحياة . ولو فكروا فى ما يبتغونه منها ، قدر ما يفكرون فيما عساهم يفعلون بعطلة أسـبوعين ، لهالهم ما فى سياستنا من خطأ ، وما فى موكب أيامنا من سير بلا غاية .

(دوروثى كانفيلد)

ليست الهزيمة مرة الطعم إلا إذا ابتلعتها

باب الكتب



تجربة كاملة

قصة دييب

ملخص كتاب : كونتن رينولدز

« كان للاحكام الذى أديرت به غارة دييب العظيمة وقع بالغ فى نفس كونتن رينولدز ، ولكن وقع الذين اشتركوا فيها كان أبلغ وأعمق ، فكتب هذه القصة الشخصية الحية لما شهده من البسالة والمأساة والفكاهة ، بينما كانت سفينته تهاجم من الجو وتضرب بنار المدافع .

وقد ظل رينولدز عشر سنوات محرراً لمجلة « كوليرز » ، ثم صار مكاتبها الحربي منذ سنة ١٩٤٠ . وقد شهد انهيار فرنسا ، والهجوم الجوى الخاطف على لندن . واتفق له فى أثناء معركة فى لوبية أن أحاطت به ، وبلفيف من الجنود البريطانيين ، دبابات المحور وتعرضوا لضرب الطائرات المنقضة .

وله أربعة كتب أخرى عن تجاربه فى الحرب راجت كلها رواجاً عظيما » .

في مساء ١٧ أغسطس خاطبني الصاغ (ماجور) جوك لورنس تليفونياً في فندق سافوي بلندن وقال لي: «تعال إلى مكتبي في العاشرة صباحاً في ثياب مدنية، وهات بذلتك العسكرية في حقيبة، وأتمنى لك أحلاماً جميلة».

فتجهزت، ولكني لم أر أي حلم جميل.

وكان مكتب جوك هو ديوان اللورد لويس مونتباتن القائد العام للعمليات المشتركة، وهي تشمل فصائل الفدائيين (كوماندو). وطالما وددت أن أرافق الفدائيين في إحدى غاراتهم، فالآن تيسر تدبير الأمر.

وكان كل امرىء في ديوان العمليات المشتركة ساكن الطائر غير معجل، وليس في وسعك أن تعرف من سلوك الموجودين في الديوان أن هناك أمراً يوشك أن يحدث، فقد كان سر الغارات يكتم كتماناً شديداً، حتى إنه ما كان يعلم به سلفاً، حتى في الديوان إلا القليلون جداً.

ومضى بي جوك إلى البكباشي بوبي باركس سميث، فقال لي هذا: «اذهب إلى حجرة جوك، وارتد فيها بزتك العسكرية، وستحملك سيارة في الساعة الثانية، وتقلك إلى ميناء فتركب المدمرة «كالب». وسيكون الملازم «بويل» في انتظارك، وسيخبرك بوجهتك بعد إقلاعها، وستكون المكاتب الوحيد الموجود عليها، وهي مركز القيادة، ومنها تدار العملية كلها».

وألفينا في حجرة جوك زميله فيها البكباشي لورين ب. هيلسنجر، وهو ضابط أمريكي، يتجهز بسرعة عظيمة، وما لبث أن غادرنا فضحك جوك وقال: «إنه ماض إلى حيث تمضي. وسيكون هناك عدة مراقبين من الأمريكيين، وبعض الجنود الأمريكية — قوة رمزية ليس إلا».

ولما أبدلت ثيابي وارتديت بزتي العسكرية قال لي جوك: «انزع شارة المكاتب الحربي».

فسألته: «لماذا؟».

قال: «إنك ذاهب إلى ميناء، وقد تعوق الحالة الجوية القيام بالعمل المنوى يومين، فإذا رأى الناس شارة المكاتب الحربي على ثيابك، فقد يستخلصون أن هناك عملا كبيراً يوشك أن يقع. فالرأى أن تضع لك شارة فضية لبكباشي، فلا يرى فيك من يراك إلا ضابطاً أمريكياً آخر».

قلت: «لماذا لا يمكن أن أكون جنرالا؟».

قال: «ليست لك سماته، وإنه ليكون من أسوأ التدبير أن تمثله».

ثم ودعني جاداً وقال : « أسأل الله أن لا يصيبك مكروه ، ولكنك فتى موفق » . قلت ، وبي بعض الشك : « لا شك أني فتى موفق » .

وما لبثت أن أقبلت سيارة مدهونة بلون أسمر خامد لا التماع له ، وجرت عجلاتها إذ وقفت إلى جانب البناء ، فخرجت وركبت في مؤخرتها مع ضابطين — قائد جناح ، وصاغ بريطاني ، وبعد أن استعرف كل منا إلى الآخر . قال قائد الجناح للسائق : « سر إلى بورتسموث » .

وكانت رحلة طويلة ، مسافتها ٧٨ ميلا ولكنه كان يوماً جميلا ، وكانت الشمس تريق ضوءها على حقول ديفون الخضر ، فتبدو كأنما رشقت ألف زهرة شتى الألوان واشيات في شعرها .

وتمتم قائد الجناح : « هذا وقت لا يطيب فيه السفر » .

فسألته : « كيف ؟ » .

قال : « في هذا الوقت لا توجد حانة واحدة مفتوحة على طول الطريق ، مزعج هذا التنظيم لساعات الشراب وحظره » .

***

ووقف بنا السائق على رأس رصيف من الأسمنت المسلح ، وتقدم منا صول ، وطلب منا بادب بطاقاتنا المثبتة لشخصياتنا ، ورجا منا أن ننتظر دقائق ، فقعدنا على حافة الرصيف نتحدث عن كل شيء ، إلا الغارة وكان في الثناء الجميل على مونتباتن وما فرضه على رجاله من تحري الكتمان ، أن رفيقيّ لم تندّ عن أحدهما كلمة عن الخطة .

وما عتمنا أن انضم إلينا يوزباشي كندي من الضباط الموكلين بالصحافة والنشر ، فسألنا عن السفن التي ألحقنا بها فقال قائد الجناح والصاغ إنهما سيركبان المدمرة « بيركلي » ، (وقد حدث بعد ساعات أن أصيبت هذه المدمرة بضربة مباشرة فقتل الرجلان) .

وسألته : « كيف اتفق أن يلتحق ضابط صحفي كندي بهذه الحملة ؟ » .

فابتسم وقال : « إنها تكاد تكون حملة كندية بحتاً ، فقد مل جنودنا الجمود عامين ولجت بهم الرغبة في القتال . ليتك سمعتهم يهتفون صباح اليوم حين أبلغهم « هام روبرتس » أنه قد جدّ الجد ! » .

وكنت قد سمعت أن اللواء ج . ه . روبرتس يوصف بأنه « رجل حرب » ، فذكرت ذلك للضابط الصحفي .

فقال : « إنه لكذلك ، وقد قال لرجاله هذا الصباح إن عليهم أن يعبروا مضيق « المانش » ، ويخترقوا حقل ألغام ألمانياً طوله عشرة أميال ، يمتد ثلاثة ارباع

ستار الطائرات الألمانية

خسر الألمان ٩١ طائرة
واصيبت ١٨٠ طائرة

سلاح الطيران البريطاني
يضرب دييب في الساعة ٥ صباحًا

ستار الطائرات الحليفة

٩٨ طائرة خسرها الحلفاء
وسلم ٣٠ طيارًا

بطارية مدافع ألمانية غربي

بطارية مدفع ألمانية شرقي

دييب

سفن ألمانية
مضادة للطائرات
أنذرت الحصون الساحلية

سفن نقل
احتياطية

الساحل الفرنسي في جوار دييب حيث نزلت القوات المغيرة في ستة أماكن وكانت هذه القوات في صنادل صنعت خاصة لمثل هذه الأعمال الحربية وقد نقلت بها فصائل المشاة والدبابات إلى الساحل . وكان بين الأهداف الرئيسية للغارة بطاريتا مدافع إحداهما غربي المدينة والثانية شرقيها وقد نجح الهجوم على الأولى ولم يصب الهجوم على الثانية نجاحاً كاملا لأن المغيرين التقوا بسفن ألمانية أنذرت الحامية .

الطريق ، وأردف ذلك بقوله : « وأحب أن تعلموا أن قائدكم سيكون على رأسكم وفى طليعتكم عند اجتياز هذا الحقل ، فإذا اجتزته فإنكم ستجتازونه جميعاً مثلى » .

قلت : « لا بد أن يكون شديدالقلب »

قال الضابط وهو يهز رأسه هزة الإعجاب : « نعم . وستمضى مدمرته فى الطليعة ، ومن المحتمل جداً أن تنسف ، والآن هيا بنا » .

وخيل إلى أن المدمرة « كالب » صغيرة جداً ، وكأنما تخلل بها الأعياء ، على أن كل مدمرة تبدو كذلك من جراء ما تدهن به وتصبغ للتمويه . فصعدت إليها والتقيت بشاب وسيم عرفنى بنفسه ، وقال إنه اللازم بويل .

وقال مقترحاً : « هل نذهب إلى القصف ؟ » .

فإن من التقاليد المرعية فى سفن الحرب البريطانية أن يكون أول مظاهر الحفاوة بزائرها تقديم الشراب إليه وقد طلب لى بويل كأساً ، ولنفسه شاياً .

وسرعان ما اهتزت السفينة كالجرو حين يخرج من الماء ، فقال بويل : لقد أقلعنا ، والآن أريد أولا أن أريك السفينة » .

وصعدنا فى سلمين من الحديد إلى غرفة حسنة على شىء من السعة ، وكان فيها ثلاثة رجال على أجهزة الراديو ، وعلى آذانهم السماعات ، ولكن عينى كانت على الرجل الجسيم المبسم الذى نهض واقفاً لما دخلت .

وأقبل علىّ باشاً يقول : « يسرنى أنك على ظهر هذه السفينة . أنا روبرتس »

فقلت ، وأنا أشعر بقلبي يهبط : « يسرنى أن أعرفك يا سيدى » . ودار فى نفسى ما روى الضابط الكندى أنه قال لرجاله : « أحب أن تعلموا أن قائدكم سيخترق حقل الألغام فى طليعتكم » .

* * *

وأخيراً أخبرنى بويل أن غايتنا هى دييب ، وكانت كاسحات الألغام تتقدمنا وتحاول أن تشق لنا طريقاً فى حقل الألغام الألمانى .

وسألنى بويل مستطلعاً : « هل سبق لك أن ذهبت إلى دييب ؟ » .

فقلت له بغير احتفال : « نعم ، منذ أسبوعين ، مع طائرات القتال الليلية » .

فجحظت عيناه ، وقال وقد تمشت فيه النشوة : « وطرت فعلا معهم ، وخضت ما خاضوا من قتال ؟ لطالما اشتهيت أن أفعل ذلك ! إن هؤلاء الطيارين آية فى البسالة ! وهم مع ذلك أحداث صغار — معظمهم » ! .

فسألته متردداً : « كم عمرك ؟ » .

فانتقد وجهه قليلا وقال : « سأبلغ الحادية والعشرين بعد نحو ثلاث ساعات . وغداً عيد ميلادى » .

وأطل نوتى بوجهه فى الغرفة وقال : « إن الربان هيــوز هاليت يود أن يراكما فى غرفة الملاحة » . فصعدنا ثلاثة سلالم من الحديد إليه .

وكان الترتيب الموضــوع يقضى بأن يوكل زمام الأعمال البحرية كلها إلى الربان ج . هيوز هاليت إلى أن نبلغ دييب ، وهناك يتولى الجـنرال روبرتس القيادة بالاشتراك مع القائد الجوى ا . ت . كول . وهذا هو مؤدى العمليات المشتركة : أن يعمل الجيش والأسطول والقــوة الجوية كفرقة واحدة ، مع التحرى الدقيق للتناسق التام .

وكنا على مسافة ميلين تقريباً من الشاطىء ، عند موضع التلاقى على ما يظهر . وكان الظلام حالكا ، ولكنا كنا نستطيع أن نرى سفناً حولنا فى كل ناحية . وكانت هناك ناقلات ضخمة عظيمة الجوف ، على ظهورها صنادل غزو صغيرة ، ومراكب طويلة لإنزال الدبابات ، ومعظمها غاطس فى المـاء ، وكنا نلمح من حين إلى حين مدمرة تفرق البحر على مقربة منا .

وسألت الربان : « هل معنا طرادات أو بوارج ؟ »

فهز رأسه وقال «معنا مدمرات، ولكن ليس معنا ما هو أكبر ، على أن كل طائرة قتال ميسورة ستكون معنا عند الفجر» .

وتنبهت فجأة إلى أننا سائرون ، وأن وراءنا وعلى آثارنا خطاً طويلاً من السفن لا يستبين إلا لأنه أحلك من الماء . وهبطت أنا وبويل إلى القصف مرة أخرى ، فنشر خريطة وعدة صور فوتغرافية على منضدة .

وقال وهو يشير إلى الخريطة : « هذا منظر عام لدييب . وترى عليه ترقيمات شتى مثل « مدفع خفيف » أو « حواجز فى الطريق » أو « عوائق ضد الدبابات » أو « منزل مقوى » ، إلى مئات من أمثال ذلك ، فقد دأب السلاح الجوى الملـكى أسابيع على أخذ صور لدييب ، وكان آخر ما أخذ البارحة . ألق نظرة على هذه » .

وكانت الصور تبدو كأنها أخذت من ارتفاع مائة قدم ، فإن العدسات التلسكوبية التى يستعملها قسم التصوير التابع للسلاح الجوى الملكى تستطيع أن « تبصر » من ارتفاع مهول حقاً . وقد برزت المنازل والعمائر والطرق حيث تتلاقى وتتقاطع ، وأوكار المدافع المبنية من الأسمنت المسلح هنا وهنا — فى وضوح تام .

ثم قال بويل : « وهــذا هو جدول العمل » .

وناولنى ثلاث صفحات مكتوبة بالآلة الكاتبة ، قرأتها فتبينت مبلغ الجهد الذى بذله مونتباتن وهيوز هاليت وروبرتس ، والأسابيع التى سلخوها لإعداد هذه الغارة وتدبير خطتها وتفاصيلها . فقد رتب الأمر بحيث يقع شىء كل عشر دقائق . مثال ذلك ، أن الشروع فى الإغارة مقرر فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين ، وفى هذا الوقت ينزل الجنود إلى الشاطىء ، ولكنه كان مقرراً أن تقوم المدمرات فى الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة بضرب هذا الشاطىء عشر دقائق . ولكل مدمرة هدفها الخاص ، وكان عليها جميعاً أن تطلق ١٧٨٠ قنبلة ، وكان طول الشواطىء الثلاثة التى ستضرب ١٧٨٠ ياردة . وهذا مثال كاف للتعريف بالجدول .

وقال خادم المطعم بإيجاز : « سندخل حقل الألغام ، فيحسن أن تلبسوا مناطق النجاة ، وأن تصعدوا إلى ظهر السفينة » .

ومناطق النجاة تسمى باسم ممثلة السينما « مى وست » ، حتى فى الاصطلاح الرسمى الآن . ومتى انتفخت وضح السبب فى إطلاق هذا الاسم عليها . وقد لبسناها وصعدنا ونظرت فرأيت أمامى نوراً .

فقال بويل على سبيل الإيضاح : « إن كاسحات الألغام تلقى طافيات مضاءة فى حيث طهرت البحر ـ واحدة كل نصف ميل تقريباً »

واجتزنا الضوء الأخضر الصغير على مسافة عشرين ياردة منه ، ودخلنا فى حقل الألغام . ومضت السفينة مسرعة .

فقلت . « إنه لا موجب للعجلة فى الحقيقة ، أليس كذلك ؟ ألا نستطيع أن نسير على مهل ونحن نجتاز هذا الحقل الملغم ؟ » .

فضحك بويل وقال : إذا مسست لغما فإنه يستوى أن تكون مسرعاً أو متمهلا ، فالنتيجة واحدة » .

ورأيت على بعد ضوءاً آخر من هذه الأضواء الصغيرة ، وإلى هنا كان السير طيباً وكل شىء فيه على ما يرام . وكانت الريح قد هبت متداركة باردة ، ولكنى لاحظت أنى أتصبب عرقاً ، فحدقت أمامى متطلعاً إلى الطافية التالية ، غير أنى لم أر إلا الظلمة ومن ورائها العدو ، ولم يقطع السكون صوت ما . ومالت السفينة قليلا إلى اليمين ، وكانت لحظة من الجزع خطر لى فيها أنْ لعلنا فقدنا الدلالة التى تركتها كاسحات الألغام ، ثم مالت السفينة يسرة ، فأيقنت أننا ضللنا الطريق ، وإذا بضوء صغير يبدو فجأة على مسافة مائة ياردة .

وما زال الانتظار فى الحرب ، أبعث على الفزع من القتال حين يدور ، فإن الانتظار

يعذبك ببطء، ويضعفك ويتركك مسترخياً.

ومضينا على وجهنا آخذين سمتنا على الأضواء الخضر الصغيرة، وإذا بناقوس يدق فى مكان ما، فسمعت أصوات ظلت ساكنة نحو ساعة، فكأنما تنفست السفينة الصعداء، فقد اجتزنا منطقة الألغام، وصار يسع الواحد منا الآن أن يهز كتفيه، ويحدث نفسه أن الرحلة لم تكن ثقيلة الوطأة على النفس.

والآن انقضى الوقت الذى كان ينبغى فيه كتمان الأسرار، فأفضى إلىّ روبرتس وكول، ونحن فى المقصف، بالخطة المرسومة للعمل.

وقد سألت روبرتس: «لنفرض أن كل شىء سار وفق الخطة الموضوعة، فهل هناك أى تفكير فى إقامة رأس جسر دائم؟».

فابتسم وقال: «كلا. فإن معنا طعاماً وعقاقير وذخائر ليوم واحد ليس إلا. ونحن نبغى — إذا تيسر ذلك — أن ندمر السفن التى فى المرفأ، ونستولى على جهاز لاسلكى لكشف الطائرات، وننسف مصانع الطوربيد. وأهم من ذلك أن هذه الغارة ستثبت للألمان أنهم لا يستطيعون أن يتراخوا عن اليقظة والحراسة فى أى مكان على طول الساحل، بل أن عليهم أن يعززوا استحكاماتهم، ولن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا بسحب الجنود والطائرات والمدافع من روسيا. ولا شك أننا كنا نؤثر أن نهجم على نطاق واسع، وأن نفتح ما يسميه الناس جهلا منهم «الميدان الثانى»، ولكنك تعرف كما أعرف المصاعب التى تعترض ذلك».

فهززت رأسى موافقاً، فقد شهدت اجتماعات عقدت فى لندن فى سبيل الميدان الثانى، وكان إخلاص الخطباء والمستمعين وصدق سريرتهم من أوقع الأشياء فى النفس. ولقد عدت من روسيا منذ بضعة شهور ممتلىء النفس إعجاباً بالشعب الروسى، ومن أشد الناس حماسة للميدان الثانى.

ورحت أجوب لندن وليس على لسانى سوى سؤال واحد: «لماذا لم يفتح إلى الآن ميدان ثان؟». ولم أكن ألقى هذا السؤال إلا على الذين يعرفوننى معرفة كافية تسمح لهم بأن يتكلموا معى بغير تحرز. وقد خاطبت فى ذلك رجالا مثل أفريل هريمان، والسفير أنطونى بيديل، وبعض القواد الأمريكيين الذين يعملون تحت إمرة أيزنهاور، وهم فيما أرى من الصفوة المختارة، شباباً، وعزماً، وصلابة، وإقداماً على الحرب. وخاطبت أيضاً رجالا فى وزارتى البحرية والطيران. فلما انتهيت من هذا التساؤل، عرفت لماذا لا يتسنى فتح ميدان ثان فى التو والساعة. فقد كان هؤلاء

الرجال لا يتكلمون إلا بالحقائق والأرقام ، وليس الميدان الثانى فى نظرهم أمراً وطنياً ، أو مسألة تستثار بها حماسة الجماهير ، وإنما هى مسألة عسكرية جافة ، مدارها على الجند وأدوات الحرب ، ليس إلا .

ولم يكن فى الوسع الإفضاء بالحقائق المتعلقة بهذا الأمر فى ذلك الوقت ، ولكن الواقع أن جنود المظلات الذين لا غنى عنهم فى أى هجوم كبير ، كانوا لا يزالون يدربون فى ذلك الحين ، ولم يكن هناك من الجنود الأمريكيين إلا أقل من مائة ألف أوشكوا أن يتموا تدريبهم فى شمال إرلندا ، أما بريطانيا فلم يكن فيها جندى أمريكى واحد ، ولم تكن قوتنا الجوية قد بدأت تصل ، ولا كانت هناك مطارات معدة لها . ولقد هيئت بعد ذلك بشهور قليلة مطارات عظيمة بديعة لسلاحنا الجوى الأمريكى — ولكنك لا تستطيع أن تبنيها فى ليلة ، ولا سيما المطارات اللازمة لاستعمال القاذفات الضخمة .

فالمدنيون الذين كانوا ينتقدون الرؤساء العسكريين ، من بريطانيين وأمريكيين ، كانوا يفعلون ذلك لأنهم يجهلون حقائق الحالة

* * *

وصعدت إلى مركز القيادة فأدهشنى أنى وجدت أن السفينة كفت عن السير تقريباً . فمن الجلى إذن أننا قد بلغنا حيث نريد . ورأيت عن بعد نوراً يضطرب كأنه يطرف ، فقال لى أحد الضباط فى مركز القيادة ، وهو متجهم : « هذه منارة . وإنها لبشرى . فإن معناها أن القوم لا يتوقعون مجيئنا » .

فسألته : « أين نحن الآن ؟ » .

قال : « على نحو عشرة أميال من دييب » .

وكان على القوة الرئيسية التى كان هدفها دييب أن تنزل إلى اليمين من الميناء ، وعلى الوحدة الرابعة من الفدائيين أن تنزل على مسافة ستة أميال تقريباً إلى الشرق من ذلك ، وأن تدمر بطارية مدافع من عيار ست بوصات . وكان هذا حتما مطلقاً ، فقد قال قائد الوحدة — البكباشى اللورد لوفات وهو شاب متوقد الذكاء — فى الليلة السابقة لرجاله ببساطة وإيجاز : « افعلوا هذا ، ولو احتاج الأمر إلى أعظم مخاطرة ممكنة » .

وكان هناك إلى الغرب من دييب بطارية أخرى من مدافع عيارها ست بوصات مقامة على مرتفع من الأرض يشرف على الساحل المنبسط أمام المدينة ، وقد وكل تدمير هذه البطارية إلى الوحدة الثالثة من الفدائيين .

وعند منتصف المسافة بين دييب

والموضع الذى ينبغى أن ينزل فيه لوفات ورجاله ، أمكن أن يعرف مكان جهاز لاسلكى لكشف الطائرات ، وقد عهد إلى كتيبة « سوث سسكاتشوان » أن تدمره أو ، إذا أمكن ، أن تجرده وتعود به . وقد رافق رجال الكتيبة أحد المدنيين وهو ذو شأن عظيم ، ويعرف باسم «الأستاذ ويندل » ، ولا يعرف اسمه الحقيقى سوى قليلين جداً فى بريطانيا ، وهو فى الواقع صاحب الفضل فى ابتكارات شتى فى فن تعيين المواقع بأشعة الراديو ، وقد جعل الآلات البريطانية خير ما فى العالم ، وإليه يرجع الفضل فى أن سلاح الطيران الملكى وجماعات المدافع المضادة للطائرات فى بريطانيا تستطيع دائماً أن تعرف أن الطائرات الألمانية مقبلة قبل أن تصل إلى أهدافها بزمن طويل .

ولم تكن المهمة الموكولة إلى الأستاذ « ويندل » مما يطيب للمرء . وكان له حرس من أربعة جنود عليهم أن يفتحوا عيونهم وبنادقهم أيضاً على الأستاذ . وكان على الأستاذ أن يفحص الجهاز اللاسلكى الألمانى لكشف الطائرات لعله يقع فيه على جديد . وحسبه بضع دقائق لهذا الغرض بفضل ما له من التجربة الفنية العظيمة ، ولكن هب الألمان كانوا أقوى مما كان مقدراً ، وفاجأوا الأستاذ وحرسه ؟ الجواب بسيط . فقد كانت الأوامر الملقاة على الجنود الأربعة تقضى عليهم بأن يطلقوا النار على الأستاذ فوراً ، فما كان يسع بريطانيا أن تدع هذا العبقرى فى معرفة أجهزة اللاسلكى الخاصة باكتشاف الطائرات يقع فى أيدى الأعداء .

وقد شرح لى مونتباتن نفسه سبب هذا الزهد فى المخاطرة بوقوع أحد فى الأسر يمكن أن يستفيد العدو من معارفه . وقد عرفنا من طيارى السلاح الجوى الملكى الذين فروا من معتقلات الأسر الألمانية ، مبلغ حذق الألمان وبراعتهم فى استخلاص الحقيقة من الأسرى ، وقد كفوا ، إلى حد ما ، عن الالتجاء إلى وسيلة التعذيب البدنى الذى جروا عليه مع البولنديين والتشيك والنرويجيين . ولم يكونوا فى ذلك صادرين عن بواعث إنسانية ، وإنما كان السبب أنهم اهتدوا إلى وسيلة أخرى أنجع إلى التعذيب .

ذلك أن عندهم عقاراً يؤثر فى العقل ، ومتى تناوله الأسير فإن المسكين يصبح عاجزاً عن الكذب ، أو عن الامتناع عن الإجابة فكأنه مصل لكشف الحقيقة ، وهو يترك الضحية فى مثل « نوم السحر » وتأثيره . إن العقل الباطن ، أو الذى وراء الوعى ،

يسيطر سيطرة تامة على العقل الواعى ، فلا يبقى للارادة مهما تبلغ من قوتها أى غناء . وقد أثبت العلماء البريطانيون أن مثل هذا العقار موجود .

ومن هنا كان مصير رجال مونتباتن أن يَقتلوا أو يُقتلوا . وكانوا يعرفون ذلك حين تقدموا متطوعين للعمل تحت قيادته . وكان ويندل يعرف ما هو مقدم عليه من الخطر العظيم ، ولكن وطنيته كانت أعظم . ومن حسن حظه وحظنا أنه نجا بعد أن أدى مهمته .

* * *

وكان من الجلى أن العدو لم يدر بتقدمنا إلى الآن ، فراح أسطولنا يزحف ويدنو ، وكانت الساعة قد بلغت الدقيقة السابعة والأربعين بعد الثالثة صباحاً ، ثم استيقظ الليل الذى كان راقداً ، على جمهرة باهرة من الأضواء الخضر والحمر ترسم أقواساً فى السماء ، ويومض سناها فى ظلمة الليل المخملية ، فوقفنا مبهوتين فى غرفة القيادة . وكانت هذه قذائف تترك وراءها أثراً يدل على أنها صادرة عن يسارنا . ثم سمعنا مما يلى الماء بمعمعة المدافع المضادة .

وعاد بويل من غرفة الجنرال روبرتس وقال : « إن باخرة زيت كانت داخلة على بضعة أميال إلى الغرب من دييب ، تحرسها أربعة أو خمسة من زوارق الطوربيد ، وقد رأت الزوارق صنادل الفدائيين فشرعت تمطرها وابلا من النيران » . وأضاف إلى ذلك وهو مقطب : « إن هذا سيقلب جدولنا » .

فذهبت إلى غرفة روبرتس ، وقعدت على الأرض قريباً من الباب من حيث لا أكون فى طريق أحد . وكان روبرتس وكول يتكلمان فى هدوء ، وكان رجال على آذانهم السماعات وأمامهم أفواه التليفون ، يتلقون الأنباء ويقدمونها إلى روبرتس .

« شتتت زوارق الطوربيد ، وأغرق ثلاثة منها ، وقد دمرت باخرة الزيت ، وتحاول الوحدة الثالثة من الفدائيين والكتيبة الملكية أن تجدا مكان الميعاد ، وتمضيا إلى وجهتهما » .

ولكن نيران زوارق الطوربيد كانت قد شتتت الصنادل الغاصة بالفدائيين وأغرقت بعضها ، فمات كثيرون من الفدائيين قبل أن يبلغوا الشاطىء ، ودار غيرها ورجع . على أن أحد الصنادل استطاع أن يغافل زوارق الطوربيد ويصل إلى الشاطىء ، ولم يكن رجاله من الفدائيين المقاتلين ، فى الحقيقة ، فقد دربوا على أعمال الاتصال والمخاطبات ، ولكنهم كانوا يحملون بنادق . وقد لبثوا بضع دقائق ينتظرون

ثم قال لهم الصـــاغ بيتر ينج ، وعمره أربع وعشرون ســنة : « لقد أمرنا أن نسكت هــذه البطارية ، ونعطلها ، أليس كذلك ؟ » .

فقال بعضهم : « هذا صحيح » .

فصاح بهم : « إذن ماذا ننتظر . ؟ »

وكانوا عشرين فقط ، فمشــوا مسافة ربع ميل دون أن يراهم أحـد ، ووجدوا البطارية ، فتفرقوا ، على نحو ما يصنع الهنود وأطلقوا النار من بنادقهم الآلية الصغيرة . ولم يكن فى مقدورهم أن يسكتوا البطارية ولـكنهم أزعجوها بنيرانهم ، حتى لقد عجزت عن التفرغ لنا نحن الواقفين على مسافة من الشاطىء .

وكان الفجر يزداد نوراً ، فنظرت إلى ساعتى وإلى الجدول . وقد بدأ ستار النار لما أتم عقرب الثوانى دورة الدقيقة ، فصار الهواء كأنما يضطرب ويختلج من أصوات القذائف .

وظلت المدافع عشر دقائق تقصف ، والومضات الذهبية تشق ضوء القمر ، ثم كأنما كان كل شىء يدير تجربته مدير حاذق ، فانطوى ستار الليل، وطاردت الشمس قطعاً قليلة من الضباب ، فتبدت لنا مدينة دييب .

وتأدى إلينا من الغرب قصف المدافع من عيار ست بوصات ، ثم جاءت معمعة المدافع الرشاشــة ، وسمعت فوق ذلك صــوت طائرات سبتفاير الرنان ، وكانت أربعاً وعشرين ، فى سربين . وتمتاز هذه الطائرات بهيفها وأناقتها ، ولا شـبه لها فى ذلك ، ومحركاتها لا تزأر بل تترنم وتشدو ، وقد غيرت نظام صفوفها ، وصار كل أربع معاً ، وتفرقت جماعاتها هــذه ، وخالفت بين ارتفاعاتها لتحمينا من كل جانب .

وظل روبرتس يتلقى الأنباء ، وقليل منها ما كان حسناً ، وكان لـكل رقعة من الساحل ، ولـكل هدف ، اسم .

« تقرير من الساحل البرتغالى يا سيدى أتمت الوحدة الرابعة من الفدائيين مهمتها وهى عائدة » .

« وماذا عن الساحل الأحمر ؟ » .

فهز الضابط رأسه وراح يكرر تكريراً مملا : « ادعو الساحل الأحمر ، ادعو الساحل الأحمر » ، وهو الموضع الذى كان مفروضاً أن تـكون الوحدة الثالثة من الفدائيين قد نزلت فيه .

« هنا السـاحل الأرجوانى . نطلب ستاراً آخر من الدخان على صخور الشاطىء الغربية . وابل الرصاص علينا شديد » .

فقال روبرتس : « أبلغ ألفريد هذا يا هندرسون » .

وكان القائمقام هندرسون أحد أركان

حرب الجنرال روبرتس ، فأدنى فمه من الميكروفون وقال : « ادعو ألفريد . ادعو ألفريد . ألقوا سحابة من الدخان على صخور الشاطىء الغربية حالا . هل تسمعنى ؟ انتهى »

وكان « ألفريد » هو الذى اتخذ فى يومنا رمزاً لمقر قيادة السلاح الملكى البريطانى فى إنجلترا . وهناك فى مكان ما ، وعلى بعد ثلاثمائة ميل سمعت هذا النداء آذان لا تنفك لاصقة بالسماعات . وصدرت الأوامر . وما لبثنا أن رأينا طائرات من طراز دوجلاس بوستون تحلق فوقنا ، وهى تحمل جهازاً لاسلكياً مزدوجاً للارسال والتلقى . وتمشيت على ظهر السفينة فأبصرت طائرتين من طراز بوستون ، تنقضان من حيث لا ندرى ، وتخلفان وراءهما دخاناً أبيض كالريش استقر على صخور الشاطىء . ثم مالتا ميلا حاداً وعادتا أدراجهما ، واحتجبت ذرى صخور الشاطىء بفضل هذه الطبقة الصناعية من السحاب ، وصار رجال المدافع الرشاشة فوق هذه الربى لا يستطيعون أن يروا رجالنا لابدين خلف جدار البحر الواطىء على الشاطىء .

وكان هـــذا هو العنصر الجوهرى فى العمليات المشتركة ، فما مضت دقيقتان على ما طلبه الجنرال روبرتس من إلقاء الدخان على الربى — وها هى ذى قد حجبت !

وكنا قد زدنا اقتراباً من الشاطىء ، وكان المنظر مما لا تستطيع هوليود أن تأتى بمثله ، وكانت القنابل تقذف من البطاريات الساحلية ، وقد سقطت إحداها على مسافة خمسين قدماً منا ، فدفعت فى الهواء نافورة من الماء ، وقعت عليها أشعة الشمس ، فأرسلت شرراً أحمر وذهبياً . وكانت المراكب من كل نوع تمتد إلى آخر مدى البصر ، والزوارق التجارية الصغيرة تنطلق من سفينة إلى أخرى . وقوارب الطوربيد تزأر وهى تمر ، والصنادل الكبيرة الموقرة بالرجال والمدافع تتجه إلى الشاطىء .

ودنا منا صندل ، ووقف ، وصعد رجاله إلينا . وكانت عليهم طوائف شتى من الأوساخ والأقذار ، ووجوههم ملطخة بالسواد ، ولكنهم كانوا يبتسمون . وكان هؤلاء فريقاً من وحدة «لوفات» الرابعة لم يستطيعوا أن يهتدوا إلى سفينتهم فجاءوا إلينا .

وسألت فدائياً ضخما منهم وهو يصعد إلى السطح : « كيف كان الحال ؟ » .

فضحك وقال : « كقطعة من كعكة ! لقد صرنا أدنى شىء إليهم قبل أن يتنبهوا إلى أننا هناك . وكان الحظ حليفنا ، فقد أصابت قذيفة من مدفع مورتر من مدافعنا ، مستودع الذخائر فنسف كل شىء . ثم هجمنا وقضينا عليهم . وقد دافعوا

ولكنهم لا يستمرئون هذا السلاح ، أليس كذلك ؟ » .

فهز رفقاؤه رءوسهم مؤمنين ، وقال أحدهم : « حدثهم عن الكولونيل » .

فانفجر الفدائي الضخم يضحك ويقهقه وقال : « أما إنه لرجل — هذا القائمقام لوفات ! فقد كان في العودة آخرنا على الشاطىء ، وهو أبدا هكذا ، وكانت الصنادل على مسافة ١٥ قدماً من البر ، حتى لا تنغرس وتتعطل إذا احتاج الأمر إلى الجلاء السريع ، وكانت قنابل المورتر التي تضرب من مكان ما إلى الوراء تسقط قريباً منه ، والمدافع الرشاشة تنطلق بسرعة من فوق صخور الشاطىء ، والقذائف تتساقط في كل مكان . فشرع القائمقام يخوض الماء ، فلما بلغ ركبتيه كان لا يزال على مسافة عشر أقدام من صندلنا ، فصاح بنا : « لماذا ينبغي أن أبتل من أجل أنكم أكسل من أن تدفعوا الصندل إلى الشاطىء ؟ تعالوا وخذوني ! » .

وضحك القوم وقال بعضهم : «القذائف تنهمر حوله وهو لا يزعجه إلا أنه يبتل ! » .

ثم جاءت الطائرات الألمانية . فما زلنا بعد ذلك تحت ضغط مستمر من طائرات العدو ، ففي حيثما صعدت طرفك ، كنت ترى معارك جوية ، إذ تحاول طائرات فوك — وولف ، ودورنير أن تخترق مظلتنا الواقية من طائرات سبتفاير . وقد شاهدت اثنتين من طائرات دورنير تضرعان وتهويان ، كأنهما كرتان من النار ، إلى البحر . وأصيبت ثالثة وهي في الجو بقذيفة فانشطرت وصارت حطاماً متناثراً . ولم يتمثل للخاطر قط أن رجالا من لحم ودم كانوا بعض هذا الحطام .

وحاذانا صندل وألقى إلينا بالفوج الأول من الجرحى ، وكان الطبيب ينتظر في غرفة صغيرة في طبقة أدنى . فأمر الذين يستطيعون السير أن يجلسوا في الممر ريثما يعني باثنين كانت إصابتهما بالغة . وكان كلاهما راقداً وعيناه مفتوحتان ، وقد غاض الدم من وجهه ، وخلا من كل تعبير ، كأنما أسدل الألم عليه قناعاً . وكان أحدهما قد أصيب في بطنه ، ولم يبن على وجه الطبيب تغير ما ، حين تناول أبرة وغرزها في ذراع الرجل ، ونهض ، ونظر إليه ، وهز كتفيه .

أما الثاني فكانت إصابته في رجله ، فحقنه الطبيب بشيء ، وأسرع مساعدان فقصا سراويله . وعريا الجرح ، فإذا رجله مما يلي الركبة لا يمسكها إلى جلدة .

وقال الرجل وكان صوته واحداً لا تتفاوت نبرته : « كيف نجوت ؟ لقد

بلغنا الشاطىء . ونزلنا ، وكانت المدافع الرشاشة ترمينا من الجانبين... كلهم أصيبوا إلا أنا ... وواصلوا رمينا بالرصاص ... ولم يصيبونى ... قتلوا جميعاً ... جميعاً إلا أنا ... لم يصيبونى قط ... » .

وخفت الصوت حتى انقطع . وتمتم الطبيب : « فات الوقت مع الأسف ! » .

وحينئذ فقط أدركت أن الرجل الذى على المائدة ميت .

وكانت مدافعنا المضادة تنطلق بشدة ، ومعنى هـذا أن الطائرات المعادية لا تزال تقبل ، وصار المقصف غاصاً ، وفيه على الأقل اثنا عشر رجلا فى بذلات مبتلة ، وكان خادم المقصف — جو كراوذر — يساعدهم على نزع ثيابهم المبللة والتوشح بالأغطية أو البطانات الدافئة .

وكان معظم الجروح من شظايا الشرابنل وهى ليست بالخطرة ما لم تكن الإصابة بها فى البطن ، وكان الوقت أضيق من أن يتسع لشق الجروح وإخراج الشظايا ، فكان الطبيب يكتفى بأن يريق على الجروح مادة مطهرة ثم يضمده .

وكنا ربما سقطت قنبلة على كثب منا ، فكنا لا نعرف هل أصبنا تحت خط الماء إصابة مباشرة أو لا ، فكنا نسمع انفجاراً فتميل السفينة قليلا ويسمع لها صرير وصريف ، ونسكت ، ثم يضحك جو كراوذر ويقول : « يا للجحيم ! هذه كانت على مسافة نصف ميل » . ولم يكن جو كراوذر قبل ساعات معدودات إلا رجلا له لهجة أهل بوركشير أما الآن فقد صار شخصية تبرز ، وكان وجهه مستديراً ، وعيناه واسعتين حائلتين وكان يتكلم ببطء شديد .

وقال وهو يلف بطانية على قادم جديد : « هذه سفينة مجدودة . نعم ، فقد أصيبت مرات عديدة ، ولـكنهم لا يستطيعون أن ينالوا منها منالا . وإنها لمتينة طيعة ، أى نعم وخير من ذلك كله أنها مجدودة . خذ قطرة من « البراندى » يا صاحبى ، فإنه كله على حساب جلالة الملك . ولن يطالب المقصف رواده بأثمان ما يشربون اليوم » .

ونزل بعضهم على السلم الحديدى متعثراً وانطرح إلى المقصف حتى بدا لى أنى أعرفه وقد تبينت أنه ولاس ريبورن مكاتب الستندارد التى تصدر فى مونتريال ، وكان وجهه شاحباً . فخطا خطوتين فى الغرفة ثم تهافت إلى الأرض ، فرفعت رأسه ، وصببت فى حلقه شيئاً من « البراندى » فشرق ، وهز رأسه ، وفتح عينيه ، وعرفنى .

وقال : « يا لها من قصة ! » ، وابتسم بضعف ثم قال : « لست واثقاً ، ولـكنى أحسبنى أصبت إصابتين » ففحصناه ، أنا

وجو ، فألفيناه أصيب فى كتفه وفى موضع آخر .

وضحكت وقلت له : « بك جرح لن تستطيع أن تراه إلا إذا لويت جسمك فصار وجهك فى موضع قفاك . وهو ليس بالبالغ — شظية صغيرة من الشرابنل. كيف كان الحال على الشاطىء ؟ » .

فقال وهو يرعــد : « فظيع . كنت مع كتيبة سكاتشوان . وكان هناك جدار على الشاطىء ارتفاعه اثنتا عشرة قدماً وفوقه أسلاك شائكة متينة جداً. فراح فتياننا يعالجونها ويلحون عليها ، وأخيراً شق أحدهم طريقه فيها فتخطيناها . وفى هذا الوقت تنبهوا لوجودنا. فأطلقوا علينا المدافع الرشاشة ، فطأطأنا رءوسنا لنتقيها . وبلغنا بيتاً مهجوراً ، ولكنهم جعلوا يرموننا فيه بقذائف المورتر ولم يكن هذا مما يطيب ، فخرجنا نقصد إلى المدينة نفسها .

« وكان علينا أن نعبر نهراً عليه جسر فأما الذين شرعوا فى ذلك أول من شرع فقد حصدوا جميعاً . ثم جاء ميريت — أعنى البكباشى س . س . ا . ميريت — ويا له من رجل ! فتى جسيم عليه رونق الشباب ، ولا يتجاوز عمره الثالثة والثلاثين . لم يزد على أن قال لرجاله فى هــدوء : « لا تحتشدوا . . هيا بنا ! » . ثم حمل خوذته بيده ، وذهب يمشى على الجسر كأنما يتمشى متريضاً . وكان آخر عهدى به أنه كان متجهاً إلى دييب ، وفى كلتا يديه مسدس . سألت الله أن يرده سالماً » .

« كم لبثتم على الشاطىء يا ولاس ؟ » .

« أكثر من ست ساعات . وكان شرها الساعة الأخيرة ، وقد قضيناها فى انتظار المراكب لحملنا . وقد أقبلت فى الموعد المضروب ولم تتأخر عنه ثانية ، ولكن البحر كان قد مدّ ، فاحتجنا أن نخوض مسافة ثلاثمائة ياردة تحت رصاص المدافع الرشاشة وقذائف المورتر لنصل إلى الزوارق .

« ولا بد أن الحال كان شبيهاً بما حدث فى دنكرك — رقود على الشاطىء ما بين جريح وقتيل ، وآخرون فى الماء إلى ركبهم ينتظرون الزوارق ، ورجال يسددون بنادقهم إلى الطائرات التى تخطف فوق رءوسهم خطفاً حتى لا يكاد المرء يراها .

« وكان الزورق الذى ركبته قد انغرز فى الرمل ، ولكنا أخرجناه منه . ولما سار بنا نحو خمسين ياردة إذا به قد بدأ يغرق ، كان الله فى عوننا — غطس تحتنا . وكان هناك صندل آخر على نحو عشرين ياردة فسبحنا إليه ، ثم بدأ هــذا أيضاً يغرق ، ولكن النوتية البريطانيين طافوا بالجنود واحداً واحداً ، وانتزعوا الخوذات والبنادق

وكل ثقيـل غير ذلك ، وألقوا به فى الماء للتخفيف ، فتسنى لنا بذلك أن ننجو » .

وكانت مدافع أورليكون ومدافعنا الأخرى من عيار أربع بوصات تنطلق الآن ، فكان الضجيج والرجفان يملآن الغرفة الصغيرة . وشرع المصباح الموضوع فوق المنضدة يترجح من ناحية إلى ناحية كالمخمور ومالت السفينة ميلا شديداً يسرة ثم يمنة . وكان سيرنا معوجاً ملتوياً ، فكان من الجلى أن طائرات العدو تحلق فوقنا .

وأكبر ظنى أن السفينة ترنحت أولا قبل الانفجار بثانية . فقد ارتفع مقدمها ، ثم مال إلى اليسار ، ثم كان الانفجار ، فكأنما دقفت زجاجاً ضخما بشوكة متذبذبة ضخمة ، فظل دوى الصوت فى أذنيك بعد الدقة بوقت طويل . ثم سمعنا من ناحية بيت المؤونة المجاور للمقصف ، صوت اندفاع الماء بقوة ، فتعلقنا جميعاً بالمناضد والكراسى . وإذا بضحكة مجلجلة — ضحكة جهيرة من أعماق القلب والجوف — تستعلى على هذه الضجات . وكان الذى أطلقها هو جو كراوذر .

وقال بصوت قوى وبلهجته الإقليمية : « أسمعتم مدفعنا الجديد من عيار ثمانى بوصات ؟ إن من يسمعه يخيل إليه أن قنبلة أصابتنا ، أليس كذلك ؟ ياله من مدفع ضخم يرج السفينة رجاً ! . ولقد حطم لى كل الزجاج فى مخزنى » .

فنظرت إلى وجه جو ، الكبير المستدير البرىء ، ودعوت الله أن يباركه ، فقد كان مكاننا من السفينة تحت خط الماء بكثير ، فلو كانت السفينة قد بدأت تغرق ، لضعف الأمل فى إمكان الصعود فى السلم الحديدى . ولم يكن ثم مدفع من عيار ثمان بوصات ، ولكن بعض التوتر الذى استولى على الجرحى زايلهم .

وأسرع بعضهم إلى بيت المؤونة بأدوات وآلات ، وكانت السفينة قد استوت ولكنها كانت لا تزال تتعرج فى سيرها ، فالطائرات لم تطرد إذن .

وقال جو كراوذر فى هدوء : « إننا نلقى ستاراً من الدخان . ومن عادتنا أن نتعرج فى سيرنا كلما فعلنا ذلك » .

* * *

وصعدت إلى ظهر السفينة ، فألفيت كل سفينة تتحرك حتى لا تكون هدفاً ثابتاً . وكانت هناك زوارق صغيرة لا تحمل إلا مدافع مصادة للطائرات ، فكانت ترسل ميزابا من رصاصها فى السماء . وكانت طائرات سبتفاير تمرق هنا وهناك وفى كل مكان . ولكنها كانت أحياناً ، وهى تطارد العدو ، تترك ثغرات فى الفضاء فتشق طائرات دورنيير وفوك — وولف طريقها فيها ،

وتلقى قنابلها على سفننا وتطلق عليها مدافعها الرشاشة .

وحاذانا صندل ، وألقى إلينا نحو ثلاثين رجلا كلهم تقريبـاً من الجرحى ، فصارت سطوحنا كلها غاصة بالجرحى . وكان بعضهم رقوداً على محفاتهـم متجاورين ، وبعضهم يتكىء على الحافة أو صناديق الذخيرة ، وكان اثنـان من الذين جىء بهم أخـــيراً من « الرينجر » الأمريكيين ، من مدينة مينا بوليس وكانا حدثين فى رأى العين .

فسألت أحـدهما وكان أشقر : « مع من كنت ؟ » .

وكان اسمـه الجـاويش كنث كنيون ، فقال : « مع الوحدة الرابعة من الفدائيين : وكانت المعركة شديدة على الشاطىء . ولـكن هؤلاء الفدائيين والله أمجاد مغاوير ، وكان هدفنا بطارية مدافع من عيار ست بوصات ، وكان هناك بستان قبيلها ، فهل تدرى ماذا صـنع هؤلاء الفـدائيون ؟ كانوا يرقدون ويطلقون النـار ، ثم يثبون إلى أقدامهم ويقطفون التفاح عن شـجره ، ويعودون إلى إطلاق النار » .

وكان زميله الجاويش ماتشيل سوانك من المدينة نفسها ، وكان جرحه فى ذراعه ولـكنه كان يهزأ به .

وقال مبتسما : « لقد كنت واثقاً أنْ لن يصيبنى سوء . فقد كان معى عوذة بديعة — إنجيل » . ورفع يده فى ثيابه المبتلة وأخرج كتاباً صغيراً مبللا : « وقد حمله أبى معه فى الحرب الماضية فلم يصب قط . وقد أعطانيه لما سافرت ، وصدقنى حين أقول : إنى سأحمله معى دائماً » .

وذهبت إلى مؤخر السفينـة ، ورأيت الموضع الذى أصابته القنبلة ، وكان الحطام قد جمع ورفع ، ولـكن بعض الدم كان باقياً . ورأيت عدة محفـــاة متجاورة ووجوه الراقدين عليها مغطاة .

ثم أصيبت السفينـة « بركلى » — سقطت عليها قنبلة فى وسطها فقصمت ظهرها ولم نسمع القنبلة وإن كانت البركلى لا تبعد عنا إلا أربعمائة ياردة ، لأن الضوضاء الحاصلة من انطلاق مدافعنـا ومن انفجار القنـابل التى تسقط على كثب منا ، صارت نعيراً يمزق الأذن ، ولا يتسنى فى ضجته العظيمة تمييز صوت معين على حدة .

وخففنا إلى معونة السفينة المصابة وكانت زوارق الطوربيـد البخارية والصنادل قد حفت بها ، وتولى الأسطول البريطانى مهمته الآن . ولست أظن أن أى رجل مكث فى الماء أكثر من ثلاث دقائق . وقد قتـل كثيرون لما انفجرت القنبـــلة ، ولـكن الجرحى نقلوا عن آخرهم .

وحمل بعض الناجين إلى مدمرتنا ، وكان أحدهم يوزباشي في الجيش البريطاني ، فسألته : هل رأى القائمقام هيلسنجر زميل جوك لورنس في مكتبه ؟ فهز رأسه أنْ نعم .

وقال بإيجاز : « لقد أصيب . وكنت معه على ظهر السفينة لما أصيبت ، فلم يمسسني أذى ، ولكن أصابته هو بالغة . وكان يتكلم مازحاً عن حذائين جديدين يلبسهما لما سقطت القنبلة . فمالت السفينة ميلا شديداً إلى اليسار ، وكنا في هذا الجانب ، فلم أصب . وقصدت إلى هيلسنجر لأسعفه ، فألفيته يسخط ويلعن ، وكان ظهر السفينة قد صار في مستوى الماء ، فرأيت أحد حذاءى هيلسنجر الجديدين طافياً على الماء على مسافة ثلاث أقدام ، فطار عقله ، وخلع الحذاء الآخر على نحو ما ، ورمى به وراء الحذاء الطافي » .

فسألته متحيراً : « هل تعني أن انفجار القنبلة أطار أحد الحذائين ؟ » .

فقال وهو يملأ صدره بنفس طويل : « نعم أطار الحذاء . وكان طافياً هناك وفيه قدم هيلسنجر أيضاً . وإن حالته لسيئة ، ولكنه شجاع جداً » .

« إذن قد فقد رجله ؟ » .

فقال بصوت ممسوح : « نعم فقد رجله »

* * *

وأقبل بويل علينا في المنتصف فقال بهدوء : « انتهى الأمر . والجميع الآن عائدون من حيث أتوا — الجميع ما عدانا . فإن الجنرال روبرتس سيرجع إلى الشواطىء ليلتقط من عسى أن يكون في الماء ، وسنكون هنا وحدنا ، وسنلقى على التحقيق مثل حر الجحيم » ، قال هذا بلهجة المغتبط المستبشر .

وكنا نستطيع ونحن على ظهر السفينة أن نرى السفن عائدة ، أما مدمرتنا فاستدارت متجهة إلى الشاطىء ، ودنت منه حتى لقد سدد الألمان مدافعهم الرشاشة إلينا . فوقفنا وراء أستار المدافع وغيرها مما يصلح للوقاية ، فكان الرصاص يطقطق عليها . وكان بعضنا ، من حين إلى حين ، يلمح رجالا متشبثين بألواح أو غيرها من الحطام ، فكانت السفينة تمضي على مهل إليهم وترفعهم إليها .

وكان الضرب المنصب علينا شديداً ، لأنه لم يكن ثم غيرنا ، أما قبل ذلك فقد كان هناك أكثر من مائتي هدف في منطقة نصف قطرها أربعة أميال .

وإني لواقف خارج الممر قليلا ، وفي منتصف السفينة ، وإذا بصوت جديد يشق الفضاء فجأة على الرغم من أصوات مدافعنا : صوت لا تنساه أبداً إذا سمعته . وذلك أن

طائرة من طراز فوك — وولف ١٠٩ مرقت فى المظلة التى نشرتها طائرات سبتفاير وذهبت تقـذف بنفسها علينا . فجمدت فى مكانى ، وجمـد مثلى الأربعـة الذين كانوا حولى ، ومن بينهم بويل وكومودور الجو كول . وهبطت الطائرة من ارتفاع خمسة آلاف قدم إلى ثلاثة آلاف فى بضع توان ، ثم ألقت قنـابل ، وصار الجـو كله جحيما وزئيراً . فارتددت متراجعاً إلى الممـر ، واستلقيت على ظهرى ، ورحت أصغى إلى العالم وهو يقضى نحبه .

وذهلت ، ولم أدر هل أصبت أو لم أصب ، ثم انطبقت أسنانى على شىء ، فلفظته فإذا هى قطعة ذهب كانت غطاء ضرس ، فالتقطتها ودسستها فى جيبى ، فمن البديهى أن الرجة فكتها .

ونهضت متخاذلا ، ومشيت خطوتين إلى ظهر الباخرة ، فإذا الرجلان اللذان كانا واقفين على يمينى ويسارى ميتان . وجاء نوتى فساعد كومودور الجو كول على الدخول ، وكان وجهه ملوثاً بالدم . ومر بى بويل متعثراً ويداه على عنقه ، فقد أصيب فى عنقه ورأسه .

وتحسست أصابعى الحلية الذهبية التى فى جيبى . كنت واقفاً مع أربعة ، اثنان منهم قتلا ، والآخرون جرحا جروحاً بليغة ، أما أنا فما فقدت سوى « غطاء ضرسى » فلماذا نجوت ؟ ولأى شىء ادّخرت ؟

* * *

وكنا قد قضينا هنا نحو تسع ساعات إلى الآن ، فتحلل التعب بنا جميعاً ، ولم يعد هناك ذلك الصياح الذى كان يند عن رجال الدفعية كلما رأوا طائرة ألمانية . فصاروا يحشون المدافع ويطلقونها على نحو آلى وكان فى السفينة حوالى خمسمائة من الجرحى ، وغص المقصف والسطوح بالصامتين .

والبدن يستطيع أن يحتمل ضربا شديداً وأذى أليما ، وهو يكاد يكون غير قابل للتلف ، ولـكن الأعصاب لا تستطيع الاحتمال إلا إلى حد ما ، فإذا كلت ، وجاوز ما تكلف من جهد فى فترة ما ، حد الطاقة ، فإن بعض الناس يصبح شكساً ضجوراً ، والبعض يعتريه شىء من الهستيريا . ولا يقدح هذا فيما فطر عليه الرجل من شجاعة وشدة قلب ، فإن رد الفعل هنا خارج عن الإرادة كل الخروج .

ونهض فجأة ملازم مجروح وقال : « دعونا نعُـدْ بالله عليكم » ، وشهق شهقة البكاء وقال : « لقد عانيت الكفاية فدعونا نعد » .

فقال جو كراوذر معالجـاً تسكينه والترفيه عنه : « اشرب قدحاً يا رجل .

إننا جميعاً قد عانينا ما فيه الكفاية، ولكن الربان يعرف ما هو صانع ».

فكرع الملازم كرعة روية من الزجاجة وحول الباقون عيونهم عنه، كأنما يريدون أن لا يشهدوا ما بدر منه أو يلاحظوه. فقد خالف القاعدة والأصول.

ودخل المقصف ماتشيل سوانك الشاب الأمريكي يطلب منعشاً، فناولته البراندى وقلت له: « جرعة من هذا تنفعك ».

فنظر إلى الزجاجة مستغرباً وسأل: « ما هذا ؟ »

قلت: « براندى — براندى جيد. يجعل شعرك جعداً، وينفع الأسنان، ويخفف متاعب الحمل! ».

فنظر إلى الزجاجة مرتاباً، وشرب شيئاً، وشرق، وسعل، ومج الذى فيه، وسأل بصوت شجى: « أليس عندك شيء من الكوكا — كولا ؟ ».

وأدخل كبير المهندسين رأسه فى مدخل الباب وقال بإيجاز: « إننا عائدون الآن »، فتنفس الصعداء الأربعون رجلا الذين كانوا فى الحجرة.

وظلت طائرات دورنيير وفولك — وولف تتعقبنا، وأخطأتنا مرتين أخريين خطأ يسيراً، ولكننا أدركنا أسطولنا وجزناه. وكان هذا حسناً فى رأينا، وسنكون فى الميناء بعد ساعتين، ولكن هذا لم يكن ما أراده الجنرال روبرتس، كلا، فقد أراد مرة أخرى أن يكون هو فى الطليعة عند اجتياز حقل الألغام.

ومضت الساعات، واستوت الشمس فى كبد السماء بعد أن رأت ما فيه الكفاية فى يومها هذا. ولحنا من بعيد خطاً دقيقاً ثم بدت لنا إنجلترا، وعدنا، ولكنه لم يكن هناك فى هذه السفينة لا جذل ولا سعادة. فقد كان كل امرىء متعباً. وكان العائدون يفكرون فى زملائهم الذين خلفوهم وراءهم.

والآن زال الأثر المخدر الرحيم الذى كان للصدمة، وبدأ الوجع يلح على الجرحى. وكانت الجروح مضمومة ضماً خفيفاً بالضماد والجبس، فانفتحت وانتقضت فسخط الجرحى على ما يكابدون من ألم، وعلى الضعف العجيب الذى حل بهذه الأجسام التى احتملت الآلام طول النهار وكتمتها، ثم عادت الآن ففترت عن المكافحة، وتركت الوجع يستعلى عليها.

وخرج الجنرال روبرتس إلى ظهر السفينة، وكان يبدو عليه هو أيضاً أنه متعب، واتكأ على الحاجز وعينه مصوبة إلى الماء.

فسألته: « كان الأمر أصعب مما قدرت أليس كذلك ؟ ».

فتنفس نفساً عميقاً وقال ببطء : « نعم كان أصعب مما قدرنا » .

* * *

وفى اليوم التالى قال مونتباتن لمندوبى الصحف وقد دعاهم إليه : « إننا لم نحقق كل أغراضنا ولم نبلغ كل أهدافنا ، ولكننا أدركنا غاية رئيسية . فقد أرسلنا إلى دييب قوة بحرية كبيرة إلى حـد ما ، وأبقيناها هناك أكثر من تسع ساعات ، ولم نفقد إلا مدمرة واحـدة ، وفقد السلاح الجوى الملكى ٩٨ طائرة ، ولكن ثلاثين من الطيارين نجوا ، وأسقطنا على التحقيق إحدى وتسعين طائرة ألمانية على الأقل ، وهناك مائتان أخريان يرجح أنهما سقطتا . وقد علمتنا هذه الغارة كثيراً مما سينفعنا فى أعمال مقبلة » .

وقد اشترك فى الغارة حوالى عشرة آلاف رجـل ، فى جملتهم رجال البحرية وطيارو السلاح الملكى الجوى ، وقتل أو جرح أكثر من ثلثهم . ولكن كون الغارة وجهت إلى ما لعله أمنع موضع على الساحل معناه : أنه ما من موضع آخر فى مأمن من الغزو . واضطر العدو إلى المبادرة إلى تعزيز حصونه فى عدة أماكن ، وعدل عما كان يرجو من إرسال عدة فرق من فرنسا إلى الميدان الشرقى .

وقد قصم ظهر السلاح الجوى الألمانى فى ذلك اليوم فى أغسطس ، فما قام بعده إلا بهجمة جوية حقيقية واحدة على بريطانيا ، واستطاعت طائراتنا أن تغير نهاراً على فرنسا ولا تجد إلا مقاومة أضعف مما كانت تلقى من قبل . فما كانت طائرات فوك ــ وولف البديعة التى دمرت فى ذلك اليوم ، ولا الطيارون الألمان المدربون الذى فقدوا مما تهون الخسارة فيه ، أو يعوض بسهولة .

وقد درس الجنرال أيزنهاور كل حركة فى غارة دييب وهو يضع الخطة لحملة أفريقية الشمالية ، بل قـد بلغ من حصافته وزكانة عقله أن طلب من مونتباتن وأركان حربه أن يساعدوه فى رسم هذه الخطة . وكان مونتباتن قد درس موضوع غارة واسعة النطاق على المواضع التى هوجمت آخر الأمر فوضع خطة وقدمها إلى الجنرال أيزنهاور . وبعد ثلاثة أيام من نزول الأمريكيين فى أفريقية الشمالية بعث أيزنهاور ببرقية شكر إلى مونتباتن على مساعدته له . والمرء يستطيع أن يستخلص أنه كان يفكر فيمن ماتوا فى دييب ، فإن من الصواب أن تقول إن أرواحاً أمريكية كثيرة أنقذت فى أفريقية الشمالية بفضل الدروس التى استفيدت من تجربة دييب .

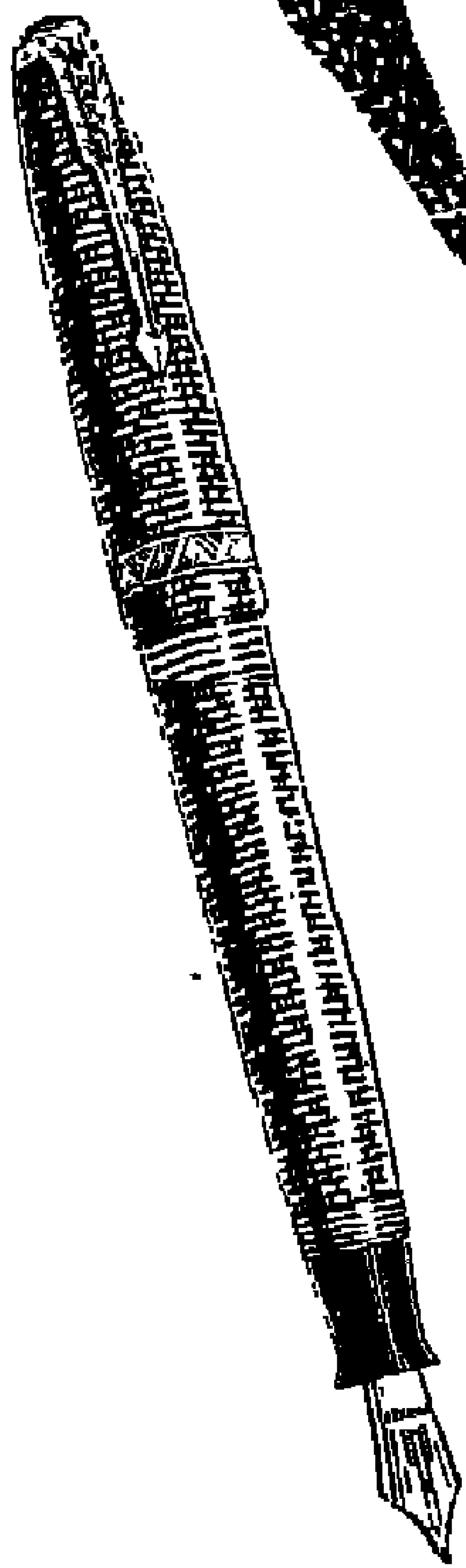
وقد قضى الله للأقلام مذ بريت
أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

"ابن الرومى"

فى وقت مثل وقتنا هذا ، أصبحت الكلمات سلاحا أشد مضاء من السيف ! فالكلمة المكتوبة تلعب دورها فى إعادة بناء صرح الحرية ، سواء فى ذلك أوامر القواد فى ساحات القتال أو أوامر المديرين بين جدران المصانع

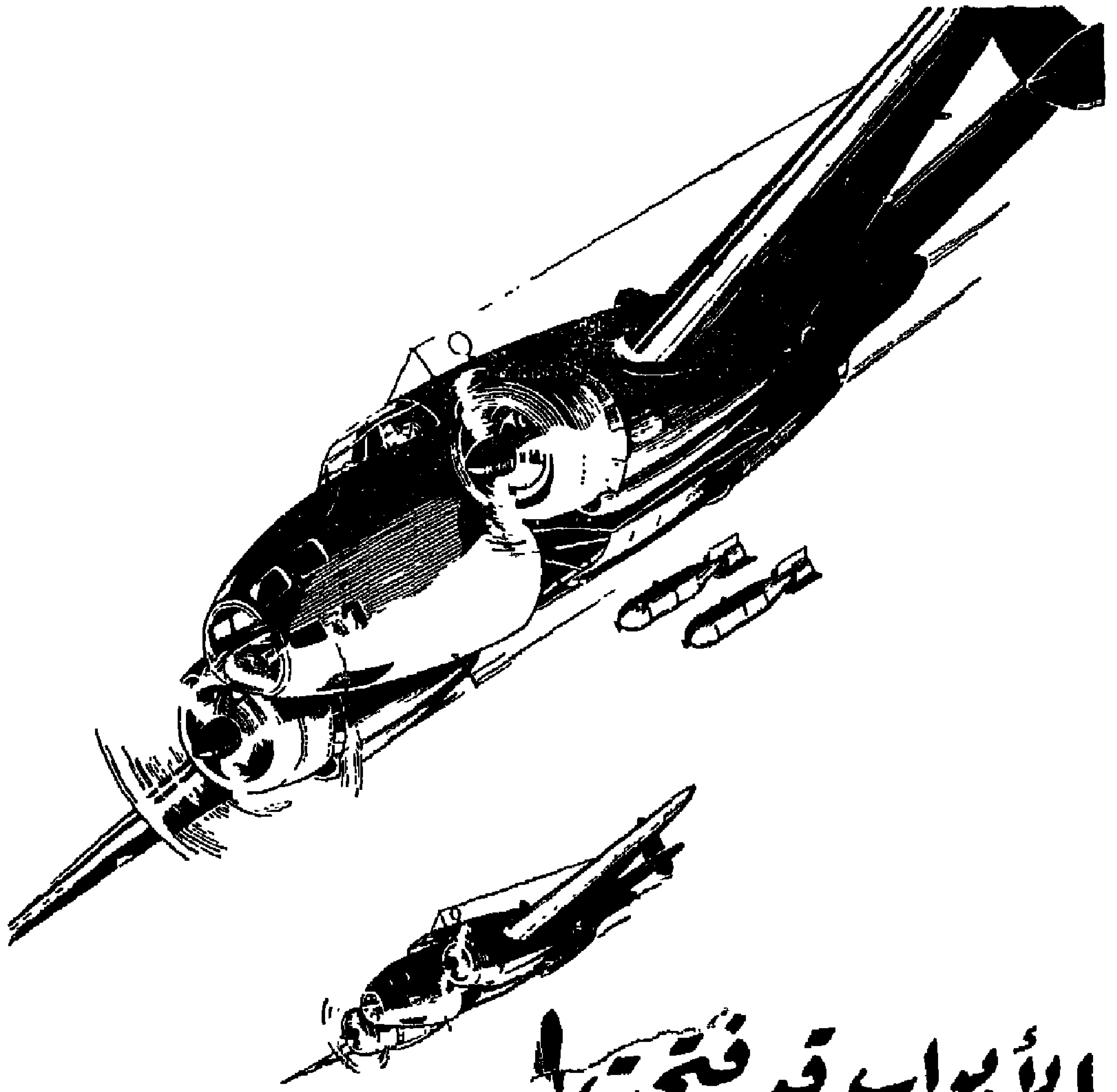
وأغلب هذه الوثائق الكتابية الخطيرة يوقع عليها أربابها بأقلام باركر . . ولا عجب ! فإن قلم باركر قد ظفر منذ أمد بعيد بتفضيل الزعماء والقادة .

واليوم ، انقطعت مصانع باركر وخبراؤها الإخصائيون فى الأدوات الدقيقة لإنتاج المهمات الحربية للدول المتحدة ولهذا السبب ندعوك إلى أن تتريث حتى ما بعد الحرب لشراء قلم باركر ! شركة أقلام باركر — جانفيل ويسكونسين بالولايات المتحدة .





باركر



الأبواب قد فتحت !

اليوم ، فى مكان ما ، بين توكيو وتولاجى... أو بين نابولى ونارفيك ... تنفتح أبواب طائرات فيجا فنتورا فتفسح السبيل لسيل من القنابل الفتاكة التى تحمل الموت فى ثناياها وتضرب العدو فى أكثر مواقعه حيوية وأشدها إيلاماً .

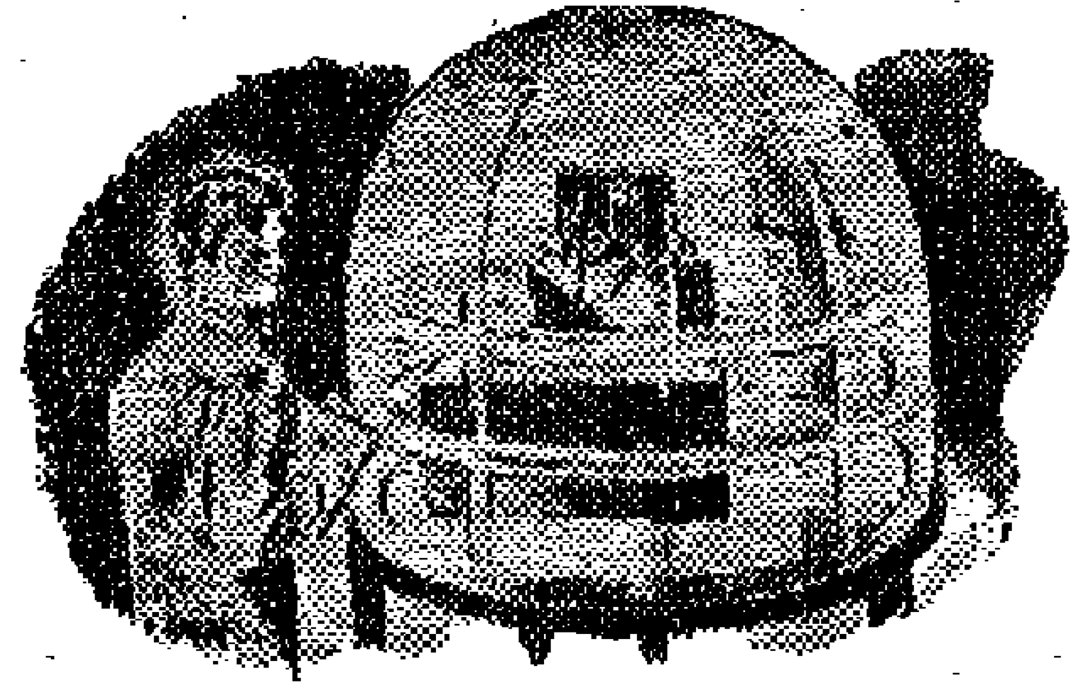
أما أين يكون ذلك ... وكيف يكون ... فهذا ما توافينا به كل يوم البلاغات الحربية ، من أخبار عن تدمير مطارات العدو الأمامية واغراق سفنه التى لا غنى له عنها .

وهذه أعمال صممت طائرات فنتورا للقيام بها ، وهي من نوع أعمال سحق العدو التى تولتها من قبل شقيقتها طائرات لوكهيد هدسون التى ذاع صيتها ... وطائرات فنتورا هذه ... أكبر حجماً وأقوى تسليحاً ، وهى لا تكتفى بالمحافظة على تقاليد الأسرة العريقة بل تعمل على السمو بها ما استطاعت ! شركة لوكهيد للطيران، شركة فيجا للطيران ، بوربانك كاليفورنيا بالولايات المتحدة .

فرع شركة لوكهيد
Vega للطيران

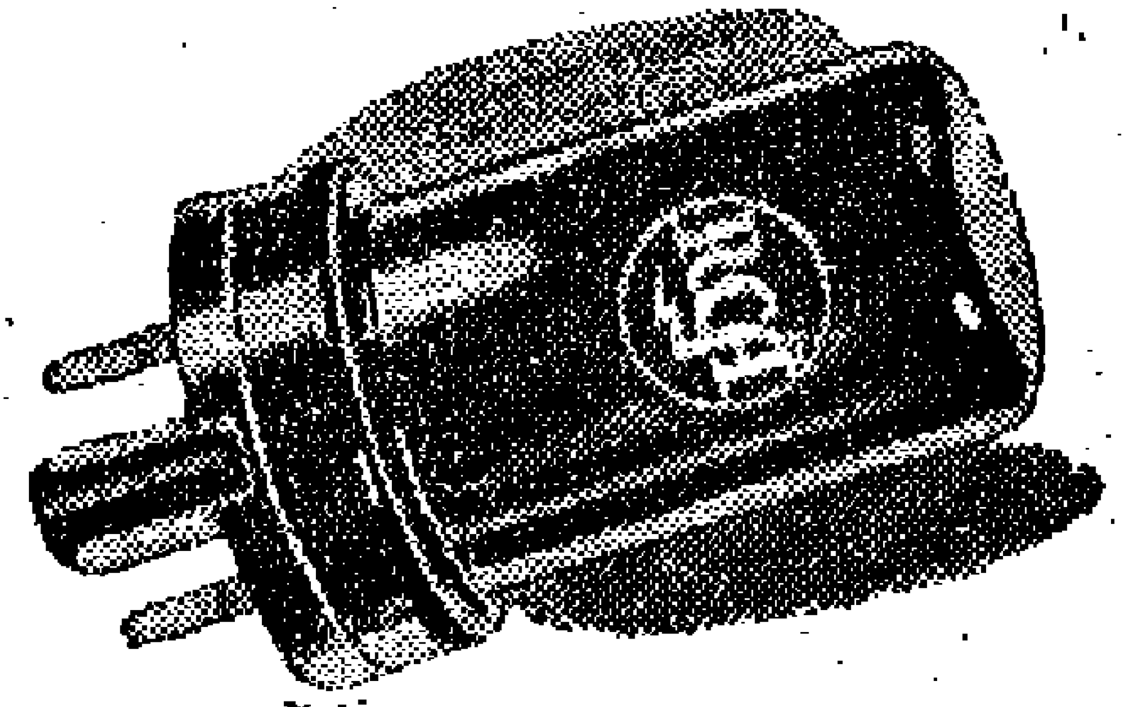
RCA تقدم

أحدث الأنباء

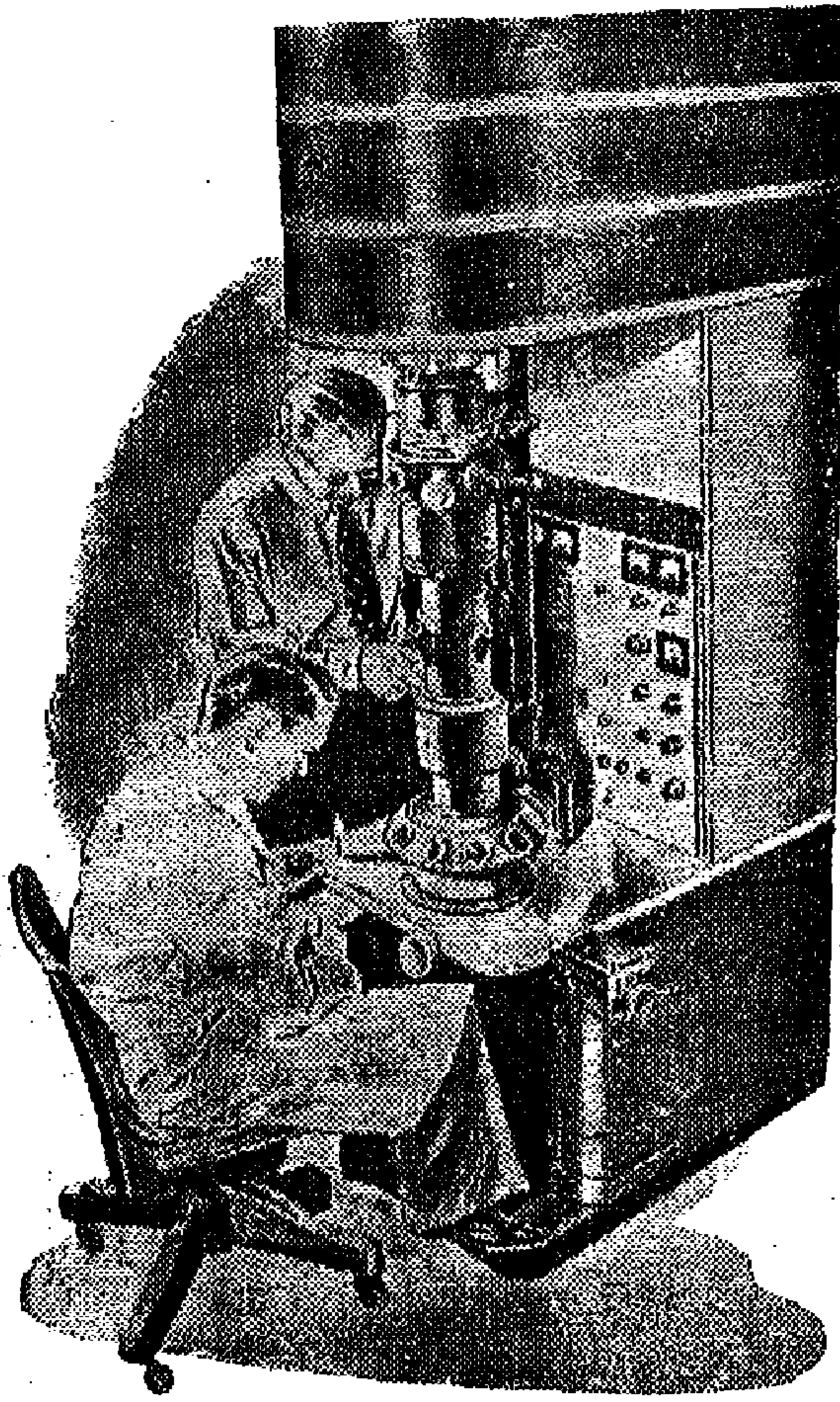


٨ أميال فوق مستوى سطح البحر

لكي يتاح دراسة لاسلكي الطيران دراسة دقيقة على مختلف الأبعاد فوق سطح البحر أتقنت شركة RCA حجرة دعتها « حجرة التحليق » وهي حجرة يمثل في داخلها ما تكون عليه حالة الضغط الجوي على ارتفاع ٤٠ ألف قدم .



مفتاح الأنباء في أجهزة الاستقبال المنزلية ، وفي الأجهزة اللاسلكية وفي التليفزيون — يستعمل هذا الصمام الأليكتروني الذي يضم كل ما اشتهرت به منتجات شركة RCA من إتقان وكمال .



اكتشاف العالم غير المنظور ! إن مجهر RCA أليكتروني أقوى بمعدل ٥٠ مرة من أحسن ميكروسكوب طبي فهو يكبر الأشياء ١٠٠ر٠٠٠ مرة أو أكثر ويبشر بفوائد كبيرة في مكافحة الأمراض ! وشركة RCA التي انقطعت الآن لخدمة حاجات الأمم المتحدة الحربية ، تنتظر اليوم الذي يتسنى لها فيه أن تقدم منتجات أكثر كمالا — عند ما يستتب السلام !



راديو كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R. C. A. فيكتور — كامدن ، نيوجرسي بالولايات المتحدة





إن طرق المواصلات فى بعض أصقاع نصف الكرة الأرضية الغربى هى على الأكثر طرق مائية وقد أسدت مصانع هيجنز من عشر سنوات خلت ، خدمة كبيرة إلى هذه الأصقاع بأن أتقنت صنع الزورق الوحيد الذى يصلح لمثل تلك الأماكن . وهو زورق يرسو مباشرة على الساحل دون احتياج إلى رصيف ويمخر عباب البحار بنفس السهولة التى يجتاز بها أنهار الأدغال والسواحل الصخرية . . . هذه الزوارق التى كنا ننتجها فيما مضى للتجارة — نرانا مضطرين اليوم لتسليم أكبر عدد ممكن منها ، فى أسرع وقت ، إلى الحكومات الأمريكية والبريطانية والهولندية التى تستخدمها فى الأغراض الحربية . ولكن عند ما يستتب السلام ستعود إليك هذه الزوارق — من أكبر مصانع العالم — وقد اكتسبت مرونة جديدة تجعلك تعتمد عليها كل الاعتماد .

شركة صناعات هيجنز

نيو أورليانس الولايات المتحدة

محور الشارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق فى العالم



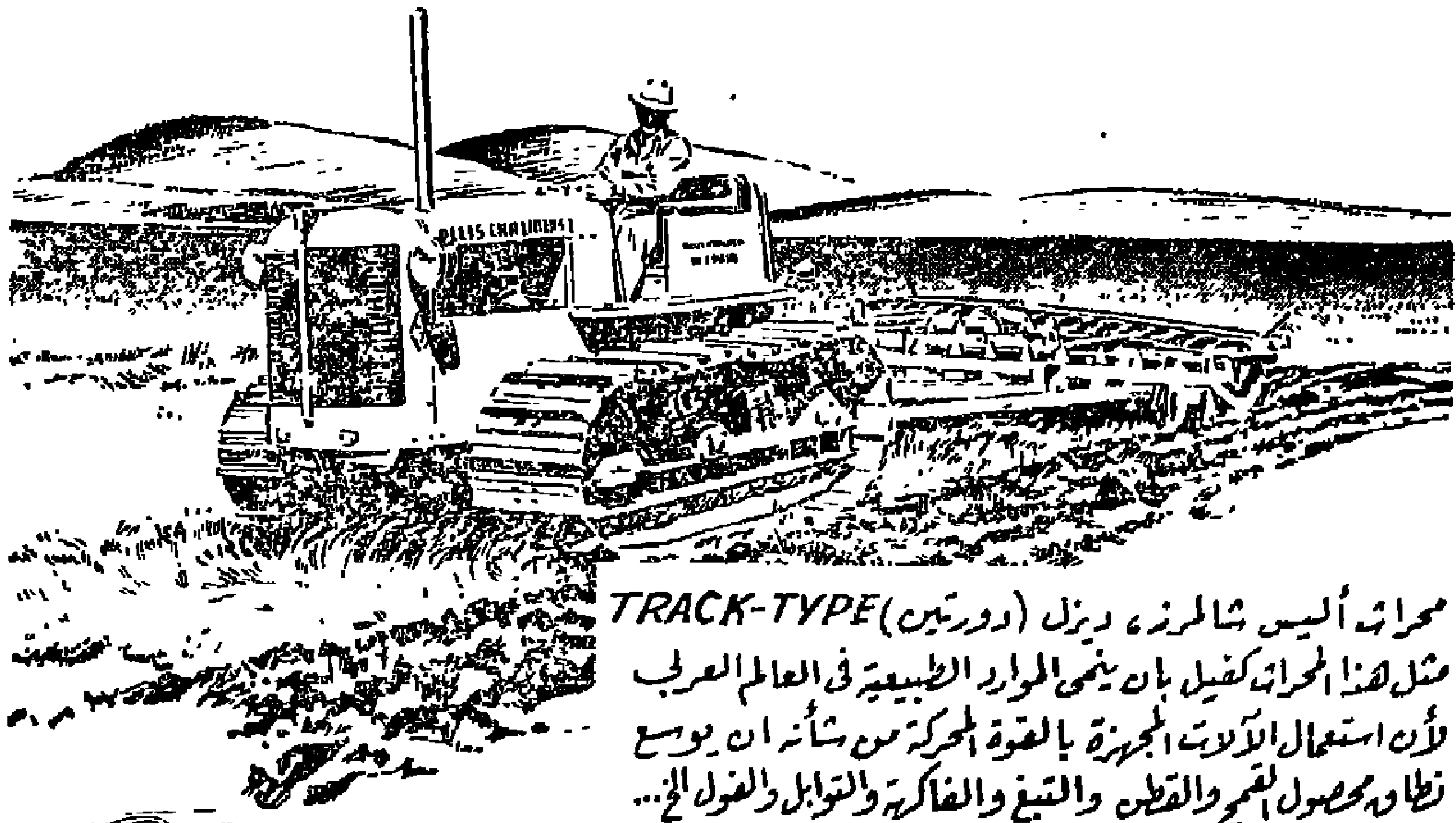
ضرورية

في الحرب والسلم على السواء

في كل جبهة من جبهات القتال تعمل الجرارات الآن على قدم وساق في التعجيل برفع المهمات الحربية ونقلها من مكان إلى آخر إجابة لمقتضيات الحرب الميكانيكية الحديثة التي تقوم على الضربة الخاطفة والحركة السريعة ، فالجرارات تؤدى في بضع دقائق أو بضع ساعات ما كانت تؤديه الدواب خلال الحروب الماضية في أسابيع وشهور .

وعند ما تضع الحرب أوزارها ستتفرغ الجرارات من جديد لخدمة أغراض السلم وتساهم مساهمة جدية في تقدم الزراعة والصناعة وحفر المناجم .

ومصانع أليس — شالمرز باعتبارها أولى مصانع العالم في إنتاج الجرارات والمحاريث ومعداتها ، تدعو زعماء العالم العربي الثاقبي النظر إلى دراسة فرص الإصلاح العديدة التي يهيؤها استعمال هذه الآلات — لكافة الاستعلامات اكتب إلينا اليوم .





قسم الجرارات • ميلووكى بالولايات المتحدة

بناة الآلات منذ سنة ١٨٤٦

اللسان . وقد طالعت « ريدرز دايجست » بالإنجليزية من سنوات ، فوجدت فيما تختاره من المقالات صفتين مميزتين : أما الأولى فتفسير الحاضر . وأما الثانية فالتوجيه إلى المستقبل . والأفكار الحية الصادقة فيها صفة التطلع إلى المستقبل ، وإعداد الذهن وإذكاء العزم لمواجهته . وليس ثمة ريب فى أن النظم الاجتماعية القائمة ، بعيدة عن الكمال من غير ناحية واحدة ، والأفكار التى ستسيطر على نظم المستقبل وتوجهها تتوالد الآن وتنمو . إن أسلوباً جديداً للحياة موجود الآن فى الفكر ، وإذ تنهار الأجزاء الفاسدة من النظم القديمة ، تتقدم الجديدة لتحل محلها .

وإننا لنلمح خطوط صورة المستقبل من خلال المقالات النيرة الحكيمة التى تكتب الآن وتنشر . ولولا عناية محررى « ريدرز دايجست » وعينهم الفاحصة لفات كثيرين الاطلاع على بعضها .

لقد كنت أقرأ بإمعان وانتظام مجلة « الريدرز دايجست » ، كما قرأت بإمعان العدد الأول من « المختار » ، بل قرأت فى « المختار » بعض المقالات ، التى سبق أن قرأتها من مدة وجيزة فى « الريدرز دايجست » ، فأصبحت بعد ذلك فى حيرة : أى الشقيقتين أقدر على إيصال تلك الأفكار النيرة التى تنشرها ، إلى عقول قارئيها .

أرجو للمختار انتشاراً عاماً لمصلحة أبناء هـــذه البلاد ، ولجميع أبناء الشرق العربى .

حافظ عفيفى

الأفكار : قوة وثروة

لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا

رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، وعضو مجلس الادارة المنتدب

وزير الخارجية ، وسفير مصر فى لندن ، سابقاً

« إذا كنت تعلق بالمال أملك الوحيد فى الاستقلال والسعادة ، فلن تنال استقلالك ولا سعادتك . إن الضمان الوحيد الذى يستطيع المرء أن يفوز به فى هذه الدنيا هو ذخيرة كافية من المعرفة ، والتجربة ، والقدرة على العمل » .

قرأت هذا القول من سنوات ، وهو يعزى إلى هنرى فورد رجل الصناعة الأمريكية العظيم . وإنى لأجد هذه الكلمات أصدق ما تكون فى هذه الأيام ، التى لا نجد فيها المال وحسب ، بل جميع معانى الحضارة وقيمها ، مصهورة فى بوتقة الحرب الكبيرة .

من الصفات البارزة التى تتصف بها الأفكار الصادقة ، هى أنها لا تحتجز ، فالأفكار تتحرك وتتنقل وتتلاقح ، والناس فى شتى أقطار الأرض يشاركون فيها . إنها النقد العالمى المشترك . وهى مباحة حرة ، لكل من يريد الاغتراف منها ، ويصح عزمه على تطبيقها . وليس هناك ما هو أجدى على جميع طبقات الشعب وأنفع ، من الأفكار الحافزة . فكل من يجمعها ثم يعرضها على جماهير الناس فى قالب قريب التناول ، سهل المأخذ ، قمين بالإقناع ، يسدى فى الحق ، خدمة عظيمة إلى عقول الناس وإلى حياتهم .

ولما كانت مجلة « المختار » ــ وهى الطبعة العربية لمجلة « ريدرز دايجست » ــ تنشر الأفكار ، فإنها فى هذا العمل تسدى خدمة إلى هــذه الأقطار العربية

| البقية على الصفحة السابقة |

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة ٣ قرش



من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

نوفمبر ١٩٤٣

احد عشر مليون نسخة من كل عدد
طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية .
إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

فأخذ عشر مليون نسخة من هــذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداًمن البلدان المتكلمة باللغــة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العــددُ الثالث من الطبعة العربيــة . وقد وُزِّع منه ثمانون الف نسخة فى مصر وفلسطين وســوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـــلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس
سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل
قسم الإدارة : المــدير العـــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً
فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — ســوريا ولبنان ٣٥ قرشاً
الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

داخلين فى العمل . ولكن هذه السهولة إنما تكتسب بالدربة سنين طويلة ، وليست كما نتوهم أحياناً مزية مستفادة من مناصبهم ، بل عادة اعتادوها فأفضت بهم إلى التوفيق ، وقد أفادوا عادة العمل فوراً ، فى الصغير من الأمور أولا ، ثم فى الكبير منها .

وما زال كلفن كوليدج (رئيس الولايات المتحدة فى سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٩) لغزاً فى نظر الشراح السياسيين ، لأن بواعثه على أعماله قلما كانت ظاهرة ، ولأن ينابيع حذاقته وحصافته خفيت عليهم . وما كان أحد يبدو أقل من كوليدج اندفاعاً مع ما يهتف به فى نفسه ، ولكنه طول حياته اعتاد أن يعوّل على هذه الهواتف ، ولم يكن يخشاها . وقد اتفق له وهو محام شاب فى مكتب قضائى فى الريف ، أن كان ذات يوم يحادث زبوناً ذا شأن ، فتلقى رسالة تليفونية بأن أكبر رجال السياسة فى الولاية قد حضر إلى البلدة . فخطر لكوليدج أنه يحسن به أن يقابل هذا العميد المحلى من فوره ، وأن يقترح ترشيح نفسه للنيابة . ولم يتردد المحامى الشاب الخجول ، فقطع الحديث القضائى ، وبارح المكتب ، وذهب يبحث عن زعيم الولاية . وقد أثمر هذا الحافز ثمرته . ولم تزل هواتفه النفسة من ذلك الحين تقوده باطراد إلى النصر السياسى .

وينبغى أن يكون واضحاً من حادثة كوليدج أن الذى يطيع دواعى نفسه ليس من الضرورى أن يكون خفيفاً طياشاً . على أن الهياب لا يزال يخشى أن تقوده دواعى النفس إلى الخطأ والعثار ، ولكن الأخطاء لامفرمن الوقوع فيها ، كائناً ما كان النهج الذى ننهج . وقد كانت طائفة من شر الأخطاء التى سجلها التاريخ ، ثمرة العمل بما أشارت به الروية الحصيفة والتدبر التام . وإذا كنا نصيب إحدى وخمسين مرة من كل مائة ، حين نطيع إلهام النفس ، فإن هذا يكون حسناً فى أى حساب وعلى أى تقدير .

وأخلق بالأخطاء التى يجرها الجمود وشدة الضبط فى إعمال الرأى ، أن تكون شراً من الأخطاء التى تترتب على مطاوعة النفس فيما تنزع إليه بطبعها . ومما يفضى إليه ذلك أن عادة الجمود تتقرر به وتثبت على الأيام .

جاءتنى تستشيرنى ، منذ عهد غير بعيد ، امرأة تركها زوجها ، وكان سبب الجفوة بينهما على ما بدا لى راجعاً إلى المزاج والطباع فالأمر مما يسهل إصلاحه . وقد قالت لى المرأة : إن الذى تنازعها نفسها أن تصنعه هو أن تدعو زوجها إلى التليفون وتحادثه . فأشرت عليها أن تطيع هوى نفسها . فانصرفت وهى على شىء من السكينة ، ولكنها لم تدعه كما كانت تريد . وعادت إلىّ بعد أيام ،

وانصرفت مرة أخرى ونفسها تهيب بها أن تخاطب زوجها ، غير أنها لسوء الحظ لم تفعل قط . فانتهى فى محكمة الطلاق خلاف كان من الممكن أن تزيله بضعة ألفاظ على التليفون ، ينفجر بها الألم الكامن . وقد اعتادت هذه المرأة منذ طفولتها أن تدع هواتف نفسها تموت ساعة تولد ، فلما جاء وقت تطلب فيه الأمر أن تتخذ قراراً بسيطاً تمضى به إلى غايتها ، لم تستطع أن تصنع شيئاً .

وليس منا إلا من يعرف أناساً يقاسون عذاب التردد والحيرة قبل أن يخطوا خطوة ذات شأن . وما من أمر إلا ومجال القول يتسع فيه طرداً وعكساً . فإذا أطلنا النظر فى الحجج المتدافعة بدا لنا أن بعضها يعارض بعضاً ، فننتهى إلى حال أليمة من الشلل .

والسبيل إلى عمل شىء ما ، هى أن تدفع عقلك وبدنك وصـــوتك إلى الحركة فى اللحظة التى يدور فيها الخاطر بنفســك . أعرف كاتباً كان مشتغلا بمشروع كبير ، وكان عزمه أن لا يثنيه عنه شىء ، ولكنه قرأ إعلاناً عن مسابقة على خير عشر قواعد للقيادة المأمونة للسيارات ، فكأنما ألقى الإعلان ضوءا على صفحة عقله . ههنا شىء له به إلمام ! فترك عمله وقتاً كافياً لزيارة مكتبة والمراجعة فيها ، وكتب ٢٥٠ كلمة دونها بنفسه على الآلة الكاتبة ، وبعث بها إلى المحكمين ، وذلك حتى لا يشغل مساعدته عن مواصلة العمل فى المشروع الكبير . وبعد شهور أثمر له هذا الخاطر الذى أطاعه جائزة قدرها خمسة وعشرون ألف ريال . أما المشروع الذى انصرف عنه لحظة فلم يؤته آخر الأمر سوى سبعمائة ريال .

أو تأمل حكاية ذلك المعلم الشاب الذى جلس يوماً يستمع إلى خطاب يلقيه وودرو ويلسون ، وكان المعلم قد ألف كتاباً فى علم السياسة ، ولكنه لم يجد من ينشره له . وكان قد أودع الكتاب آراءه التى اقتنع بها فى أعمق أعماق نفسه ، فدفعه الإخفاق إلى اليأس من مستقبله فى التعليم .

وشعر من بعض ما قاله المستر ويلسون أنه ينبغى أن يستشيره . وكان قد سمع أن فى ويلسون جفوة وفتوراً ، وأن الوصول إليه عسير ، ولكنه بعد الفراغ من الخطبة اندفع مع الخاطر ، وشق طريقه بين الجمهور وتناول يد المستر ويلسون وقال بسرعة : « لقد كانت خطبتك بديعـة . وقد كتبت أنا كتاباً ذهبت فيه إلى . . . . » ، وبسط له نظريته فى بضع جمل مترعة قوية .

فهز ويلسون رأسه وقال : « كلا إنك مخطىء ، وسأشرح لك الأسباب ، فقابلنى بعد الغداء فى النـادى » . وهنـاك راح ويلسون يفيض فى حديثه ساعتين ، ووضع

المعلم بعد ذلك كتاباً صدر فيه عما أوحى إليه ويلسون ، باع منه أكثر من مائة ألف نسخة . وكان هذا له بداية عهد جديد باهر في التعليم ، والفضل يرجع إلى الخاطر الحيوى الأول الذى أطاعه وبه بعض التردد.

وسير الناجحين من الناس غاصة بمثل هذه الحوادث التى كانت نقط تحول كبير في حياتهم . والإلهام الصادق ينطوى على الحصافة والبصر . وهو يدل على الطريق المفضى إلى النجاح ، لأنه يكشف عن الميول الأساسية للعقل الباطن .

إن في كل منا دفعاً لا يفتر ، إلى إبلاغ النفس غاية الميسور من كمالها ، وكلنا يعرف أى شخص يبغى أن يكون ، لأن هذه الدوافع النفسية تدلنا وتهدينا ، وإن كان عدم الصدور عنها يضعفها . على أن العمل بوحى النفس ليس معناه إحلال ذلك محل العقل ، وإنما معناه أن نتخذ هذا الوحى وسيلة لمعرفة الطريق الذى ينبغى أن يسلكه العقل.

وبديهى أن الطريق لا يخلو من حفر ، وقد يكون من الخطر أن ننهض بغتة ونلقى بأنفسنا على ما يدفعنا إليه أول الخاطر ، ولكننا نستطيع على الأقل أن نبدأ بالإكثار من الاستجابة إلى الدوافع الباطنة التى نعرف أن فى وسعنا أن نطمئن إليها ونعتمد عليها .

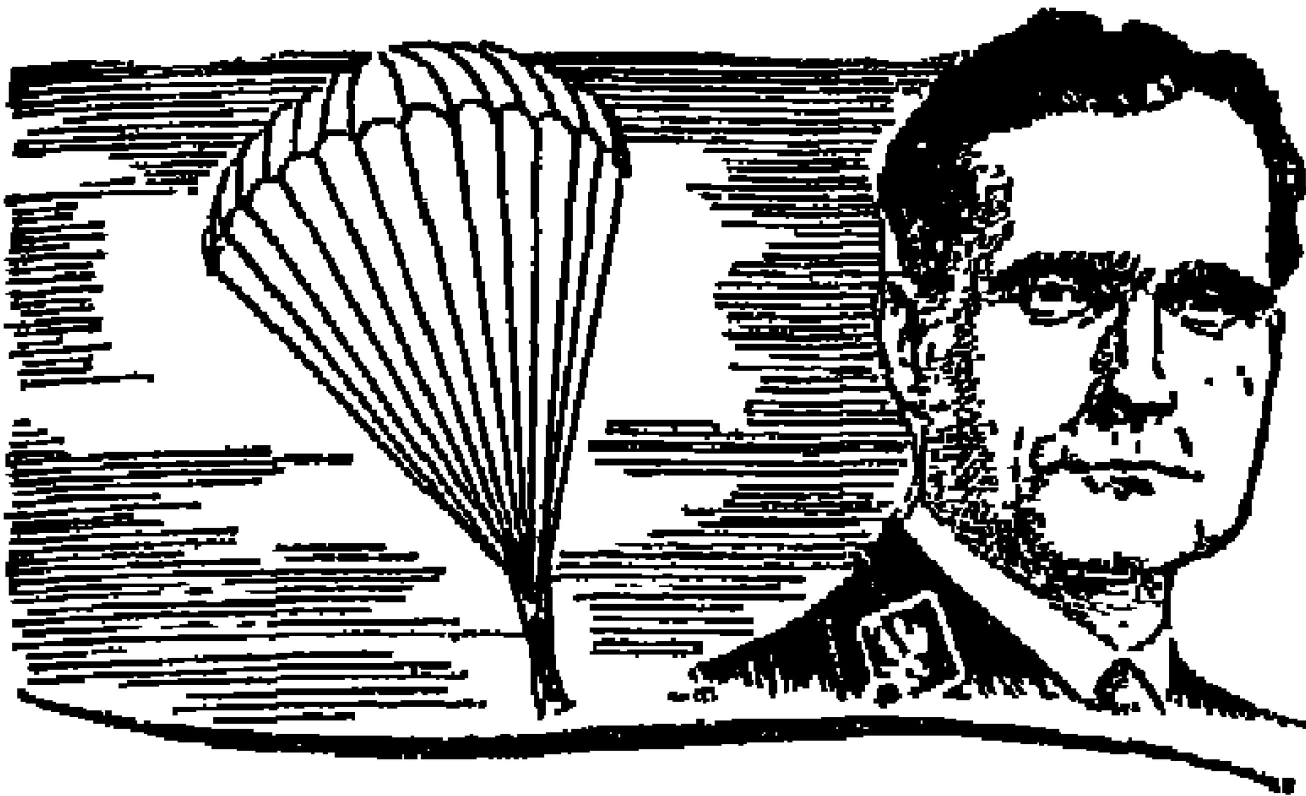
وإنا لنعرف إذ نقرأ فى كتاب أنه ينبغى علينا أن نمسك عن القراءة ، ونراجع كلمة في معجم إذا كان معناها غير واضح . ونعرف أن علينا أن نتوسع فى الثناء والحمد عفو البديهة على من هو أهل لذلك . ونعرف أن من واجبنا أن نتحول عن طريق الأنانية ، وأن نشترك فى الواجبات المدنية ، وأن نساهم بالمال والوقت أيضاً فى خير الجماعة.

وهذه اللحظات المتفرقة من العمل تتجمع وتثمر حياة أكثر امتلاءا ، وتفيد الشعور بالتجدد اليومى ، وتكسب المرء إحساساً طويل الأمد بأن الحياة ليست مطوقة أو موصدة المنافذ فى وجوهنا ، أو مفرغة فى قالب فلا يعتريها تغير أو تطور ، بل فى الوسع تدبير أمرها والتصرف بها من الداخل . وأخلق بمن تلخص فلسفته فى هذا الشعار الضعيف الذى يسمى بالتردد والحيرة — « حسن . سنرى ماذا ينبغى أن نصنع » — أن يحرم إمتاع لحظات التجريب ولذة الحياة ووثباتها .

قلب صفحات حياتك ، وراجع تجاربك فيها ، ترَ أن كثيراً من أسعد ما مر بك فيها ، وأعظم ما وقفت إليه ، كان ثمرة العمل بوحى الساعة ، وهذا يعلمك أنه لا أمل لك فى دافع غير منظور إلى النجاح ، إلا من أعماق نفسك الباطنة ، فلتطع إذن خير ما يهتف بك من الحوافز وانظر كيف تمضى !

سرّ رحلة رودلف هس

ملخصة عن مجلة « أميريكان مركيورى »



كيف خدع هتلر نفسه فى مرحلة دقيقة من الحرب بمجهود بارع على يد قلم المخابرات السرية البريطانية

لماذا اتخذ رودلف هس طريق الجو إلى اسكتلنده ؟ هذا هو السر الذى لم يزح عنه الستار بصفة رسمية قط . أما اليوم ، وبعد مرور عامين ، فيعلم كثيرون من الإنجليز وقليلون من الأمريكيين، حق العلم لماذا وفد على انجلترا مندوب هتلر المفوض . وهناك تفاصيل قليلة لا يعلمها إلا رجال قلم المخابرات البريطانى، وبضعة أفراد من علية الموظفين . كما أن هناك حقائق معينة ينبغى أن تظل سراً مطوياً لاعتبارات سياسية . بيد أن العناصر الأساسية يمكن أن تذاع الآن بكل اطمئنان .

إن رودلف هس لم «يهرب» من ألمانيا، وإنما جاء رسول سلام موفداً بأمر هتلر . وكان فى انتظار وصوله عدد محدود من البريطانيين ، بل لقد تولت حراسته طائرات من سلاح الطيران الملكى فى المرحلة الأخيرة من رحلته الجوية .

ذلك أن هتلر قرر فى أوائل سنة ١٩٤١ أنه لم يعد فى استطاعته أن يرجىء « حربه المقدسة » ضد روسيا . وأما محاولته القضاء على انجلترا قبل أن يولى وجهه شطر الشرق فقد باءت بالخيبة ، فاختار خطة التفاهم مع بريطانيا العظمى تفاهما يدع ألمانيا حرة طليقة ، حتى تستطيع أن تحشد قوتها للهجوم على روسيا .

ففى شهر يناير من ذلك العام عمل هتلر عملا يجس به النبض ، واتخذ عمله صورة تحريات بشأن موقف بريطانيا إذا ما أجريت معها مفاوضات مباشرة . ولم يوجه ذلك إلى الحكومة البريطانية بل إلى جماعة من ذوى النفوذ البريطانيين ، ومن بينهم دوق هاملتون ، الذى كان ينتمى إلى جمعية الزمالة الإنجليزية الألمانية ، وهى الجمعية التى باءت بالخزى والاحتقار منذ ذلك الحين . وقد تولى نقل المراسلات بين الطرفين رجل دبلوماسى مشهور ، وراح الألمان يدفعون بمقترحاتهم باسم السلام والصداقة النوردية ، حتى رسمت خطة العمل باحتراس وحذر ،

دون أن يكشف أحد الطرفين عن يده . ولما رفض الاقتراح الألمانى بالمفاوضة فى أرض محايدة ، عرضت برلين أن ترسل مندوباً مفوضاً إلى انجلترا .

وعزم هتلر على أن يكون المندوب المفوض نازياً رفيع الشأن — رجلا يقترن اسمه باسم الفوهرر نفسه ، ويكون وجوده مما يحمل على أشد الاهتمام . ثم ينبغى أن يكون رجلا يستطيع أن يتكلم رسمياً باسم الحكومة الألمانية ، وأن يعطى العهود والمواثيق باسم الفوهرر . وكان بديهياً أن تقع الخيرة حينئذ على رودلف هس ، ثالث أقطاب النازية ، ونائب هتلر وأصدق أصدقائه . وقد نشأ بالاسكندرية فحذق اللغة الإنجليزية وأصبح يتكلمها بطلاقة ، كما استطاع أن « يفهم العقلية البريطانية » .

وقد أبطأ البريطانيون فى الرد على ما عرضه هتلر ، ولكنهم قبلوه فى نهاية الأمر . وهكذا كان ، فى ١٠ مايو — بعد انقضاء أربعة أشهر فى مفاوضات معقدة دقيقة — ركب هس متن الريح فى غسق ذلك اليوم .

وكان الأمر الوحيد الذى جهله الألمان أنهم كانوا يتعاملون مع رجال من قلم المخابرات السرية البريطانى ، وأن هؤلاء كانوا يستعملون أسماء — وخطوط — دوق هاملتون وغيره من السادة المنتمين إلى جماعة الزمالة الانجليزية الألمانية . فإن الرسالة الأولى التى أرسلها من ألمانيا ذلك السياسى البارز فى شهر يناير ، لم تصل إلى صاحبها قط ، وإنما اعترض طريقها قلم المخابرات السرية . ومن ذلك الحين تولى أمر المراسلات أناس بارعون من الموظفين البريطانيين ، فراحوا يبعثون إلى برلين بردود تهيج شهية الألمان ، وتشجعهم على الاعتقاد بأن بريطانيا تبحث عن مخرج من متاعبها الحربية .

وفى ليلة طيران هس كانت أضخم قوة من قاذفات القنابل النازية أرسلت إلى بريطانيا ، تلق قنابلها على لندن . وإذا رسالة من محطة لاسلكية مائية على الساحل الاسكتلندى تنبىء باقتراب طائرة لم تستطع أن تدل على جنسيتها تماماً ، ولكن سرعتها تدل على أنها من الطائرات المقاتلة . وفى حجرة مراقبة طائرات الأعداء رسم خط سيرها على الخريطة فى مكان على شاطىء اسكتلنده الشرقى ، وظهر سهم يشير إلى أنها تتحرك نحو الغرب .

فلما رفع الأمر إلى الضابط المسئول فى مركز قيادة طائرات القتال صاح منفجراً : « أناشدكم الله ! مروهم ألا يسقطوها ! » وسرعان ما أوفدت طائرتان من طراز (هاريكين) لاقتفاء أثر الطائرة الغامضة ،

وقد أمر طياروها بأن يرغموها على النزول وأن لا يطلقوا عليها النار، مهما يكن من شيء. وبينما كانت السهام الصغيرة الحمراء تزحف على منضدة التصميم فوق أرض اسكتلندة، كان كبار الضباط فى قيادة الطائرات المقاتلة يرقبونها فى أشد الاهتمام. حتى إذا ما وقفت الأسهم عند قرية (بيزلى) الصغيرة، فى مكان يكاد يكون على الشاطىء الغربى، صاح الضابط المسئول فى مركز المراقبة: «لقد وصلت ... والحمد لله!»

وهناك فى لانارکشير باسكتلنده، شاهد فلاح يدعى «ديفيد مكلين»، رجلا يهبط بالمظلة فى غيطه، فعدا إليـه حاملا فأسه، وصاح به: «أعـدو نازى أنت أم أنت أحد رجالنا».

فأجاب الرجل: «لست عدواً نازياً بل أنا صديق بريطانى».

وكان الرجل يجد مشقة فى الكلام، لأن عقبه أصيبت برضوض جعلته يعانى أشد الألم. فلما ساعدوه حتى وصل إلى مطبخ الفلاح اعترف لرجال الحرس الوطنى بأنه قدم من ألمانيا، وأنه يبحث عن المطـار الخاص فى مزارع دوق هاملتون، وهو يبعـد عن ذلك المكان عشرة أميال، ثم قال:

«أرجو أن تبلغوا الدوق أن (ألفرد هورن) قد وصل».

وفى هذا الوقت نفسه كانت تنتظره فى مطار هاملتون شبه لجنـة استقبال رسمية مؤلفة من بعض ضباط قلم المخابرات الحربية ورجال قـلم المخابرات السرية. وكان هبوط هس الاضطرارى حين نفـد وقود طائرته، هو العائق الوحيد الذى لم يحسب حسابه عند وضع الخطة — وربما كان هذا العائق المفاجىء هو السبب فى تسرب أنباء طيران هس

ولما علمت «لجنة الاستقبال» بأمر الحادث وعثرت على زائرها المنتظر، ذهبت به إلى ثكنة ماريهيـل على مقربة من جلاسجو. وهناك عدل عن قصته وراح يقول:

«لقد جئت لأنقذ الانسانية، أنا رودلف هس»، وأشار إلى أن بعض ذوى النفوذ من الإنجليز كانوا يرتقبون وصوله، وهو تصريح كان يحمل من الصدق أكثر مما كان هو يتصور!

جاء هس وقد أعـد العدة لاتصال غير مباشر بالحكومة البريطانية. والواقع أن الاتصال الفعلى كما دبره ونستن تشرشل كان اتصالا مباشراً إلى أبعد الحـدود. فإن إيفون كيركباترك، وهو أحد كبار المخبرين السياسيين فى الحرب العالمية الأولى وسكرتير السفارة البريطانيـة فى برلين مدة خمس سـنوات — سافر بالطيارة إلى اسكتلندة

ليتلقى مشروع هس ، ويحمله مباشرة إلى الحكومة البريطانية . وما كان هتلر نفسه ليطمع فى تعاون أعظم من هذا التعاون . وعلى الرغم من غياب دوق هاملتون ظل هس مقتنعاً بأنه يعمل مع وسطاء من أعضاء جمعية الزمالة الإنجليزية الألمانية !

ومضى النازى يروى لكيركباترك سيلا دافقاً من تفاصيل هدنة هتلر ومقترحاته للصلح . وكان يروى هذه التفاصيل فى حماسة واستفاضة ، حتى لقد استغرق نص أقواله منقولا بالاختزال عدة كراسات . وإذ كان يعتقد أن بريطانيا قد صرعت ، وأنها تعترف بذلك ، فقد راح يتكلم بروح العدو الكريم الذى يعرض المهلة والصفح على خصمه المقضى عليه بالهزيمة .

وفيما يلى مجمل النقط الأساسية للمشروع :

يعرض هتلر وقف الحرب وقفاً تاماً فى الغرب ، وتجلو ألمانيا عن فرنسا كلها ما عدا الألزاس واللورين ، وتحتفظ بلوكسمبرج ولكنها تجلو عن هولندة والبلجيك والنرويج والدنمرك . وأن الفوهرر فضلا عن ذلك مستعد للانسحاب من يوغسلافيا واليونان ومنطقة البحر الأبيض المتوسط بوجه عام ، كما يقدم مساعدته فى الوصول إلى تسوية بين بريطانيا وإيطاليا . وفى مقابل التسليم بهذا كله ، توافق بريطانيا على أن تتخذ موقف الحياد المشبع بالعطف على ألمانيا فى أوروبا الشرقية .

وشرح هس أهمية رسالة هتلر فى الشرق « لإنقاذ الإنسانية » ، مشيراً إلى أن مصانع الأسلحة بإنجلترا وفرنسا ستصبح معتمد الرأسمالية الحرة ضد الشيوعية الآسيوية . وصرح بأن ألمانيا على استعداد لأخذ إنتاج الحلفاء الكامل فى صناعات الحرب ، إلى أن يمكن تحويلها إلى صناعات السلم ، وبهذا تحول دون التدهور الاقتصادى . ولم يدل هس بأية معلومات عن خطط هتلر الحربية فى أوروبا الشرقية ، وقال إن هذه المسألة تتعلق بألمانيا وحدها .

واستغرق رسول هتلر يومين فى سرد مقترحاته . وأكد أن الفوهرر لن يشغل نفسه بالتفاصيل ، وأن بريطانيا تستطيع أن تكتب شروط الصلح بنفسها ، وبما أن هتلر رجل يحب الإنسانية ، فهو شديد الرغبة فى أن يوقف هذه « الحرب الطائشة » مع شعب شقيق — وبذلك يضمن أيضاً الأمن لمؤخرة جيوشه أثناء قتالها فى الشرق !

وقصد كيركباترك إلى رقم ١٠ داونتج ستريت ، وفى جيبه المذكرات الخاصة بالمشروع الألمانى . وأرسل المشروع إلى وشنطن لاستطلاع الرأى ، فأيد الرئيس روزفلت

قرار تشرشل . وهو أن يكون الجواب « كلا ! » . وبذلت لندن ووشنطن محاولات متوالية لتحذير روسيا من الضربات الألمانية القادمة . ولـكن زعماء الروس لم يصدقوا ، أو تظاهروا بأنهم لم يصدقوا !

ولم يبلغ القرار إلى هس ، بل ألقى فى روعه أن عرضه لا يزال قيد البحث والمناقشة . ولما استطاع أن يمشى جىء به إلى لندن بالطائرة ، وهناك تحدث إلى لورد بيفربروك وألفرد دف كوبر ، وغيرهما من زعماء الحكومة . على أن تشرشل رفض طلبه المكرر فى مقابلته .

فلما أفرغ كل ما فى جعبته ، ولم يعد لديه مزيد من المعلومات المفيدة ، أخبر عندئذ فقط بأن مشروعه قد رفض ، وأن بريطانيا قد أصبحت حليفة لروسيا . وعلم هس أيضاً أن قلم المخابرات السرية البريطانى قد اعترض تيار مفاوضاته مع جمـاعة الزمالة ، وأنه لا هاملتون ولا غـيره كانوا يعلمون شيئاً عن زيارته حتى علمت بهـا انجلترا كلها .

وكان لصدمته ودهشته أثرهما فى إحـداث اضطرابه العصبى ، وانقضت فترة كادت تصح فيها رواية النازى عن جنون هس . وحين بلغه خبر غرق البارجـة « بسمارك » ظل يبكى طوال النهار .

وقال هس : إنه ينبغى أن يعاد ثانية إلى ألمانيا لأن له حق العودة ، لأنه إنما جاء رسولا . ولـكن الحكومة البريطانية رأت غـير ذلك — رأت أنه جاء رسولا إلى أشخاص معينين لا رسـولا إلى الحكومة ، ولهذا أصبح أسيراً ممتازاً من أسرى الحرب . وهو يقيم الآن فى دار ريفية فى ضيعة إنجليزية كبيرة ، ويتمتع بقسط طيب من حرية التنقل فى هذه الأراضى المحاطة بحرس قوى . وهو يقضى معظم وقته فى المطالعة .

وبعـد الحرب ، حين يمكن أن تذاع القصة كاملة ، ستحتل قصة هس المـكان الأول فى قائمة الأعمال البارعة التى اضطلع بها قلم المخابرات السرية البريطانى .



فى أحد معسكرات التدريب ، بكاليفورنيا ، كان الـكابتن روجان يفتش على الجنود وحين فرغ من التفتيش التفت إلى من حوله وقال ، وفى لهجته نغم التعنيف : « إن أعمال التخفية متوسطة ، فيجدر بكم أن تتقنوها » . وما كاد يلفظ الـكلمة الأخيرة ، حتى اصطدمت سيارته « بمقر قيادة » كان مختفياً ، وهوت عجلة السيارة فى خندق لم يره الضابط المفتش لإتقان إخفائه !

دخل الأتبرين ـ خرجت الملاريا

بول ده كروف

شن العلماء الأمريكيون هجوماً موفقاً على عدو مشؤوم لابد من مطاردنه، قبل أن يصبح فى وسع الجيوش الأمريكية أن تقهر اليابانيين والنازيين . ففى جميع مناطق الحرب الاستوائية والمناطق المجاورة لها، تكمن بلايين البعوض لتطعن المحاربين بحرابها الملوثة بالملاريا، وهو الوباء الذى يضنى الآن قوى نحو ٨٠٠ مليون نسمة ويقتل نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون كل سنة .

حين فتح اليابانيون جزائر الهند الشرقية قطعوا عن الولايات المتحدة وارد الكينا، وهو العلاج الخاص لذلك الوباء الفتاك . فأنذرتنا العواقب العسكرية لهذا القطع بأنها ستكون مخيفة . وقد صرح الدكتور الجنرال باران كبير جراحى مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة، فى شهر أغسطس من سنة ١٩٤٠، بأن الأعمال الحربية الكبيرة فى المناطق الاستوائية لم تعد ممكنة « بغير الكينا أو المركب الكيميائى الألمانى المضارع له قوة وتأثيراً وهو : الأتبرين » . ولكن بالرغم من أن وارد الكينا الطبيعى قد انقطع، فإن أمريكا تنتج القدر الكافى من الأتبرين الفتاك بالملاريا لكى تمون به رجالها ورجال الحلفاء المحاربين.

كان ذلك خطأ من أخطاء الألمان قبل الحرب، فإن شركة الأصباغ الألمانية «فاربن إندسترى»، استخفت بذكاء الكيميائيين الأمريكيين، فهيأت لهم بذلك فرصة الوقوف على طرف من سر الأتبرين . وقد ظل الكيميائيون الألمان عدة سنين يجدون فى صنع الكينا المركبة، إذ كان رؤساهم العسكريون يعلمون أنه لا أمل فى الإقدام على فتح العالم بغير بديل للكينا، لأن المرض يبلغ من الجنود المصابين بالملاريا مبلغاً لا يستطيعون معه قتالا . وبمهارتهم الكيميائية التى اشتهروا بها، صنعوا فى أنابيب الاختبار الساحرة أكثر من ألف مركب كيميائى، وجربوها فى طيور مصابة بالملاريا، إلى أن توصلوا أخيراً إلى الأتبرين الأصفر العجيب فى سنة ١٩٣٢ . وكانت النتائج التى أسفر عنها حادثاً تاريخياً عظيما .

وكان فعل الأتبرين كالسحر فى المنكوبين بالملاريا، حين ردّهم من قبورهم إلى الحياة . فوردت عدة تقارير من المناطق الاستوائية الموبوءة، تنبئ بأن الأطباء لم يعودوا يخشون الملاريا الفاتكة التى كانت تذيب دماء المصابين، فتخرج مع بولهم سائلا قاتم الاحمرار فيما يعرف بحمى البول الأسود .

ورأى رجال الحرب النازيون المختصون بحركة النقل ، مزية عظيمة فى الأتبرين . فالطن منــه يشفى ٦٠٠ ألف مريض ، فى حين أن طن الكينا لا يكفى لأكثر من ٣٠ ألف مريض . وقد اختبره الألمان فى رومانيا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، وأفريقيا ، والهند الشرقية ، فجاءهم التأييد العلمى من كل مكان . فبهذا العقار يستطيع الإنسان أن يعيش بصحة جيدة ، متحدياً الأسراب الكثيفة من بعوض الملاريا الفتاك . وقد كان هــذا العقار احتكاراً ألمانياً ، وهو سلاح فذ ، وها هو ذا هتلر يتأهب للوثوب .

ولكن لم تلبث شركة الأصباغ الألمانية أن ارتكبت عندئذ غلطتها . لقد باع الألمان سر الأتبرين لأمريكا ! وكانوا يظنون أنهم ساوموا على صفقة رابحة ، لأنهم اغفلوا ، متعمدين ، من بيان التركيب ، بعض العناصر الحيوية ، ولم يحسبوا حساب ذكاء الدكتور شرندال أحد علماء شركة وينثرب الكيميائية . فاكتشف شرندال العناصر الناقصة ، ولكنه لم يستطع الحصول عليها فى الولايات المتحدة . (ومن سخرية الأقدار أن أفتك المفرقعات (ت . ن . ت) والأتبرين — وأحدهما مدمر ، والآخر دواء شاف — كلاهما مصنوع على أساس كيميائى واحد) . ولذلك استنبط شرندال طريقــة لصـــنع الأتبرين من العناصر الأمريكية المتيسرة .

وفى سنة ١٩٣٩ نجح شرندال فى صنع المقادير الكبيرة من الأتبرين الأمريكى ، فهو إذن جدير بأعلى رتب الشرف العسكرى .

وقبل سنة من تاريخ الهجوم على ميناء بيرل ، رأى الدكتور الجنرال باران ، كبير الجراحين ، ببصيرته تلك العواقب السيئة المتوقعة من جراء نقص الكينا ، ولكنه لم يكتف بذلك بل أشار على شركة وينثروب الكيمائيــة بضرورة زيادة إنتاج الأتبرين فى أمريكا . فلم تنتظر هــذه الشركة حتى تطالب الحكومة منها أو أن تمولها ، بل استعانت بشركة مرك فزادت إنتاجها من خمسة ملايين إلى ٥٠٠ مليون حبـة فى السنة . وقد طلب جيش الولايات المتحدة من عهد قريب ٢٧٠ مليون حبة من تلك الحبوب الصفر ، وهى سـلاح لا غنى عنه لكسب النصر فى هــذا الصراع العالمى . وتعلم القيادة العليا الأمريكية أن الأتبرين هو الذى يعين فتيانهـا على أن يقفوا على أقدامهم يقاتلون أينما كانوا . وقد أرسلت ملايين من حبوب الأتبرين بالطائرات إلى البرازيل . وكذلك أرسلت ملايين أخرى إلى تركيا ، لأن هــذه الأمة جعلت تعهد أمريكا بوقاية تركيــا من شر الملاريا ، فى المقام الأول من اتفاقاتها التجارية .

وكان من مزايا الإنتاج الأمريكى أن هذا المركب المنقذ للحياة ، الذى كانت تحتكره ألمانيا ، نقص ثمنه ، من ٦٦ ريالا لكل ألف حبة فى سنة ١٩٣٣ ، إلى ٤ ½ ريال لكل ألف حبة فى سنة ١٩٤٢ . ومعنى ذلك أن هذا المرض إذا تفشى ، لم يزد ما يتكلفه علاج الإصابة الواحدة على ١٢ مليما .

ومن أخبار الحرب أن اليابانيين لا يمكنهم أن يصنعوا الأتبرين ، وأن الهولانديين أحرقوا غابات الكينا ، قبل تخليهم عن الهند الشرقية إحراقاً تاماً . وقد يخطر لك أن تسأل : ألم تحل الملاريا هى وقاذفات القنابل أيضاً بين اليابانيين وبين بورت مورسبى فى غنيا الجديدة ؟ فإن كثيرين من اليابانيين وجدوا موتى بغير جروح فى أبدانهم .

على أن قوة الأتبرين ، المنقذة للحياة المانحة للعافية ، تبشر بما هو أكثر من حفظ رجال الأمم المتحدة أقوياء قادرين على القتال فى غابات العالم الموبوءة بالملاريا . فإذا ضمت قوة الأتبرين إلى أساليب المهندسين للسيطرة على البعوض فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أمكن أن تقطع سلسلة العدوى المميتة من الإنسان إلى البعوض ومن البعوض إلى الإنسان . لأن هذا القاتل الخبيث لا يزال يلوث نحو خمسة ملايين نسمة فى القسم الجنوبى من أمريكا ، ولا يزال يسبب خسارة اقتصادية تقدر على الأقل بألف مليون ريال فى السنة . وهى تضارع سوء التغذية فى هدم القوى المنتجة فى الولايات الأمريكية الجنوبية .

وبفضل الأتبرين أصبح فى الوسع القضاء على هذا الداء الشيطانى المضنى . ففى سنة ١٩٣٤ بدأ الدكتور وينشستر يعالج بالأتبرين المصابين بالملاريا فى مقاطعة جاين من ولاية جورجيا ، وكانت الملاريا تضنى يومئذ نحو ٧٠ ٪ من السكان . فأصبحت الملاريا بعد ذلك نادرة الحدوث هناك بل لم تحدث من جرائها وفاة واحدة منذ ٦ سنوات . وهذه النتيجة الباهرة يمكن أن يصل إلى مثلها أطباء مصلحة الصحة ورجالها .

على أن الخير المأمول من هذه الحبوب الصفر لا يرجى فى أمريكا وحدها ، بل هو أمل نحو ٨٠٠ مليون مصاب بالملاريا فى جميع أنحاء العالم ، يموت منهم كل سنة بضعة ملايين . وسنواجه بعد الحرب عالماً مريضاً مشوهاً جائعاً سقيما متهدماً . ونحن لا نستطيع أن ننشئ عالماً جديداً ونصف أهله يجرون أقدامهم ضعفاً ، أو ينتفضون من رعدة الملاريا ، على حين أن شفاء المريض لا يكلف إلا اثنى عشر مليما . وستنهض أمريكا ببعض ما يجب عليها فى هذا البناء الجديد ، بإنتاج ملايين الملايين من حبوب الأتبرين وتوزيعها فى أرجاء العالم .



ملخصة عن « مجلة كوليير »

حين أقلعنا من سنغافورة يوم الإثنين ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، لكى نعترض القوافل المتجهة إلى مالايا لتعزيز اليابانيين ، كنا على حد قول الأميرال فيلبس « نبحث عن الملمات » ، فوجدناها

أقبل صباح الأربعاء والبارجتان « ريبلص » و « وبرنس أوف ويلز » كلتاهما ما فتئت تطارِد وتطارَد . وفى الساعة الخامسة والثلث من مساء أمس ، تمكنت طائرات الاستطلاع اليابانية من رؤيتنا خلال فرجة فى الغيوم الرقيقة القليلة الماء . فبتنا طوال الليل الماضى نتوقع هجوماً علينا .

لم يكن هناك ما يقلق بالى ، فتحتى سفينة مدرعة تفريغها اثنان وثلاثون ألفاً من الأطنان — طراد القتال ريبلص . وحولى ألف ومائتان وستون بحاراً باسلا . وعلى نصف ميل من أمامى البارجة « البرنس أوف ويلز » تمخر بحر الصين الجنوبى ، على مائة وخمسين ميلا إلى الشمال من سنغافورة . وكانت هذه السفينة الكريمة تشق اليم فى تيه كأنها لا تقهر ، فعزز ذلك شعورنا بالأمان . وكانت المدمرات اليقظة تحف بنا ، وهى سفن صغيرة كالأقزام بجانب البارجتين العظيمتين ، حتى بدت مسايرتها لهما كأنها تطاول وسوء أدب .

لقد انقشعت الغيوم وبدت السماء زرقاء مغبرة ، وهاهم البحارة ، على رءوسهم خوذ

عين سسيل براون مراسلا لشركة كولومبيا للاذاعة فى روما فى يناير سنة ١٩٤١ فلم تنقض أسابيع حتى سخط موسولينى على إذاعات برون فاضطر أن يغادر الحاضرة الايطاليه ، فذهب منها إلى بلجراد فما لبث أن طرده الجيش الألمانى منها إلى كريت فالاسكندرية . ثم سافر إلى سنغافورة فإذا هو هناك فى محتدم القتال .

القتال ، رابضون فى يقظة وتحفز قريباً من مدافعهم . وها هى مدافع « البوم بوم » وهى مدافع مضادة للطائرات عالية المرمى مركبة ثمانية فى بطارية واحدة ، مشرعة إلى الفضاء . وها أنا واقف على دكة العلم حيث أستطيع أن أشاهد القتال ، لابساً قناعاً يغطى الرأس والكتفين ، فيقيهما من الحروق التى قد تنشأ عن نار القنابل المتفجرة .

فى الساعة الحادية عشر صباحاً هدر فى أنابيب التخاطب بالبارجة صوت : « طائرات العدو تدنو . إلى مواقع القتال » . وقد رأيتها مقبلة على ارتفاع عشرة آلاف قدم ، كأنها عقد مستطيل من حجارة الياقوت على بساط السماء الزرقاء .

وإذا مدافع « البرنس أوف ويلز » و « الريبلس » تنطلق ، ودويها يصم الآذان ، وبريقها يخطف البصر . ثم أرى فجأة أمامى قنابل كأنها تجسمت من لا شىء ، تنهال علينا وكأنها قطرات من الدمع تضخم وتضخم كلما دنت — إنه مشهد يبعث الجمود والقشعريرة فى النفس والجسم .

ها هى تسع طائرات يابانية منتظمة سرباً فوق رءوسنا . وإذا الماء حولنا يفور فجأة فى صورة أهرامات بيض من الزبد ، فيبللنا ونسمع فى الوقت نفسه سقوط قنبلة على دكة قاذف الطائرة .

ثم أسمع صيحة : « نار فى الحظيرة » ، فأعدو لأرى مبلغ الضرر ، فأرى الطائرة منحرفة عن شريطها . وأشاهد ، على الرافعة طياراً نيوزيلندياً أصهب شعر العارضين ، من طيارى الأسطول ، وهو يحاول أن يلقى بالطائرة فى البحر ، لأن ما فيها من بنزين ملتهب ، خطر عظيم . وكان رجال المدافع رابطى الجأش ، يملأون مخازنها بالذخيرة وهم يضحكون . وأسمع منهم من يقول : إنهم والله يقذفون قنابلهم قذفاً محكماً .

وأرى الماء يفور على ثلاثة أميال إلى ميمنة البارجة . ثم أسمع هتافاً : « لقد أصبناه » .

الدخان يندلع اندلاعاً من دكة قاذف الطائرة ، ويصعد للمعاونة والإسعاف أربعة من موقدى النار قد اسودت وجوههم ، واحترقت جلودهم ، فى نفوسهم السكينة ، ولكن بصرهم زائغ ذاهل ، وأيديهم ترتجف . ليس هذا منظراً يسر .

وفى الساعة ١١ : ٤٠ بدا كأن البرنس أوف ويلز قد أصيبت . فقد خفضت سرعتها وانصرفت الطائرات ، فأشعلنا سجائرنا ، واستنشقنا دخانها استنشاقاً عميقاً أقرب إلى آهة المكلوم .

ولكن فترة السكون لم تطل . ففى الساعة ١١ : ٤٥ بدت فى السماء بقع بعيدة — هى تسع طائرات من قاذفات الطوربيد ، فحومت

على ارتفاع ألف قدم . إنها تبدو الآن كأنها فراش يحوم حول نيران مدافعنا ، ثم تنخفض فيهـدر فى أنابيب مخاطبات البـارجة أمر بالاستعداد ، انتظاراً لإطلاق نيران المدافع . وفى لحة يزمجر كل مدفع من مدافع الريبلص فتهتز البارجة وترتجف، وإذا صوت إلى جانبى يقول : « انظر إلى هؤلاء الصفر... كيف يهجمون ! » . والريبلص تسير الآن فى طريق ملتو لتجتنب الطرابيد . وأقف أنا قريباً من مدفع « ڤيكرز » المتعدد الفوهات وهو يقـذف ألفى رصاصة فى الدقيقة ، كل رصاصة منها من عيار نصف بوصة .

وعلى مقربة منى مدفع « بوم بوم » ، مثمن الفوهات ، يقذف ما فيه . وعلى ست أقدام منه مدفع مضاد للطائرات بعيد المرمى ينفث حممه ، ولكن أنبوبتـه مشرعة على محاذاة الأفق لا إلى كبـد السماء ، لمقـابلة قاذفات الطوربيد المندفعة فى رشاقة على ارتفاع مائة قدم فوق سـطح البحر . وعلى المدافع يسيل سائل بارد لتبريدها . وكانت النفاطات التى انتفخت حين اشـــتدت الحرارة على دهانهـا ، فى حجم كرات التنس . ورجال المدافع شـبان متحمسون خطفت سـورة القتال أنفاسهم ، وتحدر العرق خطوطاً على وجوههم ، وهم يتحركون ، كأنه شريط سينمى يعرض عرضاً سريعاً .

وألقت طائرة طوربيداً على بعـد ٣٠٠ ذراع . ولـكن قذائف مدافعنا شقت جنب الطائرة . إن الرصاص الخطـاط من مدافع «بوم بوم» و « ڤيكرز » يتقاطع فى الفضاء على مســتوى البصر تاركا وراءه خطوطاً دقيقة بيضاء منحنية بعض الانحناء . واللهب البرتقالى مندلع من المدافع التى عيارها أربع بوصات . والطائرات الرمادية قريبة جـداً حتى لأستطيع أن أرى ملامح الطيارين — إنها قريبة جداً ، وكأنهـا فراش سمّـر على لوحة زرقاء .

على عشر أقدام منى ثلاثة مدفعيين يسقطون على الأرض ، وفى أجسـامهم رصاص من رشاشات اليابانيين . وهـذه قاذفة طوربيـد قد ألقت طوربيدها ومالت دون أن ترتفع . إنها تـكاد تسبح على سطح الماء موازية للريبلص ، والرصاص الخطاط يخترقها . ثم بعد لحظة تصدم المـاء فتشب فيها النار .

وأعدو إلى الجانب الأيسر من البارجة حيث أجد قاذفة طوربيد أخرى مقبـلة . إنها تنحرف إذ تـكون على مائتى ذراع منا . ولا أرى الطوربيد . الطـائرة مشـتعلة ، ثم تهوى نحو البحر ، ثم يغمرها المـاء ، ثم ينبسط فوقها كأن لم يكن شئ .

وينتهى هـذا الهجوم الساعة ٥١ : ١١

ويمر بى بحار راكضاً لينقل رسالة إلى دكة المرقب من البارجة البرنس أوف ويلز : « تعطلت عجلة التدوير » . إن طبقات البارجة ريباص غاصة بظروف القنابل . وعلى وجوه البحارة مزيج من الدهشة ونشوة الفرح ، ولكننى لا أتبين خوفاً أو بغضاً للمهاجمين. إن هذا فى نظر البريطانيين سباق . ويلتفت إلى ضابط ويقول: « هؤلاء اليابانيون شبان شجعان . إن هجومهم هذا يجارى فى إحكامه أروع هجوم يحتمل أن أراه ».

وفى الدقيقة الأولى بعد الساعة الثانية عشرة جاءوا ثانية . عشر قاذفات طوربيد تشن علينا غارة من كل جهة وزاوية . وأخشى ما نخشاه أن يهوى اليابانيون بطائراتهم وأنفسهم على السفينة . هذه طائرات تهجم على مقدم السفينة من اليمين ومن اليسار ، من أمام ومن وراء ، وهذه قاذفة تهجم علينا من فوق وأخرى تقذف طوربيدها من الخلف . إن رائحة « الكورديت » المتفجر خانقة ، ووميض القنابل المتفجرة يؤذى عينى .

والهجوم الآن كالهجوم من قبل — يبدو أن قاذفات الطوربيد الجريئة الباسلة لا تبالى بنيران البريطانيين ورصاصهم المرتفعة إلى الفضاء كأنها جدار متماسك . وسطح الماء تخططه مسالك الطرابيد . وهذا هتاف آخر يعلو من جانب السفينة — لقد أسقطت قاذفة أخرى .

ولولا مايثه المشهد من الروع ، لكانت أجزاؤه متلاحقة تلاحقاً رتيباً ، مألوفاً — أساليب اندفاع الطائرات، وإلقاء الطوربيد ، وقذف ظهر السفينة برشاشاتها ، ثم تنصرف منزجرة . والآن انصرفت جميعها . ومن يستطيع منا أن يشعل سيجارة لا يتوانى فى إشعالها .

وفى الساعة ١٢:٢٠ أرى عشر قاذفات تدنو ، فيدوى الأمر فى أنابيب المخاطبات « تأهبوا لإطلاق نيران الدفعية » ، فتنطلق ألسنة الجحيم هناك طائرة على ٥٠٠ ياردة إلى يمين البارجة منقضة على وسط السفينة فينطلق الرصاص الخطاط لملاقاتها ، ولكنها تمضى فى طريقها ، ثم تبدو هنيهة كأنها معلقة فى الهواء على مائة ذراع فوق سطح الماء . ويسقط الطوربيد ويشق طريقه فى الماء إلينا . إن فى مراقبته لسحراً مدمراً .

يصيب الطوربيد مؤخر البارجة على نحو عشرين ذراعاً من موقفى ، فأشعر كأن السفينة قد اصطدمت بجدار حوض ، فانقذفت من موقعى أربع أقدام ، وأخذت السفينة فى الحال تميل على جنبها ، وإذا الصوت فى أنابيب المخاطبة يقول : « انفخوا أحزمة النجاة » ، فبدأت ألبس حزامى .

وفى الحال أصيبت السفينة بصدمة أخرى فى جانبها الأيسر ، وقبل أن أنجز نفخ حزام النجاة جاء صوت الكابتن وليم تننت الرزين فى مضخات الصوت : « إلى ظهر السفينة جميعاً . ابرحوا السفينة . كان الله معكم » .

فنندفع على السلالم لكى نبلغ دكة الضباط أمام الصارى . إن رباطة جأش الجميع لا تكاد تصدق ، فلست تجد أحداً يدفع آخر . ورأى أحد الضباط صبياً يهرول فقال له فى هدوء ولطف : « مهلا ! نحن جميعاً سائرون أيضاً فى هذا الطريق ! » .

وقريباً من مدفع « بوم بوم » رجلان ميتان . ورأيت أربعة بحارة يحملون زميلا لهم مصاباً فى فخذه برصاص رشاش إلى حافة السفينة ، ويقذفونه إلى البحر ليتيحوا له فرصة للنجاة . ورأيت زورق نجاة تكدست فيه البحارة والضباط ، فتسلقت حبلا لأبلغه وأقذف نفسى فى إحدى زواياه المعرضة للخطر ، فصاح أحدهم : « إن هذا الزورق لن ينزل إلى البحر » . والواقع أن جميع زوارق النجاة فى الريبلس لم تنزل إلى البحر . فاندلقنا منه . وانحدرت عشر أقدام على الدكة المائلة الزلقة فاصطدمت بطارية مدفع . فلممت نفسى وزحفت مترنحاً على يدى وركبتى ، ممسكا بكل ما تنساله يداى ، حتى وصلت إلى حافة السفينة التى تكاد تكون الآن مضطجعة على جنبها . فى الماء خمسمائة رأس على الأقل تعلو وتنخفض ، ومن صوارى السفينة فى مقدمتها ومؤخرتها يقفز الرجال مسافة تسعين قدماً إلى البحر ، وأحدهم يعجز عن القفز مسافة كافية فيرتطم بجسم السفينة فيسقط فى البحر كتلة رخوة كأنه كيس من الأسمنت ، ويسقط أحدهم فى المدخنة .

لقد تحولت الحالة فجأة إلى مشهد لا يصدق فالبحارة يقذفون من السفينة إلى البحر كل شىء يطفو ، وأرى « البرنس أوف ويلس » وهى تغرق يلفها الدخان . والرجال حولى ينزلقون على جنب السفينة إلى البحر ، فتعترض انزلاقهم حوائل بارزة فى جنب السفينة ، فينقذفون فى الفضاء ويسقطون فى الماء . وهذا ضابط كان فى الليلة السابقة قد قال لى : « إن كتاب « أليس فى بلاد العجائب » أفضل ما يقرأ فى أيام الحرب » ، فأراه الآن يقفز ليغطس فى الماء ، فيخطىء القفز فيموت .

وبعض البحارة قفزوا من مؤخرة السفينة فتلقفتهم مراوح محركاتها التى لا تزال دائرة ، فمات اثنا عشر بحاراً منهم على الأقل هذه الميتة . وأعلى غطسة هى غطسة صبى بحار قفز من أعلى الصارى الأكبر فأنقذ ..

وأنت تفعل أفعالا غريبة فى مثل هذه الأحوال . فقد خلعت حذائى ووضعتهما جنباً إلى جنب ، كأننى أصفهما قبل النوم

قريباً من مؤخرة السرير . وشاهدت مصور الأميرالية يفعل مثل هذا السخف ، يفتح خزانة زورق النجاة ، ويضع فيها جهاز تصويره الثمين ، ثم يقفلها بعناية .

وانزلقت على جانب السفينة ثم أثبت قدمى فى نافذة إحدى ممراتها ، وخلعت خوذتى الفولاذية . وعلى عشر أقدام منى كان جنب السفينة مبقوراً . ولسبب ما أكره أن أغادر هذه السفينة المائلة — مع أن إقامتى هنا محفوفة بالخطر — لأخوض هذا المائع الزيتى القذر المائل تحتى . ويقف إلى جانبى بحار ثم يمد ذراعيه ويغطس . حسن . لقد عزمت ، فأقفز وأسبح وأمسك بقطعة من خشب ، وحين أصبح على خمسين قدماً من «الريبلص» ، أحس بقوة الامتصاص الذى يحدثه غرق البارجة . فيغمر الزيت رأسى ، وأبتلع كثيراً من هذه المادة الكريهة .

واسمع من يدعونى : « هل أنت بخير ، ياعمّ » ، فأقول : « نعم » ، وأعب قدراً آخر من الزيت . ولكننى فى الواقع أنظر نظرة متشائمة إلى حالتى ، فلا بد من السباحة نصف ميل قبل الوصول إلى مدمرة . إن المدّ والزيت يجعلان السباحة شاقة .

ويصيح بحار على عشر أقدام : « لقد أصابنى تشنج فى عضلة فخذى » ثم يختفى .

وأرى أربعة آخرين أو خمسة تخور قواهم ثم يغورون بغير نبأة صوت . وهذا ضابط ينفخ أحزمة النجاة لخمسة أو ستة من البحارة فى الماء ، فيسبح أقواهم حتى يدنو من الضعاف الذين بدأت عيونهم تشخص ، ويتعلق بعضهم بقطع من الخشب الطافى ويعين الآخرين . ما أكثر الوجوه التى ضرّجها الدم وكساها الزيت ! وبعد أن انقضت على فى الماء ٥٥ دقيقة تمكنت من السباحة إلى زورق كان مزدحماً بمن فيه ، فجذبنى أحد رجال الفرقة البحرية وحمانى من السقوط . وقد مات أحد البحارة فى هذا الزورق من الإعياء ومن الزيت الذى ابتلعه ، فألقى فى البحر ليأخذ مكانه آخر كان فى الماء على مقربة من الزورق . وبعد ساعة ونصف ساعة يصل الزورق إلى مدمرة فيرمى إلينا بحبل منها .

إن الأميرال فيلبس والكابتن ليتش ، غارا مع البرنس أوف ويلز ، ولكن الكابتن تننت قائد الريبلص قد أنقذ .

وسألت عن الضابط الذى كان ينفخ أحزمة النجاة للبحارة المشرفين على الغرق والموت ، ولكن يبدو أنه نزع حزامه وهو فى الماء ، وأعطاه لبحار قد عجز عن السباحة ، فلم يكن هذا الضابط بين الناجين !



لو أنفق أصحاب الأعمال من الوقت والجهد في كسب صداقة العمال ومعاونتهم، مثل ما ينفقونه في مكافحة هيئاتهم، لما كانت هناك مشكلة عمال.

الصلة الشخصية في مسائل العمال

شرمان روجرز

ملخصة عن صحيفة أشباء العمال

كنت أعمل في أحد مصانع السفن بمدينة سياتل سنة ١٩١٧ عندما أعلن أن تشارلز شواب ملك الفولاذ سيخطب في العمال في موعد معين. وقضى العمال أياماً يتددون به، ويصفونه بأنه مبغض للعمال وأمير مختال من أمراء الصناعة. ولكن حين خطب فيهم، وكانوا أربعة آلاف في ملابس العمل، نسوا جميعاً أن الخطيب رجل غني. إنه كشف لهم عن قلبه، ومزق الحجاب القائم بينه وبينهم، حجاب سوء التفاهم، ودك حاجز التمييز بين الطبقات. فهتفوا له هتافاً لم يهتفوا بمثله لإنسان آخر. ففي نصف ساعة، تغلب شواب على البغضاء التي بثها المحرضون المغرضون خلال خمس عشرة سنة.

والسر في هذا هو «الصلة الشخصية». فكل رجل يحب عماله يستطيع أن يلقي خطبة كخطبة شواب. وقد تبينت في جميع أرجاء الولايات المتحدة، أنه حيث يكون صاحب العمل محباً لرجاله، ويظهر لهم حبه

نشرت مجلة «ريدرز دايجست» هذه المقالة، في عددها الصادر في شهر أغسطس ١٩٢٣. وقد أعيد نشرها من عهد قريب في إحدى صحف العمال، فنالت ثناء طيباً من زعماء العمال وأرباب الصناعات على السواء. فمجلة «ريدرز دايجست» تعيد الآن نشر هذه المقالة، بعد انقضاء عشرين سنة على نشرها أولا، لاعتقادها أن نشرها مشاركة قيمة في بحث مسائل العمل في سنة ١٩٤٣.

فإنه لا يجد مشقة ما في الظفر باحترامهم الصادق، ومعاونتهم جميعاً.

ان مشكلة العمل والعمال تبدو أشد تعقيداً مما هي في الحقيقة. ولكن الموضوع يجب أن ينظر فيه على ضوء أربعة مبادىء.

أولا: أن لكل مسألة ثلاث نواح، ناحيتك، وناحية الفريق الآخر، وناحية

الصواب والحق . فلم تقم حتى الآن مشكلة ما من مشكلات العمال ، كان فيها أحد الفريقين فى جانب الصواب والحق مائة فى المائة . وعندما يجتمع صاحب العمل وممثل العمال ويتبادلان الرأى يصلان إلى الصواب .

ثانياً : ليس فى التاريخ ولا فى العالم كله رجل بلغ من العظمة بحيث يستطيع أن يحقد ويعقل فى وقت واحد .

ثالثاً : جميع الناس تقريباً ، مهما تتباين ملابسهم ، يريدون الإنصاف . وانقطاع الصلة الشخصية يعنى فقدان التفاهم . وكثيراً ما يفضى فقدان المشاركة الودية إلى الريبة ، وهى تولد بدورها الخوف والبغضاء ، وفى هذه الحالة يتعذر تحكيم العقل .

رابعاً : يكثر بين العاملين ، وهم الرؤساء المباشرون للعمال ، من لا يعنى برغبات العمال والفوز بولائهم . وفى وسعى أن أقول — مستنداً إلى تجاربى — إن الطبقة القديمة من العاملين كان يندر فيها من يطلع العامل على أن الرؤساء يقدرون جهده وعمله .

ونحن نندد بالمحرض ، ولكن المحرض لا يعد خطراً إلا حيث يكون صاحب العمل مخطئاً . والمحرض لا يستطيع أن يفوز بصداقة العامل إلا حيث تأبى إدارة العمل أن تبسط له صداقتها .

وأستطيع أن أورد أسماء مصانع كثيرة حلت فيها الثقة والاحترام ، محل الريبة والبغضاء ، فى سنوات . فقد عنى أصحاب هذه المصانع بتوثيق أواصر الصداقة مع العمال ، كما كانوا يعنون بتوثيقها مع معارفهم فى الهيئة الاجتماعية . والذين حاولوا هذه المحاولة ، عجبوا لما يعانيه العمال من مشاق . فقد كشفوا مساوئ كثيرة ما كانوا يدرون بها ، وهى مساوىء تبدأ صغيرة ، ثم تتضخم وتتحول إلى إضراب تلازمه البغضاء .

وقد أتاح هؤلاء الرجال لعمالهم فرصة لبحث أحوال العمل ، بحث الند مع الند ، لا بحث المرءوس مع الرئيس . وأنشأوا نظاماً للتمثيل الصناعى ، فينتخب العمال بمقتضاه ممثلين لهم ، فيجتمعون بعدد مماثل من ممثلى أصحاب العمل للبحث وتسوية وجوه الخلاف . فالمحرض الذى يحرض لغرض فى نفسه ، لا يجد مجالا للعمل فى مثل هذا الجو ، لأن صدق كل قول أو فساده ، يمكن بحثهما حول مائدة المؤتمر .

إن حل مشكلات العمال ترجع إلى الفطنة. وأنت توحى بالثقة والتعاون ولا تفرضهما فرضاً ، وتوحى بحسن النية والاحترام ولا تنتزعها انتزاعاً ، أى أنك تستطيع أن تقود رجلا طيباً خلال نار الجحيم ، ولكنك لا تستطيع أن تسوقه خطوات قليلة .

هذه نظرة تحليلية حقيقية مؤثرة لروح « ريف »
الصغير التى لا تقهر ، ولأعمال قلبه العجيب

من صميم الحياة

هنرى مورتون روبنسون

رقد « ريف » الصغير فى مهده الوثير ، يرسل الصيحات إلى السماء التى حجبتها السحب المتراكمة ، ويشير إليها بأصابعه الرخصة . كان هذا لقاءنا الأول ، ولم يكن شىء فى وجهه المتورد المستدير وقناعته الساذجة ، ينبئ بأنه سيكون من أولئك الأطفال الذين كتب على أحدهم أن يكون ربيباً يضمه بيت غير بيت أبيه . قالت لى أمه الجميلة : « يجب أن تكونا صديقين ، لأن ريف مغرم بالأصدقاء الكبار . انظر ، إنه يحبك! » . قالت ذلك حين افتر ثغر الطفل عن ابتسامة حلوة ، فرحبت بهذه الصداقة بالألفاظ المألوفة ، مما يجرى على لسان من يشغفهم حب الأطفال . وهكذا بدأت صداقتنا الباقية التى دامت سنين قصيرة .

لم ترفرف السعادة طويلا على طفولة « ريف » ، فلقد انفصل أبواه بالطلاق . وراحت الأم تقف حياتها على أن تروي ظمأ ولدها اللانهائى إلى الصداقة والحب . غير أن كل ذلك لم يكن ليدرأ عن ابنها مأساة توشك أن تنزل بساحته .

وكان لريف مربية تدعى جينى ، اتخذت لها صديقاً شاباً . فأرغمها — ذات ليلة — على أن ترافقه إلى حفلة راقصة . وكان ريف على غير عادته قلقاً . ولكنها استطاعت بعد عناء أن تهدهده فنام . وخشيت جينى أن يهب ريف من نومه فى ضمير الليل فلا يجدها . فارتكبت — جاهلة — أمراً فظيعاً . تراءى إلى سمعها أن الكلوروفورم يضمن نوماً عميقاً ، فنشقت الطفل قدراً من الكلوروفورم ثم انسلت خارجة .

ولما تسللت أمه إلى مضجعه لتقبله ، خيل إليها أن الطفل قد مات ، فاستولى عليها الفزع ، وانطلقت توقظ كل من فى الدار . فعلمت أن المربية غادرت الدار ثم لم تعد للآن . وجاء الطبيب فظل يعمل ساعة كاملة لينقذ الطفل الهامد ، ولم يخبر الأم الحزينة بما كان من تخديره ، حتى عاد الطفل إلى الحياة .

وبعد أيام قليلة ابتدأ ريف يحس أزمات

عصبية عنيفة ، وراح جسمه النحيل يتحطم تحت تأثير تشنجات لا إرادية . ولم يكن الطبيب متثبتاً من حقيقة الأمر : أهو الكلوروفورم قد مزق أنسجة المخ ، أو أنه أظهر حالة كانت مختفية فيها . وجيء بالأطباء المتخصصين ، ولكن مهارتهم وكفاياتهم لم تجد نفعاً .

وكانت الأم تحتضن ابنها بشدة كلما أصابته نوبة ويظل بين ذراعيها حتى يسرَّى عنه : هذا هو العلاج الوحيد الذى تستطيعه الأم ! وربط هذا الضرب المخيف من الحزن بين الأم والابن برباط من الحب لا ينفصم . ففى بعض الأحايين ، وقد أولمت الأم وليمة غداء، كانت المربية تدخل عليهم، وتومئ إليها فتهب الأم فى ثبات وتسرع إلى طفلها ، تهدئ من روعه حتى تنجلى محنته ، فإذا ما عادت إلى ضيوفها لم ينبئ هدوءها الظاهر عما كانت فيه هى وابنها من ألم مدمر .

ثم تزوجت الأم مرة أخرى ... تزوجت من رجل عصبى المزاج ، أنانى ، يحبها أشد الحب . وكان له ابن يدعى بول وهو فى مثل سن ريف . وكان يتراءى للرجل وزوجته — فى اللحظات الحالمة — أن الطفلين سيكونان توأمين حقيقيين . غير أن الأمور جرت بعكس ما أرادا ، فأبرزت قوة بول ضعفَ ريف ، ثم استحال ما كان فى قلب بول من الهوى لأخيه — رويداً رويداً — إلى إهمال ثم إلى احتقار .

وأصبح الزوج غيران، لانصراف زوجته بكل قلبها إلى ولدها ، ولم يكن الرجل — وإن جهد — يستطيع أن يكتم غيظه ، فكان يعامل ريف بفنون من الدهاء . ففى ذات مرة ، حينما كان يدرب ريف على قذف كرة المطاط ، أخذ الطفل يرتجف فصاح به فى غير أناة : «لا ترتعد!» ، فاندفع الطفل إلى الدار وهو يبكى بكاء مراً ، ثم لم يسمح له ، بعــد ، أن يلعب الكرة ، لأن المباريات الرياضية كانت فوق طاقتــه . وكثيراً ما كنت أراه يطل من نافذته ، كأن وجهه بقعة صفراء شاحبة، وهو يحدق بلهفة فى بول ورفاقه الأشــداء ، وهم يعبثون فى خشونة . وتقبل صديق الصغير ، طرده من الحديقة التى هى متعة الطفل .

وأدرك ريف بغريزته أن مرضه يؤرّث فى زوج أمه البغضاء المنبعثة من غيرته ، فصار كلما شعر بالنوبة المضنية تكاد تجتاحه ينطلق إلى حجرته ، وحين يفيق ضعيفاً منهوكا ، يرتجف لسانه ، دائماً — أول ما يرتجف — بسؤال فيه اللهفة : « هل رآنى أبى » ؟

وفى ذات ليلة ، حين كان أفراد الأسرة الأربعة يتناولون عشاءهم فى حجرة

الطعام ، أخذ ريف يهتز فى مقعده ، فصاح به الرجل يأمره : « اجلس فى مكانك هادئاً » . ولـكن الطفل البائس لم يستطع أن يسيطر على أعصابه المضطربة ليوقفها ، فانطلق الرجل إلى الطفــل ، فى غيــظ ، يلطمه ، وراح الطفــل يكفكف الدمع فى دهشة وألم . وظل مضطرباً حتى أخبرته أمه أنه يستطيع أن يغادر المائدة . وحين أمسك الطفل بيــد زوج أمه ليحييه تحية المساء ، نظر إليها ثم قال : « لو كانت لى يد كبيرة مثل هــذه ، وكنت أنت صغيراً ، لما لطمتك ! »

وزادت هــذه الانفعالات من خطورة مرض ريف ، فنصحه الطبيب أن يلجأ إلى الوحدة والهدوء التام . وعقــد العزم أن ينتقل ريف وأمه إلى جزيرة صــغيرة فى وسط نهر هادئ ليعيشا هنــاك فى خلوة . وكانت هذه الجزيرة ، حقاً ، حرماً آمناً ، إذ لم يعبر القنطرة المؤدية إليه أحــد أبداً . وكانت أم ريف تتناول البريد والطعام من عنــد القنطرة . ثم هما يقضيان الساعات يصطادان السمك بالشص ، وفى خواطرهما أن ما فى هذا النهر المنساب من سحر ، سينفث النشاط فى هــذه الأعصاب المحطمة . وكانا يقفزان معاً من فوق الصخور . غير أن ريف — وأأسفاه — لم يكن يحسن هذه الرياضة . وكانت الأم تظل تقرأ له القصص ليلا حتى يغلبه النوم . ولربما كانت هــذه الشهور الطيبــة ، على الجزيرة ، هى أسعد الأيام فى حياة الطفل .

غير أن صحتــه لم تتقدم ، وما من فائدة ترجى من طول بقائه على الجزيرة . وفى النهاية أشار الإخصائيون أن ينقل إلى مستشفى منعزل شهير أعد لضعاف الأطفال ، وكان هذا هو الأمل الباقى فى شفائه .

وقبــل أن يبرح إلى المستشفى طلب إلى أمه : « أرجوك يا اماه ، أن نلتقط لنا رسما معاً » . وانطلقا إلى المصور ، وفى أثنــاء التقاط الصورة استشعر ريف الصغير الضنى لهــذا الفراق ، فطوق أمه بذراعيه يضمها إليه ضمة شــديدة ، وفى هــــذه اللحظة الســاحرة التقط المصور الصورة بإتقــان . وحين رأى ريف الرسم صــاح بالمصور « كبره ، كبره كثيراً ! » . وعلقت الأم الصورة الكبيرة فوق سرير الطفل بالمستشفى .

وحينذاك جمع صــديقى كل قوته ليقاوم — فى عزم — المأســاة التى كانت تلتهم حياته . فلقد كان يحس مرارة الكأس التى تدفع إلى شفتيه ، ولـكنه ظل مطبقاً أسنانه فى صمت ورباطة جأش ، ويبدو أنه أدرك أن الذهاب إلى المستشفى هو آخر فرصــة لشفائه . وحين قبلته أمه قبــلة الوداع راح

يمنع العبرات أن تفيض من عينيه العسليتين الحزينتين . وقال لها بعدها : « سأكون ابناً باراً ، يا أماه ، وحين أجد العافية أعود معك ثانية إلى الجزيرة ، وأحاول أن أقفز من فوق الصخور خيراً مما كنت أفعل » .

وكانت نعمة عظمى أن كبيرة الممرضات فيرونيكا ، تنطوى ضلوعها على قلب كبير يستطيع أن يسع كل الأطفال المرضى الذين تحت رعايتها . ونشأت صلات ممتازة بين ريف وهذه المرأة الرحيمة ، ثم أخذت هذه الصداقة تتأصل كلما زاد مرض الطفل . وأصبح الطفل نحيلا جداً ، وجاءته النوبات فى فترات قصيرة ، واستولى عليه الأرق . ولطالما كانت فيرونيكا ترى الطفل المؤرق يرقى إلى صورة أمه يتتبع ملامح وجهها بأصابعه فى شوق . وسمحت كبيرة الممرضات للطفل أن ينسل إلى حجرتها إذا ما استعصى عليه النوم ، ويطرق بابها فى رفق . وهناك — فى حجرتها — كان يجد الراحة والعناية حتى الصباح . وأخذت شعلة حياة الطفل تخمد ، وصارعه المرض ليغلبه على جسمه ، غير أنه لم يستطع أن يمس كبرياء نفسه التى لا تتزعزع . فما نبس مرة بالشكوى ، ولا ندب حظه ، بل هى عبرات قليلة يذرفها سراً ، فكانت هى اعترافه الوحيد بأن حظه من الحياة كان ضئيلا .

ودأبت الأم على زيارة وحيدها كل يوم . وفى ضمير ليل دامس راحت فيرونيكا تستدعى أباه وأمه تليفونياً ، لأنها علمت أن شعلة الحياة توشك أن تنطفئ فى الطفل . وحين رآها ريف لدى الباب مد ذراعيه المعروقتين ، ولما انحنت أمه عليه ، ابتدأ يتحسس بأنامله وجهها ... وجهها الحقيق العزيز . . . للمرة الأخيرة وهو يقول : « خبرينى ، يا أماه . هل كنت ابناً باراً » فأجابته وهى تنتحب : « نعم ، يا ريف ، نعم » . قالت ذلك وهى تضم جسمه النحيل إلى صدرها ، ثم رفعت بصرها إلى الصورة المعلقة فوق مخدعه فتبينت — مرة أخرى — آثار قبلاته ولمساته على الصورة الحبيبة . فهبت عليها عاصفة من الأسى ، ولكن ريف ضم أمه إليه بشدة يريد أن يخفف عنها بعض حزنها . وبدت الجزيرة قريبة منهما الآن ، وخيل إلى ريف أنه يمكنه ، أخيراً ، أن يقفز من فوق صخورها فى رشاقة . ثم التفت إلى أبيه قائلا : « أشكرك لما أبديت نحوى من عطف . إنى تارك أمى فى كنفك ، فارعها بعناية تامة » . وعند بزوغ الشمس ، انطلقت أشعتها تلف نهر السعادة من حياة هذا الطفل . وأخذ تياره الرفيق يهدئ من الخفقات الأخيرة المكدودة ... خفقات قلب كبير يحمله طفل صغير .

نفط جزيرة البحرين

جيروم بيتي

ملخصة عن مجلة « ذى أميريكان مجازين »

فى منتصف الطريق بين شمال خليج إيران وجنوبه، جزيرة البحرين، وهى قطعة من صحراء تحيط بها مياه الخليج ، وتبعد ثلاثين ميلا عن الساحل الشرقى من الجزيرة العربية . وقد كان أميرها الشيخ السر حامد بن عيسى آل خليفة ، يكتفى إلى عهد غير بعيد بامتطاء ناقة حين يتجول فى ملكه المجدب . فمعظم دخله كان يعتمد على سفن الغواصين على اللؤلؤ ، وكان هذا الدخل قد بات شحيحاً ، لأن اليابانيين كانوا ينافسون لآلئ الخليج الطبيعية بلآلئهم المولدة . إلا أن الأمير الشيخ يطوف الآن فى جزيرته فى سيارة من اثنتى عشرة سيارة فخمة يملكها . وعلى كثبان الرمل فى وسط جزيرة البحرين ، تقوم الآن مدينة حديثة غاية فى النظافة وحسن الهندسة والنظام ، فيها منازل ، ومستشفى ، وأندية، ومدرسة ، ودار للصور المتحركة ، وجميعها مجهزة بأجهزة تكييف الهواء وغيرها من الأدوات الكهربائية .

ذلك بأن جزيرة البحرين أصبحت فى هذه الفترة ، منطقة من أغنى مناطق الأرض بآبار النفط ، وهى الآبار التى حفرتها واستغلتها شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا . وأنباء هذا التحول تكاد تكون مجهولة خارج دوائر المشتغلين بالنفط واستنباطه ، لأن الحكومة البريطانية ، الحامية للجزيرة ، وشركات النفط البريطانية أبت أن تصدق ، أن فى الجزيرة نفطاً . وأما الأمريكيون ، الذين تخلت لهم الهيئات البريطانية عن امتياز حسبته لا قيمة له ، فيكررون الآن من النفط كل يوم ، ما يبلغ ثلاثين ألف برميل .

وقد بدأت قصة « نفط البحرين » برجل نيوزيلندى بشوش حسن العشرة يدعى ميجورفرانك هومز. وهو رجل من رجال الأعمال ما فتئ يطوف بأقطار الأرض ، بحثاً عن مشروعات يقبل على ترويجها والدعوة إليها ، إن كان له فيها ربح معقول . وكان البريطانيون قبل ثلاثين سنة قد استنبطوا النفط فى جنوب إيران ، فتساءل أمراء البلدان المجاورة : أليس فى بلدانهم نفط يستنبط ويستغل ؟

وفى سنة ١٩٢٢ ذهب إلى لندن من

سعى إلى إقناع البريطانيين بالبحث عن النفط فى بلاد العرب ، فلم يجد من يعنى بما يقترح . ذلك بأن علماء طبقات الأرض هناك كانوا قد قرروا أن بلاد العرب ليس فيها نفطٌ ما .

وكان هذا الرجل على وشك العودة ، بخفى حنين ، إذ تعرف بالمايجر هومز . فاهتم هومز بالموضوع ونقب فيما استطاع أن يقف عليه من كتب وتقارير ، فقوى ظنه فى احتمال وجود النفط فى البحرين ، فشد رحاله إليها . ولكن مجيئه كان فى غير الوقت المواتى . فأمير البحرين لم يكن معنياً بالنفط بل بمياه الشرب ، فهو يريد المياه العذبة ويريدها على عجل . ومياه الشرب فى البحرين تؤخذ من ينابيع فى البحر على مقربة من الشاطىء . وكان سكان الجزيرة يخرجون بقواربهم ويغترفون الماء . ولكن إذا هبت عاصفة ، فرجت مياه البحر ، فإن الماء العذب يختلط بالماء الملح ، قبل أن يتمكن السكان من اغترافه . وكانت قد توالت على سواحل البحرين عاصفة فى إثر عاصفة ، فغدا الشيخ قلقاً لا يقر له قرار .

فتحول هومز ، من باحث عن النفط ، إلى باحث عن الماء . فقال للشيخ : أنا أحفر لك بئراً للماء وإذا وفرت لك ماء يصلح للشرب وفيتنى نفقة عملى ، على أن نتداول فى أمر امتياز للتنقيب عن النفط . وإذا أنا أخفقت لم تخسر أنت شيئاً .

فقبل الشيخ ، فلم ينقض شهران حتى كان هومز قد حفر بئرين ماؤهما عذب ، وعقد اتفاقاً على حفر عشرين بئراً أخرى يدر عليه حفرها ربحاً طيباً ، وفاز بامتياز النفط . وجاء بخمسة من أكبر علماء طبقات الأرض فى أوربا . فقال أحدهم : إن احتمال وجود النفط فى البحرين لا بأس به . وأشار الباقون بالامتناع عن الحفر لأنه لا يكاد يجدى . ولكن رأيهم لم يثبط عزيمة هومز . فقضى ست سنوات يتنقل من مكتب إلى مكتب فى لندن ، ساعياً إلى إقناع رجال النفط ، الصغار منهم والكبار ، بأن يغامروا فى امتحان رأى العالم الذى قال باحتمال وجود النفط فى البحرين . وقد قال لى أحد الإنجليز : «كان هومز حينئذ أسوأ شىء مقلق للراحة فى لندن . وكان الناس يفرون عند ما يرونه قادماً من بعيد» . ثم هدر محدثى وقال : «ومع ذلك كان يحمل فى جيبه أوراقاً تساوى ملايين !»

وأخيراً سأل هومز ، هل يرضى الإنجليز بالتنحى عن الحقوق التى تبيحها لهم المعاهدات القائمة ، لعله يستطيع أن يحمل أصحاب الأموال من الأمريكيين على الاهتمام

بهذا الموضوع . فقيل له : « إن الإنجليز لا يبالون، إن هو وجد أمريكياً يبلغ به الحمق حتى يبدد ماله فى البحرين » . فذهب هومز إلى شركة نفط الخليج ، وهى « شركة أندرو ملون[1] » فى مدينة بتسبرج . فأرسلت الشركة أحد علمائها إلى البحرين للبحث ، فبعث تقريراً يقول فيه : إن احتمال وجود النفط فى البحرين كبير ، وعين على الخريطة بقعتين ليبدأ بالحفر فيهما للتجربة والبحث . ولكن قبل أن تحفر الآبار ، عين ملون سفيراً للولايات المتحدة فى لندن . فانسحبت شركة الخليج من الصفقة ، ولكنها عرضت على هومز معونتها فى مفاوضة شركة أخرى .

فقال هومز : « دعونى أجرب مرة أخرى إتمام هذه الصفقة فى انجلترا » . فعاد إلى لندن يغريهم فى هذه المرة بما جاء فى تقرير العالم الأمريكى ، وأن هناك شركة أمريكية تعهدت بحفر الآبار ، إن أبى الإنجليز ، فكان جواب الإنجليز : ومع ذلك لا نفط فى البحرين .

فعاد هومز إلى الولايات المتحدة . وباعت شركة الخليج نصيبها فى الامتياز لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا بخمسين ألف ريال . وفى يونيه سنة ١٩٣٢ وجد النفط على عمق ٢٠٠٨ أقدام .

كانت جزيرة البحرين تبعد عن كاليفورنيا ستة عشر يوماً بالطريق الجوى، وشهراً بالقطار والباخرة . وقررت شركة المواصلات الجوية الأمبراطورية أن تجعل الجزيرة محطة رسمية فى طريقها الجوى من لندن إلى الهند . فلما بدأت الشركة الأمريكية فى تشييد منشآتها فى البحرين ، نقلت بالطائرات ثلاثمائة رجل بين مهندس وعامل متقن ، للاشراف على عمل العمال المحليين . ونقلت بالسفن كل ما يحتاج إليه رجال الشركة هناك : من معجونات تنظيف الأسنان ، إلى الآلات التى تمزج الخرسانة ، إلى مولدات الكهرباء . وحين وصلت السفينة الأولى مشحونة بالأدوات اللازمة للبناء ، لم يكن فى البحرين مرفأ عميق ، فكان لا بد من نقل المشحونات بالزوارق والصنادل إلى البر . ويستثنى من ذلك الخزانات الكبيرة ، فإنها عومت فى الماء ودفعت دفعاً إلى الشاطئ . واشتركت فى جر هذه المعدات ونقلها من سفينة الشحن إلى مواقعها فى الجزيرة ، الإبل والحمير والجرارات واللوريات . وبعد ثلاثة أشهر تماماً جرت فى الأنابيب أول شحنة من النفط الخام ، من الآبار إلى سفينة النقل التى كانت

---

(١) أحد أغنياء أمريكا الكبار وكان وزيراً للمالية ثم سفيراً لأمريكا فى لندن .

راسـية على ثلاثة أميـال من الشاطئ .

واشـتدت مطالبـة صـيادى السمك بالتعويض من الشركة ، إذ زعموا أن قطرات من النفط نزّت من الأنبوب فى الماء ففرّ السمك وعزّ الصيد . وكان لا بد من الاحتفاظ بمودة الأهالى ، فعوض الصيادون مالا ، وأنبئ مقر الشركة فى كاليفورنيـا عما حدث ، لترسل ما يلزم من الأدوات والأجهزة . وفى خلال شهرين أحكم وصل قطع الأنابيب بعضها ببعض ، فلم يعد يقطر منها شىء فى البحر .

ولم تنقطع أبداً أعمال البناء والتشييد . ففى ربيع السنة الماضية أنجزت المواصفات اللازمة لبناء البقية الباقية من إحدى وسبعين داراً مخصصة للعزاب من رجال الشركة . وهى جميعاً مجهزة بآلات تكييف الهواء . ثم ظهر أن دار الصور المتحركة التى تتسع لمائتين وخمسين نفساً تضيق بروادها ، فشرع القائمون بالأمر فى تشييد دار أخرى أكبر منها . وفى الجزيرة ملاعب للتنس ، وللجلف ، والكريكيت ، والكرة ، وزوارق للنزهة ، منها ما يسير بالأشرعة ، ومنها ما يسير بالمحركات الحديثة . فالشركة تدرك أن منطقة النفط هذه — وهى تأبى أن تبيع امتيازها فيها بألف مليون ريال — هبطت عليها من السماء ، فلا تدخر وسعاً ولا نفقة ، فى توفير أسباب الهناءة ورغد العيش للجميع .



غرور الرجال !

كانت ليدى آستور تتحدث فى مأدبة كبيرة ، فزعمت أن الرجال أشـد غروراً واختيالا من النساء . فأحدث قولها عاصفة من الاعتراض ، فردت بأنها قادرة على إقامة الدليل الحسى على صحة ما تقول . ووجهت الحديث ، فى رفق وبراعة ، إلى موضوع الأزياء فى ملابس الرجال ، ثم رفعت صوتها فجأة وقالت: « مما يؤسف له أن أذكى الرجال ، وأعلمهم أقل الناس عناية بملابسهم ، فحول هذه المائدة مثلا رجل لعله أعظم المعاصرين ثقافة ، ومع ذلك فإن ربطة ياقته شوهاء تؤذى العين ! » .

وكأن أمراً عسكرياً صدر إلى الرجال جميعاً ، فامتدت أيديهم إلى ربطات ياقاتهم ليتحسسوها أو ليصلحوا من شأنها !

هل أنت روحانى ؟

آرثر ترين

ملخصة عن مجلة « سكربنر »

قليل منا من لم تصادفه بعض تجارب تافهة أو محيرة تشبه ما تجده فى سجلات جمعيات المباحث الروحانية . وقد صادفنى عدد منها كان له أثر بالغ فى نفسى حين وقوعه، وجعل بعض صحابى يعدوننى « روحانياً » . ولكنى كنت محامياً قد مرن على الدقة فى تمحيص الأدلة وتحليلها، فلم تقنعنى هذه التجارب بأن فى نفسى قوى روحانية .

عرفت بعض المعرفة صبياً اسمه تايلر مورس أيام طفولتى فى بوسطن، ولم أره بعد ذلك ولا خطر ببالى ، حتى قرأت عرضاً — بعد انقضاء حوالى أربعين حولا — أنه انتقل إلى نيويورك ، وأنه كان حكما فى معرض كلاب بجهة ما فى لونج أيلاند . وللمرة الثانية بدا لى أن تايلر مورس غاب عن ذاكرتى الواعية بتاتاً . ومضى ما يقرب من خمس سنين ، فبينا كنت أسير فى نيويورك أخذت أفكر فجأة فى تايلر مورس . ثم أخذ شعورى بأنه قريب منى يزداد شدة ، وما إن اقتربت من الشارع التاسع والخمسين حتى ظهر تايلر مورس من منعطف الشارع يقود كلبين فى سلسلة .

انعقدت ، منذ حوالى خمسة عشر عاماً أواصر الصداقة بينى وبين اللورد مونتاجيو أوف بوليو ، وزرته فى مقامه فى بوليو آبى بمقاطعة هانتس ، ثم تراسلنا الحين بعد الحين، حتى تزوج للمرة الثانية ، وأرسل إلى صورة شمسية لليدى مونتاجيو الجديدة ، ولكنى لم أتلق منه بعد ذلك شيئاً حتى توفى فى سنة ١٩٢٩ . وفى ربيع سنة ١٩٣٢ ، بينا كنت أسير أنا وزوجتى فى نيويورك ، أخذنا نتحدث عن رحلة أزمعنا القيام بها إلى إنجلترا . ولم أكن قد فكرت فى مونتاجيو مدة أربع سنوات، ومع أنى لم أكن قد قابلت الليدى مونتاجيو الجديدة قط، فإن ما كنت أحتفظ به من ذكريات جميلة لصداقتى بزوجها اقتضتنى أن أقول : « إن أغلب من كنت أعرفهم فى انجلترا لم يبق منهم أحد حياً ، فإذا قمنا بهذه الرحلة ، فإن علينا أن نذهب إلى « بوليو آبى » لزيارة الليدى مونتاجيو » .

ولما عدنا إلى منزلنا بعد ذلك ببضع دقائق وجدت كتاباً من الليدى مونتاجيو تذكرنى فيه بسالف صداقتى لزوجها ، وتخبرنى بأنها

موجودة فى أمريكا، وهو شىء كنت أجهله كل الجهل .

ولا أرانى أميل إلى أن أرجع هاتين الحادثتين إلى الإيحاء العقلى أو إلى كشف الحجاب، بل إلى مجرد الصدفة . ولا يجب أن يعزب عن بالنا أنه إذا كانت الأفكار تتراكض فى سرعة هائلة كسرعة الضوء، فليس من المستغرب أن تتطابق هذه الأفكار أحياناً . وأنه لا يكفى أن تحصى مرات « الإصابة » دون مرات « الخطأ » ، فإن تطابقها مرتين خلال ستين عاما لا يعد رقماً عالياً .

ومنذ حوالى ست سنين رأيت رؤيا واضحة تمام الوضوح . فقد رأيتنى جالساً فى حفل كبير ويدى اليمنى على ذراع المقعد . وإذا طير فى حجم الببغاء قد حلق فوق رءوس المدعوين ، وجهه وجه امرأة ناصع البياض ، ذو شفتين حمراوين قانيتين ، ثم أخذ يحوم حولى، وأخيراً استقر على رسغى، وأمال رأسه ناحيتى وحملق فىّ ، ثم قال: «اسمى ولهامينا»

وقصصت رؤياى على زوجتى ونحن نتناول الإفطار صباح اليوم التالى ، فسألتنى: « أين من تعرف امرأة اسمها ولهامينا ؟ » ، فأجبتها : لا أعرف إلا ملكة هولندا . وفى اليوم نفسه رغبت إلىّ زوجتى أن أصحبها لمشاهدة هودينى الساحر الشهير . ولما لم أكن قد رأيت ألعابه من قبل ، فقد وجدت فى نفسى إقبالا على مشاهدته . فلما رفع الستار ، جاء هودينى إلى مسرح خال ، وفرقع بأصابعه ، فطار من الأجنحة إلى المسرح سرب من الحمام. وبعد أن حلق فوق رءوس الحاضرين عاد أدراجه إلا حمامة واحدة . حمامة كبيرة متميزة ذات وجه ضارب إلى البياض وجعلت تحوم حولنا وهى تهبط شيئاً فشيئاً : ومد الساحر ذراعه اليمنى فاستقرت عليها ، ثم دنا من أنوار المسرح الأمامية والحمامة مستقرة على رسغه ، وأدار ذراعه حتى خيل إلى أن الحمامة إنما تحدق فى . ثم قال : « اسمها ولهامينا » .

عند ذلك اعترتنى رعدة ، سرت فى مفاصلى وسألتنى زوجتى : « هل رأيت هودينى يقوم بهذا الدور من قبل» ، فأجبتها صادقاً : « لم أره يمثل أدواره من قبل ، بل لم أر مثل هذا الدور من قبل ، بل لم أسمع به » .

وتوفى والدى لخمسين سنة خلت ، وكان محامياً شهيراً ، وكنت يومئذ فى الثامنة من عمرى . وكانت عادتنا أن نقضى إجازتنا فى نزل خشبى بسيط فى بعض الجبال، حيث أقمت مع أبى وأمى فى حجرتين متصلتين . وكان والدى ملازماً لفراشه عدة أسابيع، ولكن لم يكن خطر ببالى أنه مريض مرضاً خطيراً . وفى ليلة هادئة ساكنة الريح ، كنت مستغرقاً

فى النوم عـدة ساعات ، وإذا بى أصحو على صوت ثلاث طرقات على باب والدى . تملكنى الذعر، وناديت أمى خلال الباب المفتوح بين الغرفتين : « بالباب طارق يا أماه » ففتحت أمى البـاب المؤدى إلى الردهة من فورها . وكانت هى أيضاً قد سمعت هـذه الطرقات كما سمعتها الممرضة ، ولـكنها لم تجد أحداً . ولم أكد أجمع شتات نفسى لأعاود النوم ، حتى تكررت الطرقات الثـلاث ، ولـكن على باب غرفتى . فنفضت والدتى الردهة بنظرها مرة ثانية ، ولـكنها كانت خاليـة كما كانت من قبل . أغلقت الباب وجاءت إلىّ ووقفت إلى جانبى، ولم تكد تفعل ذلك حتى سمعنا للمرة الثالثة ثلاث طرقات على باب غرفة والدى ، فقفزت من فراشى مذعوراً ، وأجلت بصرى فى الردهة المضاءة وأنا أرتعد . وأنا أقطع فى غير شك أو تردد بأن الردهة كانت خالية ليس بها أحد . وإذ أخذت أعود أدراجى سـائراً على أطراف أصابعى ، همست الممرضة وهى حانيـة على والدى : « لقد مات مستر ترين » .

إنى أعرض الحوادث السالفة بكل صدق وأمانة ، وهى صحيحة من كل وجهة على قدر ما يسمح به قصـورى الشخصى كشاهد ، وأزعم أنه قد يغتفر لى اعتقـادى بأنى « روحانى » ، أو أن عقلى الباطن — على الأقل — كان على اتصال فى تلك الأوقات بعقل آخر، سواء أحياً كان صاحبه أم ميتاً . على أنى لا أعتقد — وإن كانت جميع العوامل غير معروفة لنـا — أن تلك الحـوادث لا تقبل التفسير العلمى، بغير حاجة إلى اللجوء إلى فرض الايحاء العقلى أو كشف الحجاب، بل إنى مستعد أن أعزو ما تخيلته من طرق على باب غرفة والدى حين حضرته الوفاة ، إلى حالة عصبية ، أو حساسية حادة مرهفة فى ذلك الوقت لسماع الأصوات المـادية ، الطبيعى منها والعـارض . ولـكن حادث ولهلمينا يعيينى تفسيره . غير أن هذا لا يحملنى على أن أسارع إلى نتيجة الرأى القائل بأنى على اتصال بعوامل خارقة للعادة . بل إنى لأذهب إلى أبعد من ذلك وأقول: إنى أفضل أن أشك فى صدق ما أجده، على أن أقبل تفسيراً لا يتفق مع ما أثبتته التجارب الإنسانيـة واتجاهاتها بوجه عام. بل إنى أوثر أن أدعها دون تفسير، على أن أقبلها دليلا على كشف الحجاب .

إن مثل هـذه الحوادث تنقضها عناصر أخرى ، ولا يمكن الركون إليها ، بحيث تعد مقدمات تبنى عليها نتائج خطيرة .



وندل ويلكي يروى فى هذا الفصل ماشاهده
خلال رحلته العالميـة فى منطقة نائية بسيبيريا

الحياة فى أقاصى الروسيا

وندل ويلكى



فى أذهان النـاس اليوم أسئلة كثيرة عن الروسـيا : ما هو الدور الذى يقوم به الحزب الشيوعى فى حياة الأفراد السوفيت ؟ ترى ما مبلغ كفاية طعامهم وجودة ملبسهم ؟ ما هو شعورهم نحو الحرب ؟ إلى أى مدى استطاعت الروسيا أن تزيد من مواردها كأمة حية فعالة ؟

هذه أسئلة ليس لها أجوبة بسيطة مجملة . إذ أن الاتحـاد السوفيتى يشـغل مساحة مفرطة فى السعة ، فما يصدق فى ناحية من أراضها المترامية قد لا يصدق فى غيرها من النواحى . غير أننى اهتديت إلى أجوبة بعض هذه الأسئلة التى يرددها الناس ، حين زرت جمهورية ياكوتسك الواقعـة فى سـيبيريا .

إن تاريخ ياكوتسك ، ما مضى منه وما أرته عيناى من حاضره ، أفهمنى وحده من معانى التحول فى الروسـيا أكثر من أى كتاب آخر قرأته . إن مشـاهداتى فى ياكوتسك لم تجعـل منى رجلا شـيوعياً ، ولـكنها جعلتنى أعتقـد أن الروس ليسوا مطبوعين على العنـاد بحيث لا يمكن التفاهم معهم .

لنسـتعرض أولا ما مضى من تاريخ ياكوتسك . المعروف عن أبنائها أنهم نسل قوم كانوا يسكنون أواسط آسـيا ، ثم جاء المغول أيام جنكيزخان وأجلوهم عن مواطنهم ، ودفعوا بهم نحو الشمال . كل عملهم لا يعدو صيد الحيوان طلباً للفراء ، أو نبش الأرض بحثاً عن الذهب . يسكنون هم وبهائمهم جنباً إلى جنب أكواخاً ذوات سقوف واطئة ، تغطى أرضها القاذورات ، ويفعم جوها دخان من أكوام الوقود ، فحصدتهم الأمراض والمجاعات المتتاليـة وأوهنت قواهم بعد أن كانوا قوماً أشداء . ثم أخذ الروس يتوافدون

على موطنهم رويداً رويداً فى جماعات كان عـددها ، إلى عهـد قريب ، غير كبير . وفى زمن القياصرة استطارت شهرتها ، حتى إذا ما ذكر اسمها قيل : سل ، وفراء ، وزهرى ! واتخذتها الحكومةمنفى للمجرمين والمسجونين السياسيين ، ومن بين هؤلاء اسكندر بوشكين الكاتب الروسى الشهير . وقد دمغتها أقلام من ذاقوا مرارة الحياة فيها إذ لقبوها « سجن الشعب » .

وعند ما هبطت طائرتنا قاذفة القنابل من طراز ليبراتور فى مطار عاصمة الجمهورية ، واسمها يا كوتسك أيضاً ، وجـدناالأرض تغطيهـا بوادر ثلوج سبتـمبر . وكنا قد حلقنا ساعات عديدة فوق منطقةالغاباتذات الأشجار العالية ، وهى تغطى شمال سيبيريا حتى تصل إلى مدار القطب . وبدت الأرض تحتنا خـلاء هائلا يزيده الصقيع وحشة ، ليس فيها إلا طرق قليلة تائهة بين أميال فى إثر أميال من الثلوج والأشجار .

فلما استقرت بنـا الطائرة فى جانب من المطار قد وقف عنده جمع صغير من الناس ، تقـــدم منهم إلينـا رجل وقال : « أنا موراتوف ، رئيس مجلس قومسييرى الشعب فى جمهورية ياكوتسك الاشـــتراكية السوفيتية المستقلة استقلالا ذاتيـاً ، ولدى تعليمات من الرفيق ســتالين أن أبذل لـكم كل العناية مدة إقامتكم بيننا . وأن أريكم ما تودون رؤيته ، وأن أجيب على كل ما يخطر ببالـكم من أسئلة . فمرحباً بكم » .

خطبــة ترحيب ما أوجزها ! ولـكنه أودعها كل عواطفه . كان الموجودون فى المطار يعدون على الأصابع ، ومع ذلك فقد حكت هيأة موراتوف هيأةمن وقف تحف به صفوف من حرس الشرف وفرق الموسيقى وهو يستقبل ضيفاً أجنبياً كريماً .

شكرته وأخبرته أننا لن نلبث إلا قليلا ، إذ لا يزال فى النهار بقية تمكننا من قطع المرحلة التاليـة من مراحل الألف ميل فى رحلتنا . فأجابنى : « لا ســفر لـكم اليوم يا مستر ويلـكى ، ولا غداً فى أغلب الظن . فقد جاءتنـا التقارير الجوية غير مبشرة ، والتعليمات التى لدى تجعــل فى عنقى واجب السهرعلى وصولـكم سالمين إلى مهبطـكم التالى وإلا كانت « التصفية جزائى ؟ » » .

أقلتنا إلى ياكوتسك سيارة مقفلةسوفيتية سوداء ثقيلة ، وأخذت عيوننا تتلمس أثناء الطريق من المطار إلى البلد هــذا المنظر المألوف الذى رأيناه فى بعض المدن الأخرى : أعنى معسكر الاعتقال،وقدأحاطت به أسوار كثيفة من الأسلاك الشائكة ، وأقيمت على جوانبه المخافر . لم نر هــذه المعسكرات فى ياكوتسك ، أو إن شئت فقل إننـا لم نمر بها

ولما اقتربنا من البلد سألنى موراتوف : « ما الذى تود رؤيته فى يا كوتسك يا مستر ويلكى ؟ » . فسألته : « هل لديكم مكتبة عامة ؟ » ، فأجاب : « من المؤكد أن لدينا مكتبة» ، فاتجهنا من فورنا إليها . وجدت بناء — على قدمه — لا ينقصه الضوء ولا النظافة ولا العدد الكافى من المستخدمين ، يضم ٥٥٠ ألف مجلد مع أن سكان يا كوتسك لا يزيدون عن ٥٠ ألفاً . حقاً إن الرفوف من الخشب ، وإن المصعد الذى يستعان به فى رفع الكتب إلى قاعة المطالعة هو أشبه بيكرة بئر ريفية بدائية ، غير أن قاعة المطالعة كانت عامرة ، وفهارس البطاقات حديثة تامة . ودلت السجلات على أن عدد المستعيرين للكتب بلغ فى التسعة الشهور الماضية أكثر من مائة ألف . وعلقت على الجدران معروضات خاصة ، كما صفت المجلات والمراجع على رفوف فى متناول الجميع ، ويسودها كلها روح تشف عن إدارة ذات كفاية ممتازة ، فهذه مكتبة يحق لأية مدينة أن تفخر بها .

أما الفندق الذى نزلنا به — وهو الوحيد فى المدينة — فحديث البناء ، وفى كل غرفة منه موقد روسى . وجدناه مزدحماً برجال أشداء خشنى المظهر ، يرتدون معاطف من الجلد وأحذية من فراء الرنة ، أما الفتيات فمتوردات الخدود ، قد عقدن المناديل حول رءوسهن ، ولهن طريقة طريفة مسلية فى مدّ نظراتهن إلينا ، ثم يدرن وجوههن عنا مستضحكات . . كل هـذا لأننا أغراب . أكثر العالم من حولنا ناطقة بأننا فى سيبيريا ، فأغلب المنازل مشيدة بالكتل الخشبية المكسوة باللبد ، ووجهاتها مغطاة بزخارف دقيقة بلدية . والطعام الذى قدم إلينا طعام سيبيرى . . فعلى المائدة خنزير كامل مشوى ، وسجق ، وبيض ، وجبن ، وحساء ، ودجاج ، ولحم عجل ، وطماطم ، ومخللات ، ونبيذ ، وفودكا بلغ من تركيزها أن الروس أنفسهم كانوا يخففونها بالماء . وكانت كل وجبة لا تقل فى الوفرة عن سابقتها . والفودكا تقدم حتى مع طعام الإفطار . أما الشاى الساخن فمعد طول اليوم . . . فالبلاد شديدة البرودة . وإنى وإن كنت لا أظن أن الناس خارج الفندق يأكلون طعاماً جيداً كما أكلنا ، إلا أنه كان من الواضح أن طعامهم كاف .

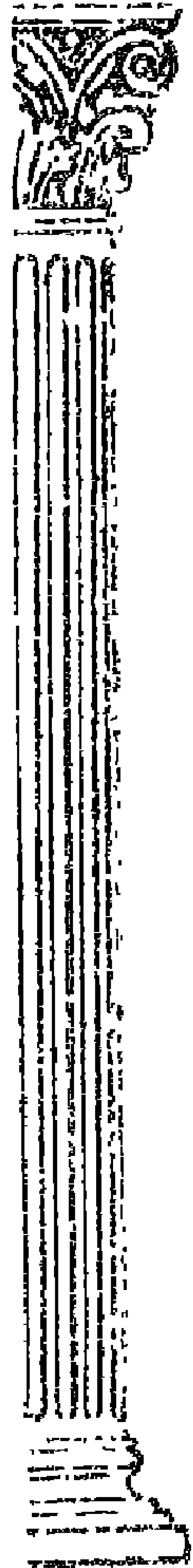
تساءلت : « ترى هل فى هـذا البلد ملاهٍ ؟ » ، فسألت موراتوف : «هل عندكم مسرح ؟ » ، فأجاب بالإيجاب . وذهبنا إليه بعدئذ فى المساء . وكان قد أخبرنى أن التمثيل يبدأ فى الساعة التاسعة . وبعد العشاء جلسنا نحتسى الفودكا ونتحادث . ثم تنبهت ، فإذا

الساعة قد جاوزت التاسعة ، فسألت : « أى موعد قالت إن الستار برفع فيه ! » فأجاب : « لا تُرع يا مستر ويلكى ! إنه يرفع حين أصل ! » .

وهكذا كان . فقد دخلنا مقصورتنا بعد نصف ساعة ، وما كدنا نستقر فى مقاعدنا حتى رفع الستار . فشاهدنا أوبرا عن حياة النوَر ، تمثلها فرقة من لينجراد فى إحدى جولاتها . وكان الرقص ممتازاً ، والإخراج جيداً ، والغناء متوسطاً . وعبر النظارة عن استحسانهم بالصياح ، فعلت لهم ضجة بالرغم من أن الصالة لم تكن مملوءة بأكملها ، فقد كانت هذه تاسع ليلة توالى فيها عرض هذه الأوبرا ذاتها .

ما كان أبعد خواطر الحرب ومثُل الشيوعية ، عن أذهان هذا الجمع من

هؤلاء القُدَماء



كان أنتيجوناس سيكلوبس أبرز قواد الإسكندر العظام ، فذهب مرة إلى ابنه يعوده ، وكان مريضاً ، فالتقى عند باب غرفته بفتاة جميلة ، خارجة من عنده ، ولما دخل عليه ألفاه قد أبلّ ورجعت إليه الصحة . وقال الفتى : « قد ذهبت عنى الحمى » . فقال أبوه : « نعم . لقيتها خارجة وأنا داخل » .

قال ثمستكليس — الجندى السياسى المشهور — لابنه الصغير مرة : « أنت يا بنى أقوى امرىء فى بلاد الاغريق كلها » .

فسأله الغلام : « كيف يكون ذلك ؟ » .

قال : « لأن أهل أثينا يحكمون بلاد الإغريق كلها ، وأنا أحكم أثينا ، وأمك تحكمنى ، وأنت تحكم أمك » .

كان هارموديا ينحدر من سلالة طويلة من الأسر الكريمة ، فعير إيفيكراتس — وكان قائداً ولكنه ابن حذاء — بضعة أصله ، فكان جواب إيفيكراتس : « إن مجدى يبدأ بى ، ومجدك ينتهى بك » .

الشباب ! أمامهم مسرح زاخر بالحب والغيرة ورقص النور، أما بين الفصول فهاهم يطوفون حول المسرح متأبطين أذرع صديقاتهم ، كما يفعل النظارة فى الروسيا عادة . ولكن الأمر كان على عكس ذلك حين زرنا متحف البلد قبيل غروب الشمس ، والبرد الحديث المتساقط يتكسر تحت أقدامنا ، فقد وجدنا ثمة الكثير مما ذكرنا بجلاء أن هناك حرباً مستعرة . فعلى الجدران رسوم بيانية دالة على زيادة المدارس والمستشفيات والمواشى والتجارة ، وجميعها وقفت عند شهر يونيو سنة ١٩٤١ ، حتى ليخيل أن حياة الأمه بأجمعها قد وقفت هى أيضاً عند ذلك التاريخ

كل الإجابات على أسئلتى تنتهى ببيان ما كان ممكنا أن يكون من تقدم لو لم يضع الألمان حداً مؤقتا لكافة مشاريع الإصلاح الاجتماعى.

المحدثون

روى بلوتارك (فلوطرخس) أن رومانيًّا طلق امرأته ، فلامه إخوانه على فراقها ، وقالوا له : « ألم تكن جميلة ؟ ألم تكن عفيفة محصنة ؟ »

فتناول الرومانى حذاءه ورفعه إليهم ليروه، وسألهم : «أليس حسن المنظر، جيد الصنع ؟» ثم قال : «ومع ذلك لا يدرى منكم أحد فى أى موضع يضيق ويؤلمنى» .

كان الملك ثيوبومباس ملك إسبرطة ، من أول من فطن من الحكام إلى ما ينطوى عليه الحكم المطلق من خطر ، فأنشأ ما يمكن أن نسميه « مجلس الأمة » ، ونزل له عن جانب من سلطاته العظيمة ، فقدر له شعبه عمله هذا تقديراً كبيراً . ولكن امرأته عنفته عليه وقالت له : « إنك تنزل عن سلطانك ، وستكون السلطة التى تتركها لولدك دون ما ورثت عن أبيك » .

فقال لها الملك : «كلا ، بل ستكون أكبر وأعظم ، لأنها ستكون أبقى » .

سأل سقراط أحد تلاميذه مرة : أيهما خير ؟ أن يتزوج أو أن لا يتزوج ؟ فقال سقراط : « أيهما فعلت ، فإنك على الحالين نادم » .

وأرانى موراتوف نماذج من التبر الخالص الذى هو الآن الجزء الأكبر من الثروة فى ياكوتسك ، كما أرانى نمـاذج من الذهب الطرى – كما يكنون عن الفراء – وهى ثانى منتجاتهم فى القيمة . وبينها أنواع من الفرو الثقيل كفرو الثعلب والدب ، وأنواع أخـرى من الفرو الخفيف كفرو الأرانب والسنجاب . وأفهمنى موراتوف أنه إذا أريد أن تكون فراء هـذه الحيوانات الصغيرة سليمة من العيوب فيجب أن تصيبها الرصاصة فى عيونها . ولمـا أبديت له ، فى شىء من الأدب ، أننى أشك فى إمكان الربح من صناعة تعتمد على صيد السنجاب بإصابته دائماً فى عينـه ، ثبت موراتوف على قوله وأضاف : « كل الصـيادين من ياكوتسك ، عند تجنيدهم فى الجيش الأحمر ، يلحقون لساعتهم بفرق الرماة « القناصة »

وكذلك وجدنا أثنـاء النهار ما يذكرنا بالحرب . فبالرغم من أن ياكوتسك تبعد ثلاث آلاف ميل عن جبهة القتال ، فقد رأينا بعض الأغرار من النـاس يتحدثون عن « حرب الوطن » ، فى حين أن أكثرهم لم ير ألمانياً واحداً فى حياته ، أو لم يرحل غرب جبال الأورال .

سألت موراتوف عن مدى مجهوداته فى نشر التعليم بين جمهور الشعب فقال : « إن الجواب على ذلك بسيط يا مستر ويلكى . ففيما قبل سنة ١٩١٧ كان عدد المتعلمين فى ياكوتسك ٢ ٪ فقط من السكان وعدد الأميين ٩٨ ٪ ، أما الآن فقـد انقلب وضع هـذين الرقمين تماماً . ثم أردف قائلا وهو يبتسم بسرور : « ومع ذلك فقد تلقيت الآن أمراً من موسكو يقضى بتصفية الـ ٢ ٪ الباقية من الأميين قبل نهاية هذه السنة » .

و « التصفية » تعبير كثير الشـيوع فى الروسيا ، فقد يراد بها إنجاز واجب مفروض كما قد يراد بهـا السجن أو الموت . . وقد ذكرتنى كلمة موراتوف بمصير مدير أحـد « المزارع المشتركة » التى زرناها فقد حكم عليه بالسجن عشرين سنة ، لأن مائة رأس من مواشـيه قد نفقت . إنه قد فشل فى « تصفية » أسباب هذه الـكارثة ، فكانت « التصفية » جزاءه هو نفسه .

ثم أرانى موراتوف أحدث دار للسينما فى ياكوتسك ، وهى أحـد مبانيها المشيدة بالأسمنت ، وهو يفخر بذلك لأنه هو الذى أظهر بتشييدها فساد النظرية القديمة التى لا تؤمن بإمكان تشييد بناء غير خشبى على أرض تكاد تربتها الرخوة المبتلة تكون متجمدة . أما أكبر أبنية المدينـة فكان مركز الحزب الشيوعى المحـلى . وكنت أعجب دائماً كيف يتأتى عملياً لأعضاء الحزب

— وهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين فى كافة أنحاء الروسيا — أن يبسطوا مبادئهم وسلطانهم على مائتى مليون نسمة . ولكنى فى ياكوتسك بدأت أفهم الطريقة التى يتم بها ذلك .

فلا يوجد فى البلد أية جماعة منظمة أخرى . ولا ينتمى إلى الحزب إلا ١½ ٪ تقريباً من سكان ياكوتسك البالغ عددهم خمسين ألفاً . وهؤلاء المنتمون يصبحون عند انضمامهم إلى الحزب أعضاء فى النادى الوحيد فى المدينة . ومن هؤلاء الأعضاء ، البالغ عددهم ٧٥٠ ، جميع مديرى المصانع وموظفى الحكومة ، ومعظم الأطباء ، ونظار المدارس ، وأصحاب المكاتب ، والمدرسين . وفى اعتقادى أن هذا هو جواب سؤالى .

وعلاوة على ذلك فإن عضوية الحزب لا تنال بسهولة . فإذا فرضنا أن أحد الأعضاء يريد أن يزكى صديقاً للعضوية ، فلا بد له من أن يتدبر ملياً قبل الإقدام على ذلك ، لأنه يعلم أنه إذا أقدم هذا الصديق على خيانة الحزب فلن يكون فى ذلك الوبال على الصديق وحده ، بل سيحل الوبال به هو أيضاً .

قليل من المشاهد ، فى هذا المخفر السيبيرى للاتحاد السوفيتى ، شاقنى أكثر مما شاقنى موراتوف نفسه . فإذا كانت ياكوتسك قد أوحت إلى بأجوبة كثيرة عن أسئلتى ، فإن شخصية موراتوف كانت بمنزلة مفتاح فضضت به ما استغلق علىّ فهمه من مسائل ، إذ كان مثالا للرجال الحديثين الذين يقبضون على زمام الأمور فى الروسيا .

هو رجل قصير القامة ، قوى البنية ، حليق الذقن والشارب ، مستدير الوجه بسام ، ولد فى ساراتوف على الفولجا ، فى أسرة من العمال ، وبدأ حياته فى مصنع فى ستالنجراد ، ثم لم يلبث ، بفضل ما أبداه من فطنة ، أن وقع عليه الاختيار لدراسة خاصة . وشق موراتوف بالمثابرة والدرس طريقه فى المدرسة ثم الجامعة ثم معهد الأساتذة الحمر ، وهو أرقى معهد فى موسكو للدراسات الاجتماعية . ثم انتخب منذ سنتين لرياسة مجلس قوميسيرى الشعب فى ياكوتسك . وها هو الآن ، ولم يزد عمره على ٣٧ عاما ، ولم يبدأ تعلمه إلا بعد ثورة سنة ١٩١٧ ، يدير شؤون أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وهى ولاية تزيد مساحتها على خمسة أمثال مساحة فرنسا .

شاهدت موراتوف كثيراً خلال يومين ، إنه لرجل يسهل عليه النجاح فى أية دولة أخرى ، أما فى وطنه فإن نجاحه قد بلغ الغاية . فهو يعالج الأمور بطريقة لا تختلف عن الطريقة السوفيتية فى كافة أنحاء سيبيريا ، أى أنها خشنة قاسية فى الأكثر ، خالطة

فى بعض الأحيان . أما تعليقه على ذلك فهو : « ولـكنها طريقـة مثمرة تأتى بالنتـائج . ها أنت ترى يا مستر ويلـكى ، أننـا أسـسنا جمهورية يا كوتسك فى سنة ١٩٢٢ ، ومنذ ذلك التـاريخ ضاعفنا ميزانيتها ٨٠ ضعفاً . وكل إنسان يعيش هنـا يدرك هذه الحقيقة بقلبه وبمعدته . وبعد أن كانت يا كوتسك بقعة بيضاء على الخريطة ، إذا مناجم الذهب التى فيها ، تظفر هذا الشهر بالمحل الثالث بين جميع البلاد الروسـية التى تنتج المعادن غير الحديدية ، بل فاقت ما قدر لها فى البرنامج المعـــد لانتاجها » ، ثم غمرنى موراتوف بإحصائيات لا نهـاية لها . « وقد أقيمت مسابقة بين مصانع توليـد الـكهرباءِ التى تديرها البلديات فى أنحاء الاتحـاد السوفيتى فنال مصنعنا المرتبة الأولى لأنه نزل بتـكاليف إنتاج الـكيلووات فى الساعة إلى ٦٫٢٧ كوبيك فقط » . ثم زاد تفسيره لهذا الرقم فقال : « إن هـذا يعنى أننا وفرنا ثلاثمائة ألف روبل منـذ أن ابتدأت « حرب الوطن » . ثم استطرد قائلا : « لقد وظفنا أكثر من مليون روبل فى يا كوتسك فى مدى العشرين سـنة السابقة ، وسننتج ٤ ملايين متر مكعب من الأخشاب هـذه السنة ، فى حين أن إنتاجنا فى سنة ١٩١١ كان ٣٥ ألف متر مكعب فقط . ولا يزال أمامنا فسحة كبيرة للوصول إلى أقصى مايمكن إنتاجه سـنوياً ، وتقدره بـ ٨٨ مليوناً من الأمتـار المكعبة . فإذا ما انتهت الحرب ستحتاجون فى أمريكا إلى هذا الخشب ، كما سنحتاج إلى مختلف أنواع الآلات — ولن نظل بعيدين عنكم إذا تمـكنا من فتح الطريق القطبى البحرى . وسنكون سـعداء بهذه المبادلة » .

وقد تحققت بنفسى من أن أقواله لم تكن كلهـا من قبيل ترويج البضـاعة ، فإن يا كوتسك التى تبعد ١٫٢٠٠ ميل عن أية سكة حديدية ، كانت تعتمد قبل فى مواصلاتها على الطيران ، وعلى الملاحة فى نهر لينا الذى يصب فى المحيط المتجمد الشمالى ، ولـكنهم بدأوا أخيراً فى إنشاء طريق صـالح لمرور الأحمال الثقيلة فى جميـع الأحوال الجوية ليربط هذه الجمهورية بسكة حديد سيبيريا التى تصل إلى موسكو ، وسيتم إنشـاء الطريق فى هذه السـنة .

إن الذهب والفراء من السلع النفيسة ، التى ما فتئت منذ فجر التاريخ تشق طريقها إلى الأسواق ، ممهداً كان هذا الطريق أو غير ممهد ، ولـكن الأبحاث العلمية التى قامت بها البعثات السوفيتية دلت على أن يا كوتسك تملك أيضاً ثروة كبيرة من الفضة والنيكل والنحاس والرصاص ، ومن البترول أيضاً .

والبيانات المتعلقة بآباره ، وإن كانت تعد من الأسرار العسكرية ، إلا أن موراتوف أفضى إلىّ أنه لن تحل نهاية سنة ١٩٤٣ حتى تكون هذه الآبار قد استغلت تجارياً . ولا تزال فى يا كوتسك ذخيرة لا تنفد ، ولم تمس بعد ، من الأسماك والأخشاب والملح . ومن الغريب انه قد نشأت فى يا كوتسك صناعة للعاج لا يستهان بها ، تعتمد على أنياب الحيوانات التاريخية الضخمة المحفوظة هياكلها ، وكأنها فى ثلاجة ، فى باطن تلك المناطق القطبية .

أما فى الزراعة قد زادت قدرة يا كوتسك فى الإنتاج بفضل نجاح سلالات جديدة مستنبتة من القمح ، فاقتدت بها منطقة زراعة الحبوب فى الشمال . وموسم الزراعة هناك قصير ، ولكن باطن الأرض مشبع بالماء ، وفى الصيف تسطع عليها الشمس طول النهار وطول الليل أيضاً .

ومعظم الضياع (٩٧٪ منها) تدار الآن إدارة مشتركة . وفى تلك الجمهورية يعتمد على حيوان الرنة إلى حد كبير فى أعمال الحركة والنقل، غير أنه أصبح بها الآن بضع مئات من المحاريث الميكانيكية ، و ١٦٠ دينامو . وقد قال لى موراتوف :

« تدبر هذا يامستر ويلكى، ١٦٠ دينامو فى الدائرة القطبية ! وهناك جيش صغير من الإخصائيين — وهو آخذ فى النمو — قد عقد العزم على أن يجعل تلك المستنقعات المتجمدة تزدهر وتثمر » .

وهؤلاء الرجال وغيرهم ممن يديرون مدابغ الجلود ، ومصانع الأخشاب ، ومناجم الذهب ، تدفعهم إلى يا كوتسك : إما الرغبة فى المال ، وإما الطمع فى المكافأة الاجتماعية ، كأن يمنحوا الداليات ، أو أن تذكر أسماؤهم بين من قاموا بخدمات اجتماعية ، وإما أن تدفعهم خشية العقاب . أما المكافآت المالية فمتواضعة ، إذ تبين أن الفرق بين الأجور الكبيرة والصغيرة واسع جداً . وأما منح الداليات فمألوف ، وأما خشية العقاب فهى — فيما أعتقد — راسخة فى القلوب .



ولكن مهما تختلف دوافع هؤلاء الناس فقد تمكنت فيهم الحماسة والثقة بالنفس — وهما العنصران اللازمان لكل تقدم وعمران . وقد غادرت يا كوتسك وأنا أتلهف على معرفة ما الذى ستصير إليه بعد عشر سنوات منذ اليوم .

ما كان أجدره بوسام

في اللحظة الفاصلة

روبرت اورمند كايس

كانت سفينة من ناقلات الجنود في الحرب الماضية تشق طريقها في جوف الظلام الحالك على بعد خمسمائة ميل من مدينة ليفربول، في المنطقة المعرضة لخطر الغواصات. وكان قد حرم علينا إشعال الأنوار حتى في أبعد أغوار السفينة. وقد وقف، في ظلام دامس، ثمانمائة جندي منا، قد تداخل بعضنا في بعض وتلاحمت مرافقنا، وتضخمت أجسامنا بأحزمة النجاة. وكانت السفينة تقتحم طريقها في التيار العنيف. وكان الاهتزاز الناشىء من مجهودها الجبار يسري في صميم عظامنا، حتى صارت أسناننا تصطك، مع أن الهواء كان حاراً خانقاً.

وكانت اللجة الصاخبة ترتفع ١٤ قدماً فوق الرؤوس، وكان هذا كله أقصى ما يحتمله المصابون « بالكلاوسترفوبيا »، داء الفزع من الأماكن المحصورة. وقد يتاح لآلاف الجنود المحشودة على ظهر السفينة بعض فرص للنجاة، إذا ما مرق طوربيد في وسط السفينة، أما أولئك المجتمعون في داخلها، فلم تكن لهم فرصة ما.

وجاءت الساعة، فقصفت المدافع الأمامية واهتزت السفينة. لقد شوهدت غواصة فسددوا إليها نيران المدافع. وكان معنى ذلك أن الغواصة ظهرت على سطح اليم، وأن طربيدها كان الآن في طريقه إلينا. وبالرغم من أن مدمرات الحراسة التي كانت ترافقنا انقضت عليها كالذئاب، إلا أن الغواصة كانت قد قامت بواجبها وأطلقت الطربيد، وها هو، الآن، في طريقه إلينا.

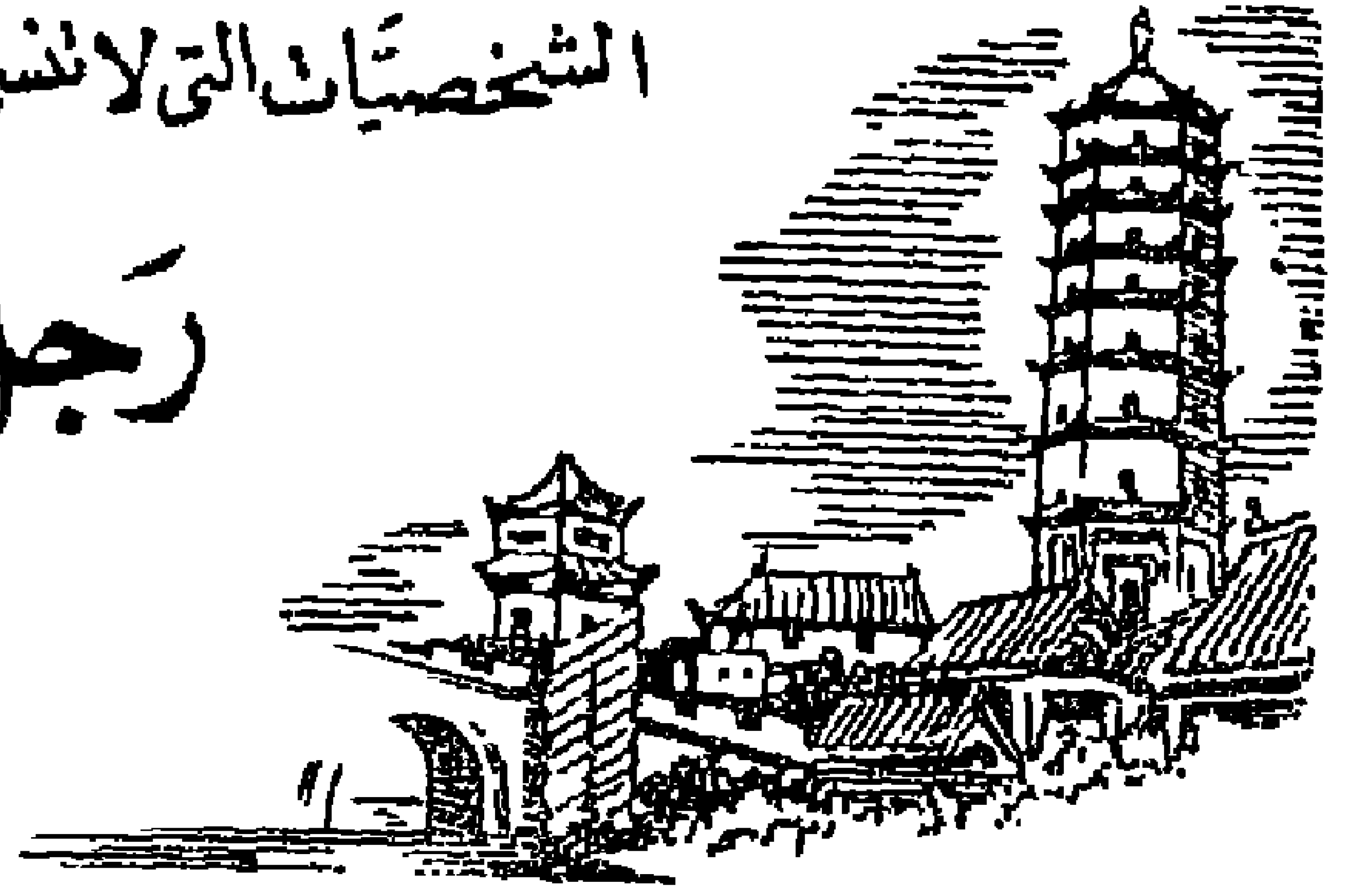
وقفنا نشد على أسناننا وترتعد فرائصنا. مرت ثلاثون ثانية. وما أمسكتنا في مواقفنا إلا خيوط واهية، ما هي الا: النظام، وعزة النفس. وكانت كل لحظة تمر تقطع خيطاً من هذه الخيوط. ولو أن صرخة دوت في الظلام، أو زفرة أفلتت من هذا الذعر المكظوم، لسالت دماؤنا، وتناثرت أشلاؤنا.

وفي هذا الجو انطلق صوت أجش يحاكي نقيق الضفادع، فتردد في أقصى الأرجاء وهو يقول: « هل لأحدكم رغبة في أن يشتري ساعة جيدة؟ »، ضحكنا، وارتفع رنين ضحكاتنا، وتجاوب صداه داخل السفينة. لم تكن هذه الدعابة طمأنينة للنفس فحسب، بل كانت انتصاراً. فإننا لم نعد من تلك اللحظة جماعة مشرفين على هاوية الجنون، بل رجالا يواجهون الخطر على قلب رجل واحد. استمر الضحك — ثم علمنا فيما بعد أن الطربيد أخطأ سفينتنا وغاب في أعماق اليم.

هناك أوسمة للشجاعة في ميادين القتال حيث الشجاعة هي القاعدة. فكذلك ينبغي أيضاً أن يكون هناك ضرب من التقدير لأولئك الذين يكادون لا يخطئون اللحظة الحرجة الفاصلة، فإذا كفة رباطة الجأش هي الراجحة، لأنهم ألقوا في الميزان ذلك العنصر القوي الفعال، الذي نعرفه معرفة مبهمة باسم: «القوة المعنوية».

الشخصيّات التي لا تنسى

رَجلٌ مِنَ الصِّين



مانويل كومروف

إن أحداً من النـاس لن يؤثر فى طريقة تفكيرى كما أثر شاب حكيم من بلاد التبت كنت أتلقى عنه العلم يوماً ما . فقد أخذت عنه أن أسمى فن بين الفنون جميعها ، هو فن الحياة الوادع الأمين .

وإنه ليكفينى فى هـــذه الأيام العصيبة السود أن أفكر فى لى يونج كو ، وأردد إحدى جمله العجيبة إلى نفسه : « إنْ هذا إلا عارض لا يلبث أن يزول » ، وعندئذ تنقشع ظلمة الهموم الكثيفة .

مانويل كومروف ، ما فتىء مهتما بدراسـة الثقافة الصينية منذ شبابه وقد اشتغل مدة محرراً فى « صحافة الصين » ، وهى صحيفة أمريكية تصدر فى شنغهاى ، ثم عاد إلى نيويورك فأشرف على نشر رحلة « ماركو بولو » فى الصين . وأعد مجلداً آخر يحوى كتابات الأوربيين الذى زاروا الصين قبل ماركو بولو . وشعر بعد ذلك أنه لا يستطيع المضى فى هـذا العمل بغير أن يتعلم اللغة الصينية فقاده ذلك إلى التعرف إلى « لى يونج كو » . وقـد وضع كومروف روايات تاريخية كثيرة منها « كورونت » التى بلغ عدد قرائها مليونا .

كانت هذه هى أول كلمة يقولها لى وهو يضع الفرشة فى يدى ليعلمنى الكتابة الصينية . ولقد أخذت نفسى بتعلم هذه الكتابة اعتقاداً منى أن معرفة الحروف الصينية — ولو كانت معرفة بسيطة — تتيح لى قسطاً أوفر فى فقه آداب اللغة الصينية وتفهم الحياة فى الصين . ولكن لى يونج كو ، بسط أمامى آفاقاً جديدة لم أحلم بها من قبل .

أرانى ذات يوم كتاب مبادىء القراءة للأطفال ، وقد حمـله إلى ، وقال ضاحكا : « أنت الآن فى الخامسة من عمرك ، وستبدأ فى السنة الأولى » . وافتتحنا الدرس بالحرف الذى يمثل كلمة « رجل » ، وهو مكوّن من جرّتين سريعتـين بالفرشـة ، وأبدى لى أن الرجل يجب أن يصور دائماً قوياً شجاعاً ، ذا قدمين ثابتتين فى الأرض . ثم مضينا فى الدرس وإذا به يقول : « لعلك تحزر معنى الحرف التالى : إنه مكوّن من كلمتين سهلتين متصلتين معاً هما : « بنت » و « ولد » .

فقلت : « لا بد وأن يكون معنـاه « طفل » .

فضحك وقال : لقد كدت تصيب محجة الصواب ، إن معناه « خير » . فإن الصينيين يعتقدون أنه إذا ما اجتمع لك ولد وبنت ، فذلك « خير » .

وكان كل حرف جـديد يكشف شيئاً فشيئاً عن فلسفة عظيمة ، عن فنين عظيمين : هما فن التخاطب بالـكتابة وفن الحياة نفسها .

كان بعض الكلمات واضحاً كل الوضوح ، كما يفهم من الرمز برجل فى صندوق ، فهو يعبر عن كلمة « سجين » . على أنه كان من المتعذر إدراك معنى بعض الرموز دون علم سابق . مثال ذلك أن الحرف الدال على كلمة « بيت » ، يتكون من « سقف » ممدود على « خنزير » . وأوضح لى يونج كو أن تعليل الصينيين لذلك هو : « إذا كان لديك خنزير فإن عليك أن تدبر له مأوى ، وأن تمده بالطعام من مطبخك وحديقتك . فإذا ما كان لك مطبخ وحديقـة وسقف يستظل به ، فقد تجمعت لك عناصر البيت » ومن جهة أخرى ، إذا ما مددنا « السقف » فوق الحرف الذى يرمز لـكلمة « امرأة » كان معنى الـكلمة « ســـلام » . وقد استعمل الصينيون هذا الرمز المنزلى البسيط للسلام منذ « عشرين قرناً مضت » .

وعلمنى بعـد ذلك حروفاً أ كثر تعقيداً مثال ذلك : أن رمز « الـكنسة » بجوار كلمة « بنت » يجعل منهما « امرأة متزوجة » ، فى حين أن الـكلمتين « بنت » و « صغيرة » تعـبران عن كلمة « بديع » . وأن كلمة « انسجـام » تتـكون من كلمتى « أرز » و « فم » ، ويعلل الصينيين ذلك بأن الانسجـام فى بلد جدب يكافح فى سـبيل الرزق ، لا يكون إلا إذا كان الأرز قريباً من الفم .

وإن كثيراً من اقتران الـكلمات مناسب للمعانى كل المناسبة ، فإن كلمة « رجل » مثلا مقترنة بلفظ « كلمة » هى رمز « صادق » ، وفى الحق أن الرجل الذى يستمسك بكلمته يكون صادقاً . واقتران كلمة « عبد » بكلمة « قلب » معنـاه ، « الغضب » ، ولا شك فى أن الرجل الغاضب عبد لنزوات قلبه .

ومن السهل أن تنطبع فى الذاكـرة الحروف التى تمثـل الأشياء فمثـلا : إذا



ما وضعت « فماً » بين مصراعى باب ، عبرت عن كلمة « يسأل أو يستفهم » .

على أن لى يونج كو نفسه كان أكثر إقناعاً من الحروف الصينية التى علمنى كيف أرسمها . كان لابتسامته إشراقة تضئ كل وجهه ، وكان فى عينيه السوداوين نظرة جذابة لا تقاوم ، وكان مجرد وجوده فى الحجرة التى تراكم فيها التراب ، وضاقت بها الأنفاس ، وامتلأت بالكتب المبعثرة ، يخلع عليها جواخفيفاً مستحباً من البهجة والمرح . وكنت أشعر عند انصرافه فى المساء بأنه ترك وراءه أثراً من الجو الذى خلقه ، وهو شعور كان يلازمنى ساعات طوالا .

وعلمت من لى يونج كو أنه لم يأت إلى أمريكا إلا أخيراً ، وأنه يتلقى دراسة عليا فى التاريخ الحديث والقانون الدولى بنيويورك . فقد كان يحس أن هذه الدراسة ستفيد منها بلاده . وكانت الحكومة الصينية تدفع له أجر تعليمه ، وتنقده مرتباً صغيراً ينفق منه فى شئون مسكنه ومعاشه . وكان له ، غير دراساته والدروس التى كان يلقنى إياها ، أعمالا أخرى كثيرة . فقد كان يبادل سيدة روسية الدروس ، ويراسل صحيفة صينية فى نيويورك ، ويحضر تقارير خاصة لوزيره المفوض بوشنطن ، ويساعد فى تعليم أبناء جلدته . ويقول فى ذلك : إنها تكون معرة لبلاده إذا لم يحرزوا نتائج طيبة .

وسألته مرة كيف يتسع وقته لكل هذا فتبسم وأجاب : « إن فى اليوم ساعات كثيرة ، ومن مبدئى أن لا أرفض أى عمل يعرض لى » . فقلت : « ولكن كثيراً من أعمالك لايدر عليك ربحا ما ! » . فأجاب : « ليس هذا بذى بال ، إن الأعمال التى لا يدفع لها أجر هى فى الغالب من تلك الأعمال التى تحسن القيام بها أكثر من غيرها . وإن عملا تتقنه وتحصل منه على أطيب النتائج ، لهو فى ذاته خير جزاء على هذا العمل » .

وقد استمرت تلك الليالى الممتعة عدة أشهر ، اكتشفت خلالها أن أسرار الكتابة الدقيقة بالفرشة : من اتساق ، واتزان ، وحركة ، وتلاؤم بين الضوء والظل ، ومن جرات سريعة ، وأخرى بطيئة ، ومن زخارف رشيقة ، ومن صوت وقع الفرشة على القرطاس حاداً متقطعا ، وقوة ودفع مستمرين — كل أولئك إنما كانت جزءاً

和口禾 妙少女 婦帚女 安女宀

من شيء أعظم وأهم ، كانت جزءاً من أسلوب خاص فى الحياة ، فإن بعث الحيــاة فى أشياء صغيرة ولو كانت جرات فرشة دقيقة يجعل للحياة معنى أسمى وأعمق . فإن ينبوع الحياة إنما هو الذى ينبثق من الأعماق ، لا الذى يستجلب من الخارج .

وقد كان هذا أهم ما يستطيع أن يتعلمه إنسان ، وهو يتضمن روح الفلسفة الصينية، ويحمل حمــلا على التواضع والتســامح . ولــكن ما تعلمته أنا فى منتصف العمر كان صديقى الصينى قد تعلمه فى سنته الخامسة .

سألتــه يوماً ما الذى أثر أكبر تأثير فى حياته ، فأجاب: « جدى ، فقد كان يستطيع أن يطبق الأمثال الصينية القديمــة على الحوادث التى تجرى فى كل يوم » .

وقص على لى يونج كو القصة التالية :

« كذبت يوماً ، وأنا فى الخامسة من عمرى ، على جدى ، ولم تكن كذبة شنيعة . فطلب جدى إلى البستانى أن يأتى بسلم طويل ، ويضعه على واجهة المنزل بحيث يصل إلى سطحه . فلما ثبت البستانى السلم فى موضعه قال له : « إن ولدنا قد شغف بالقفز من فوق أسطح المنازل ، وقد وضع هــذا السلم من أجله ليشبع رغبتــه فى ذلك حين يريد » . وقد عرفت من فورى ما يرمى إليه جدى ، فقد قيل فى أحــد الأمثال السائرة فى بلادنا : « إن من يكذب كمن يقفز من فوق سطح المنزل » .

وقد أهمنى ذلك وفكرت فى صمت . فقد كان فى وجود السلم عند باب المنزل حرج كبير، وخشيت أن يظل أبداً فى هــذا الوضع إذا أنا لم أفعل من جانبى شيئاً . وألفيت جدى يقرأ كتاباً ، فذهبت إليـــه فى هدوء ، وأخفيت وجهى فى حجره ، وقلت له : « لا حاجة بنا يا جدى بعد اليوم إلى هــذا السلم » ، فظهرت عليه أمارات السرور ، ونادى البستانى ، وقال له : « ارفع السلم حالا ، فإن ولدنا قد عــدل عن القفز من فوق أسطح المنازل » — وكان هذا حدثاً فى حياتى سوف لا تمحى ذكراه » .

وبعد أن قص على قصة طفولته هــذه ، أخذ الفرشــة وكتب الكلمة التى تعبر عن « كذب» ، وهى مكونة من كلمتين بسيطتين الأولى « حديث » والثانية « هراء » ؛ وقد بدا لى أن هذا أسلوب على جانب عظيم من الرقة فى وصف شيء ذميم .

وقص على قصــة أخرى عن جده الذى كان ، بغير شك ، أعجب شيخ وأظرفه ، فقد قال له جده يوما وهو يحاوره : « إن لديك كتابين مدرسيين كلاهما فى موضوع واحد، أحــدهما ضخم مليء بالهوامش والشروح ، والآخر مختصر صغير ، فأيهما أحب إليك ؟»

فأجاب لى يونج كو : « الكتاب الصغير » .
— « ولم »
— « لأنه أسهل فى القراءة ، وأدعى للتفكير ، فى حين أن الآخر يشرح لك كل شىء ولا يدع لك مجالا لإعمال الفكر » .
— « حسن جداً » .

ثم تلا عليه جده مقطوعتين من الشعر وسأله أيهما أحب إليك ؟ فأبدى الصغير ميله إلى المقطوعة العسرة الفهم .

فقال جده : « حسنا ، والآن خبرنى : أى الصورتين أحب إليك الصورة التى على هذا الجدار ، تمثل البط بين أدغال الغاب ، أم الصورة التى تمثل الجبال والمطر » ؟

فأجاب الولد : « صورة المطر أحبها إلىّ » .
— « ولم »
— « لا أدرى » .

فقال الشيخ الحكيم : « آه ! ربما كنت تعلم حق العلم ، غير أنك لا تجد من الكلمات ما تعبر به عما تريد ، وإلا فكيف استطعت أن تختار أحسنها فى كل مرة ؟ اذكر يا بنى أن الشىء يجب أن يكون على طبيعته ، غير أنه لا يكون عظيما إلا إذا أوحى بمعنى أعظم من حقيقته . فإن سر العظمة مستكن فى قدرة الشىء على أن يوحى إلى النفس شيئاً أكثر مما يدل عليه بذاته . ولذا فإننا نجد صوراً فى الشعر الحسن كما نجد شعراً فى الصور الجميلة » .

وتصرم العام كاملا ، وكان لى يونج كو قد أخذ بيدى فى رقة إلى أن انتهيت من كتاب المبادئ الأولية ، وكنا قد خططنا بالفرشة ألف حرف من الحروف البسيطة . وللتمكن من قراءة صحيفة صينية يجب أن يلم الإنسان بنحو خمسة آلاف كلمة ، وهذا ما لم أكن آمل أن أبلغه يوما ما ، على أننى قد تعلمت منه أشياء أخرى لن أنساها .

وقد روى لى كثيراً من الأمثال السائرة فى بلاد التبت ، وإنه ليعاودنى الآن أثر من لذة تلك النشوة التى شعرت بها حين سمعتها لأول مرة . وهاك بعض تلك الأمثال :

« اللص لا يسرق ناقوسا » .

« من كياسة الحملان أن ترضع راكعة على ركبتيها »

« إن الجو الحقيقى هو ما نجده فى أنفسنا لا ما نجده فى الطريق » .

« الكلب العاق يحب هو الآخر أن يهز ذيله » .

« إن الهواء أروح وأطيب ما دام الإنسان فى عون أخيه » .

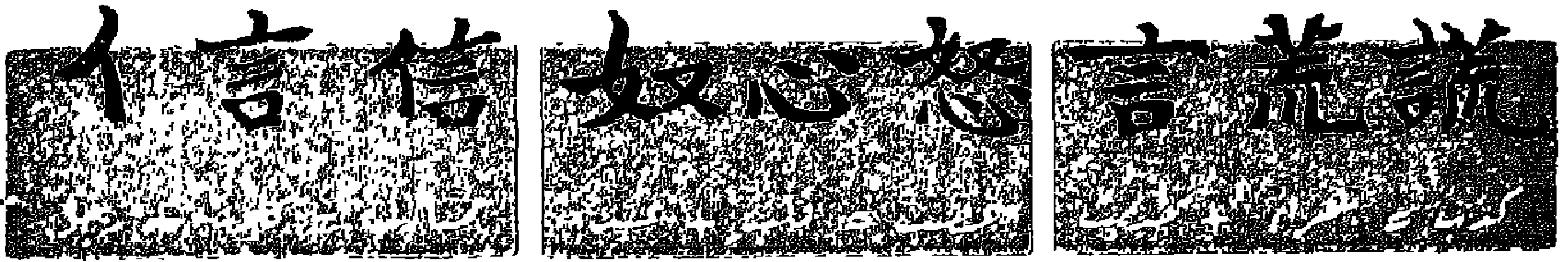
نال لى يونج كو إجازة الدكتوراه فى الفلسفة ، ثم يمم شطر أوربا . وكان وقع فراقه فى نفسى شديداً ، ولكنه تبسم

وأكد لي : « إنْ هذا إلا عارض لا يلبث أن يزول » .

وبعد سنة تلقيت كتابا من الصين كانت تتوق إليه نفسي ، علمت فيه أنه يعمل كاتم سر لأحد قواد الجيش قال فيه : « ولكنه عارض لا يلبث أن يزول » . وعين في السنة التاليـة أستاذاً للقانون الدولي بجامعـــة نانكنج . ثم بعث إلى منـــذ ثلاث سنوات كتابا من السفارة الصينية في برلين . وبلغني أخيراً أنه عاد إلى الصـين ليكون كاتم سر القائد الأعلى شيانج كاي شك .

وإني لأعلم أنه يقوم في الغالب بعدة أعمال في وقت معا ، وأنه يؤديها جميعاً على أتم وجه. وإني لأعلم أيضا أن على الإنسان أن يطبع شخصيته على صفحة ما من صفحات الحيـاة ـ ولتكن صفحة التاريخ ـ وأن في استطاعته أن يكون وديعاً ومقـــداما في وقت معا .

وقد تكون الصين اليوم مقطعة الأوصال ـــ فإني أرى في خرائط الصين التي تنشر في صحفنا اليوميـــة بقعا سوداً (يحتلهـا الأعداء) ـــ إلا أنني على الرغم من ذلك أفكر في لي يونج كو ، وأبتسم كما كان يبتسم ، لأني على يقين من أن « هـــذا عارض لا يلبث أن يزول » .



الأجوبة الصحيحة

[انظر الأسئلة صفحة ٩٥]

(١) كان الصيادون ثلاثة وهم ، جد وابنه وحفيده . فالجد أب ، وابنه أب وابن في وقت واحد ، والحفيد ابن . (٢) ثلاث بطات في صف واحد ، هكذا (. . .) . (٣) يذهب الابنان أولا ، فيبقى أحدهما على الضـــفة المقابلة ويعود الثاني بالزورق . فيأخذ الوالد الزورق وينزل إلى البر ، ويرجع ابنه إلى الضفة الأولى فيعود مع أخيه . (٤) من كان يعلم عند سك النقود ان المسيح سيولد بعد ٦٤٩ سنة لينقش ق . م على النقد . (٥) خمسة جنيهات . بينها جنيهان ثمن علبة السيجار وثلاثة جنيهات « فكة » (٦) ٩٠١ ورقة . راقب عشرة كتب على رف فالعثة التي بدأت في الورقة الأولى من الكتاب الأول لم تمس ٩٩ ورقة منه . (٧) ٢٥ ميلا . فالقطاران التقيا بعد ساعة والنحلة تقطع ٢٥ ميلا في ساعة . (٨) سحب النديم ورقة وقطعها وقال لرئيس القضاء اقرأ الثانية فقرأها فإذا عليهـا « اذهب » فحكم بأن الورقة التي سحبها النديم مكتوب عليها « إبق » .

المطاط الصناعى - جاء اخيرًا

روجر ولـيم ريس

ملخصه عن صحيفة «كريستيان سيانس مونيتور»

استحوذ اليابانيون على مزارع المطاط فى الشرق الأقصى . ولكن أمريكا ، بفضل ما بذلت من مجهود صناعى جبار ، ستحصل من المطاط فى العام القادم على أكثر مما كانت تشتريه من هذه المزارع فى أيام السلم .

بدأ أول مصنع للمطاط فى الولايات المتحدة يعمل فعلا ، وهو أكبر مصنع فى العالم . ففى إنستتيوت ، بفرجينيا الغربية ، مصنع مساحته ٧٧ فداناً ، ينتج من المطاط ٩٠٫٠٠٠ طن فى السنة . وهو مقدار يساوى نحواً من سدس ما كانت تحتاج إليه أمريكا عادة فى زمن السلم . ثم هو يساوى ما يجمعه ١٠٠٫٠٠٠ رجل من أهل ملايا من ١٨ مليون شجرة من شجر المطاط . ويوشك أن تقوم مصانع أخرى ، فى لويزفل ، وبتسبرج ، وباتون روج ، ولس أنجلس . وفى أغسطس كانت أمريكا تنتج من المطاط بمعدل ٤٣٥٫٠٠٠ طن فى السنة . فإذا جاء يناير سنة ١٩٤٤ كان مجموع ما صنع منه ٧٥٠٫٠٠٠ طن فى السنة . وهو يزيد ٢٥٪ على ما كانت تشتريه أمريكا قبل الحرب من مزارع الشرق الأقصى . (يبدو أن شراهة الحرب تلتهم المطاط التهاماً وأنها لا تكاد تشبع) .

من الصعب أن تتصور ضخامة هذا العمل الباهر ، الذى وصف بأنه أعظم برنامج صناعى وضع موضع التنفيذ على مر العصور . وقد نهضت الولايات المتحدة لكى تخلق فى عامين اثنين صناعة جديدة كل الجدة ، تنتج من المطاط ما يفى بحاجات الحرب المتضخمة . (كانت الولايات المتحدة تستهلك — حتى فى زمن السلم — نصف محصول العالم كله من المطاط) . وقد بلغت ضخامة هذا المشروع ، كما لو أراد رجال الصناعة الأمريكيون أن يخلقوا صناعة السيارات العظيمة فى مدى سنتين بدلا من أربعين سنة !

وهو وإن كان مشروعاً يحير العقل إلا أنه لم يكن لنا أن نختار . فكل قلعة من القلاع الطائرة تحتاج إلى أكثر من نصف طن من المطاط ، وكل دبابة تحتاج إلى ما يقرب

من طن ، وكل بارجة تحتاج إلى ٧٥ طناً . فكان أمراً حتما على أمريكا : إما أن يكون لديها مطاط ، وإما أن تخسر الحرب .

أما الآن، فلا ريب فى أن الولايات المتحدة ستكون قادرة على أن تزود نفسها بما تحتاج إليه من المطاط . وقد نجح هـذا البرنامج لثلاثة أسباب : (١) أن الحكومة ورجال صناعة المطاط بدأوا جميعاً فى دراسة المشكلة قبل الهجوم على ميناء بيرل بزمن طويل ، (٢) أن المهـارة الفنية الأمريكية نهضت كتلة واحدة إلى النضال فى سبيل المطاط ، (٣) أن الحكومة ورجال الصناعة تعاونوا تمام التعاون ، برغم المنازعات التى كانت تقوم بينهم بين الحين والحين .

فهل هذا المطاط الصناعى فى مثل جودة المطاط الطبيعى ؟ « نعم » ! هكذا أجاب كيميائى شاب فى مصنع فرجينيا الغربيـة : « بل هو أفضل منـه بكثير . فالشجرة لا تستطيع أن تنتج إلا نوعاً واحـداً من المطاط ، أما نحن فننتج أنواعاً كثيرة .

« والمطاط الصناعى يزداد جودة بسرعة يجب معها أن لا يتـذكر أحدنا شيئاً من البيانات التى تكتب عنـه اليوم ، لأنها ستصبح قديمة فى الغد . وهو اليوم أحسن من المطاط الطبيعى لإطارات عجلات السيارات التى تسير بسرعة تزيد على ٦٠ ميـلا فى الساعة . وهو خير منه أيضاً لإطارات عجلات الطائرات . ويستخدم المطاط فى صـناعة ٣٠٫٠٠٠ ألف شىء ، وهى تتطلب خصائص مختلفـة فى المطاط . فنحن نعطى المطاط الصناعى الخواص التى نريدها نحن ، لا التى تهبها لنا الأشجار » .

وأنواع المطاط الكيميائيـة مثـل : نيوبرين ، وثيوكول ، وبوتيل ، وبوناس ، وبونان ، وما يماثلها من الأصناف التجارية مثل : بربونان ، هيكار ، كيميجم ، تختلف فى خواصها كما تختلف العجائن الكيميائية الكثيرة . فمنها ما هو أكثر مقاومة للهواء وللتأكسد من المطاط الطبيعى ، ومنها ماهو أشـد مقاومة للزيت . وخراطيم مضخات البنزين فى محطات تموين السيارات ، تصنع — منذ زمن بعيد — من المطاط الصناعى .

قال جون كو ، رئيس قسم المطاط الصـناعى بشركة مطاط الولايات المتحدة : « إن الكيميائيين معجبون به ، وحق لهم أن يعجبوا . ففى أنابيب الاختبار أنواع من المطاط خير من كل ما نصنعه اليوم . لقـد علمتنا الأبحاث فى هـــذه الأشهر الثلاثين الأخيرة عن المطاط الصـناعى ، أكثر مما علمتنا عن المطاط الطبيعى فى السـنوات الثلاثين الماضية » .

إن كل ما سيعلمه الرجل حين يشـترى

— وهو فى طريقه — إطاراً لعجلته ، أن هذه المادة الجديدة إنما هى مطاط وحسب . ويقول الكيميائيون : إن بين تركيبهما الجزيئى فرقاً طفيفاً ، ولكن لا العين يمكنها أن تدركه ولا اليد .

إن مصنع إنستيتوت يصنع مطاطاً اسمه بوناس (وهذه كلمة مركبة من « بو » ، وهى اختصار بوتادين الغاز الكيميائى ، ومن « نا » ، وهى اختصار نتريوم وهو عنصر الصوديوم، ثم السين ، وهى اختصار ستيرين، وهو سائل كيميائى) . أما الإستيرين فيصنع من البنزين ، وأما البوتادين ، فيصنعه مصنع إنستيتوت من الكحول . والكحول يصنع الآن من الذرة . ويستخرج من بوشل وثلاثة أرباع البوشل من الذرة ما يكفى لصنع إطار عجلة سيارة . وهذا المصنع يستهلك فى العام نحواً من ٣٨ مليون بوشل من الذرة ، أى ١ ٪ فقط من محصول الذرة فى الولايات المتحدة .

والكيميائيون لا يتشبثون بإنتاج الكحول من الذرة . فهم يصنعونه أيضاً من العسل الأسود . والبطاطس ، والسكر ، والخشب ، وقطران الفحم الحجرى ، والغاز الطبيعى ، والبترول . وواحد منها أو كلها ، قد يصبح يوماً ما مصدر ما نحتاج إليه من المطاط لعجل السيارات ، أو كعوب الأحذية، أو كرات لعبة الجولف ، أو قرب الماء الساخن . ويتنبأ الكيميائيون للمطاط الصناعى بحظ كبير من الوفرة ، حتى إنهم ليفكرون منذ اليوم فى أشياء جديدة يمكن أن تصنع منه ، لكى تضاف إلى قائمة الأشياء الكثيرة التى صنعت منه حتى اليوم .

وليس هناك شىء هو أحسن بياناً عما أحرزته الولايات المتحدة من النصر على مشكلة المطاط ، من مصنع إنستيتوت . فحين استقر الرأى على أن يصنع مطاط « بوناس » من الكحول — لأن صنعه من الكحول يأتى بأكبر قدر من المطاط فى أقصر زمن — أصدر مجلس مصانع الدفاع أمره إلى شركة الكربون والكربيد، وإلى شركة المطاط للولايات المتحدة ، أن تبادرا إلى إعداد كل شىء فى البقعة المختارة فى فرجينيا الغربية . وكان على الشركة الأولى أن تصنع المادتين الأساسيتين — البوتادين والإستيرين — بمقادير لم يسمع بمثلها من قبل . وأما شركة المطاط فكان عليها أن تحولها إلى مطاط

وكان مشروع الحكومة الأمريكية يرمى أولا إلى بناء مصنع ينتج ١٠٫٠٠٠ طن من البوتادين فى السنة . فنشبت الحرب قبل أن تتم التصميمات ، فما كان من الحكومة إلا أن أمرت بمضاعفة المشروع .

فلمـا زاد إدراك الحكومة لحرج الحالة ضوعف المشروع مرة بعد أخرى . وكل تغيير معناه تجديد الخطط والتصميمات .

وتم بناء المصنع برغم العقبات الكثيرة فى ١١ شهراً ، وقام مائة من الرسامين ، وقد تغضنت جباههم وهم منكبّـون على رسوم التصميم الزرق ، وهى أوراق تبلغ مساحتها مجتمعة ٣٥ فداناً . أما المهندسون ، فكان عليهم أن لا يكتفوا بالتفكير فى أن ينشئوا مصنعاً يبلغ اتساعه خمسة ملايين ضعف من اتساع المعمل التجريبى — وهو كل ما كان لديهم من التصميمات ليعملوا على غراره — بل كان عليهم أيضاً أن يصمموا رسوم الآلاف من قطع الأجهزة ، أو أن يشـتروها أو يصنعوها . فإذا أعوزتهم بعض المواد التى يحتاجون إليها ، وتعـذر عليهم أن يحصلوا عليها ، ابتكروا ما يقوم مقامهـا . وإذا أعجزهم أن يشتروا الآلات ، جمعوا أجزاءها ثم ركبوها بأنفسهم . وأما الكيميائيون الشبان — وجميعهم كانوا فى حداثة السن — فقد بلغ متوسط ساعات عملهم لمدة سـنة ، ٧٠ ساعة فى الأسبوع .

وحتى الخامات كانت تحارب هؤلاء المهندسين . وكان أسلسها قياداً الكحول ، أما البوتادين والأستيرين وغيرها ، فقـد كانت غاية فى العنف والمراوغة .

ولما أقبـل أول شتاء ببرده القارس ، تجمدت المواد الكيميائية فى أنابيبها الجديدة ، وتجمدت أيضا أنابيب البخار التى ركبت معها لتحفظ حرارتها . أما عازلات الحرارة والبرودة فلم يكن إلى الحصول عليها من سبيل .

وقامت دون النجـاح ، جميع العوامل المادية ، أما العوامل الإنسانية التى لا تقهر فقد أصرت على النجاح . وبذلك قام اليوم ، فى إنستيوت ، مصنع فخم النظام ضخم ، حتى أن خزان المياه يكفى مدينة سكانها مليون نسـمة ، والقوة الكهربائية تعادل نصف القوة المولدة للكهرباء فى ولاية دلوار كلها . والمصنع قائم فى العراء ، فهو أكبر من أن تضمه جدران . والصفوف الممتـدة من أبراجه ومضخاته تدوى وترتجف بقوة هائلة .

ومصنع إنستيوت ليس إلا أول مصنع سبق إلى الإنتاج . ومنذ ثمانية عشر شهراً مضت ، كان فى ضواحى لويزفيل مزارع ، يقوم عليها الآن أحد مصانع المطاط الأربعة الأخرى . فاختفت بذلك المزارع فى تيه من المصانع الكيميائية ، وقامت شركات جود ريتش ، وجود يير ، وكوبارس ، وغيرها من الشركات الكبيرة ، وأخذ يعين بعضها بعضاً ، بالعلم والخبرة ، ومن ورائها حكومة الولايات المتحدة ، على غرض واحد ، هو صناعة المطاط .

لا همّ إلاّ الأسنان

روبرت بنشلي

ملخصة عن كتاب « فى سريرة بنشلى »

لا يمل الناس الحديث عن أسنانهم ، فهم يجدون لذة عظيمة حين يصف بعضهم لبعض أسوأ ما لقيه على كرسى العلاج عند طبيب الأسنان .

غير ان الفترة التى يقضيها الإنسان على هـذا الـكرسى هى فى الواقع جزء بسيط من الألم الهائل الذى يعانيه فى أثناء هـذا البلاء كله . فأسوأ من هذه الفترة ، المرحلة الأولى من المرض ، التى تقع بين اللحظة التى يعثر فيها الإنسان على الضرس المعتل ، واللحظة التى يضع فيها طبيب الأسنان قدمه على الجهاز الأتوماتيكى الذى يرفعك لـكى تكون فى متناول يده . إن التخدير لخلع الضرس عمل إنسانى ، ما فى ذلك شك ، غير أن الوقت المناسب الذى كان يجب أن يفقد فيه المريض شعوره هو اللحظة التى يعقد فيها النيـة على الذهاب إلى طبيب الأسنان !

وقد لا تكون هناك لحظة أشد على المرء هولا وفزعاً من تلك اللحظة التى ينساب فيها لسانه عفواً على أسنانه فى عبث لا قصد له ، فيقع فجأة على طرف متآكل من ضرس قد تلاشى حشوه . حينئذ تقف حركة العالم كله ، وتنظر بإمعان متأملا سقف الحجرة ، ثم تسحب لسانك بسرعة ، وتحاول أن تتناسى الأمر قائلا لنفسك : « كلام فارغ ! يا صاحبي ليس فى الأمر شىء مطلقاً ، لقد تحطمت أعصابك اليوم بعـد عمل النهار الشاق ، هذا كل ما فى الأمر » .

ثم تعود بنوع من المكر ، فتترك لسانك ينزلق على أسـنانك فى محاولة عقيمة ،

يحتل روبرت بنشلى مكانة سامية بين الـكتاب والممثلين ومذيعى الراديو الأمريكيين المطبوعين على الفـكاهة ، ويمتاز بالقدرة على الانتقال من موضوع إلى موضوع بمهارة ولباقة . وقد نال إجازته من جامعة هارفرد سـنة ١٩١٢ ، ثم أخذ يكتب مقـالاته عن نقائص الانسانية فى مجـلة نيويورك تريبيون . وقد أصبح بعد ذلك الناقد الروائى لمجـلة لايف القديمة ثم لمجلة النيويورك . وقد اكتسب قراء كثيرين بنقده اللاذع . وهو يقيم فى هوليوود من عدة سنوات يحرر ويمثل ويدير . ولقـد ذاع صيته بالأفلام القصيرة التى يتناول فيهـا موضوعات مثـل « حيـاة بوليت الغرامية » و « كيف تنام » ومن أشهر مؤلفاته العـديدة كتاب « عشر سنوات من حياتى فى حرج » ، وكتاب « ماذا بعد سنة ١٩٠٣ » .

ليتحسس الضرس مرة أخرى .

ولكن ها هو الداء ! لا يمكن أن يكون فى ذلك شك هذه المرة ، إن الضرس يجب أن يعاد حشوه . فعليك إذن أن تزور طبيب أسنان وتتفق معه على موعد للعلاج .

لنفرض أنك عزمت على ذلك يوم الثلاثاء وها أنت ذا تبحث بعد ظهر ذلك اليوم فى دفتر التليفون عن رقم الطبيب ، فحين تكتشف أن اسمه ليس فى الدفتر تغمر نفسك موجة من الارتياح . أينتظر منك أن تضرب موعداً مع إنسان لا يوجد عنده تليفون ؟ هذا شىء مستحيل .

وها هو الوجع تشتد وطأته عليك يوم الأربعاء ، فتصمم على أن تتصل بذلك الطبيب ، إلا أنك تعلم ماذا يحدث . يطلع إليك شاغل بعد آخر ، حتى إذا ما فرغت لنفسك دقيقة واحدة ، كانت الساعة قد بلغت الخامسة . وعلى أية حال فالضرس الآن لا يضايقك . ولن تستولى عليك الدهشة إذا ما استطعت أن تمضى على ذلك حتى نهاية الأسبوع ، حين يكون لديك من الوقت متسع ، إذ لا بد للانسان من أن يفكر فى عمله قبل كل شىء !

وفى يوم السبت تكون قد أعددت نفسك لتمضى رأساً إلى عيادة الطبيب ، غير أنك تتذكر أن العمل فى ذلك اليوم يستمر إلى الظهر فقط ، فمن الجائز أن لا يكون لدى الطبيب مجال لزيارات طارئة . حقاً إن يوم الاثنين مناسب للزيارة ، ثم إن يوم الاثنين هو اليوم المعقول لكى تبدأ ذهابك إلى طبيب الأسنان .

وفى يوم الاثنين تستيقظ مبكراً فى الصباح المشرق ، وتبحث مرة أخرى فى دفتر التليفون ، فترى ، ويا لهول ما ترى ! ! إن اسم الطبيب ورقمه قد أدرجا فى الدفتر فى المدة التى خلت بين يومك هذا ويوم الثلاثاء الماضى . ومن حسن حظك أن تجد خط التليفون مشغولا ، وهذا ما يسمح لك بأن تؤجل ذلك إلى يوم الثلاثاء ، فإذا جاء يوم الثلاثاء جاء معه حظك العاثر ، إذ تتصل بالطبيب نفسه اتصالا مباشراً ، ثم تحصل منه على موعد يوم الخميس فى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر .

يوم الخميس بعد الظهر ، وها نحن فى صباح الثلاثاء ! قد يحدث أمر ما ، فى الفترة ما بين هذه الساعة وبين ذلك الميعاد . غير أن يوم الأربعاء يمضى وكذلك صباح الخميس ، ولا يحدث أمر ما . إذن فلم يبق لك إلا أن تدعوه فى التليفون فتخبره بأنك ارتكبت جريمة قتل ، وأنه قد قبض عليك ، ومن الجائز أنك لن تستطيع أن تحافظ على موعدك . ولكن كل طبيب أسنان يدرك ما وراء

ذلك ، فإنك مهما تنتحل من أعذار فلن تستطيع أن تغرر به . كلا ، بل ينبغي عليك أن تمضي في هذا من الآن ، فمن الجائز أن يقتصر عمله هذه المرة على فحص الضرس فقط . وهذا سهل ، ففي وسعك أن تعرض أنت عليه ذلك ، ثم تأتي إليه مرة ثانية بغير عناء ليباشر العلاج الحقيقي .

ها هو منتصف الساعة الرابعة قد أزف . ما أثقلها ساعة ! ألم تكن هناك ساعة أولى من هذه الساعة التي تكون فيها قوى الإنسان مضعضعة خائرة ؟ وعند ما تدخل البناء الذي فيه الطبيب ، تلقي نظرة على أولئك الذين يكادون يركضون في الطريق ، من فرط النشوة والسعادة ، يا لهم من أطفال لا يبالون بشيء ! فماذا يعلم هؤلاء من هم الحياة ؟ ومن يدري لعل هذا الرجل الذي يضع على رأسه قبعة تثير الضحك ، لم يعان في حياته ألماً حتى في طفولته في عهد التسنين .

وها أنت تدخل المصعد ، لقد ضاع الأمل الأخير حين انصفق عليك الباب وحبسك وراء مصراعيه . لا شك أن هناك دائماً فرصة سانحة في احتمال سقوط المصعد ، ولكن من الإغراق الفاضح أن تتعلق بمثل هذا الأمل ، ولهذا تختلج نفسك بزهو البطولة فإذا ما قلت لعامل المصعد الرقم الحقيقي للدور الذي توجد فيه عيادة الطبيب توهجت في عواطفك شعلة من شعل البطولة . فقد كان من السهل الهين عليك أن تقول له رقم دور أعلى منه بكثير أو أدنى منه بكثير فتسبب بذلك بعض التأخير .

إن غرف الانتظار في عيادات أطباء الأسنان كلها متشابهة . فما هي إلا رائحة المطهر ، وحشرجة الصوت المشئومة صادرة من حجرة العمليات ، والمجلات العتيقة ، ولفيف ساخط متبرم من المرضى جالس ينتظر . وحين تجلس في حجرة الانتظار وتحدق بعيون لا تكاد ترى ، في كتاب ضخم عنوانه «حوادث الحرب في صور» ، تتمنى بكل سرور أن تستبدل بمصيرك هذا مصير أي إنسان من أتعس مخلوقات الله . فلا يعقل أن يكون هناك إنسان قد بلغ من سوء الحال ما بلغت ، إلا أن يكون من هؤلاء الأشقياء المساكين الذين جلسوا ينتظرون معك .

وتلك الجالسة في الكرسي الضخم ، لا تبرح حانقة تمزق قصاصات من مجلة « طب الأسنان » ، ما خطبها ؟ لعل هناك أمراً مخيفاً يثير في نفسها هذا الاضطراب ، فقد لا يمكن أن تبدو أشد قلقاً مما هي عليه الآن ، ومن يدري لعلها تعاني ألماً شديداً . . شديداً جداً . إن هذا الخاطر يبعث في نفسك سروراً عظيما . حقاً ما أجبن النساء !

وعندئذ تظهر الممرضة في الغرفة ، وتلقي على كل إنسان فيها نظرة فاحصة ، فيبذل كل

واحد غاية جهده أن يفلت عبثاً من نظرتها ، ولكن ها هي تشير إليك وتومىء بكل رقة . رباه ! ألا ما أجمل إيماءتها ! ينبغى أن يسن قانون ضـد من لهم كل هذا الحظ من الرقة !

تقول لك : « سيراك الطبيب الآن » .

يفترّ ثغرك عن ابتسامة فاترة ، ثم تمشى مترنحاً إلى حجرة العمليات ، فإذا أنت بين قوالب الأسنان الصناعية المخيفة كجماجم الموتى ، ونيران زرقاء تنبعث من مصابيح الغاز ، تتراقص ألسنتها كالأشـباح ، وصوت الماء الذى يسيل باستمرار ، فما يسعك إلا أن تغوص فى كرسى العلاج وتغمض جفنيك .

والآن علينا أن نتأمل هـذه النشوة الروحية التى تدب فى نفسك عند ما تعود إليك حريتك فى النهاية . لقد انتهى كل شىء . فماذا بلغ منك ؟ لا شىء مطلقاً . لماذا ها ، ها ، ها ، ها ، لا شىء مطلقاً . وحينئـذ تتصل بينك وبين الطبيب أسباب الود . حقاً ، إنه لصديق طيب . تسأله عن أجهزته ، فيم تستخدم هـذا الجهاز ؟ عجباً عجباً لهذا الجهاز الصغير ، كيف يسبب كل هذا القلق ! ها ها ها ، وعائلة الطبيب كيف حالها ؟ أليس هذا جميلا ! بعد ذلك تصافحه مودعاً باغتباط ، ثم تصلح رباط رقبتك .

وحين تمر بغرفة الانتظار تنظر إلى الجالسين شزرا . هؤلاء المساكين ! لم لا يطيقون أن يقبلوا على العلاج إقبال رجال أشداء ، فلا يستكينون استكانة المحكوم عليهم بالإعدام !

وحين تطأ قدماك الطريق الذى يشع فيه النور والبهجة — هذا الطريق الرائع الحافل بوجوه حبيبة ! — تشعر بأن الحياة جميلة مهما يكن من شىء ، وقد نسيت كل النسيان أن لديك يوم الاثنين زيارة أخرى . كلا ، ليس هناك شىء كهذا يقال له يوم الاثنين . لقد فرغت من هم هـذا اليوم ، وأصبح كل شىء فى الدنيا على ما يرام .



إنك لا تستطيع أن تمنع طيور الأسى من أن تحلق فوق رأسك ، ولكنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فى شعرك .

(مثل صينى)

الموت في أعالي الجو

ملخصة عن مجلة « فورتشون »

> إن الارتفاع لم يعد تحدده اليوم مهارة واضع تصميم الطائرة ، بل أن الذي يحدده الآن هو منتهى طاقة الجسم البشرى على التحليق — سبعة أميال .

ما فتئت الحرب الجوية سباقاً فى الارتفاع بين الطائرات ومقذوفات المدافع، ومن المشكوك فيه أن كان لطائرة من الطائرات التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى ، قدرة على الارتفاع إلى ما يزيد على ١٦٫٠٠٠ قدم ، فإن أكثر عمليات الطيران التى أجريت عندئذ كانت على ارتفاع يسير جداً . ولكن مدى نيران المدافع المضادة للطائرات زاد منذ ذلك الحين كما زادت دقتها فى الإصابة زيادة كبيرة . أما الطائرات التى قامت فى هذه الحرب بالجزء الأكبر من عمليات قذف القنابل والقتال الجوى فلها قدرة على أن تصعد إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وما يزال الطيران العسكرى يتطلع إلى بلوغ ارتفاعات أعلى فأعلى

والطائرات يسعها أن تقوم بذلك الآن ، فقاذفات القنابل الأمريكية الضخمة ، البعيدة المدى، يمكنها أن تحلق فى اطمئنان وهدوء إلى ارتفاع يزيد على ذلك المدى الذى لا تكاد تبلغه النيران المضادة للطائرات ، وهى لا تزال محتفظة بالدقة فى إحكام الرماية ، ويزيد كثيراً على أقصى ارتفاع يتيسر لطاردات العدو أن تعمل فيه. وهذه القاذفات يمكنها — نظرياً — أن تقذف مدن العدو بالقنابل دون أن تخسر طائرة ما ، ولكن يستحيل ذلك عملياً ، أو هو — على الأقل — يستحيل الآن . ويرجع السبب فى ذلك إلى حاجة المرء إلى هواء فيه الكفاية من الأكسجين حتى يمكنه أن يحتفظ بالحياة . وقد بلغت الطائرات — منذ زمان بعيد — ارتفاعاً أعلى بكثير من المستوى الذى يتيسر للطيار أن يطرقه وهو آمن .

وستكون العقبة الوحيدة فى السبيل المؤدية إلى التفوق الجوى ، على الأرجح ، هى إعداد رجال قادرين على الطيران العالى .

إن العوائق فى سبيل الطيران العالى هى : برودة الجو ، والدوار ، والانسداد الهوائى للشرايين الناشئ من قلة الضغط الجوى ، وإن كان هذا الانسداد أخف وطأة من مثيله الناشئ عن ثقل الضغط الجوى . أما الدوار فهو أشدها تأثيراً ، ومرجعه إلى افتقار الدم إلى الأكسجين . فما إن يتجاوز المرء ارتفاع ١٥٫٠٠٠ قدم حتى تأخذ قدرته

فى التناقص ، إذا لم يكن مزوداً بأجهزة الأكسجين الصناعى ، ثم يصبح معرضاً للخطر إذا ما بلغ ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم ، وأخيراً يغيب عن شعوره فيما بين ١٨٫٠٠٠ و ٢٦٫٠٠٠ قدم . بل هو يموت إذا ما انقضى عليه زمن يتفاوت بين ٢٠ و ٣٠ دقيقة على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم . وأقنعة الأكسجين تظل نافذة المفعول إلى ارتفاع ٣٥٫٠٠٠ قدم ، وهو ارتفاع قد بلغته الآن الدافع العادية . فلو أننا اخترنا أصلح طيار ، وزودناه بأحسن جهاز ، يمكنه من أن يستنشق أكسجيناً نقياً كل النقاء ، فلن يزيد على أن يبلغ منتهى المدى المأمون لبقاء الحياة البشرية وهو حوالى ٣٧٫٠٠٠ قدم .

إن أغرب أعراض مرض دوار الارتفاع ، هو ذهول المرء عن الخطر المحدق به ، بل إن بعض الأفراد يزدادون شعوراً بالسلامة كلما ازاد الخطر تفاقماً . وفى هذا يقول الميجور هارى أرمسترونج ، الخبير الأول بقسم الأبحاث الطبية للطيران فى الجيش الأمريكى : « لا نعرف حالة أخرى يمكن أن تنزل بالجسم من الأضرار البليغة ما تنزله هذه الحالة ، ثم لا تسبب — فى الوقت نفسه — إلا أقل الآلام » .

وقد كتب العالم الجوى الفرنسى تسنديبيه منذ حوالى ٧٠ سنة ، أول تقرير يعول عليه عن النتائج المترتبة على التعرض للارتفاع الشاهق . وكان قد ارتقى فى الجو فى بلون برفقة زميلين ، وكانوا مزودين بالأكسجين ولكنهم أهملوا الالتجاء إليه فى الوقت المناسب لأنهم ظلوا يشعرون بأنهم فى حالة جيدة . فمات زميلا تسنديبيه ، ووصف هو ما مرّ به من تجارب فقال :

« . . . وإنى أصف الآن تلك اللحظات التى حملت إلينا القدر المحتوم ، حين وقعنا تحت التأثير المريع الناتج عن انخفاض الضغط . فاعترانى التخدر على ٢٢٫٩٠٠ قدم ، وظللت أكتب بالرغم من ذلك مع أنى لا أتذكر ذلك بوضوح . وعلى ٢٤٫٦٠٠ يصبح الخدر الذى يعترى المرء غريباً غير مألوف ، ولكنه لا يتألم ولا يفكر فى خطر ، بل على النقيض من ذلك ، يشعر المرء بجذل نفسانى ، ويظل يصعد فيطرب للصعود . ولما بلغنا ٢٦٫٠٠٠ قدم بلغ منى الضعف المبلغ الذى لم أكن أقوى معه حتى على الالتفات نحو رفيق ، ووددت أن أنادى ولكن لسانى كان معقوداً . ثم تهالكت دفعة واحدة بلا حول ولا قوة وفقدت كل شعور » .

وتتماثل أعراض دوار الارتفاع وأعراض السكر تماثلا يثير الدهشة . ففى الحالين يظهر الكلال فى البصر ، والثقل فى السمع ، والتخدير العام فى الحواس ، وفقدان السيطرة

على العضلات . وتتبين فى هذا الدوار أيضاً تغيرات نفسانية مما اختص به السكر ، فإما أن يتخدر جسد الطيار ، وإما أن يصبح ، وهو الغالب ، نشوان يطفر فرحاً ، فياضاً بالشعور بالسعادة والعافية . وفى كلتا الحالتين يكون ذاهلا عما هو فيه ، بينما يطرد تناقص قدرته على التمييز . وقد تعتريه نوبات من الضحك الهستيرى أو تجتاحه ثورات جنائية أثناء حالة الذهول التى تسبق الاغماء أو الموت

أما الحد الذى لا يتغير لطاقة الانسان على الاحتمال ، فيمكن إدراكه إدراكا حسناً إذا تأملنا الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية وهو الذى يبلغ سمكه ١٠٠ ميل على الأقل . ويتكون هذا الغلاف من مزيج من الأكسجين والنيتروجين (الأزوت) وغازات أخرى أندر منهما وجوداً ويظل هذا المزيج محتفظاً بنسبة مزج ثابتة فى جميع الارتفاعات التى وصلنا إليها حتى الآن ، ولكن الضغط الجوى الذى يبلغ ١٤٫٧ رطلا على البوصة المربعة عند مستوى سطح البحر ، يتضاءل إلى أقل من ثلث هذا المقدار على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم . والضغط الجوى عند مستوى سطح البحر هو — فى الحقيقة — الذى يدفع الأكسجين خلال أغشية الرئة ثم فى الدورة الدموية ليتوزع على الجسم بأكمله ، ولكن كلما زاد الارتفاع قل الضغط ، وكذلك تعوز الدم كفايته من الأكسجين الذى يدفع فيه ، فإذا ما تجاوز الطيار ذلك إلى الارتفاعات الشاهقة استحال إنقاذه ولو زود رئتيه بأكسجين صرف .

ويترتب على النقص فى الضغط نتائج أخرى . فمن ذلك : أن تبدأ فقاقيع من النيتروجين (الأزوت) وغازات أخرى تتكون فى السائل النخاعى على ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم . ثم فى الدم على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وهذا ما يسمى بالانسداد الهوائى للشرايين ، وهو يشبه الانسداد الهوائى للشرايين ، الذى يصيب العمال فى الانفاق أو الغواصين من جراء سبب مناقض وهو ثقل الضغط الجوى . فإذا أهمل الطيار الهبوط بمجرد أن ينتابه أول عارض ، فإن هذا الانسداد قد يسبب له الشلل بل ربما أفضى إلى الموت .

وقد يؤدى النقص فى الضغط أيضاً إلى تمدد الغازات فى معدة الطيار وأمعائه فتسبب له تقلصات عضلية عنيفة ، ولذلك فإن الطيارين العسكريين يتجنبون الطعام الذى تتولد منه غازات . وهناك أيضاً خطر حدوث انتفاخ يدفع بالحجاب الحاجز إلى أعلى ، فيضغط على القلب والرئتين ، فيخشى على الطيار من الأغماء . وإذا انسدت بعض القنوات فى تجويف أذن الطيار فقد تتمزق الطبلة ،

وإذا انسـدَّ أيضاً أحـد تجاويف عظام الرأس فقـد يصاب بصداع أليم ، إذ يظل الهواء داخل التجويف فى ضغط يغاير ضغط الهواء الخارجى ، والطيار عرضة أيضاً لأن يصاب بنوبات حادة من السعال ، لأن هواء الارتفاع الشاهق ليست له الـكثافة الـكافية حتى يقوم بتنظيف قناة التنفس من المخاط أو المواد المهيجة لها .

ولما كان انخفاض الضغط الجوى هو السبب فى جميع هذه الأخطار فالحل الأمثل هو استنباط ما يسمح للطيارين بالارتفاع ، وقد أحاط بهم هواء يحتفظ بضغطه العالى ، بأسلوب صناعى. وقد أجريت فى هذا الصدد محاولتان . إحداهما اختراع (رداء الضغط العالى) . وهو الاختـراع الذى كان ويلى بوست أول من تولى أمر تحسينه فى سنة ١٩٣٣ . وقد سجل طيار إيطالى كان يرتدى مثل هذا الرداء رقمـاً قياسياً عالمياً فى الارتفاع إلى مدى ٥٦٫٠٤٦ قدماً وذلك فى سنة ١٩٣٨ . ولـكنه رداء ضخم الحجم ، تعلوه خوذة ذات نافذة زجاجية واسعـة . فهو يعوق الحركة ، ويحد من مجال البصر . ولذلك أحجمت الجيوش عن استعماله . وأما المحاولة الأخرى فكانت إنشاء طائرة ذات قمرة أومقعد قيادة أحكمت منافذها ، وجهزا بآلات نافخة تحتفظ لها بالضغط الداخلى .

وتحتوى الطائرات ، التى خصصتها إحدى شركات الطـيران المدنى بالولايات المتحدة للسفر فى الأجواء العليا على ٢٠٫٠٠٠ من الأقـدام ، على قمرات ذات ضغط عال ، فأثبتت بذلك على أنهـا فـكرة عملية وإن كان يصعب تطبيقهـا على الطـائرات العسكرية . فإن تركيب قمرات الضغط العالى فيـه زيادة للوزن ، وإدارة المنافخ ، فيـه استهلاك للقوة المحركة ، وهناك أيضاً الصعوبة فى إحكام منـافذ الطائرة بحيث تكون المفصلات فى أبراج المدافع ، أو الفجوات التى تحتوى على القنابل ، حبيكة لا تسمح بنفاذ الهواء . وأهم من ذلك كله أنه لم يسبق قط أن ألجأتنا الضرورة إلى تجهيز الطائرات حتى تحلق على ارتفاع يعـلو ٣٠٫٠٠٠ قدم . أما الآن وقد صار من الضرورى أن يرتفع المدى المأمون للقاذفات ميلا آخر إلى أعلى ، ويوشك أن يرتفع عن المدى الذى تظل فيه أقنعة الأكسـجين نافذة المفعول ، فربمـا أصبحت قمرات الضـغط العالى ضرورة لا غنى عنها .

وإلى أن تحمل كل من طائرات المستقبل الحربية جوها المنشأ فيها صناعياً ، سيظل لزاماً على الطيارين أن يكافحوا البرودة ، وهى تعدُّ من أعقد مشاكل الطيران العالى ، إذ تبلغ ١٢٫٣ درجـة تحت الصـفر على

ارتفاع ٢٠،٠٠٠ قدم ، و ٤٨° على ٣٠،٠٠٠ قدم . وقد أظهرت دراسات البحور أرمسترونج أن مقدرة الطيار على العمل تنخفض بمقدار ٢٠ ٪ عند درجة التجمد ، التي يتحتم عليه فيها ارتداء الملابس الشتوية والقفازات الثقيلة ، وقد تهبط النسبة إلى ١٣ ٪ من مقدرته العادية عند الأربعين تحت الصفر . ويصبح الطيار فى هذه البرودة الأليمة عرضة لانتكاس معنوى عميق فيظهر عدم المبالاة بما وكل إليه من عمل . بل وحتى حياته قد لا يقيم لها وزناً .

وإلى الآن ، لم تأت أية طريقة من طرق تدفئة الطائرات العسكرية بتأثير فعال . فإن نوافذ الطائرات المدفأة تميل إلى أن تكتسى بطبقة سميكة من الصقيع . فلا يرى الطيار من ورائها شيئاً . وفى الوقت نفسه نجد أن أقصى ما يمكن للطيار ارتداؤه من ملابس ، إنما تحميه من البرد إلى درجة الصفر فقط . أما رداء التدفئة الكهربائى فهو ، وإن كان مرضياً فى جميع الارتفاعات ، إلا أنه يستهلك بعض القوة المحركة .

وأما فى الوقت الحاضر ، فيبدو أن أحسن طريقة لزيادة الارتفاع فى الطيران العسكرى هى أن تختار الطيارين . إذ أن القدرة على الاحتمال تتباين تبايناً كبيراً بين فرد وفرد ، ولذا فإن الانتخاب الصائب قد يمكننا من أن ننشىء طبقة من الطيارين ذوى استعداد فطرى للطيران العالى . وهذا هو الهدف الأول للأطباء العسكريين فى طيران الولايات المتحدة .



صورة تشرشل فى الدنمارك

مما يضايق النازيين . فى الدنمارك ، وجود صورة كبيرة لتشرشل داخل إطار ، فى إدارة إحدى جرائد كوبنهاجن حاضرة البلاد . ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لأن هذه الصورة مأخوذة من مجلة مصورة تصدر فى برلين وتحتها هذه العبارة : « تشرشل وقد بدا على معارف وجهه أمارات اليأس عند ما بلغه نبأ انهيار فرنسا » .

[الدنمارك تقاوم فى « نيوريبيليك »]

إذا أردت أن تسمن

الدكتور صموئيل هوشمان

ملخصة من مجلة « ذى أميريكان ميركيورى »

يجلس رجلان إلى مائدة واحدة ويأكلان ألواناً من الطعام واحدة ، كاللحم والبطاطس والفاصوليا والطماطم والسلطة والحلوى ثم الجبن والقهوة . وهذه الوجبة تزود أحدهما بـ ٣٠٠٠ وحدة من الحرارة ولكنها تزود الآخر بالشحم .

وتجلس سيدتان وبينهما طبق حافل بالفطائر . فتقول إحداهما : « أرجو المعذرة لا أستطيع أن أتناول منها شيئاً . إنها تزيدنى أرطالا من الشحم » .

فلماذا يكون الطعام الواحد نشاطاً وحركة فى بعض الناس وسمناً فى الآخرين ؟

والسبب — فى كل سبع حالات من عشر حالات — سبب عقلى لا طبيعى . والمعتقد أن الهم يورث الهزال ، والأرجح أنه يورث السمن . فبعض أساليب التفكير التى تصير عادة ، وبعض الاضطرابات العاطفية ، تنشىء رغبة قاهرة تدفع الناس إلى الإفراط فى الأكل . وهذا اكتشاف مهم لأن السمن ليس مما يستهان به ، إذ هو مرض خطير على الدوام ، ومميت فى أغلب الأحيان . وكثيراً ما نقرأ فى شهادات الوفاة أن سبب الموت هو « تصلب الشرايين » ، أو « ارتفاع ضغط الدم » ، أو بعض أمراض القلب أو الكليتين أو الكبد ، مع أن القاتل هو الشحم . ولا يكاد يمر يوم إلا وينصح كل طبيب بعض مرضاه بأن يقلل من وزن جسمه لما يعانيه القلب ، أو الكليتان ، من الإرهاق .

وقد اهتمت بذلك شركات التأمين ، فهى منذ زمن قريب تبذل مجهوداً كبيراً فى تعريف الناس بأخطار الزيادة المفرطة فى وزن الجسم وخاصة فى سن الكهولة . وأكثر من هذا أنها تزداد إحجاماً عن التأمين على حياة كل رجل بطين .

ولهذا يدرس الأطباء السمن هذه الأيام بعناية كما يدرسون أى مرض آخر من الأمراض التى لا يستخف بأمرها . وقد وجدوا نوعين من البدانة . أحدهما ذلك الذى ينشأ من سبب باطنى . وأصحابه

يسمنون مهما يكن نوع الطعام الذي يأكلون. والآخر الذي ينشأ من سبب خارجي وهو الإفراط في الأكل . والنوع الأول يرجع إلى خلل في الغدد الصم، وإلى سوء التمثيل الغذائي . ولكن الحالات التي تعزى إلى هذا السبب قليلة . وقد قال الدكتور وايلدر أحد الأطباء البارزين في مستشفى مايو: «إن عمل الغدد الصم في إحداث البدانة مبالغ فيه كثيراً» . ولكنك مع ذلك سوف تسمع كثيراً عن الغدد الصم والسمن ، لسبب بسيط ، هو أن أية امرأة تؤثر أن تعلل انتفاخ بدنها بمرض خفي في الغدة الدرقية ، على أن تعترف بأنها تلتهم الطعام حتى تكتظ .

لا تقسُ في الحكم على هذه السيدة ، إنها تعرف أنه يجب عليها أن تأكل أقل مما تأكل . إذ يسهل الآن ، وقد بلغت معارفنا العلمية عن الطعام ما بلغت ، أن ندلها على ما ينبغي أن تأكل ومقدار ما تأكل . ولما بلغ العلم هذا المبلغ ظن بعضنا أن مسألة السمن قد حلت ، فما علينا إلا أن نحدد حاجات كل فرد من الطعام ، وأن نكتب نظام الطعام للمريض فيتبعه راضياً مسروراً . ولكن سرعان ما انقشع هذا الحلم حين خرج من العمل واصطدم بالحقائق القاسية في الحياة .

فالسيدة البدينة تعجز بحق عن أن تمتنع عن الإسراف في الأكل . وهي عاجزة كل العجز عن بيان السبب الذي يحملها على التقاط الطعام بين وجبة وأخرى . والحقيقة أنها تعمد إلى الحلويات والمسليات كما يعمد آخرون إلى الخمر ينشدون فيها سلوى عما يعتلج في النفس من كمد أو حرقة ، لا يكاد أحدهم يدرك كنهها أو يتبين حقيقتها .

قل لهذا الجبل الآدمي المتحرك كقطعة من اللحم لا قوام لها ، البالغ وزنه ٣٠٠ رطل من اللحم ، قل له وهو مكب يجرش ما على مائدته من غذاء دسم ، ويختمه بطبق من الحلوى: إنه يملأ بطنه ، لأنه يعلم أنه لن ينال علاوة على مرتبه في هذه السنة ، وأن زوجته لا تنفك تلج في لومه وتعنيفه على مايلاقون من فاقة. فسيقول لك: إنك أبله . ولكن الحقيقة هي أن حالته النفسية هي التي تدفعه إلى النهم .

وإليك مثلا واقعياً عن إحدى الفتيات : فقد رغبت في أن تفر من أم شاكية باكية ومن أب تافه ، ومن منزل قذر في زقاق . فساقتها رغبتها أن تشق طريقها في الكتابة ، وأن تبحث عن عمل في المدينة . فصارت تقتصد في معيشتها لأنها كانت مضطرة إلى مساعدة أبويها ببعض المال . ولكنها كانت مستقلة ، وكانت تكب على عملها ، وكانت تعتقد أن لها مستقبلا ، وكان وزنها طبيعياً .

وكانت في السادسة والعشرين من عمرها

حين وصل إليها تلغراف يدعوها إلى منزل أبويها لأن أمها شلت . فتركت الفتاة وظيفتها لتمرض أمها ، وتعنى بشئون البيت لأبيها ، وبقيت كذلك خمس سنوات. فأصبحت بدينة.

وأخيراً عادت إلى المدينة ، حين تحررت من بيتها الكئيب . وكانت قد بلغت الحادية والثلاثين ، وكان طولها خمس أقدام وأربع بوصات ، وكان وزنها ١٨٧ رطلا . لم تزل سمينة ، وكانت رقيقة الحس تؤلمها السخرية ، فتجنبت الحيـاة الاجتماعيـة مع أنها كانت تشتهيها . ووجدت من الصعب أن تغير عاداتها في الأكل . ولكن الطبيب الذى كان يحاول أن يصل إلى سبب بدانتها استطاع أن ينتزع منها هذا الاعتراف : « لقد بلغ منى الضجر والشقاء فى البيت ، وبلغ منى فتور النفس ، حتى صار الأكل إحدى اللذات القليلة الباقية لى ، ولم يكن يبدو لى أنه أمر ذو بال ، إن أنا أكلت فأكثرت » .

فقال لها الطبيب بكل وضوح وصراحة : إن سبب بدانتها سبب نفسى . وهداها إلى تغيير أسلوب تفكيرها ونظرتها إلى الحياة . فلما تم لها ذلك ، وجدت من قوة إرادتها ما يجعلهـا تتبع نظاماً صارماً فى الطعام . فلم تلبث أن غيرتهـا العشرون رطلا الأولى التى فقدتها تغييراً مدهشاً ، حتى حفزتها إلى الإسراع فى شراء ثياب جديدة ملائمة ، وإلى تسريح شعرها بعناية ، وجعلت النـــاس يؤمنون أنها أنيقة المنظر ، وبثت فيها حيوية جديدة . وكان كل شىء بعـد ذلك سهلا ، وقد عادت الآن إلى وزنها الطبيعى .

وأهـل الكسل من الرجال هم على الأكثر عرضة للسمن ، فإذا سمنوا لم تزل تغلب عليهم البـلادة . وأفعال الجسم جميعاً تجرى فى السمين أبطأ مما تجرى فى السوى من الناس . وأصحاب الأوزان المفرطة يغلب عليهم الفتور ووهن العزم . وهذه هى الحلقة المفرغة . فإن السمن نفسه يجعلهم مترهلين فى إرادتهم ، حتى ليعجزون عن أن يعزموا عزماً صادقاً لكى يقللوا من أوزانهم .

ويغلب على المرضى بالسمن ، حين يلزمون باتباع نظام فى طعامهم ، أن يكثروا من الشـكوى أن نظام الطعـام يمرضهم . وليس هو نظـام الطعـام ولا ريب ، بل اضطراب المراكز العصبية هو الذى يعارض فى فرض هذا النظام ، لأن هـذه المراكز تحارب لأجل طريقة تعبيرها التى اعتادتها . وكثير من المتـاعب يمكن أن ينشـأ من الاضطراب العصبى الذى لا يجد ما يشبعه . وعلى هذا يجب أن يكون طبيب الجسم طبيباً نفسياً أيضاً ، فإن ما ينبغى عمله هو معالجة الاضطراب العصبى لا تغيير الطعام .

ومن المسلم به عنـــد رجال الخـدمة

الاجتماعية ، أن المتعطلين المعتمدين على عون الحكومة يزيد وزنهم . ذلك بأن هؤلاء المتعطلين يستولى عليهم الإحساس بالقلق والضجر والشقاء . وهم يفسرون هذا الإحساس الغامض بأنه جوع ، أو على الأقل يظنون أنه اشتهاء يمكن إزالته أو تخفيفه بالأكل ، فيأكلون كثيراً . وهم بالطبع يأكلون الأطعمة الرخيصة، مثل الخبز والأرز والبطاطس والمكرونة وجميعها تحدث السمن.

والرأى القديم القائل بأن السمين شخص هادىء لا يبالى ما يحدث ، رأى فاسد، لأن السمين ليس مستقر العواطف . أما الذين هم فى سلم مع أنفسهم ، ولهم ما يشغلهم أو يسرهم . فقلما يسرفون فى الطعام . وأما أولئك الذين يعيشون فى وحدة ، أو يحسون بالحرمان أو بالشقاء فى الزواج أو بالخيبة أو النقص — فهؤلاء هم أبطال المائدة النهمون الذين لا ينفكون عن التقاط الطعام بين وجبة وأخرى ، لأنهم يتلمسون فيه ما يرضى نزعاتهم ، ويسكن نفوسهم القلقة .

فإذا كنت سميناً فراقب نفسك ، وحلل البواعث التى تحملك على أن تختلس الطعام عند الأصيل بين الغذاء والعشاء . واسأل نفسك : هل أنت جائع أم ضجر ؟ وهل أنت تحاول بطلب هذا المقدار من الطعام أن تتجنب همًّا يلح عليك ؟ وهل تلتهم هذا المقدار من الطعام ، لو كنت واثقاً بأنك واجد بعد العشاء شيئاً ممتعاً يشغلك ؟

إن هذه الأسئلة خاصة بالسمان . وخير نصيحة تقدم إلى كل سمين : اذهب إلى طبيب ، وصرح له بأنك غير قادر على أن تقنع بالقدر الكافى الصحى من الطعام ، فلعله ينتزع من أعماق نفسك السبب الحقيقى لبدانتك .



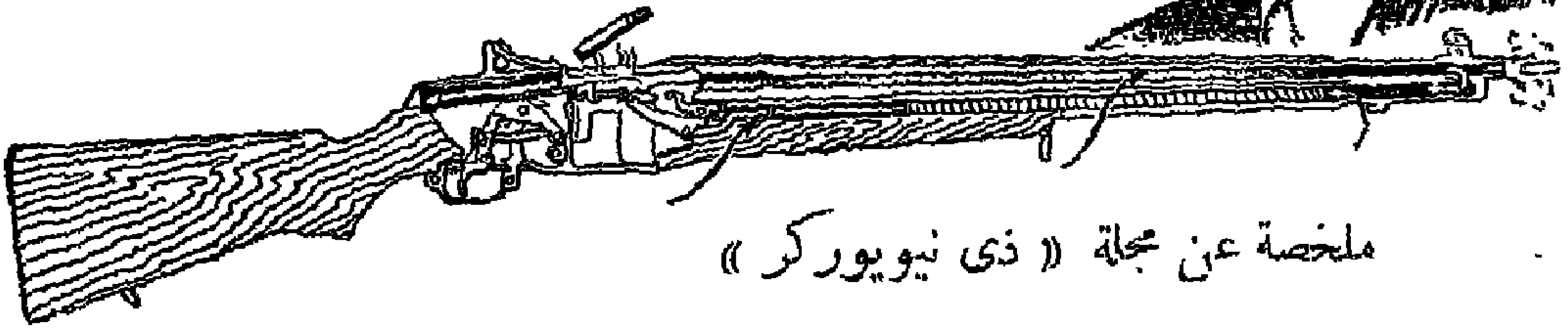
دخل أحد العمال الصناعيين قطاراً من القطارات التى تسير تحت الأرض فى مدينة فيلادلفيا ، وكان يلبس خوذة تشير إلى أنه من عمال لحام المعادن ، وكان تبدو عليه أمارات الإعياء . ولكنه تمكن بغير قليل من البراعة أن يجد مقعداً تهالك فيه ، ثم وضع ساعة منبهة على ركبتيه ، ونام . وبعد عشر دقائق فوجىء ركاب القطار بصوت المنبه المزعج ، فاستيقظ صاحبنا ، وبغير أن ينظر إلى الركاب الدهشين المعجبين ، أوقف الساعة ونهض وتمطى ، والتفت من النافذة : نعم هى محطته — وخرج . (آلان كاين)

جون جارند ، الرجل الكندى الفرانسى المادى الذى صمم البنـدقية التى تستخدمها الجيوش الأمريكية الآن فى كل جبهة من جبهات القتال .



الرّجُل من وَرَاء البُندُقية

جون مكارثن



ملخصة عن مجلة « ذى نيويوركر »

إلى جون جارند يعزى أعظم تقدم فى أسلحة المشاة النارية خلال العقود الأربعة الأخيرة . فقد كانت البندقية الشائعة فى جيش الولايات المتحدة وفيلقها البحرى ، بندقية قديمة الطراز يرفع الجندى يده إلى زنادها كلما أراد طلقة واحدة منها . وهى البندقية المعروفة باسم «اسبرنجفيلد» ، نسبة إلى مدينة اسبرنجفيلد التى تصنع فيها . ثم أخذت الحكومة الأمريكية تستبدل بهذه البندقية بندقية أخرى جديدة تطلق الطلقات من تلقاء نفسها — أى أنها أوتوماتيكية أو تكاد تكون كذلك. وليس لأمة أخرى — فيما نعلم — بندقية تجاريها . فهى تطلق ما يزيد على مائة طلقة فى الدقيقة ، أى خمسة أضعاف ما تطلقه بندقية اسبرنجفيلد . وقد أثنى عليها الجنرال ماك آرثر فقال : إنه لا يفوقها أى نوع من أنواع البنادق فى ساحات القتال .

هذه البندقية هى المعروفة باسم مخترعها « جارند » . ويسميها رجال الجيش فى الولايات المتحدة اختصاراً « م ١ » . ومعنى هذا أنها هى الأولى من نوعها التى حازت القبول . وبهذه الكلمات يصف جارند نفسه بندقيته . وهو إذا سمع أحداً يسميها «جارند» ضاق صدره ، فهو رجل لا يحب المباهاة . فإذا وصف تلك البندقية التى أكسبته هذه الشهرة قال : « إنها بندقية لا بأس بها فيما أظن » .

أما جارند ، فهو المصمم الأول للأسلحة ، والرئيس المساعد للورشة ، بمصنع الأسلحة الحكومى . وهو موظف مدنى بوزارة الحرب ، ويأخذ مرتباً قدره ستة آلاف ريال فى السنة ، وهو أقل كثيراً من مرتب قد تدفعه له شركة سلاح غير حكومية . لكنه يقول إن مرتبه هذا فيه الكفاية ، وأن العمل فى هذا المصنع أحب إليه وأخف

على نفسه ، حتى إنه لن يفكر يوماً ما فى تركه . وكان فى مقدوره أن يطلب لنفسه رسما من المال يدفع له عن كل بندقية تصنع ، وأن يصبح ذا ثراء عظيم ، ولكن وطنيته أبت له ذلك ، فنزل عن كل حقوقه فيها .

وقد تستولى عليه الدهشة حين يرى الناس يعدونه من مشاهير رجالهم ، لذلك يعيش فى فزع دائم من أن يدعى إلى خطبة يلقيها . وازداد إحجامه عن مخاطبة الجمهور، بعد ظهوره مرة فى حفلة للاذاعة سموها «نحن الناس» . فسجلت كلمته التى أذاعها ، فلما سمعها جارند بلغت منه الدهشة ، إذ أدرك أنه يتكلم الإنجليزية بلهجة فرنسية . وما كان له أن يعجب وهو فرنسى كندى لم يتعلم الإنجليزية إلا بعد بلوغه سن الثانية عشرة ، ولكنه كان يحسب دائماً أنه ينطق الإنجليزية كما ينطقها الأمريكى . قال : « تصوروا ! أضعت لغتى الفرنسية ، أو هى فى سبيل الضياع ، ثم استبدلت بها لغة إنجليزية غير سليمة » .

وهو الآن فى سن الخامسة والخمسين ، ولكنه فى مظهره أصبى من سنه . وهو قصير القامة مفتول العضل ، ذو وجه مربع قوى ، وعلى رأسه جمة من الشعر خالطها الشيب ، وهو يتقنع بقناع من اليقظة والتنبه ، يخفى وراءه ما يستبدّ به من شرود الذهن ، فهو يستغرق فى التفكير فى عمله استغراقاً تاماً . فإذا لم يكن مكباً على تصميم مدفع جديد ، فهو مكب يضع خططاً جديدة للاسراع فى إنتاج البنادق ، وقد صمم بنفسه إلى الآن مدفعاً رشاشاً واحداً ، وبندقيتين رشاشتين ، وثلاث بنادق نصف أوتوماتيكية ، وأدخل تحسينات على عشرين آلة على الأقل من آلات صناعة البنادق .

وهو يمتاز بذاكرة غريبة ، فقد يذكر إحصاء أجراه منذ سنوات وهو يضع تصميما لذبابة بندقية يهتدى بها الرامى إلى مرماه ، فى حين أنه ينسى التاريخ الذى اقترح فيه أحد النواب اقتراحاً لم يظفر بالموافقة على أن يمنح جارند ١٠٠٫٠٠٠ من الريالات مكافأة على بندقيته الشهيرة . وهو فخور بما ناله من أوسمة ، ولكنه إذا استعرضها حار بينها . فهو قد يقول لك : « لقد نلت هذا الوسام من جمعية المهندسين بمدينة نيويورك » . ثم يسترجع فيقول : « لا . بل بمدينة شيكاجو . وهى ليست من المهندسين » .

وهو يهجم على المشاكل ، من ميكانيكية وغيرها ، فيباشر حلها على طريقته هو .

من ذلك أنه منذ عشرين سنة استقر رأيه على أن الانزلاق على الجليد رياضة صحية

ينفق فيها ما فضل من نشاطه ، فأخذ يذهب إلى نيويورك فى آخر كل أسبوع ليتعلم فن الانزلاق . ثم أراد أن يتمرن فى داره أثناء الأسبوع ، ولكنه وجد الثلج الذى فى فنائها أقل ملاسة مما ينبغى . فحل هذه المشكلة بأن عمد إلى غرفة الجلوس بمنزله فأقام ، حاجزاً يحيط باثنتى عشرة قدماً مربعــة ، وأجرى عليها الماء حتى غطاها ، ثم ثقب ثقباً فى مدخنــة الحجرة يدخل منه تيار الهواء ، وفتح النوافذ على مصاريعها ، فتجمد الماء وكفل له التيار البارد تجمد الماء فى ملعبه هذا ، فأمضى الشتاء كله ينزلق عليه سعيداً فى عزلته . فلما تزوج فى سنة ١٩٣٠ نجحت زوجته فى إقناعه بأن نقل ملعبــه إلى فنـاء الدار هو الأفضل من جميع الوجــوه .

وقضى جارند أيام طفولتــه ، فى عيش خشن مع أنه وصفها بأنهـا أيام سعيدة ناعمة. وولد فى مزرعة حقيرة بكندا . وأسموه عند ولادته چان جارند . ولكنه غير اسمه الأول ، چان ، حين تجنس بجنسية الولايات المتحدة فجعله « جون » . وكان لوالده من الخلف أحد عشر ولداً ، ولا يعلم أحد — وهو نفسه لا يعلم — كم من إخوته ولد قبله . قال : « لقد ولدت سابعهم أو ثامنهم أو نحو ذلك »

وماتت أمه قبل أن يتم تعليمه الابتدائى فانتقــل رب الأسرة بأولاده إلى مدينــة بإحدى الولايات الأمريكية الشمالية الغربية . وكان من حولهـا مصانع للنسـيج ، فوجد الأطفال فيها عملا . وكان منزل الأسرة على مقربة من ناد للصـيد ، فكان الأعضاء يحفظون بنادقهم فى منزل هذه الأسرة بين الصيد والصيد، فانتفع چون وإخوته بالبنادق فى غيبــة أصحابها أى انتفـاع . ولم يكتفوا باصطياد الطير والحيــوان ، بل تدربوا فى فنـاء دارهم الخلفى على الرماية حتى حـذقوا أصعب ضروبها . فكان الطفـــل يسدد البندقية إلى قروش من بعد عشرين قدماً فيطيرها من فوق إصبع أخيــه . والتحق أحد الأخوة بصالة من صالات الرماية يعمل فيها ، فكثيراً ما كان يذهب جون ليشتغل مساعداً لأخيه . فإذا قل عدد الزبائن ، قام چون يتــدرب على إطلاق النار ، فحـذق الضرب من فوق خاصرته حذقاً كبيرا .

وكان أول عمــل تولاه جارند فى سن الرابعة عشرة ، هو كنس الأرض فى مصنع من مصانع النسيج . ولم يمض زمن طويل حتى استطاع أن يغرى رئيس العمال بأن يعلمه مبادىء الميكانيكا . وبعد قليل رقوه لعمل فى المصنع . فلما بلغ الحادية والعشرين كان قد حذق شيئاً كثيراً من الأعمـال الميكانيكية كالحدادة، وتسنين التروس، وتصميم الآلات. وفى يوم من أيام الآحاد ضبطه حارس المصنع

فى المعمل يتسلى بصناعة أنموذج صغير لساقية، فأخذ عليه استعمال نحاس الشركة فى غير أغراضها . فانتقل جارند إلى عمل آخر فى شركة للحام المعادن بمدينة پروڤيدنس .

وفى هذه المدينة اتصل بجماعة من هواة ركوب الموتوسكلات فأغروه بشراء واحدة منها . فلم يلبث أن قرر أنها بطيئة جداً ، وأخذ يفكر فى تصميم محرك جديد لها . وأعاد بناء دراجته على تصميمه الجديد ، ودخل بها عدة مسابقات . وفى سنة ١٩١٢ كسب تسع عشرة مسابقة من إحدى وعشرين . وكان إذا لم يجد من يسابقه ، يذهب بدراجته إلى الطرق العامة الواسعة ، فيأخذ يجرى فيها ذهاباً وإياباً حتى يصادفه راكب على دراجة سريعة ويسابقه ويعود مغتبطاً فيقول : «كان أحدهم يسرع حتى تزيد سرعته على ٨٥ ميلا . ومع ذلك أسبقه فى الطريق المستقيم . لقد ضايقتهم كثيراً» . ومن يوم أن جرب تجربته هذه بمحركات الاحتراق الداخلى ، أخذ يتحرق إلى تصميم محرك خفيف لسيارة ، وهو يعتزم أن يعود إلى فكرته هذه بعد انتهاء الحرب ، (الحرب العالمية الماضية) .

وفى سنة ١٩١٦ عمل فى شركة لصناعة الآلات بنيويورك ، فعاد إلى تدربه على إطلاق النار فى أنديتها الخاصة فى شارع برود واى الشهير . ولم يكلفه هذا التدرب ثمناً . إذ كان يتفق مع أصحاب تلك الأندية على أن يبدأ بالرماية فى الوقت الذى يخرج فيه الناس من دور السينما . وكان يطلق النار من فوق خاصرته فيحكم رماية الأهداف فتدق الأجراس وبذلك يجتذب إليها الزبائن .

وزاد فى طلب الرياضة فالتحق بالأورطة الأولى للمدفعية يتدرب معها يوماً كل أسبوع . فسمع أن الجيش فى حاجة إلى مدافع رشاشة أفضل مما عنده منها ، فاعتزم أن يصمم مدفعاً للجيش . وتقدم بتصميمه فرفضوه ، ولكن الحكومة مع ذلك عرفته فقدرته فعينته مصمما للمدافع فى المكتب القومى للمعايير . وفى عام ١٩١٩ نقلوه إلى مصنع الأسلحة الحكومى بمدينة اسبرنجفيلد .

وقبل أن يقع على بندقيته الشهيرة م ١ ، كان قد صمم مدفعاً رشاشاً وأربع بندقيات قبلت جميعها . ومن عادة الجيش أن لا يصبر حتى يأتيه اقتراح بتصميم لبنادقه ، بل يضع الفكرة الجديدة ، ثم يعلن أنه فى تاريخ كذا سيقبل بنادق لها مواصفات كذا وكذا ليختبرها . وبعد اختبارها وقبول ما يقبل منها ، يشتد فى مواصفاته ، وهكذا دواليك حتى يحصل على ما يريد . وقد حدث هذا لجارند نفسه ، فهو بدأ يصمم بندقيته قبل قبولها بست عشرة سنة . وفى أثناء

هذا كان الجيش يشتد فى وصفها ، ويجاهد جارند فى تحسينها ، حتى رأى الجيش أنه بلغ منها ما أراد .

والفكرة التى قامت عليها بندقية جارند النصف الأوتوماتيكية ، أن الغاز المنبعث من البـارود المنفجر لا يتمدد فى ماســورة البندقية وراء الرصاصة ليدفعها فحسب ، بل يطرد الخرطوش الفــارغ أيضاً ، ويدفع بخرطوش جديد فى خزانة الإطلاق مكان الذى خرج . وكان جارند أول من نجح فى تطبيق هذه الفكرة على بندقية جيش .

وتحمل بندقية جارند ثمانى خراطيش فى خزانتهـا ، بينما تحمل سابقتها بندقيــة اسبرنجفيلد خمس خراطيش فقط . وهى لا تندفع عند انطلاقها إلى الوراء بمثل القوة التى تندفع بهـا تلك . وهى مركبة من ٧٣ قطعة ، أى أن عدد قطعها أقل ٣٥ قطعة . ويحب جارند دائماً أن يثبت بساطة تركيبها ، فيحلها إلى أجزائها بمفك قطره ثلث بوصة ، يستخدمه وحــده دون حاجة إلى غــيره من الأدوات .

ونال جارند الشهرة ، فـلم تغير من أسـلوب حياته إلا قليلا . فهو لا يزال إلى إلى اليـوم يسكن هو وزوجته وطفلاه فى هـذا البيت المتواضع على طراف مدينــة اسبرنجفيلد وهو نفس البيت الذى كان يسكنه قبل زواجه . ويعنى بتعليم ابنتــه ، وهى فى الحـادية عشرة ، الانزلاق على الجليد . وقد علم ابنه ، وهو فى العاشرة ليكون فى الطبقة الأولى من رماة الأهداف.

ويذهب جارند إلى المصنع فيبلغــه قبل الثامنة صباحاً ، وقل أن يغادره قبل الخامسة مساء . ويعمل معه نفر من ضباط الأسلحة ، فهؤلاء لا يفتأون يظهرون إعجابهم بعلمــه بالهندسة . قال أحدهم : «إن جارند لم يحصل من العلوم الرياضية شيئاً ذا بال ، ومع هذا فهو يجعلنا نحس أننا بالقياس إليه كالأقزام . وقد بلغ من ولعه بالهندسة أنه يكاد لا يقرأ إلا كتب الهندسة » .

ولا يأذن الجيش له فى التحدث عمـا يقوم به من عمل ، ولـكنه لا يحد من غـدوه ورواحه ، فهو حـر يذهب حيثما أراد . وقد يذهب الخيال بأحــد معارفه ، فيزعم أن العدو قد يحاول اختطافه . فيقول جارند : « وأى فائدة تكون لهم منى ؟ إنهم يعلمون عن البندقية « م ١ » كل ما يعلم . وهم لابد لهم من سنتين ليتجهزوا بالآلات التى لابد منها لصناعة أى بندقيــة جديدة أصممها . وإنى لأحسب أننا منتصرون غضون سنتين » .

ميلاد الجواد المجنح

بيريل ماركهام

ملخصة عن كتاب « غرباً مع الليل »

كانت الجياد أحبّ شيء إلى أبى ، وقد ربى منها فى مزرعتنا — فى بلدة نجورو بمستعمرة كينيا — ودرب ، طائفة من أحسن ما نشأ فى أفريقية من خيل السباق. فكان من بينها فرس تدعى « كوكيت » ، وهى فرس حبشية صغيرة صفراء ذهبية ، وشعر معرفتها وذيلها ناصع البياض . وإنى لأذكر هذه الفرس بصفة خاصة لأنها الفرس الأولى التى ولدت لى مهراً .

كنت إذ ذاك فى الخامسة عشرة من عمرى ، وكنا قد أنزينا على « كوكيت » المهر « ريفرى » ، وهو جواد ضامر مطهم رائع ، نبيل الهيأة كأنه بطل مقدام ، أملس المتن كأنه دينار مجلوّ . فلما مضى زهاء أحد عشر شهراً دعوت مساعدىّ تومبو وأوتينو.

فأما تومبو فليس فى العالم ما هو أشد سواداً منه ، ولا ما هو أعظم انتفاخاً واستدارة من بطنه ، ولا ما هو أرحب اتساعاً من ابتسامته . وأما أوتينو فقد كان فتى طويل القامة ، أكحل العينين ، يمكنك الاعتماد عليه اعتمادك على ضوء النهار .

وقلت لهما : «لقد أصبحت « كوكيت » على وشك الوضع ، فيجب أن لا ندعها منذ اليوم تغيب عن أبصارنا » .

كانت « الولادة » و«النجاح» فى رأى تومبو لفظين مترادفين . فانفلاق بيضة الدجاجة عن فرخها ، هو عنده نصر ، ويعدّ مولده هو نفسه ، أعظم نجاح أحرزه فى حياته . فما كاد يسمع كلامى حتى انفرجت شفتاه عن ابتسامة اختفت معها عيناه . أما أوتينو فتقبل الأمر بوقار السامع المطيع . ثم سرت على أثرها إلى الاسطبلات.

آه يا كوكيت ! كيف يبلغ الأمر بمخلوقة مثلك جديرة باسمها الرشيق (غانية) أن

كانت بيريل فى الرابعة من عمرها حين رحلت مع أبيها إلى الضيعة التى اشتراها فى شرق أفريقية وأنشأ يربى جياد السباق ، فقضت أيام طفولتها فى الغابات بين الجياد وبين الصيادين . ثم أصبحت فى الطليعة بين نساء العالم الطيارات ، وكانت أول امرأة عهد اليها فى قيادة طائرة بريد ، كما كانت أول طيار نجح فى أن يجتاز وحده المحيط الأطلسى بطائرة لنقل البريد من إنجلترا إلى أمريكا .

تصبح هكذا شــوهاء كريهة المنظر ؟ لقد كانت من قبل ضامرة رشيقة ذهبية اللون ، فلما أثقلها جنينها الأول صارت الآن قبيحة المنظر مشوهة الهيأة! أما حوافرها البراقة فقد صارت كالرصاص لا بريق لها ، وأما عيناها المتلألئتان المتوقدتان بالذكاء فقد خبا ضوءهما.

وأعد بيت الوضع ، وغطى تراب أرضه بطبقات بعضها فوق بعض من العشب الأخضر الناضر . وجعلت « كوكيت » تنظر إلى وهى داخلة إلى بيت الوضع — لتنتظر وتنتظر . ونحن جميعاً نعرف ما تنتظره ، ولكنها هى لم تكن تعرف ، وما كان فى طاقة أحدنا أن يخبرها . وبعد هنيهة غادرت المكان تاركة تومبو وأوتينو ليتعاقبا على ملاحظتها .

ومضت تسعة عشر يوماً طوالا ، وفى مساء اليوم العشرين أتممت جولتى فى الاسطبلات حتى انتهيت كالعادة إلى بيت الوضع . وكان هناك أوتينو اليقظ الساهر ، وتومبو الأكرش البطين . وكان المصباح مضاء ، ووقفت « كوكيت » مثقلة تحت أشعته اللطيفة ، ولم يفرغ بعد ما قدم إليها من علف المساء . ثم ها هى تحنى رأسها العريق الأنيق ، كأنما هو حمل كريه ثقيل . ووضعت رأسى على بطنها الأملس الدافىء ، حيث يدب دبيب الحياة الجديدة ، فسمعت دبيب الجنين وأحسست به وهو يناضل فى سبيل حقه من الحرية والنماء .

فقلت : «راقباها بدقة وحذر ، فقد دنا نتاجها » . وقال تومبو ، وقد أفعم وجهه الضخم بأمارات التلهف: «هذه ليلة سعيدة»

وقفلت راجعة إلى كوخى ، ولم ألبث أن طرق أوتينو الباب وهتف : « عجلى بالحضور ، إنها تضع » .

فسارعت إلى جمع أدوات التوليد من سكاكين وحبال ودواء مطهر ، وانطلقت أعدو إلى الاسطبل . فوجدت « كوكيت» مضطجعة على جنبها ، تتنفس وهى ترتجف ارتجافة المتشنج . وليس من دأب الخيل أن تخفت أصواتها حين يعتريها الألم ، أما « كوكيت» فقد كانت أناتها عميقة مجهدة مذعورة ، ولكنها لم تكن عنيفة ولا صارخة . وجثوت على فراش العشب ، ومسحت على أذنيها الناعمتين ، فإذا هما مسترخيتان نديتان ، ولكن حرارة الفرس كانت طبيعية — إنها تعانى آلام المخاض وهى تحدق ذاهلة بعينين شاخصتين .

لم يكن قد آن الأوان بعد ، فجلسنا ثلاثتنا القرفصاء نتحدث عن أشياء أخرى حديثاً هادئاً بعض الهدوء ، بينما كانت ذبالة المصباح ترسم صوراً عجيبة على الجدار .

وكان مخاض « كوكيت » يعلو ويهبط

تبعاً لمد الآلام وجزرها ، فكانت هناك لحظات من هدوء تتبعها دقائق من ألم ممض ، كنا نحسها جميعاً ، ولكننا كنا نتكلم لنكتم ما نحس . وعلى حين فجأة أنت « كوكيت » أنيناً منتزعاً من أعماق رحمها ، وجعلت ترتجف . عندئذ سارع أوتينو إلى المصباح فأدار مفتاحه ، بأصابعه السود ليضاعف ضوءه .

« الآن » . هكذا كانت « كوكيت » تقول بعينيها وهمهمتها ، الآن : « وربما هذه اللحظة ! » .

وأجثو أنا على ركبتى لأظفر باللمحة الأولى إلى حوافر المهر الوليد ، وأتبين الثوب الذى يرتديه احتفاء بأول ظهوره على مسرح الحياة « ها هو يظهر » . ونتعاون « كوكيت » وأنا ، على إتمام مهمتنا ، وأوتينو عن يمينى وتومبو عن يسارى ، لم ينبس أحدنا ببنت شفة إذ لم يكن هناك ما يمكن أن نقوله .

بيد أنه كانت ثمة أشياء تثير العجب ، ترى أيكون ذكراً أم أنثى ؟ هل يجئ سليم الجسم جميل الشكل ؟ أيقوى قلبه الناشئ على فصم الحبال التى لا تنفصم إلا متلكئة ؟ أتراه يحسن التنفس عند ما تدعوه الحاجة إلى التنفس ؟ أيكون فى قدرته أن يثور حتى يستطيع أن يأكل ، وأن ينمو ، وأن يطلب ما يحتاج إليه ؟

وأخيراً .. ها أنذا أضع يدى على الأرجل الصغيرة ، وعلى الكيس الذى يضمها ، وهو كيس متين شفاف مصقول . وقد استطعت أن أرى من خلاله حوافر الوليد الصغيرة الدقيقة الدبية الطرية الغضة كالحبة النابتة فى سنابلها .

وبدأت فى رفق ، ولكن فى قوة وثبات ، أستل الحياة الجديدة التى جعلت تبدو رويداً رويداً على ضوء المصباح ، بينما جعلت الفرس تبذل كل ما تستطيعه من جهد للخلاص مما تعانيه . وكلما برز الوليد قليلا جددت القبض عليه بيد بعد يد ، وأنا أترقب دفع عضلاتها التى تعيننى على انزلاق الجنين ، فظهر الأنف ثم الرأس ، وأخيراً أتملص المولود نفسه بين ذراعى . ثم أعقب ذلك صمت حاد ، كذلك الصمت الذى يعقب فرقعة السوط . وكان قصيراً مثله .

وهتف تومبو : « مبروك » . وتصبب العرق من أوتينو يجرى من تحت عينيه ، ونفثت « كوكيت » آخر أنة .

وبادرت من فورى إلى تمزيق الكيس اللامع ليتمتع الرأس الصغير المائل بكامل حريته ، فسرعان ما تحركت خياشيمه لأول نسمة من الهواء . ثم ملصت فى حذر بقية الكيس وألقيته جانباً ، ثم عقدت حبل السرة ثم قطعته ، وامتزجت الحياة القديمة فى الفرس والحياة الجديدة فى وليدها ، فى

ســيل من الدم المتدفق . فلما عــدت إلى الجرح أغسله بالمطهر تبينت أنه مهر ، وأنه يجيش بأمواج الحياة .

وبدأت « كوكيت » تتحرك . لقــد أدركت الآن ما معنى « ولادة » ، فبات فى فى مقدورها التصرف فيما أدركته . وترنحت حتى استوت واقفة بلا رشاقة ولا توازن ، ثم صهلت مرة واحدة كأنما تقول : « وإذن فهذا هو ولدى ! هـذا إذاً هو الذى كنت أحمله ! » ، بينما تعاونا نحن على تنشيف الوليد.

فلمـا انتهينا من ذلك أدرت وجهى مبتسمة إلى أوتينــو ، وإذا بى أرى أبى واقفاً إلى جانبى ، وعليه سيماء الرجل الذى شهد أكثر مما قد يخطر بالبـال . إنه شهد كثيراً من أمثاله مراراً لا يكاد يذكر عددها ، ومع ذلك كان فى عينيه بريق ينم عن شدة الاهتمام .

وقال : « ما أحسن ما قمت به يا بنيتى ! وما أحسن هذا المهر ! ولست أدرى الآن أأكافئك أنت أم أكافئ « كوكيت » ، أم أكافئكما معاً ؟ » وغمغم تومبــو ، ونكت أوتينو الأرض بأصابع قدميــه ، ووضعت ذراعى فى ذراع أبى ، ورحنا نصوب النظر إلى هذه الكتلة الصغيرة الثائرة ، التى تناضل فى سبيل الوقوف على أقدامها .

وقال أبى : « أعط ما لقيصر لقيصر ، إنك أنت التى أخرجته إلى الحيـاة ، فهو ملك خالص لك أنت » .

كنت قد قضيت ســنين طوالا أشرف على خيل أبى وأقوم على غذائها ، وأمتطيها ، وأسوسها وأحبهـا ، دون أن أملك جواداً منها ، فها أنا ذا اليوم أصبح بكلمة من أبى مالكة لمهر هو مهرى أنا . صار مهرى فلن يستطيع أحد غيرى أن يمسه ، أو يركبه ، أو يطعمه ، أو يقوم على تنشئه .

ولست أذكر الآن ، أشكرت لأبى هديته ؟ وأحسبنى فعلت على قدر ما يفى به الكلام . بيد أنى أذكر أنى انطلقت أمشى خلف الاسطبلات ، بعد أن فرغ من تنظيف بيت الولادة ، وبعد أن خفض ضوء المصباح ، وقد بقى أوتينو ليتعهد المهر الوليد .

وظللت أفكر فى المهر الجديد ، وفى الاسم الذى أطلقه عليه . ومن من النـاس لا يرفع بصره وهو يبحث عن اسم جديد . فإذا رفع بصره ، فماذا يرى هنالك غــير السماء . فإذا مارآها ، فكيف يمكن أن يخطر له اسم أو يطيف به أمــل من الأرض أو ما يتعلق بهـا ؟

أكان فيما مضى جواد يدعى « بيجاسوس » ، وقد سبح فى الجو طائراً ؟ أكان فيما مضى جواد « ذو أجنحة » ؟ نعم ، لقد كان — كان مرة ، وهو بعيد ، وها هو ذا يعود !

الطبيبُ الأشعث

تشانج يونك

مجلة « ستردى رڤيو » الأدبية

كان هـــذا أول صيف يقضيانه فى « نيو إنجلند ». وكان هو وزوجته يدرجان فى سيارتهما ، يسلكان طريقاً لا عهد لهما به ليصلا فى الموعد إلى حيث دعيا للغداء . ولقد ضلا الطريق مرتين ، فهما الآن متأخران ، ومن أجل هـــذا أرسل السيارة على أقصى سرعتها . ومع ذلك فقد لمحت عينه ووعت ذا كرته ، على سبيل العلامة للطريق الذى يسلكه ، منزلا واسعاً فى حالة سيئة ، وعليه لوحة تعلن عن الطبيب الذى يسكنه .

وعلى بعد نصف ميل من هذا المنزل ، اختلت عجلة القيادة ، فاصطدمت السيارة بشجرة وتحطمت ، ولم يصب الرجل بسوء . فبادر إلى حمل زوجته مرن بين حطام السيارة ، فألفاها مغشياً عليها وقد أصيبت إصابة بالغة . وكان الطريق مقفراً ، ولم تقع عين الزوج على سيارة أخرى ، ورأى منازل قليلة . وتذكر الرجل فى يأسه لوحة الطبيب التى اجتاز بها على بعد نصف ميل ، فضم ذلك الجسد الخفيف المسترخى بين ذراعيه ، وجعل يمشى تارة ، ويعدو تارة أخرى ، راجعاً أدراجه إلى حيث البيت المتداعى حتى بلغه ، فشدحبل الجرس ، ففتح الباب رجل طويل القامة ، نحيف الجسم ، أشيب الشعر ، رث الهيأة ، يزعم أنه هو الطبيب ، ولم يكن فى البيت غيره .

وتعاون الرجلان على حمـل المرأة إلى حجرة متربة مبعثرة الأثاث ، هى حجرة الـكشف الطى ، وأضجعاها على منضدة العمليات وهى لم تثب بعد إلى وعيها ، وأقبل الطبيب على فحصها بحذق ظاهر ، وقرر أن بالجمجمة كسراً ، وأن الأمل الوحيد فى إنقاذ حياتها ، وهو مع ذلك أمل ضعيف ، هو فى إجراء عملية على الفور . ونظر الزوج إلى ما عليه القنانى والأدوات من الفوضى التى تدل على طول العهد بإهمالها ، فتردد ، ولـكن لم يكن له من ذلك بد .

وقال الطبيب : « ستكون أنت المساعد القائم على التخدير ، فليس من أحـد هنا غيرك » . فأطاع الرجل ، وإن كان مريضاً مضطرباً منهوك القوى ، ولـكنه حين تم تخـدير امرأته كان قد بلغ به الإعياء ، وأوشك على السقوط ، حتى إن الطبيب الجراح نصحه قائلا والمبضـع فى يده : « يحسن بك الانتظار فى خارج الحجرة ، فأنا أستطيع الآن المضى فى العمل وحدى » .

وأخذ الزوج يذرع الدهليز جيئة وذهابا ويتطلع فى الظلام بين الحين والحين إلى الحجرة المضاءة ، فيسمع وقع خطوات ، ويسمره فى مكانه رؤية رجال ثلاثة ، كان اثنان منهم يحملان سلاحاً وفى يد ثالثهم حبل ، وهم يدبون دبيباً نحو الباب . فتقدم إليهم ضارعاً : «ناشدتكم الله أن تنتظروا ».

ذلك أن جمجمة زوجته كانت مفتوحة تحت يد الجراح ، وفى تأخير العمل قضاء عليها لا محالة .

فهمس إليه أحدهم متسائلا : «من تظننا يا رجل ؟ » .

قال : « لصوص ! » .

فأجابه : « كلا ، نحن خدم فى مستشفى المجانين المجاور لهذا المكان ، والرجل الذى يجرى العملية لزوجتك مجنون خطر ، وقد هرب من البيمارستان منذ ساعتين فقط ».

وتهامس الثلاثة فيما بينهم على الانتظار إلى نهاية العملية . وعلم الزوج منهم أن المجنون كان من أشهر الجراحين ، ثم ظهرت غرابة فى أطواره واشتدت عليه أخيراً ، وبدا منه العنف ، وكان قد قدم منذ عدة سنوات من إحدى المدن الكبيرة ، فاشترى هذا البيت وأثثه ، وزاول فيه صناعته ، إلى أن جنّ وأصبح حبسه أمراً ضرورياً.

ثم قال كبير الحراس : « وقد عاد الرجل إلى هذا البيت بحكم العادة . وقد ينجح فى العملية بحكم العادة أيضاً ، وليس لنا أن نختار ، فلو قطعنا عليه العمل الآن، ففى ذلك الهلاك المحقق لزوجتك » .

وجعل الرجال يحدّقون من خلال النوافذ . فلما رأوا أن العملية قد تمت ، انقضوا على المجنون ، فجعل يقاوم ويصيح حتى تغلبوا عليه وانصرفوا به . ووعد كبير الحراس أن يعود بعد هنيهة ومعه بعض الأطباء والممرضات . وقد بر بوعده .

واستردت الزوجة بعض العافية ، بحيث أمكن نقلها إلى نيويورك ، وظلت فى أحد المستشفيات تحت عناية طبيب من أعلام الطب . ففحص الطبيب الجمجمة المكسورة فى دقة وعناية وقال للزوج : « إن زوجتك ستبرأ ، وتعود إلى حالتها الطبيعية تماماً . ولكن فى الأمر شيئاً لا أفهمه . فما أعرف لإنقاذ المصابين بهذه الإصابة إلا عملية واحدة ، وإلا جراحاً واحداً ، هو وحده الذى أدرك النجاح فى هذه العملية ولكن هذا كله لا يجلو من الأمر شيئاً ، لأن هذا الجراح نفسه قد جنّ منذ سنوات وهو الآن محبوس فى أحد البيمارستانات فى ناحية ما ، « بنيو إنجلند » .

إن البرودة تبطىء الأفعال الحيوية فى الأجسام .
فهي لهذا سلاح جديد لدفع الألم والصدمة

الجراحة - فى عصر التبريد

باركلى مورت نيومان

ملخصة عن مجلة « هايجيا »

أصبح البرد اليوم — وهو عدو الإنسان القديم — أداة العلم الأولى فى عدد من الأساليب الفنية العجيبة الجديدة ، من بينها فن الجراحة فى إجراء العمليات بغير صدمة أو مخدر أو ألم . وقد وصفت إحدى المجلات الطبية البرد بأنه : « ميدان من أخصب الميادين التى تهيأت للطب الحديث » .

ولو لم يستعن الأطباء بالثلج ، لما عاش على الأرجح جيمس . و . وكان فى الثالثة والثمانين من عمره ، وكانت دورة دمه بطيئة ، فاصطدمت أصبع قدمه صدمة آذته ، ومشت فيه الأكلة (الغنغرينة) حتى اسودّ . فقرر أطباء مستشفى مدينة نيويورك أن لابد من أن تبتر قدمه . وكان من حسن حظه أن يكون فى هذه المستشفى الدكتور لميان ويكس كرسمان وأعوان له ، ابتكروا — لمثل هذه الحالات — طريقة فى الجراحة ، بالثلج ، دون صدمة . فشدوا على ساقه رباطاً يمنع جريان الدم ، وجعلوها فى ثلج مجروش ساعة من الزمان . ثم سدوا أذنيه بالقطن وحجبوا وجهه ، حتى لايرى شيئاً ولا يسمع ، عند بتر قدمه . لم يخدروه ، فإن خدر الثلج كان كافياً . وكان مطمئن النفس أثناء العملية ، ولم يلبث بعدها أن أكل غداءه بشهية . وكذلك لم يشعر بالغثيان . وأهم من ذلك كله أنه لم تلحقه صدمة العملية . وكان الشفاء طبيعياً سريعاً .

وقد استدعى الدكتور روبرت ماكلفيني إلى « أوك بارك » بأيلنوى ، ليسعف رجلا بتر القطار ساقه عند الركبة ، فوجده فى حالة صدمة شديدة ، وأن دمه كاد يستنزف . وبالرغم من نقل الدم إليه مرات ، وإعطائه عقار السلفانيلاميد ، فإن كثرة الأقذار التى خالطت الجزء المتهتك من الساق ، أدت إلى تقيح الجرح فى ٢٤ ساعة . ثم أصابته ذات الرئة (الالتهاب الرئوى) حتى أصبح المسكين فى حاجة إلى من يدفنه لا إلى من يعالجه .

فجعل الدكتور ماكلفيني لحم الساق المتهتك فى الثلج ، فانقطع الألم فى ساعة واحدة ، ولم يلبث أن انقطع سيلان

الصديد الكريه الرائحة ، وأفاق الرجل من هذيانه ، وعاد ضغط دمه إلى طبيعته . وبعد ثلاثة أيام أمكن إجراء عملية لقص زوائد الجرح وتضميده ، وبعـد خمسة أيام كان الرجل جالساً فى فراشه يدخن .

وقد أصبح التخدير بالتبريد إجراء عادياً للبتر فى حالة الأكلة (الغنغرينة) الناشـئة عن مرض السكر . وحيث أن أكثر الذين يقعون فريسة لهذا المرض هم من كبار السن ، فإنهم لا يصلحون للمخاطرة بإجراء العمليات الجراحية لهم . ولـكن الدكتور هارى موك الطبيب بشيكاجو يقول : إن معدل الوفيات التى تحدث عقب عمليات البتر فى الحالات الشديدة ، قد نقص نقصاً ظاهراً باتخاذ « طريقة التبريد » . ويرجع السبب فيما للثلج من تأثير ناجع إلى أن البرد يبطىء حركة الحياة فى الجسم . (فإن الرجل الذى يبرد جسمه بطريقة صناعية ، يستغرق نمو شعر لحيته أربعة أيام ليبلغ من الطول ما يبلغه ، فى ٢٤ ساعة شـعر لحية تنمو فى درجة حرارة عادية) . وأحـد الأخطار الرئيسية فى كل عملية من العمليات الجراحية هو الصـدمة التى تنشأ من السموم التى يفرزها الجسم نفسه . ولـكن حين يبرد جزء من الجسم تبريداً تاماً يقل ما يفرزه من هذه المواد السامة . وكذلك يمنع البرد انتشار البكتريا فى الجرح الملوث .

وكما عثر فى تاريخ الطب على طرق طبية جديدة ، فقد عثر على طريقة التبريد مرات عديدة فيما مضى . فقد لاحظ أحد جراحى نابليون — وهو يتقهقر عن موسكو — أن البرد القارس جعل البتر يتم بغـير ألم تقريباً . وبعـد جيل لقى طبيب انجليزى — هو الدكتور جيمس أرنوت — من النجاح فى الاسـتعانة بالبرد على التخدير ، ما حمله على تأليف كتاب يشيد فيه « بالمزايا الطبية للبرد الذى يفقد الحس » .

وفى سنة ١٩٣٨ شعر الدكتور تمبل‌فاى ، بجامعة تمبل ، بفلادلفيا ، أن محاولاته لإبطاء نمو خـلايا السرطان ، بالتبريد الموضعى ، كانت تبشر بالنجاح تبشيراً يجيز تجربة تبريد الجسم كله . ولـكنها قد تـكون بالغة الخطر ، فلذلك كان من عالجهم — بهذه الطريقة — من المتطوعين الذين قضى عليهم أن يموتوا بالسرطان فى أشهر معدودة .

وقد وضع أحد هؤلاء الأبطال المجهولين فى ثلج مجروش إلى ذقنه ، فانخفضت حرارته بسرعة إلى ٣٢ ½ درجة مئوية ، ولبث فيه ١٨ ساعة . وقد ضاق المريض بهذا العلاج فى مرحلته الأولى حين أخـذته قشعريرة شـديدة ، ولـكنه لم يشـعر بألم . وقـد بقى متطوع آخر فى هـــذه الدرجة من

الحرارة أربعة أيام . وبتحسين تدريجى فى طريقة التبريد، خفضت درجة حرارة غيرهم من المتطوعين إلى أقل من ذلك . وكان يبدو أن بعضاً منهم قد تخلص من آلامه مدى أسابيع أو أشهر . ولكن هذه الطريقة خابت فى علاج السرطان .

وقد لاحظ الدكتور فريدريك ألن بنيويورك — حينئذ — فى مئات من التجارب التى كان يجريها فى المعمل على الحيوانات ، أن إرخاء رباط حبس الدم — الذى شد على العضو طويلا — يطلق السموم التى تنساب فتحدث الصدمة والموت . وقد شد الدكتور ألن رباطاً على رجل فأر خلفية وبرّدها حتى كادت تتجمد ، فوجد أن الرباط يمكن أن يترك مشدوداً على الرجل المبردة التى انقطع فيها سريان الدم ، مدة تعادل عشرة أمثال المدة التى يمكن أن يترك فيها وهو فى درجة الحرارة الطبيعية ، دون أن يحدث ذلك أذى للفأر . وقد كانت التجارب الأخرى التى أجراها الدكتور ألن ، هى التى ساقت الدكتور كروسمان وأعوانه — فى النهاية — إلى شق طريق جديد فى هذه العمليات بمستشفى المدينة فى نيويورك .

ويمكن تخدير الأسماك والضفادع والثعابين مدة كافية لإجراء عملية ، بمجرد وضعها فى ثلج مجروش ١٥ دقيقة .

وحين استعمل الدكتور كارول بفيفر فى معامل الحيوان بجامعة ولاية أيوا ، الأثير فى تقل الغدد التناسلية للفئران الوليدة ، مات ثلاثة من كل أربعة منها . ثم وضع الفئران الصغيرة فى صحن زجاجى ، وأودعها ثلاجة كهربائية ، فلم تلبث الفئران أن فقدت شعورها ، وأجرى عليها العمليات دون أى عناء . وبعد بقائها مدة قصيرة فى مكان دافئ ، أفاق منها ٩٤ فى المائة ، ودب فيها النشاط كما كانت من قبل .

إن الجراحة والتخدير بالتبريد من أحدث الأساليب ، حتى أننا لا نعرف بعد ، هل يمكن الاستفادة منها فى زمن الحرب . ولكن يبدو لنا أن هناك أمراً واحداً لا ريب فيه : وهو أن استعمال الحرارة فى حالات الصدمة — ومعظم جراح الحرب مما يحدث الصدمة — خطأ لا يصح الوقوع فيه . وقالت مجلة الجمعية الطبية الأمريكية : « إن التدفئة من الخارج تجعل المصاب بالصدمة يبدوا أحسن حالا ، ولكنها قد تضعف احتمال شفائه » .

وقد عنى الأطباء الإنجليز بدراسة استخدام الثلج لمن يصاب من المدنيين فى الغارات . فإن كثيراً ممن حصروا تحت الأنقاض ، فى الغارات الشديدة على لندن ، أخرجوا من تحتها لم يمسسهم أذى على مايظهر ،

ولكنهم كانوا يموتون بلا سبب واضح بعد خروجهم بساعات . والمعتقد أن السموم المختزنة فى العضو الذى يقع عليه الضغط ، يمكن أن تجلب صدمة قاتلة ، إذا ما رفع الضغط عنها دفعة واحدة . وقد ذكرت مجلة « لانست » الطبية ، أن علاج مثل هذه الحالات ، قد يكون باتخاذ طريقة التبريد أو شد الرباط الحابس للدم ، ولو لم يكن هناك جرح أو نزيف ، حتى تسرى السموم المختزنة فى العضو المصاب ، إلى سائر الجسم تدريجياً لا دفعة واحدة .

وفى أوائل عام ١٩٤١ أغرقت مدرعة بريطانية شهيرة تجاه ساحل النرويج ولبث الناجون أياماً ، على حافة طوف النجاة ، وقد لبد بعضهم فى بعض ، وأقدامهم مدلاة فى الماء الشديد البرودة . فلما استنقذتهم أخيراً سفن الصيد ، نقلوا على جناح السرعة إلى جوف السفينة ، حيث أدفئت أرجلهم المتورمة المتخدرة على مقربة من موقد السفينة . فكانت هذه الشفقة الخاطئة بلاء شديداً عليهم ، فقد أصابت الأكلة (الغنغرينة) بعض البحارة ، ولم تنقذ حياتهم إلا عملية البتر . أما من كان أسعد حظاً منهم فقد لزم فراشه فى المستشفى زمناً طويلا .

وقد قام حديثاً ثلاثة من الأطباء الضباط بالبحرية الكندية الملكية — هم الجراحون وبستر ، وولهاوس ، وجنستون — بدراسة الطريقة المثلى لعلاج الأقدام المتخدرة بالبرد . فوجدوا أن القدم إذا جمدها البرد أياماً ، فأدفئت دفعة واحدة ، استيقظت خلاياها السطحية المتخدرة ، وقد اشتد نهمها إلى الأكسجين الذى يحمله الدم . ولكن لا يمكنها أن تناله ، لأن الأوعية الصغيرة التى آذاها البرد ليست قادرة على أن تتقبل الدم العائد إليها ليسرى فيها . وتكون النتيجة حدوث التهاب ، ونفط ، وآلام شديدة الوخز .

وإن علم الطب ليعرف الآن ماذا يصنع برجل أصيب بتخدر القدم الناشئ عن البرد إذا استنفذ من قارب النجاة وهو : أن يحمل إلى الفراش ، وأن يدفأ جسمه ، على أن تبرد قدماه بأكياس الثلج أحياناً ، وبهواء المروحة الكهربائية أحياناً أخرى ، أياماً وأسابيع . وإن هذه الطريقة الجديدة ، إذا ذاع فهمها وطبقت ، فهى خليقة أن تمنع كثيراً من مآسى البحار فى زمن الحرب .

* * * * *

إن رجلا شجاعاً واحداً ، أكثرية ! (آندرو جاكسون)

فى مقصف الممثلين للجنود

ديانا كلارك

ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

« يا للسعادة ! لقد تمنيت دائماً لقاء لوريتا يونج ! » ، بهذا هتف بحار شاب جاحظ العينين ، وهو جالس إلى جوار كوكب السينما الفاتنة فى مقصف الممثلين للجنود ، وأردف : «على أن أمنيتى اقتضت قيام حرب ثانية حتى تصير ممكنة » .

وقد « أصبح ممكناً » أيضاً الإفادة من خدمات عدد لا يحصى من المشاهير فى هذه المقاصف ، أمثال بوريس كارلوف ، وكارى جرانت ، وبنج كروسبى ، وأدولف منجو ، ويهودى منوهين ، ومسز روزفلت . وتبرعت ريتا هايورث ، كوكب السينما المعروفة ، بقبلة لكل جندى وافق عيد ميلاده يوم ظهورها بالمقصف ، فتذكر الحاضرون عن آخرهم أن ذلك اليوم يوم ميلادهم ! ووقعت دوقة وندسور باسمها « واليس وندسور » على مئات من كراسات جمع التوقيعات التى يحتفظ بها الجنود . وقدمت إلى الحاضرين : هدّا هومر «فاتنة الحرب العالمية الماضية » فداعبتهم بقولها : « إن ما أعجب به آباؤكم يوماً ما ، يجب أن يكون مثار إعجابكم أيضاً » . وأثار السير سدريك هاردويك ضحك الحاضرين حين روى لهم : أن صديقاً له رآه فى بزته العسكرية لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى ، فنظر إليه نظرة وصاح : « يا للداهية ، لقد خسرنا الحرب » .

واعتلى هنرى والاس ، نائب رئيس الجمهورية الأمريكية ، خشبة المسرح بمقصف وشنطن ، وركز قدميه فى قوة عليه ، وصاح فى الجنود المتطلعين إليه متحدياً : « إنى على استعداد لمصارعة أى رجل منكم والتغلب عليه » . فقبل التحدى جندى خشن شديد المراس ، يزن ثمانين ومائة رطلا ، ولم تكد تتشابك أيديهما حتى كان الجندى ملقى على ظهره ، (ولا عجب فإن لزراع أيوا أرساغاً من حديدلطول مرانتهم على تقشير الذرة) .

إن هذا النوع من الترفيه عن الجنود لا يستطيع مخرج ما أن يتقدم به على قاعدة تجارية بأقل من رأس مال فى مثل ضخامة الدين الأهلى، ولكنه شيء عادى فى مقاصف المثلين للجنود . فإن المتطوعين للعمل بها ، ممن يقومون بالأدوار المختلفة ، تطيب نفوسهم بالإقبال على عملهم ، ويقدر الجند صنيعهم هذا ، ويشكرونهم من صميم قلوبهم.

يخدم الجنود فى هذه المقاصف — التى تديرها جمعية المسرح الأمريكى — رجال ونساء متطوعون ، ممن يعجز أى أمير بحر أو قائد عن الحصول على خدماتهم بأى أجر كان . فإن الجندى العادى ليجلس إلى مائدة قد يكون « جيمى دورانت » هو الذى قام بإعدادها ، ويتناول شطائر وقهوة أعدتها « إينـا كلير » . ويرى بعينى رأسـه « فردريك مارش » يرفع من أمامه الصحاف الفارغة،ويتولى تسليته«دناشور» و « دانى كاى » و « فانى برايس » ، ويراقص أجمل الفتيات ، كل ذلك دون أن يدفع مليما واحداً .

وليس هناك شك فى نوع التسلية الذى يجتذب الجنود أكثر من غيره . فقد سألت مرة مسز « لزلى ما كنير » زوجة القـائد الأمريكى ، بحاراً قـديماً ، لوحت وجهـه الرياح ، وهى ترحب بمقدمـه إلى مقصف وشنطن ، عن أحب شىء إلى نفسـه ، فابتسم وقال : «النساء ! فهاتوا النساء !»ـ

وكان البحار يشير إلى فتيات المقصف ، وهن أربعة آلاف فتاة اخترن اختياراً دقيقاً ليمثلن طبقات البـلاد بأسرها . فقـد يتاح لجندى فى إحدى الليالى أن يراقص ممثلة ، أو ابنة أمير بحر ، أو كاتبة على الآلة ، أو أنموذج مصور ، أو عاملة من العاملات .

وتنتخب الفتيات على أساس الشخصية ، والظرف ، واللباقة . ونسبة الجمال بينهن ، فى رأى أحد الطيارين ، نسبة « تعلو إلى السماك » . وقد أشار عامل لاسلكى بالبحرية إلى هذا بقوله : « إنى لأذهب إلى المقصف وأنا على يقين بأنى سألقى غانية جميلة وعيناى مغمضتان » .

وتقوم كل فتاة منهن بالخـدمة ليلة فى الأسبوع لفترات ، مدة كل منهـا ثلاث ساعات ، ترقص فى خلالها مسافة تقرب من أربعة أميال . وقد يبلغ عدد من تراقصهم حوالى مائة فى الليلة الواحـدة . وتزخر المقاصف بالجند إلى حد الازدحام ، حتى أنه ليقتضيك أن تـكون ذا مرانة كمرانة جنود « الـكوماندو » لتبلغ حلبة الرقص . وقد راقص بحار ممثلة فتية ، وطلب إليهـا حين سكتت الموسـيقى أن لا تتركه ، وأضاف : « لقد فعلت العجب العجاب بروحى المعنوية ،

حتى إنى لأشعر أنك قد قصرت أمد الحرب فعلا سنتين على الأقل » .

ومن القواعد الدقيقة المتبعة فى المقصف أنه يحظر على الفتيات إعطاء الجنود أرقام تلفوناتهن ، ومع ذلك فإن الفتيان والفتيات يجتمعون معاً فى الخارج . ولكل مقصف قصص طريفة من الحب تنتهى بالزواج .

وليس من الضرورى أن تمثل على المسرح بعض تلك الأدوار التى يخصها رواد المقصف من الجنود بالإعجاب، بل إنه لا يسعهم إلا أن يشعروا بما لهم من منزلة إذا ما رأوا، مثلا ، بول ما كنط ، المهيمن الأكبر على تدبير الرجال للجيش والأعمال الحربية ، يغسل صحاف طعامهم ، او إذا شاهدوا « ألفرد لنت » يفرغ صناديق الفضلات .

وينتهى المطاف بجميع الجنود إلى مقصف الممثلين ، فيلتقى ، على غير موعد ، أصحاب قدماء لم يلتقوا منذ أيام الدراسة . وقد حدث ذات مرة ، بينا كان جندى شاب يتجاذب أطراف الحديث هو ومضيفته ، إذ زفر زفرة شديدة ، وأشار بيده خلفها ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، فقد رأى شقيقه أمامه ، وهو من جنود البحرية الذين نشرت أسماؤهم ضمن المفقودين فى موقعة وقعت منذ سنة مضت .

ويمنح مقصف فيلادلفيا جائزة فريدة فى بابها ، ففى نهاية كل أسبوع يمنح تذاكر تتيح للفائز بها حق المحادثة بالتليفون بغير أجر مع أية جهة فى الولايات المتحدة . وتساهم شركة التلفونات فى ذلك العمل .

وقد نال أحد الجنود حق الحديث بالتلفون يوم نشر اسم شقيقه فى كشف الذين قتلوا فى إحدى المعارك ، فخفف صوت أحد الأبناء من وقع البرقية الرسمية التى تلقتها الأم قبل ذلك بقليل . ولعل أقصر محادثة فى تاريخ هذه المحادثات هى تلك التى طلب فيها أحد الجنود الاتصال بمزرعة مواش بكولورادو : « هالو يا أماه ! أنا ويلى » ، وكان الجواب الذى حملته الأسلاك هو صوت وقوع الأم مغشياً عليها .

وتجمع نفقات هذه المقاصف من هبات الذين أجابوا داعى الوطن للترفية عن الذائدين عنه من أبنائه . وقد تبرع أحد الواهبين بوشنطن بستمائة ريال كل ليلة ، للترحيب بألفين من الجنود الذين يرتادون المقصف. ويدفع آخرون مائة ريال فى مقابل الجلوس إلى مائدة خاصة . ويتبارى الناس فى كل مدينة فى مساعدة المقاصف بما يقدمونه إليها من معدات وأدوات وطعام .

وهذه المقاصف ، أتراها ترد الجند إلى جبهة القتال فى حالة أحسن وروح أشد وأقوى ؟ وهل أوجدت جمعية المسرح

الأمريكي مايسوّغ إنشاءها مقاصف جديدة في أمريكا أو في بلاد نائية ؟

إن رسائل المجندين تنبئك بالخبر اليقين. فقد كتب جندي أمريكي من الذاهبين إلى ما وراء البحار يقول : « ليتكم كنتم تعلمون ما يغمرنا من غبطة وسرور ، حين نرتاد المقصف بدلا من السير على غير هدى في الطرقات الموحشة المظلمة لتمضية الساعات القليلة الباقية قبل مفارقة الوطن » . وكتب آخر يقول : « إن المقصف عندي كالبيت تماماً ، مع فارق واحد هو : أنك لا تطوي الطنافس بنفسك عند ما تريد الرقص » .

وكتب بحار : « من قال إن الحرب جحيم على الأرض، لم ير أبداً مقصف المثلين » .

وقد وجه أحد قدامى البحارة — ممن أمضــوا ست عشرة ســنة في البحرية الأمريكية — السؤال الآتي إلى مقصف فيلادلفيا : « أيتيح لي القانون ما عزمت عليـه من تغيير صك التأمين على حياتي ، بحيث يصبح المقصف هو وارثي ؟ » .

وانتحى جنــدي من السود إلى مائدة بمقصف نيويورك ، وقد فرغت صحفـــة طعـامه ، وانتهى من شرب قدح من اللبن ، فسألته « جين كاول » إحـــدى المضيفات : « هل ثمــة شيء آخر أستطيع تقديمه إليك ؟ هل لك في شطيرة أخرى أو قدح من القهوة ؟ »

فلم ينطق الجندي ، بل هز رأسه .

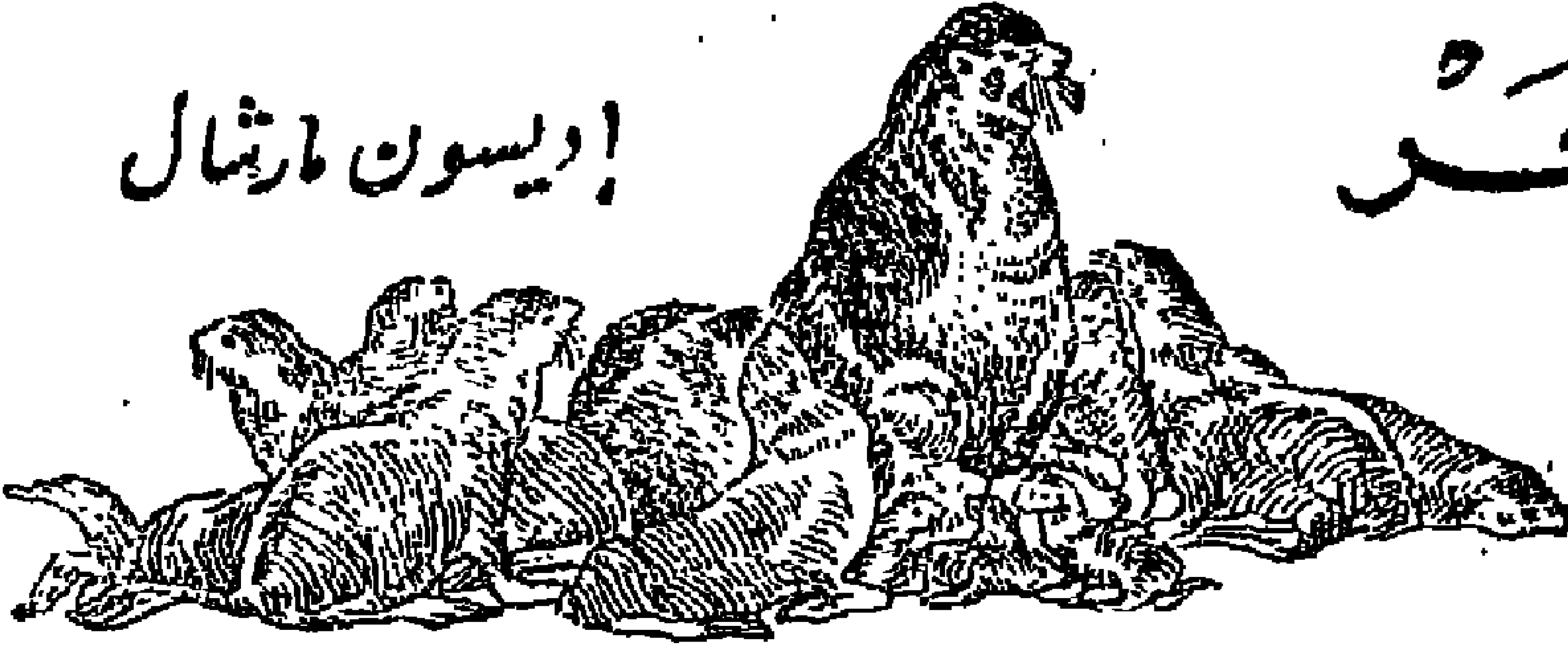
فقالت له : « إني جد حزينة من أجلك . هل أصاب حلقك شيء ؟ » — فأجاب الجندي : « لا ياسيدتي ! إن هي إلا غصة ؛ فقد تأثرت بما لقيته هنا من رعاية وحدب »

كان أحد المجندين الأغرار سائراً في شارع الكورنيش في « أتلانتيك ستي » وهو مرتد بزته العسكرية الجديدة . وكان حاملا تحت ذراعه اليسرى رزمة كبيرة ، وفي يده اليمنى تفاحة يقضمها . والتفت فرأى فجأة أمامه ضابطاً كبيراً برتبة صاغ ، تبدو الشدة في نظرته ومشيته . وكان المجند يعلم أن عليه أن يحيي بالتحية العسكرية ولـكنه لم يدر ما يصنع بالتفاحة . ويلوح أنه أعمل فكره إعمالا سريعاً ، لأنه عند ما صار على قيد ست خطوات من الضابط قذف التفاحة في الهواء ، وحيي بالتحية العسكرية ، ثم التقط التفاحة وهي ساقطة بعد مرور الضابط . ويقال : إنه ارتسمت على وجه الضابط أثارة من ابتسامة .

(المجند هري كراين)

عذارى البحر

إديسون مارشال



فى ٢٩ يونيو من عام ١٧٨٦، بينما كان ملاح روسى، اسمه جيراسيم بريبيلوف، يجوب الخلاء الدائم الضباب فى بحر بيرنج فى أقصى شمال المحيط الهادى بين أمريكا وآسيا، إذ سمع صوتاً غاية فى الغرابة. وحين سمعتُ أنا هـذا الصوت نفسه، بعد ١٤١ سنة، كان يخيل إلىّ أنه صياح جموع محتشدة فى الملعب حين تصيب الكرة المرمى.

اتجه الربان الجرىء إلى هـذا الصوت المدوى، وبعد ساعة أو أكثر من ساعة، تراءت له من خلل الغيم أربع جزر — اثنتان لا تزيد إحـداها عن حجم صخرة كبيرة. وكان مصدر هذا الصوت القاصف قطيع فيـه مليونا عجل من عجول البحر المشهورة بفرائها، قدغطى سوادها الشاطىء، وهى تخور، وتزمجر، وتسعل، وتثغو، كل ذلك فى وقت واحد.

وملأ بريبيلوف سفينته من جلود هذه العجول، وسافر بها إلى سيبيريا، ثم باعها لأمراء الصين بأثمان تعد باهظة حتى فى زماننا هـذا. ولـكن حين جاء وكيله — فى أكتوبر — يطلب المزيد منها وجد الجزيرة ساكنة سكون القبر، ووجد شواطئها خالية موحشة.

فأعاد الربان الجرىء الكرة فى الصيف التالى. فوجد السواحل مزدحمة مرة ثانية بإناث العجول تعوم فى الماء، ووجـد مساحات طويلة من شواطئها كأنها كتلة واحدة من ذكور تلك العجول، والحرب قائمة بينها. وعلى التلال الرملية، أبصر العزاب من شبانها. وأما منابت القمح البرى فكانت تموج بالمتعطلة من العجول التى لم تستطع أن تختطف لنفسها زوجات، فكانت تحوم حول المنازل عسى أن يواتيها الحظ فتحقق هذا الذى تريد. وكانت جميعها تضج كما كانت تضج من قبل، وهى تعوى وتخور.

ومنذ أن كشفت جزر بريبيلوف كان لها دائماً شأن فى التاريخ. فلما أراد وزير الدولة بالولايات المتحدة — فى سنة ١٨٦٦ — أن يغرى مجلس الكنجرس الشحيح، بشراء شبه جزيرة ألاسكا من الروس، كانت الحجة التى أتمت صفقة البيع، هى أنها أرض عجول

البحر . وكانت تنتج إذ ذاك نحواً من ١٠٠٫٠٠٠ فرو فى السنة . فلولا هذا الكنز من الفراء ما تمت هذه الصفقة التاريخية العظمى .

وبددت أمريكا هذا الكنز فى أول الأمر بطريقة فاضحة ، إذ أذنت بالذبح لمن يشاء ، حتى قتـل ثلاثة أرباع القطيع . ثم أرادت الحكومة الأمريكية أن يبقى محصول الفراء كما هو دون نقصان ، فأذنت للصيادين أن يقتلوا الأمهات إذا ما نزلن إلى الماء ليأكلن من أسماكه . وكان معنى هـذا ضياع ثلاث أنفس لكل فرو : الأم ، وجنينها ، ووليدها الذى يبقى على الشاطىء ليموت جوعاً . فلما نقصت عـدة القطعان إلى العـدد الحقير : ١٥٠٫٠٠٠ عجل ، وامتلأت الشطآن بجثث أطفالها الهالكة ، اتخذت حكومة الولايات تدابير صارمة ، فمنعت صيد العجول فى البحر ، وحددت عدد ما يقتل من العجول كل موسم . فزادت القطعـان وكادت تبلغ مليونين مرة أخرى .

وكان من الطبيعى أن تتطلع الأمم الأخرى إلى هـذا الكنز الكبير من الفرو الناعم اللامع . فاليابانيون ، حتى منذ عهد رياسة ثيودور روزفلت ، لم يزالوا يحتالون حيلهم المعروفة ، فنزلوا على السـواحل ، فقابلهم خفراء السواحل الأمريكيون فى غير ترحاب بالنار . وأرادت اليابان من رئيس الولايات المتحدة أن يعتذر عما حدث ، فأبى ، فحلف اليابانيون أن يأخـذوا بالثأر . ومن ذلك الحين لا يرى اليابانيون سفن الولايات الخافرة تدور حول تلك السواحل الصاخبة الغائمة حتى يأكل الغيظ قلوبهم أكلا . ولن يشفيهم من حقدهم وغيرتهم غير غزو هذه الجزر . ولـكن جيش الولايات المتحـدة وأسطولها ، قادران فى هذا الصيف على رد اليابانيين إذا غزوا هذه الجزر قصد النكاية بنا

على أنه ليس يهمنى أنا من هذه الجزر هـذه الخمسون ألفاً من أجود الفراء التى تجنيها مصلحة المصايد بالولايات كل سنة ، إنها حقاً فراء ناعمة جميلة لا تزال سيدة الفراء جميعه ، ولـكن الذى يهمنى هو عجولها نفسها ونظامها الاجتماعى الذى نشأ منـذ مليون سنة ، قبل أن ينشر أول إنسان شراع سفينة فى هذه البحار الداخنة بالضباب .

وينبغى أن لا يخلط بين عجول الفراء وبين أسد البحر الذى يتخذ لألعاب السيرك ، ولا بينها وبين العجول ذوات الشعر التى توجد قريباً من نيوفوندلاند . فعجول الفراء تنتسب إلى الدببة انتساباً بيناً ، وهى أشبه بها فى حركتها . وهى دون أنواع عجول البحر ، تجرى على الأرض بسرعة كسرعة الإنسان . وجراؤها لا تولد قادرة على السباحة ، بل

يشق عليها تعلمها حتى ليغرق كثير منها فى محاولة التعلم ، ولكنها تصير بعد ذلك أجمل السابحات وأرشقها ، وتبلغ سرعتها فى السبح سرعة خنازير البحر .

وفى مايو حين يأخذ القمح البرى فى الظهور على هذه الجزر ، ويظل نبات « الحزاز » يقطر ماء من مطر الربيع ، عندئذ تزحف مئات الألوف من ذكور العجول إلى الشطآن العارية . ويزن العجل منها ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ رطل . وتكون عندئذ سمينة شحيمة مما طعمت من الأسماك فى كل بحر من بحار الأرض . وهذا السمن ضرورى لها ، فهى ستقضى بعد ذلك أشهراً فى شغل شاغل ، قبل أن تعود إلى البحر ، أو قبل أن تذوق طعاماً أو شراباً .

وما تكاد تبلغ الشاطىء حتى تبدأ بينها أكبر حرب عامة فى المملكة الحيوانية كلها . فضخامها ينقض بعضها على بعض ليحتفظ كل منها بالقطعة التى أعجبته من أرض الشاطىء . حتى يكون قويهم قد أثبت حقه فى دعواه ، ولكن بقوة الزعانف والأنياب ، فإذا غفل دقيقة واحدة ، حتى فى سواد الليل استولى على مأواه من لا مأوى له من العجول المترصدة بين الحشائش .

ومع هذا فهى « لاتغتصب الشاطىء كله » وقد اتفقت فيما بينها اتفاقاً لا يكاد يصدق ، على أن تترك — بين ملاعب صغارها وبين البحر — مناطق حراماً لتكون طريقاً آمناً للذكور الصغار ، التى يقعد بها صغرها وضعفها عن أن تستولى على إناث تجعلها فى حمى تحميه .

وفى يونيو يأتى الجانب الأكبر من القطيع ، يبلغ نحو المليون من الإناث ، ومعها سرب من العزاب . ويصعد سرب العزاب فى الطريق الحرام إلى كثبان الرمال وإلى الحشائش حيث تقضى الصيف لهواً ولعباً ، وتنزل بين الحين والحين إلى البحر لتملأ بطونها من السمك ، أما الإناث الصغيرة المسكينة — التى لايبلغ وزن إحداهن خمس وزن الذكر الضخم — فقد جاءت لتلقى العنت

تندفع الذكور إلى البحر ، فتمسك بأقفية الإناث المقتربة ، وتجرها إلى مأوى حريمها ، وكثيراً ما يهجم عجلان أو ثلاثة على أنثى واحدة . ولم أتبين قط ، كيف تحتال الأنثى حتى لا تتمزق أوصالها فى الصراع الذى يعقب ذلك ، فقد عزم كل ذكر أن يحوز أكثر ما يمكن من الإناث ، ولكنه يدفع فى شرهه هذا ثمناً غالياً بما يبذل فى الصيف من مجهود .

أما زوجاته فلا تبالى أن تدفع عن نفسها من يريدها من الذكور ، ولذلك تقبل راضية ما قضى به قانون الوجود : من أن الغنائم من حق الظافر . وإذا أنت رأيت ذكراً

عجوزاً وهو لا يفتأ دائما يحوم حول حريمه، مزمجراً يتحدى من يتوقعه من لصوص الإناث، مثخناً يقطر الدم من جراحه، يطوى الأسابيع الطويلة لا يمس طعاماً ولا شراباً ولا راحة، أدركت لماذا لم يقبل كثير من الناس على تعدد الزوجات.

وإناث العجول، حين تصل إلى هـذه الجزر، تكون مثقلة بأحمالها. فلا تمضى بضعة أيام حتى تضع أولادها. ثم لا تلبث أن تحمل من جديد. وكثير من رجال الطب لا يكاد يصدق هـذا، فليس فى غير هـذا الحيوان من ذوات الثـدى، أنثى تحمل فى الأسابيع القليلة الأولى من الرضاعة. وفى الخلائق الأخرى التى تحمل كل سنة يمتـد زمن الحمل إلى تسعة أشهر أو دونها، فيترك للرحم فترة من الزمن يستجم فيها، وفرصة للوليد الصغير حتى يقوى. وفى عجول البحر هذه يمتد زمن الحمل حتى يكاد يبلغ سـنة كاملة. أما سر هذا فهو أن أنثى عجل البحر لها رحمان، فبينما يستريح رحم يمتلئ رحم.

ويعلم الذكر العجوز أن نساءه لا بد لهن من أن يتركنه أياماً قليـلة، فيذهبن إلى البحر، ويصطدن السمك، ويجعلن منـه لأولادهن لبناً. ولذلك تجـد آلافاً مـن الإناث غاديات إلى البحر رائحات منه فى كل لحظة طول اليوم. فإذا انتصف شهر يوليو كانت مئات الآلاف من صغارها زاحفة على الشواطئ، أو نائمة فى أشعة الشمس الضعيفة، أو تتعلم العوم فى خليج الماء. أما كيف تهتدى أم إلى طفلها، فلست أعلم كيف، ولـكنها تهتدى. ويلوح أنها تولى وجهها شطر ولدها ثم تعمد إليه فى سرعة واهتياج مزيحة من طريقها ما تلقى من أولاد غيرها. وقد يريد أحد الصغار أن يخطف منها رضعة حين تمر به، ولـكنها تأبى عليه.

وفى أثناء هذا تجوس مئات من العزاب الصغار، خلال الطرق الحرام التى أخليت لهـا، فإذا لم تكن ذاهبة إلى البحر لتصـيد السمك، اجتمعت أسراباً فى الحشائش، أو صعدت — حيناً بعد حين — على كثبان الرمل، ولا غرض لها — على ما يظهر — إلا المتعة بالانحدار بعد ذلك عليها. ومن فراء هؤلاء العزاب يتخذ النساء معاطفهن. وإليها يسعى الصيادون ليسوقوها إلى حيث تقتل وتسلخ، فتمضى معهم لا تحاول أن تفر، لأنها لم تتعود قط أن تخاف أحداً من البشر فى رحلاتها الطويلة فى المحيطات.

ويحرص هؤلاء العزاب الصغار، على أن يتجنبوا الحريم الذى حمتـه الـكبار. أما البالغون الفارغون من الذكور فلا يفعلون فعلهم، بل يكمنون فى أطراف الشواطئ. ومن حين إلى حين ينتفض أحدهم ثائراً،

ثم ينقض على الحريم انقضاض المجنون ليسرق من بين إناثه زوجة . وقد ينجح أحياناً ، ولكن كثيراً ما يهجم عليه زوج انتهكت حرماته ، فيعضه ثم يضرب به الأرض ، ثم يقذفه بقوة هائلة لا تكاد تصدق ، من حريمه إلى حريم أحد جيرانه ، وعندئذ ينقض عليه الآخر . ولا يزال يقذف من حريم إلى حريم ، فكأنما هى غضبة واحدة من ذكور استبيحت أعراضهم ، فلا يزال كذلك حتى يمزق إرباً إرباً .

ولكن أغلب هذه الذكور الفارغة تحرص على أبدانها أن تمزق ، فإذا ما دنا آخر الصيف جاءتهم عقباهم ، وهى أعجب ما فى قصة هذه الفحول من عجب . تخرج من البحر العذارى ، مائة ألف أو تزيد ، وإذا سادة الحمى قد بلغ منهم الإعياء ، فتقع هذه العذارى الرشيقات المصقولات المرحات فريسة سهلة لتلك « الذئاب » المتربصة .

وتضع هذه العذارى أولادها فى الصيف التالى فى نفس الوقت الذى تضع فيه سوابقها من الأمهات ، مع أنها حملت اولادها تسعة أشهر لا اثنى عشر شهراً ، فلماذا تكون مدة حمل جنينهن الأول أقصر من مدة الجنين الثانى ؟ أما سبب هذا فيرجع إلى أن الجنين يكون أسرع نمواً ، إذا لم تكن الأم ترضع طفلا آخر . وإنه لمثل رائع لما تأتيه الطبيعة فى العناية بأجناسها ، حين خالفت بين مواقيت الحمل ، لكى يظفر النسل بآباء أقوياء .

وبعد هذا بقليل فى سبتمبر ، تبدأ الهجرة عن الجزر . فقد تعلمت العوم صغارها التى حال عليها الحول ، فتغادر الشواطئ مع أمهاتها الحوامل ، ومع أسراب العزاب الصغار ، وتتجه جميعهما جنوباً ، بين جزائر ألوشيان إلى المناطق الشاسعة التى لم تطرق فى المحيط الهادى . أما الذكور الكبيرة فتتخلف قليلا ، والله وحده يعلم لم تتخلف ، إلا أن يكون الإجهاد قد بلغ منها حتى لا تستطيع حراكا . وأخيراً تتدحرج هى أيضاً فى غمرة البحر ، ثم تختفى . ويعود الصيادون ، من سكان جزائر ألوشيان ، إلى أكواخهم الداخنة ، وتتخذ الثعالب الزرق طعامها من جيف الذبائح ، وتصفر الريح فى الشواطئ المهجورة . أما الصخور فيحدثك لمعانها وملاستها عن تلك القطعان التى ما فتئت تجتمع عليها منذ ملايين السنين . وإنه لحق اليقين أنها ستعود مرة أخرى ، كما تعود نضرة الربيع .

استمتع بتجاربي

سيّدة الأزهار

موريس مترلنك

بينما كنت أتمشى صباح يوم من أيام الصيف فى نواحى الريف، وكنت حينئذ فى مقتبل العمر، تعلمت كيف يحسن المرء استخدام الموهبة السحرية التى رزقها — وأعنى بها نعمة البصر. فقد اجتذبتنى نفحة عجيبة من الروائح الذكية يحملها النسيم، فانحرفت عن الطريق متطلعاً، فإذا هى حديقة رائعة قريبة. امتدت الأزهار أمام عينى، حتى كأنها موجة من الزهر تعلو وتهبط كبساط فاخر من الوشى والطيب، يسرى فى أرجائها نغم خافت وسنان هو غناء النحل العاملة

ورأيت، فى الممشى الممتد بين الأزهار من دار صغيرة، عجوزاً مسنة ضئيلة الجسم، فوقع فى نفسى أنها هى مبدعة هذه الحديقة النادرة المثال.

فهتفت بالسيدة قائلا: «هذا مكان بديع».

فأجابت: «أتحب الأزهار؟ إذن تعال». ولما وقفت إلى جانبها لم ترفع بصرها إلىَّ وأكبر الظن أنها آثرت أن تديم نظرتها إلى الزهر، فلم أضمر لها لوماً. وطفقت تتحدث عن الأزهار فى بساطة وشغف. وقالت وهى تشير إلى حوض زهر قريب: «هذه هى زهرات كف الثعلب، وآذان الفأر، وزنبقة الوادى، والبنفسج والأقحوان، وأنا أسميها «الزهر القديم» لأنها كانت معروفة فى أوربا منذ قرون. وأما تلك — وأشارت إلى زهرات فوسكية، والقطيفة، والمنثور البرى، وشحم المرج — فإنها «زهر طارىء محدث» بالقياس إلى الأخرى فقد عثر عليها المسافرون الرحالة فى عهد النهضة وحملوها إلى بلادهم من أقاصى المعمورة».

واسترسلت تحدثنى بتاريخ كل زهرة. فبعضها جاء به تجار مغامرون من الهند ومن المكسيك وفارس والشام فى القرن السادس عشر. وكذلك جاءت الخزامى من القسطنطينية، ثم وافت بعدها زهرة الثالوث، وزهر البسلة، والقرنفل الهندى. لقد حدثتنى عن هذه الأزهار وعن كثير

---

* موريس ماترلنك كاتب بلجيكى من مشاهير مؤلفى المسرحيات ومنشئى المقالات ومن أشهر مصنفاته رواية «الطائر الأزرق» وكتاب «حياة النحل» وغيرهما. وقد اضطره غزو النازى لفرنسا إلى ترك عزلته بها. وهو يقيم الآن فى الولايات المتحدة

غيرهامن زهرة العائق العظيمة الزرقاء، إلى زهرة الخشخاش الحمراء القانية، إلى زهرة الفلوكس الأرجوانية . وخيل إلى وأنا أنصت إليها انى لم أر حق الرؤية زهرة من قبل . فلقد كان وصفها لكل زهرة من الجلاء والإشراق بحيث أعرفها ، ولو كنت فى ظلام الليل الحالك .

ولقد أومأت قائلة : « أنظر إلى شوكة الأخيليا المعقوفة ! ليس يبلغ إليها ليترشف ما فى أعماقها من الحلاوة، غيرذلك الضرب من النحل الكبير الطنان . وهناك شجيرة خبز العقاب ، وهى أحب النباتات الباسقة إلىّ ، وأزهارها لطيفة النسيج، فإذا أدنيتها من عينيك خلتها شفافة . وتأمل أوراق شجيرة الكتان! إنها أشبه بالرماح الصغيرة » .

فلم أملك من عجبي أن سألتها : كيف استطاعت أن تعرف هذا العدد الجم من أزهارها على هذا النحو المفصل الدقيق ؟ فأجابت : « إنى تعلمت أن أستخدم بصرى كل يوم كأنني لن أستطيع أن أبصر غداً . وقد وجدت أن لا شيء مما أبصرت يمكن أن يسلبنى إياه سالب » .

وتصرمت الأعوام، ولكنى مازلت أذكر كلماتها ، وما كنت لأنساها ، وما ذلك إلا لما كان منها فى اللحظة الأخيرة ، حين رفعت السيدة العجوز رأسها مبتسمة لتودعنى ، فإذا بى أرى الغشاوة على عينيها الكفيفتين !

لقد أحسنت استخدام عينيها ، قبل أن يدركها صباحها المظلم . .



علموا الصغار الإنصاف

كنت دائماً أعود مع أخى من المدرسة والجوع ينهشنا . وفى أحد الأيام عند ما طلبنا من والدتنا الطعام وضعت أمامنا على مائدة المطبخ كعكة كبيرة وسكيناً وقالت : « احدكما يقطعها ، والآخر يختار أولا إحدى القطعتين » .

وكان أخى أسبق منى إلى أخذ السكين ، وبدأ يقطع الكعكة قطعتين غير متساويتين ثم توقف ، ونظر أولا إلى والدتنا ثم إلى ، وقطع الكعكة قطعتين متساويتين . ووقف ينتظرنى أن أختار إحداهما أولا . ومن ثم تعلمنا أن نتقاسم كل شيء — الكعك والفطائر والزبد والخبز — على هذا الأساس . إن هذا الأسلوب علم كلا منا أن يحترم دائماً حقوق الآخر .

(ياسمين باريت نيط)

آيات من الشجاعة

مآثر البطولة في أنباء هذه الحرب



بقي جماعة من بحارة سفينة بريطانية أغرقها الطربيد — سبعة أيام من أيام الشتاء في قارب نجاة تتقاذفه أمواج المحيط الأطلسي، إلى أن لمحوا من بعيد قافلة بحرية تسري في غسق الليل على بعد ثلاثة أميال منهم، فهتف أحدهم هتافاً ضعيفاً، فلن تمضي ساعة حتى يبيتوا سالمين في كنّ دافيء.

وتناول نوتيّ مشعلا يتحسسه بيد مقرورة مرتجفة، لا تكاد تستطيع أن تمسك به. ثم توقف ونظر إلى رفقائه، وكان يدور بخلدهم خاطر واحد: فلو أن غواصة معادية كانت قريبة منهم، فإن المشعل الذي يرى نوره على مدى أميال، سيكشف في الحال عن مكان القافلة.

قال النوتي: « إن في هذا شيئاً من المخاطرة، أليس كذلك؟ »، فأومأ الآخرون موافقين. فوضع المشعل ببطء على الأرض، وأخرج من جيبه — بدلا منه — بطاريته. وحذا الآخرون حذوه وجعلوا يرسلون — وهم يائسون — إشارات تجتاز هذا التيه من الماء.

فلم يتلقوا منهم جواباً. وبعد أن اختفت عن نواظرهم مؤخرة آخر سفينة، ساد السكوت بضع دقائق، وأخيراً نطق رئيس النوتية عن شفتين شققهما العطش، وقال: « الأفضل أن تلتمسوا لأنفسكم هذه الليلة، ما يتيسر من الراحة، أيها الرجال! »

لم ينطق أحد بعد ذلك، وقد عرفوا جميعاً أنهم ضحوا بآخر أمل لهم. وجن عليهم الليل، ومضت ساعة بطيئة، وإذا بالنوتي المراقب يصيح. فرفع الرجال اللايدون في جوف القارب رءوسهم في ضعف، فرأوا نوراً يسطع في الظلام. إنها سفينة حربية بريطانية قد رأت إشاراتهم

« من أخبار صحف لندن »

حين يكتب تاريخ الحرب العالمية الثانية، فإن صفحة من تاريخ الهولنديين الجاويين الذين لا يقهرون، مع قلة عتادهم، ستكون مزينة بدماء الأبطال. فلقد علموا أنهم

سيلقون حتفهم ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً أن لديهم فرصة ليفتكوا ببعض اليابانيين .

وقد روى أحد رجال « قلعة طائرة » هذه القصة .

« بعد أن خرجنا من جاوه ، ونزلنا فى قاعدة جوية بأستراليا ، سمعنا فى منتصف الليل ، أزيز طائرة منفردة قادمة إلى المطار ، ثم مزق السكون هدّة سقوط الطائرة . فأسرعنا إليها ، فوجدنا طائرة من طراز كرتس ذات جناحين ، محطمة تحطيما شديداً ، ومن تحتها طيار هولندى فى نحو الأربعين من عمره ، كان يضرب الأرض بيديه وينتحب ، لا لأنه قد أصيب ، بل لأنه لم يبق له ما يقاتل به .

كان ينقصنا الطيارون ، وكانت عندنا طائرة منقضة زائدة ، فقلنا له إنه يستطيع أن يستعملها . لم يكن الهولندى قد قاد طائرة مثلها من قبل ، ولكن لم يلبث أن تهلل وجهه . واستغرق إرشاده إلى تعلم قيادتها ٢٠ دقيقة . ثم قال إنه متأهب ، ليملأ خزانات البنزين وبيوت القنابل ، وإن الوقت قد أزف ، فهو على ميعاد فى الفجر مع السفن التجارية اليابانية . ثم ارتفع بطائرته متجهاً إلى الشمال ، لا يرى من أثره إلا خط من الدخان فى السماء المتألقة بالنجوم . وإنى لأعرف أنه لقى حتفه ، ولكنى أراهن على أنه قد أنزل — قبل أن يموت — خسائر كبيرة باليابانيين . لقد مات سعيداً . رحمة الله عليه » .

« روبرت شرود فى مجلة : تايم »

كان « ميلوراد ستوسش » فى الثامنة والعشرين من عمره ، وقد بلغ غاية قوته البدنية . وكان حارساً ليلياً فى مدينة كرانج الصغيرة ، بسلوفينيا . وهى البقعة الجبلية الجميلة فى غرب يوغوسلافيا . وكان رجلا متواضعاً يجتهد فى أن يوارى نفسه ، فلا يلتفت إليه أحد من الناس . أما أنه لم يفلت من تنبه النازيين ، فذلك راجع إلى حادث أثار فى نفسه شيئاً أكبر مما يناضل من أجله النازيون .

كانت بلدة كرانج مركزاً للاحتلال النازى ، وكانت الجبال ذوات الغابات التى تشرف على المدينة ، تزخر بحروب العصابات مما اقتضى النازيين أن يبقوا فيها قوات كبيرة . وفى صبيحة يوم ما ، وجدوا جندياً ألمانياً مقتولا فى زقاق ، فقبضت السلطات على عشر رهائن ، وأعلنوا أنهم سيعدمونهم شنقاً ، إلا إذا وجدوا القاتل فى ٢٤ ساعة .

وقبل انتهاء هذه المهلة بساعة واحدة ،

تقدم « ميلوراد » إلى مقر القيادة الألمانية وقال إنه هو الذى قتل الجندى ، فاعدم من فوره شنقاً .

وكان أهل مدينـة كرانج يعلمون أن « ميلوراد » شاب هادىء الطبـع ، فبحثوا هذه المسألةسراً ، فوجدوا أنه قد ضحى بنفسه، وأن القاتل قد لحق بالثوار . فلماذا فعل ذلك «ميلوراد» ؟ لقد ظن في تواضعه ومسكنته ، أن للرهائن العشر قيمة أكبر من قيمته فى نصرة قضية بلاده . وبعد ذلك ، اكتشف الألمان أنفسهم أن « ميلوراد » لم يكن هو القاتل ، وحاولوا أن يضعوا أيديهـم على الرهائن التى أنجاها ، ولـكنهم كانوا جميعاً قد لحقوا بالعصابات . وتوجد اليوم فى جبال سلوڤينيا العالية الجميلةعصابة كبيرةمن الثوار المحاربين ، أكثرهم من بلدة كرانج ، يطلقون على أنفسهم فرقة « ميلوراد » .

« لوس أداميك فى مجلة : ذس ديك »



هل تعلم ؟

● أن الاقتصاد فى صناعة دبابيس الشعر يوفر ٥٧ طناً من المعدن فى السنة فى أمريكا .

● أن إحدى القاذفات الكبيرة تحتوى ٥٠ ألف جزء عدا المسامير المبرشمة .

● أن من نواحى نشاط الحرب فى جنوب أفريقيـة ، جمع سم الأفاعى لإعداد الترياق .

● أن كيساً من البطاطس زنتـه ٦٠ رطلا لا يزن إلا ٨ أرطال بعـد نزع المـاء من البطاطس .

● أن محصول فول الصويا من فدان واحد ينتج ٢٠٠ رطل من « صوف الصويا » ، بعد عصر الزيت من الحبوب .

● أن البقدونس يحتوى مقادير كبيرة نسبياً من فيتامين ا A و ج C

امتحن ذكاءك ثم امتحن ذكاء أصدقائك

١ — والدان وابنان اصطاد كل منهم بطة . ولم يشترك اثنان منهم فى صيد بطة واحدة . ولكن الجماعة لم تصد غير ثلاث بطات . فكيف كان ذلك ؟

٢ — ما أقل عدد من البط يستطيع أن يعوم فى التشكيلات التالية فى وقت واحد: (١) بطتان أمام بطة واحدة (٢) بطتان وراء بطة واحدة (٣) بطة بين بطتين ؟

٣ — زورق لا يستطيع أن يحمل أكثر من مائتى رطل . فكيف يستطيع رجل وزنه ٢٠٠ رطل ، وابناه ، ووزن كل منهما ١٠٠ رطل ، أن يقطعوا نهراً من ضفة إلى ضفة بهذا الزورق ؟

٤ — إن الباحث الاثرى الذى قال إنه وجد فى الخرائب نقداً فضياً منقوشاً عليه ٦٤٩ ق . م كان حتما يكذب أو يمزح . لماذا ؟

٥ — دخل رجل دكان بائع سجائر . وطلب صندوقاً من السيجار، ثمنه جنيهان . وأعطى صاحب الدكان ورقة نقد من فئة خمسة جنيهات. فلم يكن فى وسع صاحب الدكان أن يرد له ثلاثة جنيهات . ففك ورقة الخمسة عند جاره تاجر السجاد . وأعطى مشترى السيجار العلبة وثلاثة جنيهات . وبعد قليل هرول تاجر السجاد قائلا إن الورقة مزيفة . فأخذها بائع السجائر وأعطى تاجر السجاد ورقة « خمسة » صحيحة . فكم خسر بائع السجائر فى هذه العملية بضاعة ونقداً ؟

٦ — عشرة كتب مرتبة فى رف . وكل كتاب مائة ورقة . وبدأت عثة تقرض ورق الكتب ، فقرضت من أول ورقة فى الكتاب الأول ، إلى أول ورقة فى الكتاب العاشر ، فكم ورقة قرضت ؟

٧ — بين قطارين مسافة مائة ميل ، وهما سائران على خط واحد فى اتجاه متقابل . أحدهما سائر بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة والآخر بسرعة ٤٠ ميلا فى الساعة . وهناك نحلة تطير بسرعة ٢٥ ميلا فى الساعة . فإذا فرض أن هذه الأجسام الثلاثة — القطاران والنحلة — بدأت الحركة فى لحظة واحدة ، فما المسافة التى تكون النحلة قد قطعتها عند ما يلتقى القطاران ؟

٨ — أراد أمير أن يتخلص من نديمه ، فوضع ورقتين فى علبة . وقال لرئيس قضاته إنه اذا سحب النديم الورقة المكتوب عليها « ابق » فالنديم باق ، واذا سحب الورقة المكتوب عليها « اذهب » فالنديم ذاهب . وكان الأمير قد كتب « اذهب » على الورقتين . ورئيس القضاة لا يعرف ذلك . ودخل النديم — وكان داهية — فلما اطلع رئيس القضاة على إحدى الورقتين حكم القاضى ببقائه . فكيف تغلب ذكاء النديم على حيلة الأمير ؟

[الأجوبة الصحيحة صفحة ٤٨]

نقطة التحوّل فى حياتى

ا . ج . كرونن



كنت فى الثالثة والثلاثين من عمرى فى ذلك الوقت ، وكنت طبيباً فى حى «وست إند» بلندن . وساعفنى الحظ ، بعد أن توليت عدة وظائف منهكة كطبيب مساعد فى مناجم ويلز ، فصارت لى عيادتى الخاصة . وقد ظفرت بها بالتقسيط من طبيب هرم كريم النفس ، نظر فى أول اجتماع لى به ، إلى حذائى المشقوقين ، ورُدنىّ الباليين ، ووثق بى .

وأحسب أنى لم أكن طبيباً غير حاذق ، وكان مرضاى يحبوننى على ما يظهر — من السيدات الظريفات اللواتى لا سوء بهن ، واللواتى يقمن على كثب من « البارك » ويؤدين لى أجرة سخية على بشاشتى وطيب إيناسى لهن ، ومن سائقى المركبات أيضاً ، والحمالين ومن إليهم من سكان الأزقة فى « بيزووتر » ممن لا ينقدوننى شيئاً ، وكثيراً ما يكون المرض قد بلغ منهم مبلغاً كبيراً .

على أنه كان هناك شىء ينقصنى . . . فمع أنى كنت أعالج كل ما يعرض لى ، وأقرأ كل المجلات الطبيــة ، وأشهد الاجتماعات العلميــة ، بل لا أعدم وقتاً للحصــول على دبلومات فى دراسات فوق التى تخرجت فيها ، إلا أنى لم أكن تام الثقة بنفسى ، فلم أكن ألزم شيئاً أو أثبت عليه طويلا . وخطر لى على التعاقب أن أكون إخصائياً فى أمراض الجلد ، وفى جراحة الأذن ، وفى أمراض الأطفال ، غير أنى نبذت ذلك كله ، وكنت أعمل نهارى كله ونصف ليالى أو معظمها ، ولكن كان ينقصنى المثابرة والثبات .

وأصبت ذات يوم بعسر هضم ، وبعد أن أغضيت عدة أسابيع عن توسلات زوجتى ، قصدت عرضاً إلى صديق من زملائى أستشيره ، وكنت أتوقع أن يصف لى زجاجة من «البزموت» ، وأن يدعونى إلى لعب البريدج ، ولكنى لقيت منه ، بدلا من ذلك ، صدمة العمر ، فقد قضى علىّ بالتزام الراحة التامة ستة شهور فى الريف ، وأن أقتصر من الطعام على اللبن ، لأن عندى قرحة فى المعدة .

وكان المنفى الذى اختير بعد جدال مضن بيتاً صغيراً على مقربة من قرية « تاربرت » فى جبال إسكتلندة . وتصور مسكناً أبيض الدهان موحشاً على سيف بحيرة لا تزال السماء تجودها بالمطر إثر المطر ، بين جبال صلاب ذاهبة فى السماء والضباب ، وعلى مرأى منك الماشية الطويلات القرون ، عاكفة على قضم الحسك ــ هذه هى مزرعة « فاين » . وتصور غريباً مكروباً فى ثياب أهل المدن ، يجىء وفى جوفه ألم ، وفى يده حقيبة ، فيها حق فيه مساحيق للهضم ــ هذا هو أنا .

وليس أشق على الرجل النشيط من البطالة الاضطرارية ، وقد كانت الإقامة أسبوعاً واحداً فى « فاين » كافية لإطارة صوابى ، فقد منعت من كل عمل بدنى ، فلم يبق لى إلا إطعام الدجاج ، وإلا أن أتعلم أن أحيي الأبقار العرضة عنى استهجاناً ، بأسمائها دون ألقابها من طول الألفة التى قامت بيننا . ورحت أتلمس شيئاً أصنعه ، وإذا بخاطر يخطر لى بغتة . ذلك أنى ظللت سنوات ، أحلم فيما بينى وبين نفسى بأن أكون يوماً ما ، كاتباً . وقد قلت مرة لزوجتى : « هل تعلمين أنى أعتقد أن فى مقدورى أن أكتب رواية لو كان فى وقتى سعة ؟ » ، فافتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة ، ويداها دائبتان على النسج وتمتمت : « صحيح ! يا عزيزى ؟ » ، وردتنى بلباقة إلى الحديث عن جونى وسعاله الديكى .

ورفعت عقيرتى ، وأنا واقف على شاطىء هذه البحيرة الجبلية الموحشة ، وقد فاض شعورى بإنصاف نفسى : « أما وحق السماء ، إن هذه لهى فرصتى ! وليكن لى قرحة فى المعدة ، أولا يكن ، فسأكتب قصة ! » . وقبل أن يتسع الوقت لتغيير رأيى ، ذهبت من فورى إلى القرية ، وابتعت ٢٤ كراسة من كراسات التلاميذ .

وكان فى غرفة نومى فى الطابق الثامن منضدة ساذجة من الخشب الأبيض وكرسى غير وثير ، فألفيت نفسى فى صباح اليوم التالى جالساً على هذا الكرسى ، وأمامى كراسة جديدة مفتوحة على المنضدة . وما لبثت أن أدركت ، شيئاً فشيئاً ، أنى فى حياتى كلها ما كتبت عبارة واحدة ذات قيمة ، إذا استثنينا الوصفات الطبية باللغة اللاتينية . وكان هذا الخاطر غير قمين أن يكون مشجعاً لى وأنا أتناول القلم وأنظر من خلال النافذة . لا بأس ! سأبدأ على كل حال . . . وبعد ثلاث ساعات دعتنى المسز « أنجاس » إلى طعام العشاء ، وكانت الصفحة المبسوطة أمامى لا تزال بيضاء !

وبدا لى ، وأنا أنزل لتناول اللبن

والمخيض ، أنى أحمق الحمق ، وشعرت أنى ندٌّ لذلك الشاعر المسكين فى قصة « جاك » لدوديه ، الذى لم تتجاوز قطعته الخالدة هذا الاستهلال الذى ولد ميتاً . « فى واد سحيق بجبال البرينيس . . . » ، وتذكرت وأنا متجهم تلك النصيحة الصارمة التى حضنى بها معلمى القديم على العمل ، قال : « دوّنها ، فإنها إذا بقيت فى رأسك ، خليقة أن تظل لا شىء ! فدونها إذن ! » ومن أجل ذلك صعدت بعد الأكل « لأدوّنها » .

ولعل الأولى أن أغفل وأتخطى المحن التى كابدتها فى الشهور الثلاثة التالية . وقد كان موضوع القصة واضحاً جلياً فى رأسى — مأساة جرتها أنانية رجل وإباؤه المر . حتى الاسم الذى انتويت أن أطلقـه على الكتاب كان حاضراً ، ولـكنى كنت فيما عدا هذه الأصول الساذجة ، ناقص العدة إلى حـد محزن . فلم تـكن لى دراية بفن القصة ، ولا معرفة أو خبرة بالأسـلوب والقوالب التى تفرغ فيها المعانى أو تعرض ، ولم يسبق لى قط أن رأيت موسوعة . وراعتنى صعوبة الأداء السهل ، وكنت أقضى الساعات الطوال باحثاً عن صفة ، وأصحح،وأعود فأصحح كرة أخرى، حتى تعود الصفحة وهى أشبه شىء ببيت العنكبوت ، ثم أمزقها وأبدأ من جديد .

ولـكنى بعد أن شرعت فى الـكتابة صارت الرغبة فيها ملحة ملحفة مخامرة ، واتخذت الشخصيات التى تخيلتها صوراً تجسدت فيها ، وصـارت تـكلمنى ، وتضحك ، وتبـكى وتهيجنى إلى مابى . وكنت ربما خطر لى خاطر فى منتصف الليل ، فأنهض ، وأوقد شمعة ، وأنبطح على الأرض ، ولا أزال أعالج الخـاطر حتى أترجمه كلاما اثبته على الورقة . وفتنتنى واستولت على نفسى جدة الأمر ، وكنت فى أول الأمر أكتب حوالى ثمانمائة كلة فى اليوم بجهد جاهد ، واستكراه شديد ، فلما كان آخر الشهر الثامن صرت أكتب ألفى كلة بسهولة .

وإنى لفى منتصف الطريق ، وإذا بالذى لا مفر منه قد وقع فجأة . فقد استحوذ على نفسى كرب مباغت دهمنى كما يدهم جبل الثلج راكب البحر ، فسألت نفسى : « لماذا أضنى نفسى بهذا العناء الذى لا قبل لى به ، ولا عدة عنـدى له ؟ وما خيره ؟ لقد كان ينبغى لى أن أستريح ، وأن أدخر لا أن أبدد قواى فى هذا العبث » . رميت القلم ، وتناولت ، وأنا كالمحموم ، الفصول الأولى التى عادت إلىّ منسوخة على الآلة الـكاتبة من سكرتيرتى فى لندن ، وقرأتها فارتعت . فما وقعت عينى قط فى حياتى على مثل هـذا الهراء ، الذى لن يعنى بقراءته

أحد . واقتنعت أخيراً بأنى مخبول مغرور ، وأن كل ما كتبته ، وكل ما يمكن أن أكتبه ، عبث محض وجهد ضائع ، واعتزمت أن أنفض يدى من الأمر كله . وثار ثائرى ، فأهويت على النسخة وأخذتها وخرجت فرميت بها فى صندوق القمامة .

واتخذت من استسلامى ، وما آثرت أن أسميه عودتى إلى الرشد ، سبباً للرضى الكئيب . وخرجت أتمشى فى المطر الخفيف فالتقيت فى بعض الطريق إلى شاطىء البحيرة بأنجاس الفلاح الهرم ، يحفر — فى صبر وجلد — فى رقعة من تلك الأرض السبخة الغدقة التى هى كل ما صار له بشق النفس . فلما دنوت منه صعّد إلىّ طرفه مستغرباً ، وكان يعرف ما كنت اعتزمته ، ويوافق عليه بفضل ما فطر عليه الإسكتلنديون من إكبار الأدب وأهله . فلما حدثته بما كان منى تغير وجهه الملوح ، وحدق فى بعينيه الزرقاوين الحادتين تحت حاجبيه الأصفرين ، وكانت نظرته واشية بخيبة أمله فىّ واحتقاره العجيب لى . وكان صموتاً قليل الكلام ، فمضت لحظة طويلة قبل أن ينطق بشىء وحتى لما نطق كانت ألفاظه تشير ولا تصرح .

قال : « لا شك أنك أنت الذى على صواب يا دكتور ، وأنا الذى على خطأ » . وخيل إلى وأنا أصغى إليه ، كأن عينه تنفذ إلى أبعد أغوار نفسى : « كان أبى قبلى يحفر هذه الأرض السبخة ، وقد واصل ذلك طول حياته ، ولم يستطع قط أن يجعل منها أرضاً طيبة زكية ، وأنا قد عملت فيها ولم أجعل منها قط أرضاً مكرمة » . ووضع قدمه على الفأس وهو يقول : « ولكنه لا يسعنى إلا أن أحفر ، صلحت أم لم تصلح لأن أبى كان يعلم ، وأنا أعلم أن من الممكن أن تطيب الأرض إذا حفرت حفراً كافياً » .

ففهمت ، وجعلت أنظر إلى هذا الرجل الكدود الثابر ، وامتعاضى وغيظى يزدادان شدة . وقد امتعضت لأنه أوتى ما لم أوته : صلابة العزم على المضى فى الأمر حتى يتم مهما بلغت الكلفة ، والإرادة الماضية التى لا يفل حدّها شىء ، فى مكابدة أجدب واجبات الحياة وأبسطها فى وقت واحد . وإذا بمعضلتى التافهة قد تجسمت فصارت محكا لسيرة الإنسان فى الحياة ومسلكه فى الدنيا ، وتمثلت فيها المسألة الأبدية للانسانية الفانية : التراجع المريح ، أو التقدم الشاق على غير أمل فى جزاء أو مثوبة .

ودلفت راجعاً إلى المسكن ، وقد ابتللت وخجلت ، والتهبت ثورة نفسى ، والتقطت النسخة المبتلة من صندوق القمامة ، وجففتها فى فرن المطبخ ، ثم ألقيتها على المنضدة . واستأنفت العمل وبى من اليأس مثل

الجنون ، واستغرقتنى قسوة عزيمتى وأبيت أن أنهزم ، أو أن أستسلم للقنوط ، ورحت أكتب بقوة . فلما كان آخر الشهر الثالث خططت كلمة « انتهت الرواية » . وكان إحساسى بالفرج والخلاص والتحرر ، مما لا يكاد يصدق . فقد استطعت أن أوفى بالعهد وألفت كتاباً ، أما أنه جيد أو ردىء أو بينَ بينَ ، فذاك شىء ما كان يعنينى .

واخترت ناشراً بطريقة بسيطة ـ ذلك أنى أغمضت عينى وغرزت دبوساً فى فهرس بأسماء الناشرين . وبعثت بالنسخة الكاملة إليه ، وتناسيت الأمر كله . وفى الأيام التالية استعدت صحتى شيئاً فشيئاً وبدأت البطالة تضجرنى ، واشتقت أن أرجع إلى العمل .

وأخيراً دنا يوم الخلاص . فطفت بالقرية أودع هؤلاء القوم البسطاء الذين صاروا لى أصدقاء ، فلما دخلت مكتب البريد دفع إلىّ رئيسه برقية . . دعوة ملحة من الناشر إلى مقابلته ، فمضيت بها من فورى إلى جون أنجاس وأطلعته عليها بلا كلام .

وهذه الرواية التى رميتها فى وعاء القمامة هى التى اختارتها « جمعية الكتب » ، وقد حولت أيضاً إلى رواية تمثيلية ، ونشرت متسلسلة فى مجلة ، ونقلت إلى تسع عشر لغة ، واشترتها هوليوود ، وبيع منها إلى اليوم حوالى ثلاثة ملايين من النسخ ، وقد غيرت حياتى تغييراً تاماً ، وكل ذلك بفضل درس تلقيته فى أوانه فى مزية المثابرة .

على أن للدرس مغزى أعمق ، فاليوم ، والجو يتجاوب بالصيحات العالية من دعاة الهزيمة ، ونصف العالم المنكوب يعول ، وبه من اليأس هاتف ينادى : « ما الفائدة من العمل . . ومن السعى للانقاذ . . ومن المضى فى الحياة . . . » — اليوم أغتبط بأن أتذكر هذا الدرس . ففى هذه الفوضى الحاضرة ، ولا أمل يلوح ليقوى نفوسنا ، نرى الباب مفتوحاً على مصراعيه على الظلام واليأس . والسبيل إلى إيصاد هذا الباب أن نتشبث بالعمل الذى نعمل ، مهما يبلغ من ضآلته وتفاهته ، وأن نواظب على العكوف عليه ، وأن نتمه .

كان إيجناتيوس يلعب الكرة يوماً مع زملائه من الطلبة فقال بعضهم فجأة وبلهجة الجد : ماذا يصنع كل منكم إذا علم أنه سيموت بعد عشرين دقيقة ؟ فقالوا جميعاً نذهب نعدو إلى الكنيسة ونصلى — إلا إيجناتيوس فإنه قال : « أتم اللعب » .

إن مزية كل نجاح — كما كان يعرف إيجناتيوس ، ويعرف صاحبى الفلاح الإسكتلندى الهرم — هى الانتصار على النفس . والذين يقدرون على هذا النصر لا يمكن أن يعرفوا الهزيمة أبداً .



ملخص كتاب كارستن اونستاد

كان كارستن أونستاد طالباً عادياً في مدرسة عالية أمريكية ثم أخذ بصره يغيض ويكف من جراء إصابة يسيرة في لعبة الكرة . واليوم وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، فقد علمه العمى أن يعتمد على حواس وجوارح أخرى ، وهو درس قد حذقه ببراعة .

وكتابه « العالم عند أطراف أصابعي » ترجمة لحياته . ويعد وصفه للتحصيل في مدرسته بغير عيون من أعجب وأندر الصور التي رسمها قلم لحياة طالب في مدرسة . على أن هذه الترجمة ليست قصة شخصية ممتعة فحسب ، فإنها أيضاً قصة شجاعة لا تقهر، ووحي بما يعين على النجاح والتغلب على العقبات والمصاعب .

هذه هى الطريقة التى تلاقى بها العمى .

تولد فى عالم لا ينفذ إليه النـــور أبداً ، وتسمع به ، وتتطلع إليه وتترقبه ، وتتخيله ، وتجهد عينيك لتراه ، ولـكنك لاتراه أبداً .

مثل جورج :

أو ترى ومضـــة متألقة مفاجئة ، وإذا بكل دقيقة من تفاصيل ما حولك قد نقش بأحرف من نار على لوح ذاكرتك — الكوخ ، والأشجار الباسقة الذاهبة فى الهواء تحت السماء الحالكة ، والموضع الذى انفجر فيه الديناميت فالتمعت فيه ألوانٌ برتقالية وبيضاء تزيغ البصر . ثم تدخل الدنيـــا فى الظلام ، وتضع كفيك على وجهك ثم تردهما والعرق يسيل منهما ، وبهما مثل مس الحمى .

مثل آل :

أو ترى الحروف وقـــد بدأت تعـــوم وتختلط على الصفحة كالسمك الهلامى فى الماء الراكد ، وتظل هكذا عاماً والأطباء يجربون كل ما يعرفون ليردوا الخطوط مستقيمة والألوان زاهية أمام عينيك ، وتبصر الدنيا من خلال ضباب منير ، ثم من خـــلال ستر مرخى ، وقد أخذت الأضواء الملقاة عليه تخبو ، ثم لا تبصر شيئاً على الإطلاق .

مثلى :

شعرت أن شيئاً غير عادى قد حدث .

فــنزعت نظـارتى ، ومسحتهـا ، ورحت أطرف ، وكنت أعزق الأرض للبطاطس ، وكان الظل الرَّوْحُ الذى يلقيه بيتنا يكسو الحديقة ، وفيما وراءها بدا لى بيت جارنا عند الركن الأقصى لهذا الجانب ، وهو يضطرب ، والدهان الأخضر على الزوايا يتحرك ويتلوى متداخلا فى بياض الجدار . فأغمضت عينى ، ثم نظرت مرة أخرى ، فإذا الأبيض والأخضر لا يزالان يلتويان ، ويبهتان ويطمسان ، وسبحت امام ناظرى خطوط سود تأبى أن تمحى وتختفى ، وازداد قصر نظرى ، فقلت لنفسى : سأطلب من أبى أن يزودنى بعـــدسات أقوى من هـــذه ، واستأنفت العزق .

وفى عصر ذلك اليوم دلقت الوعاء الذى فيه حبـــوب البيغاء ، وجعلت أمى تراقبنى وأنا أجمعها .

قالت لى : « لماذا لا تجمعها كلها ؟ » .

قلت : « لست أرى غير ما جمعت » .

قالت : « إن الحب أمامك وتحت عينيك »

فصوبت بصرى إلى البلاط محدقاً ، ولم يسعنى آخر الأمر إلا أن أمد يدى وأتحسس ، فما كنت أرى شيئاً من الحب .

ولما حدثتُ أبى بمعابثة عينى لى ، حملنى من فوره فى سيارة إلى إخصائى .

ولم يكن تشخيص الدكتور « أ » مشجعاً .

قد سألني : « تقول إن هذه العين ثقبها حد مقص وأنت في الخامسة من عمرك ، فهل ترى بها شيئاً ؟ » .

وكانت هذه العين لا تكاد تتبين الضوء .

وعاد يسأل: « هل أصاب عينك الأخرى شيء ما ؟ » . فتذكرت أن كرة اصابتها في مارس ، فورمت واسودت ، وبعد شهر أو نحوه ذهبت إلى دار للسينما فإذا بالرسوم تبدو مطموسة .

وانحنى الدكتور « أ » عليّ بمرآته ، ثم قال لأبي: « إن ههنا التهاباً ، وهنا التحامات تتكون بين القزحية والعدسة . ولا شك أن الضربة التي أصابت العين هي التي سببت كل هذا » . وكتب لي وصفة ، وقال : « عد إليّ بعد أسبوع ، ولا تقرأ شيئاً ، وتجنب الشمس ، وإذا كنت في النور فضع على عينيك نظارة سوداء » .

ووقفنا في بعض الطريق ونحن نعود حتى يمر عرض ، فأنصت إلى الطبول وإلى أصوات الأبواق ، ونازعتني نفسي أن أنظر ، وعجزت عن مقاومة الإغراء ، فرفعت النظارة السوداء ، فإذا بي كأني ناظر إلى مشهد التقطته آله تصوير . فقد رأيت صفاً من حملة الطبول في ثياب قرمزية وهاجة ، ومخدّمات(*) بيض ، وأحذية سود لماعة ، وكانت عصيّ الطبول واقفة في الهواء ، وأحد الحذائين السوداوين مرفوعاً عن الأرض ، كأنما هؤلاء رجال في صورة مرسومة ، يتحركون ولكن بغير حركة . وقد انحفرت الصورة في ذهني فليست تمحى أو تنسى . وكان هذا آخر عرض رأيته قط .

وتصرمت أيام الصيف ، وصار بصري يزداد نقصاً ، فلما كان شهر أغسطس لم أعد أستطيع أن أتبين ما على طبق من الطعام . وكان اللحم والبطاطس والخنظة تبدو لي كأنها برك من ألوان حمر وبيض وصفر . ولما فتحت المدرسة في الخريف رحت أفكر وأنا مكروب النفس ، في زملائي من الطلاب ، وكيف أنهم يمضون في التحصيل ، وأنا قاعد في البيت لا أصنع شيئاً ، والركب يخلفني وراءه .

وفي صباح يوم عاصف من أيام يناير مضى بي أبي في سيارته إلى سنت بول لاستشارة إخصائي .

وقال الدكتور « ب » أخيراً بعد أن فرغ من الفحص : « أظن أني أستطيع أن أرد البصر إلى هذه العين » . فغمرتني موجة من الشعور بالفرح تركتني ضعيفاً مرتعشاً . ومضى الطبيب في كلامه شارحاً ويده على كتفي فقال : « سأستبقيك في

(*) أرجل السراويل .

المستشفى بضعة أسابيع ، وسأعطيك ثلاث حقن بمصل التيفود للتغلب على هـذا الالتهاب » .

وقد امتدت الأسابيع القليلة حتى صارت تسعة شهور من العذاب الغليظ ، وصرت أكره الإبرة الواخزة الطويلة والطبيب الذى يغرزها فى عروقى التى صلبت ندباتها .

ولما أحدثت حقن التيفود أثرها ، عرتنى موجة من حر الحمى كان لها توصيم فى فى ظهرى ، وكان نبضان العروق فى جبينى من الشدة حتى أحسست أن مقلتى ستخرجان من محجريهما ، وكانت يدا المرضة الرطبتان هما الوحيـدتان اللتان تستطيعان أن تحميا رأسى أن يتصدع ، ثم صارت الحمى نافضاً ، فطلبت زجاجات ماء ساخن وأغطيـة ، ثم أخرى .

وجاءت الممرضة ذات ليـلة بالديونين ، وهو عقار قوى له كى ولسع فظيعان ، وإنها لحانية علىّ ، وفى يدها القطارة ، وإذا بمحياها يبرز فجأة من ظلمة الغموض ، فأراه جلياً واضحاً ، فكأنما اخترقنى سيف من وقع هذا المنظر الذى لم أكن أتوقع أن أراه . وكانت تبتسم وشفتاها منفرجتان ، وخصل شعرها الدجوجى تزين جبينها ومفرقها ، وقد اجتمع فى عينيها الزرقاوين الضاحكتين لمع الضوء وومض الابتسام . وكان محياها أول محيا رأيته فى شهور عديدة ، وآخر محيا رأيته بوضوح . فسالت الدموع على خدى . ومضت هى عنى .

وأخيراً أجرى الأطباء الجراحة ، وكانوا كما خبرونى غير واثقين ، ولكن عسى أن يكون هناك فرصة بعد التماثل .

ومضت الأيام بطيئة وأنا راقد ، وفوق ضمادى عينى قناع من السلك كأنه نظارة ضخمة حتى لا تمتد أصابعى إلى عينى ، واستيقظت فى الليل فألفيتنى أعالج تمزيق القناع .

ثم جاء الدكتور « ب » ذات يوم وأمر بإسدال الستائر ، وفك القناع ، ونزع الضماد .

— « والآن افتح عينيك ... هل ترى أصابعى ؟ » .

— فحدقت فى خليط غامض من الأضواء والظلال .

— « كلا . إن كل ما أراه هو الضوء » .

وجعل الدكتور « ب » يعود كل يوم لفحص عينى ، ثم انصرف بلا كلام . وقبل أن أبرح المستشفى إلى البيت ببضعة أيام ، دخل على ، وناولنى طرساً على سطحه عدة نتوءات كأن رءوس مسامير قد نفذت منه فلمستها بأناملى وتحيرت .

وسألته : « ما هذا ؟ » .

قال « أبجدية بريل . أمسكها هكذا .

ودعنى أر ماذا تستطيع أن تحفظ منها قبل أن أعود إليك غداً » .

* * *

وكانت أولى المعضلات أن أتعلم كيف أتنقل داخل البيت . وقد استنفد هذا وقتاً وكلفنى خدوشاً . وقد اصطدمت بباب الحمام وكان أبى قد تركه مفتوحاً . وبعد دقيقتين دخلت المطبخ فاصطدمت بباب المخزن المفتوح فقالت أمى : « حاذر . امدد يدك أمامك حين تمشى » ،ولكنى فضلت الخدوش على المشى ويداى ممدودتان ، فقد كرهت أن يظن بى العجز وقلة الحيلة .

وكان الاندفاع وراء الأشياء حين تتفلت من بين أصابعى عادة ليس من السهل رياضة النفس على تركها . وكانت أذرع الكراسى وزوايا المناضد تعترض طريقى كثيراً فتكسر لى نظارتى السوداء ، وتخدش أنفى ، وتقشر جلدى إذ أنحنى لأسترد قطعة من النقود قبل أن تكف عن الجرى والدوران . ثم تبينت شيئاً فشيئاً أنه خير لى أن أدع الشىء يقع ، وأن أرهف سمعى حتى تنقطع حركته وصوته ، ثم ألتقطه بحذر ، وصرت أستطيع دائماً تقريباً أن أمد يدى إلى مكانه ولا أخطئه .

وكان تناول الطعام، بغير وقوع فى أغلاط ظاهرة ، معضلة أخرى ، وكان من الصعب أحياناً أن أعرف من ثقل الشوكة ووزنها هل عليها أو ليس عليها شىء من الطعام . وكنت أتوخى حذراً شديداً ودقة عظيمة حين يدعونى جار إلى العشاء . واتفق يوماً أن كان على المائدة أحب أنواع المتبلات والمشهيات إلى نفسى — وهى خضر مقطعة قطعاً صغاراً على أوراق الخس الصعبة التناول ، فما كدت أرفع الشوكة إلى فمى حتى انفجر الصبى ضاحكا ، وكان فى السادسة من عمره ، وقال : « انظرى ياأم ! إنه ليس على الشوكة شىء ! »

وطال ترددى قبل أن أجرؤ على الخروج وحدى . وكنت أشعر أن كل حركة من حركاتى تراقب ، وأن السيدات ينظرن إلى من خلال السجف والأستار ، وأن الأطفال يدعون دراجاتهم ويقفون فاغرى الأفواه . وكنت أتخبط وأصطدم بكل شىء ، ولا سيما إذا كان أحد قريباً منى وأخطىء موضع الانثناء فى المشى ، وألقى نفسى على السياج الشائك ، وأدوس أحواض الزهر ، وأتعثر بأكوام الحطب .

ثم وقفت ذات يوم إلى وسيلة للهداية كانت لى بمثابة «حجر رشيد» (الذى حلت بفضله طلاسم اللغة الهيروغليفية) . وكانت تلك لحظة من أعظم اللحظات فى حياتى . وما أحسب أن عالماً بالعاديات المصرية ، أو رائداً

أو فلكيا وجـــد أعظم مما وجدت من شعوري بهذه اللحظـة ، وكان « حجري الرشـيدي » هو العمود الذي تشد إليـه حبال الغسيل .

ذلك أني لما فترت حدة شعوري بذاتي وحالي ، اعتدت أن أتمشى على حذر في الفناء ، وفي ذلك اليوم بينما كنت أمشي على مهل قريباً من سلم المطبخ ، وقفت ، وارتددت بسرعة ، فقد شعرت أن أمامي شيئاً ، فدفعت يدي ، فإذا أمامي وفي طريقي مباشرة ، وعلى مسافة خطوتين أو ثلاث ، هـذا العمود . فذهبت أتمشى حول البيت كرة أخرى ، فلما دنوت من موضع العمود خالجني نفس الإحساس . فدفعت يدي إلى اليمين قليلا ، فإذا العمود هناك . ولم يكن هذا من فعل الخيال ، وإنما استطعت أن أحس بوجوده بطريقة ما .

فصعدت في السلم مسرعاً ، وقلبت كرسياً من كراسي المطبخ ، واجتزت الردهـــة متطرحاً ، واندفعت داخلا إلى مكتب أبي .

وصحت قائلا : « أبي ، إني أستطيع أن أعرف أني اقتربت من عمود الثياب . ولست أدري كيف أفعل ذلك ، فما أسمعه ، ولا أنا أحتاج أن ألمسه ، ولكني « أعلم » أنه هناك » .

وقد فتح لي هذا العمود آفاق الخارج ، فما دام في وسعي أن أشعر بوجود الأشياء القريبة ، فإن في استطاعتي أن أخرج وحدي وأنا آمن .

وسرعان ما عرفت أن الأعمى يستقيم على طريقه ، لأنه يحسن استخدام الحواس التي أوتيها . ولا شك أن ابتعاث الملكات التي طال تعطيلها وإرهافها وتنسيق عملها يستغرق وقتاً ، ولكن الأعمى يتعلم شيئاً فشيئاً كيف يجمع بين يقظـــة الحس والذاكرة ، جمعاً يعينه على السير في الدنيا بغير معين . فهو يذكر مثلا أن المشى الجانبي بعد هذه الشجرة يميل يمنة ، وتنذره حافة الرصيف بأنها هناك حين يجتاز طوار الطريق ، فيرفع قدمه ويصعد من غير أن يصطدم بها ، ويسمع وقع أقـدام مقبلة فتخبره أن عليه أن يميل إلى الجانب الأيمن من الطريق .

وتعلمت قياس المسافات : فأمشي مسافة ، وأثني ، وأجـد درجات السلم أو الباب أمامي . ولم يكن يتعـذر علي قط المشي على الرصيف ، فإذا تطرفت يمنة أو يسرة فإن الحشيش تحت قـدمي . ولم أكن أصطدم بشجرة ، لأني كنت أشعر بوجودها حين أقترب منها . وإذا فقدت شعوري باتجاهي وتحيرت ، وأنا على الرصيف ، فإني لا أروح أدبر وأقبـل ، وأدور حتى أقع في حفرة ،

بل أصغى للأصوات المختلفة ، وللسيارات حتى أتبين أنها آتية من ناحية مبنى ما ، أو شارع ما .

ووجدت أن السمع أقوى عون لي ، ولم يكن اكتشافي مرة أخرى لعمود الثياب معجزة ، فقد سمعت موجة صوتية مرتدة عنه ، وهذه تجربه مشتركة بين الإنسان والحيوان . وقد روى ألبرت بيزون تيرهيون أن كلباً أعمى كان مرهف السمع إلى حد أنه كان يذهب يعدو إلى جدار من الحجر حتى إذا صار منه على مسافة أشبار قليلة وقف . وقد كثر القول في تعليل هذه « الحاسة العمياء » ، وذهب بعضهم إلى أنها شعورية ، وأن مركزها الجبين أو الوجه . ولكن العلماء وجدوا منذ بضع سنوات أن الأعمى إذا سدت أذناه ، يفقد قدرته على الإحساس بالعوائق المعترضة . فمن الجلي إذن أن هذه « الحاسة » الجديدة مرجعها إلى السمع . على أن سمع الأعمى من أوساط الناس أضعف من سمع البصير من أوساط الناس ، على خلاف الاعتقاد الشائع . وكل ما في الأمر أن الضرير أفطن لأصوات أكثر ، لأنه وهو غير مشغول بالمرئيات ، يصبح وباله كله مجعول إلى مايسمع .

وعرفت ذات ليلة كيف أستخدم الأصداء لأعرف أين أنا . وما أظن إلا أن كل أعمى قد سمع بتورجر لين واستخدامه للأصداء استخداماً يدخل في باب الخرافة . فنقرة واحدة بعصاه تعرفه مواضع الأشجار والمباني وهو ماض إلى عمله ، وفرقعة أصابعه تدله على سعة الغرفة ، وهل هي مفروشة مؤثثة أوفارغة خاوية . وقد جربت هذه الطريقة ذات ليلة ، لما أدركتني عاصفة ثلجية وضللت .

فرقعت أصابعي وأرهفت أذني ، فإذا بالصوت يتبع خط الأشجار ، ثم يرتد إلى صداه ألطف وأشيع . والصوت يرجع عن المباني كالتمطق الحاد . وكلما كانت الفرقعة أعلى وأقوى ، كانت المباني التي أستطيع تعيين مكانها أبعد . وسرعة الأصداء هي الوسيلة لقياس المسافات والأبعاد ، فإذا دنوت من بناء زادت السرعة ، حتى إذا صرت على مسافة ياردات منه اختلطت الفرقعة بصداها وتسربت فيه وصارا صوتاً واحداً . وقد ازدهاني الفرح باكتشاف عالم أرحب آفاقا عند أطراف أناملي ، فوقفت هناك أفرقع أصابعي حتى أقبل العسس يسأل : ماذا بالله تراني أصنع ؟

والشيء الوحيد الذي لا يرتد عنه صدى هو ما هبط عن الأرض . ومن أجل هذا كانت درجات السلم الهابط إلى البدروم مصدر عناء دائم ، ومثلها المظلة (تنده) الواطئة

المشرفة ، والأقبية المفتوحة على الطريق .

ولما قمت بأول رحلة وحدى إلى مدينة مينيابوليس التى لا عهد لى بها ، رأيت من الطبيعة الإنسانية ما طمأننى على المستقبل ، وملأ نفسى ثقة ، فقد كان الشرط وسائقو سيارات النقل وركابها ، والناس فى الطريق يتركون ما هم فيه ليبذلوا لى عونهم . وقد أحصيت فى آخر النهار من ساعدونى ، فكانوا أربعة عشر ، لعل كل واحد منهم عاد إلى بيته وهو يقول : «أما والله إنى لا أدرى كيف يصنع ! » .

ولـكن حاجتى إلى المعونة قلت على الأيام ، فكنت إذا خرجت وحـدى إلى شوارع مدينة غير مألوفة أجعل بالى إلى الاتجاهات وإلى المبانى والمعالم ، فعند هذا الركن حيث أتجه شمالا توجد محطة بنزين ، وعند الطرف الآخر من المبنى صندوق بريد كبير على طوار الطريق ، وبعد بناءين إلى الشمال آلة لخلط الأسمنت لبعض أعمال البناء ، بل ربما ساعدنى الأرج الذى يفوح من شجرة تفاح منورة ، أو زقزقة العصافير على بناء تعلق به النبات وعرّش عليه — أقول ربما ساعدنى هذا على معرفة المكان الذى أنا فيه .

وسرعان ما وجدت ، فى الصيف على الأقل ، حين تكون الأبواب مفتوحة ، أن لكل دكان رائحته التى يتميز بها . فللصيدلية التى فى الزاوية رائحة هى مزيج من العقاقير والعطور ، ولدكان البقال رائحـة البن المطحون حـديثاً ، ولدكان الثياب رائحة النسيج الجديد والـكرات المهلكة للعثة .

أما مفارق الطرق التى تشتد فيها الحركة فبقيت خطراً ، فـكنت أقف على حافة الرصيف منتظراً مرهفاً سمعى ، مقـدراً الفرص التى تتاح للوصـول إلى الناحية الأخرى . وكان مرور سيارة واحدة مقرقرة أشد تحييراً لى من شارع كله حركة فقد تـكون وراءها سيارات أخرى ، ولا سبيل إلى التبين حتى ينقطع صوتها . وكانت سيارات النقل و (الموتورسيكل) تحيـل الأصوات فى مسمعى فوضى لا سـبيل إلى تمييزها . وكانت الريح تقتلع كل ما تسترشد به أذنى وتهتدى ، وتخلط كل المميزات الدالة وتجعل منها مزيجاً واحداً صارخاً .

ثم طامنت من كبريائى واتخـذت عصا بيضاء ، وكانت فى بعض الأحيان تضايقنى ، ولـكنها نافعـة فى المنعطفات . وكان سائقو السيارات يرونها فيقفون . وكنت بفضلها كموسى فى هذه المدينـة : أرفع يدى بالعصا فوق هذا البحر الصاخب فيفترق ، وأدرج سالماً إلى الناحية الأخرى .

وأدهشنى وسرنى أن وجدت أنى مازلت أستمتع بالذهاب إلى دور الســينما ، وهى

للأعمى كإذاعة الروايات المسرحية بالراديو للبصير. ولأكثر الروايات السينمائية موضوع محبوك تساعد الحركة والمؤثرات الصوتية على تتبعه، ويعوض الخيال ما حرمه المرء من الرؤية، فإذا سمعت صوت (فرملة) أو صرخة أو صوت اصطدام، ارتسمت في الذهن صورة يمهد لها الحوار السابق. وإذا كان الشريط يحتوي جزءاً صامتاً طويلا، فإن كلمة من بصير تجيء في أحيان كثيرة مؤيدة لما سبق أن وقع في النفس.

* * *

وتطلعت إلى الالتحاق بمدرسة العميان التابعة لولايات منيسوتا، وكانت هذه أطول خطوة أخطوها لأحيي مستقلا مستغنياً عن عطف والديّ وحمايتهما، ثم إن هذه المدرسة تعرفني أعظم تعريف بذلك الجيش الذي لحقت به حين فقدت بصري. وأخلق بطلبة هذه المدرسة، وهم مائة وثلاثون، تتراوح أسنانهم بين الخامسة والحادية والعشرين، أن يكونوا قطاعاً حسناً، من المائة ألف أعمى الذين في الولايات المتحدة. فكيف هم يا ترى؟ ماذا كانت تجاربهم؟ وكيف يسيرون في دنياهم؟

ووصلت إلى المدرسة بعد الغروب، فمضوا بي إلى غرفتي في الجناح الذي أفرد للنوم، وفيها عرفت «آل» زميلي في الغرفة، و«جورج» من غرفة أخرى فيما وراء الردهة.

وكان «جورج» مديد القامة، يطولني ويطول آل بشخصه الجسيم الشديد العضل، وهو شمشون أعمى مشدود إلى عمود، وما أعظم ما كان يمكن أن يكون، ولكنه الآن مستحيل. وقد شعرت وهو يتخبط ويتعثر في الغرفة بالثورة على ظلم القضاء.

وكان أمر «آل» أحسن ضبطاً، وميزاته أشد اعتدالا، وهو أكثر مواهب. وكان يجلس ساكناً ويعزف على القيثارة، وكانت موسيقاه عذبة، وليست إيقاعاً منتظما كالذي يخرجه الهواة، بل لمساً لأوتار رقيقة وتطريباً بألحان، وكان يجيد ضرب القيثارة والطنبور إجادة عجيبة.

وما لبثنا أن استطردنا إلى الموضوع الذي لا مفر منه. وقد علمت أن عيني آل نسفتا نسفاً لما انفجر في وجهه صندوق فيه رءوس ديناميت، منذ أربعة أعوام.

وفي صباح اليوم التالي أعطيت لوحاً ومامولا (قلماً معدنياً)، ثم ذهبوا بي إلى مكتب المديرة وهي سيدة حسنة الصوت، فنظمت لي دراستي، في مواد الهندسة والتاريخ والطبيعة واللغة اللاتينية.

ثم قالت: «وما رأيك في صناعة؟ إن لك الخيار — وأمامك صناعة القشات، والحفر على الخشب، ونسج السجاد، وعمل

الســلال ، والشباك ، وكسوة الـكراسى بالخيزران ، وضبط أوتار البيانو » .

فلم يرقنى هذا ، وأشفقت إذا أنا أخذت فى شيء من هـذا أن أسلم نفسى إلى حياة من الـكد الذى لا خـير فيه ، ولـكنى ارتضيت نسج الخيزران وضبط الأوتار .

وكان المنهاج لا يختلف عما فى المدارس العامة إذا استثنينا الـكيمياء . وكان على الطلبة أن يعكفوا على الصناعات بقدر ما تسمح لهم بذلك دروسهم ، والغرض من ذلك تدريب اليد . وكانت الموسيقى فى كل مكان ، وكل فتى أو فتاة تستطيع تعلم الغناء أو العزف، تلتحق بفرقة موسيقية . وكانت المدرسة تعنى أيضاً بالآلة الكاتبة، وكانت المذكرات والامتحانات تكتب عليها ، وقل من المعلمين البصيرين من كان يقرأ خط « بريل » بسهولة .

وكانت كتبنا المدرسـية بخط بريل ، وكانت الصـورات التى تستعمل فى تعلم الجغرافية بارزة ، وتلك خير، من حيث البيان والوصف ، من المصورات المرئية، لأن رءوس النجود الناتئة تحت الأنامل أعون على تصور الارتفاع والعمق . وكان كتاب الهندســة حافلا بالرسوم والأشـكال البارزة ، وكنا نستعمل فضلا عن ذلك كتلا خشبية تجسد المثلثات والدوائر والمربعات والمسدسات من كل الأحجام . على أن حل المسائل الرياضية على لوح بريل للكتابة كان أصعب من المسائل نفسها ، وكان تصحيح خطأ ما ، أمراً غاية فى التعقيد والتحيير . وقد كان من شأن هذه الصعوبات أن صار كثيرون من الطلبـة بارعين فى الحساب العقلى ، وأصبحوا أشبه بآلات آدمية حاسبة .

وقد عكفت على خط بريل عكوفاً شديداً ورحت أدرس كتاب مبادىء القراءة به حتى على أرض الملعب ، وأقرأ بجهد مجلداً ضخما يحوى رواية « الـكبرياء والتحيز » بالليل فى فراشى ، حتى خـــدرت أناملى ودميت من كثرة ما لمست من سطور النقط . وكان يحدث أحياناً أن تعاد كتب جديدة ذات نقط حادة إلى المـكتبة ، وعلى صفحاتهـا قطرات من الدم ، لأن بعضهم استحوذت على نفسه القصة فظل يقرأ حتى دميت أصابعه . وقـد حاولت أن أستخدم أصـابعى الأخرى ، ولـكن النقط كانت تستعصى عليهـا وتستبهم ، كما كانت تستبهم على سبابتى لما بدأت أتعلم هذا الخط .

ويظهر أن إجادة قراءة خط بريل رهن بملكة فطرية، أو حساسية غير عادية فى المرء، فإن بعضهم لبث سنوات يقرأ بهـذا الخط ومع ذلك كان يتعثر عنـد كل نقطة ، على حين كان غيره يقرأ بسرعة عجيبة .

ومن هؤلاء « إيد » — ذلك الفرنسى

الصغير البدين الثقيل السمع ، وكان يقضى معظم الوقت فى القراءة أو العزف على البيانو ، ويقوس ظهره وهو يعزف كأنه بيتهوفن آخر يرهف أذنه ليسمع نغمات موسيقاه الدقيقة . وفى وسع الرجال من الأوساط أن يقرأ بخط بريل نصف مايقرأه البصير من الكتابة المطبوعة . أما « إيد » فكان يخطف كالريح فوق الصفحة بكلتا يديه وأصابعه العشرة ، رائحة غادية فوق النقط ، ولا تسمع إلا حسيساً إذ تمر أصابعه على النقط ، وإلا صوت الصفحة وهى تقلب . وكان يحب أن يسمعنا ما يقرأ ، وكان يبلغ من سرعته فى القراءة أحياناً أن تعجز شفتاه عن اللحاق بأصابعه، فتخرج الألفاظ مغمغمة غير واضحة . وكان جو المكان مرحاً خفيفاً ، فبعد الدرس ، إذا هفا إلينا صوت البيانو من الطابق الثالث من الجناح المفرد للنوم ، بادر الجمع إليه ، ويجىء « سوب » بالسكسوفون وقد عرف أسلوب « سويد » فى العزف ، ويجىء « كات » بقيثارته ، و« بوب » بمزماره ، و« جودين » بطبوله ويالهامن موسيقى . يجتمع الخلق عليها كالذباب على السكر ، حتى فى مداخل الأبواب .

وكان عمى العميان فى هذه المدرسة راجعاً إلى أسباب شتى : كالإصابة ، أو أمراض الطفولة ، أو الوراثة . ومن ذلك أن « پن » ، وهو صبى فى العاشرة ، كان يلعب فى فناء المدرسة فأصيبت عينه بكرة من الثلج ، وأعمت العين أختها . وأما « آرت » فإنه وهو فى الثامنة رأى أمه تقطع حلقة المطاط عن جرّة فيها مواد مخللة ، فانحنى عليها يراقبها فتفلتت السكين من يدها وخدشت قرنية عينه خدشاً لا يكاد يبدو . ولكن الحامض الذى كان على حد السكين ذهب ببصر الغلام . أما « جيم » ففقد بصره من جراء الحصبة وهو فى الثانية من عمره .

وسرعان ماتبينت أن الفتيان الذين كانوا عمياناً معظم حياتهم يتفوقون علىّ ، لا فى الحساب العقلى وحده بل فى الألعاب التى يعول فيها على الذاكرة .

وكان آرت أمهر فى ورق اللعب من أن يغلب ، وكان له مجموعة من الورق فى زواياها الفوقية الشمالية والتحتية اليمنى ما يميزها من نقط بريل . وكنت أجد مشقة فى تذكر ما فى يدى من الورق ، أما آرت فكان يذكر كل ورقة معه ، وكل ما ألقى على المنضدة . وكنا نلعب الشطرنج على رقعة مربعاتها السوداء هابطة ، وقطعها الحمر مستديرة ، والسود سداسية الشكل ، وفى هذا لا غنى عن الذاكرة ، وعن القدرة على تصور الرقعة فى حالاتها المتعاقبة .

وكانت الأحلام تتراءى لى فى منامى

كعهدى بها إذ أنا بصـير ، وكانت الصور فيها واضحة حقيقية كما كانت ، فكنت أرانى أسـوق السـيارات وأركب الدراجات ، وأبصر الوجوه التى ألفتها ، بل كنت أحلم بوجوه أصـدقاء جديدين لم تسبق لى بهم معرفة . وما أكثر ما تساءلت فيما بعد عن الصور التى تبدو لى فى الأحلام : أهى ياترى تطابق المظهر الحقيقى للاشخاص ؟

وسرنى، لما عدت إلى المدرسة فى الخريف الثانى ، أن ثقتى قويت . فكنا نسـتطيع أن نهتدى ، ونجد طريقنا وحدنا ، بل نلعب لعبة معدلة من كرة السلة ، ونعـدو وأيدينا على سلك ممدود يرتفع عن الأرض إلى خصورنا ، فى درب طوله مائة ياردة ، ولـكنا كنا نشتهى أن نفعل غير ذلك مما يفعله المبصرون .

ولقد كان من دواعى العجب أن نشاطنا الجثمانى لم يقتلنا ، فقد كنا نتصارع ونتعارك فى غرفنا ، فنقع على الأرض ، ونخبط الكراسى والمناضـد فنصطدم بالأسرة ، ونتلاكم على شرط « أن لا يكون ضرب فوق الكتفين » . وفى إحدى هذه الملاكمات زلت قدمى فوق البساط ، فوقعت على وجهى فأصاب عينى شىء ، إصابة أليمة ، وظللت إلى أن فحصنى الدكتور (ب) مرة أخرى أخشى أن يكون قد بتّ آخـر ما بقى بينى وبين المبصرين من صلة — أعنى قدرتى على رؤية الضوء .

ولعل أقوى ما شعرت به من التحرر من ربقة العمى ، كان لما اقترح « موستر » ، فى آخر شتاء قضيته بالمدرسة ، أن نتزحلق على الثلج . وكان لبعض الذين لم يفقدوا كل بصرهم ، أحذية للتزحلق استعرناها . وذهبنا إلى مرتفع حسن على مقربة من المحجر ، وأوقدناها ناراً محتدمة ، وكان « ديونج » يرى قليلا ، فشـد قدميه إلى الحـذاءين وانطلق فاختفى وراء ما ارتفع من التل .

ولما عاد إلينا ينفخ ويلهث سأله « آرت » : « هل على جانب التل أشجار ؟ » .

— « لم أجد شجراً حيث كنت » .

ولم يكن آرت ذا عين يبصر بها ، ولا كان ظنى أنه جادٌّ فى اعتزامـه التزحلق منحدراً على هـذا التل ، ولـكنه بعد أن وجهه ديونج وجهته ، انزلق هابطاً وانغمس فى الظلمة . فأنصت ، وأنا كالمتحجر فى مكانى متوقعاً أن يصطدم بشجرة أو صخرة ناتئة ، ثم تأدّت إلينا صيحته المألوفة من بعيد أنْ قد « فعلتها » .

ولما جاء دورى ترددت ، ولم استمرىء أن أقذف بنفسى فى الفضاء وأنا لا أدرى ماذا عسى أن يلقانى ، ولـكنى لبست الحذاءين أخيرا ، ووجهنى ديونج إلى الطريق .

ووقفت هنيهة كالمعلق على الحافة وقد انقطع نفسى ، ثم هـوت الأرض تحتى فمضيت ، ورحت أهبط بسرعة تزداد حتى مال الحذاء عن مجراه ، فقذف بى كالمنجنيق بين سلسلة من كثبان الثلج .

وتخلصت ، وعدت أدرج مصعداً فى التل ثم قلت لديونج: «وجهنى، فما من تجربة ذاك مرة أخرى بد » . وذهبت أهبط مرة أخرى والريح تضرب وجهى بمثل السوط فأقعيت وملت إلى الأمام ، وكنت أتوقع فى كل لحظة أن أذهب دائراً فى الهواء . وصحت لما وقفت : « فعلتها ؟ وبلغت السياج أو شيئاً نحوه » فقد شعرت بوجود شىء أمامى ، وتقدمت فلمسته ، فإذا هو شجرة ! وكانت على أقل من أربع خطوات منى ، وكان بين حذائى أصل شجرة متين !

ثم جربنا بعد ذلك قافلة المتزحلقين . ثم أحطنا بالنار نصطلى ، وألقى عليها موستر أكواما من الأغصان الجافة ، ورحنا ندّفأ بضرامها الوهاج ، فتالله ، ما أطيب أن تخرج فى زمرة من الإخوان ، وأن تفعل ما كنت تحسب أن لن تقوى عليـه بعد ذلك أبدا .

* * *

وكنت لما فقدت بصرى قد كففت عن أشياء لها قيمة كبيرة فى حياتى — القراءة والـكتابة ، والرياضة البدنية ، والموسيقى ، والأعمال اليدوية ، والتثقف بالـكتب ، فالآن بعد ثلاثة أعوام ، استعدت ذلك كله .

وسأذهب فضلا عن ذلك إلى الـكلية بفضل مجانية منحتنيها الولاية ! وقد اعترانى لذلك ازدهاء وفرح ، وأحسست كأنى منفى عفى عنه ورأى بعد سنوات أرض وطنه . وكان للذهاب إلى الـكلية مؤدى عندى أكثر من مواصـلة الدرس والتحصيل ، لأنه عود إلى العالم الذى أخرجت منه ، وخوض لحياة اجتماعية أعمق وأرحب .

وكان أهل هـذا العالم فى بداية الأمر ترق قلوبهم لى فيعاملوننى كأنى إنسان على حدة ، أو غريب جدير برعاية خاصـة ، ولـكن السور الذى يفرق ما بينى وبينهم ما لبث أن زال بسرعـة فصرت جزءاً لا يتجزأ من عالم الـكلية .

وقد اتخذت أحد الطلبة قارئاً لى ، ولقينى « ديك » لما وصلت ، وطاف بى بسرعة فى أرجاء المكان ، ولـكن الصورة التى ارتسمت فى ذهنى كانت شديدة الغموض . وأفزعنى ، وأنا جالس فى غرفتى مصغياً إلى صيحات الطلبة فى الخارج ، خاطر المجازفة بالخروج وحدى ، والتعثر بكل شىء واجتذاب أنظار الطلبة إلىّ . ولـكنى لم أكن أتوقع أو أطمع أن يقودنى زملائى من مكان إلى

مكان ، وأن يضحوا بمصالحهم فى سبيلى . وليس من حق الإنسان أن يقعد ويروح ينتظر أن تأتى الدنيا إليه وتسعى له ، وإذا أراد أن يكون من الدنيا فإن عليه أن يسعى لها ويخرج إليها ، لذلك حزمت أمرى ووضعت قبعتى الخضراء على رأسى ، وذهبت أدلف وحدى وأرتاد هذا العالم تدريجاً .

وكنا — أنا وديك — لما سجلنا اسمينا فى الكلية ، قد حرصنا على أن نختار من المواد المشتركة أكثر ما يمكن ، لأنه كان سيتولى القراءة لى ، وكان لا بد بعد هذا التوفيق بين المنهجين ، أن يراجع الأستاذ منهجى .

وقد سألنى هذا السيد الجهم : « كيف تنوى أن تدرس ؟ » .

قلت : « سيقرأ لى بعضهم » .

فتأمل بطاقتى وقال : « الإنجليزية ، والإلقاء ، والتاريخ الأمريكى ، والديانة ، والعلوم الطبيعيــة ، العـلوم النوردية ؟ » وتنحنح : « إن درس العلوم لازم ولكنى أعتقد أن فى وسعنا أن نعفيك منها » .

فاجتنبت الإصرار على درس العـلوم ، وكان هذا خطأ ندمت عليه فيما بعد . وكانت دراستى ، فيما عدا ذلك ، مطابقة لدراسة الطلبة غيرى ، ولكنى بترك العلوم الطبيعية أضعت فرصــة كانت تهيئ لى أن أثبت على وجه قاطع أن فى مقدورى ، على الرغم من العمى ، أن أحصـل أية مادة يستطيع المبصرون من زملائى تحصيلها . ولا شك أن تجارب المعمل لم تكن تخلو من صعوبة ، ولكنها صعوبة ذللها غيرى من الطلبة العميان فى الكليات الأخرى .

وقلت للأستاذ معترضاً : « ولكن هذا لا يترك لى سوى أربع عشرة ساعــة من الدروس ، وبى حاجة إلى خمس عشرة » .

فسعل مرة أخرى وقال بلهجة الآسف : « نعم ، ولكن من الصعب عليك أن تحمل العبء كاملا ، وسنرى ما تستطيع أن تصنع أولا بالأربع عشرة » .

فتململت ، ولكنه لم يسعنى إلا أن أنزل على رأيه .

ولما كان العام التالى أخذت ثمانى عشرة ساعــة ، أى فوق العبء المتوسط ، ولما تصفح الأستاذ جـدول الشرف باحثاً عن اسم ابنته ، وجد اسمى هناك غير بعيد .

ولم يكن ميسوراً أن أحصـل على الكتب المقررة فى الكلية مكتوبة بخط بريل ، ولكن كثيراً من الكتب التى يجب مطالعتها كان يمكن الحصول عليها من الجماعة الاتحادية ، ولها ست وعشرون مكتبة ، كل ما فيها بخط بريل ، وهى مباحة للعميان ، وقد انتفعت بها أعظم انتفاع .

وكنت فى أول الأمر أستحى جداً أن

أدون مــذكرات ، فى قاعة الدرس ، على لوح بريل ، ولـكنى غالبت نفسى وثنيت كبريائى، ووضعت صحيفة من الورق السميك على اللوح ، وأقبلت عليها أنقر فيها بالقـلم المعدنى . وكان صوت النقر ، إذ يثقب القلم الصحيفة يسمع فى جوانب القاعة فتلهبت أذناى من الخجل ، وأحسست كأن هــذا شخير فى كنيسة .

وبدا لى أن تدوين المذكرات على هذا النحو لاخير فيه ، فلابد من التماس وسيلة أخرى ، ووجدت أن ورق اللف العـادى يحتفظ بالنقــط ، ولا يحدث صــوتاً حين أنقره بالقلم .

وصرت بعد ذلك أحمل إلى قاعة الدرس كراسة كغيرى ، واستطعت بفضل الاختزال الذى كنت قد تعلمته ، على طريقــة بريل أيضاً ، أن أكون أسرع فى تدوين المذكرات من الذين يكتبون بالخط العادى . وقبيل الامتحان النهائى فى علم الاجتماع ، شاع بين الطلبة أن مذكراتى تامة وافية ، فاحتشد الطلبة فى غرفتى ، وصاروا يقعدون على المناضد أو يضطجعون على الأسرة ، أو يجلسون على الأرض ، ويصغون إلى وأنا أقرأ لهم ، فانتفخت من فرط الزهو ، وكانت هــذه فرصة اغتنمتها، فرددت إليهم بعض ما أسدوا إلى من جميل وعرف .

وكانت وسـيلتى لأداء أجر القارئ أن أصلحت أوتار خمسين بيانو ، للكلية ، بريالين لـكل بيانو ، وهذا خير من القيام بعمل آخر لا حذق فيه ، فى مقابل ثلاثين سنتاً فى الساعة ، وهو ما يدفع للطلبــة على ما يعمـلون من حين إلى حين ، على مدار العـام ، فيقومون على خدمة المـوائد ، ويغســلون الأطبـاق ، ويجمعون الأوراق المتساقطة . أما أنا فقد قضيت أسبوعاً من عطلة عيد الميـــلاد فى إصـلاح الأوتار ، وأســبوعاً آخر فى عيــد الفصح كذلك ، وانتهى بذلك عملى .

على أنى استنفدت فى هذين الأسبوعين كل ذرة من قوتى ونشـاطى ، فـكنت أستيقظ فى السادسة صباحاً ، وأعمل طول النهار ، فيما عـــدا عشرين دقيقة للغـداء والعشاء ، وأرتمى فى العاشرة مسـاء على السرير وقد أضمرنى الـكلال .

وما لبثت أن عرفت كل ما فى الـكلية ، فاســتطعت أن أتنقل بين قاعات الدروس بغير عناء ، وعرفت أيضاً الطريق القصير الصعب إلى ساحة الألعاب ، وهنـاك كنت أسبح فى البركة ، بل لقد وسعنى أن أتناول الطعـام فى المقهى بلا مشقة ، وإن كنت لم أستغن عن معونة إحدى الفتيات العاملات ، لتجد لى مقعداً ، ثم لتأخذ بيدى وتخرجنى

بسلام من غير أن أصطدم بالصوانى الموقرة .
وألفيت الفتيات ذات صباح مرحات على غير العادة ، حين ناولتنى إحداهن زجاجة اللبن وكوب الماء .

وجلست ، ونزعت الغطاء عن الزجاجة ، وصببت ما فيها فى كوب فارغ ، وشربت ملء فمى ، فاتسعت عيناى من الدهشة ، فقد كان الذى فى الزجاجة ماء ، وتضاحكت الفتيات من حولى .

وقالت مارلز : « كذبة أبريل ! ألم تكن تعرف أن هـذا أول يوم فى أبريل ؟ وقد وضعنا لك اللبن فى كوب المـاء ، والماء فى الزجاجة ، وكانت « إدنا » تخشى أن يكون فى هـذا جرح لإحساسك ، ولـكنا فعلنـاها والسلام ، فكيف وجدت الطعم ؟ » .

قلت : « عظيم ! لقد خيل إلى أن اللبن اليوم أدسم من المعتاد ! » .

وليس حفظ ما فى الكتب كل ما ينبغى أن تفيده من الكلية ، وقد أردت قبل كل شىء تقريبـاً أن أكون طبيعياً فى علاقتى بالفتيات ، وكنت قد استطعت على نحو ما أن أشهد الحفلات بغـير مشقة ، ولـكنى لا أزال أشـعر بالوحشة والاستفراد حين كنت أمشى وحدى ، فألتقى بالفتيان والفتيات يتمشون معاً .

وقد قابلت عـدة فتيات فى المجتمعات ، وفى قاعات الدرس ، وساحات الكلية ، وكنت كل بضعة أيام أجد فتاة جديدة إلى يمينى وأخرى إلى يسارى فى أوقات الطعام ، وكانت « لويس » تبدو لى ذات حظ جزيل من الملاحة والفتنـة ، وكانت ظريفة رطبة اللسان ، وقد أوقعت مرة طبقاً من الحلواء فساعدتنى وأصلحت ما أفسدت .

ودخل علىّ ديك ليقرأ لى درس الغد فى الإنجليزية ، فسألته بلهجة من يخطر له خاطر عارض : « ماذا يبلغ من جمال لويس ؟ » . ومع أن الشخصية كانت أعظم عندى شأناً وأولى بالعنـاية من المحاسن ، إلا أنى كنت مازلت أنطوى على ذلك الزهو أو الغرور الرجالى الذى يأبى المرأة التريكة .

وقال ديك : « لا بأس بها — شـعر أصفر ، وعينان زرقاوان ، وابتسامة حلوة ، وقد رأيتها تتنزه عدة مرات . لماذا تسأل ؟ » .

قلت : « لا أدرى . . . مجرد سؤال » .

وخالجنى شـعور غريب وأنا أعالج أن أتشجع وأخرج إلى الردهة وأخاطبها بالتليفون وأرهفت سمعى عند الباب ، فلم أجد أحداً فى الردهة ، فطرحت الحذر جانباً وقصدت إلى مكان التليفون ، وأسرعت فطلبت رقم الجناح الذى فى غرفتها « ٤ — ٧ — ٤ » قبـل أن يقف فى حلقى ، ودار فى صدرى الشعور نفسه حين أجابتنى الفتاة التى طلبتها

فعرفتها بنفسي ، ثم دعوتها متلعثما إلى المسرح ، وانتظرت ثانية أحسست أنها ساعة . انتظرت وقلبي يخفق خفقاً شديداً وإذا بها تقبل ! وما أشد ما عراني حينئذ من الاضطراب ، والارتباك ، والدهشة ، بل الاستفظاع العميق ، وقد بهت ، ولكني عدت إلى غرفتي وبخطواتي خفة لم يسبق لي بها عهد قط .

وفي الساعة السابعة رفعت الغطاء عن وجه الساعة ولمست عقربيها لأستثبت ، وخيل إلى أن كل الطلاب الذين في الساحة على سلم جناح الفتيات ليروني وأنا داخل ، تخطوت بحذر اتقاء للعثرة واجتناباً لزيادة جذب الأنظار ، ودلفت إلى الباب ، وتحسست حتى لمست المغلاق ، ثم أسرعت فدخلت وأنا مضطرب ، وبي مثل مس الحمى ، وكانت الضوضاء في الردهة تحير ، والبنات والفتيان يتمشون ، أو يجلسون ، ويتكلمون ويضحكون ، فشعرت أن ليس لي هنا محل حتى . . .

« مستعد ؟ » ، نطق بها صوت عذب إلى جانبي ، وتناولت « لويس » ذراعي بغير كلفة ، وخرجنا من الباب ، ومررنا باثنين أو ثلاثة واقفين على رأس السلم ، وهبطنا إلى الطريق ومنه إلى المدينة ، وكانت تهتف بأصدقائها ونحن نسير ، فامتلأت نفسي زهواً ، فقد كانت فتاة يغتبط أي واحد من هؤلاء بأن يخرج بها ، ولم تكن تأنف أن يراها الناس معي . نعم زهيت ، وانتفخت أوداجي كبراً .

وقد اشتركت في كل ما أصلح له وأقدر عليه من مظاهر النشاط في الكلية . واستطعت أن يكون لي نصيب في التمثيل . ففزت بدور ألقي فيه أربعة سطور في منظر يمثل القرصان ، ولكن أعظم ما استمتعت به هو عملي في مجلة الكلية ، وقد صرت أكتب لها في السنوات الأخيرة من حياتي المدرسية عموداً فكاهياً .

والتحقت أيضاً بجمعية أدبية تسمى « سجما تاوس » لأنغمس في الحياة الاجتماعية للكلية ، ولكن أملي خاب من البداية ، لأن الطلبة ترفقوا بي واختصوني بالرعاية ، وكانت مراسم الدخول فيها تجري في كهف قديم في « بوب هيل » حوالي منتصف الليل . وكان على الأعضاء الجديدين أن يسيروا في سرداب مظلم نسج فيه العنكبوت بيوته ، وفيه يفاجأون باللطم والغمز والدغدغة والإلقاء في الماء — إلا أنا . فقد أخذ « تريت » بيدي إلى برميل معفر وقال لي : « أما أنت فقف هنا ، فلا حاجة إلى تكليفك كل هذا » ، وكان باعثه العطف ، ولكنه ضيع علي ما كنت أتطلع إليه ،

وهو لا يدرى . فما كان مما يطيب لى أن أقف جانباً على حين كان إخوانى يجشمون ما يبهرهم . وكان همى ومناى أن أعامل مثلهم وأن أشعر أنهم يدخلوننى فى زمرتهم كواحد منهم ، بلا تمييز يفردونه به أو يتوقعه هو .

ولم يعاملنى الطلبة كواحد منهم ويكفوا عن تمييزى ، إلا لما انضممت إلى جماعـة « فاى جاما رو » ، وكانت مراسم الدخول عنيفة ، ومما تقضى به أن يسير المرء معصوب العينين ويذهب يضرب فى الأرض ، ولم تكن ثم حاجة إلى عصب عينى ، وتنتهى هذه المراسم بأن يطرح المرء على وجهه ، ويدعك جلده العارى فى المواضع الحساسة بالكحول ، ويلصق عليه ورق مما يتخذ لصيد الذباب . وقد حمدت الله فى تلك الليلة وأنا مستلق على وجهى ، فقد كان بجسمى من الخدوش والخموش مثل ما بغيرى .

* * *

وكرت السـنوات الأربع سراعاً ، وأورثتنى قدراً من الحكمة والفلسفة ، وقد آنت زملائى الطلبة أعمالا يزاولونها ، اما أنا فقد اتصلت بوكالة للمعلمين ، وكتبت إلى مدارس العميان جميعاً ، ولـكنى لم أحصل على شىء ، وظللت أنتظر طول الصيف على غير جدوى أو أمل .

وأخيراً ، فى سبتمبر، علمت أن فى مكتبة مدرسة العميان فى فاريبوات وظيفة، فقابلت المشرف عليها وفزت بالوظيفة . وكان مرتبها خمسين ريالا فى الشهر يضاف إليها السكنى والطعام ، فأفادنى ذلك استقلالا مالياً كنت قد يئست منه . فقوى قلبى وشدد عزائمى ، فأقبلت مغتبطاً على واجباتى الجديدة .

وكان الزمن فى مرّه قد جاء بما غير وجه الأمور فى بلدتى ، ولـكنى لم أشعر بذلك لما زرت أهـلى . وقد لقيت ناساً أعرفهم ، ولـكنى لم أجد ما ينم على التغير فيهم ، فقد كانت أصواتهم كما أعهدها ، ولهذا كان مما صدمنى ورجنى أن أعرف فجأة أن المظاهر قد تغيرت .

وسألنى بعضهم مرة ، وكنت أزور أهلى : « من هـذه المرأة الجذابة البيضاء الشعر التى تسكن البيت المجاور لبيتكم ؟ » .

فقلت مفكراً : « المرأة الجذابة البيضاء الشعر ؟ لا أدرى ! ولـكن السيدة د . تسكن هذا البيت » .

قال : « هذا هو اسمها ، وقد تذكرته الآن » .

قلت : « ولـكنها ليست بيضاء الشعر ، فإنها شقراء » .

قال : « كلا . ربما كانت شـقراء فيما مضى ، أما الآن فقد شابت » .

وكان من العسير على أن أروض نفسى على السكون إلى هذا . وخيل إلى أنى مثل « ريب فان ونكل » وقد بعث من رقدة طويلة ، ولم يستطع أن يدرك أن سنين عديدة قد تصرمت وخلفت أثرها فى نفسه وفى غيره .

وكان من العسير أيضاً أن أدرك أن المدينة أيضاً قد تغيرت صورتها المادية .

قالت لى أمى : « لقد قام بيت جديد على الناحية الأخرى من الشارع » ، ولكن مؤدى قولها ما لبث أن غاب دون أن يستقر فى نفسى ، ولم ترتسم فى ذهنى صورة للبيت الجديد إلا بعد أن سمعت صوت الباب وهو يغلق ، وصوت امرأة يصدر عن تلك الناحية التى كانت أرضاً فضاءً .

* * *

ومن الغريب أن الأوصاف اللفظية لما لم يسبق لى أن رأيته من الأشياء ، لم يكن لها أثر يذكر فى أحلامى . وكان الانسياب قد روعى فى صناعة السيارات والقطر والطائرات ، بعد أن فقدت بصرى ، ولم يتعذر على أن أتصور هذا التغيير الذى حدث ، ولكن السيارات التى حلمت بها أو تخيلتها كانت هى السيارات المستقيمة الجذع ، العمودية الظهر والزجاج الأمامى كعهدى بها سنة ١٩٢٨ . وكانت الطائرات والقطر تتمثل لى كما أعرفها من قبل .

ولم تكن وظيفتى فى المكتبة مما يفسح المجال للتقدم ، فبعد ثلاث سنوات كان عامل البريد يحمل إلى نفس مرتبى الشهرى القديم ، وهو خمسون ريالا . وكان فى وسعى أن أظل أعيش فى غرفتى بقية حياتى مستريحاً ، وعندى ما يكفى للثياب والتدخين . وكنت أعد نفسى سعيداً لأنى أكسب رزقى ، ولكنى لم أنفض يدى قط من الأمل فى أن تؤتينى الحياة ما هو أكثر من الرزق وكفالته . وافتقدت ذلك العالم الرحيب الذى عدت إليه لما دخلت الكلية ، والذى أحسست أنى بعضه .

غير أنه لم يبد لى أمل فى الحصول على وظيفة أخرى ، فما توقعت أن يستخدمنى أحد حين يعلم أنى أعمى ، ولم يكن أمامى غير سبيل واحد — أن آخذ إجازة سنة ، وأدرس فى إحدى الجامعات ، فقد يساعدنى الحصول على درجة أعلى مما أحمل .

وقد اخترت جامعة « إيووا » لأن فيها قسما بديعاً للانشاء ، وخرجت منها بعد فترة وأنا أحمل درجة الأستاذ « ماجستير » فى الآداب . وقد تدربت على الكتابة تدريباً حسناً ، وخير من ذلك كله أنى تعاقدت مع ناشر على طبع كتابى هذا ونشره .

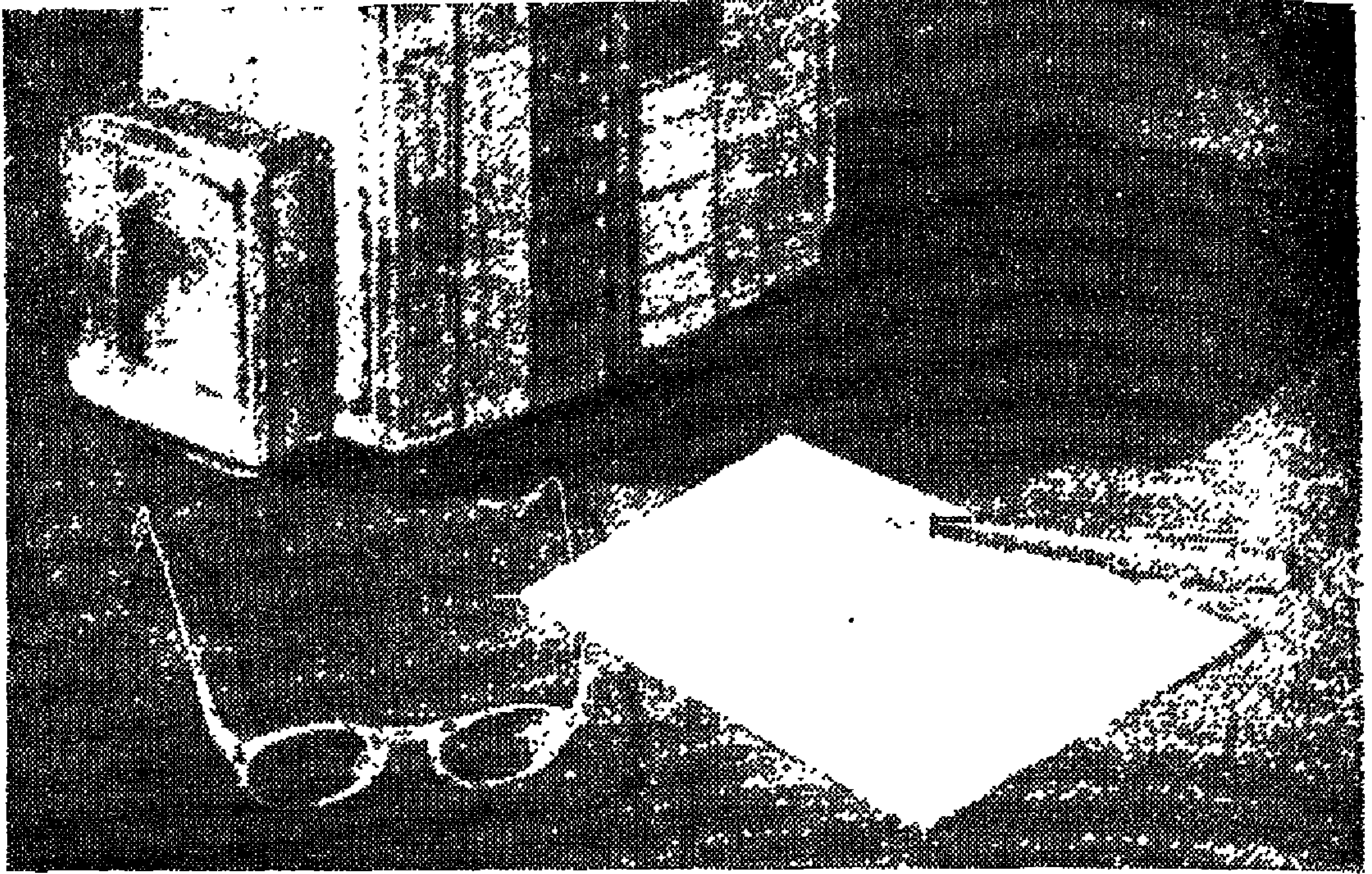
ولم تكن رغبتى فى الخروج من ظلمة

الخمول ، وأخـذ مكانى فى عالم المبصرين الأرحب ، أمراً غير مألوف بين العميان ، فإن هناك الافاً من العميان القادرين الأكفاء ، لا يطيب لهم أن يوضعوا على الرف ، ولا ينبغى أن يكون هذا حظهم ، فإن هناك أكثر من مائة ضرب من الأعمال يمكن أن يؤدوها .

وأكثر أصحاب الأعمال لا يدرون ما يستطيع العميان أن يفعلوا ، إذا كانوا ممن حسن تدريبهم وتثقيفهم ، ومن ذوى التصرف والحيلة الواسعة . وكثيراً ما تحمل الرسائل الواردة من وكالات العميان العبارة الآتية فى ذيلها : « كتبها أعمى على الآلة الكاتبة » . وقد صنع « فونغراف الكتاب الناطق» الذى عندى، عمال فى مصنع عميان. ودرس غلام أعمى فى الثالثة عشرة من عمره علوم الطب ، وصار من أبرز الإخصائيين فى الولايات المتحدة . ونجح من العميان مدرسون ، وبائعون ، وفلاحون ، وموظفون فى الدكاكين ، وصحفيون ، وموسيقيون ، وقساوسة ، وعاملون فى الخدمات الاجتماعية ، وعمال تليفون ، ومديرو أعمال ، ووكلاء تأمين ، وجباة ضرائب ، وخدم فى المنازل . ويوجد ٢٩ عملا مختلفاً يؤديها العميان فى المصانع ، من ضم القطع وتأليف ما بينها ، إلى « البرشمة » وغيرها .

وفى وسع الكفيف الكفء إذا رزق الاستقلال الاقتصادى أن يأخذ مكانه فى المجتمع ، ويعيش سعيداً نافعاً كغيره . وهو لا يحب أن يذاد عن الناس ويمنع عن مواردهم ، لأن ما يعنيه كله فى عالم المبصرين ، ورغبته هى أن يعمل معهم ويحيا بينهم . وأعظم ما يسره من ثناء أن يسمع إخوانه المبصرين يقولون له : « أتعلم أنى لا أفكر فيك قط كأعمى » .

واليوم ، وبفضل المخترعات الحديثة — الآلة الكاتبة ، والدكتافون ، ولوح بريل ، والكتاب الناطق ، والراديو — صار العميان أوفى عدة مما كانوا من قبل وأقدر على احتلال مكانهم كأعضاء أكفاء فى المجتمع . ولا يطلب العميان الصالحون للعمل ، وهم أربعون ألفاً ، إلا ثقة الجمهور ، إذ بغير هذه الثقة ينقلب عبثاً كل ما حصل من التقدم لجعل العميان مكسباً للجماعة ، بعد أن كانوا حميلة عليها . وهم لا يطلبون معاشاً أو صدقة أو إحساناً ، وإنما يطلبون أن تتاح لهم الفرصة ليحيوا حياة كاملة ، من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك حق لكل إنسان .

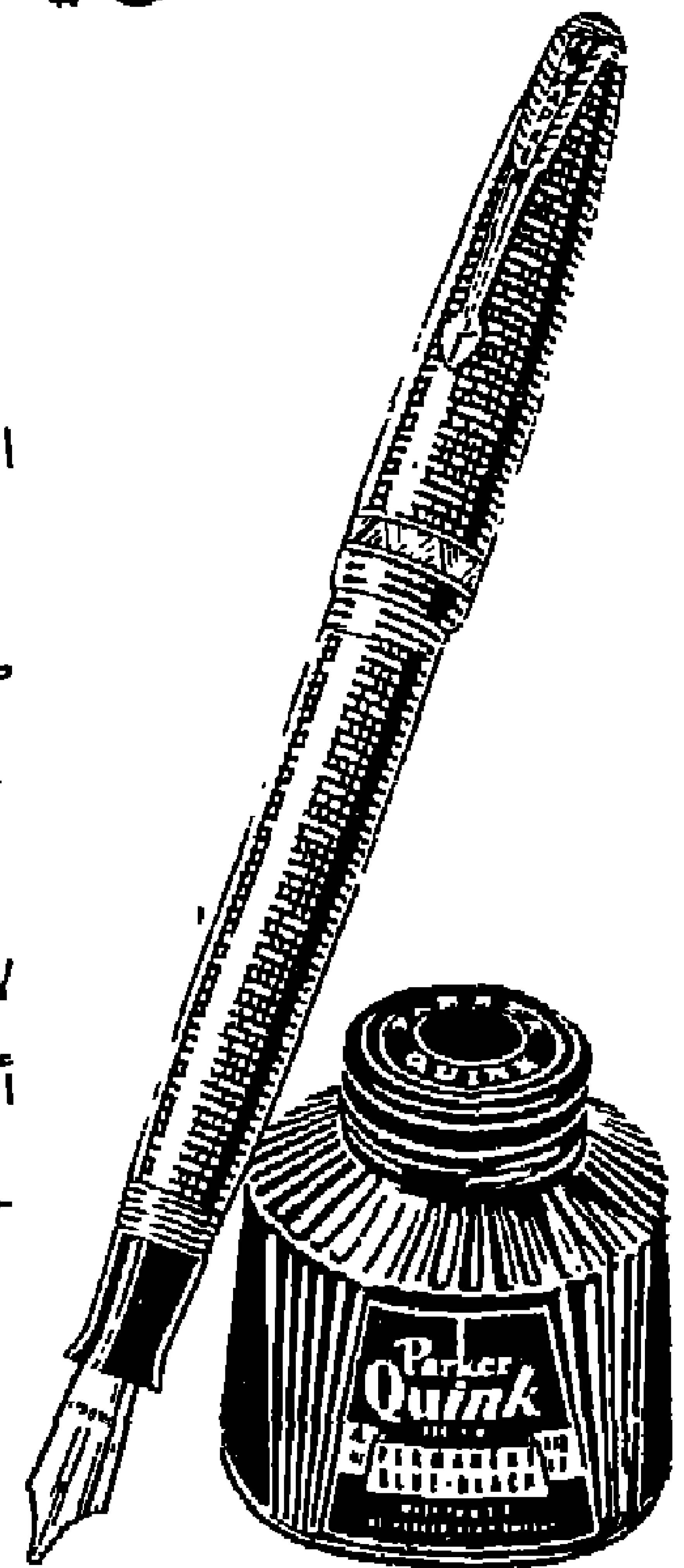


"أن يكتب الأنسان مايدور بخلده
— هذه هى الحرية"

أن تقول وتكتب ما تعتقد ، حسبما يمليه عليه وجدانك — هذه هى الحرية التى تعد أساساً لجميع الحريات .

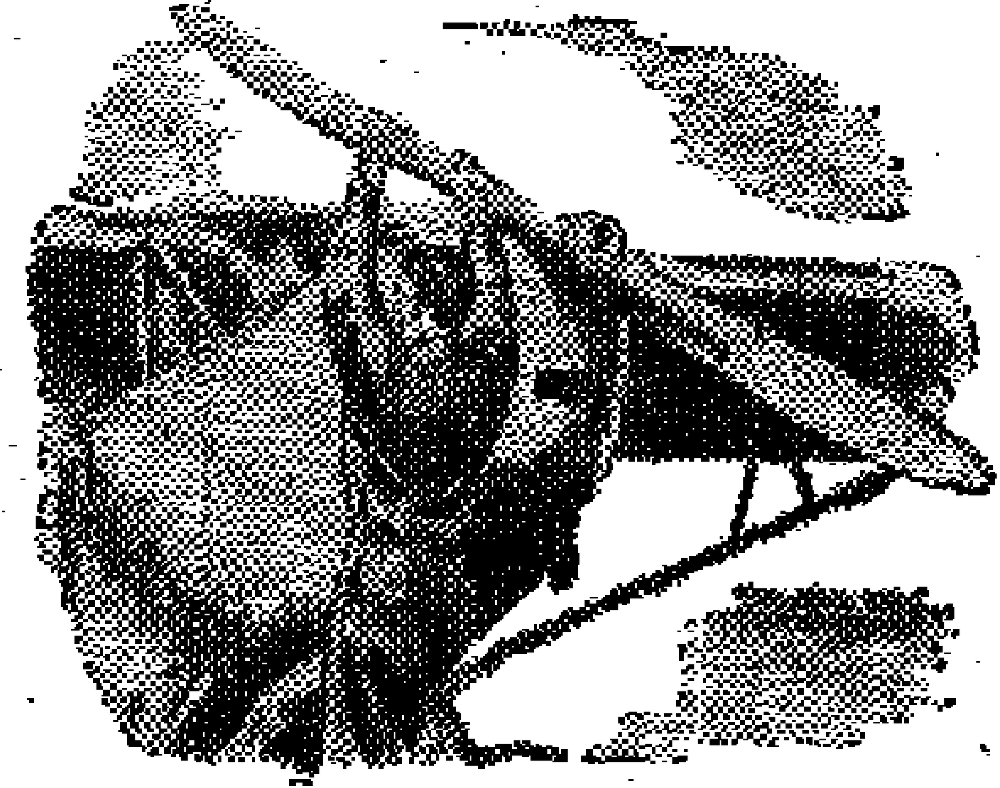
وأن تنتج لمعشر الكتاب والمفكرين أقلاماً يعتزون باقتنائها لجمال شكلها وكمال صنعها الذى يبلغ حداً يجعلها تدون أراءك على الورق بمنتهى السهولة والطلاقة — هذه هى خطة باركر منذ نصف قرن

واليوم أصبحت هذه الأدوات الكتابية البديعة نادرة للغاية ومن المحتمل أن لا تستطيع الحصول على قلم باركر الذى تبحث عنه . فمصانعنا منقطعة الآن ، وإلى أن يتم النصر ، لإنتاج المهمات الحربية الدقيقة لجيوش التحرير ، التى تعمل فى خدمة الأمم المتحده .



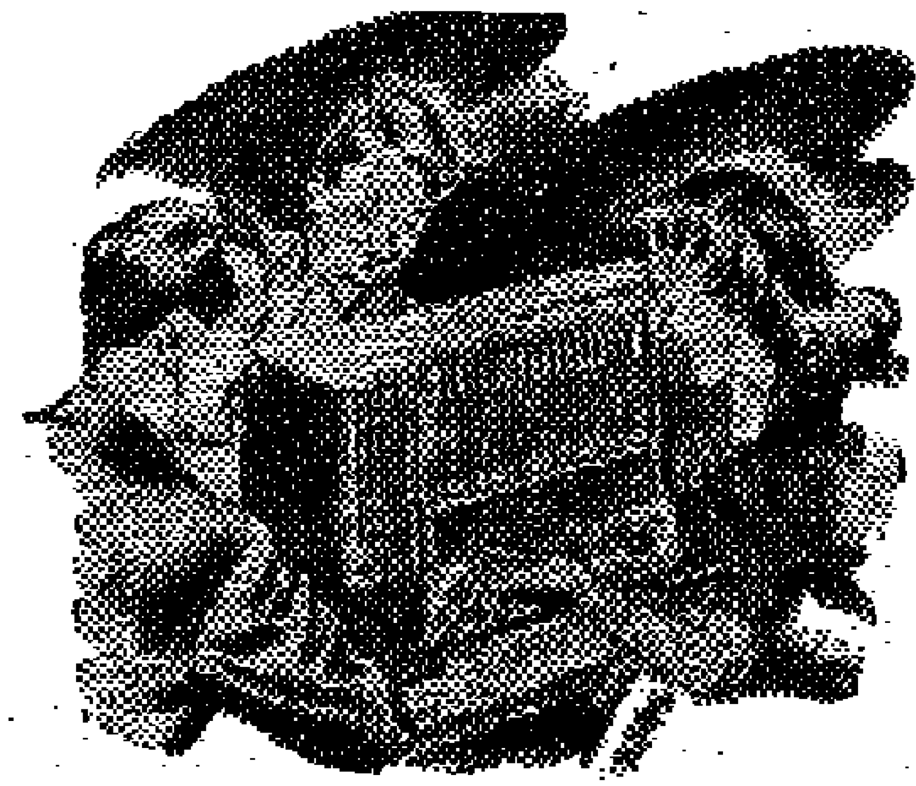
بَاركر

R C A تقدم
أحدث الأنباء

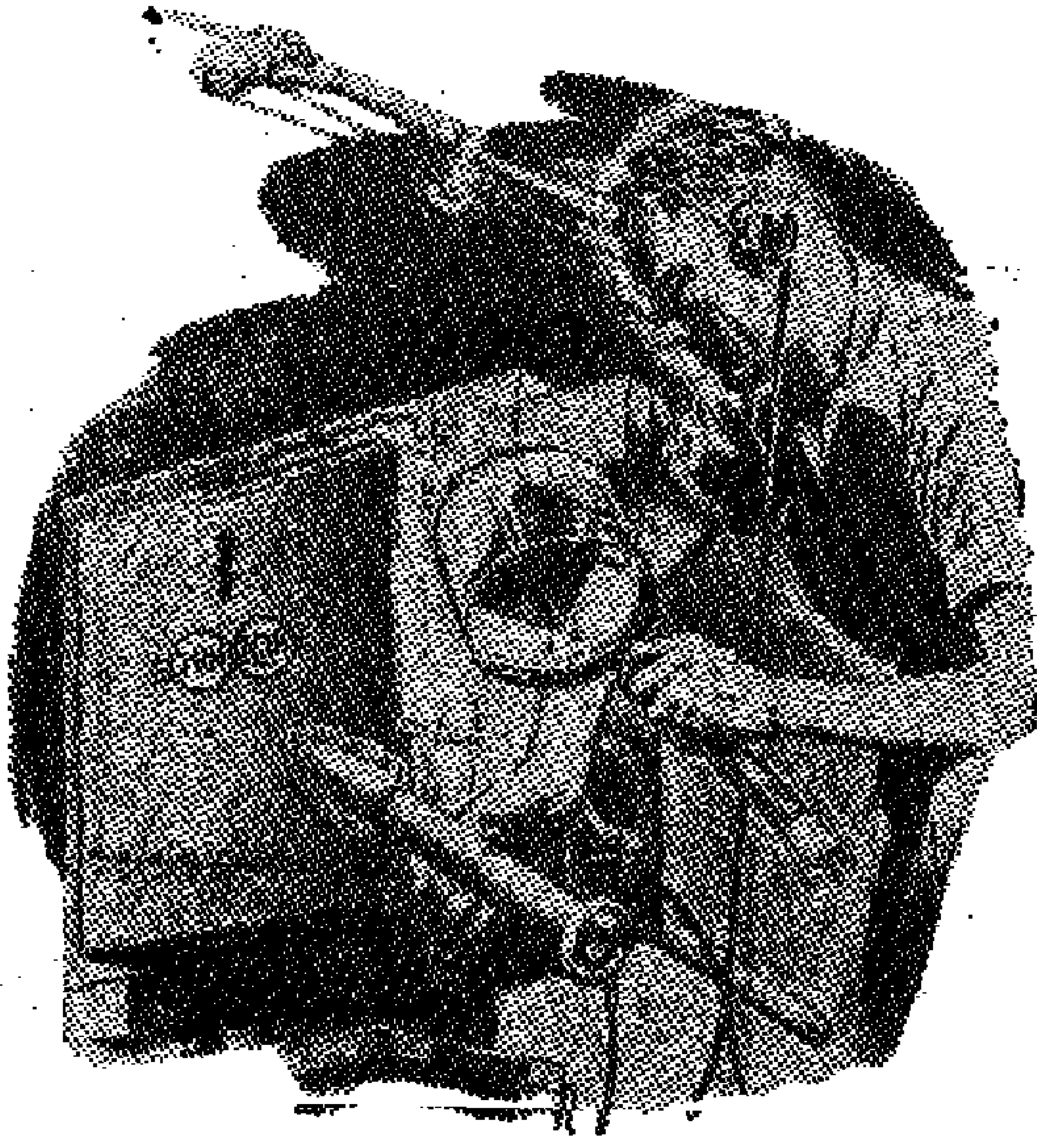


جرارة الراديو تصنع مراوح المحركات ! !

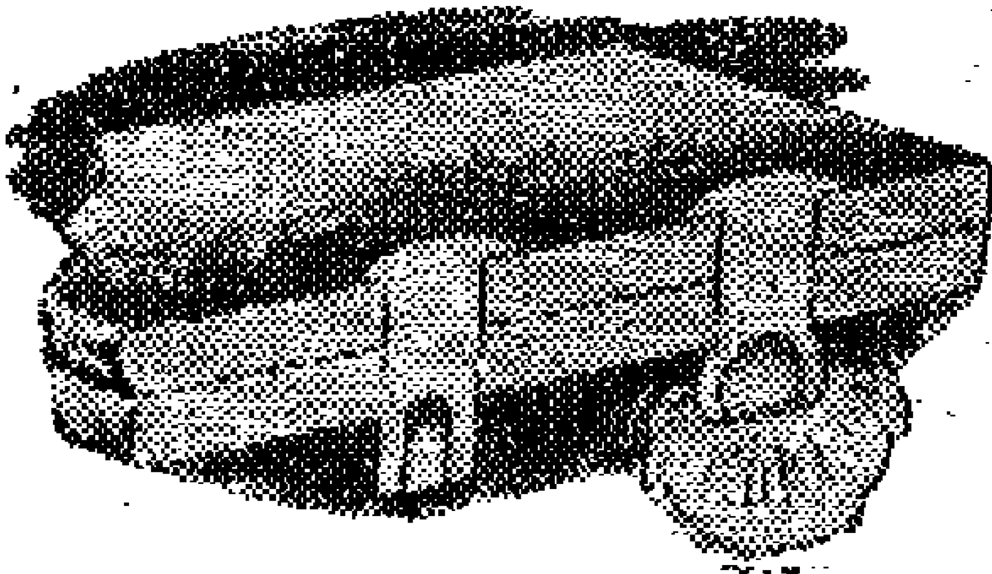
إن الطرق القديمة البطيئة للتجفيف وإلصاق أجزاء المحركات المصنوعة من الخشب المصفح قد حلت محلها طريقة R C A القائمة على ذبذبة موجات الراديو .



ما هي أحدث الأنباء : سؤال يسأله كل ليلة ملايين من المستمعين إلى أجهزة R C A . وإن نفس المهارة الهندسية التي تبذل في أجهزة R C A للتلفزة ولاسلكي الطائرات ، قد أتقنت كذلك صمامات R C A اللازمة لجهازك المنزلي .



عين التلفزة السحرية : إن جهاز الايكونوسكوب وهو اختراع شركة R C A يجعل التلفزة الالكترونية ممكنة . ويمكن إلتقاط المرئيات بواسطة مئات الآلاف من البصاصات الكهربائية وإرسالها خلال الهواء على أمواج الراديو . ومع أن R C A تقصر إنتاجها الآن على الأمم المتحدة ، فإن الخبرة التي تكتسبها وقت الحرب تبشر بمنتجات أفضل عند ما يستتب السلام .



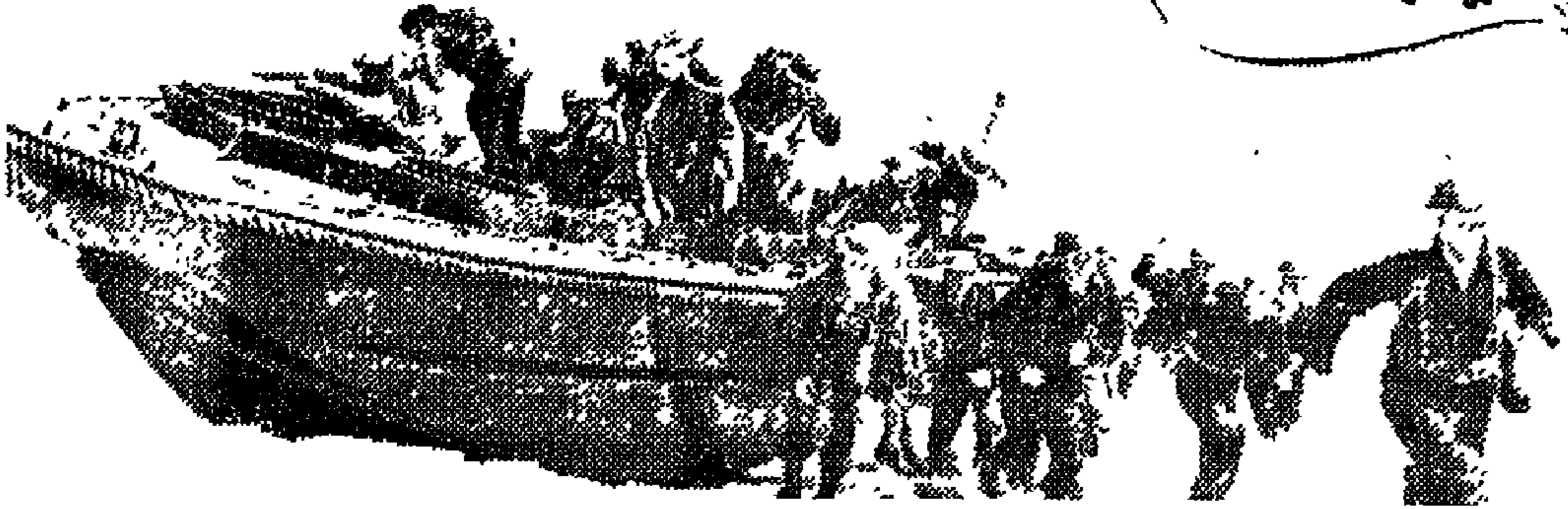
تفجير البرشام بالراديو ! يفجر طرف البرشام المحتوى على مادة مفرقعة بواسطة طاقة أمواج الراديو . وهذه الطريقة الجديدة تسهل الانتاج الصناعي وتعجله .



راديو كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R. C. A. ڤيكتور – كامدن ، نيوجرسي بالولايات المتحدة

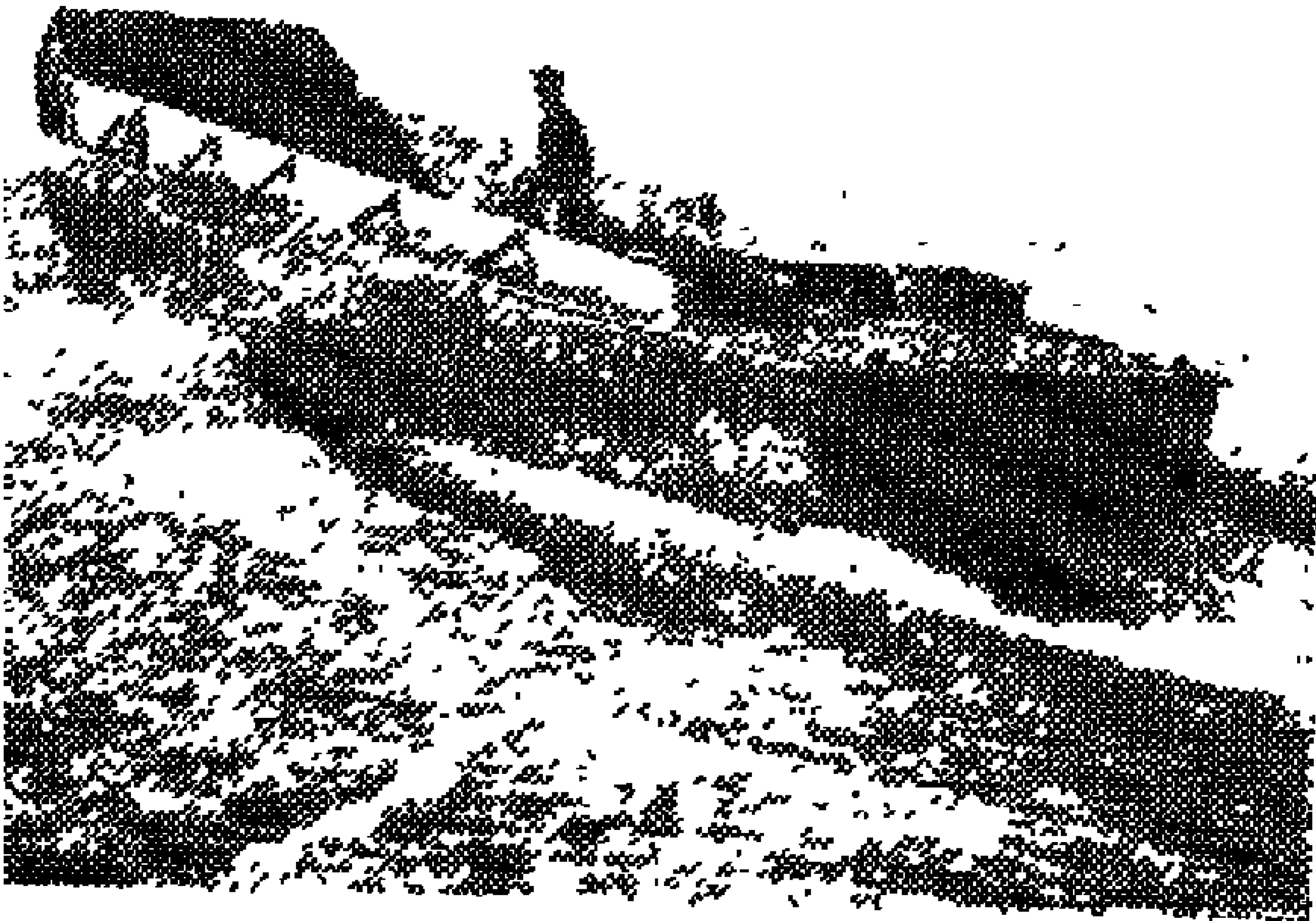
زوارق هيجنز



دائماً فى طليعة سفن الغزو

وادى الكنار ! افريقيا ! بحر المانش !

إن زوارق هيجنز التى صممت وبنيت خصيصاً لأغراض الأمم المتحدة ، يصفها المقاتلون المحنكون الذين اشتركوا فى حملات وادى الكنار وشمال أفريقيا بأنها « أحسن زوارق فى العالم على الإطلاق » . وهذه الشهادة البليغة صادرة من رجال عركوا قوة هذه الزوارق تحت وابل من النيران . رجال تتعلق مصائرهم على مرونة هذه الزوارق ومتانتها وسرعتها وشدة مراسها ويسر تسيرها . وقد تبوأت زوارق هيجنز مكان الزعامة بلا منازع بفضل ما تصادفه من ثناء فى جميع الميادين التى يستعر فيها نار القتال ؛ وهذا التفضيل الإجماعى له مغزاه الكبير عند الذين ينوون شراء زوارق هيجنز بعد الحرب سواء للمتاجرة أو لمجرد المتعة . وصفات الكمال والامتياز التى تمتاز بها زوارق هيجنز مسجلة ، ولا توجد فى سواها . وهذه حقائق جديرة بأن تتذكرها فى المستقبل !



Higgins

INDUSTRIES INCORPORATE

أعظم صانعى الزوارق فى العالم

مخترعى ومنتجى زوارق هيجنز أمريكا للنزول إلى البر



بأية سرعة يمكن بناء طريق ؟ لقد ضرب مهندسو الجيش فى شمال أفريقيا رقماً قياسياً جديداً ، فى خلال المعارك تعلموا أن يمدوا طريقاً خلال الصحراء بسرعة أربعة أميال فى الساعة — أى بسرعة زحف الرجال !

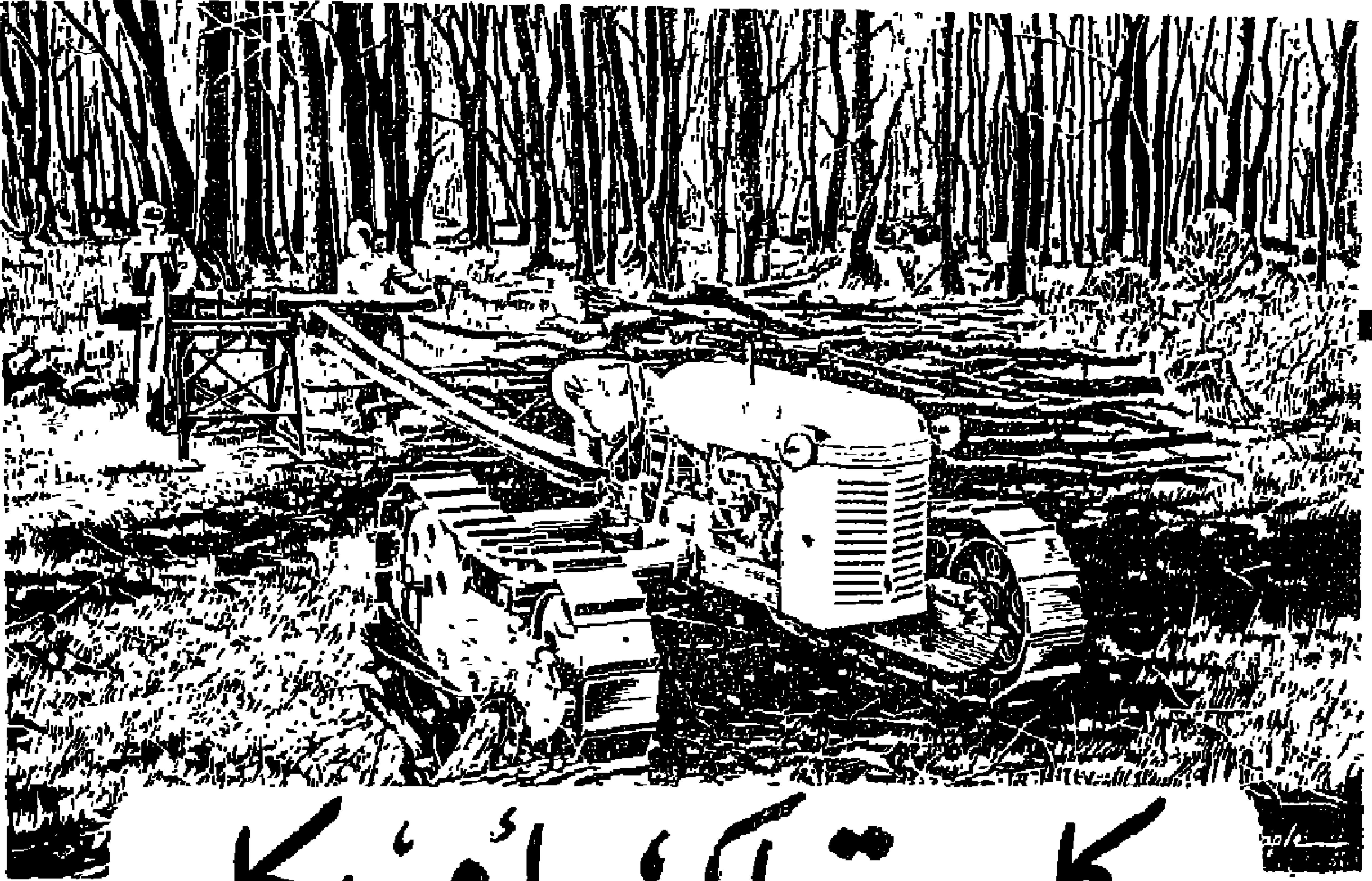
وتقود جرارات ديزل « كاتربيلار » فرق تمهيد الطرق بمرافقة آلات رفع التراب وتملأ الأخاديد ومجارى الجداول . ثم تليها جرارات أخرى تقطر زحافات لإجراء التمهيد الأولى . وخلف هذه تتقدم ممهدات ديزل « كاتربيلار » بثبات وتتم العمل . وتصلح الطرق الصحراوية التى بنيت لخطوط طويلة لعربات التموين التى تنقل الماء والطعام والوقود والذخائر .

إن جرارات ديزل « كاتربيلار » ، والممهدات ، والآلات والأجهزة الكهربائية تسدى خدمة عظيمة إلى انتصار الحلفاء ، فإنها بما اشتهرت به من متانة وقوة ، وسهولة الاعتماد عليها . تجر المدافع ، وتطهر رءوس الكبارى وتقطع الأدغال ، وتبنى المطارات ، وتولد التيار للاضاءة والراديو

ومع أن معظم إنتاج « كاتربيلار » يذهب رأساً إلى ميادين الحرب فإن صيانة الآلات القديمة فى أمريكا يقوم بها عملاء « كاتربيلار » فى كل مكان . وإن مهارتهم ومعداتهم الخاصة لتبقى قوة « كاتربيلار » عاملة فعالة فلا تستهلك إلا أقل قدر من المال والمواد اللازمة للحرب

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار - بيوريا ، إلينوى



كليتراك أمريكا

تعمل فى الحرب ... لأجل السلام

للوصول إلى سلم عاجل ، يجب أن تشيد المطارات والمصانع ومعسكرات التموين مكان الحقول والغابات . . . ويجب أن تعبد الطرق التى تصل هذه الجهات الداخلية المتزايدة بالعمران . ومحاريث كليتراك تساعد على سرعة نقل المؤن والذخائر لأنها تساهم ، فى الوقت نفسه . فى تمهيد الطرق وزيادة المحصولات الغذائية .

وهكذا يشترك محراث كليتراك كراولر اشتراكاً فعلياً فى تقصير أجل الحرب بإتمامه عمله على وجه أكمل وأسرع ، ولا غرو فالشهرة التى حازها محراث كليتراك لمتانة بنائه وقوة احتماله تجعله دعامة قوية فى قضية العالم الحر .

ونحن نرحب بكافة الاستعلامات عن محرث كليتراك كراولر

شركة محاريث كليفلاند

كليفلاند اوهيو بالولايات المتحدة

٥ أسباب تقنعك بأن موبيلويل هو أحسن زيت لسيارتك

اقرأ هذه الفوائد الهامة التي تجنيها باستعمالك زيت موبيلويل ذي الشهرة العالمية .

١ وقاية أفضل : ضد هرش المحرك — ذلك لأن موبيلويل يحتفظ بصفاته التزييتية الممتازة ويقاوم درجات الحرارة المرتفعة والعمل المرهق الطويل مقاومة فعالة فهو ضمان ضد الاصلاحات الباهظة .

٢ قيام أسهل : زيت موبيلويل يضمن لمحرك السيارة حركة سريعة وقياماً سهلا وهو لا يعرقل سير الأجزاء المتحركة . فني استعماله اقتصاد في قوة المحرك وكمية البنزين المستهلكة .

٣ انتشار أسهل : نظراً لأن هذا الزيت ينطلق في الحال بمجرد قيام المحرك فإنه يتسرب بسرعة إلى كل جزء من أجزائه ويصونه صيانة تامة باطراد .

٤ مقاومة الكربون والرواسب الأخرى: ستلاحظ بعد استعمالك موبيلويل أنه يخفض إلى أدنى حد تكوين الرواسب التي تؤكسد الزيت كالصمغ والكربون وخلافهما .

٥ خفض مصاريف السيارة : ولما كان موبيلويل يساعد على الاحتفاظ بالمحرك نظيفاً ويضمن له تزييتاً سديداً منتظماً فإنه يخفض إلى أدنى حد استهلاك الزيت والوقود ومصاريف الإصلاح .

فبادر اليوم إلى استعمال موبيلويل إذ أن الظروف الحالية لا تسمح لك بالمجازفة بزيوت رديئة الصنف .



أفخر زيت سيارات في العالم

ولما كانت مقالات المجلة مختلفة مما دنا أو نأى من الصحف والمجلات والكتب ، فكأن لم يكن ثمة بد من أن تنتشر وتمتد وراء حدود هذه البلاد التي ولدت فيها . وأن تدخل بيوتاً كثيرة في بلاد كثيرة ، وأن تؤثر في حياة كثيرين في أقطار شتى .

ولما أصدرت مجلة « ريدرز دايجست » طبعتها باللغة الاسبانية ، سنة ١٩٤٠ ، شرعت في تجربة جديدة ، في الصحافة الدولية والصداقة الدولية . وقد أصبحت هذه التجربة الآن ، في أمريكا الجنوبية ، طبعة دوليه واسعة الانتشار . يباع منها كل شهر ما يزيد على ٩٠٠ر٠٠٠ نسخه . وللطبعة الاسبانية ، شقيقة في البرازيل ، تطبع باللغة البرتغالية ويوزع منها كل شهر ما يزيد على ٣٠٠ر٠٠٠ نسخة . وبنجاح هاتين الطبعتين انتهت مرحلة « التجربة » .

وتنفذ الآن الخطط التي وضعت لنشر « المجلة العالمية » الحقيقية الأولى ، بلغات مختلفة . ففي شهر مارس من سنة ١٩٤٣ صدر العدد الأول من الطبعة السويدية ، في استوكهلم ، وقد ظفر منذ اليوم الأول بمثل الاقبال والحماسة ، اللذين ظفرت بهما المجلة في البلاد الأخرى .

و « المختار » هو الطبعة الدولية الرابعة لمجلة « ريدرز دايجست » . وقد وقعت الحماسة التي قابلت بها البلاد العربية اللسان ، هذا العدد الأول من « المختار » ، في نفوس المحررين أحسن وقع ، لأنهم يدركون حق الادراك أن الحضارة الغربية أخذت عن الشرق جميع أصولها ومبادئها .

وقد مضت أجيال كثيرة ، عب العالم الغربي ، في خلالها ، من ينابيع الحكمة التي لا تغيض ، في بلدان البحر المتوسط . وفي هذه الينابيع ، وجد العالم الجديد ، في ما وجده من تراث ثقافي عظيم ، نظام الترقيم ، وحروف الكتابة ، ومعرفة النجوم في مداراتها .

ومن الشائع المتداول أن توصف بلاد مصر ، وسوريا ، وفلسطين ، ولبنان ، والعراق ، بأنها « ملتقى طرق العالم » حيث يختلط الناس وتلتقي العقول . ومجلة «ريدرز دايجست» صورة مصغرة منه ، فهي كذلك « ملتقى طرق » إذ تفسح للناس صعيداً مشتركاً ، يجتمعون فيه ويتباحثون ثم ينصرفون وقد استجمعوا نشاطهم وقوتهم . إن محرري « ريدرز دايجست » يسددون إلى الشرق الأدنى قبساً من حضارة الغرب في مجلتهم « المختار » ، وهم يرجون بذلك أن يؤدوا شيئاً مما له عليهم من الديون الكبيرة التي بقيت أعناقهم مطوقة بها أجيالا طوالا .

ملتقى طرق العالم

هذا هو العدد الثالث من « المختار » ، وقد تلقينا من قرائه خلال الشهرين الماضيين رسائل كثيرة يسألنا أصحابها عن مجلة « ريدرز دايجست » . ولعل أكثر الأسئلة وروداً هو هذا : « لماذا عنيت مجلة ريدرز دايجست بإصدار طبعة عربية ؟ » .

ويلوح لمحررى المجلة ، أن هذا الوقت وهذا المكان هما خير وقت ومكان ، يجيبون فيهما ، بعض الاجابة على الأقل ، عن الأسئلة التى وجهها إليهم أصدقاء تربطهم بهم عرى صداقة جديدة كريمة .

بدأت مجلة « ريدرز دايجست » ، كما تبدأ أعمال كثيرة موفقة ، بشاب وفكرة . كان هذا الشاب ده ويت والاس ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢١ . أما الفكرة فكان مدارها على أنه فى الوسع إسداء خدمة صحفية كبيرة فذة ، إذا ما عنى أحد الناس بأن يراجع هذا الجبل المتراكم مما يطبع وينشر كل شهر ، ثم يختار منه أجوده وأبقاه ويلخصه وينشره فى رسالة .

هذه هى الفكرة ، وهذه هى الخدمة التى ما فتئت تنمو منذ سنة ١٩٢٢ حتى غدت الآن متعة ينعم بها أكثر من أحد عشر مليوناً من الناس كل شهر فى جميع أقطار الأرض .

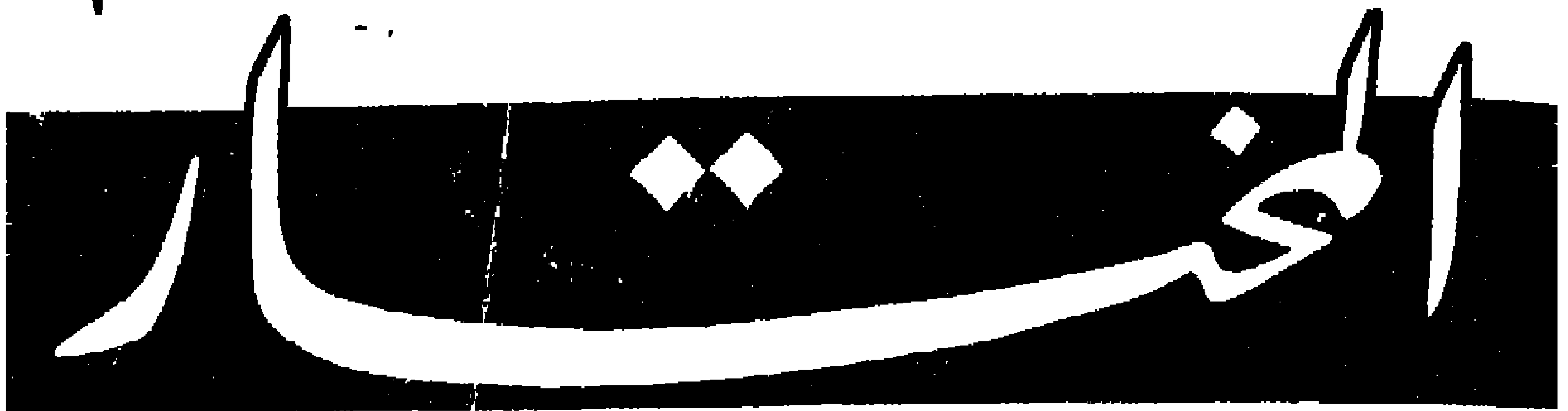
وبازدياد قرائها ازداد عدد محرريها . وعدد الذين يشتغلون بتحرير « ريدرز دايجست » الآن يفوق عدد المشتغلين بتحرير أية مجلة أخرى . ومن بين ثلاثة وستين محرراً وهبوا وقتهم كاملا لتحريرها ، فريق كبير من المديرين السابقين الطائفة من المجلات المشهورة ، وصحفيون ذاع صيتهم ، وكتاب اختصوا بكتابة الفصول الممتازة فى صحف الأدب ، والعلم ، والدين ، والتجارة ، والتربية .

إن إعداد مقالات عدد واحد من « ريدرز دايجست » يقتضى عملا يستغرق ٨٢٣٥ ساعة من المطالعة ، أو أكثر من ١٠٢٩ يوماً ، ثمانى ساعات كل يوم ، وهى ساعات يقفها جمهور من المحررين المجيدين على مراجعة ما ينشر كل شهر ، وهذا عمل لو وقفت أنت عليه كل وقتك لما استطعت أن تنجزه فى أقل من ثلاث سنوات .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة — ٣ قروش



من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

ديسمبر ١٩٤٣

احد عشر مليون نسخة من كل عدد

طبعات فى الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية

إننا نرجو أن يعجبكم « المختار » من مجلة ريدرز دايجست .

فأحد عشر مليون نسخة من هـذه المجلة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصروالصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغـة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العـدد الرابع من الطبعة العربيـة . وقد وزّع منه ثمانون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسـوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملـكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة ، تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ي . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الأولى المجلد ١ العدد ٤

الملكات يمتن كريمات

وليم ل . هوايت

« الملكات يمتن كريمات » — قصة عهد إلى المحرر الطواف وليم ل . هوايت أن يكتبها ، وهى تسرد قصة القلاع الطائرة ، أولئك الملكات المستوليات على عرش الجوّ اللاتى قاتلن حتى الموت فى سماوات الفليبين وجاوة وأستراليا . و « الملكات يمتن كريمات » قصة لن ينساها القارئ ، تحفر حوادثها بأحرف من نار فى الذاكرة ، وتقوى القلب وتنعشه ، إذ كانت سجلا مشجعاً للبسالة والإخلاص للواجب ، وتلك آية الوعد الصادق بالنصر » .

وقفت القلعة الطائرة القديمة الشهباء على مدْرَج فى مطار أمريكى متهيئة للرحيل إلى قارة أخرى ، ومنطقة حرب أخرى . وهذه الخدوش التى على بدنها أحدثتها فيها حبات الرمال فى جزيرة « ويك » ، حين كانت فى طريقها إلى الشرق الأقصى قبل الحرب . وهذه النقرة الصغيرة فى جناحها ، جاءتها من شظية قنبلة فى اليوم الذى شبت فيه الحرب، حين دمر اليابانيون كل طائرات سلاحنا الجوى فى الشرق الأقصى فى مطار كلارك بالفليبين ما عدا قليلا منها ، وكانت هذه إحدى الناجيات القلائل . وقد أكلت

الشمس بعد ذلك ، فى سماء جاوة وصحراء أستراليا،لونها الذى دهنت به للحرب ، والآن وقد نزعت مدافعها فقد صارت كجواد حرب قديم نقل إلى المرعى .

ويجلس فى ظل جناحها رجال عنـدهم قصـة يروونها : الطيار فرانك كورتز ، بطل الغطس فى الألعاب الأولمبية سابقاً ، وكان قبل عام ملازماً فى فرقة القذف التاسعة عشرة ، وهو يحمل أوسمة رفيعة ، وقد صار بكباشياً ومازال فى الحادية والثلاثين من عمره ، ومعه مارجو زوجته الجميلة ، واليوزباشى هرى شريبر ، ملاح الطائرة ، وغـيرهم من رجالها .

ويقطع فرانك الأرض جيئة وذهاباً ، لأنه لا يجد الكلام سهلا ، ثم يقول : « لا أكاد أدرى أين تبدأ القصة ؟ ولعل البداية كانت مع الطائرة رقم ٩٩ التى كانت أولى طائراتى ، ومع « تكس » أول زميل لى فى القيادة ، وبقية رجال الطائرة — الذين رأيتهم راقدين فى مطار « كلارك فيلد » — ثمانية فى صف . وهذا ما وجدت بعد أن عادت قاذفات القنابل اليابانية ، حين وثبت إلى دراجتى واندفعت بهـا على المدرج فى خلال الدخان المتصاعد من القلاع الطائرة الأخرى المحترقة ، لأرى ماذا أصاب الطائرة رقم ٩٩ . وكان فى الطريق مرتقى ، وإنى لأدفع الدراجة مصعداً فيـه وإذا بقلبى يخفق خفقة قوية ، فقـد أخذت عينى مثبتها العمودى ، القوس الكبيرة من ذنبهـا ، ذاهباً فى الهـواء كأنه زعنفة ذيل سمـكة ، وكان يلمع فوق الطـريق فخثت الدراجة وإذا بى ، يا إلهى ...

« ولست أدرى هل ترجلت عن الدراجة أو سقطت من فوقها ، وكل ما أذكره أنى ذهبت أمشى على مهل إليها ، وأنا مشفق من الدنو منها جداً ، والإسراع إليها جداً ، فما كان بقى منها سليما سوى هذا الذيل الفضى الذى لا يزال ذاهباً فى الهواء .

« وقد تلوثت ضلوعها المسكينة واسودت ، وذاب عنها ما كان يكسوها من الألومنيوم كالجلد ، فتعرّى هيكلها حتى لتستطيع أن ترى من خلالها مكان القيادة ، حيث كنت أقعد أنا وتكس . وهوت محركاتها الأربعة إلى الأرض ، وكان كل ما تألفت منه الطائرة رقم ٩٩ باقياً هناك ، إلا أنه ذائب وملتو ، وأن ظهرها هابط ومكسور — كما تأخذ سمكة طيارة فى يديك وتكسر ظهرها ، وتلقى بها على الأرض لتموت .

« كان كل شىء هناك ، وشىء آخر أيضاً ولـكنى لم أستطع أن أتبينه ، على أنى لا بد أن أكون قد خمنت ما هو ، فقد بدأت أشعر كأن شيئاً يعصر قلبى ويقطع أحشائى حين أبصرت تلك الـكتلة الغريبة المحترقة

تحت الجناح المهيض ، فلما ازددت منه قرباً لم أستطع حتى أن اغالط نفسى فيه ، فقد كان أحد رجالى ، وكان راقداً هناك ، متردياً ، وإلى جانبه آخر ، ولكنى لم أستطع أن أرى الثمانية كلهم إلا بعد أن درت بالذنب .

« كانوا جميعاً رقوداً فى سكون فى ذلك اليوم الجميل الساجى — رجالى الثمانية الذين كانوا يعملون معى فى الطائرة رقم ٩٩ يرقدون فى صف غير منتظم ، يتجه إلى الغابة التى أرادوا أن يلجأوا إليها، فقتلوا من فوقهم وتركوا منكبين .

« وأذكر أنى وقفت هناك إلى جانب الذيل، وأنى عددتهم — واحد ، إثنان ، وهكذا إلى الثامن ، رجالى الذين كنت أعرف كل واحد منهم معرفته ، وكنت أرى ولكنى لا أستطيع أن أدرك ، وإن كنت أعرفهم جيداً — أيهم ينتظر أن تكون فى جيبه صورة امرأته أو فتاته . وأذكر كيف رحت أخطو من واحد إلى واحد ، وأحادث كلا منهم كما كنت أفعل ، وأربت على أكتافهم ، لأنهم فيما أحس لم يكونوا موتى ، وكيف بكيت ؟ ولست أخجل أن أقولها .

« كلمت كلا منهم — من الجاويش بيرجس الطيب الذى كان أدناهم إلى حطام الطائرة ، إلى تكس صديقى العزيز وزميلى فى القيادة فى آخر الصف وقد مزق الانفجار ثيابه كلها . وقد عرفته من كتفيه فقد كانتا عريضتين ككتفى المصارع . وكان تكس فى آخر هذا الصف من الرقود فقلت له أناجيه، إنى لا أدرى ، كما لا يدرى هو ، لماذا أصابه هذا ، ولكن عليه ، بغض النظر عما حل بساحته ، أن يدرك أن هذه ليست النهاية ، وأننا لم نغلب على أمرنا ، وإنما هى البداية لا أكثر ، وأننا جميعاً سنعمل من الآن فصاعداً — نعمل معاً وننتصر . وقلت له : أيا كانت الطائرة التى سيعطوننى قيادها فيما بعد، فإن (رقم٩٩) ستظل دائماً مع السرب ، وسأظل أرى نور جناحيها كلما بعثوا به فى مهمة ليلية ، وأعلم أنها تحمينى بنيرانها ، وأنها تسقط طائرات « زيرو » التى تحاول أن تصعد إلى ما فوق ذنب طائرتى. نعم ! لعل هذا هو الموضع التى تبدأ منه القصة . »

فقالت مارجو : « ولكنها يا حبيبى تبدأ قبل ذلك بشهور وشهور — على الأقل فيما تحس زوجات الرجال الذين يعملون فى سلاح الجو . وحتى قبل الحرب كانت تقع كل تلك الحوادث أثناء التدريب . وأنا أعلم أن لا حيلة فى ذلك ، فقد كانوا يبذلون قصارى ما يدخل فى الطوق لتدريب عدد كاف من الطيارين لقيادة الطائرات

ذوات المحركات الأربعة ، استعداداً للحرب التي كانوا يعلمون انها آتية .

« وإن شاباً قليل التجربة يضل فى الضباب ويصطدم بجبل ويتحطم ، لبطل فى نظر زوجته ، كالطيار الذى يقتل وهو فى مهمة . ومذ قامت الحرب صار الموت يجئ ومعه رنين الداليات ، وشرائط الأوسمة الجميلة المكتسبة فى المعارك ، ولكننا نحن اللواتى عرفن السلاح الجوى قبل الحرب قد تدربنا على مواجهة الموت حين لم يكن معبأ هذه التعبئة الجميلة .

« وإن إحدانا لتعلم ، حين يطير زوجها فى مهمة ، أن هؤلاء الفتية هم أشجع وأقوى الشبان وأخفهم أجساماً وأحدهم فؤاداً . وأن العمل الخطر الذى يقومون به الآن لهو الذى يؤمن العالم فى المستقبل . وإن إحدانا حين ترى زوجها يتضاءل فى الجو لتعلم أنها لا ترضى بغيره فى الدنيا بديلا ، ويخجلها أن تمر بها فترات ضعف ، ويزهيها أن تقول لنفسها إنها تدع لغيرها من الفتيات أولئك الرجال الثقال البطاء الذين يغادرون مساكنهم فى الثامنة كل يوم ، ويعودون إليها دائماً فى الخامسة . نعم هذا ما شعرت به حين صدر الأمر إلى فرانك بأن يطير بقلعته إلى الفليبين ، وكان على أن أتخلف » .

فقال فرانك : « هذا كان فى أكتوبر ، وبعد أن نزلنا فى بيرل هاربر . وفى ويك ، بدأنا نعيش فى أكواخ فى كلارك فيلد خارج مانيلا .

« وكانت فرقة القذف التاسعة عشرة مؤلفة من خمس وثلاثين قلعة طائرة جديدة لماعة الأديم جميلة المنظر ، وكانت الطائرة رقم ٩٩ إحداها ، وكانت جميعاً من طراز « د » ، وهو أحدث وأبدع ما أخرجته المصانع إلى ذلك الوقت . وكان حوالى اثنتى عشرة من الخمس والثلاثين فى « ديل مونتى فيلد » فى جزيرة مندناو الجنوبية ، والبقية فى القاعدة الرئيسية للقاذفات فى كلارك فيلد ، على مسافة ٤٥ ميلا فى مانيلا التى كان فيها ديوان الجنرال ماك آرثر القائد العام . وكان قائدنا الجوى الجنرال بريرتون لا ينفك يزورنا فى كلارك .

« وفى أحد الأيام خرجت بالطائرة رقم ٩٩ فى تجربة دورية فى طبقات الجو العليا ، فوجهتها إلى الشمال ونحن نرتفع ببطء فوق « إيبا فيلد » ، حيث كانت قاعدة طائراتنا القاتلة من طراز ب ٤٠ الأمريكى . وصوبت عينى وأنا لا أزال أرتفع فرأيت الشاطئ ، وكنت أرى زبد الموج إذ يتكسر عليه كأنه خيط من القشدة على الماء الأزرق ، ولكنى

هذا ما نستطيع أن نتعلمه من صغارنا

جورج كنت

كثر التحدث والكتابة فيما ينبغى أن ننشىء عليه أطفالنا . فلنصدق أنفسنا السؤال : ما الذى يأخذونه عنا غير تلك الحزمة العتيقة المهلهلة من الشعوذات الاجتماعية ، كآداب السلوك ، والمحافظة على الوعود ، والنظافة ، وما إلى ذلك من معان وأغراض؟ وإذا كانت الحياة هى أن نتنعم بأقصى ما يمكن من خيرها ، فالأطفال — وخاصة الصغار منهم — يعلموننا أكثر مما نعلمهم .

وإذا ما خلصنا من الوهم السائد : من أن الكبار قوم أرقى من الأطفال عقلا ، فراقبنا الأطفال فى هدوء ، ووجهنا إليهم من تقديرنا مثل ما نوجهه إلى غيرهم من العلمين ، أمكننا أن نأخذ عنهم الكثير ، لأنهم يعرفون بفطرتهم كيف يعيشون ، وقد ولدوا مسلحين لمقاومة الهموم ، مهيئين للسعادة فى الحياة .

ولننظر أولا فى هذه الحقيقة : فهم صغار الأجسام ، يعيشون فى عالم من الجبابرة ، ويعتمدون كل الاعتماد على هؤلاء العمالقة الشواذ فى أمور غذائهم ومنامهم ، يتلقون أوامرهم فى الواقع طول ساعات يقظتهم ، ويتلقون العقاب لأية هفوة ، ويأخذون أنفسهم بأعمال رتيبة يؤمرون بها ، وهم لا يرون فيها إلا سخافة وهذراً . ولكنهم مع ذلك يتشبثون بحريتهم الشخصية ، فإن الذى يتمتعون به فى العالم المحيط بهم كثير موفور ، فهم يستطيعون أن يتقبلوا ، دون كثير من المعارضة ، ما يطالب إليهم عمله . إن الحياة فى نظرهم عجيبة مخيفة رائعة معا .

ولعلنا جميعاً قد أحسسنا مرة بهذا الشعور ، إلا أن أكثرنا قد فقده . وإنا لنلتمس لذلك كثيراً من المعاذير ، فنحن نشكو قلة المال ، وقلة الفراغ ، ونقص الحرية ، على حين أن الأطفال أقل فراغاً منا ، ولا مال لهم ، وهم فى الواقع كالأسرى ، ومع ذلك فإن كل دقيقة من ساعاتهم مليئة بالاستمتاع بالحياة .

أراقت يوماً ابنتى الصغيرة دهاناً على المائدة ، فأمرتها أن تحضر خرقة لتنظيفها ، وكان ذلك عقاباً لها ، ومع ذلك فقد برقت

عيناها وهى تمسح البقعة وقالت : هذه خرقة عجيبة الصنع ! أليس كذلك يا أبتاه ؟ وأنا وأنت لا تراها إلا خرقة مبللة لا أكثر ، ولكنها عند الطفل شيء له جماله ومعناه .

ولعل أكبر خطأ نقع فيه ، نحن الكبار ، هو أننا نجنح إلى التفكير فى النتائج فقط ، بدلا من الاستمتاع بالوسيلة التى نتخذها حتى نبلغ هذه النتائج . أما الأطفال فإن حب الوسيلة فى ذاتها ينسيهم النتيجة ، لأن حب الوسيلة هو — وإن بدا ذلك متناقضاً — أمثل طريقة لإنجاز الأعمال ، إذ أنه يطرد الشك القاتل الذى يخامر المرء فى مقدرته . فالعلماء والفنانون والمربون ، بل كل من أصاب نجاحاً فى الحياة ، يعرفون هذا السر ، سر التمتع بالعمل لذاته . ولعل « فورد » كان يحلم بالثروة فى ورشته الصغيرة ، ولكنه لم يكن جل وقته إلا رجلا منهمكا فى تركيب الصواميل والمسامير وتروس نقل الحركة ، ويجد فيما يعمل لذة بالغة .

راقب طفلا فى قبضته قلم ملوّن ، تره يبدأ يخط بقوة خطاً من أعلى إلى أسفل ، محركا يده بلا تردد . وقد تبلغ بنا الغفلة أن نتساءل : ماذا يريد أن يفعل ؟ فيجيب الطفل : « ماذا يهم ؟ ليكن ما يكون » ، إنها مسلاة له وحسب ، فإنما يحب أن يرى اللون وهو يتكاثر أمامه على الورق .

إن الحياة تقتضينا — لأننا كبار — أن نفكر ، وأن نعمل لغرض بعينه . فإذا لم نستمتع بالوسيلة ، ونحن نكدح لبلوغه ، فقد أضعنا شيئاً ثميناً لا يقدر بثمن ، شيئاً يمكن أن نعود فنتعلمه من الأطفال .

وقد تسأل كيف يطبق هذا على توافه الحياة اليومية ؟ إنك تستطيع أن تعزم على التمتع بما تعمله وأنت تعمل ، سواء اطهيا كان ذلك أم إدارة آلة من الآلات . إننا جميعاً ندير ساعاتنا لنملأها ، ولا نلقى إلى ذلك بالا ، أما الصغير فيستخفه الطرب إذا سمع طقطقة الترس وهو يدور ، كما يستطيب صرير الطباشير على السبورة ، وملمس الصابون الزلق فى طست الحمام ، وآلافاً من توافه الأشياء التى لا نلقى إليها بالا — وكل ذلك يدخل السرور على نفسه حين يحدث . إن لكل عمل تفاصيله التى تتغير من يوم إلى يوم ، وما علينا إلا أن نلاحظها وأن نستطيبها كما يستطيبها الطفل الصغير ، وبذلك نجد فيما نعمله ألواناً جديدة لم نعهدها من قبل .

سألنى يوماً طفل عمره أربع سنوات : « ألا تسأم الأكمام أحياناً مابها من أذرع ؟ » هذا شيء مضحك ولكن له دلالته . تنبه إلى ما تفعله أو تحس به ، إلى الطريقة التى تزرر بها سترتك ، إلى ما تحس به قدماك داخل حذائك ، وأصغ إلى بيض الإفطار

وهو يقلى ، فستجد صوته إذا أغمضت عينيك كصوت وقع المطر على زجاج النافذة.

إنك تمر كل يوم من باب إلى محل عملك فلا تلقى إليه بالا ، ولا يفوت الطفل أن يلقى باله إلى أكرة الباب مهما تتكرر مرات دخوله منه ، وإلى نعومة ملمسها وشكلها ولونها ، وإلى صريرها عند فتحها.

كانت إحدى الشخصيات الروائية لجوزيف كونراد ، الكاتب المعروف ، لا تفتأ تقف عن العمل ، ويهتف صاحبها إلى نفسه : « يالها من مغامرة شائقة ! يالها من مغامرة شائقة ! » ، وتلك هى وجهة النظر التى يجب أن نأخذ بها ، فكل شىء يمكن أن يكون مغامرة شائقة ، إذا كلفنا أنفسنا مؤونة أن نعده كذلك .

إن من أجمل صفات الأطفال وأروعها أنهم يأبون أن يحملوا ضغناً . خذ مثلا ذلك الحادث العادى حين يعاقب الطفل ، ولاحظ ما يجده فى نفسه كل من الطفل والرجل : تجد أنت شيئاً من الندم على ما فعلت ، وتهرع فى الصباح إلى غرفته لتسترضيه . فيدهش الطفل ويعجب بعض العجب ، ولا يتورع عن أن ينتهز الفرصة ليستحثك على إجابة طلب له منع عنه طويلا . فماذا يهم ما حدث فى الليلة الماضية ؟ هذا يوم جديد ، وله من الأعمال كل جديد .

قال أحد الفلاسفة : إذا أراد رجل وامرأة أن يعيشا فى سعادة ووئام ، فعليهما أن يفضا ما يقوم بينهما من مشاكل فى مدى أربع وعشرين ساعة . والأطفال وهم أساتذة العلاقات الاجتماعية ، يعرفون ذلك بفطرتهم من المهد . تسأل مارى أمها ، وهى فى التاسعة : « هل لى أن أدعو كارلوتا إلى العشاء معنا هذه الليلة ؟ » ، فتقول لها أمها : « ولكنك قلت البارحة إنك تبغضين كارلوتا ! » ، فتجيبها مارى منكرة عليها قصور فهمها : « كان ذلك أمس ! » .

والأطفال إذا لم تكن طبيعتهم قد فسدت بإيحاء من الكبار ، لا يميزون أبداً بين الأجناس أو الطبقات أو القامات . فهم لا يتحرجون من أن يصطحبوا معهم إلى المنزل أولاداً رثة ثيابهم ، أو قذرة وجوههم ، أو أفاقين لا عمل لهم . إنهم ديموقراطيون صادقون ، والرجل فى عرفهم هو الرجل . إنهم ليشيرون فى هيبة واحترام إلى شخص نحيل مهلهل حاز إعجابهم بأسلوبه فى قص القصص ، أو موهبته فى الفهم الثاقب . وكم سخروا بضيوف الشرف الذين نكرمهم ! ! إنهم قد يخضعون لسلطاننا عليهم ، ولكنهم لن يخضعوا لتقديرنا فى تفضيل رجل على رجل.

وقلما يلحق الأطفال الضجر ، لأنهم يستطيعون أن يغيروا وجه الكآبة والجمود

والملل بخيالهم السحرى . فإذا أضعت ذلك ، فقدت أسمى موهبة، ولا ينبغى أن يحول شىء بينك وبين تعلمها من الأطفال . إنهم يستطيعون دائماً بقوة هـذه الموهبة أن يضفوا على عود من الخشب ، أو حصاة ملونة ، أو ربوة فى الأرض ، سـحراً وروعة وجمالا .

إن الخيال هو ينبوع تصرف الطفل فيما يعمل . فقد يأبى الطفل حش عشب حديقة المنزل ، ولا يعبأ برأى جاره فيها . فإذا حشها ، فإنما يحشها لما يجده من سرور حين يرى العشب يتناثر كالرشاش الأخضر، ويحس بوقعه على قدميه العاريتين . بل إنه ليجمع ما جف من أوراق الأشجار لا لشىء إلا ليوقد ناراً يصطلى بها ، أو ليتخذ منها مضجعاً يستكن فيه . علينا أن نتعلم من الأطفال كيف نرى المألوف من الأشـياء ناضراً جديداً . فلطالما طربنا إلى وصف الأطفال لما يرون . يقولون : «هذا البحر المتجعد» ، و « هذا المطر يسرح العشب الأخضر كما يسرح الشـعر » . وهى نظرات شعرية طريفة ، أقرب إلى أن تكون وليدة البصيرة ، من أن تكون وليدة الألفاظ . هى وليدة أسلوب فى النظر إلى الحياة ، أضعنا حين رضيناه الخضوع المعتاد ، وحين أخـذنا نردد الجمـــل القديمة المأثورة .

فإذا جال بخاطرك أننـا نعـد الأطفال ملائكة ، فقد أخطأت خطأً كبيراً فإنهم جميعاً ممثلون من الطراز الأول ، لهم مثل يقظة القط البرى ، يستغلون ما يبدو من ضعف الكبار. وهم من هذه الناحية يعلموننا الكثير ، فهم مبرزون فى معرفة الطبيعة البشرية ، وفى حذقهم تطبيق هذه المعرفة .

إننا إذا استطعنا أن ننفض عن أنفسنا عادات التفكير المكتسبة ، والأسلوب الخانق الذى نتخذه فى النظر إلى الحياة ، مما أخذناه عن الكتب أو المعلمين أو الآباء ، ثم سمونا إلى ناحية من مستوى الأطفال ، فستتجلى أمامنا دنيا جديدة تفتن الألباب. ولكى نتعلم من الأطفال ، يجب علينا أن نرخى عن أنفسنا قيود العادة ، وأن نرفض أن نكون عبيداً يسيرون معصوبى الأعين على جادّة الإلف والعادة . قد يكون الرجل منـا ، أصلع أكرش ، مقيداً بعمل من الأعمال ، ولكنه مع ذلك يستطيع أن يجعل كل دقيقة من حياته حافلة بالمعـانى .

وليس علينا إلا أن ندرك براعة الطفولة فى استخدام جميع الحواس ، وفى إبائهم أن يسمحوا لهموم الأمس أو نُـذُر الغـد ، أن تتلبد غيومها على جمال اليوم وروعته .

« إن القدرة على حصر الذهن مما أعطيت ،
فهل تعرف كيف تستخدمها ؟ »

احصر ذهنك في الموضوع

وليم مولتون مارستن

ملخصة عن مجلة « الروتيريان »

أتيح لى منذ وقت قريب أن أرى جراحاً يجرى جراحة صعبة فى المخ ، وكانت زلة طفيفة من يده خليقة أن يكون مؤداها الفالج أو الموت للمريض . ولم تكن براعته هى التى وقعت من نفسى ، بل سكينته المدهشة ، وكنت أعرف أنه كان مضطرباً قبل ذلك بلحظات ، ولكنه ما كاد يقف أمام طاولة العمليات حتى راح يعمل بإحكام آلىّ اذهلنى .

ولا شك أن مثل هذه القدرة على تركيز الخواطر أمر يجرى مجرى العادة عند كل رجل بارز فى كل باب من أبواب الحياة ، ففى أية لحظة معينة يركز الزعيم أو الرجل الفائق فى أمر ما ، خواطره كلها فى العمل المفرد الذى يكون عليه أن ينهض به . وأكثرنا تنقصه هذه القدرة على التركيز ، ويحيره ويفسد عليه أمره الاضطراب والشواغل والأهواء المتعارضة .

الاخصائى فى علم النفس ومؤلف كتابى «جرب العيش» و «آلة اكتشاف الكذب»

وليس بالنادر أن تقرأ عن أناس أوتوا التوفيق فى ميدانهم ، وفى وسعهم كذلك أن يرسموا قليلا، وينظموا أبياتاً من الشعر، ويجيدوا لعبة التنس ، والبريدج أيضاً ، ويرتجلوا خطبة فى مأدبة عشاء — ففيهم خصوبة يحسدون عليها . ونحن نغبطهم على ذلك لأننا نحسبه استعداداً خاصاً . وقد يكون الأمر كذلك إلى حد ما ، غير أن الحقيقة هى أن هؤلاء الناس اكتسبوا القدرة على التركيز بسهولة ، وهم يولون كل عمل من الأعمال المتعاقبة فى يومهم عنايتهم كلها ومقدرتهم أجمعها فى قوة ويسر ، ولا يكتفون بأن يمنحوه التفاتاً موزعاً .

وقد صار التركيز اليوم ألزم مما كان من قبل وأوجب لتمام الاستمتاع بمسرات الحياة ومباهجها ، ولأداء العمل على وجهه ، فإن هذا عصر يشتت العقل . ولا يزال التليفون، والأصدقاء، والضوضاء، والمخاوف ، وخفتنا نحن أيضاً، من دواعى التعطيل لاطراد العمل إذ نزداد كل يوم سوء الأحوال التى نزاوله فى ظلها ، والتى ليس من شأنها أن تعين على

التركيز . ولكن التركيز هو الذى يتوقف عليه نجاح المرء فى عالمنا القائم على التخصص . والتركيز حيوى لا للعمل فحسب ، بل لجعل حياتنا الخاصة أخصب وأمرع . وما أسهل أن تنقلب المتع العقلية الفاتنة خليطاً لا معنى له من اللهو ، إلا إذا رزقنا القـدرة على اختصاص عمل مفرد فى وقتـه بجهدنا ، والاستمتاع به إلى أقصى حد .

والعقـل الإنسانى يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا ركز تركيزاً قوياً حاداً . وقد كان من عادة المؤرخ الانجليزى اللورد ما كولى أن يمشى فى شوارع لندن الغاصة ومعه كتاب يقرأ فيه ، وكان بعد أن يقرأ الصفحة يستطيع أن يتلوها عن ظهر قلب . وقد تبدو مثل هذه القدرة ، لأول وهلة ، فوق الطاقة العامة ، وعسى أن تعزوها إلى « العبقرية » التى لا يخالجك شك فى أنك لم توهبها ، ولكن أواثق أنت أنك لم تعطها ؟ إن معظم الناس العاديين قد أوتوا الخصائص والملكات الأساسية على السواء ، وإنما يقع التفاوت بينهم تبعاً للطريقة التى يستخدمونها بها . وقد قال وليم جيمز — وهو أبو علم النفس الحديث — : إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من النـاس العاديين ليس مرجعه إلى صـفة أو موهبة فطرية للعقل ، بل إلى الموضوعات والغايات التى يوجهون إليها هممهم ، وإلى درجة التركيز التى يسعهم أن يبلغوها .

وقد أوتينا جميعاً هــذه القدرة على التركيز ولكننا ندعها تغيض وتضيع . وتأمل مثلا مايسمى طيش الأطفال وقلة تبصرهم ، يقول « ألدوس هكسلى » : إن كل طفل عبقرى حتى يبلغ العاشرة ، وهل هناك مظهر استغراق أعظم مما يبدو على الطفل حين يعكف على كتاب ، أو يسترعى اهتمامه شىء جـديد ؟ وكثيراً ما نؤنب الطفل حينئذ لأنه لا يلقى باله إلى مانقول ، ولكن الواقع أنه منصرف بقلبه وعقـله انصرافاً رائعاً إلى أمر يعنيه ، ومن واجبنا أن نتقى على قدر الإمكان أن نفسد هـذه القدرة المباركة على الاهتمام الجدىّ بشىء ما .

وليس التركيز حالة غير طبيعية تنافى أو تعارض ميلنا الطبيعى ، فليس الأسـتاذ الذاهل ، بعد كل مايقال ، إلا رجلا استطاع أن يحتفظ بعبقرية الطفل وقدرته على استغراق عمـله له . وقد رأيت المرحوم الأسـتاذ يوشع رويس ، فيلسوف جامعة هارڤرد المشهور ، واقفاً فى المطر المنهمر فى ساحة الجامعة وليس معـه مظلة ، ولا عليه معطف ، وهو يبحث مسـألة من مسائل الميتا فيزيقية (ما وراء المـادة) مع طالب خفيف الثياب يحاول عبثاً أن يفر ، ولم

يكن الأستاذ رويس يدرى أو يدرك أن السماء تمطر . ولقد كنا نضحك من مثل هذا الشذوذ، ولكنا أدركنا أيضاً ما يقر به علماء الدنيا من أن رويس بلغ الذروة فى ميدانه العقلى ، وما بلغها إلا بفضل هذا التركيز الحاد الذى كان يتركه ، إلى حين ، ذاهلاً عن الأحوال الخارجية المحيطة به التى تشغل معظم الناس .

وخذ أى شخص ناجح تعرفه أقدر على إجادة شىء ما ، من غيره ، وحاول أن تشغله عنه وهو يزاوله . لقد كان المرحوم جورج جراى برنارد ، الذى يعد من أعظم المثالين الأمريكيين ، يدهش أصدقاءه ويحيرهم بعجزه فعلا عن رؤيتهم حين كانوا يدخلون عليه فى حجرة عمله وهو يعمل . فإذا لم تستطع أن تحمل نفسك على أن يستغرقك على هـذا النحو ما تريد أن تعمل ، فما أقل الأمل فى أن تبلغ من الإتقان مرتبة ملحوظة!

وبديهى أن السر فى هذه القدرة على التحليق فوق مشاغل الحياة، راجع إلى فرط الاهتمام بالأمر ، فإن مثل هذا الاهتمام يخلق العناية ، كما تخرج الشجرة ثمرها، فتلقى نفسك مقبلا بجميع نفسك على ما أنت فيه ، بغير جهد .

غير أن هـذا يصدق طرداً وعكساً ، فالتركيز يجىء تبعاً للاهتمام، ولكن الاهتمام يجىء أيضاً تبعاً للتركيز . وقـد سئل « جوته » كيف أنجز عمله العظيم ، فقال برصانة : « كل ما فى الأمر أنى نفخت فى يدى » . ويمكن أن تقول بعبارة أخرى إن إنماء ملكة التركيز يستوجب أولا أن تتعلم الإقبال على كل عمل تؤديه ، مهما يكن بغيضاً إليك ، فإنك إذا غمست نفسك فيه لا تلبث أن ترى أنه قد استولى عليك . ومن الجوهرى أن تدرك هـذه الحقيقة ، فإذا كنت تعرف أنك ستصبح معنياً بالأمر متى شرعت فيه ، فلن تتردد فى الشروع ، ومع ذلك يرحب معظمنا كل يوم بما يعطله بل يسعى لذلك، لأننا لا نفطن إلى أن المهمة الثقيلة التى سنقوم بها ، ستستغرقنا فعلا إذا أمكن أن نحمل أنفسنا على الانغماس فيها .

وهذا ولا شك هو تفسير ما يقوله وليم جيمز من أن المهم هو « أن تؤدى الحركات المقررة » أى أن تضع نفسك موضع العمل . وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فما بينهما ، وقد يكون نصيب جسمك طفيفاً أو غير جلى ، كأن يقتصر على الجلسة أو على التوتر العضلى ، ولكن البدن يبذل جهداً على كل حال . وحتى بعد أن نشرع جادين مصممين فى حصر أذهاننا فى العمل ، تهاجمنا طائفة منوعة من الخواطر وأنصاف الخواطر والأصوات ، وغيرها من المؤثرات.

ولا يكفى أن تحاول إقصاء هـذه المؤثرات الخارجية ، فإن علينا دائماً أن نحل محلهـا الشيء الوحيد الذى يتطلب اهتمامنا . فليس فى وسعك أن تطرد خاطراً من ذهنك ، وإذا كنت فى شك من هذا فما عليك إلا أن تجرب أن تقضى الثوانى الثلاثين التالية فى أن لاتفكر فى كلمتى «فرس البحر» . ومع ذلك يحاول كثيرون أن يحصروا أذهانهم فى امر ما ، بأن يقصوا الخواطر والفكر التى لا علاقة لهـا به ، بدلا من أن يحاولوا أن يوجهوا عقولهم إلى ما يعالجون .

وتقلقك وأنت تعالج أمراً ، عدة أمور أخرى كان ينبغى أن تباشرها ـــ أمور تزعم أنهـا لا تحتمل الإرجاء . أم تراها تحتمل الإرجاء ؟ لاشك أنها تحتمله ، وعليها أن تحتمله . إن القلق يسايرنا كأنه شبح مرئى لنا وحدنا ، ويجعل عين العقل عليه بدلا من أن تكون على ما نحن فيه من عمل . ولـكن مهما تـكن الصورة التى يتخذها القلق ، فإن فى وسعك أن تقول لعقلك الباطن : « صحيح ، إن هذا مهم ، ولـكنه لا بد من إرجائه حتى يتم هذا الأمر الآخر ـــ وعندئذ أوليه عناية تامة » . وستدهشك السهولة التى يقتنع بهـا عقلك الباطن إذا أنت واثقتـه ، وحرصت على إنجاز وعدك له أن تعنى بالأمر الذى يدعوك إليه . وهـذا هو الذى ينبغى علينا جميعاً أن نتعلم ـــ أن لا نتولى سوى أمر واحد فى وقت واحد ، وبغير ذلك لا نصل إلى شيء ، لا فى العمل ولا فى اللعب واللهو .

وقـــد عرف أرنولد بنيت الروائى الإنجليزى حصر الذهن بأنه « القدرة على أن تملى على العقل واجبه وأن تكفل طاعته» . وهذه القـدرة تـكتسب بالمرانة ، والمرانة تتطلب الصبر ، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيناً محكماً ، هو ثمرة الجهـد الملح ، فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى ، وخمسين مرة ، ومائة مرة ، إلى الموضوع الذى اعتزمت معالجته ، فإن الخواطر التى تتنازعك لاتلبث أن تخلى مكانها للموضوع الذى آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلقى نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار .

والذى يتطلب الدربة والمرانة هو ضبط القدرة على حصر الذهن ، وامتلاك زمامها ، لا القدرة فى ذاتها فإنها مما أوتيت . فادأب على رياضتها حتى تراها تخف إلى الاستجابة لدعوتك ، وستجد ، متى تعلمت أن تحصر كل قواك بدون بعثرة أو تشتيت فى الأمر الذى تتولاه ، أنك قد فزت بحسنيين ـــ أن ما تستطيع أن تؤديه يزداد زيادة كبيرة ، وأن السرور المستفاد من أدائه مضاعف .

أسر الألمان الجنرال جيرو فى الحرب الماضية وفى هذه الحرب - وقد فر من الأسر فى الحالين

فرار جيرو العجيب من معتقل نازى

فردريك سابنون



فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ تدفقت جموع المشاة الألمان من الغابات التى على مقربة من بلدة ليكاتليه فى فرنسا وأحاطت بوكر فرنسى من أوكار المدافع الرشاشة ، وبعد أن دقته بمدافع الهاون دقاً ساحقاً ، دعا الضابط الألمانى فلول القوة الفرنسية إلى التسليم . فكانت دهشته عظيمة حين رأى بينهم رجلا يبلغ من الطول ست أقدام ، أشيب الشارب ، وعلى سترته العسكرية نجوم الجنرال الخمس . وهكذا وقع هنرى أونوريه جيرو للمرة الثانية فى خمسة وعشرين عاماً ، أسير حرب فى أيدى الألمان .

كان ذلك إذلالا مر المذاق لرجل لم يكد يبلغ من حياته الذروة . ولقد كان جيرو ضابطاً ممتازاً منذ سنة ١٨٩٨ ، حين كتب لنفسه صفحة مجيدة فى مدرسة سان سير الحربية . ولكن سوء الحظ لاحقه فى ميدان القتال . ففى الحرب العالمية الأولى — وكان إذ ذاك برتبة (كابتن) — جرح وهو يقود هجوماً بالحراب قامت به فرقة من الزواف فى شارلروا ، وحسبوه قتيلا فتركوه مكانه فى ساحة المعركة ، ثم أسره الألمان ونقلوه إلى معتقل الأسرى فى البلجيك ، ولكنه استطاع الإفلات من الأسر قبل أن تبرأ جراحه ، وادعى أنه بلجيكى وتمكن بذلك من العمل فى (سرك) متنقل . فلما وصل مع الفرقة إلى بروكسل اتصل بالممرضة إديث كافل ، ووصل بمساعدتها إلى هولندة ومن ثم اتخذ طريقه إلى إنجلترا . وعلى الرغم من إصابته بعرج دائم بسبب جراحه فإنه عاد آخر الأمر إلى اللحاق بفرقته فى فرنسا .

وفى سنوات السلم خدم فى الجيش خدمة ممتازة فى أفريقية ، ثم محافظاً لمدينة ميتز ، وتولى كذلك التدريس فى المدرسة الحربية حيث كان بين طلبته شاب اسمه الكابتن شارل دى جول . ثم نشبت الحرب الثانية فعين قائداً عاماً لقوات الحلفاء عند لاون ، ولما اخترق الألمان غابة آردين ، هرول إلى ساحة القتال ليرى كيف يستطاع وقف التيار . وهناك بينما كان يقوم بعمل

الاستكشاف ، أسر فى وكر أمامى من أوكار المدافع الرشاشة .

لقد سبق لجيرو أن هرب من الأسر ، ولـكنه الآن فى الحادية والستين ، والفرار من الأسر يحتاج إلى الشباب ، ومع ذلك فإنه أبى أن يعد بألا يحاول الفرار ، فنقل إلى قلعة كينجشتين الموحشة ، القائمة على جرف يبلغ ارتفاعه مائة وخمسين قدماً ، ويتولى حراسة كل مدخل من مداخلها حرس مزدوج ، ويحيط بها رواق للديدبان يجتازه الحراس مرة كل عشر دقائق .

وراح جيرو من فوره يضع خطة الفرار ، فأتقن الألمانية حتى أصبح يتكلمها بلا شائبة من شوائب اللهجة الغريبة على أبنائها ، وحصل على خريطة للمنطقة التى تحيط به ، وحفظ منحنياتها واحداً واحداً عن ظهر قلب . وظل فى صبر وأناة يضفر من (الدوبارة) التى كانت ترسل إليه مع (الطرود) حبلا يتحمل وزنه الذى يبلغ مائتى رطل . فلما تبين أن الحبل لا يحتمل هذا الوزن ، بعث إليه أصدقاؤه من فرنسا مائة وخمسين قدماً من أسلاك النحاس ، أحكموا إخفاءها فى فخذ خنزير محفوظ . وكان مصرحاً له بطبيعة الحال بكتابة الخطابات ، فلم يفطن حراسه إلى أن أسيراً من المرضى الذين أعيدوا إلى وطنهم حمل إلى زوجة الجنرال رسالة رمزية (شفرة) . وبهذه الوسيلة ، وتحت ستار الخطابات البريئة المظهر ، بعث بتفاصيل خطته جزءاً جزءاً ، وقد استغرق تدبير ذلك بقية سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤١ .

ولم يكن لديه من الملابس سوى سترة البيت الزرقاء التى يرتديها القواد الفرنسيون ، ولـكن معطف المطر الذى لديه يمكن أن يلتبس أمره فيبدو كملابس المدنيين . وسرعان ما وصلت بين الطرود المرسلة إليه ، فخذ أخرى محفوظة بديعة . ولو نظر الألمان إلى ما بداخلها لوجدوا قبعة من قبعات التيرول البهيجة .

وفى صبيحة ١٧ أبريل سنة ١٩٤٢ كان هنرى جيرو واقفاً فى شرفة تطل على رواق الديدبان ، وقد لف حول وسطه ربطة تحتوى قدراً من الشوكولاته والبسكويت ، ومعها القبعة التيرولية ومعطف المطر . فلما أدبر الحارس ، ربط الجنرال الحبل الذى صنعه بيديه بالشرفة وبدأ يهبط مسافة المائة والخمسين قدماً . وكان يلبس فى يديه قفازاً ومع ذلك تسلخ جلد راحتيه . وكان قد وضع خاتم زواجه فى جيب ساعته ، فاحترق القماش باحتكاك الحبل ، وسقط الخاتم بين الصخور إلى غير رجعة . وهاجت جراحه القديمة فأحس منها بألم ممض ، ولـكنه تمكن

أخيراً من الوصول سالماً إلى الأرض .

ومضى يعرج إلى حيث استخفى ببعض الشجر ، فحلق شاربه ، ووضع قبعته التيرولية ومعطف المطر . وبعد ذلك بساعتين وصل إلى جسر شانداو، على مسافة خمسة أميال ، واستند إلى حاجزه ، وتناول طعامه من الربطة التي معه . وهناك فى الساعة الواحدة ، تقدم إلى جيرو طبقاً للخطة المرسومة ، شاب نحيل يحمل حقيبة وقبعة فى يد واحدة ، وهى العلامة المتفق عليها ، وكان الشاب موفداً من قبل بعض الأصدقاء .

وذهب جيرو مع الشاب إلى محطة السكة الحديدية ، وصعد إلى أول قطار قدم إليها ، وذهب إلى دورة المياه ، حيث فتح الحقيبة فوجد ملابسه الباريسية نفسها ، كما وجد أوراقاً لتحقيق الشخصية تحمل اسم أحد أصحاب المصانع ، وعليها صورة فوتوغرافية تشبهه بلا شارب ، ووجد كذلك بعض النقود . وبعد دقائق معدودات خرج من دورة المياه رجل وقور وجيه من رجال الأعمال . . .

وعندئذ بدأ جيرو فى تنفيذ الشطر الثانى من خطته للهرب ، فقد دق ناقوس الإنذار ووقف رجال الحدود على أهبة التربص والحذر ، وليس له من أمل فى تفادى الاعتقال إلا بتغيير القطارات التى يركبها بغير انقطاع حتى يهدأ الضجيج . وهكذا بدأ جيرو أسبوعاً كاملا من الرحلة المستمرة خلال ألمانيا بالسكك الحديدية .

وقد حدث ، على مقربة من شتوتجارت أن بدأ رجال الجستابو مهمتهم فى تفتيش القطار ، وراحوا يراجعون طول القامة على الأوراق الشخصية التى يحملها الركاب ، ولم يكن فى استطاعة جيرو أن يخفى طول قامته الذى يبلغ ست أقدام ، ولكن المصادفة تأبى إلا أن يجلس قبالة ملازم شاب من « الفيلق الأفريقى » ، فابتسم لهذا الشاب وقال : إنه هو أيضاً قضى وقتاً طويلا فى أفريقية ، فما كان من الألمانى إلا أن ألقى مجلته مبدياً سروره بالعثور على شخص يعرف الصحراء ، ومضيا يتحدثان فى حرارة واهتمام .

فلما وصل رجل الجستابو إلى مقعد جيرو كان يصور بيديه كيف يستطيع رومل أن يهزم البريطانيين ، بينما كان الملازم الألمانى يرقب بعينين مشغوفتين ، ويدين مرهفتين ! . .

ولمس رجل الجستابو كتف جيرو وهو يقول : « أوراقكم أيها السادة ، إذا تفضلتم » ، وتلهف الملازم على إبداء بعض آرائه فالتفت إلى الرجل غاضباً وصاح فيه :

«اذهب ! كيف تجرؤ على قطع حديثنا ! »» ، واندفع فى سورة من الغضب انتهت بأن فعل الرجل ما توقع جيرو تماماً : إذ اعتذر وانصرف .

وفى مناسبة أخرى بينما كان الجنرال على وشك الصعود إلى أحـد القطارات رأى رجال الجستابو يفتشون جميع المسافرين ، فتلكأ فى الخارج حتى بدأ القطار يتحرك ، وعندئذ ، وبمجهود فائق وإرادة جبارة ، أخذ هو يعدو دون أن يعرج ! وأخذت نظارته تهتز ووجنتاه تنتفضان ، وبدت عليه كل مظاهر الرجل المضطرب من رجال الأعمال الألمان وهو يحاول اللحاق بالقطار ، ومضى يصيح بعبارات تدل على الخطر الذى يعلقه بلحاقه بهذا القطار ، فكانت جرأته وحدها كفيلة بنجاح المحاولة ، إذ أن أحد رجال الجستابو ساعد فعلا ذلك الشيخ الذى يلهث على ركوب القطار !

وأخيراً عبر الحدود إلى فرنسا المحتلة ، وكان يأمل اجتياز الخط الفاصل ودخول المنطقة غير المحتلة ، ولـكنه وجد الحرس الألمانى يستوقف كل رجل يزيد طوله على خمس أقدام . فعاد بالقطار مجتازاً جنوب ألمانيا الشرقى إلى الحـدود السويسرية . وهذه أيضاً بدت محكمة الاغلاق ، بيد أن هناك دروباً جبلية لا يمكن أن تحكم مراقبتها جميعاً ، فقصد ذات ليلة إلى درب مهجور من هذه الدروب . وبينما هو يتسلق ويتلوى بين القمم الصخرية إذ وجد نفسه فجأة أمام ثلاثة من الجنـد ، فشهروا بنادقهم ذوات الحراب . . .

ثم تكلم أحد هؤلاء الجنود — بلهجة سويسرية . وعندئذ علم أنه وصل بسلام ، فقد أخذه الحراس إلى بال حيث كشف عن شخصيته . واحتدم الألمان حنقاً وغيظاً ولـكن سويسرا رفضت أن تسلمه إليهم .

وأخيراً أسرع جيرو إلى فرنسا غير المحتلة ، ملتجئاً إلى حيلة قديمـة هى تغيير السيارة مراراً فى طرق سويسرا المنعزلة لكى لا يدركه أحد . ولما كانت السيارات تدخل فرنسا غير المحتلة من طرق متعددة ، كانت السيارة التى استوقفها الجستابو غير السيارة المقصودة .

وكان جيرو ، فى سـنة ١٩١٤ ، حين هرب من الألمان أول مرة ، قد أرسل إلى زوجته بمجرد وصوله سالماً إلى هولندة برقية يقول فيها :

« الصفقة أبرمت ، الصحة جيـدة . حبيبك هنرى » .

واليوم أيضاً أرسل برقية نصها: «الصفقة أبرمت ، الصحة جيدة ، حبيبك هنرى ! »

ومع ذلك لم يكن الجنرال هنرى جيرو

حراً مطلق الحرية ، إذ أن فراره على تلك الصورة الرائعة ألهب خيال الشعب الفرنسى الذى طغى على قلبه الحزن ، فأصبح جيرو معبود الجماهير ، وثارت لذلك ثائرة الألمان . فلما أبى المارشال بيتان أن يستجيب إلى طلب الألمان إعادته إلى الأسر ، حاول النازيون اغتياله، واضطر إلى ان يختفى عن الأنظار ، وهكذا وجد جيرو أنه إنما هرب من سجن إلى سجن أكبر .

على أن التاريخ أبى إلا أن يبعث هنرى جيرو من ظلام عزلته . ففى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، فى بيت ريفى عربى بالجزائر كان اللفتانت جنرال مارك كلارك الأمريكى يفاوض سراً ضباطاً فرنسيين من الموالين للحلفاء ، بشأن احتمال غزو الحلفاء أفريقية الشمالية الفرنسية(*) .

وفى أثناء هذه المفاوضات أثار الضباط الفرنسيون مسألة اختيار قائد يمكن أن تلتف حوله مختلف العناصر الفرنسية ، فقال الجنرال ماست : «لا أستطيع أن أقترح سوى رجل واحد ـ الجنرال جيرو » .

فاعترض الجنرال كلارك قائلا :

ـــ ولكنه فى حكم المعتقل فى فرنسا !

ـــ يجب أن يخرج منها : بالغواصات !

وتلك كانت الخطة الجريئة التى وضعت موضع التنفيذ بعد ذلك بليال معدودات ، حين وصلت إحدى الغواصات إلى شاطىء فرنسا الجنوبى ، وكان قلم المخابرات البريطانى قد اتصل بجيرو ، فكان على تمام الاستعداد ، وقد وصل إلى شمال أفريقية فى الوقت المناسب ليتولى قيادة الجيوش الفرنسية التى قاتلت ببسالة إلى جانب الأمريكيين فى تونس .

واليوم يعود الجنرال هنرى أونوريه جيرو وهو فى الرابعة والستين من العمر ، إلى مقاتلة عدوه القديم .

* بعثة سرية إلى شمال أفريقية : المختار سبتمبر ١٩٤٣ صفحة ٧٣ ـــ ٨٣



تلقت فتاة أمريكية ظرفاً كتب عليه عنوانها بخط تعرفه وكان مرسلا من أحد مواقع الجيش النائية . على أنها لم تجد فى الظرف الخطاب الذى كانت تتوقعة وتتوق إليه ووجدت بدلا منه قصاصة ورق كتب عليها :

(إن فتاك لا يزال مقيما على حبه لك ولكنه كثير الكلام ! ـــ المراقب)

يهوي ثلاثة أميال في الدقيقة !

مقتبسة عن رسالة « للأسوسيتد برس » وعن « النيويورك تايمز »

في يوم غامت سماؤه من شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ ، ألقى « آرثر ستارنس » بنفسه، وهو أحد هابطي المظلات الجسورين ، من طائرة نقل كانت على ارتفاع ستة أميال ، فسقط ، كأنه حجر مقذوف ، خمسة أميال ونصف ميل ، ثم فتح المظلة ، فتهادى إلى الأرض . وسجل ستارنس بذلك رقماً عالمياً جديداً لأطول مسافة قطعها رجل وهو يهوي بغير مظلة ، دون أن يفقد الحياة . وعلاوة على ذلك فإن ملاحظاته الوجيزة ، الواضحة المعنى ، قدمت للأدب أول بيان عما يشعر به من يهوي أميالا في الفضاء .

امتطى ستارنس ، بعد الظهر بقليل ، طائرة من نوع « لوكهيد لودستار » وهي إحدى الطائرات التجارية القليلة القادرة حينئذ على الارتفاع أكثر من ٢٥٫٠٠٠ قدم . ودوّمت الطائرة الفضية اللون في السماء مدة ساعة وخمسين دقيقة ، وهي دائبة في الارتفاع ، فلما بلغت ٣٠٫٠٠٠ قدم اعتدلت ، وخطا ستارنس نحو الباب .

ولما كان الغرض من هذه القفزة جمع معلومات لسلاح الجيش الأمريكي الجوي ، فقد حمّل ستارنس بخمسة وثمانين رطلا من المعدات ، فحمل مظلة على ظهره وأخرى

على ارتفاع ستة أميال ، وبرودة الجو تبلغ ٤٦° تحت الصفر — يخطو رجل من طائرته إلى الفضاء الرحيب .

على صدره . وكان رداؤه يستر الجسم كله مدفئاً تدفئة كهربائية ببطاريات في الجيب الخلفي . وكان يحمل سماعتين في خوذته المصنوعة من جلد الغزال . وكانت زجاجة الأكسجين في جيب على ساقه اليمنى . وثبت حول وسطه جهاز إرسال لاسلكي ضئيل الحجم ليذيع صوت دقات القلب . وكان على صدره جهاز آخر ، خلف لوح واق من الألمنيوم ، لتسجيل حركة القلب ، وجهاز لتسجيل حركة التنفس ، وجهاز ثالث لتسجيل تغيرات الضغط الجوي . وربطت حول فخذه اليمنى آلة تصوير سينمائية تسجل تسجيلا آلياً ، وكانت عدستها إلى أسفل .

وكان المتفرجون على الأرض لا يكادون يميزون الطائرة وهي على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، ومرت هذه الطائرة فوق المطار بسرعة . ولم يلبث المنصتون إلى محطة لاسلكية أرضية متنقلة ، أن سمعوا غمغمة : « الطريق خال » ، صادرة عن جهاز ستارنس الصغير للارسال — وكانت هذه

هى الإشارة المتفق عليها، حين يشرع فى قفزته فى الجو الذى بلغت برودته ٤٦° تحت الصفر.

فلما هبط ستارنس فى مرعى للماشية بعد أربع دقائق وربع دقيقة، قال للجمع المحتشد وهو يلهث: « مرت بى لحظتان فقط استشعرت فيهما الخوف.

« الأولى: حين وقفت على عتبة باب الطائرة المفتوح، وأنا أحاول أن أملأ خوذتى بالأكسجين الكافى، متسائلا: هل يسمح إطار الباب للمعدات التى أحملها بالنفاذ منه؟ أما الثانية: وكانت أدعى إلى الهلع، فحين غشى الجليد نظارتى، وأنا فى عارض من السحاب المنبسط على ارتفاع ٢٣٫٠٠٠ قدم، وجعل جسمى ينفتل بعنف ويتقلب، مرة بعد أخرى.

« فجعلت أباعد بين ساقى، ثم أعود فأضمهما حتى تتقاطعا، مرة بعد مرة، وقد كان هذا مما ينقذنى عادة من حركة الانفتال فى أثناء السقوط، ولكنه لم يأتنى هذه المرة بنتيجة. وكنت صافى الفكر، فبدأت أعد بينى وبين نفسى، إذ كنت أعلم أنى أهوى بسرعة ٢٥٠ قدماً فى الثانية. فلما مرت بى حوالى نصف دقيقة، شعرت بأنه يجب على أن أرفع نظارتى لأنظر إلى عداد الارتفاع ».

وكانت هذه الآلة مثبتة حول معصمه، فرفعها إلى وجنته، ورفع إحدى عدستى النظارة عن خوذته ليرى إبرة العداد الطويلة الدقيقة، وكانت تشير عندئذ إلى ١٥٫٠٠٠ قدم. وبعد أن عد إلى أربعة أو خمسة، نظر إليها مرة أخرى، وهو يدفع نظارته إلى أعلى حتى يراها بكلتا عينيه. فلما بلغ ارتفاع ٥٫٠٠٠ قدم تبخر الصقيع فأضحى زجاج نظارته صافيا.

وقال: « وعلمت حينئذ أنى خلصت من أشق مرحلة ».

وأخيراً اعتدل بجسمه، بأن بسط ذراعه اليمنى إلى الجنب، كأنه ذراع إشارة السكة الحديدية، ثم فتح مظلته الخلفية على ارتفاع ١٫٥٠٠ قدم، فاهتز اهتزازا عنيفاً وأظلمت عيناه. وعندئذ بدا أول ما بدا لعيون المتفرجين على الأرض، فرأوا مظلته الأمامية تنفتح بعد ثلاث ثوان، ثم مس الأرض؛ وما إن لحق به المساعدون حتى كان قائماً على قدميه، خالعاً خوذته، مفتر الثغر.

وقد سجلت ساعة حاسبة، ثبتت بخيوط المظلة الواقية، زمن سقوط الهاوى، قبل فتح المظلة، فكان دقيقة و٥٦ ثانية، فيحتمل أن تكون أقصى سرعة ستارنس قد بلغت ١٨٠ ميلا فى الساعة. وقرر إحصائى فقال: لو لم يفتح ستارنس مظلته على ارتفاع ١٥٠٠ قدم، لارتطم بالأرض فى خلال ست ثوان أخرى.

سحر البنيسيلين الأصفر

بج . د . راتكليف

هذه أخبار تستوقف النظر وتثير الاعجاب عن بحث طريف فى عقار جديد ، لعل الأيام تثبت أنه من أعظم المكتشفات فى الطب . ومما يؤسف له أن البنيسيلين ليس متاحاً الآن للجمهور ، وما يحضر منه قليل لا يكاد يسد حاجة القوات المسلحة ، وقد لايتاح للمدنيين قبل زمن طويل .

من القصص الرائعة فى تاريخ الطب ، قصة نشوء هذا العقار الجديد ، بنيسيلين . فقدكان منذ سنة نادرةً من نوادر المعمل ، ولا يعرفه إلا قليل من رجال البحث . وقد أصبح العلماء اليوم مقتنعين بأنهم وجدوا فى البنيسيلين أمضى سلاح ضد كثير من الأمراض ، ومنها تسمم الدم وذات الرئة والسيلان . وهو فى قوة تأثيره كعقاقير السلفانيلاميد المتنوعة فى مقاتلة الميكروبات السبحية (ستربتوكوكوس) . إلا أنه هو نسيج وحده فى محاربة الميكروب القيحى المسمى (ستافيلوكوكوس) . وهذه الجراثيم البكتيرية التى تغزو الجروح وتترعرع فيها ، من أفتك الأشياء بالحياة البشرية ، فى زمن السلم وفى زمن الحرب على السواء .

وقد ابتدأت قصة البنيسيلين سنة ١٩٢٩ حين كان الدكتور اسكندر فلمنغ يفحص فى معمله فى جامعة لندن ، صحفة من الزجاج عليها زرع بكتيرى ، وقد جعلت ملايين الميكروبات ذلك الزرع لبناً عكراً . فلمحت عينه النافذة شيئاً ما ، غير مألوف ، إذ رأى بقعة من العفن الأخضر فى الصحفة ، ومن حولها هالة من سائل صاف .

إن ههنا شيئاً يدمر البكتيريا ! إن عفنا هبط من الهواء فأهلكها بغتة فى نطاق لم يسبق له مثيل . وكذلك ابتدأت قصة البنيسيلين بحظ أعمى سعيد ، مقترن بملاحظة دقيقة .

والعفن شكل دنىء بدائى من النبات ، وهو أحد الفطريات . والنوع الذى جعل يتلف البكتيريا فى صحفة الزرع يعرف باسم « بنيسيليوم نوتاتوم » ، وهو أخو العفن الأخضر فى جبنة ركفور . وكانت المادة التى يفرزها هذا العفن هى التى تدمر الجراثيم .

اكتشف الدكتور فلمنغ هذا العفن ، ولكن البحث فيه وقف ولم يتقدم عشر سنين . فلماذا كان هذا الإغفال الطويل ؟ كان هناك فتور فى العناية بمعالجة الأمراض بالمواد الكيميائية ، لأن كثيرين كانوا قد

طلبوا هـــذه المواد السحرية الفاتكة بالميكروبات فأخفقوا. أما المواد الكيميائية التي ظفروا بها فكانت أسرع إلى قتل المريض منها إلى قتل الميكروبات. ثم جاءت عقاقير « سلفا » فأيقظت اهتمام الباحثين بالمواد الكيميائية في هذا الميدان.

وأسفرت عقاقير السلفا عن نتائج باهرة في علاج بعض الأمراض البكتيرية، ولكنها خابت خيبة ذريعة في علاج أمراض أخرى. وكان لا بد من عقار أفضل منها لمحاربة العفونة الرهيبة التي تطرأ على الجروح في زمن الحرب. وحدث أن الدكتور هوارد فلوري أحد أساتذة أوكسفورد تذكر بحث الدكتور فلمنغ، وأن المادة العفنة الخضراء سطت على البكتيريا في صفحة الزرع ففتكت بها. أفلا تفعل هذا الفعل فيها في جسم الإنسان؟

ولم يكن الدكتور فلوري ولا زملاؤه يعلمون شيئاً من هذا. ولكنهم قرروا أن يبحثوا، ومن حسن حظ الأنام أنهم قرروا البحث. فشرعوا يعملون عملهم الممل في تربية العفن على قوارير من فخار، فلما صار العفن حصيراً متلبداً يكسو القوارير، بدأ عمل الكيميائيين. ففي هذا العفن، مهلك البكتيريا!

وأخذ الكيميائيون ينبذون منه المركبات الكيميائية التي ليس لها تأثير مضاد للبكتيريا، إلى أن حصلوا أخيراً على قدر تافه من مسحوق ضارب إلى الصفرة، لعله هو مهلك البكتيريا.

وقد أجريت التجارب الأولى على هذا المسحوق الأصفر في أنابيب الاختبار، فظهر أن قليلا منه، كجزء من ١٦٠ مليون جزء، يبطئ نمو البكتيريا. حقيقة مذهلة!! فهذه مادة أقوى مئات المرات بل ألوف المرات من السلفانيلاميد.

هذا نجاح باهر في أنابيب الاختبار. ولكن لم تزل ثمت عقبة لابد من تذليلها، فهذه المادة تسمم الميكروب، أفلا يخشى أن تسمم الإنسان أيضاً؟ فقد حدث كثير مثل هذا من قبل. وليس هناك إلا طريقة واحدة للتثبت من هذا الأمر.

أعد فلوري ومساعدوه نقيعاً لتسمم فريستهم، وهي الميكروب، المسمى « ستربتوكوكوس پايوجينس » أحد مسببات العفونة في الجروح، ثم حقنوا خمسين فأراً بمقادير قاتلة من هذا الميكروب الفتاك. ثم قسموا الفئران فريقين متعادلين وعالجوا أحدهما دون الآخر بالبنيسلين.

وفي غضون ١٧ ساعة ماتت الفئران التي تركت كلها لرحمة الميكروب. وأما الفئران الأخرى فبقيت تتوائب في أقفاصها لاتحس بالصراع الدائر في أبدانها. ومضت عليها

أيام وأسابيع ولم تصب إلا واحدة منها ماتت بعد حين . فكسب هذا المسحوق الأصفر الجولة الأولى فى الصراع بنسبة ٩٦ ٪ أى فى ٢٤ من ٢٥ حالة . وأعيدت التجربة فى مئات الفئران فأسفرت عن نتائج باهرة كالنتائج السابقة. وأخيراً استعد فلورى لكى يتخطى بتجاربه الفئران إلى الناس. ففى صيف ١٩٤١ اختار عدداً من المرضى لامتحان العقار الجديد الذى سمى «بنيسيلين»، وكان الفريق الأكبر منهم قد أنهكهم الداء ، ولم ينجع فيهم دواء ، حتى أشرفوا على الهلاك .

وقد نمضى فى بسط رواية البطولة فى إنقاذ حياة المرضى ، فنذكر ثلاثة مرضى كانوا فى عداد الأموات من جراء تسمم الدم ، أوطفلا فى الشهر الثانى من عمره كان ميكروب « الستافيلو كوكوس » ينخر فى سلسلته الفقارية متطرقاً إلى عظام أصابعه وعنقه وساقيه ، أو رجلا كان الالتهاب السحائى الناجم عن نوع من « الستربتوكوكوس » قد أسقمه حتى أدناه من الموت . هذه الحالات كان ميؤساً من شفائها كل اليأس حتى ذلك الحين ، وقد عولجت - هى وما ضارعها ، بالمسحوق الأصفر — فقد حل فى الماء ثم أفرغ فى مجارى دمائهم ، وهم اليوم جميعاً أحياء .

وقد ظهر من أول الأمر ، أن البنيسيلين سلاح قوى جداً ضد ميكروب « الستافيلو كوكوس » المسمى بالميكروب القيحى ، لأنه هو السبب الرئيسى فى تقيح الجروح . وإذا هاجم العظام أورثها داء مدمراً هو التهاب النخاع . وهذا الميكروب هو الذى يغزو الدم ، ويسبب تسمم الدم الستافيلى ، فيميت تسعة أعشار المصابين به ، وهو الذى يحدث جروحاً كبيرة فاغرة تنقضى عليها سنوات وهى لا تلتئم .

لقد فعل البنيسيلين العجائب فى مقاتلة هذه الميكروبات الخبيثة الشريرة ، فهو لم يخفض الحرارة خفضاً سريعاً كما تفعل عقاقير السلفانيلاميد ، ولكن المرضى الذين عولجوا به تحسنت حالهم عاجلا ، وقويت شهيتهم للطعام ، ورجع النشاط إلى أصوات جعلها المرض خافتة حتى كانت همساً . وأهم من ذلك كله أن الناس الذين كان قد قضى عليهم أن يعدوا من الأموات ، لم يزالوا أحياء .

وللبنيسيلين مزايا عظيمة الشأن ، منها أن المرضى الذين لم يحتملوا تعاطى السلفانيلاميد تعاطوا البنيسيلين من غير أن يحدث لهم رد فعل مؤذ على الإطلاق . فهو لا يؤثر تأثيراً ساماً فى خلايا الجسم ، ويظهر أن البكتيريا لم تستطع أن تتحصن منه.

ولكن فيه نقص واحد خطير الشأن ، وهو أن تحضيره صعب جداً ، لأن أنواع

العفن التى يستخرج البنيسلين منها تأبى أن تفرز عصارتهــا السحرية فى كثير من الأحيــان ، فإذا ما لان إباؤها لم تفرز عصارتها إلا فى مقادير يسيرة جداً . فإذا كان الإفراز سخياً فالسنتيمتر المكعب من السائل الذى يحصل من إناء الزرع الفخارى يحتوى على وحــدتين من البنيسلين — والوحدة هى قدر معين مصطلح عليه من قوة هــذا العقار . وفى بعض الإصابات الشديدة يقتضى إنقاذ الحياة استعمال مليونى وحدة إلى ثلاثة ملايين وحدة! وقد قل المتاح من البنيسلين حتى اضطر الدكتور فلورى أن يسترد البنيسلين من بول المرضى ، لأن العقار يفرز مع البول سريعاً . وفى إحدى الحالات انتهى القدر الموجود منه فى أثناء المعالجة ، فمات المريض الذى كانت حالته تبشر بالشفاء، إذ لم يتيسر القدر الكافى لإتمام العلاج.

كان البنيسلين يعد عند هذا الحد فلتة من فلتات معامل الأبحــاث . كان أمضى ســلاح عرف لمحاربة البكتيريا ، ولـكنه لن يسعف فى أعمال المستشفيات ، ما لم تبتكر طريقة لتحضير مقادير كبيرة منه . ولما كانت بريطانيا تعانى جهد الحرب فى جميع الميادين ، ولم يتسن لها أن تهيىء له الوسائل الإنتاج الوافى ، انصرف فلورى إلى أمريكا يلتمس المعونة هناك .

بسط مقترحه للجنة الأبحاث الطبيــة فى مكتب المباحث العلميــة ، وللمجلس المباحث الأهلى ، ولوزارة الزراعة . فهل تهتم كل منها بمـا يخصها من هذه المهمة ؟ أجل ! فلم تلبث أمريكا أن عبأت المواهب للعمل .

فتولت وزارة الزراعــة فى معملها فى بيوريا بولاية الينوى جانباً عظيم الشأن من هذه المهمة ، إذ سلك الباحثون هناك كل الطرق الممكنة لتذليـل العفن الحرون . فتبينوا أن سائل نقيع الحنطة — وهو من بقايا صناعة النشاء — خير غـذاء يغريه بزيادة ما يفرزه . ثم استنبتوا ســلالات جــديدة من العفن تنتج مقادير أوفر من العقار . وأسفر هذا العمل عن زيادة الإنتاج إلى مئات أضعاف الإنتاج البريطانى الأصلى ، فتحولت الفلتة المعملية إلى مادة لها مستقبل طبي تجارى . وشرعت ثلاث من شركات المواد الصيدلية تربى العفن ، وتستخلص منه العقار العزيز المنال . وهذه الشركات هى مرك ، وسكويب ، وبفيزر .

ولـكن هناك مشكلة أخرى ، فالبنيسلين هو خير عقار لمحاربة عفونة جروح الحرب ، وهو ينقذ حياة الجنــود المصابين بجروح خطرة حين يفشل كل دواء آخر — ولـكن على الجراحين العسكريين أن يحسنوا استعماله. وقد كان لزاما أن يمتحن العقار امتحانا

دقيقاً فى المستشفيات الأهلية ، وكان لزاما على الأطباء أن يعرفوا فعله ، والقدر الذى يستعمل منه، والقاعدة المثلى لاستعماله: أعن طريق الفم ، أم فى الوريد ، أم فى العضل، أم بالاستعمال الموضعى ؟

وقد عهد فى مهمة تقرير هذه الأمور إلى لجنة العـلاج الكيميائى التابعة لمجلس المباحث الأهلية برآسـة الدكتور تشستر كيفر مدير مستشفى إيفانس التذكارى فى بوسطن . فوضعت الخطة وتقرر أن يرسل كل جرام من البنيسـيلين إلى الدكتور كيفر ، فيوزع مايصل إليه على ٢٢ مستشفى اختيرت للتجارب السريرية .

ولا يستعمل هـذا العقار الثمين إلا فى الأحوال التى أعيت حيل الأطباء فى أكثر الأحيان ، أى فى الأحوال الميئوس من شفائها. ويستعمل خاصة لمقاتلة التعفنات المسببة عن الميكروب القيحى (ستافيلوكوكوس)

وقد مضت سنة وهذه التجارب تجرب ، وقد عولج به مئات من المرضى . وقد أنقذ البنيسيلين من التسمم بالميكرب القيحى اثنين من كل ثلاثة مرضى عولجوا به . ولولاه لضاع أمـل الفريق الأكبر من هؤلاء المصابين . وكثيرون منهم تأخر علاجهم لقلة الموجود أو عولجوا بمقادير غير وافية . ولكن نتائج معالجة التهاب النخاع أفضل من نتائج معالجة الجروح المتعفنة . وقد كانت معالجة هذا المرض المخيف فيما مضى أخطر مهمة للجراح . كان الجراح يفتح الجرح ، ثم يكحت بعض نواحى العظام المتعفنة الفاسدة ، ويولج فيها أنابيب لنزح الصديد . ولم يكن نادراً أن يقضى العليل أشهراً بل سنين فى المستشفى يعالج هـذا العلاج ، وقد يخرج من المستشفى كسيحاً ، وقد تنتشر العـدوى فى جسمه كله فتعجل بموته . على أن المرضى الذين عولجوا بالبنيسيلين شفوا سريعاً فى بضعة أيام ، إذ كان هذا الدواء المحقون فى الوريد أو فى العضل كل ٣ ساعات ، يقتل جميع الجراثيم التى كانت تأكل العظام ، ثم يخرج المريض من المستشفيات صحيحاً فى بضعة أسابيع .

وقد عولج ، فى مستشفى بشنل العام فى مدينة بريام فى ولاية يوتاه الأمريكية جماعة من الجنود المصابين بجروح كبيرة عفنـة مضت عليها أشهر ولم تلتئم ، فلمـا عولجوا بهذا العقار برئوا فى بضعة أسابيع .

وقد استعمل البنيسيلين فى مستوصف مايو ، فى ثلاث حالات سيلان استعصت على عقاقير السلفانيلاميد ، وبعد ١٧ ساعة أسفر الفحص العملى عن نتيجة سالبة : أن السلفانيلاميد يشفى فى خلال عشرة أيام إلى أسبوعين ٨٠ ٪ من المصابين بالسـيلان

وأما البنيسيلين ، الذي يسهل استعماله ، فينقذ الـ ٢٠ ٪ الباقين . فإذا أثبتت الامتحانات التالية صحة هـذا ، فسيتاح لنا أخيراً أن نستأصل هذا الوباء .

كيف يعمل البنيسيلين عمله ؟ لا يدرى أحد على وجه التحقيق . على أن هناك بضع حقائق واضحة . ففي أنبوبة الاختبار ، لايقتل البنيسيلين الميكروبات قتلا مباشراً ، وإنما يقف نموها وتكاثرها . والسلفانلاميد يفعل هذا الفعل نفسه . حتى إذا ما وقف تكاثر الميكروب أو أصبح نموه بطيئاً ، تغلبت عليه كريات الدم البيض وقتلته .

ليس للبنيسيلين أثر ناجع فى التهاب غشاء القلب الداخـلى حيث تغزو البكتيريا القلب . ولا فى حالات السـل والتهاب المفاصل . واحتمال تأثيره فى أمراض شلل الأطفال أو الحمى الصفراء احتمال ضعيف . ولا يستطيع أحد حتى الآن أن يقطع : هو يجدى فى معالجـة التيفود أو التيفوس أو الزهرى أم لايجدى ؟ لأنه لم يجرب بعد فى هذه الأدواء .

وقد فعل فعلا عجيباً سريعاً فى حالات قليلة من مرضى ذات الرئة التى لم ينجع فيها السلفانيلاميد ، وهو يبشر بأنه سيكون سلاحاً ماضياً ضد الالتهاب السحائى . وهو سلاح قوى ضـد الدمامل وفروخ الجمر وبعض أنواع الرمد المزعجة . وقد أثر تأثيراً ناجعاً مدهشا فى التهـاب عظمة الأذن الخلفية المسماة « مستويد » . ويرجح أنه ينجع فى أكلة الغاز (غنغرينة) التى كانت تقضى على حياة الجنود . وقد استعمل فى تعفنات الحروق فأتى بنتائج باهرة . وكذلك عولج به عدد ممن أصـيبوا بحروق فى النار الكبيرة التى شبت فى نادى بوسطن الليلى .

ولـكن لا تزال المقادير المتاحة من هذا الدواء قليلة جداً ، وقد طلب جيش الولايات المتحدة الأمريكية مقادير منه هى أضعاف ما ينتج منه الآن . فتأهب ثلاثة عشر معملا صيدليا ، علاوة على الثلاثة التى ذكرت سابقاً ، للمساعدة فى إجابة هذا الطلب . وبالرغم من كل هذا ، لا يحتمل تحضير ما يطلب منه للمدنيين قبل أن تنتهى الحرب .

والأمل الوحيد فى تحضير قدر وافر منه إنما هو فى التوفيق إلى تحضـيره صناعياً بالتأليف الكيميائى . فإذا نجح الكيميائيون فى ذلك تيسر إنتـاج المقادير الكبيرة فى الحـال . على أن تحقيق هـذا الأمل لا يزال بعيـداً .

وكيفما قلبت وجوه المسألة ، فالواضح الآن أن البنيسيلين سلاح لا مثيل له فى الصراع ضد الموت . وسيعدّ فى المقام الأول بين مآثر البحوث الطبية الخالدة .

أيام سباستوبول الأخيرة

خلاصة الكتاب الذي ألفه
بوريس ڤويتيخوف



« ظلت مدينة سباستوبول ثمانية أشهر ثابتة أمام الجيش الألماني القوى ، الذى أراد فتحها فى أسبوع أو أسبوعين . وبفضل بسالة الدافعين عنها أمكن منع الألمان من تنفيذ خطتهم فى الزحف على ستالينجراد ، وعلى آبار البترول بالقوقاز فى صيف عام ١٩٤٢ . ولا شك أن دفاع سباستوپول كان من العوامل التى ساعدت على الهزيمة الساحقة التى حاقت بالألمان فى ستالينجراد فى أواخر تلك السنة .

« وكاتب هذا المقال : بوريس فويتيخوف شاب ذكى وصحفى بارع ، وصل إلى سباستوپول فى مدمرة ، ورأى المدينة فى آخر وأجل ساعات دفاعها المجيد . والقصة التى يرويها هنا ، هى تدوين لما شاهده بعينيه ، يصف لنا فيها حادثاً من أفظع ، ومن أروع ، حوادث الحرب » .

***

لم يلبث ظلام الليل أن انتشر بسرعة عظيمة ، حينما اقتربت مدمرتنا من مدينة سباستوپول المدمرة ، وأخذ النور ينبعث من فنار (خرسن) ، وهو النور الوحيد الذى لم يتناوله أمر الإطفاء العام . ولم يكد الفنار يبذل لنا هذه التضحية الجليلة – بأن أنار لنا طريقنا – حتى أخذت جدرانه تشتعل بنيران القنابل المنفجرة فيها .

كان الملاحون فى مدمرتنا يعلمون تمام العلم أن هذا الشعاع الذى يعرفونه ويحبونه لم يضىء لهم طريقاً توصلهم إلى منازل الراحة والأمن ، بل كان يهيب بهم ، وهو يرتعش : « لن تلبثوا حتى تجتازوا أعتاب دياركم المخربة ، ولن تلبثوا حتى تروا ما أنزله الألمان من الويل بمدينتكم » .

خفضنا من سرعتنا ، وأخذنا نسير فى خط ملتو ، وسط حقول الألغام المنتشرة من غير نظام . فى بداية الهجوم ملأ الألمان الميناء بالألغام ، ولشدة ازدحامها بالسفن كان كثير منها معرضاً للدمار . وكان رجال

البحرية الروسية يقفزون عن ظهور سفنهم ويدفعون الألغام العائمة أمامهم نحو الشاطئ. وكم من رجل مزقت جسده الألغام المنفجرة وهو يقوم بتطهير الطريق أمام سفينة تريد أن تبرح الميناء، لكى تعود إليها وهى تحمل الذخائر اللازمة للمدافعين عن سباستوبول.

وأخيراً وصلنا إلى المرفأ الداخلى، فرأينا المدينة وقد غطاها اللهيب والدخان المنبعث من قنابل الألمان المحرقة. فى تلك اللحظة كان خنجر الفاشستيين معروضا على حلق المدينة التعسة. وفى السماء مئات الأشعة الكشافة ــ روسية وألمانية ــ يقطع بعضها بعضاً، كأنها سيوف من الفضة فى مبارزة جوية. والرصاص المضىء الخطاط ينطلق فى الهواء، ويرسم أشكاله النارية المهلكة. وقد انعكست على صفحة الخليج الراكد، صورة ذلك الجحيم الثائر على الشاطئ. وإلى يسار الرصيف الذى وقفنا به كانت الثكنات ومخازن البضائع تتأجج ناراً. ولما وقفت أرقب ما حولى، رأيت الجدار الوحيد الباقى من أحد الأبنية ينهار شيئاً فشيئاً حتى سقط فى الماء.

قال الربان: «إن الحظ معنا، فهذه إحدى الليالى الهادئة!» فسألته: «فكيف تكون الليالى غير الهادئة؟» قال: «هذا ما ستراه غداً بنفسك فى النهار».

وبادرنا إلى إفراغ حمولتنا من الذخيرة والرجال، ثم شحن المدمرة بالجرحى واللاجئين، فى سرعة خارقة للعقل. أما أنا فكان عملى متصلا بالإدارة البحرية فى البر، فقادنى إليها أحد الضباط.

كان مركز القيادة البحرية ــ وهو الجهاز العصبى للدفاع عن سباستوبول ــ فى نفق محفور فى وجه صخرة قائمة. ومن داخل هذا النفق تتفرع دهاليز ضيقة، ممتدة فى جوف الصخر. وهنالك أضواء كهربائية ضئيلة تعين المرء على تلمس طريقه فى الظلام. وفى جوانب تلك الدهاليز أبواب عديدة، من ورائها حجرات صغيرة الحجم، يعيش ويشتغل فيها قوم قد امتلأوا جداً وجلداً. ولقد تسمع منها أحياناً نبذاً من أحاديث تليفونية أو صوت الآلة الكاتبة. وينبعث أحياناً منها صراخ الجرحى، أو صوت الإجابة الجافة السريعة من الضابط المكلف، أو غطيط النائمين الجافى.

وكان عمال الراديو يحملون رسائل مستعجلة، وقد طرقت أذنى قطع منها: «إلى عمال الأشعة الكشافة رقم ٢٤! أنيروا مدخل البوغاز لسفينة النقل القادمة. السفن الحربية الحارسة أخذت تلتقط النساء والأطفال اللاجئين، الذين كانت تقلهم سفينة نقل أغرقت. الألمان يقذفون المرفأ

بقنـابلهم . أخطروا البطارية الخامسـة والثلاثين بأن تضرب الألمان بمدافعها » .

ولهذه الحجرات التى فى باطن الأرض ، نظام لماء الشرب ، ونظام للمجارى ، ومطعم وحلاق ، وعدة منافع أخرى ، فى صميم قلب الصخر . ولـكن كان ينقصها شىء واحد : وهو الهـواء . فإذا تعطلت آلات الترويح أصبح التنفس أمراً صعباً . وبين العاملين هنـاك كثير من النساء ، وإنه ليحزنك أن تراهن فى عملهن المرهق ، قـد احمرت مقلهن الشاحبة ، وتقطعت أنفاسهن ، فهن جالسات يلهثن إلى جانب آلات الـكتابة أو التليفون . ولقد تساعد إحداهن الأخرى لحظة ، فينهض فريق منهن محتضناً أطفاله الراقدين ، وقد تصبب العرق منهم ، ثم يمضى بهم إلى بعض الخنادق الخارجيـة المفتوحة حيث يملأون صدورهم من هواء البحر المنعش . ولـكن هـذه المساعدات كانت من الأشياء النادرة ، وكثيراً ما عاق دونها سقوط القنابل أو الشظايا .

هذه الأصوات المختلفة التى تحت الأرض لا تلبث أن تختفى تماماً ، حين يطغى عليها صوت القنابل المنفجرة على الصخور التى فوقنا . كان سقوطها يبـدأ كل يوم قبيل الفجر ، باطراد وانتظام . وقـد يبلغ من العنف بحيث يخيـل للمرء أن الصخر قد تصدع فى غير موضع ، وأن هـذه الدهاليز والسراديب والحجرات توشك فى أية لحظة أن تندك ، وأن تغدو مقبرة لهؤلاء العاملين المجدين الذين لا يدركهم فتور ولا نصب .

أقمت فى مركز الإدارة العام فى باطن الأرض أربعة أيام ، لم أبصر فيها شيئاً مما يجرى فوق ظهرها . ولـكن أحد الضباط وصف لى ما أصاب المدينـة من التخريب والتدمير : « لم يبق شىء يسمى مدينـة ، وجميع المنازل لا سقوف لهـا ، والشوارع غاصة بالأنقاض والجدران المهدمة » .

وليس فى البـلدة مكان لم تسلط عليه آلات الهلاك ، وليس بها مكان آمن من غوائل القنابل والألغام الأرضية ، ونيران القذائف . وكل شىء يتحرك ، سواء أزورقاً كان أم سـيارة أم دراجة ، كان يطارد ويهاجم . وأسراب طائرات العـدو تفتش عن النساء والأطفال المختبئين وسط الصخور ينتظرون دورهم لـكى ينقلوا إلى السفن ، فترسل عليهم القذائف الشديدة التدمير ، فتدفنهم تحت الأنقاض بجوار البحر .

وفى كل يوم يجىء الغواصون فيبلغون مدير البحرية عن الأشياء التى استخرجوها من قعر البحر فى الميناء . وهؤلاء الرجال الخبيرون بخفايا أعماق البحار كانوا يغوصون فى كل ليلة ، ويستخلصون ، من بين حطام

السفن وأجساد الموتى ، قنابل وقذائف لم تنفجر ، فيملأون بها حقائبهم .

ومدير البحرية رجل نهم لا يشبع ، فتراه يتناول باهتمام عظيم « فواتير الشحن » التى أمكن إنقاذها ، ثم يسأل الغواصين : « هذه المحركات الست للطائرات ، أين هى ؟ وأين الضمادات والقطن ؟ وأين الأدوية ؟ ما عساكم تصنعون فى قاع البحر ؟ تلعبون الشطرنج مع القتلى والغرقى ؟ » .

فيجيبه زعيم الغواصين : « أجل هو ذلك ! وجدير بك أن تشترك معنا مرة . إذن لرأيت بنفسك أن من المستحيل إنقاذ تلك المحركات ، فهى فى جوف السفينة ، ومن دونها أكداس جثث من الخيل والفرسان . أما الأدوية فإنى لا أستطيع أن أصل إليها ! » .

« ولم لا ؟ » .

« لم أزل غواصاً ثلاثين عاماً ، وقد مارست أشياء كان الذين معى يجنون من هولها . كل ذلك لم يزعجنى ، أما أن أقتحم تلك الغرف التى لا أكاد أفتح بابها حتى تتدفق علىّ جثث الأطفال ، فلا أطيق » .

فيقول له القوميسار : « إن معنى هذا أنك ستدع أطفالا أحياء يموتون لأنهم لم يجدوا الغذاء ولا الضمادات ! » .

وينتهى الجدال دائما بإذعان الغواصين وعودتهم إلى جوف البحر ... وفى الصباح التالى أرسلت المحركات إلى المطار ، ووضعت الضمادات فى الشمس لتجف . أما القنابل المستخرجة من البحر ، فكانت تخترق سماء سباستوبول فى طريقها إلى معسكر العدو .

كانت سفننا لا تنفك كل ليلة من الدخول خلسة إلى الميناء ، تحمل للمدينة المدد من الرجال والمؤن ، ثم تعود وهى تحمل النساء والأطفال . وكان الألمان يضيئون الأرصفة بما يلقونه من مظلات تحمل المشاعل ، وبما يرسلونه من الضوء الكشاف ، ثم يقذفونها بقنابلهم بغير رحمة . ومن المستحيل أن أفى هذا المنظر حقه من الوصف : فمن صهاريج بترول تشتعل ، إلى صناديق ذخيرة تنفجر . وكان سائقو سيارات المطافىء يهجمون بسياراتهم ، وهى محملة فوق طاقتها ، وسط اللهيب المشتعل ، والدخان الخانق ، بينما يكافح الآخرون النار جهد طاقتهم .

وكان لا بد من بذل مجهود عنيف ، لكى يتم تفريغ كل سفينة وشحنها بسرعة هائلة . وهذه السرعة كانت فى ازدياد دائماً إذ لا بد لكل سفينة أن يتم تفريغها وشحنها وأن تبتعد عن رصيفها ، قبل أن يبزغ الفجر ، فإن خطر التخلف عظيم جداً . ولدرء هذا الخطر لم يكن بد من استخدام كل وسيلة ، مهما تبعد عن الرأفة والرحمة .

وقد حدث أنْ كان بين عمـال الأرصفة جماعة من المسجونين الذين أفرج عنهم ، فجمع رجل منهم حوله طائفة من المتذمرين كانوا سبباً فى تعطيل العمل ، فلم يلبث أن جاء أحد الضباط إلى ذلك الزعيم وقال له : « افتح فاك وقل : آه ! » ، فلم يكد يفعل حتى رماه برصاصة بين فكيه ، وتناثر دمه ومخه على الذين حوله . والتفت الضابط إلى العمال وقال : « أريد السرعة المتناهية » .

* * *

واستطعت بعد لأى أن أتشجع ، وأن أخرج فى رائعة النهار من مخبأ الإدارة البحرية فى جوف الأرض . ولم أكد أفعل حتى أحسست بأعصابى تنهار من هول ذلك المنظر المفظع الهائل : فهنالك سفن غرق أكثرها ، ولم يبق منها فوق الماء سوى مقدمها أو مؤخرها ، وهى تحمل فى بطنها حمولتها من اللاجئين المساكين ، الذين لا يستطيعون خلاصاً . وهناك سفينة شراعية محملة بأقصى ما تتسع له ، وقد مالت على جنبها ، حتى امتدت شراعها على صفحة الماء كأنها أذرع غريق يستغيث .

كان من عادة سكان المنازل القريبة من البحر أن يتخذوا من أجسام هذه السفن مأوى يلجأون إليه من الغارات الجوية ، ودفعتهم سذاجتهم إلى الظن بأن القنابل لا تقـع مرتين فى مكان واحـــد . وقد أخطأوا ، فإن الألمان كثيراً ما عادوا فضربوا الأنقاض وبقايا السفن .

وكان الناس فى المدينـة لا يجدون وقتاً للجنائز ، فيكتفون بأن يغطوا الموتى بطبقة رقيقة من التراب . وقد طالعت على رأس أحد الكثبان ، حيث تناثر حطام إحدى الطائرات ، العبارات الآتيـة ، مكتوبة على قطعة من مروحة الطائرة :

« افسحوا لى مكاناً يا سـكان المقـابر ! أفسحوا أيها الجنود القدماء! إن زائراً جديداً قد جاء ليثبت لكم حبـه للحرب والقتال ، فاقبلوه بينكم ، فإنه بهذا جدير » .

لقد نسف الألمان بعض المقابر نسفاً تاماً ، وهم يبحثون عن مستودعات البترول ، فبعثرت بقايا الموتى ممن قضوا نحبهم فى حرب القـرم ، واختلطت بالدماء الطرية . ومن وراء المقابر بقعة من المدينـة قد مزقتها القنابل ، حتى ليستحيل على المرء أن يتبين مكان المنازل والشوارع منها . ولقـد ترى حفراً مستديرة ، حفرتها القذائف ، وقـد امتـلأت بالماء الملوث بالدم ، تسبح فيـه الأيدى والأشلاء وأجسام الأطفال .

ومما أدهشنى أن رأيت وسط هذه البقعة امرأة شابة ترتدى ثياباً متواضعة ، وهى تتلمس طريقها بين الأنقاض ، وفى يدها باقة

من الزهر الجنى . كانت تمشى فى الشوارع المخربة مرفوعة الرأس لا تهاب شيئاً . وقد علمت أنها تجتاز كل يوم خرائب سباستوپول فى طريقها إلى المقبرة التى ثوى فيها زوجها ، وهو من الرجال الذين نالوا شرف الموت دفاعاً عن المدينة . نصحوها مراراً أن تغادر المدينة مع المهاجرين ، فأبت وقالت : « بل أظل هنا ، حيث ثوى قرينى . » والمحاربون يفخرون بها من أجل موقفها هذا ، ويعجبون أشد الإعجاب بهذه المرأة المتواضعة التى رضيت أن تبقى إلى جانبهم ، وقلبها يفيض بالحب الطاهر النبيل .

* * *

إن الرسوم الفوتوغرافية التى التقطتها طائرات الألمان ، أثبتت لقوادهم أن مدينة سباستوپول لم يعد لها وجود . وقد قيل للجنود الألمان إنه لن يمضى يومان ، حتى يكونوا قادرين على الاستحمام فى الخليج ، وبعد ذلك يمنح كل منهم إجازة طويلة .

وبرغم هذا فإن المدينة لم تزل حية ، تغلى نشاطاً وبغضاً . ولئن كانت أنيابها قد تطايرت ، فإنها ما برحت تعضُّ على الأرض باثة دامية . ولما حيل بينها وبين الحياة على ظهر الأرض ، اتخذت من بطنها ، ومن المحاجر المهجورة ، ومن الحفر والخنادق ، ملجأً ومعتصماً ، واستمرت فى كفاحها .

ومن أصدق الأمثلة على هذه الحياة مصنع ألغام زرته بنفسى . كانت الضوضاء فيه فوق ما يتصوره العقل ، وهو عبارة عن كهف أو جب عظيم ، مقسم بحواجز معدنية إلى عدة أقسام ، فى كل منها مئات الآلات ، لا ينقطع طنينها ورنينها ، يمدها جميعاً بالكهرباء محرك ضخم يتصاعد منه الدخان والبخار بلا انقطاع ، كأنه غلاية شاى من الطراز الروسى العتيق . فإذا توقف هذا المحرك عن السير ، وانطفأت الأنوار ، بادر كل عامل إلى إشعال سيجارة ، فأضاء الكهف بمئات من الأضواء الضئيلة ، ذلك أن العمال قد اتفقوا فيما بينهم على أنه لن يكون هنالك تدخين ، إلا إذا تعطل العمل بسبب انقطاع التيار الكهربائى .

كانت الآلات تعمل ٢٤ ساعة فى كل يوم . وحين زرت المصنع رأيت امرأة عجوزاً ، تدير آلة من آلات اللحام ، وكانت يدها اليمنى مقطوعة بانفجار قنبلة ، وبعد مغادرتها المستشفى أبت أن تهجر المدينة . وكانت إلى جانبها شابة حسناء ترضع طفلا حملته بإحدى يديها ، وتدير بالأخرى آلة من آلات الثقب . وربما سحرت الألباب من آن لآن بلحن جميل من ألحان المهد .

وقد بنيت للعمال مضاجع على شكل رفوف مثبتة فى الجدران فى ثلاث صفوف بعضها

فوق بعض ، ينام عليها كل عامل - إلى أن يأتى دوره - بين الحقائب والأمتعـة التى لم يكن لها مكان آخر . وعلى الرفوف السفلى صـغار الأطفال يلعبون ألعـاباً مشتقة من الحرب ، ويتخذ الفتيات من القنابل الصغيرة عرائس ، بعد أن يلففن حولها قطعاً من الأقمشة ذات الألوان البراقة .

وترى الرسل تروح وتغدو ، ورؤساء العمل ، ورجال الصحافة والسينما ، يمرون مسرعين فى الدهاليز والسراديب ، ومن حولهم تلك الرفوف المصفوفة على الجدران . وها هنا أحد المهندسين قد انحنى على مائدة ليحلق لحيته ، وهنا الصراف يدفع الأجور لطائفة من العمال ، وتلك فتاة من عاملات التليفون فى فترة الاستراحة تعزف بالجيتار ، هؤلاء وأضرابهم كانوا يعيشون ويعملون فى ذلك الـكهف العظيم .

* * *

أما ميدان القتال نفسه ، فكانت ترد منه أنباء غريبة ، وقصص مخيفة . ففى يوم من الأيام كانت إحدى سفن الركاب تغرق فى الميناء ، فانفجرت فى جوفها قنبـلة ، فانسد باب حجرة الطعام تماماً ، وكان الجرحى راقدين فى داخلها . وبعد قليل أخذ ينبعث من الات الباخرة وقود ملتهب ، وجعل ينسيل من باب حجرة الطعام متسرباً إلى الداخل ، دون أن يستطيع وقفه أحد . فلما رأى الجرحى أن الوقود الملتهب يوشك أن يغمرهم ، جاهدوا فى الخروج من نوافذ السفينة - وهى أضيق من ان تتسع لأكتافهم . . . لقد رأوا الهلاك البشع ماثلا لأعينهم ، فأرادوا تخفيفـه بالانتحار العاجل ، ولـكن لم يكن معهم سلاح . وقد استطاع أحد اللاحين أن يصل إلى سطح الباخرة ، فأطل منها على تلك النوافذ الضيقة ، فرأى صديقاً قد أخرج رأسه من إحداها وعلى وجهه الألم الفظع ، فتوسل إليه أن يجهز عليه ، فأخرج اللاح مسدسه وأطلق الرصاص ، ثم أشاح عنه بوجهه . لقد فعل كل ما كان فى وسعه .

* * *

فى اليوم الحادى عشر من الهجوم الألمانى الرابع ، صمتت أبواق الإذاعة التى أقامها الفريقان المتحاربان ، فوق المنطقة الحرام التى تفصل بينهما ، ولقد استخدم كلا الفريقين هذه الأداة من أدوات الدعاية . وكان كل بوق ينطق بلغة الفريق الآخر . وبمضى الزمن عرف كل مذيع غريمه فى المعسكر الآخر ، وكثيراً ما كان يؤنبه على ارتكاب غلطة فنية ، أو خطأ نحوى ، أو نكتة باردة ، أو لما قد يبدو فى صوته من أثر السكر .

كان الألمان يوجهون معظم دعايتهم إلى

بحارتنا ، إذ كانوا يخشونهم أكثر من أية طائفة أخرى . وكانت دعايتهم تنتهى فى العادة بعبارة كهذه : « أفيقوا من أحلامكم التى خدرتكم بها الدعاية البلشفية ! إن بحاراً ألمانياً يخاطبكم . . إن شعورى يتفق وشعوركم ، فإذا كنتم تحبون البحر الأسود فانضموا إلينا ، يرجع إليكم البحر كما كان . وزعيمنا الفوهرر خير من يقدر عملكم حق قدره ، وسيمنح كلا منكم زورقاً بحارياً » . فيكون الرد أن يذيع عليهم أسطوانة سجل عليها ضحك عال مستمر . وكثيراً ما كانت هذه السخريات يرن صداها فى التلال ، فتملأ الليل بصيحات منكرة كأنها أصوات السعالى والغيلان .

ولكن فى صباح اليوم الحادى عشر من الهجوم الرابع كان يجرى فى خنادق العدو شىء غير مألوف . إنها أناشيد دينية ، ترتلها فرقة عظيمة ، وصداها يدوى فوق الأرض الصخرية الجامدة . إنهم الرومانيون يبتهلون إلى الله فى طلب النصر وهم يائسون ، وقد ولوا وجوههم نحو الشمس المشرقة من فوق تلال القرم .

وبينما أنا أصغى لأناشيدهم التفت إلىّ أحد الجنود ، وهو يرتب صناديق ذخيرته الاحتياطية ، وقال : « إن دين هؤلاء القوم لا يخلو من المرح ، يا رفيقى القوميسار السياسى ! »

كان من الواضح أن هجوماً يوشك أن يبدأ . ولما دخلت مركزاً من مراكز المراقبة ، سمعت صوت القائد يقول : « أزفت الساعة فاستعدوا للألعاب النارية ! » وفى تلك اللحظة رأيت الدبابات تزحف من الجانب الأيسر للوادى ، ومن خلفها أشباح المشاة ، وهى تسعى مهرولة . فتناولت منظارى ، فرأيت أنهم نصف عراة ، وقد أسندوا مدافعهم الرشاشة إلى أجسامهم التى تتصبب عرقاً ، وقد حشوا أنوفهم قطناً اتقاء لرائحة الجيف . ورأيت بعضهم يحمل أدوات السينما لتسجيل مناظر المعركة .

ثم أخذ الدخان يلف كل شىء ويغشى كل مكان ، فلا تستطيع العين أن تبصر شيئاً . وأخذنا نطلق رصاصاً على غير هدى فى هذا الثرى المتطاير . والساعات تمضى ، والمعركة تدور ، ووقع القذائف المنفجرة يضغط أشد الضغط على الرأس والمخ ، والعين والأذن .

ولا تلبث الدبابات المتقدمة أن تصل إلى خنادق العدو ، فتعوقها بعض العوائق فتعود أدراجها فجأة ، وهى تدك أجسام الألمان والرومانيين الذين سقطوا أثناء الهجوم . ومع هذا فإن كثيراً من مدافعنا قد أسكت .

فى هذه اللحظة يبدأ الألمان الضرب من الجو ، ضرباً مسدداً . وطائراتهم تفوقنا عدداً بنسبة عشر إلى واحدة . وليس هجوم الطائرات المنقضة حرباً بل هو الفناء ، هو القضاء المبرم على الأرض ومن عليها من الرجال . وبعد أن تتم الطائرات هجمتها الاكتساحية ، تتقدم على أثرها دبابات العدو . . . وقد رأى المدافعون عن الخط الثانى كل ما حدث ، رأوا أقرانهم يمحون من الوجود ، كما رأوا عدداً كبيراً من بطارياتنا تعطل . ولكنهم ثبتوا فى مكانهم لم يحاول أحد منهم أن ينجو ، وكلهم يعلم أن هجمتين أو ثلاثاً ستمكن العدو من اختراق خطوط دفاعهم .

* * *

والخاتمة حادث من حوادث التاريخ الرائعة ، وإن لم يتح لى مشاهدته . فلقد أمرت بالسفر على آخر غواصة برحت سباستوبول ، وحين وصل الألمان إلى خط الدفاع الرابع لم يجدوا مقاومة تستحق الذكر ، وكذلك لم يكن تسليم ؟ فلم يبق من الفرقة التى كلفت الدفاع عن هذا الخط سوى ١٣٠ جندياً من رجال البحرية .

وكان الألمان فى تقدمهم يوجسون خيفة من الجثث الهامدة ، فكانوا يطعنون أجساد الموتى بحراب بنادقهم ، أو يفرغون فيها رصاص مسدساتهم ، ثم يتسللون إلى الأمام تحميهم الدبابات الخفيفة ، ووجهتهم مجموعة المدافع المسماة « بطارية قسطنطين » . وكان الاستيلاء على هذه البطارية يمكن العدو من السيطرة التامة على الميناء ، وعلى البوغاز الموصل إلى البحر .

وقد صدر الأمر منذ وقت طويل إلى المائة والثلاثين رجلا بالتراجع عن أماكنهم ، فتجاهلوا الأمر . واختاروا أضيق موضع أمام البطارية ، وأخذوا يدافعون عنه بشدة وعزيمة ، حتى اضطر الألمان إلى الانتظار ريثما تصل إليهم الأمداد . هؤلاء المائة والثلاثون ، كانوا يحاربون من أجل حياة رفقائهم الجرحى ، الذين كانوا ينقلون فى تلك الساعة من البر إلى السفن .

أما هؤلاء الجرحى ، فكانوا رقوداً على شاطىء البحر ، وكثير منهم قد شوه تشويهاً قاسياً ، وقد نفد كل ما كان لديهم من أدوية أو ماء ، ولم يبق شىء يستعان به على تخفيف ويلاتهم . والجميع يعرف هذا : يعرفه الطبيب والمريض على السواء . فلم يكن هنالك مكان للوم ولا لشكوى . وقد مات من الجرحى من مات ، بعد الذى عاناه وقاساه . وكان هناك عدد كبير من الشابات الروسيات ، قد اشتركن فى الحرب منذ بدايتها ، واليوم كن يحملن الجرحى إلى

الزوارق ، فإذا أصيب أحد الزوارق غرقن مع من يغرق ، أو عمن مع من يعوم .

أما الرجال الذين دافعوا لكى يجعلوا هذا الإنقاذ ممكناً : هؤلاء المائة والثلاثون فكانوا يعلمون بما يقوم به أولئك النسوة ، فلم يستطع الألمان — حتى بعد أن جاءهم الإمداد — أن يخترقوا خط الدفاع الأخير هذا ، الذى يذود عنه حماة لهم هذا العزم الصارم . ولكن عددهم لم يلبث أن تناقص بسرعة ، بحيث لم يبق منهم سوى أربعين رجلا ، هم الذين وقفوا الوقفة الأخيرة لدى بطارية قسطنطين .

وقد ظل الرجال الأربعون يحمون تلك البطارية ثلاثة أيام ، وثلاث ليال . . وهى ليال وأيام لم ينقطع فيها هجوم الألمان لحظة . أجل ! لقد ظل أولئك البحارة ثلاثة أيام ، وثلاث ليال مغلقين فى وجه العدو أبواب سباستوبول ، ولم تنته مقاومتهم إلا بعد أن نفد جميع ما لديهم من القذائف والقنابل . وفى تلك اللحظة فقط ، انتهى الدفاع عن الخط الرابع من خطوط دفاع سباستوبول ، ولكن لم يقع مدفع واحد فى أيدى العدو ، ومضوا واحداً فى أثر أخيه ، فمتى استنفد أحدهم كل ما لديه من الذخيرة ، أو عجز عن متابعة القتال ، بادر بتدمير نفسه ، وبتدمير كل شىء يمكن أن ينتفع به العدو .

* * *

وهكذا انقضت ثمانية أشهر ، وهذه المدينة التى لم تكن كبيرة الحجم ، والتى بنيت وحصنت لمواجهة الخطر الآتى من البحر لا من البر ، واقفة تصد تقدم القوات الألمانية والرومانية ، فى طريقها إلى القوقاز . واليوم قد تراجعت سباستوبول — أمام ضغط العدو الساحق القاسى — ومعها أولئك البحارة الصاخبون المعذبون ، تتصبب أجسامهم عرقاً ودماً . . لقد ارتدوا جميعاً وصدرهم مفتوح للعدو ، فتراجعوا إلى الفنار الأخير فى جزيرة القرم وهو فنار خرسُن . إن سباستوبول المدينة قد زالت من الوجود ، ولكنها استحالت إلى مثال يحلق فى جميع أنحاء بلاد روسيا .

وقفت على أحد الموانىء فى الساحل الشرقى من البحر الأسود أراقب واحدة من أواخر السفن التى غادرت سباستوبول ، كانت قلاعها محطمة ، ومرقبها اكتسحته القنابل ، وجوانبها مخرقة كأنها غربال ، ولكن الألمان عجزوا عن إغراقها . وكانت أول عبارة فاه بها البحارة الجرحى حين بلغوا الساحل : « سنعود إلى سباستوبول ، لقد رأينا مصابيح فنار خرسن وهى تطفأ ، ولكنا سنوقدها مرة أخرى ! » .

بنزر من المال وكثير من الجرأة والاقدام ، تسعى المكسيك إلى حل مشكلة الصحة فى الأرياف

ثورة الطب فى المكسيك

ميخائيل صكلى

ملخصة عن مجلة « پان أميريكان »

كانت الأرقام تثير المخاوف عندما راجعتها وزارة الصحة المكسيكية فى سنة ١٩٣٦ ، فبمقتضى المقاييس العصرية كان يجب أن يكون فى المكسيك ثمانية عشر ألف طبيب ، أى بنسبة طبيب واحد لكل ألف نسمة . ولكن البلاد لم يكن فيها سوى أربعة آلاف وخمسمائة طبيب ، وتسعون فى المائة منهم يقيمون فى المدن الكبرى ، أى أن ثلثى السكان أو نحو اثنى عشر مليوناً من سكان المدن الصغيرة والفلاحين وعمال المناجم والهنود كانوا محرومين عناية الأطباء . وأدهى من ذلك أنهم كانوا ضحايا الدجالين ، والمشعوذين . ولذلك كانت نسبة الوفيات بينهم أعلى مما عرف فى أى مكان آخر .

وما فعلته المكسيك لملافاة تلك الحالة جدير باهتمام العالم كله ، فقد حلت مشكلة لا تزال مستعصية على المهيمنين على الشؤون الصحية فى جميع أنحاء العالم كله . ذلك أنها حولت تيار الأطباء الشبان من المدن الكبيرة إلى القرى حيث الحاجة إليهم على أشدها .

وأول من أوقد نار هذه الثورة هو الدكتور غستاف باز العميد الشاب لكلية الطب بالجامعة الأهلية . كان يعوزه المال ولا تعوزه الجرأة ، فاستدعى ٢٦٠ طالباً من طلبة السنة النهائية بتلك الكلية ، وأخبرهم أنهم قد أصبحوا أطباء « مؤقتين » قائلا لهم : إنكم تدرسون الطب منذ ست سنوات تقريباً ، ولو سارت الأمور فى مجراها الطبيعى لأصبحتم بعد قليل أطباء مقيمين بالمستشفيات . ولكن بدلا من ذلك نعرض عليكم أن تقوموا بتجربة طبية كبيرة ، فيقضى كل منكم ستة أشهر فى جهة من الجهات الخالية من الأطباء ، ويتولى فيها عمل طبيب الصحة . ونحن نرسل الأدوية اللازمة لكم على أن لا تطالبوا أحداً بأجر . وستمنح الحكومة كلا منكم ١٨ دولاراً وعليكم أن تمرنوا الممرضات اللواتى تحتاجون إليهن ، وأن تنظموا « عياداتكم » . وسيعمل أكثركم بين قوم لا يزالون على الفطرة ، ولا يعلمون شيئاً عن الطب الحديث . وفى

نهاية الستة الأشهر يتقدم كل منكم برسالة يجب أن تكون أنفس رسالة قدمت لدرجة طبية ، فتشمل بياناً عن تاريخ الجهة ، وأهلها ، وأحوالها الجوية ، والغذائية ، ودخل القوم وشؤونهم الصحية ، ومعدل انتشار الأمراض بينهم ، وأسباب تلك الأمراض . ومتى أنجزتم ذلك كنتم جديرين بلقب « دكتور » .

ونجحت هذه التجربة حتى أصبحت برنامجاً مقرراً فى المكسيك . ووضع الطلبة المائتان والستون أول تقرير كامل عن المشكلة الصحية فى أرياف المكسيك ، فأصبح لتلك البلاد برنامج صحى يصح اتخاذه نموذجاً . وأنشئ نظام « مقرر » للدراسة الطبية للشبان الفقراء بالأرياف الذين لايستطيعون أن يلتحقوا بكلية الطب . وصار برى اليوم أطباء رسميون فى أكثر من ألف مكان كان خالياً قبل من الأطباء . وأنشئ أربعون مستشفى أقليمياً ، والعمل جار لإنشاء ثمانية وعشرون مستشفى آخر . وهنالك جهات نائية تزورها وحدات متنقلة تستعمل الحمير والمركبات فى الانتقال ، ويفحص الأطباء الريفيون الآن فى المكسيك أكثر من مليون مريض كل عام ، ويلقحون نحو نصف مليون بالألقحة الواقية من الجدرى والتيفوئيد وغيرها من الأمراض المعدية . وقد كانت موارد الماء الصالح للشرب فى أول عهد هذا البرنامج أقل من ١٠ ٪ من مجموع موارد المياه فى البلاد ، أما الآن فتزداد موارد المياه المحمية من التلويث لمئات من المدن والقرى ازدياداً مطرداً .

وقد عاد الأطباء « المؤقتون » الذين كانوا طليعة هذا النظام ، وقد كسبوا خبرة ما كان يمكن أن يكسبوها فى أى مستشفى من مستشفيات المدن . فقد أنجزوا عمليات جراحية فى ظلال أشجار الأدغال ، واستحدثوا جبائر للعظام من الخيزران ، وولدوا النساء على حصر من ورق الموز . وأحضروا معهم صوراً تمثل أسواق المواد الغذائية فى القرى وهى مغطاة لأول مرة ، لوقايتها من الذباب والكلاب والخنازير . وكذلك صوروا عيون الماء النقى ، حيث كان القرويون والبهائم قديماً يستحمون ويقذفون الأقذار .

على أن أحد أولئك الأطباء لم يعد ، فقد حاول أن يعالج فتاة هندية مصابة بداء الخناق (الدفتيريا) ، ولكن والديها الهنديين طرداه من البيت إذ خشيا أن تكون « إبرة الحقن » من أدوات السحر . وفى اليوم التالى أقنع أحد معلمى المدارس والديها بأن يسمحا للطبيب بأن يبذل ما فى وسعه لإنقاذها ، فخفها ، ولكن بعد فوات الأوان ، وتوفيت

الفتاة . وبعد أيام كمن أحدهم للطبيب وقتله .

ومرت الأيام ، وتخرجت فرقة إثر فرقة من طلبة السنة النهائية على الوجه المشار إليه ، وذهب أحد عشر طبيباً آخرين ضحية الأهالي الهنود الذين كان دجالو القرى يحرضونهم عليهم غيرة منهم . فكذلك أصبح « المسدس » كميزان الحرارة من الأشياء التي يجب على الطبيب أن يحملها معه .

ورأى أحد أولئك الأطباء الشبان أن الحاجة تدعو إلى ضرب أول نطاق صحي عرفته إحدى القرى بسبب تفشي الحصبة وهي من الأمراض الفتاكة الكثيرة الانتشار في البلاد الحارة . وقد اضطر ذلك الطبيب مرتين إلى إطلاق بندقيته على جماعة اخترقوا نطاق الحجر الصحي وتهددوه . وأخيراً طلب إلى الجيش أن يمده بجنود أقام منهم نطاقاً حول ثلاثة أبنية ، ثم أخذ يتنقل مع ممرضة هندية من بيت إلى بيت ، يعالج ويشرح ، ثم يترك أمام كل منزل حارساً . وبهذه الطريقة وقف انتشار الوباء .

وقد نجح كذلك في تحسين تلك القرية ، فجاء في تقريره أنه — فضلا عن تطهير ماء الشرب وسوق المواد الغذائية ، وهما أهم مصادر العدوى ، فحص ١٢٦٦ مريضاً ، وحقن ألف شخص باللقاح الواقي من الجدري ، وأرشد ٢٩ حاملا ، وعالج ٤٢٩ ولداً ، وألقى ١٢ محاضرة على معلمي مدارس البلدة في علم الصحة ، وأنشأ داراً لرعاية الأطفال .

وكان نساء تلك البلدة يقمن بالأعمال المنزلية الشاقة كالاحتطاب وذبح الماشية . فأفضى ذلك إلى ازدياد مخيف في معدل الأمراض والإصابات بين الأطفال المتروكين في بيوت قذرة ، أو في رعاية أولاد أكبر منهم . فجمع بضعة من أذكياء الأهالي ووجههم إلى العمل . فسوروا بيتاً غير مأهول وبيضوه ، وبنوا أكواخاً ومدوا أنابيب للماء . وفي أثناء ذلك كان يمرن ثلاثين فتاة من تلميذات المدرسة على أصول العناية بالأطفال ، ثم عهد إليهن في الإشراف على دار رعاية الأطفال . ولم ينقض على ذلك شهران حتى هبطت الحاجة إلى العناية الطبية بين أطفال تلك البلدة بمقدار ٤٠ ٪ .

ففي خلال ست سنوات أخرج الدكتور باز ٢٤٠٠ طالب طب قبيل تخريجهم من الجامعة الأهلية، وقد انضم إليهم أخيراً أربعمائة طالب آخر من ثلاث مدارس طبية صغيرة وأخذوا يحذون حذوهم . وعاد الكثيرون منهم بعد تخرجهم إلى المدن التي عينوا فيها.

وحيثما يستقر طبيب منهم تفتح صيدلية واحدة على الأقل . ومن الممكن الآن — ولأول مرة — الحصول على الأدوية

اللازمة فى تلك الجهات . وقد درب هؤلاء الأطباء أربعة آلاف فتاة على التمريض . نعم إنهن لسن ممن قد استوفين دراستهن ، ولكنهن قد تعلمن مبادئ الصحة العامة والخاصة ، ويصح أن تقول إنهن سبقن نساء القرية الحكيمات بما لا يقل عن خمسمائة سنة ، وهذا شئ يعتد به . وطلبة الدكتور باز يستقر معظمهم ، بعد أن ينالوا ، الإجازة فى الطب ، فى المدن الصغيرة التى يختلف عدد سكانها من خمسة آلاف إلى اثنى عشر ألفاً حيث يجدون بين زبائنهم فريقاً من الناس ممن يستطيعون أن يدفعوا أجرة الطبيب . على أن المشكلة الكبرى هى جاليات الدساكر التى يبلغ عددها سبعة آلاف ، وسكان المزارع التى لا تحصى ، وتتألف كل مزرعة من أكواخ ، وسكانها ، وهم سواد أهل الريف ، لا يستطيعون دفع أجور الأطباء .

وقد شرعت وزارة الصحة فى المكسيك فى تنظيم وحدات صحية ريفية ، تتألف كل منها من طبيب وصيدلى وممرضة ومساعد عام . وقد عينت لكل مزرعة هندية وحدة صحية ، وأعطيت الوحدة سيارة ، وعهد إليها فى مراقبة الحالة الصحية فى بقعة مساحتها مئات من الأميال المربعة .

ولما تولى الدكتور غستاف أوروتشورتو إدارة التعليم الصحى أدرك أن أهالى تلك الجهات لا يفهمون مايقال فى شرح الوسائل الطبية ، فأخذ ينشر صحيفة صغيرة الحجم بعنوان « هيجين » أى «الصحة» ، وعهد إلى الوحدات الطبية وطلبة الطب ومعلمى مدارس الأرياف وزعماء جماعات الفلاحين فى توزيعها مجاناً . وفى هذه الصحيفة أخبار أعظم الاكتشافات الطبية مفرغة فى قالب قصص شعبية . مثال ذلك كيف استعمل هنود بيرو الكينا أولا . ويصوّر الماء والهواء والشمس فى صور أشخاص هى من أخلص أصدقاء الإنسان ، وتصور الظلام والأقذار والجراثيم فى صور أعدى أعدائه. ثم تمثل الصور ما يحدث حين يبنى المرء بيته على أرض مرتفعة قد توافرت لها شروط الصرف . وما يحدث حين يبنيه على أرض رطبة محرومة نور الشمس . وهنالك أيضاً إرشادات تعطى بالصور المتحركة ، تجتذب حتى الكبار إلى المدارس حيث تعرض . وتدار فى الأسواق البعيدة اسطوانات ، ومنها كثير باللغات الهندية لترشد المستمعين . وبمثل هذه الوسائل تسنى شرح مبادئ الصحة الأساسية وإيصالها إلى ثلاثة ملايين نفس من المكسيكيين . ولوزارة الصحة اليوم ١٢٥ وحدة صحية ريفية .

وقد نظمت الجاليات الريفية ، واحدة بعد أخرى ، على أساس مشترك ، فتدفع

الأسرة ، للمعالجة الكاملة فى السنة نحو خمسة ريالات . وفى المناطق الفقيرة يهبط مبلغ الاشتراك إلى ريالين ونصف ريال . ويدل تقرير سنة ١٩٤١ على أن الفلاحين دفعوا ٣٥٪ من نفقات البرنامج الصحى الأهلى .

وقد كان معظم الأطباء حتى الآن من أسر تستطيع أن تدفع نفقات دراسة ست سنوات ، على أن عددها قليل . ولذلك قامت المكسيك بتجربة أخرى تكاد تكون ثورة فى نظم التعليم ، ذلك أنها قررت أن تستمد ألوفاً من طلبة الطب من الأقاليم الريفية الفقيرة .

وراسم خطة هذه التجربة هو الدكتور اجناسيو ميلان وهو جراح مشهور ، وقد عرضه فى سنة ١٩٣٧ على الرئيس كرديناس قائلا له : « إن لدينا معيناً لا ينضب من فتيان يمكن أن يصبحوا أطباء ، ولكن ليس فى وسعهم أن يدرسوا الطب . فلننتق خيرتهم ممن يستطيعون أن يكملوا دراستهم العلمية وينالوا درجة ٨٠٪ ، ولندخلهم كلية الطب على نفقة الحكومة . ولنشترط عليهم أن يدخلوا خدمة المصلحة الطبية الريفية مدة ٥ سنوات على الأقل متى فرغوا من دراستهم » .

وفى السنة التالية أنشأ الدكتور ميلان برأس مال قليل مدرسة الطب الريفى فى معهد الفنون والصناعات . وهو يقضى نصف يومه فى التدريس فى هذه المدرسة ، ولا يتقاضى عن ذلك سوى عشرين ريالا أمريكياً فى الشهر ، ويتقاضى المدرسون الآخرون أجراً مماثلا .

وقد تمكن الدكتور ميلان من تقصير مدة الدراسة من ست سنوات إلى خمس ، باجتناب كل ما لا لزوم له ، واقتضاب كل عطلة ، وإطالة ساعات الدراسة . وسيكون المتخرجون ملمين كل الإلمام بعلم الطب بوجه الإجمال وسيدربون تدريباً تاما على أمراض المناطق الحارة ، وسيستطيعون أيضاً ممارسة طب الأسنان فى أحوال الضرورة الطارئة .

ويبلغ اليوم عدد طلبة مدرسة الطب الريفى مائتين ، وهم منتقون من خيرة الطلبة . ويعطى كل منهم من ستة ريالات إلى عشرة كل شهر ، لنفقات معيشتهم ، ويقدم لبعضهم أماكن لإقامتهم . وستتخرج الفرقة الأولى منهم فى هذا العام ، فيرسل أفرادها إلى الجهات الخالية من الأطباء بعقد مدته ٥ سنوات .

ولا يزال مجال العمل واسعاً جداً ، إلا أن المكسيك قد وفقت إلى حل مشكلة الصحة الريفية بفضل نظام الأطباء الريفيين الذى ابتدعه الدكتور باز ، والوحدات الصحية الريفية التابعة لوزارة الصحة ، وخطة الدكتور ميلان فى تعليم شبان الأرياف الفقراء الطب .

لوبُو، مَلك الذئاب

إرنست طمسون سيتون



منذ سنوات مضت جاءني صديق كانت له ضيعة لتربية البقر فى وادى كورمبو فى شمال المكسيك الجديدة بالولايات المتحدة، وكان يعرف أننى كنت يوماً ما صائد ذئاب، فجعل يحضنى على زيارة ضيعته لأطهر الناحية من عصابة من قطاع الطرق وهى ذئاب طُلس خبيثة، ذهبت تتحدى صائدى الحيوانات الوطنيين، فتجبي بذلك منهم ضريبة من أثمن الأبقار. لبيت الدعوة فى شوق، وانطلقت إلى وادى كورمبو فى عربة ومعى اثنان من المساعدين: بيلى ألين، وشارلى ون، وبعض فخاخ لصيد الذئاب.

ولما وصلت إلى الوادى، عرفت أن سرب الذئاب يقوده، ذئب طاغية جبار أطلق عليه المكسيكيون الوطنيون اسم «لوبو العجوز، الملك». وكل أصحاب الضياع يعرف لوبو خير معرفة، وإن لم يكد يراه إلا فئة قليلة منهم. ولا يخطىء السمع صوته، وإن يكن أضعف من صوت زملائه. أما آثاره فلا تكاد تخطئها العين، إذ كان طول قدمه الأمامية خمس بوصات ونصف بوصة، فى حين أن طول قدم الذئب العادى أربع بوصات ونصف.

ولقد كان لهذا الطريد العجوز دهاء وقوة تتناسبان مع جرمه.

وراحت عصابة الذئاب تتفادى كل جهد يبذل فى سبيل اصطيادها بالسم أو بالفخاخ، وذلك بما لقائدهم من مكر شيطانى. وفى النهاية أرصد الملاك مبلغ ألف ريال مكافأة لمن يحتز رأس لوبو — مكافأة منقطعة النظير لمثل هذا العمل. غير أنه يتراءى أن لوبو وعصابته عاشوا حياة طيبة، فلقد فتكوا، فى مدى خمس سنوات، بما لا يقل عن ألفى رأس من الماشية. وكانوا جميعاً يتأنقون فى غذائهم، فما يمس واحد منهم شيئاً من الفريسة سوى الأجزاء الرخصة من العجول الصغيرة السن، وهم يقتلون واحداً منها كل ليلة تقريباً.

أما لوبو فما كان ليخشى إلا شيئاً واحداً : هو الأسلحة النارية . فكان يتحاشى أن يواجه إنساناً ، لأنه يعلم أن كل رجال الناحية مسلحون . ثم إنه لا يسمح لعصبته بالتجوال إلا ليلا . وبإزاء مثل هذا الخصم كانت فخاخى جد صغيرة ، فأخذت أحاول تصيده بالسم ريثما أستحضر ما هو أكبر منها.

وأردت أن ألقى لها طعماً ، فطهيت خليطاً من الجبن وشحم كلية عجل حديث الذبح ، ولكيلا أصبغ الطعام برائحة الإنسان ، لبست قفازاً غمس فى دم العجل الحار ، وتحرزت حتى من أن أتنفس على اللحم . ولما برد الطعام قسمته قطعاً بسكين من العظم ، وحشوت كل قطعة بكبسولة لا رائحة لها ، من الإستريكنين والسيانيد ، وختمتها بقطعة من الجبن . ووضعت هذا الطعم فى حقيبة من جلد غير مدبوغ مدهونة كلها بالدم ، ثم امتطيت حصاناً ، أجر ورائى الحقيبة معلقة فى حبل ، وانطلقت أدور مسافة عشرة أميال ، وألقى قطعة من اللحم على كل ربع ميل ، وأنا حريص على ألا ألمس اللحم باليد العارية .

وفى اليوم التالى ركبت ودرت الدورة نفسها ، وأنا أشتاق أن أرى نتيجة عملى . فتبين لى من آثار الذئاب على الثرى أنها استروحت رائحة عقاقيرى وسمى . ثم تتبعتها ووجدت حيث ألقيت القطعة الأولى من الطعم ، أن لوبو قد شم من حواليها ثم التقطها أخيراً. الآن خيل إلى أنى ظفرت به غير أنى لم أجد ذئباً ميتاً على الوادى المنبسط. ثم تقدمت إلى الثانية والثالثة فوجدتهما قد فقدتا أيضاً . وعند الرابعة تبينت كل ما كان فإن لوبو لم يطعم اللحم ، ولكنه حمله فى فمه ، ثم قذفه جميعاً عند الرابعة ، ثم سلح عليها وبال ، ليعبر عن احتقاره المطلق لكل ما دبرت من حيلة ومن خدعة .

لا ريب ، فهذا الملك كان أذكى من أن يصاد بالسم ، فرحت أهيىء مائة من فخاخ الذئاب الثقيلة ذوات الزنبرك المزدوج من الصلب . وأخذت أعمل أنا ورفيقاى أسبوعاً لنحكم وضعها عند كل طريق يوصل إلى ماء ، وعند مدخل كل واد فى هذه البقعة . وكان كل فخ موثقا إلى كتلة من الخشب ، مدهوناً بالدم الطرى . ودفنت عند كل شرك أربع مصايد كل واحدة منها على بعد قدم واحدة تقريباً من الأخرى . ووضعت كتل الخشب على جانبي الطريق ، ثم واريتها بالثرى والحشائش ، ورحت أسوى الأرض بجسم أرنب . ولقد أحكم إخفاء المصائد حتى أن أحدنا لا يستطيع أن يكشف عنها ، ولو كان فى ضوء النهار . ولكن لوبو لم يكن ممن يخدع .

ولما ذهبت أفتش عن مصايدى بعد أيام ، تراءى لى ما كان ، حين رأيت آثار الذئب على الثرى . ذلك أن لوبو حين اقترب من المصيدة الأولى ، أنذره أنفه القوى الشم أنه بإزاء أمر مريب ، فراح ينكت الأرض حوالها بحذر ، فبدت له المصيدة والسلسلة وكتلة الخشب ، فانطلق ليعيد هذا العمل نفسه فى اثنتى عشرة مصيدة أخرى .

وحين درست حركاته ألفيت أنه بعد أن يكشف عن المصيدة ، يتحول عن الطريق من الناحية التى يهب عليها الريح . فأوحى لى ذلك بفكرة جديدة ، فوضعت مصيدة واحدة على الطريق مباشرة ، وثلاثاً أخر على كل من جانبيها لتكون جميعاً على شكل حرف H والآن خيل إلى أنه حين يبلغ المصيدة الوسطى التى تكون الخط الأوسط من الحرف H ، سيقع حتما فى واحدة من المصايد الجانبية .

ولكنه كان فطناً غاية فى الفطنة ، فحين واجه المصيدة فى الطريق وقف فى مكانه ، إذ أنذرته حاسة شمه القوية قوة فوق التصور فبدلا من أن يتجه نحو أحد جانبى الطريق ، كما هى عادته ، ارتد القهقرى ، وهو يحرص أشد الحرص على أن يضع براثنه على آثارها الأولى التى تركتها على الثرى ، وظل يفعل ذلك حتى تجاوز منطقة الخطر . ولما خلص ، دار دورة واسعة حول الحرف H وانطلق ظافراً ليفترس عجلا آخر على مسافة أميال .

وانقضت أربعة أشهر وأنا أتقصّص أثر العجوز الذكى الشرير وعصابته ، فى غير فائدة ، وعجزت حيلتى . وكان له أن يتجول ويقطع الطريق كيف شاء حتى آخر لحظة من عمره ، لولا أنه وقع فى خطأ ... غلطة العمر ، تلك هى أنه اتخذ زوجة شابة رعناء قليلة الحذر .

وكان بعض المكسيكيين يوقد ناراً على يفاع من الأرض ، فكانوا ربما لمحوا على ضوئها هذه العصابة من الذئاب ، فأخبرونى أن الزوجة بيضاء ناصعة البياض ، ولهذا سموها « بلانكا » .

الآن ، فى النهاية ، اعتقدت أنى قد وضعت يدى على نقطة الضعف فى سلاح المحارب القديم ، فرسمت خطتى للمعركة الفاصلة . فذبحت عجلا ، ووضعت مصيدتين حول جثته بحيث يسهل أن تراها العين ، ثم حززت الرأس وألقيته على الأرض على مسافة قريبة ، كما لو كان ملقى فى غير عناية . وأوثقت به مصيدتين لا رائحة لها ، ودفنتهما ، ثم سويت الأرض بجلد ذئب ، ووضعت على الثرى آثاراً بمخالب ذئب أيضاً فوق المصيدتين .

وفى الصباح التالى ، لحسن حظى ، لم أجد للرأس أثراً ، والآثار تعلن على أن

لوبو قد قدم ، وقد غررت به رائحة لحم العجل الزكية ، ثم راح يدور حول جثة العجل على مسافة بعيدة . ولزم باقى العصابة ، إلا واحداً ، حذره القديم ، وظل ينتظر على مسافة من هـذه البقعة . أما هذا الواحد ، وهو ذئب صغير ، فقد اندفع فى طيشه ليختبر رأس العجـل ، فسقطت رجله فى إحدى مصايدى ، ثم انطلق يجر الرأس والمصيدة . وعلى مسافة ميـل أدركنا الذئب السيء الطالع ، فإذا هو « بلانكا » .

لقد كانت أجمـل ذئبة رأيتها ، وكان فروها أبيض ناصع البياض . وكان لوبو إلى جانبها ، لم ينأ عنها إلا حـين رأى رجالا يسرعون اليها وفى أيديهم البنادق ، فانسل إلى أعلى التل وراح يناديها لتتبعه . ولكن قرنى العجل الكبيرين كانا قد انغرزا فى الصخور وحبساها عن السير .

والتفتت تريد المبارزة ، فرفعت عقيرتها بعواء طويل جعل يتردد فى فضاء الوادى ، وارتفع صوت لوبو عميقاً من أقصى الوادى يجيب عواء زوجته . وكان هذا آخر نداء نادته ، فقـد أسرعنا إليها نطبق عليها ، وقتلناها ، ثم حملتها على مقـدم السرج ورجعت إلى الضيعة .

وانقضى هذا اليوم كله ونحن نسمع عواء لوبو ، ولم يعـد صوته هو الصوت القديم الحافل بالازدراء ، فقد تبينت فيـه لوعة الحزن . فلما أسدل الليل ستره ، أخـذ صوته يقترب شيئاً فشيئاً ، وكان فى استطاعتى أن أقول أنه لا يبعد عن المكان الذى غلبنا فيـه بلانكا على أمرها . وحين بلغ البقعة التى قتلت فيها زوجته ، خيل إلينا أنه عرف كل ما كان ، فأصبح صـوت عويله يبعث على الأسى ، حتى إن رعاة البقر الأغبياء قالوا إنهم : « لم يسمعوا أبداً ذئباً يفعل مثل هذا من قبل » . وفى جوف الليل ، راح لوبو يتقصص آثار خيلنا حتى كاد يصل إلى دار الضيعة . وعند الصباح وجـدنا كلب الحراسة قد مزق شر ممزق .

وذهبت أعمل جاهداً لكى أظفر به قبل أن يمسك عن البحث عن بلانكا ، فرحت أنا ومساعداى ننشر المصايد جماعات ، على كل طريق يقود إلى الوادى ، وكل جماعة أربع مصايد . وشددنا كل مصيدة إلى كتلة من الخشب مدفونة تحت الثرى ، ومن فوقه آثار من مخالب بلانكا .

وبعـد ظهر اليوم الثالث رأيت شبحاً أغبر كبيراً على الطريق فى شمال الوادى ، هناك رقد ملك « الكورمبو » عاجزاً ، لقد جاء إلى الآثار التى عملتها ببراثن بلانكا ، وقد نسى عادة الحرص فوقع فى الشرك .

ولما رآنى هذا البطل القديم ، بعد أن

جهـده كفاح يومين وليلتين ، شبّ إلىّ ليبدأ المعركة، وكانت عيناه تقدحان من الغيظ شرراً ، وجعـل يقعقع بفكيه محنقاً ، وهو يحاول أن يصل إلىّ وإلى حصانى المرتجف ، إلا أن المصايد شدت وثاقه ، ثم خرّ منهوكا من أثر الضعف والجوع والدم المنزوف .

الآن ، وقد ظهرت عليه ، غلبتنى الشفقة فقلت : « أنت أيها العجوز الطاغية الطريد، لشد ما يحزننى أن أفعل بك ذلك ، ولـكن يجب أن أفعل » . ثم ألقيت أنشـوطتى ، وحين أحاطت برقبته أمسك بها ، وقضمها قضمة واحدة فقطع الحبل السميك . وكانت معى بندقيتى غيرأننى لم أشأ أن أهتك ستره الملكى . لهذا عـدت إلى الدار تعـدو بى فرسى ، لأجىء بأنشوطة أخرى ، وأصحب بيللى آلن . ثم ألقينا له عصا ، وقبل أن يقذف بها ، كانت الأنشوطة حول رقبته ، وأصبح سهلا أن أربط العصا التى بين فكيه بالحبل .

وما كدنا نشد وثاقه حتى أقلع عن أن يقاوم وعن أن يعوى ، ولم يفعل شيئاً سوى أن حدق فى هدوء كأنما كان يقول لى : « لقد ظفرت بى أخيراً ، فاصنع بى ما يحلو لك » . ولم يعد يعيرنا التفاته ، فأوثقنا رباطه ، ونزعنا عنه المصايد . وبجهد ما استطعنا أن نحمله ، وهو ١٥٠ رطلا ، إلى حصانى .

ولما بلغنا منزل الضـيعة وضعت حول عنقه طوقاً وثيقاً ، شد إلى عمود بسلسلة ثقيلة ، ثم فككنا عنه كل قيوده ، ووضعت بإزائه لحماً وماء ، ولكنه لم يعبأ بشىء منه . وكان — حين ألمسه — لا يحرك حتى عضلة واحدة من عضلاته ، بل كان يشيح عنى ، ويتخطانى ببصره وهو يرمى الوادى بطرف شاخص إلى الارض المنبسطة أمامه ، إلى المملكة التى استمتع بها طويلا ، بالصيد وبالنصر ، وظـل رابضاً حتى مغرب الشمس .

لقد قيل إن الأسد إذا قلمت أظفار بأسه ، والنسر إذا استلبت حريته ، وذكر الحمام إذا فقد زوجه ، ماتت كلها كمداً . فمن ذا يخبرنى : كيف استطاع هذا اللص العنيد أن يحتمل فقد هذه الثلاثة جميعاً ؟ لم أتبين من ذلك شيئاً : إلا أننى ألفيتـه فى الصباح كما تركته ، سليم الجسم من الجروح ، ولـكن روحه قد فارقت ، ومات الملك الذئب .

وجاء أحد رعاة البقر يعيننى على أن أحمله إلى حيث استقرت بقايا بلانكا . وحين وضعنا لوبو إلى جوار زوجته وجه إليه الراعى نظره وقال : « ههنا أنت ... لقد كنت جهدت أن تكون إلى جوارها، والآن ها أنتما معاً » .





إسمعوا ! إسمعوا

إن تكن الأذن البشرية، على ماهى عليه، كايلة ثقيلة — ونحن المتحضرين أبناء هذا العصر لا نكاد نسمع بدقة كما يسمع المتوحشون — فهى مع ذلك خليقة، إذا دربت على دقة السمع، أن تضيف ثروة لا حد لها إلى عالم حواسنا. فينبغى للمرء أن يتعلم كيف يسمع، فإن جدوى المثابرة على ذلك تتمثل فى خبرة الأعمى الذى يكاد سمعه المرهف يعوض عليه فقد البصر. فى ذات مرة كان القاضى الأعمى «فيلدنج» من قضاة المحكمة العليا بالولايات المتحدة، يجتاز عتبة غرفته لأول مرة فقال: «طول هذه الغرفة ٢٢ قدما، وعرضها ١٨، وارتفاعها ١٢». وقد حدس هذا بأذنه حدساً بالغاً فى الدقة، وذلك بفضل قدرته على الانتباه إلى رجع الصدى الذى تمتاز به كل غرفة عن أخواتها، واتخذ ذلك أساساً للحكم على حجمها. ومثل هذا الحس المرهف يتمثل فى السير آرثر بيرسون الكفيف البصر، فقد صحب صديقاً له فى عودته إلى منزله، وقد أغمضا فى الحديث حتى شغلهما، ولكن السير آرثر وقف أمام المنزل المقصود فى حين أن صديقه كاد يتجاوزه من شدة استغراقه فى الحديث، فإن أذن السير آرثر كشفت رجع الصدى الخافت الذى يألفه، ذلك أن مدخل هذا المنزل كان ردهة مسقوفة، ولم يكن فى سائر المنازل المجاورة منزل يشبهه.

من كتاب السير وليم براج «عالم الصوت» وكتاب السير آرثر بيرسون «التغلب على العمى»

* * *

فى وسعى أن أتبين سائلا: أهو بارد أم ساخن، من الاختلاف البين فى الجلبة التى يحدثها عند صبه.

لودج كوهين فى كتابه «مطالعات باللمس للعميان»

* * *

كتب فريتز كريزلر عازف الكمان الشهير يقول: «لما كنت فى الحرب الكبرى بين الجنود المرابطين فى الخنادق النمساوية، تعودت أذنى تمييز مختلف الأصوات بعضها عن بعض. فلاحظت أن القنبلة وهى صاعدة تحدث صوتاً كالأنين المكتوم يصحبه وقع ينخفض شيئاً فشيئاً، فإذا وصلت القنبلة إلى ذروة مدارها، وبدأت فى الانحدار، تغير صوتها إلى ما يشبه صرخة تتزايد حدتها. وكان من البين أن القنابل التى تحدث الأنين المكتوم هى قنابل نمساوية، لأنه كان يسبقها

دائماً وميض منبعث من مدفعيتنا فى المؤخرة. فلما تقدمنا إلى الخطوط الروسية أصبح الفرق بين الأنين المكتوم والصرخة الحادة أقل وضوحاً ، إذ أن ذروة مدار القنابل النمساوية والقنابل الروسية كانت بطبيعة الحال فى تمام منتصف المسافة التى تفرق بين المدفعيتين . وحين أخبرت أحد ضباط المدفعية أنى أستطيع فعلا أن أحدد من صوت القنبلة المكان الذى تبلغ عنده ذروة ارتفاعها ، قرر إيفادى فى جولة استكشافية لأحدد على الخريطة المكان الذى أرجح وصول قنابل العدو فيه إلى ذروة مدارها . وقد أخبرت فيما بعد أنى نجحت فى إرشاد مدفعيتنا إلى مدى مرمى المدافع الروسية فى مخابئها .

« كتاب أربعة أسابيع فى الخنادق »

* * *

يقول مدير شركة تشايس لصنع النحاس : « إننا نوفر آلافاً من الدولارات بفضل السمع الدقيق المدرب » . فإن رئيس قسم الخرط مثلا يستطيع أن يعلم من صوت الآلة وهى تعمل فى ثقب لوح من النحاس ، هل حدّها ماض أو كليل ، بل إنه يستطيع أيضاً إذا جال بين صفوف الآلات والأدوات المختلفة وهى تعمل ، أن يضع يده على كل آلة أو أداة يجب استبدالها . وفى قسم آخر ، حيث تصنع قوالب رقيقة من النحاس ، لتستخدم فى التركيبات الكهربائية ، تستطيع العاملة ، وهى تفرغ هذه القوالب على المنضدة لفحصها ، أن تعلم من جلجلتها أينها قوالب معيبة أو قوالب خالطها شىء من برادة الحديد ، بل إنها لتستطيع أن تعرف : أهناك أى اختلاف فى مقدار سقى الحديد فى هذه القوالب .

مجلة « ليترى دايجست »

* * *

يستطيع من حرم البصر أن يتبين فى الصوت وحده أدق الفروق بين شعور وشعور . فهناك صوت متعب ، وصوت مرح ، وصوت يائس ، بل هناك صوت لكل طيف من أطياف الألم واللذة . إنى أستطيع معرفة عمر الشخص من صوته بالسرعة التى تعرفه أنت بها بعينيك .

كلارنس هوكس من كتاب
« فى الطريق المظلم »

* * *

فى مقدور ذوى الدربة من عمال السكك الحديدية أن يعلموا ، من الاستماع إلى ضجة القطار وهو يجرى على القضبان — وإن كان لا يزال بعيداً — أهو قطار ركاب أو قطار بضاعة ؟ فإذا كان الأخير استطاعوا أن يعرفوا أيضاً أمشحونة عرباته أم فارغة ؟

قصة الجهاد الأول الذى جاهدته النساء لتنظيم العون والغوث فى ميادين القتال



ينابيع الرحمة زمن الحرب

مارجورى بارستاو جريني



لما بلغت السيدة « حنة والترز » ، من مدينة سوثبورت بإنجلترا ، سن المائة فى السنة الماضية ، سألها الصحفيون رأيها فى المرأة الحديثة المجندة . فقد كانت السيدة والترز آخر من بقى على قيد الحياة من فرقة المجندات فى الحرب الأمريكية الأهلية .

وكانوا فى تلك الأيام ، منذ ٨٠ سنة ، يسمونهن « لجنة السيدات الصحية » ، على أنهن كن فى الواقع فرقة من المجندات الملحقة بالجيش ، يؤدين للجيش كثيراً مما يؤديه الجيش اليوم .

ولم يعرف للجنة الصحية مثيل من قبل فى تاريخ الحروب . كانت معظم أسباب الوفاة فى الحرب ، إلى منتصف القرن التاسع عشر ، ترجع إلى أمراض ناشئة عن سوء التغذية ، وتلوث المياه ، وفساد طرق المعيشة . فكانوا يضربون الخيام غير ناظرين إلى وجود المجارى الصحية ، أو المياه الصالحة للشرب ، وكانت المراحيض غير معروفة .

أما المرضى من الجنود فكان عليهم أن يعنى بعضهم ببعض ، وأما الجرحى فقد ينقلون إلى المستشفيات إذا أمكن ذلك ، وإلا تركوا حيث يكونون ، فإذا تحرك الجيش ترك وراءه من لا قدرة له على مسايرته .

إن مثل هذا الاستخفاف بصحة الجند وروحهم المعنوية كان بالغ الضرر فى جيش نظامى صغير ، ولكنه صار ضرراً لا يحتمل حين استجاب المتطوعون فى جيش الشمال إلى نداء لنكولن فى طلب ٧٥٫٠٠٠ رجل فأخذوا يتدفقون ، فى ١٥ أبريل ١٨٦١ ، على مراكز التعبئة التى لم تكن معدة لهذا السيل من الرجال على الإطلاق . فلما حلت بهم حرارة الربيع الشديدة ، نزلت معها سيول المطر المنهمر ، فاكتسحت المجارى من معسكر الجيش ، وقذفت بها إلى نهر بوتوماك . وشرب الرجال من هذا الماء . فلما تفشى المرض تفشياً مريعاً ، كدس بعضهم

فورق بعض فى الكنائس التى لم تكن بها مرافق أو مياه جارية ، وفى أكواخ على شاطئ النهر، أخليت على عجل من المهاجرين فمات منهم ثمة عدد كبير .

ولم تلبث رسائل الجنود أن وصلت إلى أهلهم ، فهذا رجل قضى ثلاث ليال ممطرة فى إسطبل ، إذ لم يكن ثمت مكان آخر يبيت فيه . وهذا رجل ثان يطلب شيئاً من ماء الكولونيا ليعينه على احتمال روائح المجارى المكشوفة ، والفضلات ، وقمامات المعسكر المكدسة . ولا يكاد يمضى يوم لا تأتى فيه أخبار بموت شاب من القرية أو الجيرة .

وأخذ النساء ، فى جميع أنحاء البلاد ، يجتمعن فى الكنائس والمدارس والبيوت ، ويتلو بعضهن على بعض الرسائل التى تلقينها من المعسكرات .

وفى أواخر الربيع وزعت نشرات وقعتها اثنتان وتسعون سيدة من فضليات السيدات بمدينة نيويورك ، تدعو إلى اجتماع عام فى كوبر يونيون . فاجتمع فيه ما يزيد على ٤٠٠٠ سيدة ، مصممات على إصلاح تلك الحال . وقد نسقن أنفسهن فى جمعية صادقة العزم ، سمينها «جمعية السيدات المركزية للإسعاف » ، وضممن إلى جمعيتهن ما يماثلها من جمعيات النساء التى انتشرت فى جميع أنحاء البلاد .

وقد أوحت أعمال البطولة التى قامت بها « فلورنس نيتنجيل » فى تمريض جرحى حرب القرم ، منذ ست سنوات مضت ، إلى الآنسة دوروثيا ويكس ، وهى امرأة من نيو إنجلند ، زرقاء العينين ، مهيبة الطلعة ، فذهبت إلى وشنطن حيث ظفرت من مكتب الرئيس لنكولن بأمر لإعداد مائة ممرضة للجيش ، وبعثت بهذا الأمر إلى جمعية السيدات المركزية مع التعليمات الآتية :

« أن لاتكون الممرضات أقل من الثلاثين ، وأن يكنّ لا دميمات ولا جميلات ، وأن تكون ملابسهن من اللون الأسود أو الأدكن ، وأن لا يتخذن زينة لملابسهن أو شعورهن، وأن لايلبسن شيئاً من الحلى» .

وشرعت مندوبات من جمعية السيدات المركزية فى زيارة وزارة الحربية يوماً بعد يوم ، يحملن بيانات مستفيضة عن مآسى المعسكرات وأخيراً ضاق رجال الوزارة بهن ذرعاً وقالوا : « أطلقوا النساء على هذه الفوضى المتداخلة ، وانظروا هل فى طاقتهن أن يلممن شعثها » .



وفى التاسع من شهر يونيو، وافق وزير الحربية على تعيين لجنة صحية للولايات المتحدة للإشراف على صحة الجيش وسلامته .

وكان من أول جهودها المؤقتة

أن أنشأت « مستشفيات الميدان الخشبية » المعروفة ، فأقيمت من تسع وحدات ، فى كل واحدة منها خمسون سريراً ، نظمت فيها التهوية من ناحيتين متقابلتين . ولما كان عماد هـذه المستشفيات هو الألواح الخشبية الخفيفة ، كان من المستطاع إعدادها فى الحال ونقلها بالسفن إلى أية جهة .

وقد تولى النسـاء الإشراف على هذه المستشفيات ، وأعدنَ إلى الفراش أولئك الناقهين من الجنود الذين كانوا يقومون إلى ذلك الوقت بأعمـال التمريض . وقد استقبل الجند الممرضات فى دهشة، واستولى الخجل فى أول الأمر عليهم كما استولى عليهن. وقصت الآنسـة لويزا ماى ألـكوت ما قالت لها رئيستها حين جاءوا ببعض الجرحى: «تعالى ياعزيزتى ! اخلعى عنهم جواربهم وستراتهم وقمصانهم ، وأحسنى تنظيف أجسـامهم جيداً ، وألبسهم قمصاناً نظيفة ، وسيتولى الخدم إتمام نظافتهم ونقلهم إلى الفراش » .

فشهقت الآنســة ألـكوت قائـلة : « أتطلبين إلىّ أن أعنى على الفور بنظافة عشرات من الرجال « أسياد المخلوقات» ؟ ! حقاً إن هذا شيء لايتصوره العقل ! » . على أنهـا نبذت ، رغم ذلك ، ما يخالج نفسها من التحرج ، وأقبلت على عملها .

قالت الآنسـة ألـكوت : كان بعض الجرحى يستسلم إلىّ كما يستسلم الطفل النائم فيسندون رءوسهم المجهدة إلى صـدرى ، ويتجلى على وجوه بعضهم الاستنكار الشديد لهذا العار ، واحمرت وجوه كثيرين من أشـداء الرجال خجلا واستحياء ، كأنهم عذارى خفرات » .

وسـتذكر السيدة حنة والترز إلى يوم مماتها — وهى آخر من بقى على قيد الحياة من هؤلاء البطلات الجريئات — يوم ٥ يوليو سـنة ١٨٦٣ . فقد كانت راكعة تصلى فى كنيسة صغيرة فى إحدى ضواحى بلطيمور ، فإذا ضجة بين المصلين ، وإذا القس يصيح : « على الممرضات ورئيساتهن ، وعلى جميع النساء اللواتى يستطعن القيام بالخدمة فى هذا الوقت العصيب ، أن يقدمن أنفسهن إلى مقر اللجنة الصحية للخدمة فى جيتسبرج » .

وتقدمت السيدة حنة ، التى كانت تعمل فى مركز اللجنة اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، كما هى بملابس يوم الأحد . وعلمت أن فى ميدان القتال بجيتسبرج ، حيث ظلت المدافع تدمدم ثلاثة أيام ، ١٨٫٠٠٠ رجل بين جريح ومجهد منهوك ، ملقون فى الشمس المحرقة لا يعنى بهم أحد .

وكان الخط الحديدى قد نسف ، ولم يتمكن القطار من الوصول إلى جيتسبرج إلا بعد ظهر يوم الثلاثاء ، فحاصره الجرحى

والمنهوكون من الجنود ، وهم يجرون أنفسهم جزاً ، صامتين مجهدين ، بلغ منهم الإعياء والجوع والظمأ كل مبلغ . وشرع النساء من فورهن فى توزيع مرق لحم البقر ، واللبن الممزوج بالكحول ، وعصير البرتقال البارد ، وأخذوا فى تضميد الجراح ، ووضع الجبائر على العظام المكسورة .

وأقام النساء فيما بعد ، على أثر وصول أمداد من وحدات أخرى من فيلا دليفيا ونيويورك ، مدينة من الخيام البيضاء ، فيها أفران ، وأجهزة بخارية ، ومياه مجتلبة من الآبار والعيون القريبة. وأخذن على عاتقهن توزيع أطنان من الثلج ، والليمون ، واللبن ، واللحم ، والخضر ، والملاءات ، والفوط ، والملابس ، والأدوية ، التى كانت تصل من المدن المجاورة .

ومضى النساء فى عملهن طوال أيام شهر يوليو الحارة ، يجسن خلال مسافات شاسعة من ميدان القتال ، يحملن الجرحى المتروكين فى الغيطان والغابات والحفر ، فإذا فرغن من عملهن قوضن خيامهن ، وتركن الميدان مكرمات يصحبهن حرس حربى .

لم تكن جيتسبرج نقطة تحول فى الحرب فحسب ، بل كانت أيضاً النصر الحاسم الذى أحرزه النساء الأمريكيات فى حربهن المقدسة للإسعاف المنظم، الذى يجب أن يتبع الجيش، فنبت من هذا الغرس نظام من أجل النظم الإنسانية فى العصور الحديثة . وراقبت أوروبا عملهن ، وأذاعت أنباءه لجنة دولية اتخذت مقرها فى جنيف بسويسرا . وفى السنين الأخيرة من الحرب ، تدفقت التبرعات من إنجلترا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وشيلى ، والأرجنتين . وكثر التساؤل عن الوسائل التى تتخذ لإنشاء ما يماثل هذه الفرق فى الجيوش الأوروبية ، وأدى هذا الاهتمام بعد سنين قليلة إلى تأسيس جمعية الصليب الأحمر الدولية .

وترى اليوم على قطعة الرخام الأبيض المثبتة على دار الصليب الأحمر فى وشنطن هذه الكلمات :

« أنشئت إحياء لذكرى نساء الحرب الأهلية » .

وكتب أحد المؤرخين الذين تتبعوا تاريخ اللجنة ، أن عملهن « يسطع سناه زاهياً ناضراً على الزمن فى ظلمات تاريخ النضال القومى ، جعله الله مناراً يعصم من الخطر ، ويهدى إلى النجاة ، ويشد عزائم من قد يدهمهم بلاء الحرب فى العصور المقبلة ، وفى البلاد الأخرى » .



المقال الذى فاز بجائزة بولتزر لأفضل « ريبورتاج » صحفى

جراحة فى غواصة



جورج ولر

ملخصة عن صحيفة « شيكاجو ديلى نيوز »

«إنهم ينشقونه الأثير (المخدر) الآن!» بهذا تهامسوا فى حجرات الطربيد فى مؤخر الغواصة . « لقد غاب عن رشده ، وهم يتهيأون لفتح بطنه » .

وتقدم رجل إلى القائم على تحريك ضوابط الغوص وقال: احرص «يا جيك» على أن تبقى الغواصة مستقرة لا تضطرب ، فإنهم قطعوا أول قطع وهاهم يتحسسون باحثين عنها الآن

أما « هم » فنفر من الرجال قد أدخلوا أذرعهم فى أكمام بيجاماتهم التى ارتدوها مقلوبة فجعلوا صدرها ظهرها ، وقد تلثموا بالشاش المعقم ، فحجب كل تعبير فى ملامحهم ، غير الصرامة التى كانت تنبعث من أعينهم . أما « ما يتحسسون » فزائدة دودية حادة الالتهاب فى جوف « دين ركتور » البحار ، فقد كانت وخزات الألم بلغت مبلغاً لا يكاد يحتمل فى اليوم السابق ، وهو يوم عيد ميلاده التاسع عشر .

وكان مقياس العمق ، وكأنه من ضخامته ساعة مصنع ، يبين لهم أين هم . كانوا تحت سطح الماء ومن فوقهم مياه الأعداء، تهدر فيها جيئة وذهاباً ، مراوح محركات المدمرات اليابانية .

أما أقرب جرّاح بحرى إليهم ، فعلى ألوف من الأميال . ولم تكن ثمة وسيلة تحول دون انفجار الزائدة ، ولم يبق لرجال الغواصة بد من أن يجروا له عملية جراحية بأيديهم ، وهذا هو ما فعلوه .

كان الجراح الأول ، مساعد صيدلانى ، فى الثالثة والعشرين واسمه هويلر ليبز ، وقد خدم ثلاث سنوات فى مستشفى فيلادلفيا البحرى، وكان اختصاصه القيام على آلة تسجل ضربات القلب ، فشهد أطباء الأسطول مرة أو مرتين وهم يستأصلون الزائدة .

وبدت هناك صعوبة فى تنشيق الأثير . فتحت سطح الماء يكون الضغط الجوى

أعظم منه فوق السطح ، فمقدار ما يستنشق من الأثير يكون أكبر . وكانوا لا يدرون الأمد الذى تستغرقه العملية ، وهل يكفى ما عندهم من الأثير لحفظ المريض متخدراً فاقد الوعى ؟

واتفقوا على إجراء العملية فى حجرة الضباط ، وهى ضيقة لا تزيد فى أوسع الغواصات الأمريكية على قمرة من قمرات السفن التجارية ، وعلى جوانبها مقاعد مثبتة فى الجدران ، والمائدة تشغل الحجرة كلها ، فأنت تدخلها ، ثانياً ركبتيك إلى أن تجلس ، على أن المائدة كانت من الطول بحيث لا تتدلى منها قدما المريض .

ربما كانت هذه العمليــة أكثر العمليات التى أجريت حتى الآن ، ديمقراطية . فقد اشترك فيها كل من فى السفينة ، من القائم على قذف الطربيد إلى الطاهى ، وكل منهم يعزف مهمته . فهيأ الطاهى كمامة نشق الأثير وقد اتخذها من مصفاة مقلوبة للشاى ، كسيت بالشاش المعقم ، وكان مساعدو الجراح رجالا أكبر منه سناً وأعلى رتبة ، والذى تولى إعطاء المخدر كان اللازم فرانز هوسكنز ضابط المراسلات .

وقبل أن يحملوا ركتور إلى حجرة العملية ، طلب قائد الغواصة من ليبز أن يتحدث إلى المريض فى أمره . فقال له ليبز :

« اسمع يا دين . إننى لم أجر شيئاً كهذا من قبل ، وليس لك سوى أمل ضعيف فى النجاة ، فما قولك ؟ »

فأجاب : « إننى أعرف حقيقة الأمر يا دكتور . فلنمض » . وكانت هذه أول مرة فى حياة ليبز دعاه فيها إنسان ما « دكتوراً » .

فأحكم القائمون بالأمر وضع أقنعة الشاش على وجوههم ، وشد لهم آخرون ربط « بيجاماتهم » ، وكانت الأدوات المنثورة أمامهم بعيدة عن الكمال والتمام فلا تفى بما تحتاج إليه إحدى العمليات الكبيرة . فالمشرط مثلا كان بغير مقبض ، ولكن رجال الغواصات متعودون « تجهيز » ما يحتاجون إليه مما يتاح لهم ، ففى صندوق الأدوية مشابك تصلح لإغلاق أفواه العروق ، فصنع المهندس الميكانيكى مقبضاً للمشرط من أحد هذه المشابك .

وسحقوا أقراصاً من السلفانيلاميد لاستعمالها مطهراً ، ولكن لم يكن لديهم أدوات لإبقاء الجرح مفتوحاً بعد شقه . ولم يجدوا فى صندوق الأدوية ما يقوم مقامها . فاتخذوا ملاعق مصنوعة من معدن لين لا يصدأ ولا يتأكل ، وثنوها حتى أصبحت قائمة الزوايا واستعملوها لهذا الغرض .

وأما مواد التعقيم فقـــد عمدوا إلى طربيدات نحاســية اللون مدهونة بالشحم ملقاة إلى جانب أنابيب الطربيد ، واحتلبوا الـكحول من خلال جهازها الميكانيكى ، واستعانوا به كما استعانوا بالمـاء المغلى .

وأزفت ساعة العملية ، فاستلقى ركتور على المـائدة ، شاحب الوجه ، وأدخلت يدا الطبيب الشاب فى قفازين من المطاط مغموسين فى عصارة الطربيد ، وكانت أصابع القفازين طويلة ، فتدلت الأطراف مسترخية ، فسخر أحدهم منه قائلا : « ما أشبهك بميكى ماوس يادكتور ! » فشد ليبز على أسنانه من وراء القناع ونظر فى عينى مساعده ، وأومأ إليه فوضع هوسكنز قناع التخـــدير على وجه ركتور .

واتبع الجراح الطريقة القديمة فى القياس باليـد ، فوضع بنصره على سرة ركتور وإبهامه على راس عظمة الورك ، وأنزل سبابته مسدده إلى مسقطها ، فوقع على المكان الذى ينبغى ان يقطع فيه .

ووقف إلى جانبه مساعده الملازم نوڤيل وارد ، وكانت مهمته أن يضع الملاعق فى جنب ركتور كلما مضى ليبز فى قطع طبقات متراكبة من العضل . وقام المهندس اللازم مانتج بمهمة من تعرف فى حجرة العمليات بوصف « الممرضـة الحوالة » ، فأشرف على انتظام وصول حزم الضمادات المطهرة ، وكحول الطربيد ، والمـاء المغلى . وتولى الربان فيرال وظيفة العداد ، فكانت مهمته أن يحصى الاسفنجات والملاعق التى تدخل جوف ركتور .

واستغرق ليبز عشرين دقيقة حتى وقع على الزائدة ، فهمس بعد الدقائق الأولى : « لقد تحسست جانباً من المعى الأعور ، وها أنا أتحسس الجانب الآخر » . وسرى الهمس بالتقارير الطبية إلى حجرة الآلات ومساكن الملاحين : «لقد تحسس الدكتور جانباً من شىء ما . . . ، وهو يتحسس الجانب الآخر . »

وبعد قليل من البحث تمتم ليبز : « أظن أنى قد عثرت عليها . أنها معقوصة فى المعى الأعور » .

والآن كانت حياة زميله فى يديه .

« إسفنجتان أخريان » .

فسجل الربان فى مفكرته : «اسفنجتان أخريان فى الساعة ٤٥ : ١٤ » .

وطلب ليبز مصابيح كشافة أخرى ومصباحاً آخر من مصابيح القتال .

وبدأ وجه المريض يتقطب متجهماً ، فأمر الدكتور : زيدوه من المخدر .

وبدا الريب فى وجه هوسكنز : فإن مقدار الأثير أخذ يتضاءل ، ولكن الشاش

شبع مرة أخرى، وتصاعدت الأبخرة فأثقلت رءوس الرجال .

وأزفت اللحظة التى أشار فيها الطبيب إلى الإبرة ، وفى سَمها وترمعى معالج بالكروم . وأخرجت الإسفنجات والملاعق واحدة بعد واحدة . ولكن الربان وكز ليبز مشيراً إلى جدول الإحصاء ، فإن ملعقة واحدة لا تزال مفقودة . فأولج يده فى الجرح لآخر مرة ، وأخرج الملعقة وأغلق الجرح وخاطه، وقطع الخيط بمقص أظافر . وفى هذه اللحظة جف آخر ما فى وعاء المخدر .

وحمل ركتور إلى سريره ، وبعد نصف ساعة فتح عينيه وقال : « إنى لا أزال على قيد الحياة ، أتعلمل » .

وقد استغرق الجراح الهاوى ساعتين ونصف ساعة فى إجراء عملية تستغرق فى العادة خمساً وأربعين دقيقة . وقال ليبز معتذراً : « إنها ليست من عمليات الزائدة الهينة » .

وبعد ثلاثة عشر يوماً عاد ركتور إلى القيام على أجهزة الصوت ، فى حين قامت زجاجة على رف من رفوف الغواصة ، وقد استقرت فيها زائدة دودية استؤصلت فى لجج مياه الأعداء .



امتحن ذكاءك

أخذ فلاح سلة بيض إلى المدينة ليبيع البيض . فقال له الزبون الأول : أشترى نصف ما فى سلتك من بيض ونصف بيضة زيادة . وقال الثانى : أشترى نصف ما بقى فى سلتك من بيض ونصف بيضة زيادة . وقال الثالث : أشترى نصف بقية البيض ونصف بيضة زيادة . فأتم الفلاح الصفقات الثلاث بغير أن يكسر بيضة ما . فما عدد البيض الذى كان فى السلة أولا؟ [الجواب فى صفحة ٧٢]



● النكات القديمة هى أبرع النكات . خذ مثلا قصة الرجل الذى حكم عليه بالإعدام شنقاً ، فسئل قبل إعدامه ، هل عنده أمنية يعرب عنها فقال : نعم ياسيدى ، عسى أن يكون فى هذا عبرة لى !

أمريكي وياباني يتصارعان

جون ى. تينان

سأذكر دائماً تلك المصارعة التى دارت بين الكابتن وارين كلير من ضباط الجيش الأمريكى وبين بطل الجيش اليابانى فى الـ «جوجى تسو» (المصارعة اليابانية) — فى مباراة شرطهم ألا تنتهى إلا بالضربة القاضية.



وبداية الأمر أن وزير الحربية الجنرال أوجاكى سأل كلير أن يوضح لهم فى الأكاديمية الحربية بطوكيو كيف تكون تلك الرياضة الأمريكية الغربية — يعنى الملاكمة . فوافق الملحق الحربى الشاب ، على أن يسمح له لقاء ذلك بأن يطلع على وسائل الجيش اليابانى فى تعليم الـ « جوجى تسو » . فقال له الجنرال : وهو كذلك ، سأهيئ لك مباراة بينك وبين خبير فى الـ « جوجى تسو » .

ثابرت فى الأسبوعين التاليين على تدريب كلير بضع دقائق كل يوم ، ومن حسن الحظ أنه كان قد مارس الملاكمة بعض الممارسة كهاو ، وظل محافظاً على هيئته وقوامه . ولم أكن أعتقد أن هذه المباراة ستخرج عن أن تكون مباراة ودية يعتمد فيها الخصمان ، فى الهجوم والدفاع ، على قبضة اليد .

وفى اليوم المتفق عليه ذهبنا إلى ملعب الأكاديمية الكبير حيث قدمنا الجنرال أوجاكى إلى الأمير ولىّ العهد ، الأمبراطور الحالى ، وقد أثار مجيئه لمشاهدة المباراة دهشة كبيرة . ومن خلف هؤلاء العظماء ، تكدس نحو من ٤٠٠ ضابط فى ملابسهم الرياضية القصيرة . وقد أدهشتنى قاماتهم المديدة — فإن أكثر من نصفهم يزيد طوله عن ست أقدام ، وهم أقوياء مفتولو العضلات قد لوحتهم الشمس — هؤلاء جميعاً هم الذين سيصبحون عند عودتهم إلى فرقهم مدربى الألعاب الرياضية المختلفة . ثم ما لبث أن لحق بهم بعد قليل نحو من ٤٠ ضابطاً عائدين لساعتهم من المناورات . أما هؤلاء فرجال قتال ، على وجوههم أمارات الشر ، عراة إلا من السراويل القصيرة ، وأحزمة الرصاص ، والخوذات الفولاذية .

ونادى الجنرال أوجاكي ضابطاً يبدو أنه من أصلب هؤلاء الضباط عوداً، وقدمه إلى الكابتن كلير: «هذا هو الكابتن كيتا مورا بطل الجيش الياباني في الـ «جوجي تسو»، هذا هو غريمك!»

مد كلير له يده، ولكن الياباني لم يتناولها، واكتفى بأن انحنى له كأنه يركع.

وكنا ننتظر أن تجرى المباراة في حلقة مساحتها ٢٤ قدماً، وأرضها مغطاة بقماش القلوع، وأعمدتها مكسوة باللبد. ولكن كيتامورا اعترض على ذلك، فإن ما أراده بطل الـ «جوجي تسو» كان شيئاً على الضد منها تماماً: رقعة أكثر اتساعاً ليتمكن فيها من مطاردة خصمه، وأرضاً صلبة ليصرعه عليها. وبالرغم من احتجاجات كلير، قرر الجنرال في رقة وأدب أن يكون لمواطنه ما أراد.

وكان لكلير أن يختار أحد نوعين من القفازات: إما القفاز الكبير ووزنه ١٢ أوقية، وإما القفاز الصغير الذي يستعمل في ملاكمات المحترفين ووزنه ٦ أوقيات.

ولما رأيت كلير يختار القفاز الكبير لم أكد أفهم غرضه، ولكن سرعان ما أدركته حين أبى عليه كيتامورا بإصرار أن يختار هذا القفاز الكبير. وقد قال لي كلير فيما بعد: «لقد كنت واثقاً من أنه سيعترض على أي القفازين اخترته، فتعمدت اختيار الكبير أولا».

وكان كلير قد قدم من قبل للجنرال أوجاكي مذكرة بين فيها بجلاء شروط المباراة، وذلك أن تجرى في جولات، كل جولة تدوم ثلاث دقائق، ولا يعلن فيها فوز أحد اللاعبين. فلم يعترض اليابانيون أي اعتراض، ولكن ها هو الجنرال أوجاكي يتدخل مرة ثانية ويقول: «إن غرضي من ترتيب هذه المباراة هو مواجهة الـ «جوجي تسو» بالملاكمة لنرى أيهما أفضل في القتال، ولهذا أفضل أن تجرى هذه المباراة كما لو جرت في ميدان معركة حربية. فإذا أبحنا للكابتن كيتامورا أن ينتفع بلا قيد بأقصى ما تقدر عليه الـ «جوجي تسو»، فإن هذا الامتياز نفسه يمنح للكابتن كلير فيما يتعلق بالملاكمة. إن ما أريده هو أن تكون هذه المباراة قتالا حقيقياً لا مجرد استعراض، ولا تنتهي إلا إذا عجز أحد الرجلين عن القتال، أو أراد أن ينسحب، وإلا فقدت هذه المباراة مغزاها، ولم يستفد منها هؤلاء المتفرجون شيئاً مما كنت أريد لهم أن يدركوا ويستفيدوا.

وهكذا اتفق على أن تدور المباراة إلى أن تنتهي بضربة قاضية، في جولات تدوم كل منها خمس دقائق. وإذا سقط أحد

الرجلين ، وتم العدّ فوقه إلى عشرة ، كان مغلوباً .

وتقدم ضابطان قويان فى مقتبل العمر ليتولى أحدهما مهمة دق الناقوس ، والثانى يتولى ضبط الوقت ، على أننى أسرعت فأخرجت ساعتى أنا أيضاً ، وجعلت أخصها بكل انتباهى .

أشار الجنرال إلى دائرتين مرسومتين بالطباشير، تبعد إحداها عن الأخرى عشرين قدماً ، وقال :

« سيقف كل منكما فى دائرته إلى أن يقرع « الجونج » — صينية من البرونز تدق بمطرقة — وعندئذ تهجمان » .

أما كيتامورا فمثل رائع للقوة البدنية ، يبلغ طوله ست أقـدام وبوصة ، ووزنه ٢٠٠ رطل ، ذو كتفين عريضتين قويتين ويد صلبة كالحديد ، خشنها التدرب على كسر ألواح الخشب بحافة الـكف . وكان يرتدى لباس المصارع اليابانى ، وهو جاكتة من قماش القـلوع بنصف كم ، وسروال قصير قد شمر عن الساقين .

أما كلير فطوله ٦ أقدام ، ووزنه ١٨٥ رطـلا ، وهو مثـال رائع للفتى الأمريكى المقاتل ، عضلاته قوية لينـة ، وبطنه ضامر مشدود كأنه لوح من الخشب ، وكان يرتدى لباس البحر .

نفد انفرد اليابانى بميزة نفسية عظيمة، فهو محاط بما يزيد على ٤٠٠ رجل من رفقائه ، وكلهم تتأجج رغبتهم فى انتصاره . أما كلير فلم يكن له مشجع أو نصـير سواى ، أنا وحـدى . . . ولـكن كان لـكلير مزيته أيضاً : شىء كثير من الثبات ورباطة الجأش وما كان أحوجه إليهما ! بل ما أحوجه إلى أعصاب من حديد يتحكم فيها كما يشاء ، فإنه مقـدم على موقف رهيب . فليست الـ « جوجى تسو » لعبة رياضية ، بل هى ملحمة تعرض المرء للبتر والتشويه ، إذ ليس الذى يرمى إليه أحد الخصمين ، أن يصرع خصمه ، بل إنه يسعى إلى أن يكسر له ذراعاً أو ساقاً ، أو يهشمه ويشوهه إلى آخر العمر .

ودقت دقة « الجونج » .

هذه « معركة » أمام أعيننا — معركة بسيطة أولية . رجلان من أبناء القبائل ، أحدهما أصفر والآخر أبيض ، يمشيان إلى النزال ، ليقرروا أيهما أعرق فى الوحشية . وبدأ الرجلان يتقدمان ويدوران إلى اليمين ، واليابانى على الطرف الخارجى . وكنت أعلم أن كلير يحـذر أن تصـيبه رفسة فى حُقّ لورك (ملتقى البطن بالورك) ، فلم تلبث أن جاءته كالبرق الخاطف ، ورفسه خصمه فى وركه الأيسر ، ولـكنها رفسة انحدرت

قليلا ، فخلفت كدمة حمراء كبيرة . ثم أخذ الياباني يدور إلى اليسار ، فحذا كلير حذوه . وأخذ الفتى الأمريكي يقذف بين حين وآخر بضربات مستقيمة ليمنع خصمه من الدنو منه كثيراً . وتجلت في كيتامورا ثقته بنفسه تمام الثقة ، بل لعله كان ينظر إلى خصمه بازدراء . كانت أحشائي تضطرب من الخوف ، وأنا أراقبه يدب ليختل فريسته ويطاردها — هذا هو الصراع بعينه بين هجوم وصد ، وضرب ورد ، وفي كل لحظة حيلة خبيثة وخدعة ماكرة . ثم إذا بكلير يضرب خصمه ضربة مستقيمة على حنجرته لم تكن على مرام الياباني ، فقد اغرورقت عيناه لها بالدموع . . فمنذ تلك اللحظة جرد عزمه على أن يشرب من دم خصمه . وكنت تستطيع أن ترى هذه النية رأى العين ، فقد بدأ يوجه الضربات بكلتا يديه ، وإذا بحافة يده اليسرى ، وهي صلبة كالحديد تصيب كلير فوق عينه ، ثم تنحدر على وجهه وتكشط الجلد عن عرنين أنفه ، ووقعت يده اليمنى بضربة محطمة على عضلات الذراع الأيسر للفتى الأمريكي ، وكلتا الضربتين شديدة موجعة .

وفي الوقت ذاته أطلق كلير يده اليمنى بضربة قاطعة عالية ، كشطت الجلد عن ذقن الياباني المدمج القوي ، وكادت تقتلع أنفه .

ثم دق الجونج . . يالها من خمس دقائق مرت علينا ! تراجع كيتامورا إلى دائرته وجلس القرفصاء ، والدم يسيل من أنفه ، ولم يحول نظره لحظة واحدة عن كلير .

أما كلير فقد استطالت على جبهته كدمة زرقاء ، وعريت أنفه عن جلدها ، فكان كأنما انهال رجل على وجهه ضرباً بالسوط الغليظ الذي تضرب به الثيران .

قلت له مشجعا : « الحمد لله ! لم يضرب إلى الآن ضربة خطرة ! » فأجابني كلير : « إذن من هذا الذي كان يمطرني بحجارة من الصخر ! » .

ودق الجونج . .

فز كيتامورا واقفاً وقد تبدلت سحنته الأولى التي كانت تنم على استخفاف الواثق بنفسه إلى نظرة تتوهج بالحقد والعزيمة . وبدأ يدور كرة أخرى إلى اليمين ، وقد زادت سرعته هذه المرة . وأخذ كلير يدور معه ، وهو لا ينفك يباعد خصمه عنه بضربات سريعة ، ويراقبه طول الوقت مراقبة الصقر . .

ولم تكن أعصاب النظارة أقل توتراً واهتزازاً من أعصاب المتقاتلين . إنني لم أر قط من قبل وجوهاً أكثر إبانة وإفصاحاً عن شدة الاهتمام المتسلط على النفوس . كان المكان مسرحاً تمثل عليه

مأساة شعبين تصادما تصادماً صادقاً ، هى صورة مصغرة للفاجعة الكبرى التى كان مقدراً لها أن تمثل فى أتون الحرب . لم يكن كيتامورا يدافع عن كرامته وحده ، بل عن كرامة الجيش الإمبراطورى اليابانى أيضاً ، إنه كان يقاتل لرفعة شرف اليابان .

وفجأة رفع اليابانى يده اليمنى عالياً ، حين كان كلير يمد يده اليسرى ليحمى رأسه من الضربة المتوقعة ، ثم هوى على أضلع خصمه اليمنى بضربة وحشية محطمة حتى لقد أفرغت الشهقة المنفجرة ، كل ما فى رئة الأمريكى من هواء . وكان يبدو أن اللحظة التالية ستكون هى النهاية الحاسمة .

ولكن أمرين أنقذا كلير ، الأول : صحته ومقاومته الرائعة ، والثانى . أن اليابانى اضطر إلى أن يميل ميلا شديداً إلى الأمام فاختل بذلك توازنه ، وأصبح من المتعذر عليه أن يطبق قواعد الـ « جوجى تسو » ، فيضم كلير إليه فى ضمة تكون هى القاضية .

استطاع كلير ، بشكل ما ، أن ينفض عنه آثار الأذى الذى أصابه ، وأخذ يرقص حول عدوه ، إلا أننى لاحظت أن المسافة بين الرجلين أخذت تتناقص قليلا قليلا ، وأن اليابانى يتقدم هذه المرة وهو ينوى القتل .

وفجأة ناول كلير ضربة أخرى فى حُقّ وركه ، ولكن هذه الضربة أخطأت أيضاً موضعها ، فانحدرت عنه قدر إصبع واحدة ، وكان جزاؤه على ذلك أن ناوله كلير ضربة جانبية شمالية زاد بها تصبب الدم من أنفه .

تملك الغضب كيتامورا ، وجعل وجه كلير هدفاً للطماته ، وأخذ يضرب بيديه ضرباً أكثر مما اعتاد مصارعو الـ « جوجى تسو » أن يفعلوا . لقد كان يعلم أن هذه الضربات بحد الكف جد مؤذية .

ولكنه تلقى لقاء ذلك درساً علمه بعض بسائط الحيل فى الملاكمة الأمريكية ، هى توجيه الضربة المزدوجة . فقد صده كلير بيسراه ، وناوله بيمناه ضربة قاطعة محكمة على عظمة الخد ، فاهتز لها اليابانى أى اهتزاز . ورأيت دلائل الخوف تلمح على وجهه لأول مرة .

وعندئذ ارتكب كلير أول خطأ جسيم فى التقدير ، فإنه كان لا يغفل عن الابتعاد راقصاً كلما ناول ضربة ، حتى لا يمكن خصمه من أن يجذبه فيمسكه ، طبقاً لأصول الـ « جوجى تسو » فى ضمة قاضية . ولكن خيل إليه هذه المرة أنه يرى خصمه منكشفاً أمامه ، والمنفذ إليه لا ريب فيه ، إذ كان يبدو أن اليابانى قد أصابه الدوار . فتظاهر كلير مرة أخرى بأنه يوجه ضربة بيسراه

تمهيداً ليناوله ثانية ضربة صادقة بيمناه ... وكاد بذلك يخسر المباراة، إن لم يخسر حياته !

استطاع كيتامورا ، بفضل مواهبه التى أرهفت فيه غريزة القتال ، أن يدرك سر تلك الضربة المزدوجة بمجرد أن رآها . ثم دلته غريزته كمقاتل أصيل — وكأن هذه الغريزة حاسة سادسة عنده ! — أن يتوقع تكرار الضربة .

لقد أنضجته دربة السنين الطوال على انتزاع الفرصة من بين براثن الهزيمة إذا أوشكت أن تحل به . فلما امتدت ذراع كلير اليسرى ، كان كيتامورا مستعداً له أيما استعداد . فقد هجم عليه فى سرعة تخطف الأبصار كوميض البروق ، وإذا بى أرى كلير مطروحاً على ظهر اليابانى ، ثم إذا هو طائر فى الهواء ، ثم إذا هو يهوى على رأسه ويعلو صوت اصطدامه بألواح الخشب الغليظة التى غطيت بها الأرض . وظل كلير راقداً على ظهره لا حراك به .

انبعثت من المتفرجين اليابانيين الأربعمائة صيحة فرح وحشى . أما كتامورا فكان مثالا صادقاً للانسان البدائى فى التعبير عن جذله ، إذ أخذ يقفز فى الهواء ، ويصك فخذيه صكا شديداً .

وبدأ شخص يعد . . واحد . . اثنين . . ثلاثة . . . نظرت إلى ساعتى فرأيت أن الجولة كانت قد جاوزت خمس دقائق ، فأخذت أشير إلى لوحة الوقت وأصرخ محتجاً . . فدق الجونج . ولكن كلير لم يسمعها .

ذهبت إليه لأبذل له عونى ، وكان الموقف حرجا ، ورأيت كرامة الرجل الأمريكى فى هذا الركن من العالم متمثلة فى هذا الجسد المنهدم على الأرض . أخذت عيناه تختلجان ، ثم إذا بهما تنفتحان ، فانحنيت عليه مقتربا منه ، وأمام هؤلاء المئات من اليابانيين وهم يصرخون ويهللون ، لم أتمالك نفسى من الشعور بالمذلة والهوان . سألته : « أتظن أنك قادر على الاستمرار ؟ » ، فكان جوابه : « إن هذا الغم الذى سود وجهك الكريم فأل لا أستبشر به » .

ولما ساعدته على الوقوف لاحظت أنه شاحب اللون، من الصدمة ، ومن الغضب . كانت إصابته بالغة وقد جن جنونه ، وثارت ثائرته ، على نفسه ، وعلى كيتامورا ، وعلىّ أنا أيضا . . ولكنى ابتسمت جذلا حين رأيته يرمينى بنظرة محنقة ، فآمنت أن هذا الذى يقوم أمامى من سقطته ، إنما هو فتى قوى أصيل . قلت متوسلا إليه : « احرص على الابتعاد عنه بعض الوقت » فأجابنى : «إن اليابانى يكرر دائما مانجح فيه أول مرة» .

ودق الجونج .

لطم كيتامورا فخذيه مرة أخرى، وانسلّ من دائرته كأنه نمر جائع ، وهو واثق بل مزهوّ بنفسه ، لم يعد يخامره من خصمه أقل خوف . وتقدم حتى اقترب من كلير ، ثم أدار له ظهره وتولى عنه ضاحكا . فهلل له المتفرجون وانفجروا ضاحكين ... صاح فيه كلير باليابانية: «باكا ــ نو ــ يو ــ نا » (كل هذا لا يعنى أكثر من : «يامغفل»)، ولكن اليابانى يرى فى هذا الوصف أوجع إهانة) .

التفت كيتامورا مسرعاً ، وواجهه وقد انتفخت أوداجه من الغضب ، وكشر عن أنيابه بالكراهية والافتراس . وتوالت ضرباته بيسراه على وجه كلير ، فأصابه فوق العين نفسها . وعبر جمهور النظارة عن استحسانهم لهذه الفعلة وتصويبهم لها بشهقة عالية .

بدأ كيتامورا يقترب ، وهو يدور شيئاً فشيئاً ، وعلى وجهه عزم المصمم على القتل . . وهنا مالت النظارة إلى الأمام تكاد عيونهم تثب من محاجرها . ولم يكن كلير أقل منهم شعوراً بأن النهاية قد اقتربت ، فقد رأيته يشد من نفسه ، ويمد يده اليمنى حذاء صدره . ولست أعتقد أن اليابانى أدرك مغزى وضعها هذا الوضع .

أخذ كيتامورا يكيل الضربات بكلتا يديه على ذراعى خصمه وعلى رقبته وعلى وجهه ، وعلى حيثما وقعت يداه . وكل ما فعله كلير هو أنه ثبت ليتلقى هذه الضربات ، ثم مد يده اليسرى مداً هيناً يتظاهر بالضرب . وهذا هو الشيء الذى كان يتوقعه اليابانى ، فقد هجم عليه كالبرق ، وكاد الأمر يصبح تكراراً لما جرى فى الجولة الثانية ولكنه سيجرى فى هذه المرة بلا قومة ولا رجعة . .

ولكن الفتى الأمريكى كان يسبق اليابانى فى التفكير بمقدار خطوة واحدة فحسب ، فبدلا من أن يحدد وقت ضربته المزدوجة ، كما فعل من قبل ، إذا به هذه المرة لا يتريث ، بعد أن تظاهر بالضرب بيده اليسرى ، إلا برهة هينة تقاس بأجزاء الثانية ، ثم يهوى على خصمه بيده اليمنى ، وقد أعدها للضربة ، وكان اليابانى هاجماً مائلا عليه ، فوقعت الضربة بأكلها على وجهه كأنها مطرقة . ضربة تسددها حيوية ١٨٠ رطلا من القوة والعضل ، ويشد أزرها معين من البغضاء . هزت الصدمة كيان اليابانى من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وأخذ يتلمس الهواء بيديه على غير هدى ، وخرج تنفسه كالصفير فى رغوة رقيقة حمراء من بين أسنان مهشمة ، ثم هوت القبضة مرة أخرى ، هذه الدفعة من أسفل إلى أعلى ، ضربة قاتلة لا ترحم ، واستقرت محكمة على الفك .

وهكذا تفككت أوصال البطل اليابانى وغشى وجهه الأصفر شحوب باهت . . وهوى كيتامورا على الأرض لا حراك به .

لم يكن ثمة داع للعد ، فقد كانت هذه الوقعة هى غاية النهاية الحاسمة .

قدم الأمير ولى العهد والجنرال تهنئتهما إلى كلير ، ولكن لم يسمع أحد منا ، نحن الاثنين ما قالاه . أما أنا فلأن الفرح قد أطار لبى ، وأما كلير فلشدة إعيائه ، إذ كان يوشك أن يغمى عليه أيضاً ، كما غشى على هذا الذى كان منذ لحظة غريمه .

وأخذ النظارة ذوو الوجوه الصفر يراقبون فى صمت كيان بطلهم الهامد ، وقد تكوَّم على الأرض ، وهو يسحب إلى خارج المكان سحباً . . (لم يسمع عنه شىء قط بعد ذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد انتحر على طريقة الهارى كيرى تكفيراً عن هزيمته) .

ودعينا إلى الخروج فى شىء من العجلة ، كأنما خشوا أن يؤدى بقاؤنا لو طال إلى ما لا تحمد عقباه .

قال لى كلير ونحن فى السيارة عائدين إلى دارنا : « لن أفوه بكلمة توقعنى فى مثل هذا المأزق مرة أخرى ، أبداً ما حييت » . ولكن ها هو ذا قد ارتبط مرة أخرى بكلمة صدرت منه فتطوع للقتال فى باتان وكوريجيدور .

واليوم بعد ٢٠ سنة يطيب لى أن أرى فى خاتمة تلك المصارعة الخطيرة العنيفة نبوءة تتنبأ بالنتيجة النهائية للحرب التى تخوض أمريكا الآن غمارها ، إذ يجب أن يستمر القتال إلى أن نصل إلى مثل تلك الخاتمة الحاسمة . فحينما نصرع اليابانيين يجب أن نصرعهم بحيث لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة ، كما فعل صديقى كلير ، بل وأن نصرعهم فى المكان نفسه : فى طوكيو !



توازن القوة

عندما عين روبرت جوردون منزيس رئيساً للوزارة الأسترالية دعا الصحفيين لمقابلتهم والتحدث إليهم . فالتفت إليه أحد مندوبى صحف اليسار وقال : «إننى أفرض يا مستر منزيس أنك ستفاوض الهيئات المختلفة التى تسيطر عليك قبل اختيار أعضاء وزارتك » .

فرد منزيس : طبعاً ، ولكن أرجوك أيها الشاب أن تقصى اسم زوجتى عن هذا البحث !

العقل في الجنون

ج . هـ . إستبروكس

أستاذ علم النفس بجامعة كولجيت

ملخصة عن مجلة « سينتفيك أميريكان »

لكي ندرك معنى الجنون ينبغي أن نعلم أن جميع الناس إنما يسعون إلى غاية واحدة هي : « السعادة » . وكل امرىء منا لم يزل ينقاد لحلم من السعادة حتى بلغ حالته الراهنة ، وهذا الباعث نفسه هو الذي يرسم له طريق المستقبل . وهذا ما نسميه في علم النفس « مبدأ اللذة » .

ومهما يبد الأمر غريباً فإن المجانين خاصة ، من بين سائر الناس ، عقلاء ، إذا حكمنا بالنجاح الذي يصيبونه في هذا المطلب الكبير . فإنهم ، من حيث هم جماعة ، قد بلغوا غاية « السعادة » . خذ مثلا من يعد نفسه « نابليون » في أحد مستشفيات المجانين ، فهو يكتب لك إذا — ما سألته — شيكا بمبلغ مليون ريال ، أو يقطعك دوقية في فرنسا ، إذ يعتقد أنه واخر الغنى واسع السلطان ، فتقول : « يا له من مسكين ! إنه مجنون ! » .

إن عقول المجانين تعمل عملها كما تعمل عقولنا إلا أنها تغلو في ناحية أو تتهالك في أخرى . إن بنا ميلا شديداً إلى التفكير فيما يسر وتجنب ما يؤلم ، فإذا فحصت أشد أفكارك إيلاماً لك ، فستجد أن أكثرها يهيىء لك ناحية من الرضا . فقد يشغل بالك أمر أسرتك التي نزل بها الفقر ، ولكن يصحب ذلك أن ترى نفسك في صورة بطل مجاهد يسعى لانقاذها ، وقد يرضيك ذلك غاية الرضا . إن « مبدأ اللذة » هو المفتاح الذي يفض لك أسرار الجنون ، وما ذلك إلا أن المجانين قد عرفوا أكثر مما عرف غيرهم ، كيف يتجنبون الألم ، ويظفرون بالسرور . خذ مثلا حالة الجنون الحاد ، وهي أكثر حالات الجنون شيوعاً فترى الرجل يجلس اليوم كله يحدث نفسه ، يبتسم بين الحين والحين ، راضياً كل الرضا عن الدنيا وما فيها . وقد تجد لديه تفسيراً عجيباً لما يزعمه من أن جوفه من الذهب الخالص !! أو أنه على اتصال لاسلكي بكوكب المريخ !!

ولكن لا تنس أنه جد سعيد ، فإنه يعيش في دنيا من الأحلام ، إلا أن أحلامه هذه هي عنده حقيقة واقعة . ولذلك فلا ينتظر لمثله شفاء . فهو ينعم بما هو فيه من جنون ، ويصر على البقاء على حالته هذه . لقد حل المجانين مشكلة الحياة : إنك تريد الثراء — وهم قد وجدوه . إنك تطلب السلطان — وهذا شاب « هو » عند نفسه نابليون ، وأنت تضحك وتقول : إنه مجنون !! ولكن ما الذي تطلبه أنت ؟ السعادة ؛ هل ظفرت بها ؟ نعم ، ظفرت ببعضها — على أكثر تقدير — وقد تكون شقياً كل الشقاء . أما هو فراض عن نفسه حتى إنه ليأبى أن يضيع بعض وقته في التحدث إليك .

إنه مريض لا يمكن شفاؤه . ولكنه لا يريد أن يشفى من سعادته . أفلست ترى بعد ذلك أنه عاقل حكيم ؟ فأنت تكد ، وتجاهد ، وتحمل الهم ، ويطلب أن تنتهي حياتك ، وأنت في فقر قل أو كثر ؛ أما هو فلا يعمل عملا ، ويهنأ بالطعام ، ولا ينزل بساحته هم ، ويقضي مترفاً من أصحاب الملايين ، نعم ، ولعله ينظر إليك ، ثم يقول : « يا للمسكين ! إنه عاقل ! » .



ملخص من « اسكواير »

شهدت باريس فى ٢٣ مارس عام ١٩١٨ معجزة علمية اتفق جميع الناس، ومن بينهم أعظم العلماء، على استحالة وقوعها. ففى ذلك اليوم انفجرت فى قلب المدينة عدة قنابل من مصدر خفى. وكان يبدو أن القول أنها أطلقت من خلف الخطوط الألمانية، التى تبعد سبعين ميلا، أمر وهمى، كالقول أنها جاءت من القمر. ولكن سرعان ما أصبح الأمر الذى لا يمكن تصديقه حقيقة مقبولة.

وكانت السرعة التى بها اكتشف الفرنسيون المصدر الحقيقى للقنابل أمراً يدعو إلى العجب، كالقنابل الغامضة نفسها. لقد عرفت القيادة العامة الفرنسية موقع المدافع بالتقريب فى خلال ثلاث ساعات عن الانفجار الأول (كانت هناك ثلاث عربات وسبعة مدافع). وقبل انقضاء ثلاثين ساعة كان رجال المدفعية الفرنسية يأخذون بثأرهم فى إحكام تام حتى اضطر العدو إلى أن يتخلى عن موقع المدفع رقم واحد الذى أطلق القنبلة الأولى.

لم يصب أحد بأذى حين حدث الانفجار الأول بالقرب من رصيف نهر السين، ولكن حدث بعد عشرين دقيقة أن قتل انفجار ثان، ثمانية أشخاص وجرح ثلاثين، على بعد ميل ونصف تقريباً من مدخل نفق مزدحم بالناس.

وأسرع انتشار أنباء هذه الكارثة فى جميع أنحاء المدينة، مصحوبة بأفظع الإشاعات، وكان الرأى الشائع أن القنابل قد سقطت من نوع جديد من طائرات تطير عالياً جداً بحيث يتعذر اكتشافها.

واعتقد آخرون أن الجواسيس الألمان قد استولوا على بعض بطاريات المدفعية الفرنسية، وأخذوا يطلقون النار من داخل الخطوط الفرنسية.

وظلت الانفجارات طوال اليوم تتوالى، كل خمس عشرة دقيقة، وأخذت الطائرات المدافعة عن باريس تفتش السماء باحثة عن المغيرين. ولكن سرعان ما نبذ الخبراء الحربيون فكرة القنابل الجوية، إذ رأوا أن القذائف حين كانت تصيب الأبنية كانت تصيبها دائماً في الناحية الشمالية الشرقية، فاستقر الرأى على أنها قنابل مدافع. وقد نفذت قنبلة من جدار أحد الأبنية دون أن تنفجر، حتى حفرت حفرة أيضاً في أرض البناء. وقد دلت الثغرتان على الاتجاه الصحيح الذى أتت منه القنبلة، وعلى زاوية سقوطها. فأصبح في مقدور الرياضيين أن يرسموا مسار القذيفة، وأن يعينوا بالتقريب النقطة التى قذفت منها. ودلت الشواهد على أن هذه النقطة تقع في ركن من الجبهة الألمانية، يبعد عن باريس ٧٥ ميلا تقريباً، على مقربة من مدينة لاون. ودلت أيضاً الآلات المكتشفة للصوت على المكان نفسه.

رجع بعد ذلك الباحثون إلى خرائطهم إذ كانت قد صورت منذ عهد قريب صور فوتوغرافية جوية غاية فى الدقة لمنطقة لاون، وفطن الفرنسيون إلى أن المدفع العظيم الذى يبحثون عنه يتحرك، ولا بد، على قضبان سكة حديدية. وقد ثبت ذلك إذ بينت الصور الفوتوغرافية فرعاً صغيراً خارجاً من السكة الحديدية متجهاً إلى بقعة كثيفة الأشجار، قريبة من المكان الذى دلت عليه العمليات الهندسية والرياضية.

اشتعلت حماسة الفرنسيين، وصدر الأمر بنقل مدفعين ثقيلين يتحركان على قضبان حديدية إلى ڤابى، حيث أخذ رجالهما يطلقون النار على المكان الذى قدروا وجود المدفع القريب به. وبالرغم من أنهم لم يصيبوه إصابة مباشرة، فقد أصابت قنبلة فرنسية شجرة قريبة من المدفع رقم واحد فقتلت ضابطاً وجرحت ستة من رجاله.

ولو أن جاسوساً فرنسياً تجول في تلك البقعة الكثيفة الشجر لرأى مدفعاً عملاقاً قد يبلغ ارتفاعه قمة بناء ذى عشرة أدوار، وهو قائم على قاعدة من الصلب يبلغ ارتفاعها ٢٥ قدماً. وهذا الجهاز الشيطانى الضخم، واثنان آخران مثله، ركبت في الغابة بكل تكتم، هو نتيجة عمل استغرق عامين.

ففى أوائل عام ١٩١٦ استطاع الدكتور فون ابرهاردت، أحد علماء الطبيعة الألمان البارزين، أن يقنع روزنبرجر، المشرف على مصانع «كروب»، بأنه من الممكن صنع مدفع يستطيع أن يرسل قذيفة طولها ثمانى بوصات إلى مدى ٦٠ ميلا. وقد كان مرمى المدافع السبعة التى تم صنعها أخيراً ثمانين

ميلا ، وكان كل منهما دقيق الصنع كالساعة مع أن وزنه يبلغ مئات الأطنان .

وبذل فى إخفاء هذه المدافع من العناية الكبيرة مثلما بذل فى صنعها . فوضعت فى غابة سانت جوبين ، أكثف غابة وجدوها هناك . ومدت إلى موقع كل مدفع من المدافع الثلاثة سكة حديدية . ولكى يضللوا المستكشفين من الجو ، مدوا من السكة الحديدية فرعاً صورياً واضح الوصلات . وهـذا الخط هو الذى ظهر فى الصور الفوتوغرافية ، فكان ذلك سبب خيبة رجال المدفعية الفرنسية فى تسديد إصابات مباشرة . أما السكة الحديدية التى استعملت بالفعل فقد أخفيت بدقة تامة ، فلم يقتلع من الأشجار إلا ما كان فى طريق القضبان مباشرة ، ثم ضمت قمم الأشجار العالية بعضها إلى بعض بالأسلاك ، وغرست الأشجار الصغيرة بين الوصلات ، وغطيت القضبان بالحشائش والأغصان ، وبسطت على موقع كل مدفع شبكة من السلك مغطاة بقماش أخضر .

لم يكن الحساب العادى ، الذى يتخذه رجال المدفعية فى تقدير طاقة قذف مدافعهم نافعاً فى الدلالة على إمكان إطلاق القنابل من مدفع فى مثل هـذا الحجم الهائل ، فاستعين بعلماء الفلك كذلك . ولما كانت القذيفة ستمكث فى الهواء ثلاث دقائق ، كان ينبغى أن يعمل حساب دوران الأرض ، إذ لا بد من أن يكون الهدف قد تحرك فى هذه المدة إلى الشرق . ويجب أيضاً أن يعمل حساب تحدب الأرض فى دقة تقدير بعد الهدف . وكذلك يجب أن يحسب بدقة حساب كثافة الهواء ، ودرجة حرارته ، واتجاه الريح وسرعتها ، وكذلك درجة حرارة البارود . وقد كان كل مدفع يعاد إلى مصانع كروب ، عقب ٥٠ أو ٦٠ طلقة ، لإصلاحه لما يصيبه من التلف السريع بسبب الحرارة والتآكل .

كانت القنبلة التى تزن ٢٦٥ رطلا تنطلق تحت ضغط مقداره مليون رطل ، وبسرعة مقدارها ميل فى الثانية تقريبا ، وتأخذ سرعتها تقل أثناء صعودها فى طبقات الجو الخفيفة ، حيث مقاومة الهواء أقل ، بفعل الجاذبية الأرضية ، إلى أن تكون على ارتفاع ٢٤ ميلا تقريبا فوق سطح الأرض فتصير سرعتها أقل من نصف ميل فى الثانية ، ثم تزداد سرعتها مرة ثانية أثناء هبوطها حتى تصطدم بطبقة الجو الكثيفة قريباً من سطح الأرض ، حيث تقل سرعتها إلى أن تصل إلى الأرض .

كان واضعو التصميم والقيصر حاضرين حينما أخذ المدفع رقم واحد يطلق قذائفه

الأولى على باريس، ولو كان القيصر قد حضر بعد ذلك بيوم أو بيومين، ليشاهد الطلقات الأولى من المدفع رقم ثلاثة، فلربما كان مجرى التاريخ قد تغير، إذ نسف المدفع وقتل خمسة عشر رجلا.

وقد توقع الألمان أن يكون لهذه المدافع شأن عظيم في كسب الحرب، كما كان ينبغي أن يكون لها. ولكن هجوم الحلفاء في منتصف الصيف بمساعدة الأمريكيين اكتسح خطوط الألمان الخلفية، حتى غدت هذه المدافع الكبيرة عاجزة عن أن تصل قذائفها إلى باريس.

وبصرف النظر عن القتلى البالغ عددهم ٢٥٦ نفساً، والجرحى البالغ عددهم ٦٢٠ نفساً، فإن الضرر المادى الذى سببته هذه المدافع الكبيرة، كان أقل من تكاليف صنعها التى بلغت أكثر من ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال.

ماذا تم فى أمر هذه المدافع الكبيرة؟ لقد دبر الألمان أمر إعادتها إلى أرض الوطن أثناء تقهقرهم العام، فلم يرها على الإطلاق أى ضابط أو جندى من الحلفاء، ولكنهم غنموا عربة من عرباتها التى تسير على القضبان الحديدية. وقد كان من شروط معاهدة فرساى أن يقدم الألمان جميع مستنداتهم الحربية لأقسام مخابرات الحلفاء، ولكن جميع هذه المدافع كانت قد سحبت إلى مصانع كروب، حيث صهرت قبل أن توقع المعاهدة. وصدر فى الحال قانون خاص يعد إفشاء أى بيانات عنها خيانة يعاقب عليها بالموت.

ولم تصل عن هذه المدافع معلومات إلى أيد غير ألمانية قبل عام ١٩٢٥، بفضل ما لجأت إليه الجاسوسية الألمانية من الحيل الغريبة. ولما وصلت هذه البيانات أخيراً كانت وافية، فشملت حساب الضرب، ويوميات المدفعيين، ورسوماً وصوراً فوتوغرافية.

ولكن بقى سر هام. فإن البارود الذى استعمل كان يتحمل درجة من الضغط أعلى مما تتحمله الأصناف الأخرى، ولذلك كان ينفجر بقوة أعظم من قوة أى بارود عرف إلى اليوم. وإن تركيبه الكيميائى — الذى لم يعثر عليه بين المعلومات الأخرى — هو سر يشتاق أن يعرفه رجال الحرب فى بلاد كثيرة.



النساء كالقلاع، بعضها يؤخذ عنوة بهجوم خاطف، وبعضها لا يعنو قبل حصار محكم طويل. دايفيد اينزورث

عدو الإنسان معلمهُ

الجرذان

هنرى مورتون روبنسون

ملخصة عن مجلة « أميريكان ميركيورى »

إن من السخرية أن يكون الحيوان الذى يجعل اسمه مرادفاً لكل شيء حقير فى معجم الألفاظ الإنسانية ، أشبه الحيوانات بالإنسان فى كثير من الوجوه الجوهرية . وأساس هذا الشبه هو أن البشر والجرذان (الفئران الكبيرة) هما وحدهما الحيوانات آكلة كل شيء ، من لحم وحب وفاكهة وبقل وبيض وسمك . وإذا لم يجدا من ذلك شيئاً أكل بعضهما بعضاً .

ولما كانت الحيوانات ذوات الثدى التى تتفق فى أنواع غذائها ، تتشابه فى نظامها العصبى والغذائى تشابهاً كبيراً ، كانت الأمراض التى تصيب البشر والجرذان أمراضاً واحدة .

وكلاهما يطيق الحياة فى أى جو من الأجواء : من حار استوائى إلى بارد قطبى ، فى أحوال تقضى بالموت على غيرها من المخلوقات . ويذهب هذا التشابه العجيب إلى أبعد من الملائمة المادية المحض ، فقد ذكر هانز زنسر صاحب كتاب « الجرذان والقمل والتاريخ » : « أن موقف الجرذان والبشر من باقى المخلوقات موقف واحد لا تشوبه اختلاف . فكلاهما لا فائدة فيه ألبتة لأنواع الحياة الحيوانية الأخرى التى يبيدها دون تمييز ، بما ركب فيه من جرأة ووحشية ودهاء » .

ولما كانت عادات الجرذان والبشر فى الأكل متماثلة ، قرر علماء الحياة منذ حوالى خمس وعشرين سنة : أن الجرذ (الفأر) هو أمثل حيوان لإجراء التجارب عليه . ولهذا أنشأوا الآن فى معهد « وستار » للتشريح وعلم الحياة بجامعة بنسلفانيا ، أبنية خاصة من الصلب والأسمنت المسلح ، خصصت لكى تربى فيها وتدرس سلالة خالصة من الفأر النرويجى الأبيض ، لا تشوبها عيوب أو أمراض . وقد تبين فى التجارب الخاصة بالبشر ، أن جرذ « وستار » الأبيض ، الذى اتخذ أساساً لهذه التجارب ، يمتاز كثيراً على الخنازير الهندية ، أو الكلاب ، أو القردة ، أو الأرانب .

وقد قام الدكتور هـ . دونالدسون — أكبر الثقاة العالميين فى دراسة الجرذان البيض — بتربية ٩٦ جيلا منها ، كفل لها أحسن ما يمكن من الظروف والأجـواء المثلى ، على قدر المستطاع . كان طعامهـا مجهزاً تجهيزاً علمياً ، وكان هواؤها معقماً مصفى ، ولا يسمح لأحد بزيارتها مخافة تلويثها بالجراثيم ، مما يفسد على العلماء أبحاث سنين طويلة فى العمل . ومعهد وستار هو فى الواقع الذى يزود العلماء اليوم بما يحتاجون إليه من الجرذان البيض ، بثمن قدره ٤٥ ريالا لكل مائة جرذ .

وتجارة الجرذان تجارة رائجة ، فقد أجرى العلماء من التجارب على هذا القارض الأشكل العينين ، الأبيض الفرو ، المنحدر من الجرذ النرويجى الأسمر ، أكثر مما أجروا على سائر الحيوانات قاطبة . فهم يحملونه على الجرى فى قفص يدور به حتى يبلغ منه الجهد، ثم يرقبون أثر الإعياء فى حياته الجنسية . ويعرضونه للجذام ، والزهرى ، والتدرن ، والإلتهاب الرئوى ، ويرقبونه وهو يتحمل وطأة هـــذه الأمراض . أما فى تجارب التغذية ، فهم يغذون جماعات منه بأنواع الفيتامينات جميعهـا ، وأخرى بقليل منها ، وثالثة لا يعطونها فيتامينات البتة . وفى نهاية كل تجربة يعمدون إلى عظامهـا الصغيرة فيقيسونها ، وإلى أعضائها المتناهية فى الدقة فيزنونها .

وللحصول على بيانات علمية عن ضغط الدم وغـيره من تغيرات الدورة الدموية ، تحت تأثير الانفعالات ، يدفع الكيميائيون بهـا إلى « هياج تجريبى عنيف » ، ثم يأخذون شيئاً من دمها و يحللونه ، ويقارنونه بدم أخواتها الهادئة . وإذ استثنينا الإنسان وحده ، فإن ما كتب عن الجرذان من الأبحاث العلمية ، يفوق كل ما كتب عن كل حيوان ثديىّ آخر على الأرض .

إن هـــذا الحيوان الحامل للأوبئـة ، والذى أفنى من الناس بالطاعون الدملى أكثر مما أفنت جميع الحروب منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أو منـــذ ٢٣٤٣ سـنة ، يعيش فى المعمل حياة قصيرة مليئة بالحوادث الجسام . يولد الجرذ — بعد حمل يتراوح بين ٢٢ و٢٣ يوماً — أعمى ، أجرد ، قصير الذيل ، أعضاؤه ناقصة النمو ، (لا يكاد يستطيع أن يصوّت أو يرضع) . على أن الجرذان الصغار تبدأ بعد عشرة أيام فى التنقل فى القفص ، وفى اليوم الخامس والعشرين يصبح الجرذ فى غـير حاجة إلى معونة والديه ، ويكون نموه بعد ذلك سريعاً جداً . ويعيش الجرذ الأبيض نحو ثلاث سـنين ، على أن نمـوه أسرع ثلاثين مرة تقريباً من نمو الإنسان .

وباستعمال مقياس نسبي للعمر يمكن تحويل نتائج عمر الجرذان إلى ما يقابلها من عمر البشر . فإن الستة والتسعين جيلا من الجرذان التى أجريت عليها التجارب فى معهد وستار تقابل ٣١٠٠ سنة من حياة الإنسان ، إذا جعلنا ثلاثة أجيال لكل قرن، أى أنها مدةطويلة من مدة التاريخ المدون.

والفأر النرويجي هو مضرب المثل فى الإخصاب ، فإن الأنثى الولود من هذا النوع تلد عشرة بطون فى حياتها ، ويبلغ نسل زوج قوى منه ١٥ مليون فى خمس سنين ، والتناسل بين القبيلة الواحدة لا يضعف النسل ، على عكس ما يعتقده الناس . وقد دلت التجارب فى خمسين جيلا على أنه يمكن الحصول على سلالة أثقل وأقوى وأطول عمراً من أسلافها ، من زوج قوى يختار أحسن نسله للتناسل . ولإخصاب الجرذ وقدرته على أن ينسل نسلا مطابقاً للأصل ، كان الحيوان المفضل فى أية دراسة فى التناسل الإنسانى . فبينما يحتاج الأمر إلى قرن من الزمان تقريباً لدراسة ثلاثة أجيال إنسانية ، تعطى الجرذان النتائج نفسها فى ثمانية عشر شهراً .

إن جل معلوماتنا عن قيم الأغذية مستمد من التجارب على هذه القواضم المماثلة للانسان . فلقد أراد الأستاذ ا . ماكالوم بمدرسة علم الصحة والصحة العامة بجامعة جونز هوبكنز ، أن يعين مدى تأثر الإنسان إذا أسقط من غذائه المنجنيز ، وهو عنصر يوجد على الغالب فى الحبوب والنقل واللحم ، فأعطى جماعات من الجرذان الصغيرة السن أغذية متنوعة ، فمن غذاء خال من المنجنيز ولكن به ما يمسك رمق الحياة ، إلى غذاء يحتوى على عناصر بها منجنيز طبيعى ، إلى غذاء خال من المنجنيز الطبيعى ، ولكن أدخل فيه بدلا منه المنجنيز الصناعى .

بلغت الجرذان جميعاً سن البلوغ ، ولم تختلف الجرذان التى أعطيت غذاء خالياً من المنجنيز عن الأخرى فى الظاهر ، فقد كان شكلها ووزنها ونسلها متماثلا ، إلا أن الإناث لم يتوفر لها اللبن الذى ترضع به صغارها . ولم يظهر على الذكور أى شذوذ حتى بلغ عمرها مائة يوم ، فظهر فيها فساد الخصيتين ، واستمر بانتظام حتى انتهى إلى العقم التام . ثم أعيدت إليها القوة الجنسية بإضافة المنجنيز من جديد إلى غذائها. وعلى ذلك وجد الأستاذ ماكالوم ، (وقد أيدت فيما بعد التجارب التى أجريت على الإنسان ما ذهب إليه) : أن المنجنيز عنصر لابد منه فى إنتاج الأتوار (الهرمونات) التى تنظم وظيفة الخصيتين فى الذكور ، والأنسجة الثديية فى الإناث .

وإذا ما اكتشف مخدر أو مصل أو سم جديد ، جرب أولا على الفأر النرويجي ، لتعيين مقدار الجرعة العلاجية أو الجرعة المميتة منه . ولما كان الفأر ، وهو فى تمام نموه ، يزن نحو نصف رطل (أو $\frac{1}{٢٥٠}$ من وزن الإنسان تقريباً) فإنه يعطى جرعة كسرية بهذه النسبة، ويقاس مدى تأثيرها فيه. فإذا لم يصب الجرذ شيء زيد مقدار الجرعات حتى ينتهى بالجرعة المميتة . وقد أجريت على الجرذ الأبيض التجارب الأولى فى استعمال المورفين ، وكثير من الاختبارات الخاصة بسموم الثعابين .

والجرذ فى حالته الوحشية خطر جسيم على حياة الإنسان ومتاعه ، فهو يبيد ماقيمته خمسة آلاف مليون ريال من المتاع فى السنة. على أن العلماء الذين يجرون تجاربهم على الجرذ الأبيض فى المعامل يقولون : إن الجرذان إذا خلصت من رعبها من الإنسان ، كانت مولعة باللعب ودودة كالأطفال ، فهى تحب الملاطفة والتدليل . ويذهب أحد الثقاة إلى أنها مولعة ولعاً شديداً بالموسيقى ، وأنها إذا ما سمعتها صكت أسنانها بعضها ببعض إعجاباً وسروراً .

وسينتهى الأمر بالجرذان البيض فى معهد وستار إلى إنتاج سلالة خالصة خالية من الأمراض . قد ولدت فى أحسن ما يمكن من الأحوال . وإذن فكيف ينتهى الأمر بسلالة خالصة سالمة من كل عيب ؟ وهل ثمت تناسق بين التغييرات العقلية والبدنية المطلوبة ؟ وهل هذه التغييرات لا تقف عند حد ؟ وقد ننتهى إلى أن نجد فى حالة الكمال التى وصل إليها الفأر النرويجى ، معالم تدلنا على أرجح ما ينتظر أن تكون عليه السلالة الإنسانية ، إذا هى حررت من عوادى المرض بضع مئات من السنين .



الجواب الصحيح

(السؤال فى صفحة ٥٥)

كان فى السلة سبع بيضات . فالزبون الأول عرض أن يشترى نصفها ونصف بيضة زيادة = ٤ . والثانى عرض أن يشترى نصف الباقى ونصف بيضة زيادة = ٢ . والزبون الثالث عرض أن يشترى نصف الباقى ونصف بيضة زيادة = بيضة واحدة .

أنطون : صديق العالم كله

ستيفان زفيج

لقد كنت حقيقاً أن أكون جحوداً حقاً، لو أنى نسيت الرجل الذى أرانى شيئين من أصعب الأشياء على ظهر الأرض : كيف يستطيع الإنسان بفضل حريته الباطنة أن يحرر نفسه من أعظم قوة فى العالم ، وأعنى قوة المال ؟ وكيف يستطيع أن يعايش الناس من غير أن يكون له عدو واحد .

وقد أتيح لى أن أعرف هذا الرجل الفريد ، من أسهل طريق . فقد خرجت أتمشى بكلبى عصر يوم فى البلدة الصغيرة التى كنت أقيم فيها يومئذ ، وإذا بالكلب يسلك سلوكاً غريباً ، فقد جعل يتمرغ على الأرض ويتقلب بشدة ويحك جسمه بكل شجرة ، ويضغو ويعوى ولا يكف .

وإنى لأسائل نفسى عما عسى أن يكون ه ، وإذا بى أتبين أن بعضهم يمشى إلى جانبى ، وكان رجلا فى الثلاثين أو نحوها ، رث الثياب ، لا قبعة على رأسه ولا بنيقة على عنقه . فخطر لى أن لعله متسول ، وهممت بأن أدس يدى فى جيبى ، ولكنه ألقى إلى من عينيه الزرقاوين الصافيتين ، ابتسامة فى هدوء ، كأنما كنا صديقين قديمين . وقال وهو يشير إلى الكلب : « إن بالمسكين شيئاً يحزه ، تعال معى لننزعه » .

وكان يخاطبنى بضمير المخاطب المفرد وهو فى الألمانية لا يستعمل إلا بين الذين توثقت علاقاتهم ، ولكن نظرته كان فيها من لطف التحبب وظاهر المودة ما جعلنى أغضى عن رفع الكلفة ، فتبعته إلى حديقة وقعدت بجانبه ، فدعا الكلب إليه بصفير عال.

ومن الغريب أن كلبى « كاسبر » — وهو فى العادة يحذر الأغراب — استجاب له على الفور ، فأشار إليه فوضع رأسه على ركبته ، فأقبل عليه يبحث فى جلده بأصابع طويلة حساسة ، ثم ندت عنه آهة رضى ، وراح يعالج انتزاع ما وجد . وقد كان ولا شك أليماً ، فقد كان كاسبر يمد صوته بالضغاء كثيراً ، ولكنه على هذا لم يحاول أن يتخلص. ثم أطلقه الرجل فجأة وقال : « هذا هو » ، وضحك ورفع أصبعيه بشىء ، وهو مزهو .

مؤلف كتابى « مارى انطوانيت » و « مارى ملكة الاسكتلنديين » وغيرهما

والتفت إلى كاسبر وقال : « والآن اذهب واجر » ، فذهب يعـدو . ونهض الرجل وهز رأسه وحيا ومضى فى سبيله . وكان انصرافه مباغتاً فلم يخطر لى إلا بعدأن ذهب ، أنه كان ينبغى أن أكافئه على ما تجشم ، أو على الأقل أن أشكره ، ولكن ذهابه كان كمجيئه منطوياً على الحسم والحزم والركانة .

ولما بلغت البيت كنت لا أزال أفكر فى سلوك هذا الرجل الغريب ، فقصصت الخبر على طاهيتنا العجوز فقالت : «أوه ، هذا أنطون . له عين ترى كل شىء ، وقدرة على كل عمل» . فسألتها عن حرفته ، وعما يصنع لـكسب رزقه ، فقالت وكأنما أدهشها سؤالى «لاشىء ! وما حاجته إلى حرفة ؟ » . قلت : « أحسب أن على كل امرىء أن يصنع شيئاً ليعيش » . قالت : « إلا أنطون ، فما من أحـد إلا ويسره أن يعطيـه ما يريد ، وهو لا يعبأ شيئاً بالمـال ، لأنه لا يحتاج إليه » .

وكان هذا عجيباً فقد كنت أعرف أنه فى بلدتنا ، كما فى كل بلدة فى العالم ، لابد من أن يؤدى المرء ثمن كل كسرة من الخبز ، وكل قدح من الجعة ، وكل كساء يلبسه ، وأجر كل ليلة يقضيها فى نزل ما . فـكيف تسنى لهذا الرجل الصغير الجسم ذى السراويل البالية ، أن ينجو من قضاء هذا القانون ، وأن يكون مع ذلك سعيداً خلىّ البال ؟ .

واستقر عزمى على أن أفحص عن أمره ، فما لبثت أن وجدت أن الطاهية كانت على حق . فما كان لأنطون عمل منتظم ، وكان يجوب المدينة طول النهار على غير هدى أو قصد كما يبدو ، ولـكن عينيه كانتا مفتوحتين تأخذان كل شىء . فكان مثلا يستوقف سائق مركبة ويبين له أن جهاز جواده غير محكم ، أو يلاحظ تلفاً فى ألواح السور فيشير على صاحب البيت بدهنه ، وكان يكلف عادة أن يقوم هو بالعمل ، لأن كل امرىء كان يعرف أن مايشير به لا ينطوى على مطمع ، وإنما يصدر فى ذلك عن مودة صادقة .

وما أكثر الأعمال التى رأيته يتولاها بعد ذلك ! وجدته مرة فى دكان حذاء يرقع أحذية ، ومرة أخرى يؤدى عمل نادل (جرسون) فى مأدبة ، وثالثة ومعـه أطفال خرج بهم للرياضة ، وتبينت أن كل امرىء يولى وجهه شطر أنطون فيما يعروه . وقد رأيته يوماً يبيع التفاح بين نساء السوق ، وعلمت أن صاحبة التفاح جاءها المخاض فأحلته محلها .

ولا شك أن فى كل بلدة رجالا متهيئين للقيام بكل عمل يعرض لهم ، ولـكن الغريب من أمر أنطون ، والذى لا نظـير له ، أنه لا يبالى ما يتجشم من التعب فيما يكلف ، ويأبى مع ذلك أن يقبل من الأجر أكثر مما به إليه حاجة فى يومه . فإذا كثر الخير أبى

أن يأخذ أجراً ما ، وكان يقول : « سأعود إليك فيما بعـد إذا احتجت إلى شيء » .

وسرعان ماتبينت أن هذا الرجل الغريب الودود ، الرث الملابس ، قد اهتـدى إلى نظام جديد يجرى عليه . ذلك أنه كان يثق بمروءة الناس ، ولهذا آثر ، بدلا من أن يودع ماله مصرفاً ، أن يدخر مكارمه وعوارفه عند مواطنيه ، فاستثمر قليله كله فى قروض غيرمرئية ، فصارحتى أشد الناس شكا فى الخير ، لا يسعه إلا أن يشـعر أنه مدين لهذا الرجل الذى يخدم الناس متبرعاً ، ولا يخطر له أن يأخذ جزاءً معيناً .

ويكفى المرء أن يرى أنطون سـائراً فى الشارع ليعرف أى احـترام خاص يكنه له الناس . فقد كان كل إنسان يحييه تحية الحب ، ويصافحه مسلماً . وكان هذا الرجل البسيط ، الخلى البال، ذوالثوب البالى ، يمشى فى المدينة كأنه مالك يزور مزارعه وضـياعه ويلاطف من فيها، وكان يسعه أن يدخل من أى باب ، وأن يجلس إلى أية مائدة ، فإن كل شيء كان رهن مشيئته . وما استطعت قط من قبل أن أدرك مدى القوة التى يؤتاها من حذق هذا السر — أن لايفكر فى الغد ، وأن يتوكل على الله مخلصاً .

ولا يسعنى إلا أن أعترف أنه ثقل علىّ ، فى أول الأمر بعد حادثة كلبى كاسبر ، أن يمر بى أنطون وأن يلقى إلى التحية عرضاً كأنى غريب . وكان من الجلى أنه لا يود أن يتخذ مما أسداه إلى سبباً للفضول أو التسحب ، ولـكنى شعرت كأنى مقصى ، من جراء قلة اكتراثه ، عن مجتمع كبير متصادق . فلما اتفق أن تلف شيء فى البيت — وكان الميزاب قد انثقب فصار المـاء يقطر منه — اقترحت على الطاهية أن تدعو أنطون .

ولـكنها قالت : « لا يمكن أن نبعث فى طلبه فإنه لا يطيل المـكث فى مكان واحد ، ولـكنى سأحاول أن أبلغه الدعوة» . وهكذا عرفت أن هذا الرجل الغريب ليس له بيت يؤويه ، ومع ذلك لم يكن أسهل من الاتصال به ، كأنمـا كان هناك تليفون لاسلـكى يصله بالمدينة ، ويكفى أن تقول لأول من تلقى فى الطريق : « إنى أريد أن أرى أنطون » فتسرى الـكلمة حتى يلاقيه بعضهم . والواقع أنه جاءنا عصر ذلك اليوم نفسه ، فألقى على كل شيء نظرة فاحصة ، وكان وهو يمشى فى الحـديقة يدلنى على شجيرات تحتاج إلى التشذيب ، ويسير إلى غرس غصن ويقول إنه يحسن أن ينقل ، وأخيراً فحص الميزاب وشرع فى العمل .

وبعـد ساعتين قال إن العمل تم ، وانصرف قبل أن يتسنى لى أن أشـكره ، ولـكنى فى هذه المرة كنت قد أمرت الطاهية

أن تحسن جزاءه . ولما سألتها هل خرج راضياً ؟ قالت : بالطبع ، إنه دائماً راض ، وقد أردت أن أعطيه ستة شلنات ولكنه لم يأخذ سوى اثنين، وهذا حسبه فى يومه وفى غده، ولكنه قال : « إذا كان عند الدكتور معطف قديم يستطيع الاستغناء عنه ... »

وإنى لأجد مشقة فى وصف سرورى بأنى استطعت أن أعطى هذا الرجل — أول رجل رأيته يأخذ دون مايعطى — شيئاً يشتهى أن يكون له . فذهبت أعدو وراءه وصحت به : « أنطون ، أنطون ، عندى لك معطف » ، فواجهنى مرة اخرى بذلك النور الساكن فى عينيه ، ولم يدهشه أنى خرجت أجرى وراءه ، فقد كان من الطبيعى عنده أن يرى من يملك معطفاً لاحاجة به إليه ، يقدمه إلى آخر يفتقر إليه .

وأمرت الطاهية أن تجىء بكل ما تيسر من ثيابى القديمة ، ففحص الكوم ، وانتقى معطفاً وارتداه لتجربته ثم قال : «نعم ، هذا يصلح لى » ، قالها بلهجة السيد الذى استقر رأيه على أخذ بعض ما يعرض عليه فى دكان. ثم نظر إلى بقية الكوم وقال : « تستطيع أن تعطى فريتز ، فى السالزلرجراس ، هذين الحذائين فإن به حاجة إليهما ، وابعث إلى جوزيف فى الميدان بالقمصان فإنه يستطيع أن يصلحها لنفسه ، وإذا شئت حملتها إليهما» — قال ذلك أيضاً بلهجة الكريم المفضال الذى يتطوع بالمعروف ، وشعرت أن على أن أشكره على توزيع أشيائى على أناس لا أعرف منهم أحداً . وربط الحزمة وقال : « نعم أنت رجل طيب ، وإنه لكرم منك أن تجود بكل هذه الأشياء » . ثم انصرف .

ومن الغريب أن كل ما فازت به كتبى من الثناء لم يسرنى كما سرنى هذا المديح . وكثيراً ما فكرت فيما بعد فى أنطون هذا تفكيراً مقروناً دائماً بعرفان الجميل . فما أقل من بذلوا لى مثل هذا العون الروحى وكثيراً ما كنت أرانى ، كلما أزعجتنى شئون المال السخيفة ، أحضر إلى ذهنى هذا الرجل الذى كان يعيش فى سكينة واطمئنان ليومه ، لأنه لا يحتاج إلى أكثر مما يكفى لذلك اليوم الواحد . وكنت دائماً أقول لنفسى : « لو أن كل إنسان تعلم سر الثقة المتبادلة ، لما بقى شرط ، ولا محاكم ، ولا سجون ، ولا مال . أما كان كل نظامنا الاقتصادى المعقد خليقاً أن يصلح إذا عاش كل امرىء عيشة هذا الرجل المفرد ، الذى بذل من نفسه كل ما كان يسعه، ولم يأخذ مع ذلك إلا مايحتاج إليه؟ » .

وقد مضت سنوات لم أسمع فيها شيئاً عن أنطون ، ولكنى قليل القلق عليه ، فإنى أعرف أن الله لا يخذل هذا الرجل ولا يتركه فى ضائقة — وأن الناس أيضاً لا يخذلونه .

كيف تجد أعصابك؟

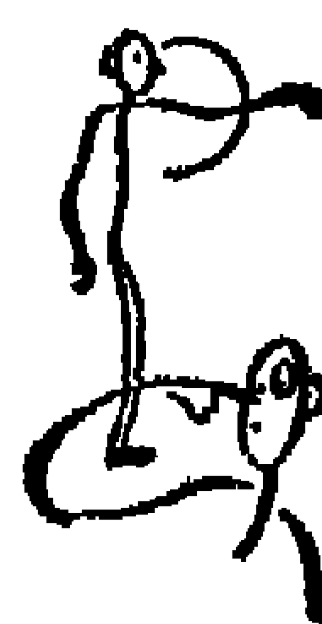
جيمز . س . وارن

« إن الأعصاب تجتاز ، فى هـــذه الأيام ، امتحاناً عنيفاً بما تجده فى الحرب وفى غيرها . لهذا طلبنا من زمرة من الأطباء حركات رياضية بسيطة تعرف بها : هل أعصابك فى حالتها الطبيعية أم لا ؟ فإذا كانت روحك قوية فأجر هـــذه الاختبارات على نفسك ، غير أنه مما يبعث المرح أن تجمع بعض أصــدقائك ليقوموا بها ويكونوا هم ضحاياها .



١ قف منتصباً ، واجعـــل قدميك متلاصقتين، الأصابع والكعبين ، وأغمض عينيك . ثم انظر كم من الزمن تستطيع أن تبقى هكذا بدون أن تميل ، أو أن تفتح عينيك ، أو أن تمسك بشىء يعينـــك على أن تحفظ توازن جسمك ؟

دقيقة واحدة هى المعدل المتوسط . وقد تتمايل قليلا ، ولـكنه من المباح أن تميـــل بوصة واحـــدة أو ما إليها عن مســـتوى الـكتفين .



٢ قف كما فى (١) وأغمض عينيك . مد أحدى ذراعيك جانباً مشيراً بالسبابة ، قابضاً باقى الأصابع ، ثم حاول أن تمس ، فى سرعة ، أرنبة أنفك بالسبابة . كرر العمل مستعملا ذراعك الأخرى .

إذا لمست الهـــدف بكلتا إصبعيك كان ترابط الأجهزة (العصب والمخ والعضل) ترابطاً حسناً . كثير من الناس يلمسون أنوفهم ، وقليل منهم يلمسون الأرنبة .



٣ اجلس ومد ذراعيك إلى الأمام وراحة اليد إلى أسفل، وأصابعك مفتوحة يبتعد بعضها عن البعض الآخر . أطلب من أى إنسان أن يضع فرخاً من الورق على ظهر كل من اليدين . وانظر كم من الزمن تستطيع أن تحافظ على هذا الوضع بدون رعشات ملحوظة ؟

يجب أن تحافظ على هذا الوضع دقيقة واحدة على الأقل بدون رعشات ، إلا ما كان منها بسيطاً . وقطعة الورق هى التى تبين لك ذلك .



٤ اطلب من صديق لك أن يديرك بسرعة شديدة عشر مرات على كرسى البيانو — أو ضعف هذا العـــدد على أرض ملساء . احفظ عينيك مغلقتين ، وبعد الدورة الأخير مباشرة افتح عينيك وحاول أن يتلامس طرفا سبابتيك ؟

هــذا الاختبار للتوازن كما هو لترابط الأجهزة. كثير من الناس يستطيعون القيام بهذا التلامس بعد الدورة الخامسة، وقليل يستطيعونه بعد العاشرة.



٥ اجلس أمام منضدة عارية، وحاول أن ترتب ثلاثة من أعواد الثقاب على شكل هرم ثلاثى، بحيث تكون رءوسها إلى أسفل. إذا فعلت ذلك تكون لديك هرم فيه قوة تستطيع أن تحمل كوباً من الماء.

هـذه المسألة تحلها اليدان الثابتتان والصبر. اجعل رءوس عيدان الثقاب على مسافات متساوية بين بعضها وبعض، بحيث لا تكون قمة الهرم عالية. فإذا نجحت فى فك هـذه الأحجية، استطعت أن تجعل كوباً من الماء يتزن فوق عيدان الثقاب، ولكن افعل ذلك أولا بكوب فارغ.



٦ هـذا الاختبار ليس جميلا من الناحية العملية، ولكن فيه التسلية لو قامت به جماعة فى وقت واحد. قف أو اجلس، كيفما تكون حالتك فى اللحظة التى تقوم فيها بالتجربة. واخرج لسانك مدة نصف دقيقة.

يستطيع الرجل العادى أن يبقى لسانه خارج فمه ساكناً مدة طويلة، ولكن يجب أن لا يهتز أو يرتجف.



٧ غط قدحاً فارغاً بقطعة من الورق الشفاف مشـدودة الأطراف حول حافة القـدح، كما فى دفة الطبلة، وثبتها بقطعة من المطاط. ضع فى الوسط قطعة من ذات الخمسة قروش، ثم أنظر كم من الثقوب الصغيرة يستطيع لهب سيجارة أن يعملها فى الورقة بدون أن تضعف قوة احتمال الورقة فتسقط قطعـة النقود. (كلما كانت الثقوب صغيرة كان ذلك أوفق، ولكن لكي يمكن عدها يجب أن تنفذ إلى الناحيـة الأخرى من الورقة).

إنه من المستحيل أن يحدد عدد الثقوب المحروقة، وذلك لاختلاف نوع ألياف الورق ولكن العـدد العادى هو بين ٢٠ و ٢٥ ثقباً، واليدالدقيقة هى التى تستطيع أن تعمل ثقوباً منتظمة صغيرة.



قال بحار قديم عرك الدهر، لأحد أصدقائه: لا تفضى بمتاعبك إلى أحد من الناس، فنصفهم لا يعبأ بها والنصف الآخر يغتبط بما تعانى.

حقائق مبددة للأوهام، عن الموقف الحربي في الصين، يجب أن يعرفها كل إنسان

الصين: بين الوهم والحقيقة

هانسون بولدوين

موجز الخطة الحربية الجوية للانتصار في المحيط الهادى، المرتسمة فى عقل الأمريكى العادى هو إرسال الطائرات إلى الصين ثم ضرب اليابان بعد ذلك بالقنابل.

وهو يعتقد أنه متى هزمت ألمانيا، أمكن تحويل الصين فوراً إلى قاعدة طيران ضخمة، يمكن أن تلقى منها القنابل على اليابان حتى تسلم. وهو يخال الجيش الصينى قوة موحدة مجاهدة، ويعتقد أننا متى استعدنا بورما أصبح فى مستطاعنا أن نشحن الذخائر اللازمة لتمكين الصين من الانتصار، والاستيلاء على المطارات التى تحتاج إليها. ويجرى فى وهمه أن الصينيين قد أحرزوا انتصارات باهرة على اليابانيين، أو أنهم يسلكون سبيل النصر فى بطء.

وليست الصين فى حاجة إلى مثل هذا التغرير لإعلاء شأنها، ونحن لا ننكر على الصينيين شجاعتهم وجلدهم الذى لا يتضعضع، واستسلامهم الفلسفى المنقطع النظير، ولكن يجب أن لا يحجب تعديد فضائل الصين عن أبصارنا نواحى الضعف والتخلف. وقبل كل شىء يجب أن لا يقودنا إلى تصور فاسد لخطة الهجوم فى المحيط الهادى.

وليست الصين أمة بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما هى اصطلاح جغرافى. وهى لم تنتصر فى الحرب على اليابان، وليست فى طريق كسب الحرب، ولم تفز فى معارك بالمعنى المألوف وإنما باءت بالهزائم. وهى ليست، فى الوقت الراهن، قاعدة طيران عظيمة يمكن أن تضرب طوكيو منها بالقنابل حتى تخضد شوكتها، ولا يمكن أن تصبح كذلك فى المستقبل، إلا إذا استطاع الحلفاء فتح طرق جديدة عظيمة لإرسال المؤن والذخائر. وليس للصين حتى اليوم جيش بالمعنى الحربى الحديث للكلمة، ومعظم جيوشها سيئة القيادة، عاجزة عن استعمال الأسلحة الحديثة. وهى فى حاجة إلى تدريب طويل

هانسون بولدوين هو المحرر الحربى اللامع لجريدة النيويورك تايمز، وقد نال فى هذه السنة جائزة بوليتزر على سلسلة من المقالات عن خطة الحرب الأمريكية فى المحيط الهادى، وقد كتبها بعد رحلة طويلة زار فيها ساحات القتال.

شاق ، وقادة أكفاء ، يؤلف بينهم الولاء لغاية عامة مشتركة . ولا يوجد اليوم سوى عــدد قليل من أمثال هؤلاء القـادة .

وحقيقة أمر الصين — تلك الحقيقـة المعروفـة للقليلين ولـكنها غـير معروفة للملايين — هى أن موقفها الحربى اليوم سيء ، وأنه كان سيئاً مدة عامين ، وأكبر الظن أنه سيظل كذلك سـنوات قادمة . فاليابان مستولية تقريباً على جميع الأجزاء التى لها قيمة فى الصين ، وعلى كل ما تريد أن يكون فى حيازتها . ولم يرتكب اليابانيون الخطأ الذى وقع فيـه الألمان فى روسيا ، وهو محاولة الحصول على انتصار غير محدود .

ولليابان سيطرة تامة على أسباب الحياة الاقتصادية فى الصين ، وعلى جميع مرافئها ومواصـــلاتها ، وعلى بعض مستودعاتها المعدنية الرئيسية فى الشمال . وقد احتلت فى غضون العامين الأخيرين مساحات شاسعة بغير صـعوبة كبيرة ، وبدون أن تتـكبد خسائر تذكر من الجنود . وهذا الاحتلال على الأرجح قد أجدى على اليابان من الوجهة الاقتصـادية ، بدلا من أن يسـتنزف مواردها . ومن الوجهة الحربية ، أخـذ الضعف يسرع فى الصين وينال منها أكثر مما نال من اليابان .

ولم يخسر اليابانيون معارك فى محاربة الصينيين ، بل هم محتفظـون بدفاع جم الحركة والنشاط ، ويتخذون الصـين فى الوقت نفسه ، ساحة تدريب . وكلما سنحت الفرصة ، شنت الحاميات اليـابانية الغارات التأديبية على الصين غير المحتلة . وقد تصاب هذه الحمـلات فى بعض الأحيان بأضرار جسيمة ، ولـكنها فى العادة تبلغ غايتهـا ، وتفرق شمل القوات الصينية ، وقـد تفقد بعض رجالها ، وقليلا من عتادها ، ثم تعود إلى قواعـدها الأصلية ، بعـد أن تدرب الجيوش تدريباً لا تقدر قيمته .

وليس للبلاغات الصينية قيمة فى الحصول على صورة صادقة . ولو كان اليابانيون قد أصابهـم نصف الخسائر التى عـددها الصينيون ، لقام لنا الآن دليل على التناقص فى عدد رجالهم المحاربين . ويذيع الصينيون أحياناً أنباء معارك لم تحدث ، وهم فى الغالب يبالغون فى أمر المناوشات وحرب العصابات ، ويرفعونها إلى مرتبـة الحملات المنظمة . فى الحـرب الحديثة التى وقعت فى تنجتنج ، لم يقصد اليابانيون على وجه التأكيد — كما جاء فى التقارير الصينية — أن يحاولوا الاستيلاء على شنجكنج ، وإنمـا كان غرضهم الظاهر هو الإقليم الحافل بزراعة الأرز حول بحيرة تنجتنج ، وقـد استولوا على جزء منـه ، وانتهبوا ما به ، وعادوا أدراجهم ؛ ومع

ذلك فإن البلاغ الصينى فسر انسحاب اليابانيين بأنه انتصار عظيم . وهذا كله ليس معناه اليأس وانقطاع الرجاء ، فإن الروح الصينية لم تنهزم بعد . وما دامت الولايات المتحدة تخوض حرب المحيط الهادى بقوة وعزم ، فإنه من المستبعد أن تتمكن اليابان من إرغام الصين على الخروج من الحرب . وليس من المحتمل كذلك أن ينقص اليابانيون عدد قواهم المحتلة نقصاً كبيراً ، ما دامت حرب العصابات الصينية قائمة مستمرة، وما دام لشيانج كاى شك وحكومة شنجكنج أى نفوذ فى الصين المحتلة . وأكبر مساهمة تقدمها الصين للحصول على النصر النهائى ، هى إرغامها اليابان على الاحتفاظ بفرق يتراوح عددها بين ١٥ و٢٢ فرقة — وقد تكون هذه هى ربع القوة البرية اليابانية — وإبقائها مرتهنة بالصين ، وهى مساهمة لا ينبغى أن ننتقص من قيمتها . وإذا أرغمت الصين على الخروج من الحرب، استطاعت اليابان أن تحصر قوتها جميعها لتتقى هجومنا فى البر والبحر .

ولكن الجيوش الصينية الحاضرة لا قبل لها بطرد اليابانيين من الصين ، ومئات الألوف من هذه الجنود إن هى إلا عصابات محاربة ، أو هى جماعات واهية النظام من أتباع بعض القواد الإقليميين . وهم حين ينشطون لا يزيدون على أن يكونوا شوكة فى جسم اليابانيين لاغير .

وقد تدربت فى الهند ، تحت قيادة الجنرال ستلول ، فرقتان أو ثلاث فرق من فلول الجيوش التى حاولت الدفاع عن بورما ، وأمدت بضباط أمريكيين . وهناك جيوش صينية لا بأس بها فى مقاطعة ينان ، قرب حدود بورما ، وعدد آخر قليل من الجيوش حول شنجكنج وبمحاذاة اليانج تسى، ولكن هذه الوحدات أيضاً — مع إمكان استثناء الفرق الهندية — لا تخلو من نقص خطير . فنظامها واه ، وهى لا تراعى اتباع أصول الحركات الحربية ، والأسلحة والعتاد قليلة غير موفورة ، وليست تملك سوى عدد قليل من المدافع ، وسوى دبابات زهيدة ، والقليل القليل من العتاد المصفح ، وأما جلب الذخائر فلا يسير بطريقة منظمة ميسورة . ولا يمكن طرد اليابانيين بمجرد إنشاء سلاح طيران فى الصين ، كما ظن الكثيرون من الأمريكيين . وليس فى التاريخ شاهد يسوغ لنا أن نعتقد بأن قوة الطيران وحدها تستطيع أن ترد عدواً على أعقابه فى مساحة شاسعة متسعة الرقعة مثل الصين المحتلة . تصور مثلا أن قوة سلاح الطيران الألمانى ، تهزم الجيش الروسى بغير استعانة بالجيوش البرية ، أو العكس بالعكس !

وقد أظهرت التجربة بوضوح تام ، أن أنصاف الوسائل ليست كافية لهزيمة اليابان ، وردّ الفرق اليابانية فى الصـين ، التى يربى عـددها على العشرين ، إلى مكان يمكن الولايات المتحدة من استعمال مطارات على مقربة من طوكيو ، يستلزم خلق جيش جرار ، وإنشاء سلاح طيران قوى السطوة فى الصين . ومثل هـذا الجيش لا بد من إمداده بالعتاد ، وشـد أزره بالفنيين الأمريكيين ، وتأييده بالجيوش الأمريكية المجاهدة ، وبغير ذلك لا يتيسر الاحتفاظ بقواعد الطيران . وقد أظهرت الحملة التى قام بها اليابانيون فى السنة الأخيرة ضرورة ذلك ، عقب غارة دوليتـل على طوكيو . فقد كان على دوليتل ورجاله أن يهبطوا إلى المطارات التى أعدها الصينيون فى الأراضى غير المحتلة ، وظل اليابانيون فترة من الزمن يعتقدون — على ما يلوح — أن الطائرات قد أقبلت عليهم من هذه الساحات . ونظم اليـابانيون إحـدى حمـلاتهم التأديبية ، وتغلغلوا بسهولة فى الحدود الصينية ، وأتلفوا المطار ، وعادوا أدراجهم إلى قواعـدهم الأصـلية . فإذا بدىء الآن بضرب طوكيو بالقنابل ضرباً منظماً ، أو إذا أراد سلاح الطيران الأمريكى ، تحت قيادة الجـنرال شنولت ، ان يصبح دائم التهديد لخطوط التموين اليابانية ، فإن العـدو سيبادر فى الحـال إلى التحرك للاستيلاء على قواعـد الطيران . والقوة الحربية فى الصين قليلة لا تقوى على مدافعتهم .

ولـكن المشكلة الحقيقية ، تلك المشكلة التى يشق التغلب عليها ، هى مشكلة التموين . والصين فى الواقع منعزلة عن سائر العالم ، والطريق العملى الوحيد لتموينها فى الوقت الراهن هو الطريق الجوى من الهند فوق جبال الهمالايا . والصعوبات التى تـكتنفه لا يكاد يمكن تصورها . فلا بد للطائرات من أن تحمل من البنزين ما يكفى لهـذه الرحلة ذهاباً وإياباً ، وهى تحلق على ارتفاع يتدرج من ١٦٠٠٠ قـدم إلى ٢٤٠٠٠ قـدم ، وذلك يقتضى نقص حمولتها ، وحالات الجو — وبخاصة فى فصل الرياح الموسمية — مما يشق احتماله ، فالسماء مليئة بكسف من السحب والأمطار ، والرياح عالية ، والرؤية صعبة . والطائرات اليابانية تهدد باستمرار مواصلاتنا

ولـكن برغم ذلك كله تمكنت قيادة طيران المواصلات ، واتحاد الطيران القومى الصينى، من إنشاء مواصلات جوية مستديمة إلى الصين ، وذلك بعد بذل مجهود جبار . ومن المحتمل أن ينقل الطريق الجوى الآن من الأطنان ثلث ما كان ينقل بطريق بورما

وهو الذى كان متوسط ما ينقل به يومياً ٢٠٠ طن ، وهذا المقدار يزداد بالتدريج .
ولكن حتى لو استطاعت المواصلات الجوية أن تزيد قدرتها وتقوم بنقل ثلاثة أضعاف ما كان ينقل عن طريق بورما ، فإن ذلك لا يكفى لتموين جيش برى . فالفرقة الواحدة من الجيش البرى تستهلك فى إبان المعركة نحو سبعمائة طن من الذخائر فى اليوم الواحد .

ولا يتيسر حل مسألة التموين باسترداد طريق بورما ، وهو نفسه مشكلة كبرى . لا يستطيع الحلفاء ، على أحسن تقدير ، أكثر من مضاعفة ما كان ينقل عن طريق بورما ، أو البلوغ به إلى ثلاثة أمثاله . ولكن نقل ستمائة طن يومياً ستكون غير كافية من جميع النواحى لتموين حملة لطرد اليابانيين من الصين . وفضلا عن ذلك فإن نقل الدبابات المتوسطة ، أو المدافع الثقيلة أو المتوسطة ، غير ميسور لا عن طريق الجو ، ولا عن طريق بورما .

وقبل أن تتخذ الصين قاعدة لحملة ظافرة إلى اليابان ، يجب إيجاد طرق أخرى لدخول الصين . وقد أصبحت جميع مرافئها على الشاطىء الشرقى مثل كانتون — التى كانت تدخل من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ طن من الذخائر يومياً — فى أيدى اليابانيين . ولا أمل فى استردادها إلا بغزوة هائلة من البر والبحر . وقد وضعت خطة لعمل كثير من السكك الحديدية ، ولكن قبل البدء فى عملها يجب أن نكون قد استعدنا بورما ، أو شبه جزيرة الملايو ، وتيلاند ، والهند الصينية الفرنسية . ويستطيع اليابانيون أن يثبتوا لنا سنوات فى تلك الفلوات الفسيحة المتلئة بالأبخرة . وهناك طرق كثيرة إلى طوكيو ، ولكن طريق الصين أصعبها منالا وأشقها — وهو طريق كثير المنعطفات .

ومراكز الدول المتحدة تحيط الآن بما استولت عليه اليابان . والخطوة التالية هى إحكام تلك الحلقة ، وينبغى مهاجمة المعقل اليابانى من جهات عدة : من أستراليا ، ومن جزائر سليمان ، ومن جزائر ألوشيان ، ومن الهند ، ومن الصين ، بل من الروسيا فى النهاية ، ولكن المجهود الرئيسى ينبغى أن يكون فى الناحية الغربية من هواى وميدواى — فهذا يعد بمنزلة الضربة المباشرة إلى قلب اليابان .

وستقوم الصين بدورها النبيل فى تنفيذ خطة التطويق هذه ، ولكن انتظارنا من الصين أن تقوم بالدور الحاسم والنصيب الرئيسى ، هو من المسائل التى تنطوى على وهم قد يفضى إلى كارثة .

قتيل غواني باريس

ر. ب. ميلر
من كتابه : « لم أجد راحة »

ربما كانت أفظع شخصية فى تاريخ الإجرام الحديث هى شخصية هنرى ديزيريه لاندرو ، الذى رأيت رأسه يقطع فى فجر ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ . كانت قد ثبتت عليه جريمة قتل عشر نساء وصبى ، قتلا عمداً مع سبق الاصرار ، إذ قطعهم إرباً إرباً وأحرقهم فى فرن مطبخه فى فيلا جامبيه على مقربة من فرساى . كما ثبت أنه كان عشيقاً لمائتين وثلاث وثمانين امرأة !

ظل لاندرو أكثر من خمسة أعوام يزاول بانتظام حرفته الرهيبة ، وهى إيقاع النساء فى حبائل غرامه ثم ذبحهن . وكان أقارب « خطيباته » يسرعون فيبلغون البوليس أنباء اختفائهن بطريقة يحوطها الإبهام والغموض ، إلا أن الوقائع واسم المتهم كانت تختلف فى كل مرة عنها فى غيرها ، ولم يجد البوليس دليلا يهتدى به إلى سر كل جريمة ، ولم يربط بين حوادث الاختفاء هذه باعتبارها جرائم رجل واحد . وكان تفكك الحياة المدنية خلال الحرب عنصراً مواتياً لخطط لاندرو وتدبيراته ، فقد كان أزواج كثير من النساء يقاتلون فى الميدان ، أما اللواتى قتل أزواجهن، فقد غلبت عليهن اللهفة إلى سماع كلمات الوعود بالزواج . ثم حدث بمحض المصادفة فى أبريل سنة ١٩١٩ أن لمحت أخت إحدى « الخطيبات » المختفيات شخصية لاندرو فى باريس ، وتبعته إلى شقته ، ثم أخطرت البوليس ، فاعتقلوه وهم لا يدركون حينئذ أنهم ظفروا بحادث من أعظم حوادث الإجرام فى باريس .

وقد بدأت القصة العجيبة كلها فى الطريق إلى المحطة ، حينما ضبط البوليس السرى لاندرو وهو يحاول أن يطوح بمفكرة صغيرة الحجم ، كانت تحتوى مفتاح سلسلة جرائمه المدهشة بأجمعها . وكانت تبدو كأنها مذكرات خاصة بصفقات تجارية . وقد ظل أمرها لغزاً حتى قارن البوليس بين أسماء النساء المقيدة فيها وبين أسماء عشرات النساء المختفيات منذ سنة ١٩١٥ ، فتبين أن عشرة منها متفقة ومنطبقة .

وعندئذ جمع البوليس أطراف مأساة عجيبة . فقد عرف أن لاندرو كان يقيم فى أحد عشر مكاناً فى باريس ، وكان يتسمى بما لا يقل عن خمسة عشر اسماً من مختلف الأسماء ، وكان فى بعض الأحيان يستعير اسم فريسته السابقة . كان والده باريسياً

عترماً من رجال الأعمال ، جن فى أواخر حياته ، ثم انتحر . وكان لاندرو فى شبابه مجتهداً ، ذكياً ، طبيعياً لا شـذوذ فيه ، ولـكنه حين بلغ طور الرجولة بدت عليه نزعات من الإجرام ، وحكم عليه بالسجن مدتين قصيرتين لاختلاسات بسيطة . ثم خطر له حوالى سنة ١٩١٤ أن يحترف مغازلة النساء بالجملة ! واستطاع بطريق إعلانات الزواج ، وعروض شراء الأثاث، أن يتصل بمئات من النساء، ويصطنع الوله والهيام بكل واحدة منهن ، ويظهر أنه اقتصر فى مبدأ الأمر على الاحتيال على ضحاياه المدلهات .

وكانت مغازلات هنرى ديزيريه حارة باهرة ، يستطيع المفاتحة فى الزواج من اللقاء الثانى أو الثالث . ودلت مذكراته اليومية على أنه كان يغازل سبع نساء فى وقت واحد ، يبادلهن رسـائل الغرام الملتهبة العاطفة ، يكتب كتب الحب بالعشرات ! وقد وجدت ، « الفيلا » التى يسكنها حزمة من تلك كتب مهيأة للاستعمال !

وفى أثناء ذلك كان لاندرو يحتفظ ببيت مستقل لزوجته وابنه ، وكان زوجاً طيباً رب أسرة يعرف واجبه، وكان يسمى رحلاته المتعددة إلى (الفيلا) « رحلات للعمل » . لم تكن زوجته ولا ولده يعلمان شيئاً عن عمله ، وكثيراً ما كانا يساعدانه ، من حيث لا يدريان فى التخلص من متاع ضحاياه .

كانت محاكمة لاندرو فى أواخر سنة ١٩٢١ التى لا تنسى ، وقد جاءت باريس كلها تقتحم الأبواب ، وظل لاندرو محتفظاً بوقاره ورباطة جأشه . وكان يبتسم عند استجوابه ابتسامة السخرية ويقول: « ان المسألة تتعلق بالشرف . وأنا لا أقبـل ثم أذيع وأفضح » . وقد أرسل يوماً فى طلب القاضى ، قائلا إن ضميره يؤنبه وإنه يريد أن يتكلم . وأخيراً جاء يوم المحاكمة وانتظروا أن يعترف لاندرو ، ولـكنه تنهد أمام القاضى ثم قال : « لا بد لى من أن أصارحك بأنى أشعر بوخز الضمير بسبب ٢٨٣ خيانة التى خنت بها زوجتى » ! وطارت الحكاية فى أرجاء المحـكمة بين ضجات الضاحكين .

على أن المحاكمة كشفت الستار يوماً بعد يوم عن معنى العبارات الرمزية التى تضمنتها « مفكرة » الموت . وكان أول ما كشف اسم الأرملة المحترمة « كوشيه » التى عرفها لاندرو بواسطة إعلان بطلب الزواج ، وبعد مغازلة غرامية عاصفة ، ذهبت لتقيم معه ، فى فيلا جامبيه المشئومة فى فيرنويه ، تحت تأثير الوعد بالزواج . ثم جاءت العبارة الجافة : « رحلة واحدة للنزهة ، تذكرتان إلى فيرنويه » ، ومعها بيان النفقات . . وقد اختفت مدام كوشيه من ذلك اليوم

عن وجه الأرض ، ومعها ولدها الذى يبلغ السابعة عشرة من عمره . وقد وجد بعض أثاثها فى شقة زوجة لاندرو ، وكانت زوجته وخطيبة ابنهما تتحليان ببعض جواهر مدام كوشيه يوم قبض على لاندرو .

كانت عبارات « المفكرة » تسجل فى انتظام ممل عبارة : «رحلة» مشئومة إلى «فيرنويه» . ثم يعقبها اختفاء فريسة جديدة وكان معظمهن من الأرامل ، ولكن إحداهن كانت فتاة فى التاسعة عشرة من العمر . ولما قبض على لاندرو كانت فتاة جذابة فى التاسعة والعشرين من العمر تدعى « فرناند سيجريه » تلبس «خاتم الموت» ، وهو خاتم الخطوبة الذى استعمله لاندرو قبل ذلك مع تسع خطيبات . وكان فى الوقت ذاته خطيباً لفتاة أخرى تدعى «جان فالك» ، اقترض منها ألفين من الفرنكات .

وبالرغم مما علمته «مدموازيل سيجريه» من أنها أفلتت من مصير عشر قبلها ، فقد رفضت أن تشهد ضده وقالت : « إنه كان دائم المحبة لى والاحترام وقد كنت أحبه وأعتزم أن أتزوجه » . وفى أثناء المحاكمة كانت تتفادى نظرته ، فلما نظرت إليه آخر الأمر سقطت مغشياً عليها فى كرسى الشهود.

وقد اجتمعت عليه قرائن كثيرة ، فقد استخرج عالم مشهور فى الطب الشرعى ٢٥٦ قطعة من العظام البشرية من رماد فرن « ڤيلا جامبيه » ، وقرر أنها من عظام ثلاث جثث على الأقل . وشهد خبير آخر بأن الهباب العالق بالمدخنة يحتوى على نسبة كبيرة من الشحم . وعثر فى صندوق للرماد على أجزاء من مشدات وأزرار من ملابس النساء ، ووجدت فى إحدى الخزائن عشرات من الزجاجات التى كانت ملأى بالسوائل التى تذيب النسيج . وقرر الجيران أنهم كانوا يرون فى أكثر الأحيان سحاباً كثيفاً من دخان منتن خارجاً من الڤيلا الرهيبة.

وقد اعترف العلماء والإخصائيون فى الأمراض العقلية الذين فحصوا لاندرو بأنهم عاجزون عن إدراك السر فى جاذبيته الغريبة للنساء . فإذا استثنيت عيناه المدهشتان الكبيرتان اللتان تشبهان عيون الأفاعى فى الثبات والحدة والبريق ، لم يكن فى مظهر وجهه ما يمكن أن يفسر تلك الجاذبية . وقد كان فى الخامسة والخمسين من عمره ، متوسط البنية ، يضرب لون بشرته إلى الصفرة . وكانت الظاهرة الوحيدة ، التى تطالع المرء فيه لأول وهلة، هى رأسه الأصلع البديع التكوين، ولحيته الأشورية التى كان يغالى فى الاعتزاز بها .

وقد حكم على هنرى ديزيريه لاندرو بأن

تقطع رأسه أمام سجن فرساي في فجر ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢

وفي نحو الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم جاء نبأ بأن أناتول ديبليه ، الجلاد المشهور ، قد حضر ومعه مقصلته ، فأسرعنا إلى السجن . وضرب أربعمائة جندي نطاقاً على طرفي الشارع ، فلم يسمح بالمرور لغير حاملي التذاكر المختومة . وكان الضوء الوحيد حينئذ ، وهم يحكمون ربط الآلة الرهيبة ، هو ضوء مصابيح الشارع الكهربائية القليلة ، وفوانيس العمال القديمة ذات الذبالات المترنحة .

وقد استدار حول المقصلة نحو مائة موظف وصحفي ، وكنت أنا على بعد ١٥ قدماً منها . وجاء نبأ من السجن بأن لاندرو ، وكانت لحيته الطويلة السوداء قد قصت ، يطلب أن تحلق ذقنه ، ويقول « إن ذلك يسر السيدات » ، وكان يلبس قميصاً نزعت منه «ياقته» ، وتحته سراويل رخيصة قاتمة ، ولا ينتعل حذاء ولا جوربا .

ولم يكد ينبلج الفجر القارس البرد ، حتى وصلت عربة كبيرة تجرها الخيل ووقفت مستديرة على بضع أقدام من المقصلة . فنزع منها مساعدو (ديبليه) سلتين من الخوص ، ووضعوا المستديرة الصغيرة منهما أمام الآلة تحت مسقط الرأس بعد قطعه ، ووضعوا الكبيرة التي تشبه النعش قريبة من المقصلة.

وعلى حين فجأة فتحت بوابات السجن الخشبية الكبيرة ، وظهرت منها ثلاثة أشباح تمشي مسرعة : رجلان من السجانين عن يمين لاندرو وشماله ، وقد أمسكا بذراعيه المشدودتين إلى ظهره ، وهما يسندانه ويدفعانه أمامهما ، ويسيران بأقصى مايستطيعان . وكانت قدماه الحافيتان تلطمان البلاط البارد لطما مسموعاً ، وكأنما تعطلت ركبتاه عن الحراك . وكان وجهه أبيض بياض الشمع ، فلما رأى الآلة المخيفة اربدّ وجهه وازرقّ

وسرعان ما ردّ السجانون وجه لاندرو إلى أسفل تحت طوق المقصلة ، وفي طرفة عين هوت السكين ، وسقطت الرأس في السلة ، وكان لسقطتها هدّة شديدة . وبينما كان أحد المساعدين يرفع الآلة المعلقة ويطوي الجثة المبتورة الرأس في السلة الكبيرة المستطيلة إذ انبجست منها الدماء دافقة بشعة المنظر .

وأمسك أحد الحراس الواقفين عند الآلة بالسلة التي فيها الرأس ، ورمى بها كالكرنبة في السلة الكبرى ، وساعد في الإسراع بنقلها إلى العربة المنتظرة . وأغلقت أبواب العربة ، وانطلقت الخيل حين مستها السياط ووثبت في طريقها وثباً ، ولم تمض على لاندرو منذ ظهر في فناء السجن ، سوى ٢٦ ثانية !

العلم ينظر إلى السماء (١)

بروس بليفن

يتخذ البشر أساليب كثيرة لينقبوا عن أمر ما يحيط بهم من ظواهر الطبيعة ، ولكن ليس بين العلوم علم يحدث في النفس من الشعور بالعظمة — والضعة أيضاً — ما يحدثه علم الفلك . وقد قطع العلم في هذا الميدان شوطاً بعيداً . فأصبحنا نعلم :

أن الكون أرحب وأعظم مما كنا نتخيل منذ سنوات قلائل ، حتى نكاد ننكر ما وصل إليه العلم .

أن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة، كأنما قد بعثرها انفجار هائل .

وأن سماءنا ذات النجوم ما هي إلا واحدة على الأقل من ملايين أمثالها من المجموعات النجمية المنتشرة في الفضاء في جميع الأنحاء .

وفي السماء ستة آلاف نجم يمكن أن تراها العين المجردة ، ولكنها لا ترى إلا نصفها فقط في أي وقت من الأوقات . وقد انتهى رأي علماء الفلك إلى أن مجموعتنا النجمية قد تشتمل على مائة بليون من النجوم ، بعضها أصغر كثيراً من شمسنا ، وبعضها أكبر منها أضعافاً مضاعفة . وهذه المجموعة النجمية ، التي يسميها علماء الفلك « المجرة » هي من الضخامة والسعة بحيث يقضي شعاع الضوء الذي ينتقل بسرعة ١٨٦٫٠٠٠ ميل في الثانية — مائة ألف سنة في مسيره من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر .

وتستطيع أن تتصور شكل « المجرة » التي تنتسب إليها أرضنا ، كأنها غطاء ساعة من البلور الغليظ . وموقع الشمس منها في مكان عقرب الثواني الصغير ، على بعد ثلث المسافة ما بين الحافة والمركز . ومن حول هذه الشمس نظام كواكبنا السيارة ، وليس لنظامها ، فيما نعلم ، نظير في سائر الكون . وتبلغ المجرة مبلغاً هائلا من الضخامة ، كما تبلغ كواكبنا السيارة وسياراتها ، بالنسبة إليها ، مبلغاً من الضآلة . فلو تصورنا أنها حقيقة في حجم بلورة الساعة ، فإن الكواكب السيارة ، بل الشمس نفسها ، لا يمكن رؤيتها ، ولو استعنا على ذلك بالمجهر .

ويظن كثير من الناس أن ما بين النجوم فضاء تام ، والحقيقة أن ذلك الجزء الفضائي من الكون ممتلئ بأنواع مختلفة من المواد مثل الغازات والغبار وشتات من مواد مختلفة وفي السماء سحب غازية تسبح في الفضاء يبلغ قطر كل منها نحو ٢٠٠ سنة ضوئية

والنجوم تختلف في الكثافة اختلافاً كبيراً ، فبعضها يتركب من غازات لطيفة غاية فى اللطف ، حتى ليخيل إلينا أنها مجرد فراغ ، وبعضها كثيف ، أشد كثافة من أرضنا هذه . وبعض الأجرام السماوية خفيف بالغ الخفة ، ولهذا تكون قوة الجاذبية على سطحه ضعيفة جداً ، حتى ليستطيع شخص خفيف الحركة أن يقفز فوقه مئات من الأمتار . وثمة أخرى ثقيلة جداً حتى إن البوصة المكعبة من الحديد فيها تزن مائة طن .

ومن وراء المجرة التي نحن فيها وعلى بعد أعظم مما يستطيع العقل البشرى أن يتصوره ، مجرات أخرى ، وهى ليست بعيدة عنا فحسب ، بل بعضها بعيد أيضاً عن البعض الآخر أعظم البعد . . وقد أصبح معروفاً على وجه التحقيق وجود مائة ألف أو أكثر من هذه المجرات ، وهنالك نحو ٥٠٠٠٠٠٠ مجرة أخرى تحت المراقبة ، كما يقول الفلكيون . ومعنى هذا أننا لو استخدمنا آلة أكبر وأدق ، لاستطعنا أن نضيف هذا العدد إلى ما نعرف وجوده على التحقيق . ولن يمضى عامان أو ثلاثة حتى يكون المنظار الجديد الذى قطر مرآته ٢٠٠ بوصة ، قد تم تركيبه في مرصد مونت بالومار ، بكاليفورنيا ، وهو أغلى آلة بناها الإنسان والمفروض أن هذا المنظار سيضاعف المسافة التى يمكن أن يمتد إليها البصر . فتتسع أمامنا حدود الكون المرئية إلى مدى بعيد جداً .

وبين النجوم مجموعات يسميها علماء الفلك « النجوم المتغيرة » ، وهى نجوم يشتد لألاؤها ثم تعود فتخبو بدقة وانتظام . ولكل نجم منها نظامه الخاص . فبعضها يتم خفقته (دورته الضوئية) فى ساعات قلائل أو يوم واحد ، وبعضها يستغرق أشهراً أو سنة أو أكثر .

ويكثر على فترات ، أن يتلألأ فى السماء بغتة نجم ، فيزداد إشراقه ازدياداً عظيما ، والظاهر أن النجم فى هذه الحالة ينفجر ، ويقذف إلى ارتفاع هائل ، سحباً من الأبخرة متوهجة أو ذوات إشعاع . والغالب أن النجم الذى ينفجر على هذه الصورة كان قبل ذلك مختفياً لا يرى ، ولذلك توهمه بعضهم نجماً قد تخلق وظهر فجأة بطريقة من الطرق . أما الآن فنحن نعلم أن النجم « الوليد » ما هو إلا تضخم شىء كان موجوداً من قبل ، والأرجح أنه لن يلبث طويلا حتى يعود إلى حالته الأولى . ومع ذلك فإن الفلكيين لا يزالون يسمون هذه النجوم المتفجرة « نوفا » ، أى الشىء الجديد .

والعادة أن يكون هذا « النجم الجديد » المتوسط أشد لمعاناً من الشمس بنحو

٢٠٠,٠٠٠ مرة . أما النجم الجديد الضخم أو « سوبر نوڤا » — وهو الذى ينفجر انفجاراً هائلا — فيكون أشـد لمعاناً من الشمس آلاف الملايين من المرات . بل قد يبلغ إشراقه — لوقت معـــلوم — ما يعادل إشراق مجرة بأكلها . وذلك كان شـأن « السوبر نوڤا » الذى ظهر فى كل من عامى ١٦٠٤ و ١٧٥٢

وقد استطعنا بمناظيرنا القوية وبآلات الرصد الجديدة، أن ندرس النجوم المتفجرة فى مجرات أخرى بعيدة عن مجرتنا . وفى السنوات الخمس الأخـيرة شوهد ما لايقل عن ٢٠ انفجاراً عنيفاً من هـذا النوع .

كان بعض التقدم المدهش فى علم الفلك نتيجة لاستخدام وسيلة تعدّ ، فى أبسط أشكالها ، لعبة مما يلهو به الأطفال . فإنك إذا وضعت منشوراً (بلورة مثلثة) على حافة النافذة فى ضوء الشمس المشرقة ، فإنه يعكس على الجدار مجموعة من ألوان قوس قزح . وهذه الألوان (الطيف الشمسى) تظهر دائما مرتبــة على نسق لا يتغير من البنفسجى إلى الأحمر . وكل لون منها تمثله أمواج ضوئيـــة من أطوال مختلفة ، فيلقى المنشور هــذه الألوان مصنفة طبقاً لهـذا الاختلاف فى طول الأمواج الضوئية .

والعناصر الطبيعية على اختلافها ترمى بإشعاعها فى أمواج مختلفة الطول ، ولذلك صار من الممكن بمعونة المطياف (جهاز تحليل الطيف ودراسته) ، أن نحدد نوع العناصر الكيميائية التى تتمثل فى أى جسم يرسل شعاعاً من الضوء . وبهذه الوسيلة يستطيع الفلكيون أن يثبتوا لنا على وجه التحقيق أن معظم العناصر الأساسـية التى نجدها فى أرضنا — البالغ عـددها ٩٢ — موجودة فى جميع الأجرام السماوية، فى كل ناحية من النواحى ، حتى لقد عرف وجود أحد هذه العناصر فى بعض النجوم ، قبل أن يعرف وجوده على الأرض ، فمادة الهليوم ، قد اكتشفت أولا فى الشمس .

وقد يسر التحليل الطيفى للعلماء أن يقرروا درجة حرارة النجوم، حتى استطاعوا أن يقرروا درجة حرارة النجوم البعيدة وذلك لأن الإشعاع المنبعث من جسم متوهج يختلف باختلاف درجة الحرارة ، فهو يبدأ بلون أحمر ، ثم يمضى من الأصفر والأبيض إلى الأزرق ، وبذلك يجارى بوجـه عام ترتيب الألوان فى الطيف . ودرجة حرارة سطح الشمس تبلغ نحو ٦٠٠٠ درجة مئوية أو ١٠٨٠٠ بمقياس فهرنهيت . أما درجة حرارة باطنها فربما ارتفعت إلى أربعين مليوناً بالمقياس المئوى .

وحين ينفجر نجم على بعد ملايين الملايين

، الأميال ، فإننا لا نجد فيه شيئاً إلا أنه ظر من مناظر السماء . أما إذا حل مثل ا الخطب بشمسنا — وليس بينها وبيننا ى ٩٣ مليوناً من الأميال — فإن هذا ون الكارثة القاضية على الإنسان وعلى يع أعماله . فلا تكاد تصل إلينا أول جة من الحرارة والإشعاع المنبعثة من شمس (وذلك فى ثمانى دقائق ونصف يقة) ، حتى يهلك ، بمرة واحدة ، كل ئ حى فى الهواء والأرض والبحار ، يحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة ائلة ، فما ندرى ماذا دهى الأرض فدكها ة واحدة !

فما مبلغ احتمال وقوع مثل هذه الكارثة ؟ لنذكر أولا أشد الفروض هولاً : فمن حتمل أكبر احتمال أن شمسنا قد انفجرت ن قبل ، أو أنها ستنفجر مرة أخرى زمن وجودها . ومثل هذا الانفجار شمسنا سيكون من قبيل الظاهرة عروفة باسم « نوفا » ، ولا يحتمل أن كون انفجارها من قبيل ظاهرة انفجار السوبر نوفا » .

والواقع أنه ليس من الضرورى أن نفجر الشمس لكى يقضى على جميع مظاهر لحياة ، بل قد يكفى أن يتغير إشعاع الشمس مقدار لا يتجاوز واحداً فى المائة زيادة أو نقصاً . وسيكون هذا ، فى الغالب ، قبل أن تبلغ الشمس نهاية بقائها بزمن طويل . ولا بد يوماً ما ، من أن تصبح الشمس باردة برودة تصير فيها الحياة على سطح الأرض أمراً مستحيلا ، حتى ولو بقيت الشمس بعد ذلك مضيئة ملايين السنين .

فإذا فكرنا فى الخطر الذى قد ينجم عن تقلبات تعترى الشمس، فتهلك بسببها الأرض ومن عليها فى دقائق أو ساعات معدودة ، فإنه لما يهدئ بالنا ، أن نذكر أن الشمس والكواكب السيارة التى تدور حولها ، جميعاً ، حديثة العمر بحسب التقدير الفلكى . فإن الكواكب السيارة لا يزيد عمرها كثيراً عن ثلاثة آلاف مليون من السنين، وبعض الفلكيين يرى أن عمر الشمس قد يكون قريباً من هذا . وأكبر الظن أن متوسط عمر نجم عادى مثل الشمس قد يبلغ ١٢ ألف مليوناً من السنين ، فيكون أمامها فسحة من العمر تبلغ ٩ أو ١٠ آلاف مليون من السنين . فإذا ترجمنا هذا إلى ما يقابله من العمر البشرى ، كانت الشمس اليوم مثل صبى فى الثانية عشرة من عمره .

إن الطاقة التى تشعها الشمس ، تنبعث فى كل اتجاه ، وليس نصيب الأرض منها سوى جزء ضئيل . وبرغم ذلك ، فإن هذا الجزء الضئيل يعادل تقريباً قوة خمسة ملايين

حصان لكل ميل مربع من سطح الأرض ، فى اليـوم الواحد . فالشمس تعطينـا من الطاقة فى كل دقيقة ، مقدار ما يستخدمه الإنسان فى عام كامل . ونحن الآن نستخدم تلك الطاقة بطريق غير مباشر ، وهى لنا ، فى النهاية، المصدر الوحيد للقوة . فالفحم يمثل التفاعل الكيميائى ، الذى أحدثته الشمس فى النبات الأخضر منـذ مئات الآلاف من السنين . وقوة سقوط الماء ما هى إلا أثر مما أحدثته أشعة الشمس من تبخر الماء وإسقاطه أمطاراً . وحتى طواحين الهواء ، إنما تدور بتيارات هوائيـة حركها اختـلاف درجة حرارة الشمس فى أمكنة مختلفة . وسيأتى يوم نستطيع فيه أن نسخر بطريق مباشر هذه القوة الهائلة ، التى تصدر عنها كل هذه الطاقة .

ولعل أروع كشف فى تاريخ الفلك كله ، هو الشىء المعروف باسم «الانتقال الأحمر» . فهذا النوع من التحليل الطيفى قد يصعب فهمه ، ولكن ليس من الصعب استخدامه . وفحواه أننـا إذا ما حللنا طيف نجم مضىء آخذ فى الابتعاد ، وجدنا أن خطوط طيفه تنتقل نحو طرف الناحيـة الحمراء من الطيف. وقد تمكن العلماء، بعمليات رياضية معقدة طويلة ، من أن يقرروا أبعاد النجوم وسرعتها ، وجرمها ، بالاستناد إلى هـذا الانتقال . فإذا درسنا المجرات البعيدة تبين لنا أمر يدهشنا كل الدهشة ، وهو أن هذه المجرات تبدو آخذة فى الابتعاد عنا ، مندفعة فى الفضاء بسرعة هائلة قد تبلغ ٤٠٠٠ ميل فى الثانية . ويبدو علاوة على هـذا أنها كلما ازدادت بعـــداً ازدادت سرعة اندفاعها . هـذه هى الفكرة المفزعة التى أظهرها البحث فى السنين الأخيـرة ، عن عالم آخذ فى التمدد والانتشار بسرعة هائلة .

إن الكون كله بنجومه مختلفة الأحجام التى لا حصر لها ، والتى تندفع فى جميع الاتجاهات كأنها شـظايا قنبلة منفجرة ، صورة لا يكاد المرء يتخيلها حتى يدركه البهر وتتقطع أنفاسه . ولكن يبدو لى أن الأجدر بأن يبهر ويقطع الأنفاس هو رؤية هـذا الحيوان البشرى الضئيل الذى يعيش على شـظية من شظايا نجم صغير ، فى زاوية حقـيرة من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من أمثالها هـذا الحيوان يجرؤ على أن يسمو ببصره إلى أطراف الفضاء النهائية بجرؤ فيتحـدى ، ثم يجرؤ فيستولى على سر الكون .



لروح التى جعلت سيدة جريئة تبدأ
حياتها من جديد فى سن السبعين

جدة فى الثالثة والثمانين
فنانة هوليوود

فرانك تايلور

ملخصة عن «مجلة فرانك تايلور»



إن أعجب شخصية بين كواكب هوليوود ، « أدلين دى والت رينولدز » ، وهى بدة قصيرة القامة ، زرقاء العينين ، ذات ر فضى مجموم ، وقد ظهرت فى عالم السينما سن الثمانين . والآن وقد اقتربت من الثة والثمانين ، نجدها أحب الممثلين إلى وس المشتغلين بصناعة السينما . وهى تمرض ، ولا تذهب متأخرة إلى استوديو ، كما أنها أسرع فى حفظ أدوارها ن الممثلين الشبان . وهى كالطائر الغرّيد ، فيفة الحركة ، تبعث فى النفس البهجة . يقرب دخلها السنوى من مائة ألف دولار كلما صرفت شيكا خصم منه مبلغ للمعاش بجرت قائلة : « أأنا أتقاعد عن عملى ؟ إن عتزال العمل فكرة سخيفة ! ومن الواجب ى الإنسان أن يحتفظ بخير سنوات حياته باشر العمل الذى كانت نفسه تصبو إليه » .

وقد قالت لى : « إننى بدأت حياتى من جديد فى سن السبعين » . ولما بلغت هذه المرحلة المهمة من حياتها ، نالت درجات ممتازة حين تخرجها من جامعة كاليفورنيا .

وقد ولدت وترعرعت فى عزبة فى ولاية أمريكية ، فكانت تذرّى الحصاد ، وتحلب البقر ، وتسوق المواشى ، وتقوم بأعمال الرجال . ثم سوّلت لأبيها أن يسمح لها بالذهاب إلى مدرسة إعدادية فى بليرسون ، أقرب المدن إلى قريتهم ، غير أنها قابلت هناك فرانك رينولدز وفرت معه فتزوجا .

وبعد ذلك بسنوات قليلة رحل الزوجان الشابان وطفلاهما إلى بوسطن ، وأخذت مسز رينولدز تتعلم التمثيل فى معهد نيو إنجلند للموسيقى والإلقاء . ولقد أثار إلقاؤها لرواية شكسبير « الليلة الثانية عشرة » ، فى نفوس معلميها ، إعجاباً دعاهم إلى إرسالها إلى المدير الفنى لأعمال الممثل الإنجليزى المشهور السير

هنرى ارفنج . فقدم لها دوراً وألح عليها أن تنضم إلى فرقة تمثيلية إذا شاءت أن تنجح فى حياتها الفنية . وقال لها : «وفى وسعك أن تعهدى فى شئون أطفالك إلى غيرك » .

وبرغم هذه الفرصة النادرة التى سنحت لها ، فقد عزمت على تربية أولادها أولا . ولقد شغلتها هذه المهمة مدى حياتها . وقد توفى زوجها سنة ١٩٠٠ أثناء إقامتهم فى كاليفورنيا ، وخلف وراءه أربعة أطفال ، ولم يترك لهم ثروة . فاضطرت مسز رينولدز أن تتعلم الاختزال لكى تعول أولادها . ولكنها حين أخذت تبحث عن عمل قيل لها : « إنك كبيرة السن » .

ولما هالتها فكرة تقدمها فى السن ، وهى لا تزال فى سن الأربعين ، افتتحت هى وصديق لها مكتباً عاماً للاختزال ، وجعل عدد روّاده يزداد بالتدريج . وفى ذات يوم من سنة ١٩٠٦ دفعت آخر قسط من ثمن منزل جديد . وفى صباح اليوم التالى حدث زلزال سان فرنسسكو ، واندلعت فيها النيران فلم يبق لمكتبها ولا لمنزلها أثر . وقد قضت هى وأطفالها الأسبوعين التاليين لهذا الحادث فى خيمة للجنود ، ثم ارتحلت بعد ذلك إلى بركلى ، وأنشأت مدرسة لتعليم أعمال السكرتارية . وقبل مضى بضع سنوات استطاعت أن تشترى منزلا آخر .

وكانت مسز رينولدز فى السادسة والستين عند ما نالت ابنتها درجة «أستاذة» فقالت حينئذ : « لقد جاء دورى الآن فى الذهاب إلى الجامعة» . وقد دبرت أمرها للحصول على مصروفاتها الدراسية من الكتابة على الآلة الكاتبة لزملائها الطلبة ، ثم نالت إجازاتها سنة ١٩٣٠ . وفى هذا الوقت كانت قد أصبحت جدة لعدة أحفاد ، ولكنها مع ذلك لم تتوان عن الالتحاق بمعهد عال للتمثيل ، وتقدمت للامتحان لتلقى دروسها فى قاعة الأستاذ شارل فون نيوماير ، وكان الامتحان قراءة من شعر شكسبير ، فقرأت « الليلة الثانية عشرة » ، كما قرأتها قبل أربعين سنة حين كانت فى بوسطن ، فكانت فى مقدمة العشرين المقبولين . ثم أخذت تعلم الطلبة اللغة الفرنسية لتكسب مصاريف دراستها . وقد حصلت على درجة الأستاذية حين بلغت الثانية والسبعين ، ثم مثلت مع فرقة سان فرنسسكو لتكتسب خبرة فى فنها . وفى سنة ١٩٤٠ أحست بأنها مستعدة كل الاستعداد لاقتحام هوليوود . وهناك انتظرت أياماً فى مكاتب التعيين ، «ولم ينظر أحد إلى العجوز نظرة جدية» كما تقول هى .

وفى نهاية الأمر قدمت طلباً إلى جمعية التعاون المسرحى فى هوليوود ، وهى الجمعية التى أظهرت كثيراً من ممثلى السينما الناجحين

ان المدير فى حاجة إلى عجوز لتقوم بدور
زباه فى رواية « أرض الانزلاق » ،
مت مسز رينولدز بهذا الدور خير قيام ،
دعا أحد مخبرى شركة متروجلدوين ماير
يرسل تقريراً عنها إلى الشركة ، فرشحتها
ركة فى الحال لدور الجـدة مع جيمس
بوارت فى رواية « تعالى عيشى معى ».
ولما ختمت مناظرها الأولى من الفيلم ،
ب لها المدير عن رأيه فى تمثيلها قائلا :
أنت طبيعية فى تمثيلك ، يا جدتى » . ثم
ت من عهد قريب بدور السيدة العجوز
وليم باول وميرنا لوى فى رواية « ظل
جل النحيف » . ومن يومئـذ لم تخل
اً من عمل فى التمثيل إلا ثلاثة أسابيع .
ا تم إخراج فيلم « جزيرة الأحلام »
مثلت فيه دور والدة شارلز لوتون ،
ها شارلز إلى صدره وهمس فى أذنها :
إنك لممثلة عظيمة يا جدتى » .

وقد فسرت نجاحها بقولها : « إن كل
يجب علىّ أن أفعله ، هو أن أكون على
تيق » . وبالرغم من أنها أقل كواكب
ليوود احتفاظاً بطابع واحد فى تمثيلها ،
ى تمتنع عن الاشـتراك فى الأفلام التى
تتفق مع الأخلاق النبيلة خشية أن
يستطيع أحفادها ، إذا ما شاهدوها أن
ولوا بخيلاء : « هذه هى جدتنا » .

وأما بيتها فيشبه مكاتب الأعمال ، فهو مزدحم بالدواليب والـكتب والأوراق ، وهى لا تزال تكتب على الآلة الكاتبة بسرعة خاطفة ، وهى تحرر عليها يومياً خمس رسائل رقيقة على الأقل ، إلى الجنود. وهى نواظب على لعب الشيش فى نادى هوليوود الرياضى الخاص بالرجال لكى تحافظ على سلامة جسدها.

وقد رأت ذات صباح ، وهى بين جماعة من الممثلين ، أربعة رجال قد استلقوا على الأرض ، وهم يبذلون جهداً كبيراً فى دفع سيارة لممثل طاعن فى السن ، فكانت منها التفاتة إلى المخرج وقالت له : « لقد عرفت العجوز الآن أنه ينبغى عليها أن تتعلم قيادة السيارة » . وبعد ذلك بيوم عهدت إلى سائق مدرب فى أن يعلمها القيادة .

إن رسائل البريد التى تصل إليها من المعجبين كثيرة . ومما يثير الدهشة أن أغلب هذه الرسائل من الشبان الذين يريدون أن يعلموا السر فى فتوتها ونشاطها ، وهى تنصحهم بقولها : « يجب عليكم أن تؤدوا الأعمال التى بين أيديكم بحماسة وغيرة ، فإنكم إن فعلتم هيأتم أنفسكم لإنجاز أعمالكم على أحسن وجه . وليست هـذه نصيحة أنقلها إليكم من الـكتب بلا روية ، ولـكننى أستمدها مما صادفته فى الحياة ، وأنا أعلم أنها السر فى احتفاظ الإنسان بفتوته » .

هوديني الساحر

فرنسيس سيل ويكوبر



كان لهوديني العظيم ما لثعبان الماء من مرونة الجسد، وما للقط من تعدد الأرواح ، كما كانت له قوة عجيبة جعلته يهزأ بالأغلال . فكان يفك قيود البوليس « بمجرد نقرها فى الموضع المناسب » ، ويخلص نفسه من غيابات السجون فى مدة أقل من التى يستغرقها حبسه فى السجن . وقد استمر ٢٥ عاماً يذهل المتفرجين بحيله فى التخلص والهرب .

ولقد دفن هارى هوديني فى توابيت محكمة القفل ، وخيطت عليه أكياس من الخيش ، ووضع فى أوعية اللبن وبراميل البيرة . وأعجب من ذلك أنه كان يحبس فى المراجل ويبرشم عليه ، وكان على الدوام يتخلص بوسيلة ما .

كان إريش ڤايس الابن الخامس لحبر مهاجر من أحبار اليهود ، فلما بلغ الثانية عشرة من عمره ، فر من أهله ، وأخذ يدرب نفسه ، على أعمال لا يربط بعضها ببعض صلة ما ، كصبي حداد ، وحائك أربطة للرقبة ، ومساعد لصانع أقفال . وقد شغلت الأقفال لبه ، فجعل يعالج فتحها بقطعة من السلك طولها بوصتان ، إلى أن كشف له جميع أسرارها .

ولما بلغ الخامسة عشر بدأ يعرض ألعاب « الشعوذة » فى حانات البيرة وفى المسار[ح] الصغيرة . وأطلق هذا الشاب الأهيف الأزرق العينين ، الجعد الشعر ، على نفس[ه] اسم « كاردو » أو « إريش العظيم » . وقد أضاف ، شيئاً فشيئاً إلى ألعاب خفة الي[د] وحيل ورق اللعب ، والأرانب ، والقبعا[ت] الحريرية ، ألعاباً جديدة كأنْ يتملص م[ن] صناديق الحيل ، ويتخلص من عقد الحبال . وفى إحدى الأسواق الريفية ، أخرج عمد[ة] القرية ، زوجاً من الأغلال وسأله « أتظن أنك تستطيع أن تتخلص من هذ[ه] الأغلال ، يا بطل ؟ » ، فأجابه هوديني بقوله : « سأحاول » وانسل وراء ستار ، ثم ظهر ثانياً بعد مضى دقيقة والأغلال مفكوكة تتدلى من معصمه . ولقد كانت هذه الحيلة دعامة فنه والأساس الذى قام

ليه شهرته العالمية بأنه « ملك الأغلال » .

وكان فايس قد بلغ السابعة عشرة حين لع مصادفة على مذكرات « روبرت ردان » . وقد تركت فى نفسه أثراً عظيما ، له على أن يسمى نفسه « هودينى » ، وعلى يحذو حذو الساحر الفرنسى العظيم .

ولما ذاع صيته ، أخذ يشترك فى مباريات تمرة تحداه فيها معظم حارسى السجون العالم ، وصانعى الأقفال ، والخبراء فى د عقد الحبال .

وقد تحدته جريدة الديلى ميرور الكندية يفك أغلالا قضى حداد فى صنعها خمسة وام ، فكبل هودينى بالأصفاد أمام بعة آلاف من المشاهدين كانوا يهللون هتفون. وفى بوسطن قامر أحد الرياضيين غ ٦٠٠٠ دولار ، على أنه يستطيع أن م تقييده ، فقضى ثلاثة أرباع الساعة يلفه شد عليه الوثاق ، بمئات من الياردات حبال الصيد الثقيلة . وقد تخلص هودينى هذه « الشرنقة » ، بعد مضى ساعة بع ساعة ، وقد تسلخ كل جلده .

وحبس عارى الجسد فى حجرة بسجن نطن ، فتمكن من الخروج بعد دقيقتين ماً . ثم أخذ يفتح أبواباً أخرى وينقل ساجين من حجرة إلى حجرة ، لا يريد اللهو والتسلية ، ثم اقتحم الحجرة التى وضعت فيها ملابسه ، وعاد إلى مكتب حارس السجن مرتدياً ملابسه كلها بعد خمس عشرة دقيقة من ساعة حبسه .

ولو أراد هودينى لكان مجرماً خطيراً ، إذ كان وسعه أن يفتح خزانة الحديد العادية فى مكتب فى أقل من لمح البصر . ثم إنه اخترع آلة صغيرة تشبه آلة مقياس القوة الكهربائية ، تفتح أقفال الخزانات المعقدة ، وليس عليه إلا أن يقف أمام الخزانة ، ثم يدير الآلة ويدفع الباب فينفتح على مصراعيه. وقد حطم هذه الآلة قبل موته بمدة خشية أن تقع فى أيدى المجرمين .

وكان من عادة هودينى أن يقوم باستعراض أمام الجمهور ، بغير مقابل ، قبل أن يبدأ فى دورة جديدة ، ليستوثق الناس من قدرته . وكاد أحد هذه الاستعراضات ينتهى بكارثة . فقد أعلن أنه سيقفز فى نهر ويفك نفسه من الأغلال تحت الماء ، غير أن ماء النهر كان متجمداً فى اليوم المعين ، فأصر هودينى على أن يبر بوعده . وفتح العمال ثغرة فى الجليد ، واجتمع المتفرجون على ضفاف النهر ، وقيد رجال البوليس يديه بالأغلال . ثم علا الصراخ عندما قفز فى الماء البارد ، وساد صمت رهيب توترت فيه الأعصاب خلال الدقائق التى كانت تمضى ثقالا . لقد مرت دقيقتان . . . ثلاث دقائق،

أربع ، خمس . . . . وفى النهاية أدلى حبل فى الماء واستعد غائص للنزول فى النهر . وفى هذه اللحظة ظهر رأس هودينى من الثغرة ، بعد أن مكث غائباً ثمانى دقائق .

لم يكن القيد هو المشكلة ، بل هو التيار قد دفعه فى مجرى النهر . غير أن هودينى كان يعلم أن بين الجليد والماء فراغاً ممتلئاً بالهواء ارتفاعه نصف بوصة ، فعام على ظهره وترك أنفه فى هذا الفراغ يستنشق الهواء . فاستطاع أن يحصل على قدر ما من الأوكسيجين أبقاه على قيد الحياة إلى أن عثر على الثغرة .

وتحداه أحد صانعى الخمور أن يخرج من وعاء معدنى ممتلئ بالجعة . وكان هودينى قد تخلص مئات المرات من أوعية وبراميل ممتلئة بالماء واللبن ، ويداه مغلولتان تارة ، أو وهو معلق من قدميه القيدتين بالسلاسل تارة أخرى ، غير أنه كان لا يشرب الخمر ، ولذلك لم يقو على احتمال الروائح التى كانت تفوح من الجعة . فما كان منه إلا أن رفع الغطاء ثم ارتد ثانياً إلى الوعاء وقد خدرت أعصابه ، وفى هذه اللحظة حمله مساعده إلى الخارج .

إن السر فى تخلص هودينى لا يزال سراً خافياً ، وكان هودينى يخشى دائماً أن يعلم المجرمون تفاصيل فنه . غير أن هناك بعض الشواهد التى تدل على أساليبه فى العمل . فكان يحمل معه دائماً آلة تعينه على فت الأقفال ، وكان يخفيها تارة فى فمه أو فى أنفه أو يلصقها فى أخمص قدميه تارة أخرى وأغلب الظن أنه كان يستطيع أن يبتل قطعة من الحديد ومبرداً من حجم كبير ثم يلفظهما من حلقه إذا جد الجد .

ولعل أهم عنصر فى مهارته هو سيطر على زمام عضلاته ، فكان وهو فى س التاسعة يستطيع أن يلتقط بجفنيه إبراً ملقا على الأرض ، وهو معلق من قدميه . ا كتسب بعد ذلك قدرة عجيبة على السيطر على عضلات حلقه ومعدته . وكان ذلك ه الأساس لإحدى حيله التى أصابت نجاح باهراً . وذلك حين كان يبتلع حزمة م الخيط ، ورزمة من الإبر ، ثم يخرج ما يقر من مائة إبرة وهى منظومة فى قطعة م الخيط طولها عشرين ياردة .

وكان فى وسع هودينى أن يضخم م حجم معصميه وكعبيه ، حين كان يكب بالقيود ، ثم يعيدها بعد ذلك إلى حجمه الطبيعى ليتم له الخلاص . وكانت قد كأنهما له يدان أخريان ، فكان أحياناً ولأتم العشاء ، يربط اثنتى عشرة عقدة مح العقد على قطعة من الخيط ، ثم يلقيها الأرض ، ويخلع نعليه وجواربه ، ثم يف العقد بأصابع قدميه .

وكان يسلك سبيل الرياضيين فى حيـله
ى كان يقوم بهـا تحت المـاء . فقد درب
فســه عدة أشهر على الغوص فى طست
لاستحمام ، وهو يقيس مدة بقائه تحت المـاء
ساعة السباق الدقيقـة ، فيزيد هذه المدة
دريجاً . ولم يقـدم على عرض ألعـابه على
لجمهور إلا بعد أن استطاع أن يمكث أربع
قائق تحت الماء . ولـكى يعد نفسه للغطس
، ماء مجمد ، كان يأخذ حمامات باردة ،
يد فى برودتها تدريجياً ، إلى أن استطاع
ـ يستحم فى ماء يقشعر الدب القطبى
ن برودته . ولـكى يخرج من الخزائن
البراميل المحـكمة القفل ، تعلم كيف يستعمل
راً محدوداً من الأوكسجين ، بأن يستنشق
بمهل ، وبأن يمتنع عن بذل مجهود لا يجدى .
قال ذات مرة : « إن المجهود الرئيسى
ى ينبغى علىّ أن أبذله هو التغلب على
خوف . فحينما أكبل بالقيود ، ويقفل علىّ
صندوق ثقيل ، ثم ألقى فى اليم ، أو حينما
فن حياً تحت ست أقدام من الثرى ، يجب
ىّ أن أحافظ محافظة تامة على رباطة جأشى ،
لى أن أعمل بدقة عظيمة وسرعة خاطفة .
ـ تملكنى الذعر لقضى علىّ ، ولو ارتكبت
طأ لقضى علىّ أيضاً ، إذا أنا لم أستخدم
ل قواى على قدر طاقتى ، دون وجـل .
ن الجمهور لا يلمس إلا ما تتركه الحيلة فى
نفسه من أثر ، ولا يدرى شيئاً عن المجهود
القاتل فى رياضـة النفس لـكى تتمكن من
التغلب على الخوف » .

وكانت الأساليب البسيطة التى لا يتوقعها المرء ، هى إحـدى الوسائل التى يلجأ إليها هودينى فى ألعابه الخداعة . ومن أمثلة ذلك قدرته الفائقة على اختراق حائط من الطوب الأحمـر ، فيتطوع جماعة من البنائين فيشيدون على مرأى من المتفرجين حائطاً قوياً من الطوب الأحمـر ، ارتفاعه عشر أقـدام ، وطوله اثنتا عشرة قدماً ، وسمكه قدم واحـدة . وأساس الحائط دعامة من الحديد تقوم على عجل قابل للحركة ، وتكاد هذه الدعامة لا ترتفع على الأرض أكثر من بوصتين ، فتسدل الستائر على جانبى الحائط وتوضع فى أسفل الحائط سجادة ثقيـلة من قطعة واحدة ، وتفحص الحائط والسجادة لجنة مؤلفة من ١٢ شخصاً من المتفرجين ، لتستوثق من أنه ما من سـبيل لهودينى ، لينفذ من أسفل البناء أو من أعلاه أو من حوله . وبعـد ذلك يذهب هودينى وراء الستار ، ثم يقول وهو على أحد جانبى الحائط : « سأبدأ الآن » ، وبعد ثلاثين ثانية يقول : « هأنذا » ، وإذا هو على الجانب الآخر من الحائط .

فى اللحظة التى يقول فيها « سأبدأ الآن » ،

يفتح عمال المسرح باباً متحركاً أسفل الحائط مباشرة ، فتنحنى السجادة عـدة بوصات تسمح لهودينى السريع الحركة أن يفلت من تحت الحائط . ولقد تمت هذه الحيلة بمهارة تعجز كل النـاس ، حتى المنافسين له من السحرة ، عن تفسيرها تفسيراً صحيحا .

وفى الأيام الأخيرة من حياته العملية ، أعلن حرباً شعواء على المشعوذين من مستحضرى الأرواح ، الذين أخذوا بعد الحرب الماضية يستغلون مشاعر الأرامل الثكالى والآباء المفجوعين . ولقد أثبت فى محاضراته أنه يستطيع أن يعيد الكتابة الروحية وتحريك المائدة ، وظهور الأشباح ، كما يفعل محضرو الأرواح . ولقد قدم هودينى مبلغ عشرة آلاف دولار للمحضر الذى يثبت له قدرته الروحانية الأصيلة ، فتقدم كثيرون ولم يربح أحـد ! ثم لعب هودينى وهو عضو فى لجنة مجلة سينتيفك أميريكان ، دوراً هاماً فى الكشف عن أساليب الاحتيال التى كلفت كثيراً من الناس أموالا طائلة ، كما ساقت بعضهم إلى مستشفى المجانين . وقد كشف القناع عن أساليب مارجورى ، وسيطة بوسطن الشهيرة ، فبرهن على أنها تثير فى وهم الإنسان أشباحاً بواسطة مكبرات للصوت معلقة فى أسلاك ، وبقرع أجراس مفزعة تخفيها فى ثيابها .

ومع أن هودينى عنى بإزاحة الستار عن الدجل والاحتيال ، فقد كان يدور فى خلده أثناء ذلك ، إمكان الاتصال بين عالم الأحياء وعالم الموتى . ولقد أسرّ إلى زوجه رسائل خاصة ، وهو يؤمل أنه سيحاول أن يرددها لها بعد موته .

وقد توفى هودينى فى أكتوبر سنة ١٩٢٦ فعقدت زوجه مئات من الجلسات الروحية فى خلال عشر سنوات ، ولكنها لم تصل إلى نتيجة . ثم قامت بمحاولتها الأخيرة حين احتفلت فى سـنة ١٩٣٦ بذكرى وفاته العاشرة . فقد وقفت بين أشياء عزيزة من مخلفات زوجها ، ومعها وسيط يتوسل إلى هودينى أن يعود . ولكن لم يحدث شىء . فلما انفضت هـذه الجلسة ، قالت زوجتـه : « لم يحضر هودينى بعد ، وأنا لا أعتقد أنه سيعود فى يوم من الأيام » . ولقد كانت احتفظت عـدة سنوات بنور يلقى أشعته على صورة الساحر العظيم ، ولكنها عادت فى تلك الليلة فأطفأته .





« بقيـة المنشور فى صفحة ٤ »

ت أغلب الوقت مشـــغولا بملاحظة
ـزتى وا لآتى .
« وأخـيراً بلغت أعلى مرتقى للطـائرة ،
اوزته ، واتفق أنى صـوبت عينى إلى
تحتى ، وإذا بنا ، لا فوق البحر الأزرق
فوق القاعدة اليابانية الكبيرة فى جزيرة
موزا !! وهى رقعة سوداء كبيرة دميمة
مة . وكنا معرضين لأن تضربنا المقاتلات
انية فى أية لحظة . ولم يكن مما يطيب لى
نصبح الطائرة رقم ٩٩ أول حادث دولى .
ن أجل هذا عجلت بالخروج من هـذه
ـقة ، ولـكن القلق ساورنى وأنا عائد ،
أدركت للمرة الأولى أن كلارك فيـلد
نا فيلد واقعان تحت نار اليابانيين ، وفى
بهم أن يحلقوا فوق فورموزا ثم يهبطوا
ـ رؤوسنا .
« ولم أرتح إلى هذا الخاطر ، ولم أكن
سمعت فى ذلك الوقت أن الجـنرال

بريرتون أقل منى رضى عن موقعنا .
« وفى ٢٧ نوفمبر أنذرنا الجنرال بريرتون
وأمرنا بوجوب اليقظة والاستعداد ، فقـد
تلقى من الوزارة نفس التحذير الذى أرسل
إلى بيرل هـاربر : إن الحرب قـد تشب
بعد أيام ، ويحتمل أن تشب بعد ساعات .
وكان السلاح الجوى مستعداً لها فى حدود
ما نملك ، وكان الجنرال قد تخير أهدافه فى
فورموزا التى كنا نعلم أن الضربة ستجىء
منها ، وبدأت ملكاتنا (طائراتنا) المعدنية
اللامعة تكتسى ثوباً من الدهان الأدكن
الكابى ، بأسرع ما تسمح بذلك ما نملك من
وسائل . وصدر لى الأمر بأن تكون
الطائرة رقم ٩٩ تامة التمويه فى ٨ ديسمبر .
« وهذا تاريخ لن ننساه نحن الذين كنا
فى الفليبين ، أما أنتم الذين كنتم على الجانب
الآخر من خط التاريخ الدولى ، فإن اليوم
كان السابع من ديسمبر ، ولـكن الحقيقة

أنه هو اليوم بعينه ، فقد ضرب اليابانيون بيرل هاربر فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً حسب التوقيت المحلى فى هونولولو ، وهذا يوافق الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح ٨ ديسمبر فى الفليبين — قبل طلوع الفجر عندنا ببضع ساعات . وكنت حينئذ نائماً فى كوخى بكلارك فيلد .

« ونهضت فى الساعة السابعة كالعادة ، ودخلت أتعثر، وما زال النوم يغالبنى لأحلق، وفتحت الراديو لأسمع أخبار الصباح التى يذيعها دون بل فى مانيلا ، (وعلى ذكره أقول أن من أول ما فعله اليابانيون لما دخلوا مانيلا بعد أسبوعين هو أنهم ضربوا المسكين بالرصاص) ، وإذا به يذيع النبأ العظيم بلهجة أسرع من المألوف : إن اليابانيين ضربوا هاواى . واحتشد الآخرون حول الراديو ، وقد ذهلنا جميعاً . ولم تكن التفاصيل كثيرة جداً، ولكنه بدا لنا مما سمعنا كأن اليابانيين دمروا المكان تدميراً وجعلوا عاليه سافله . وذهبنا إلى المطعم ، وبلعنا الفطور ، ثم بادر الطيارون إلى الاجتماع بغرفة العمليات حيث درس الصاغ دون جبس معنا . وإنى لأراه الآن ، كما كان يومئذ ، أنيقاً يقظاً ، ولو أن الأجل امتد به فى هذه الحرب لكان الآن على التحقيق لواء .

« وقال : « والآن أيها السادة ، هذه ه[ي] الحرب . وإذا كانوا قد ضربوا هاواى فإن[هم] لا يمكن أن يعفونا ، ولا أعلم متى تجي[ء] الضربة، ولكنى أستطيع أن أقول لكم من أ[ين] ستأتى ، (وهنا أشار إلى الشمال) فستأتى م[ن] فوق هذا الجبل» وكان يشير إلى فورموز[ا]

«ولما انصرفنا قال جبس: « أنكم فى انتظ[ار] الأوامر وستجيء بسرعة طول هذا الصباح

«فعدت إلى الطائرة رقم ٩٩ فقد كان مقر[راً] أن تموه هذا الصباح ، ولكن الأوامر ا[لتى] جاءت الآن بدت متناقضة ، فقد جاء أ[مر] أمر يلغى التمويه ، وعلينا بدلا من ذلك نزود الطائرات بالقنابل، فذهبنا فى السيار[ة] إلى مستودع الذخيرة ، ثم جاء أمر يقول « عد بها إلى الحظيرة فإنهم يأمرون بإ[تمام] التمويه بكل وسيلة » .

« ثم جاء أمر آخر بأن نفرغ القنا[بل] ونضع آلات التصوير ، ولم يرد غير ذلك ولكنه كان من الواضح أنهم يعدوننا ا[لآن] للاستطلاع فوق فورموزا .

«ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن ما كا[ن] يحدث فى مطارنا كان صورة مما هو حادث [فى] ديوان القيادة فى مانيلا ، حيث كان الجنر[ال] بريرتون يطلب الإذن بإطلاق الطائرات ولا شك أن من السهل أن يكون المرء حك[يماً] رشيداً بعد الحادثة .

« ومع أن بيرل هاربر هوجم ، فإن
كونغرس (البرلمان) لم يكن إلى الآن قد
لن الحرب ، فهل تستطيع قيادة الفليبين
تضرب على الرغم من أن حالة الحرب لم
كن قد وجدت قانوناً ؟ ويستطيع السخفاء
يضحكوا من هذا الآن ، ولكن الجنرال
رتون لم يضحك يومئذ ، بيد أنه أصر
أن الأرجح ، إذا لم نضرب فورموزا
الفور ، أن لا نستطيع أن نضرب على
طلاق .

« ولما رُفض ما استأذن فيه من الضرب ،
ب أن يؤذن له فى الاستطلاع الجوى ،
ف على الأقل هل تتخذ اليابان العدة
ربنا ، ولاشك أنه خرق طفيف « للحياد »
نصور فورموزا . وقالت القيادة العليا
كان هذا ممكناً ، فانتظروا لتروا .

« وكنت وأنا فى موقف الانتظار والتهيؤ
طائرتى رقم ٩٩ لا أستطيع أن أعرف
ذلك الوقت أن هذا هو السبب فيما صدر
من أمر : أن أفرغ حمولتها من القنابل ،
ن أجهزها بآلات التصوير ، وأعجل بالتمويه
رجاء أن يجيء الإذن قريباً . وفى أثناء
ان الطائرة جلست خارج الحظيرة أصغى
آلة الراديو الصغيرة التى كانت معى .

« وكان الراديو حافلا بالإشاعات ، وكان
ها صحيحاً والبعض لم يقع بعد . وقد روى
أن حشداً كبيراً من سفن اليابان يجرى
قرب لوزون . وأن مانيلا تتوقع الإغارة
عليها من الجو فى كل لحظة — بل أذيع
أن القنابل تتساقط على كلارك فيلد » .

واستطرد فرانك فقال : « وكان عجيباً
أن أدير عينى فى كلارك فيلد تحت شمس
الضحى ، وأن أسمع الراديو فى يدى يقول
إن القنابل تتساقط عليه ! وكان هذا كلاماً
فارغاً ، ولكنه تركنا قلقين خائفين . وكان
إلى جانبى طيار آخر يصغى إلى الراديو معى
فقال بلهجة المضطرب : « لماذا بالله لا نخرج
من هذا المكان وننقذ هذه الطائرات ؟ » .

« فقلت له : « اسمع ياصديقى — خذ
الأمور مأخذ التهوين ، فإننا رهن الأوامر »
ولكنى أنا كنت قد بدأت أضطرب وأقلق ،
وأذكر أنى صحت بالغلام الذى معه رشاشة
الدهان أن يسرع .

« ثم جاء بسرعة أمر آخر ، لنا نحن
الطيارين والملاحين ، بأن نكون على استعداد
فى الساعة الحادية عشرة . وقد جعلت أفكر
ونحن نتناول الطعام فى احتمال ضرب
الطائرات اليابانية لنا ، وأتساءل عنها كيف
هى ياترى ؟ فما رأيت قط طائرة يابانية فى
فى غير صورها فى المدرسة .

« وكنت وأنا فى المطعم أشعر بتوتر ،
ولكنه لم يكن يخطر لى على بال أن كل

الأسابيع والأيام الثمينة قد ذهبت الآن وأنه لم يبق سوى دقائق ثمينة .

* * *

« ثم قصدت إلى خيمة العمليات ومعى إيدى أوليفر (ملاح طائرتى) ، وطلبت من تكس أن يبقى إلى جانب الطائرة رقم ٩٩ وأخبرته أنى سألحق به بعد دقائق . وقلت له :

« واسمع ياتكس . هذا هو الترتيب : إذا علمنا من خيمة العمليات أننا سنضرب هنا فى كلارك فيلد ، فإن فى وسعنا أن نخرج بالطائرة رقم ٩٩ من مكانها الذى هى فيه بغير حاجة إلى الاستخدام المألوف لمدرج الطيران ، فترقب مجيئى على الدراجة من خيمة العمليات . وإذا رأيتنى أشير بيدى إلى تحت ، وأنا على ذروة الطريق ، فاعلم أن معنى هذا أنى أريد منك ان تدير محركاتها إلى أن أصل إليك » .

« فقال بهدوء «حسناً يافرنك» — ولم يرفع يده بالسلام ، ولا خبط كعباً بكعب ، فما لمثل هذا محل يذكر فى السلاح الجوى — وكر راجعاً إلى الطائرة رقم ٩٩ .

«وكانت خيمة العمليات عاصة بنحو أربعين من الطيارين والملاحين ينتظرون ما عـ[...] أن يصدر إليهم من أوامر . ففتحت الراد[...] فى فترة الانتظار واستمعنا جميعاً إلى محـ[...] مانيلا ، وإذا بالمذيع دون بل يسوق الأخـ[...] متلاحقة . بيد أننا لم نعرف أن الدقائق الثمـ[...] قد ذهبت كلها ، وأنه لم يبق الآن إلا الثوانى

ولم نكن نعرف أن الجنر[...] بريرتون قد تلقى أخـ[...] الإذن من الجنرال مـ[...] آرثر بأن نخرج فى ر[...] استكشافية فوق فورمو[...] لنرى هل يستعد اليابانيو[...] أو لا يستعدون لضربنا ولم نكن ندرى أن الجنر[...] بريرتون كان فى هـ[...] اللحظة يحاول أن يتصـ[...] بنا تليفونياً ليلقى إلينا هذا الأمر .

> « إن إحدانا لتعلم ، حين يطير زوجها فى مهمة ، أن هؤلاء الفتية هم أشجع الشبان وأخفهم أجساماً . وإن إحدانا حين ترى زوجها يتضاءل فى الجو ، لتعلم أنها لا ترضى بغيره بديلا »

«وكان دون بل يروى أن القنابل تسقـ[...] « فعلا » على كلارك فيلد ، وكان يذيع مـ[...] سطح بناء من أعلى ما فى مانيلا ، ومـ[...] هناك كان يرى أعمدة الدخان المتصاعدة [...] كلارك فيلد !

« فابتسمنا جميعاً لما سمعنا منه هذا . [...] نكن ندرى أنه ، من مانيلا ، يستطيع يرى ما وراءنا فى إيبا فيلد ، وأن هـ[...] الأعمدة من الدخان كانت تتصاعد من[...]

الأرات القتال من طراز ب ٤٠ المحترقة ،
ند كان اليابانيون فى تلك اللحظة يمزقون
لاح مقاتلاتنـا الأمريكية كل ممزق ،
لـكن بينما كنا نبتسم ونصغى إلى ما عسى
ن يعرف به دون بل بعـد ذلك ، إذا
ندى واقف على باب الخيمة يقول بلهجة
إعجاب والإكبار :

« انظروا إلى هذه التشكيلة الجميلة من
ائرات الأسطول ! ما أبدعها ! » .

«فجمد الدم فى عروقى، فقد سمعت أزيزاً،
صاح بعضهم : « أسطول ؟ ياللجحيم ! هاهم
أقبلوا ! » .

«فقلبنا المناضد ونحن نحاول أن نخرج من
ذه الخيمة ، غير أنا لم نكن جرذاناً فزعة ،
، كنا مازلنا آدميين وعلى قدر من النظام .

« وأقبلت الطائرات ، واشتد ازيزها ،
ن وراء الجبل كأنبأ دون جبز — فى حشد
ظيم على صورة الدال — وكانت حوالى
عين من القاذفات من طراز متسوبيشى،
لى ارتفاع يتراوح بين ١٨ و ٢٠
ب قدم ، أقبلت علينا ووجهتها أرضنا .

« فذهبنا نعدو إلى حفرة كبيرة قريبة
رف المياه لنتخذ منها مخبأ ، ووقفت بضع
ان أنظر لأرى أى نوع من القنابل
يها علينا هذه الطائرات ، كما فعلت مراراً
كاليفورنيا أثناء التدريب على إلقاء القنابل
فى بحيرة موروك الجافة بصحراء موجيف ،
وراقبت طائراتنا لأرى إلى أى حـد تعد
قنابلها فعالة .

«ولم يطل بى الانتظار لأن أنف الطائرة
الأولى التى تقود البقية تجاوزت خط القذف،
وسمعت الصفير الذى لا يرتاب أحد فى دلالته،
ثم تلته الدّبة ، فقد سقطت أول قنبلة من
نوعها على الأرض على مسافة ثلاثة آلاف
ياردة منا .

«ولـكنه صار علينا الآن أن نجرى التماساً
للنجاة ، فقد صارت التشكيلة فوق رءوسنا
كأنها سحابة كبيرة يتساقط منها وابل من
حجارة ضخمة .

«فذهبت أعدو إلى أقرب جحر ، وكان
غير عميق ، لا يزيد عمقه على قدمين ، ولم
يكن يتسع لأكثر من رجل ، ولـكن
اثنين منا وثبا إليه ، ولم ندرك إلا فيما بعـد
أنه كان فيه — سبقنا إليه — رجل آخر .
وكنا حينئذ لا نفكر إلا فى هـذا الزلزال
وفى الضجة والدق والصفير من جراء هذه
العاصفة الهائلة التى تجتاح الأرض . وكانت
كل واحدة من هـذه الطائرات اليابانيـة
تلقى حوالى ١٢ قنبلة،فالجملة نحو ٥٠٠ تغطى
الأرض فى وقت لا يتسع لأكثر من النطق
ببضع جمل قليلة . وكنا فى أثناء ذلك ندفن
أنفسنا كالدود على قدر ما نستطيع ، فى هذا

الجحر . وكان ما كنا نخشى ، وارتجفت الأرض الصلبة ، كأنها سيارة ذات عجلات من الصلب ترعد على أرض مبلطة ، أو تطايرت كتل منها كالقذائف . ودار فى نفسى أنى خليق أن أنجو إذا استطعت أن أبقى فى مكانى لحظات أخرى ، فقـد دنا الموت منا الآن جداً ، وصار الزئير ، والصـفير ، والأرض المرتجفـة أقرب ، والرعد يجلجل فوق رءوسنا ، ثم انتهى كل شىء فجأة — اجتاز الأرض هـــذا القطار القاذف ، وانصرفت عنا الأسراب اليابانية .

« ولما رفعنا رءوسنا ونهضنا كان كل شىء سا كناً ، فما عدا صوت النار ومعمعتها المتعالية ، وكان الدخان المنبعث من طائراتنا المحترقة قد بدأ يصعد ، ولم تكن أعمـدته المرتفعة قد تحولت إلى سحب كثيفة سوداء .

« ولـكنا كنا نسمع طنيناً فوق فرقعة النار ثم رأينا مصدره — عدداً من طائرات القتال مقبـلة ، لا بد أنها مقاتلاتنا من طراز ب ٤٠ ، ولم نكن نعرف أنها كلها فيما عدا قليـلا منها قد ضربت وأسـقطت ، وأن مطارها دمر قبل أن تزورنا القاذفات .

« وهكذا وقفنا نميط الوحل عن ثيابنا ، فقد سقطت قنبلة على مسافة ١٥ قدماً ليس إلا ، منى — وراقبنا هذه التشكيلة المقبلة فى صـف طويل كأنها الأوز الطائر ، وعلى ارتفاع لا يتجاوز ألفى قدم أو ثلاثة آلاف .

« وهل نلام إذا شعرنا بشىء من انتعاش النفس ، إذ رأينا أخيراً بعض عصبتنا فى الجو؟ ولـكنا شعرنا أيضاً بألم ومضض ، لأنها لو كانت قد جاءت قبـل ذلك بقليل لـكانت قد عصفت بالطائرات المغيرة اليابانية وإذا ببعضهم يصيح فجأة : « انظروا ! بالله عليكم ، انظروا إلى هذه الدائرة الحمراء ! » نعم — هى بعينها ، شمس اليـابان الطالعة ! طائرات ناكاجيما وبعض طائرات زيرو ، ومن كل واحدة منها يطل يابانى ويميـل بوجهه إلى الأرض ، وهو يدور ليتخير قلعة من قلاعنا يهاجمها .

« وداروا ثلاثة أرباع الدائرة ، وكان صنيعهم هـــذا كالضرب بالسياط لمطارنا المنـكود ، ثم تهيـأوا لضربنا بالمـدافع الرشاشة .

« وكنا قد شرعنا نخرج من جحورنا غير أنا الآن انكفأنا إليها ، فقـد صرنا فى مرحـلة أشبهنا فيها الجرذان . وكان الذى يقصد إليه اليابانيون هو أن يحيلوا منطقة الهدف جحيما . وكنت أرى أمامى رجالا يختفون فى حفرة ، فاختبأت فى مجرى ، وجاء جنـدى فارتمى على ، ورأيت أن مأ كنتـه قد قطعت ونسفت ، وقـد مات أمام عينى .

«وكان على مقربة من النقرة التى كنا فيها
ة يحيط بها جدار مقوس من أكياس
مل لوقايتها من الشظايا ، فاتخذتها إحدى
ئرات ناكاجما هدفاً لها .

« وكانت الطائرة اليابانية لا تنفك تعود
ة بعد مرة ، وقد هبطت فى دورانها
ى صارت على ارتفاع ١٥ قدما من جناحى
لعة . وكان الضرب كأنه آلى ، فإذا
ربت انطلقت مدافع من الجناح تدمدم ،
ملأ الجو بخيوط بيضاء ، حتى إذا أرته هذه
نيوط أن هدفه خليق أن يصاب ، فتح مدفع
نابل التى من عيار ٢٠ مليمترا وأرسل
بلا من القذائف أعمق صوتاً .

« وكان ما لدينا من المدافع المضادة
لائرات قد أخذ ينطلق ، ولكنه لم يكن
نع شيئاً ، لكثرة الدخان الأسود ، ولأن
ه المدافع لم تصنع لتضرب على مثل هذا
ى القريب . ومن أجل هذا شننّا نحن
باً صغيرة من حفرتنا ، وصرنا كلما جاء
ابانى نطلق عليه مسدساتنا ، ولست
نطيع أن أزعم أننا كبدناه خسارة أو
أ ، ولكن عملنا هذا كان يشفى قلوبنا
ن الشفاء مما نجد .

« وفى هذه الأثناء كنت تسمع من جميع
اء المطار صوتين : الأول الدمدمة
ريعة العالية من المدافع المركبة فى أجنحة
الطائرات ، والغرض منها التثبت من الهدف ،
يتبعه الصوت الآخر — وهو أبطأ — من
مدافع القنابل التى يقذف بها الهدف . أما
الصوت الثانى فكان أشد تخليعاً للفؤاد ، وهو
يبدأ بهسيس متعال معناه أن رصاصة اخترقت
خزان البنزين فى إحدى قلاعنا الطائرة ،
ويلى ذلك عجيج عظيم معناه أن البنزين
المحترق قد فجر قنابل الطائرة .

« وانتهت الغارة فجأة ، وارتفعت طائرات
ناكاجما وزيرو عن المطار كالغربان عن جثة
وقعت عليها بحسن حظها ، وأصابت منها
شبعها ، ثم انتظمت فى أسراب ، واختفت
فى اتجاه حاملة طائرات كانت فى مكان ما على
مقربة من لوزون .

« وبرزنا من جحورنا ، لنعود إلى خيمة
العمليات وندلى بتقاريرنا ، ولكنه كان
علينا أولا أن ندور حول حطام الطائرة
المسكينة التى كانت لا تزال تحترق ، كأنها
جواد حرب أصيل فى اصطبل يحترق ،
وكنا نتأى عنها ونحن نطوف بها ، لا من
شدة حر النار فحسب ، بل لأن ما أصابها
كان أليماً ، ولم نكن نطيق أن ننظر إلى
ما صارت إليه .

«وكانت خيمة العمليات قد نجت بأعجوبة ،
ورأينا فى وجه الصاغ جبز الأثر الذى كنا
نعلم أنه ارتسم على وجوهنا ، لما أدرنا عيوننا

فى حراب المطار، وفى الحطام المحترق، لما كان أقوى أسطول جوى من القاذفات ذوات المحركات الأربعة ، فى العالم .

«وقال جبز: «فراناك، يحسن أن تذهب إلى طائرتك لترى هل لا يزال فى وسعها أن تطير » .

« ولعلكم تذكرون أن الطائرة رقم ٩٩ كانت بعيدة عن الأعين وراء المرتفع الذى فى مدرج المطار .

« فركبت دراجتى ، وقد حدثتكم بما رأيت — وكيف وجدت رجالى صرعى ، وكيف ذهبت أخطو إلى جانب صفهم ، وأحادث كلا منهم وهو راقد ، كأنما أريد أن أشرح لهم ما وقع وأفسره لهم .

« ثم صار فى وسعنا أن نحصى ما أصابنا من خسارة . وكان كل ما بقى سليما هو رقعة واحدة من مدرج الطيران يمكن أن تنظف وتستعمل . وتذكرون أن فرقة القذف التاسعة عشرة كانت مؤلفة من ٣٥ قلعةطائرة أبية ، وكانت اثنتا عشرة منها قد ذهبت إلى مطار « ديل مونتى » فى مندناو ، فسلمت من هذه الغارة . وفيما عدا هذه لم يسلم من البقية التى كانت فى مطار كلارك سوى خمس يمكن أن تسمى طائرات ، وحتى هذه الخمس أصيبت بعطب شديد ، ولم تكن واحدة منها تستطيع أن تطير . ولكن إذا أخذنا الحطام كله وجمعناه ، وأ... جناحاً هنا ، وذنباً هناك ، وانتفعنا بمحركين سليمين من طائرة ، فإن فى مرجونا ، ... ما قال قائد سربنا القائمقام يوبانك ، أن نخرج من الأربع والعشرين طائرة التى كانت على أرض المطار فى ذلك الصباح ، بثلاث طائرات قد تستطيع أن تصعد إلى الجو بعد إصلاح مدرج الطيران .

«وكان النهار قد ارتفع ، فقال القائمقام يوبانك: إنه ليس ثم شىء يستطيع الطيارون أن يصنعوه ، فعلينا أن نغادر منطقة الهدف إلى الصباح . فوجدت أنا وطيار آخر غرفة فى بيت لأحد الأهالى ، وتساءلت وأنا أبسط فراشى: أترى سمعت مارجو فى نصف الكرة الآخر ، بشىء ؟ وكم ترى سيمضى من الوقت قبل أن يتسنى لى أن أخبرها أنى أنا وإيدى أوليفر كل من بقى من الطائرة رقم ٩٩ التى ودعتها فى البوكيرك قبل ستة أسابيع ؟

* * *

« وفى الصباح الباكر عدت إلى المطار وقدمت نفسى إلى القائمقام يوبانك فعهد إلىّ فى القيام على برج المراقبة فى المطار ، وكانت ست من القلاع الطائرة التى فى مندناو قد عادت من مطار « ديل مونتى » ، وهبطت إلى ما بقى من مدرج الطيران سليما — ومن

ار كله — وكان طول هذه الرقعة ٢٠٠٠
. ثم فُرِّقت فى الأرض ريثما تتزود من
ين والقنابل ، واجتمع طياروها حول
ائمقام الذى عين لهم أهدافهم . وكان
ـولهم جميعاً وهم وقوف ، حتى لكأنه
رف عليهم ، صديقى القديم كولين كيللى .
ى لأرى الآن شعره الأسود المتجعد ،
امته المديدة المعتدلة ، وكتفيه المرتدتين
الوراء كعادته . وكنت أعلم أنهم سيرسلون
مهمة كثيرة الأخطار ، ولم أستطع أن
بح نفسى عن الدنو والإصغاء ، بينما كان
ئمقام يبين لكولين هدفه ، وكنت أشعر
طف الأخ الأكبر ، فقد كان أحد أعوانى
قيادة الطائرة فى مطار مارش ، فالآن
لت إليه أول مهمة حربية ينهض بها .
ان الهدف الذى اختير له هو سفن النقل
ى جاءت الأخبار بأنها فى شمالى لوزون ،
ذه لا بد أن تكون وسائل الدفاع عنها
ية . وكان التعب بادياً على كولين ، فقد ظل
ير طول الليل ، ولم ينم إلا غرارا ، وكانت
لته الأنيقة فى العادة ملوثة بالشحم كأنما كان
طائرته بنفسه ، ولم يتسع الوقت لأكثر
ى تبادل التحية بإشارة اليد وهو يمضى
، طائرته ، وعدت أنا فصعدت إلى البرج .
ن البرج قد صار كأنه غربال من كثرة
صاص الذى اخترق حديده أثناء الغارة أمس .

« وكان علىّ أن أتولى أنوار البرج ، فأعطى الطيارين إشارة النزول حين يقبلون ، ولكن القائمقام لم يشأ أن يجازف أو يعرض أى شىء آخر للخسارة ، فأمرنى أن أبقى كل قلعة طائرة تجىء ، فى الجو تدور فوق المطار ، حتى يصدر هو أمراً آخر .

« وإنى لهناك وإذا بطائرة صغيرة واطئة من طراز ب ٢٦ التى يستخدمها سلاح الجو الفليبينى ، مقبلة ، وهى طائرة قديمة تصلح أن توضع فى متحف ، فأشرت إلى الطيار بالنور الأخضر ، لأنى تبينت أن طائرته كلها ثقوب من الرصاص الذى أصابها ، فلا قدرة لها فيما رأيت ، على البقاء فى الجو .

« ووثب الطيار الفليبينى المقاتل الصغير الجسم ، وكان كل ما يطلبه هو أن يملأ خزانه بنزيناً ، وأن يزود بالكفاية من القذائف لمدفعه الصغير من عيار ٣٠ ، ثم إذا به فى الهواء مرة أخرى . ألا لقد أبلى هؤلاء الفليبينيون الصغار الأجسام بلاء حسناً دفاعاً عن جزائرهم بهذه الطائرات العتيقة .

« وكانت مقاتلاتنا فى ذلك الصباح ، وقد نجا منها من غارة الأمس على مطار إيبا حوالى ١٥ من الأربع والعشرين التى كانت هناك ، تقوم بعمل بديع ، وتتعلم أيضاً ، فقد كان هذا أول عهدها بالقتال الحقيقى .

وما أكثر مالا يستطيع أن يعلمه أحـد عن الحرب فى المناورات! واسأل « بز واجنر » خير هؤلاء المقاتلة جميعاً ، يقل لك ما أقول أو على الأصح ، كان خليقاً أن يقول لك ذلك قبل أن يموت .

« وقد قام بز واجنر فى ذلك الصباح ، وبطائرة واحدة من طراز ب ٤٠ ، بعمل لا يضطلع به فى العادة أقل من سرب كامل : فقد أرسل فى بكرة الصبح بذخيرة كاملة لمدافعه ، وتحت جناحيه قنابل زنة الواحدة منها ثلاثون رطلا ، فكان فى وسعه أن يعصف بكل ما يلتقى به أو يراه .

« وخرج إلى البحر شمالى لوزون ، فلمح أربع طائرات مقاتلة يابانية ، محلقة فوقه ، فهمّ بأن يرمى قنابله تخفيفاً لحمله ، وليكون أسرع وأقدر على المحاورة والمناورة ، ثم بعد ذلك يرقى فى الجو لينازل العدو ، ولكن القنابل التى زود بها كانت قد أعطيت له ليلقيها على طائرات جاء بها اليابانيون ووضعوها فى مطار قرب لنجاين ، فمضى واجنر فى طريقه .

« وإنه لآخذ سمته إلى غايته ، وإذا بما يملأ حوالى ثلاثة أصـواع من الرصاص الحامى الأحمر المتوهج ، يهسّ ماراً على مقربة من برجه — فقد انقضت عليـه اثنتان من المقاتلات اليابانية لتدمره .

« وكانتا مقبلتين عليه بعزم صارم فقام بمناورة بارعة — رد طائرته بغتة ليدعهما تمران إلى جانبـه بسلام ، ثم صب ناره على ذنبيهما ، فأصابهما من ذلك ما أشعل فيهما النار . فبورك فى هذه المدافع من عيار ٥٠ ! وكان بطراز ب ٤٠ ستة من هذه المدافع ، وكانت إذا تكلمت ألسنتها الحامية لم يبق لغيرها ما يقول .

« ولا تنسوا أن واجنر لم يلق قنابله فى البحر ، طول هذا الوقت ، وقد كان من السهل أن يكلفه احتفاظه بها حياته ، ولكن مهمته كانت أن يصل إلى مطار لنجاين وكان على موعد هنـاك مع الملازم رسل تشرش .

« ولما اقترب من لنجاين رأى « رسل تشرش » الذى سار إلى جانبـه ثم أبصر هدفه — كل هذه الطائرات اليابانية جاثمة على الأرض كأنما هى معدة للتفتيش العادى فى زمن السلم . وأود هنا أن أنبهكم إلى أمر هو أن السلاح الجوى الأمريكى ليس هو الوحيـد الذى يؤخذ على غرة ويفاجأ من حيث لا يحتسب .

« وهكذا سـارا — واجنر أولا ويليه رسل — مارين بالمطار ، ولما صار أول هدف قيد عيونهما ، ألقى واجنر القنبلة الأولى ثم غيرها من قنابله زنة ٣٠ رطلا ، ورد بصر

الوراء ، فرأى رسل فى أثره . وعــبر
ـنر المطـار ثم دار دورة سريعة ليراقب
ـ رسـل وهى تسقط . وكانـ ذنب
ـئرة التى يقودها رسل قد اشتعلت فيه
ـ من قذائف المدافع اليابانية المضادة ،
ـن رسل يعرف ذلك، ولـكنه واصل عمله
ـاب الطائرات اليابانية المصطفة بانتظام
ـبات مبـاشرة . وكان واجنر لا يزال
ـبه ، فرآه يدور عند آخر المطار وهو
ـن قليلا ثم يهوى إلى الأرض . ويقول
ـجنر : إن من الممكن أن يكون رسل قد
ـتطاع أن يتخلص ويلقى بنفسه بالمظلة ،
ـكن واجنرلم يستطع أن يتلـكأ ليستثبت ،
ـه كان يقوم حينئذ بجولته الثانيــة فوق
ـار ، وحــده . فمرق مرة أخرى بين
ـائف المدافع المضادة وأطلق على هــذه
ـلطائرة الجاثمة مدافعه من عيار ٥٠ ، وكان
ـمن الطائرات يحترق ، واجتاز المطـار ،
بجولةثالثة،وإذا بقذائف تسديد الهدف
ـانية تصفر من خلفه ، فأدار عينه فرأى
ـائرتين الباقيتين من الأربع اليابانية من
ـاز زيرو تنقض عليه . ولم يكن يسعه
ـء ســوى أن يستحث طائرته على أقصى
ـعة تدخل فى طوقها ليفلت ، وصارينأى
ـى طائرتى زيرو شــبراً فشبراً ، حتى عاد
ـلى المطار » .

واستطرد فرانك فقال: « ولـكن مهمتى كانت أن أكون فى برج المراقبة ، لا أن أذهب فى مهمات . فبعد الظهر بقليل اتفق أن صعدت طرفى إلى غمامة تأدّى إلى من ورائها أزيز إحدى طائراتنا ، وكان يبدو أنها تحاول أن تنزل ، وإذا بى أرى مظلة تنفتح تحت الغمامة ، ثم أخرى ، فثالثة ، وقد عددت من هذه المظلات ثمانى ، فلابد أنها إحدى قلاعنا الطائرة ، ولـكنى لم أر التاسعة ، ورأيت بدلا منها جسما أسود يهوى إلى الارض . هى إحــدى قلاعنا ، ولـكن من الطيار ؟ ولم أعرف إلا فى المسـاء أنه كولن ، وكان قد خرج ليقوم بالمهمة التى وكلت إليه فى الصباح على مسمع منى، فأصاب أكبر هــدف يطمع فى مثله طيار إصـابة مباشرة ، ولـما انثنى عائداً تبعته طائرتان مقاتلتان يابانيتان،وأصابتاأنابيب الأوكسجين بقنبلة محرقة ، فشبت النار كأنهـا فى قطن مغموس فى البنزين . ولـكن لم يضطرب ولم يرتبك ، فأمر الثمانيــة الآخرين من رجال طائرته أن يغادروا الطائرة ، ففعلوا .

« ومن القواعد المقررة فى قلعة طائرة أن يكون الطيار آخر من يغادرها ، وهذا فى السلاح الجوى لا يعد مسألة شهامة أو بسالة ، لأنه لا بد من بقاء بعضهم أمام عجلة القيادة ليحتفظ للطائرة باستوائها وارتفاع

جانبها الأيمن ، ريثما يقفز منها الآخرون . والبعض الموكول إليه هذا هو الطيار .

« وقد بقي كولن أمام عجلة القيادة وطائرته تهبط والأوكسجين يحترق ، وخرج الثمانية جميعاً ، ولكن لما جاء دور كولن كان قد دنا من الأرض جداً فلم تتح له فرصة للخروج .

« وقد سمعت أيضاً ، حين سمعت كل هذا ، بالهدف الضخم الذي أصابه كولن ، وكان بارجة يابانية ضربها وأغرقها ، ولكني لم أعبأ بهذا كثيراً في ذلك الوقت ، ولا أظن أن كولن عبأ به شيئاً .

« وبعد الظهر بقليل أقبلت إحدى مقاتلاتنا تضطرب كالطير المجروح وقد فقدت قطعة من جناح ، وبينما هي تهوى إلى المدرج الضيق اصطدمت بجناح إحدى قلاعنا المعطوبة قليلا فأطارته ، وانقلبت فاصطدمت بالأشجار ، فقتل شاويش كان يعمل في طائرة أخرى هناك ، ولم يصب الطيار بسوء ، ولكن طائرة أخرى من مقاتلاتنا القلائل الثمينة ذهبت .

« وكانت تلك الليلة مضنية ، وقد قضيت معظمها في البرج . وكنا قد لفقنا نظاماً من الأنوار لمساعدة الطائرات على النزول ، لم يصلح إلا نحو نصف الوقت ، وكنا إذا استطعنا أن ننزل طائرة على الأرض ، يمشي على جانبيها — عند طرفي الجناحين — اثنان يحملان مصباحين ، ليهدياها إلى مكانها في منطقة التوزيع ، وليحولا بينها وبين التردي في إحدى الحفر التي أحدثتها القنابل .

* * *

« وفي اليوم التالي صار من الواضح أن علينا أن نرحل عن مطار كلارك فيلد ، فقد كان غاصاً بحفر القنابل ، وكنا في متناول فورموزا ، ولا مقاتلات تدافع عنا ، وليس لنا إلا أقل من القليل من المدافع المضادة للطائرات .

« من أجل هذا بدأ الجلاء في صباح اليوم التالي ، وقد أعطوني إحدى الطائرات التي رقعوها ، فقمت برحلتين ذهاباً وإياباً إلى ديل مونتي ، ومعي في كل رحلة رجال من عمال الطائرات على الأرض ليقوموا على خدمة طائراتنا في ديل مونتي .

« ولن أنسى أبداً آخر رحلة ، وكانت ليلا كما هو مفهوم بالبداهة — فقد كان الطيران نهاراً غير مأمون — وقد حلقت في الساعة الثالثة صباحاً ، وإذا بأحد الميكانيكيين يخبرني فجأة أن في أنبوبة البنزين ثقباً كبيراً فماذا كنت عسى أن أصنع ؟ كل ما كان يسعنا أن نصنع هو أن نلف حول الأنبوبة المثقوبة شريطاً لاصقاً ، ونسرع ما استطعنا ونسأل الله أن يقينا شر اندلاع النار ونحن

الجو . وقد نجحنا ، وشاءت المقادير أن ...ن هذه آخر رحلة لى فى مطار كلارك ، اليابانيين عادوا فى اليوم التالى ودمروا ما بقى فيه . وقد فقدت فى هذه الغارة ، جرائها كل ما كان لى ، وفى جملتها ...ات الصغيرة ، واليوميات ، والمحافظ كانت لرجال الطائرة رقم ٩٩ .

« والآن صرنا فى ديل مونتى ، ومعنا ... عشرة من القلاع الطائرة ، ولكنها ...وغة وسيئة الحال ، حتى لنعد سعداء إذا ...طعنا أن نرتفع بست منها عن الأرض ...قت معاً .

«ولكن البقعة كانت، فيما عدا ذلك، أنيقة ...ة ، فقد كان فيها أرض خضراء زكية ، مصنع كبير للأناناس المحفوظ ، وناد ...بركة للسباحة ، وملاعب للتنس ، وعدد النساء البيض ، حتى لراح كل فتياننا ...لقون ويحدقون فى وجوههن ، ولكنه ...كن هناك لا مدفع مضاد للطائرات ، طائرة قتال تحمينا فى دائرة يبلغ قطرها ... من الأميال .

« وازداد قلقنا على الأيام . فهنا فى هذا ...ر الجميل ، رأينا اناساً لم يكن يبدو أنهم يعرفون أن الحرب قد قامت . ... كل ما حولنا من العسكريين جماعة فرق النقل . وفى أول يوم نزلنا فيه دعوت اثنين من الجنود وأمرتهما أن يحجبا الأنوار الكاشفة فى كل سيارة تدنو من المطار ، كائناً من كان صاحبها أو راكبها ، فنفذا أمرى ، واتفق أن وقفا سيارة لأركان حرب فى فرقة النقل ، فتوعد هذا الضابط أن يضع حداً لهذه السخافات .

« وقبل أن يزورنا اليابانيون، استطاعت فرقة القذف التاسعة عشرة ، أو ما بقى منها ، أن تضربهم ضرباً وجيعاً . مثال ذلك بعثة خليج ليجاسبي . وكان قلم استخباراتنا قد أنبأنا أن حشداً كبيراً من السفن اليابانية يتحرك جنوباً نحونا على شاطىء لوزون ، وكان هذا معناه هلاكنا ، ولا سيما إذا كانت إحدى السفن حاملة طائرات ، وعليها طائرات زيرو، فتستطيع أن تضربنا بمدافعها الرشاشة ونحن على الأرض . ولا تنسوا أنه لم يكن لنا طائرة قتال واحدة فى دائرة قطرها خمسمائة ميل، حول مطار ديل مونتى

« فكان علينا أن ننهض ونصنع كل ما يدخل فى وسعنا . وكنا نعمل كالشياطين، حتى صار عندنا ست طائرات ، ظننا أنها صالحة لأداء هذه المهمة . ولكنى فى ذلك الوقت لم يكن لى طائرة أقودها ، ولهذا يحسن أن يقص هارى هذا الخبر عليكم ، فقد كان هو الملاح فى الطائرة التى قادها جاك أدامز » .

فقال هارى : «كان على الطائرات الست أن تقـوم فى الساعة العاشرة ، فراح جيم كونالاى يدرج بطائرته ، وإذا بإطار عجلته يثقب ويخلو من الهواء على المدرج ، فمالت الطائرة واصطدم جناحها بالأرض ، وأصابه من ذلك تلف، فبقيت خمس طائرات ولم يكن هـذا مما يحمد ، فإن فى الـكثرة الأمن والسلامة ، إذا كانت الطائرات من القلاع ، وكلما كانت النار التى تصبها على طـائرات زيرو أقوى ، كان ذلك أدعى لسلامـة القلاع وعودتها إلى قاعدتهـا . ولـكنا قمنا على كل حال .

«وكنا نطير فى نظام، ونرقى فى الجو باطراد إلى الارتفاع المتفق عليـه وهو ٢٥٫٠٠٠ قدم . وبعد ساعة من خروجنا من مطار ديل مونتى ، تخلفت عن الصف إحدى الطـائرات فقلنا : لعـل بمحركاتها شـيئاً لا يساعدها على المواظبة على الصعود . وبعد نصف ساعة تخلفت طائرة ثانية ، ولما دنونا من هدفنا تخلفت ثالثة ، وكنا نستطيع أن نرى محركاتها ضعيفة ، وأنها لا تستطيع أن تصعد إلى الارتفاع المنشود .

«وكنا لاعتقادنا أن طائراتنا ستظل ستة قد اتفقنا على تقسيمها إلى سربين ، فى كل سرب ثلاث طائرات ، وإذا بكل ما بقى طائرتان ليس إلا ، فقرر أحد الطيارين

الاثنين أن يزعم أنه السرب الأول ، وأ يكون الطيار الآخر هو السرب الثانى اثنان ضد هذه العصابة الكبيرة من السـ اليابانية .

« وكان على جاك أن يكون هو البادئ ولـكن السحب كانت من الـكثافة بحـ كان لا معدى من الهبوط إلى ارتـ ١٨٫٠٠٠ قدم ، قبل أن نستطيع أن نـ الهدف . وقد رأيناه ، وهو صف من سـ النقل معها سفن حربية للحراسـة ، تنسوا أننا هبطنا إلى ١٨٫٠٠٠ قدم . ولا هذا بالارتفاع الموافق لنا فإن الطراز القا « د » من القلاع الطائرة ، مصنوع لـكـ أفعل على ضعفى هذا الارتفاع تقريباً . ارتفاع ١٨٫٠٠٠ قدم فهو أصلح ما يكـ لطائرات زيرو .

«وإذا أردت أن تعرف طراز «د» القلاع الطائرة معرفتها، وتلم بطريقك فتصور أن أنفها رأس سمكة مصنوع صلصال شفاف . وفى الفك الأعلى يقعد الـ وزميله جنباً إلى جنب ، وهذا هو مـ الطيارين، وفى وسعهما أن يريا ما أمامهـ وما على الجانبين، ولـكنهما لا يستطيعان يبصرا ما تحتهما . وتحت مقعديهما الـ الأسفل فى رأس السمكة ، وتصل إليه باب صغير كباب الفخ ، وهنا مكان الـ

ى ، ومكانه مصنوع أيضاً من صلصال
ف ، وفيه يجلس معــه قاذف القنابل ،
وسعهما أن يريا ما أمامهما وما تحتهما ،
كنهما لا يبصران ما فوقهما .

« ومتى وصلنا إلى الهدف فإن وظيفتى
ح تنتهى إلى حين ، فأرتد إلى مستودع
بل حيث تـكون معلقــة بحمالات على
ى مبنى صغير ، فأساعد على نزع دبابيس
لاق للقنابل . والمكان مظلم لا يضيئه
صباح كهربائى صغير .

« والآن يفتح باب المستودع فيغمر
ء القنابل ، ثم تذهب القنابل ، وقبل
رد الأبواب وتوصد ، ألمح جماعة من
ات زيرو منطلقة فى أثرنا .

« فأخبر جاك أدامز ، فيتجه إلى سحابة
أنها على عشرة آلاف قدم فننحدر إليها
وتنا ، وفى أثناء ذلك تكون طائرات
فى أثرنا وتدنو منا ، ولا تلبث أن تطلق
ا علينا ، وبينما نحن مسرعون إلى
ابة ، يقوم المدفعيون بالرد على العدو .

وكان هناك خمس من طائرات زيرو
ا وتصعد إلى ما فوق ذنبنا ، وقد
ل مدفعينا التحتى أقرب الخمس ، ولـكن
ع الأخرى ظلت مقبلة فى نظام متماسك ،
جاك أدامز يحرك ذنب الطائرة إلى
وإلى تحت ، ليمكن المدفعيين العلويين

من ضرب المطاردات . وقد كان . أصاب المدفعى العلوى واحدة ، فبقيت ثلاث .

« ورأى جاك أن يكبح الطائرة فجأة ، فتجاوزتنا إحدى طائرات زيرو إلى الشمال فصارت صيداً حسناً لمدفعينا الجانبى . ثم أقبلت أخرى تحت جهاز التوازن فى الذنب ففاز مدفعينا التحتى بصيده الثانى فى يومه ، وهكذا دمرنا أربعاً وبقيت واحدة كانت لا تزال تهاجمنا على الرغم من كل ما فعلناه .

« ومما زاد الحال سوءاً أن هذه السحابة اللعينة التى قدرنا أن تكون على ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم تبين أنها على ارتفاع ٤٫٠٠٠ فقط ، وليس ثم أحجام قياسية للسحب ، فلا يسعك أن تعرف على وجه التحقيق مبلغ بعدها منك ، ولـكنا دخلنا أخيراً فى سحابة .

« غير أنه لما أراد جاك أن يخرج من مخبئنا وينطلق ، وجد أنه لا قدرة له على ذلك ، لأن طائرات زيرو كانت قد أصابت وعطلت المحركين رقمى ١ و٢ ، فصرنا نفقد سرعتنا وارتفاعنــا أيضاً ، ونهبط ببطء فى هذه السحابة على الرغم مما بذلناه من جهود .

« وكانت طائرة زيرو الباقية قد تبعتنا فى قلب السحابة ، وكانت لا تنفك ، من حين إلى حين ، تضربنا برصاصها ، ولن ننسى أبداً صوت هذا الرصاص اليابانى وهو ينثر

فى قلب طائرتنا ، فقد كان يخترق قشرة الألومنيوم كأنه جلد إنسان، ويصيب موضعاً من الدرع ، ثم يرتد . وما لبثنا ونحن نهوى فى كفاف هذه السحابة وأسافلها أن صاح بنا الطيار المساعد أن نستعد لنزول اضطرارى . وكان جاك يبحث عن رملة مستوية يهبط عليها ، غير أنه لم يكن ثم رملة ما ، ولا شىء غير صخور يدور بها ويلتف عليها الزبد . فاتجه جاك إلى الأرض ، فرأينا أمامنا جماعة كبيرة من الشجر يبلغ علوها ستين قدماً ، فلم يبق إلا أن نصلى ونبتهل إلى الله . ولكن جاك ارتفع بها إلى ما فوق الشجر، ثم نزل بها على بطنها فى مزرعة أرز خير نزول يمكن أن نطمع فيه .

«ولعلكم نسيتم طائرة زيرو الباقية ! أما أنا فما نسيتها، لأنها طاردتنا على طول طريقنا ونحن نهبط ، ولقد خرجت زاحفاً من الطائرة بأسرع ما استطعت ، وذهبت أعدو . والمضحك أن « بيل ريلنج » ، الطيار المساعد ، كان إما مذهولا أو راضياً عن المكان الذى هو فيه من الطائرة ، فقد بقى فى مقعده بينما كانت طائرة زيرو تدور ، ثم أقبلت ومدافعها تقذف النار ، وقد وشم الرصاص جناح القلعة كله ، بينما كان ريلنج قاعداً يحلم مستريحاً فى مقعده والرصاص يتناثر من حوله . وصدقونى أو لا تصدقوا ! فما أصابه شىء ، حتى ولا خدش . وهذا يثبت أنه يستوى أن تجرى فى أية ناحية أو لا تجرى على الإطلاق » .

* * *

وقال فرانك : « ومر بالطائرة الأخرى وقت عصيب أيضاً ، فإن الطيار فاندفانتر حلق فوق الهدف بعد أدامز بثلاث دقائق ، وطورد حتى دخل فى سحابة، وظلت طائرات زيرو تطوف حول السحابة حيث بقى محبوساً فيها مختنقاً بها زمناً ، وكلما بدا منه جناح صبت عليه طائرات زيرو نارها ، ولكنه تمكن من العود بطائرته » .

واستأنف الملاح هارى حديثه فقال « وعانينا بعض المتاعب من جراء ما أصاب طائرة أدامز . فإنى لما نهضت عن الأرض ، بعد أن انتهت طائرة زيرو من قذفنا برصاص مدفعها الرشاش، وجدت أن شاويشاً أصيب فى ساقه برصاصة ، وأنا أيضاً أصبت بخدش من رصاصة ، ولكنه لم يكن شيئاً يستحق الذكر .

« وأحسب أن لكم أن تقولوا إن إجازتى من السلاح الجوى تبدأ من هذه النقطة ، فما وقعت عينى على أحد من رجال الفرقة التاسعة عشرة إلا بعد أن وصلت أستراليا فى شهر مارس . وكانت الفرقة قبل ذلك قد طوردت إلى مطار ديل مونتى ، ثم ألقى

ذلك من بقى منهم فى معارك جاوة .
، أثناء ذلك وقع لى كثير .
« فبعد ثلاث دقائق من نزولنا الجبرى
حقل الأرز ، أحاط بنا جماعة من
بينيين ، وهم جميعاً يلوحون بأطول
حد مدى تود أن تراها . ولكننا أقنعناهم
السنا يابانيين ، فبذلوا لنا جميعاً معونتهم ،
خبرونا أننا فى جزيرة ماسباته ، وصنعوا
ة مريحة للشاويش المجروح .
« وأراد هؤلاء الأهالى أن يكرموا
باط الأمريكيين الذين يحاربون فى سبيل
هم ، فجاءونى بحمار أركبه ، وكان الرفض
قاً أن يعد إهانة لهم ، ولكنى لم أكن
ور مبلغ العناء الذى تكبدته .
« فقد كان هذا الحمار كأنه محروم من
عام ، وكانت عظمة ظهره ناتئة ، ولم يكن
من وسيلة للسيطرة عليه ، فقد كان
لف ويقف ليأكل بعض الحشيش ،
لمح أمامه أتانا فيذهب يعدو ليدركها ،
ا ذهب يعدو فإنى أنا أرتج ، فأرتفع
حط على تلك العظمة البارزة .
« وبلغنا قرية بعد قليل ، ووجدنا طبيباً
بساق الشاويش .
« ومضى نحو أسبوع قبل أن نبرح
ه الجزيرة فى زورق طويل ، نزلنا منه
باناى . ولما قدمنا أنفسنا إلى الجنرال

تشينويث قيل لنا إن الفرقة التاسعة عشرة
غادرت مندناو إلى أستراليا . وأخذونا
وألحقونا بألاى مدفعية ميدان من القوة
الفلبينية ، وولوا كلا منى ومن جاك أدامز
وبيل ريلينج ، قيادة كتيبة فعددنا ذلك شرفاً
عظيما لأننا لم نكن أكثر من ملازمين » .
« وأدرنا عيوننا فى جنودنا فألفيناهم كلهم
فى سن طلبة المدارس العليا ، ونصفهم لا يتكلم
الإنجليزية . أما المدفعية فكانت عبارة عن
اسمها زائدا ست نظارات لمدافع فرنسية من
عيار ٧٥ ، مما كان يستعمل فى الحرب الماضية .
أما المدافع نفسها فغرقت مع سفينة تموين
فى خليج مانيلا ، وقد نظفت النظارات
وصارت فى أحسن حال !!
« وقد أرسلت جماعتنا إلى مكان على
نهر يسمى كارمن فيرى ، حيث يصل طريقان
من مدينة دافاو فى الجنوب وكانت فى يد
اليابانيين ، وكان علينا إذا قام اليابانيون
بهجوم أن نمنعهم من عبور النهر .
« ولم تكن هذه البقعة مما يطيب لى ،
ولا سيما الحيات . وكنت أنام فى خندق ،
وقبيل الصبح يبترد الجو ، فتقبل عليك
الحيات لتدفأ بك فى الظلام ، وكانت غليظة
كالساق ، ولم يكن هذا مما يخف على نفسى .
وأرجو ألا تظنوا أنى أذم الحيات أو أنتقدها
فقد كانت رقيقة رصينة . ولكن المكان لم

يكن يبدو لى كأنه بيتى ، فكان هذا سبباً آخر يضاف إلى أسباب شتى بغضت إلى العمل على الأرض ، وقد يكون العيش هناك مأموناً كما يزعمون، ولكنك لا تشعر أبداً أنه كذلك .

«من أجل ذلك اغتبطت أعظم اغتباط حين أمرت أن أعود إلى مطار ديل مونتى ،حيث كان الطيارون الذين لا طائرات لهم يجمعون للجلاء إلى أستراليا . وقد جاء الملازم بيز — وهو من الفرقة التاسعة عشرة — بقلعة طائرة ذات ليلة وحملنى مع خمسة عشر طياراً آخرين ليس لهم طائرات . وأقول الحق ، إنى شعرت بالغبطة لما صرت مرة أخرى فى جوف طائرة ، واختفت عنى عظام ذلك الحمار ، وكل هاتيك الحيات المتوددات ، فى ظلام الأفق . فما خلقت قط لعمل المشاة » .

* * *

وقال فرانك كورتز الطيار : « ولشد ما كان سرورنا بك يا هارى لما عدت إلى الفرقة التاسعة عشرة فى أستراليا ! فقد كنا سلكناك مع الموتى لما لم ترجع من خليج ليجاسبى مع الآخرين ، وقد رآك فاندفانتر منطلقاً بالطائرة إلى سحابة ،وفى إثرك خمس من طائرات زيرو . وجدتنا أنفسنا أنك لم تستطع قط أن تصل إلى تلك السحابة وتدخل فيها .

«وهكذا صارت الفرقة التاسعة عشرة فى مطار باتشاور بقرب داروين بأستراليا .

«وهى رقعة قاحلة قليلة السكان، وبورت داروين قائمة هناك على حافة لا شىء على الإطلاق ، وشوارعها واسعة ، وفيها فرقة موسيقية تعزف فى المتنزه ، وحديقة حيوان فيها عدد قليل من الكانجارو والدببة وغيرها . وليس بها خضر طازجة ، وكل شىء يستورد فى العلب . وهذه هى داروين .

« أما مطار باتشاور فعلى مسافة أربعين ميلا إلى الوراء فى الغابة ، وفيها مدرجان أو أسلوبان للطيران مرتجلان،(فقد كان من الصعب الحصول على آلات للتمويه أو ديناميت لنسف الجذوع) ، وحظيرة يتولى أمرها السلاح الجوى الملكى الأسترالى .

« وكان حسناً بضعة أيام أن يكون المرء بمنأى عن الخطر ، وأن نشرع فى ترميم طائراتنا الست وإصلاحها ، ولكن للسلام متاعبه . فقد كانت أستراليا لا تعرف إلى ذلك الوقت أن هناك حرباً . وكان رجال السلاح الجوى الأسترالى ، على ظرفهم معنا يبدون كأنهم يتكلمون لغة أخرى . ذلك أننا نحن قاسينا أهوال الجحيم ، وكنا نعرف أن الجحيم تمشى إلينا بخطوات مطردة .

لـكن هؤلاء الطيارين الأستراليين ، حيونا
وأنا كنا قد هبطنا عليهم بعد رحلة عادية
تنزنا فيها البحر .

« وفى ذلك الصباح الأول خرجنا جميعاً ،
ن ضباط وجنود ، وشرعنا نحفر
فراً نختبئ فيها على سبيل الاحتياط من
ارة يقوم بها اليابانيون علينا قريباً . فدهش
لأستراليون وقالوا : يالها من ديمقراطية !
لم يخطر لهم قط أن يحتفروا شيئاً لأنفسهم .

« وشرعنا بأسرع ما نستطيع نقوم
حلات . وكان مطار ديل مونتى لا يزال
أيدى الأمريكيين فكان فى وسعنا أن
خذ منه قاعدة أمامية ، وكنا نذهب إليه
نتزل به على حذر كأنما هو أتون حام ،
قد كانت المسافة ١٧٠٠ ميل من داروين
ى ديل مونتى . فكنا نغادر داروين فى
صباح ، ونطير طول النهار ، ونتزل فى
يل مونتى بعد المساء ، لنكون بمأمن من
اليابانيين ، ثم نتعهد الطائرة ونأكل وننام
قليلا ، ثم نملأ خزان البنزين فى وقت يمكننا
من القيام بغارة فى الصباح الباكر على
أسطول الغزو اليابانى على مقربة من لوزون .
ثم نعود إلى ديل مونتى ، فى وضح النهار ،
ذلك خطر عظيم ، ولهذا كنا نتزل
نتزود بسرعة من البنزين والقنابل ، ونذهب
غارة أخرى بعد الظهر ، ونرجع إلى

ديل مونتى فى الظلام ، ولله الحمد ، حين
لا يكون هناك طائرات قتال يابانية فى الجو ،
ونصل حوالى نصف الليل ، ونرقد مثل
رقاد القطط ، ونتزود من البنزين ونثنى
إلى أستراليا .

« وتصور حال الطيارين وأعوانهم ، وإلى
أى حد يطحنهم الجهد يوماً بعد يوم ، ثمانى
عشرة ساعة فى بعض الأحيان بغير انقطاع .

« ولكن الذى كنا نخشاه أكثر مما نخشى
سواه هو عيد الميلاد ، وكان قد شارفنا
عيد الميلاد ، ونحن فى هذه الهزيمة وعلى هذا
المطار الصحراوى المجدب الحار الكثير
التراب ، ومن غير أن نسمع كلمة أو يأتينا
بريد من أهلنا وقومنا .

« وكنا نعلم أنه لن يأتينا بريد ، فكان
من الطبيعى فى يوم عيد الميلاد القائظ أنه
يدلف بعضنا إلى كوخ الراديو عند
الأستراليين ، لنلقط ما يمكن أن نلقط من
كلمات عن بلادنا .

« وينبغى أن أقول هنا أن بعضنا ذهبوا
فى مهمات إلى الفلبين — ست قلاع طائرة
فى جملتها طائرة أل مويلر ، وهم الآن ينبغى
أن يكونوا فى رحلة الإياب إلى مطار باتشلور
وهى تستغرق تسع ساعات طويلات مضنية .
ولشدّ ما رجونا أن لا يدهم منها شئ فى
عيد الميلاد .

« وكان الأستراليون غاية فى الظرف معنا ، وقد أعطونا البطاقات التى تلقوها فى عيد الميلاد لنقرأها ، ثم كانوا يسألوننا : « من أية ناحيـة فى الولايات تجىء أيها الأمريكى ؟ » ، فكان يسعنا أن نحدثهم عن زوجاتنا أو عن صديقاتنا من الفتيات إذا شئنا ، وكان أكثرنا يفعل . ولكنا كنا قلقين على طائراتنا التى ذهبت فى مهمة ، وإن كنا لم نتحدث عنها . ولم نكن ندرى أنها تعرضت لمخاطر جدية ، وأن طائرات زيرو ضربتها على ارتفاع كبير، وأن طائرة أل مويلر ضربت بالمدافع الرشاشة فدخلت الرصاصات فى القسم الذى فيه الراديو . وقد أصيب الشاويش كيلين عامل اللاسلكى فى يافوخه وهو يساعد المدفعيين على التعبئة ، وجرح اثنان آخران جروحاً بليغة . ولما كان هذا قد حدث على ارتفاع كبير فقد كان الأمر خطيراً جداً ، لأن المصاب قد يسقط فتنزع عنه كمامة الأوكسيجين . وليس ثم شىء يستحق الذكر تستطيع عمله لجريح أثناء المعارك الجوية على ارتفاع كبير ، وأقصى ما يدخل فى طوقك هو أن تضع كمامة الأوكسيجين على وجهه، حتى لا يتحول وجهه إلى الزرقة ويختنق على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ، وأن تدعو الله أن لا يلح عليه النزف فيموت ، فما يسعك أن تكف عن القتال فتضمد جرحاً .

« ولنرجع إلى أل مويلر . إنك حين يصاب رجال طائرتك يكون همك أن تهبط إلى ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم على الأقل بأسرع ما تستطيع ، حتى لا يضنيهم التنفس من خلال كمامة الأوكسجين ، ولكن طائرات زيرو كانت تحتهم أيضاً . وكان أل يدرك أنه إذا ترك السرب وانقض بمفرده ، فإن اقتناصه يكون سهلا ، ولهذا صنع خير ما يمكن أن يصنع — بقى مع السرب ، لولا أن هـذا كان من أقسى الأمور فى عيد الميلاد ، إذ كان معه هؤلاء الجرحى يكافحون فى سبيل التنفس فى طبقات الجو العليا .

« ولم نكن ندرى شيئاً عن هـذا ولكن عامل اللاسلكى الأسترالى كان يدير المفاتيح، فسمع شيئاً ، وبعد أن كتبه والسماعة على أذنه ألقى إلىّ نظرة غريبة تنطوى على الحيرة والارتباك ، وناولنى الورقة .

وكان الذى فيها من أل مويلر ، فقد انتظر حتى خرج من منطقة الخطر قبل أن يقطع صمت جهازه اللاسلكى ، وقد قال فى رسالته : إنه سيصل بعد المساء ومعه فى الطائرة قتيل ، وطلب أن تكون سيارة الإسعاف فى المطار ، ومعنى هـذا أن معه جرحى . فلم تبق لنا متعة بعيد الميلاد .

* * *

« ولما وصلت طيارة أل كانت من
لف بحيث قررنا أن نعدها حطاماً ، وكانت
اجتنا شديدة إلى حطام فى المطار ، لنأخذ
ه قطعاً للتغيير لإبقاء الطائرات الأخرى
درة على الطيران . وكانت بنا حاجة إلى
ل شىء ، ولكنها أشد ما تكون إلى
زانات للبنزين .

« ذلك أن خزان البنزين الرئيسى فى
از « د » من القلاع الطائرة محمول
أجنحتها ، ولكنها تستطيع أن تحمل أيضاً
انات إضافية على الرفوف فى المكان الذى
القنابل ، فإذا أصابتنا الطائرة المقاتلة
ن هذه الخزانات تلقى مع القنابل لتكسب
ائرة مزيداً من السرعة فتنجو ، وإذا
انت الخزانات خالية فإن هذا يكون
عى إلى إلقائها . وكثيراً ما تخترق رصاصة
زان بنزين مترع ولا تشعل النار فيه ،
كن الخزان الفارغ يكون فى الحقيقة
وءاً بمزيج من الهواء وبخار البنزين
جر كالقنبلة ، كما يعرف اليابانيون حق
رفة ، وقد اضطررنا إلى إلقاء خزانات
ين كثيرة مما يوضع مع القنابل ، حتى صارت
اوى عندنا وزنها ذهباً .

« ومن البديهى أننا كنا على حال بالغة
السوء ، فقد فقدت الفرقة التاسعة عشرة
قوتها الأصلية فى ثلاثة أسابيع ، ولم يبق
لنا الآن إلا حوالى اثنتى عشرة طائرة .
ولكن كان هناك أمر واحد يبعث على
الأمل ، ذلك أنه لم يدمر فى المعارك الجوية
من الأربع والعشرين التى فقدناها ، سوى
اثنتين ليس إلا ، هما طائرتا كولن وجاك
أدمز . أما البقية فدمرت وهى على الأرض ،
وقد تحطمت إحداها على الشاطىء لإنقاذ
من فيها ، لما عجزت عن الأوبة إلى قاعدتها .

« وإنا لنحصى هذه الخسارة ونتساءل
عما عسى أن يحل بنا بعد ذلك ، وإذا بالجنرال
بريرتون يهبط فى المطار ، ثم دعينا على
الفور إلى اجتماع يعقد فى حجرة العمليات .

« وقد أبلغنا أن سلاح الجو التابع
لجيش الولايات المتحدة فى الشرق الأقصى ،
وهو الذى يقوده ، سينقل قاذفاته فوراً إلى
جاوة ، وستكون قاعدته الرئيسية فى مطار
قرب مدينة مالانج ، ومن هناك نعمل من
قواعد أمامية أعدها الهولنديون فى جزائر
بورنيو وسيليبس ، ومن هذه القواعد
الأمامية سيكون همنا موجهاً إلى تحطيم
حشد كبير من سفن النقل اليابانية ، يجتمع
فى خليج دافاو ، على الطرف الجنوبى لجزر
الفليبين .

« وكنا ، وهو يتكلم ، نسائل أنفسنا
عن هذا السلاح الجوى الأمريكى ومبلغ
قوته ، إذا كان سيوكل إليه أن يحطم اليابانيين

فى جزر الفلبين ، ويتمنعهم أن يصلوا إلى جزر الهند الهولندية ؟ ولما تبينا أن السلاح الجوى التابع لجيش الولايات المتحـدة فى الشرق الأقصى ، هو نحن ليس إلا ، لم ندر : أنرثى لأنفسنا أم للجنرال بريرتون الذى لا يقود سوى هذه القوة الضئيلة ؟

« غير أنه كان هناك نبأ عظيم لى ، فمذ دمرت الطـائرة رقم ٩٩ بقيت طياراً بلا طائرة ، كأنى شبح يمشى على الأرض — أو رأس بغير بدن — بيد أنه تقرر الآن أن يذهب « لى كوتس » مع الجـنرال ألى بريسبين كضابط مهندس ، وأن أتولى أنا قيادة طائرته ورجالها فى معركة جاوة . فأتيح لى أخـيراً أن آخذ بثأر الطائرة رقم ٩٩

« وقيل لنا فى الأسبوع التالى ، أو حوالى ذلك ، أننا لن نقاتل بعد الآن وحدنا لأن القلاع الطائرة لن تلبث أن تجىء لنجدتنا مجتازة أفريقية وآسيا وشـبه جزيرة مالايا إلى جاوة ، ولن نـكون بغير حماية من المقاتلات ، لأن طائرات القتال من طراز ب ٠ ٤ تنقل بحرا بالسفن . وعلى الجمـلة قيل لنا إن أمريكا قررت أن تلقى بأكثر من ألف طائرة ، فى خلال الأشهر الثلاثة المقبلة ، فى ميدان الشرق الأقصى لتصد اليابانيين عن التقدم .

« فلا عجب إذا كانت نفوسنا قد انتعشت فذهبنا إلى جاوة وقد اعتدلت رءوسنا فوق أكتافنا . وماذا ترى لو كنا لا نزيد على اثنى عشر ضد الإمبراطورية اليابانية كلها إن هذه ليست إلا غمزة من ذبابة الحربة وستجىء البقية قريباً على التحقيق .

« وهكذا طار عشرة منا فى صباح آخر يوم من السنة إلى جاوة ، وآمالهم كبيرة منبسطة ، وكنا واثقين أن سنة ١٩٤١ قد مضت بالأغلاط كلها ، وأن سـنة ١٩٤٢ ستكون مختلفة .

* * *

« والرحلة من أستراليا إلى جاوة تستغرق يوماً كاملا حتى من قلعة طائرة ، ولكن الجو كان طيباً ، وكنا جميعاً على أحسن حال وكان المحيط عميق الزرقة ، وكنا لا ننفك نمر بجزائر خضراء يانعـة النبات ، وهى بمثابة نقط وثوب بين آسيا وأستراليا .

« ولعل آخر الجزر كانت أجملها — جزيرة بالى المشهورة ، قبل جاوة بقليل .

« أما جاوة فى العصر فكانت من فرط الجمال كما قيل إنها ستكون ، خضرة يانعة كأنفس مخمل لمسته يدك ، إلا حيث يرتمى نور الشمس المنحدرة للمغيب ، على مزارع الأرز فتتوهج المياه كالعسجد وسط الوحل الأسود

« وطرنا فوق مرفأ سورابايا الـكبير ،

إلى مدينة مالانج الصغرى على مسافة ٦٢ ميلا من الأولى ، ومالانج هى قاعدتنا . كان قد قيل لى إن المطار مموه تمويهاً متقناً ، ولكنهم بينوا لى موقعها على الخريطة بدقة ، فلم أجد مشقة فى الاهتداء إليها . وكان التمويه خيراً من كل ما حلمنا به فى الفلبين ، وقد صوبت عينى إلى المطار من الارتفاع الذى كنت فيه ، فخيل إلى أنه حقل حنطة يخترقه خط حديدى .

« وما كدنا نهبط حتى كان الفتيان كلهم يحرقون شوقاً إلى زيارة المدينة ، ولكنه كان علينا أن نشهد أولا اجتماع الطيارين المألوف ، وهو اجتماع لا يختلف ولا يتغير فيه شىء ، وليكن القائد من يكون ، أغاً أو يوزباشياً أو بكباشياً — فإنه لابد أن ينهض على قدميه ويروح يلوك كلاماً محفوظاً عما علينا أن نصنعه هنا وههنا ، على حين يكون السامعون لايكادون يستقرون من فرط الرغبة فى زيارة المدينة .

« ولكن هذا الاجتماع لم يبلغ هذا المبلغ من الثقة ، لأننا كنا سنعمل أخيراً ماتدربنا سنوات عديدة عليه بقلاعنا . ومتى جاءت نجدات وتدفقت ، فإنه يكون فى وسعنا حينئذ أن نخرج فى أسراب كبيرة ، وأن نلقى من القنابل حملا لا يخفى مدلوله وأثره . بدلا من أن تخرج طائرة واحدة فتنفرهم نفرات ، نخرج لإلقاء ذلك المستطيل الضخم الكثيف من القنابل ، الذى لا يتسنى لسفينة أن تفر منه .

« ثم انتهى الاجتماع ، ووسعنا أن نستقل سيارة المطار لتحملنا إلى مالانج التى كانت مدينة ذهبية فى نظر هؤلاء الرجال ، الذين خاضوا غمار الحرب شهراً ونصف شهر بلا انقطاع . ومما زاد فى قيمة المدينة وقدرها ، أن الحرب لم تدركها ، ففيها المخازن والدكاكين التى تستطيع أن تشترى منها ما تشاء ، ودور السينما والمطاعم .

«وسرنا إلى ردهة « بلاس أوتيل » لتناول العشاء معاً فى ليلة رأس السنة ـ وكان يدير الفندق هولندى هرم بدين أحمر الوجه يسمونه «دى فرين» ، ولكن رجالنا كانوا لا يستطيعون أن يلقوا نظرة على قائمة الطعام لأن بنتيه الجميلتين دخلتا تنسابان فى الحجرة ، وكان شعرها الجميل منفوشاً ، ولم تسلبهما الشمس الاستوائية امتزاج اللونين الأرجوانى والأبيض ، الذى يمتاز به الهولندى . وكانت الفتاتان وهما تقطعان الحجرة تغضان بصرهما حياء وخفراً ، ولا تجودان إلا بأيسر نظرة بمؤخر عيونهما على الطيارين الأمريكيين ، وكان رجالى قد أتعبتهم الرحلة الطويلة ، ولكن هاتين الفتاتين دخلتا ، فكأنما سرى تيار كهربائى فراح كل فتى جالس إلى المائدة

يرفع يديه ليصلح رباط رقبته ، وعادت إلى عيونهم ، اللمعة القديمة .

* * *

« وفى اليوم التالى شرعنا فى العمـل ، وكان المقرر أن نغادر هذه القاعدة الرئيسية فى مالانج ، وأن نطير إلى قاعدتينا الأماميتين سمارندا فى جزيرة بورنيو ، وكنداري فى فى إحـدى جزر سيليبس . فأما الأولى فواقعة على نهر استوائى ، ولكننا حُـذّرنا من الطيران إليها مباشرة ، لأن طائرات الاستطلاع اليابانية قد تلمحنا فتعرف هـذا المطار الأمامى الصغير على الرغم من تمويهه .

« ولهذا كان علينا أن نتقى الطيران إلى مطار سمارندا مباشرة ، وأن نسير فى طريق غير منتظم إلى ساحل بورنيو ، ثم نحلق دقائق فوق النهر ، ثم نهبط إلى ارتفاع منخفض ، وعندئذ نكون فوق المطار ، ونكون أدنى إليه من أن نخطئه على الرغم من التمويه .

« وشىء آخر : إذا التقينا بطائرات قتال تشبه طائرات بروستر المقاتلة الأمريكية ، فيجب أن لا نطلق عليها النار ، وعلينا أن نعطيها إشارة التعريف المتخذة فى ذلك اليوم بمصباح «ألديس» ، لأنها طائرات بروستر حقاً ، وقد اشترتها الحكومة الهولندية قبل الحرب ، ويستعملها الآن طيارون هولنديون ، ويتراوح عددها بين ١٢ و ١٥ .

« وفى ذلك الصباح استصحبت رجال الجديدين فى رحـلة تجريبية ، ولم أكن أعرفهم ولا كانوا هم يعرفوننى ، وقد تدربوا طبعاً على أعمال المدفعية فى الولايات المتحدة ولكن المهمة التى كنا سنقوم بها فى اليوم التالى كانت أول صيد لهم بطعم حى ، وفرق بين الأمرين . وقد بينت لهم ما يجب أن يتطلعوا إليه ، ثم دربتهم على رفع النوافذ الشفافة التى تكون أمام كل مدفع ، وهو ما نصنعة دائماً قبل الشروع فى إطلاق النار .

« وقد قاموا بالتدريب بروح حسنة ولم يفتنى أنهم يتأملوننى ، وقد تعلمون أن السلاح الجوى ديمقراطى ، ومتى ارتفع عن الأرض ، فإن الرتبة التى تلمع شارتها على كتفك لا تكون لها قيمة تذكر ، إلا إذا رأى رجالك أنك تجيـد عملك ، وهذا ما ينبغى أن يكون .

« وثم أمر آخر : هو أنهم جميعا كانوا شديدى التعلق بطيارهم السابق ، وأحسب أنه هو أيضاً كان يشعر لهم بمثل ما كنت أشعر به لرجالى فى الطائرة رقم ٩٩ ، ومهما يكن من ذلك ، فإن الذى حدث هو أننا بينما كنا فى الجو نعين لكل رجل مكانه فى وقت القتال ، ونطلق بعض الطلقات للتدريب التفت إلىّ الشاويش شارل ، وهو رئيس جماعتى ، وقال لى وهو يحدق فىّ :

« لعلك تعلم يا سيدى اللازم أنه كان لنا
ار لا أعرف من هو خير منه فى أية
ثرة » . وكان هـذا صحيحاً ولا شك ،
ـكن هذا لم يكن وقعه حسناً فى نفسى ،
يكن شارل يريد أن يسرنى . غير أن
، دواعى ارتياحى أنه بعد الرحلة الثانية
ءنى وقال لى إنه خرج عن طوره قليلا .

« وفى اليوم التالى خرجنا إلى بحر جاوة
جهين إلى بورنيو ، واسترشدنا بتعليماتنا
جدنا نهراً كالذى حدثونا عنه ، واهتدينا
العصر إلى مطار سمارندا ، وكان تمويهه
ـ ما رأيت ، وخيراً من التمويه فى مالايج ،
فى الفليبين فلم يتسع الوقت للتمويه .
ـا دنونا من الأرض رأينا المطار مغطى
ـمير خشبية ، تودى بأية طائرة تحاول أن
ل بينها ، فإذا طفت بالمطار من فوقه ،
ت جمعاً من الأهالى يجرون ويرفعون
ه الحمر الخشبية ، ويزحزحونها عن المدرج
ى ستهبط فوقه . ومتى بلغت الأرض
روا إلى تغطية المدرج من خلفك بهذه
ر . ذلك أنهم كانوا يتقون أن يغافلهم
ابانيون وينزلوا خلسة فى المطار ، فأعجبنا
ؤلاء الهولنديين ، فقد فعلوا كل مايدخل
الطوق للدفاع عن جزرهم ، ولم يتركوا
ماً يسع أمة عزلاء .

« وبينما نحن نمضى بطائرتنا إلى مكانها ،
أقبلت ممرضة هولندية وسيمة فى ثياب بيضاء
مكوية ، ونظرت إلينا نظرة فى طيها القلق
والأمل ، كأنما كانت تخشى أن تكون
طائرات زيرو قد ضربتنا وجرحت بعضنا ،
وكانت تجيد الكلام بالإنجليزية ، وقد تطوعت
للعمل فى قلب هذه الأدغال الحامية ، لما علمت
أن الأمريكيين سيستخدمون هذا المطار .
وسرعان ما تبين الرجال أنها حصان جادّة ،
وكانت إلى هذا ظريفة أنيسة وكفؤاً لعملها
وذكية أريبة . وكان من بواعث سرورنا
أن نعلم أننا سنجدها فى انتظارنا فى المطار
إلى جانب سيارة الإسعاف المفتوحة الأبواب
إذا أصابت أحدنا رصاصة يابانية .

«وشهدنا اجتماع الطيارين ، وفيه رسمت
الخطة للغارة على خليج دافاو . وكنا نعلم
أنها رحلة طويلة فى الذهاب والإياب ، وأن
الهدف أقوى تحصيناً مما رأينا حتى فى جنوبى
فورموزا نفسها . وكان مما أمضّنا أن هذا
الهدف اليابانى الحصين قائم فى أرضنا
الفليبينية ، حيث لا يزال جنودنا يقاتلون ،
بل كان على نفس جزيرة منداناو التى يقوم
فيها مطار ديل مونتى . ففيم الإرجاء
والتسويف ؟ فلنذهب إليهم لنعجنهم .

« وبعد منتصف الليل بقليل كنا فى
طريقنا إلى غايتنا ، وقد قيل لنا إن الجو
سيكون رديئاً فوق البحر ، فكان ما قالوا .

وكنت أنا ومساعدى كولوفن نتبادل القيادة وعيوننا تدمع وتتأذى من فرط التحديق من خلال النافذة ، فى الأضواء الخضراء التى فى ذيول الطائرات المتقدمة ، وكان السرب يطير بين سحاب متقطع ، ولكننا فى الليل لا نرى ذلك ، وكل ما نعلمه هو أن الأنوار التى نراها تختفى فجأة ، لأن الضباب يحجبها ثم تعود فتظهر فجأة . وحوالى الساعة الرابعة صباحاً ، أمرت رجالى فى الطائرة أن يطفئوا سجايرهم لأننا سنملأ خزان البنزين من الخزانات الاحتياطية ، وقام رئيسهم الشاويش شارل بإدارة الصمامين اللذين يسمحان بأن يمتص البنزين الذى فى الخزانات الموضوعة على الرفوف فى ردهة القنابل ، إلى الخزانين المركبين على الجناحين . وقد نضطر إذا أصابتنا طائرة زيرو أن نرمى هذه الخزانات الاحتياطية ، وسنحتاج إلى كل قطرة من هذا البنزين الثمين ، إذا أردنا أن نعود من هذه الرحلة الطويلة .

« وكانت الخطة أن نضرب دافاو فى الفجر ، وكنت أتساءل هل يستطيع ملاحونا أن يبلغونا جميعاً هدفنا فى الوقت المعين ؟ لأننا إذا تأخرنا كنا حريين أن نلتقى بدوريات الفجر من المقاتلات اليابانية ، وأن نجدها فوقنا فى انتظارنا ، وإذا وصلنا قبل الأوان ، فقد نحتاج إلى التطويف نحو ساعة حتى يطلع الفجر ، ويتسنى لنا أن نر[ى] الهدف ، وفى هذه الحالة قد لا يكون [فى] بعض الطائرات من البنزين ما يكفى للانتظا[ر] إلى الصباح ، فيضطرون إلى الرجوع ، فتكو[ن] الطائرات الباقية لضرب الهدف أقل م[ن] الكفاية للأمن .

« وبدأ الجو يصفو ، وكان سربنا يط[ير] على هيئة الدال ، وكنت أنا فى المؤخرة م[ع] جيم كونالاى ، وهذا وضع ثقيل ، لأن معظ[م] الهجمات اليابانية فى ذلك الوقت كانت تأ[تى] من المؤخرة .

« وكنا نرقى فى الجو باطراد . بضـ[ـع] مئات من الأقدام فى الدقيقة ، فبدأ البر[د] يشتد ، فطلبت من الشاويش أن يطلق الحرارة ، ودعوت إليه فى سرى أن لا تخذل[نا] الحرارة فى ليلتنا هذه حين نفتقر إليها ، فليس أسوأ من أن تغير على الهدف وبـ[ـك] خدر من البرد ، وينبغى أن تكون أصاب[ع] القاذف دافئة ومنمّلة كأصابع العازف عل[ى] الكمان ، إذا كان يريد أن يصيب هدفه [،] وأصابعه مضافاً إليها حسن قيادتى — وهو ما ينبغى أن أتكفل به وأكفله — ه[ى] التى يعول عليها فى إحكام الرماية . وقـ[ـد] نستطيع أن نغرق سفينة نقل وعليها بضـ[ـعة] آلاف من اليابانيين .

وبدأ النور يفيض قليلا ، وبدت النجو[م]

ة ، ومعنى هذا أن الفجر قريب . فرحت
كر فى طائرات اليابانيين المقاتلة ، ولم يقل
. شيئاً ، ولـكنى كنت أعرف أن رجالى
كرون فى هذا أيضاً ، فهل ترى يعرف
انيون أننـا قادمون ؟ إن لهم طريقـة
ون بها الطائرات المائية الـكبيرة فى أنحاء
عدة فى البحار ، وترى هذه الطائرات
، الماء كأنها الطيور ، فإذا سمعت أزيز
كاتنا بعثت باللاسلـكى تحذيراً إلى القاعدة
بانية . وعسى أن نـكون قد مررنا فوق
ى هذه الطائرات ، ولعل المقاتلات اليابانية
ق الآن فى الهواء خارجة من دافاو
لة علينا .

« وصرنا على ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم ولم
ن بيننا وبين الهدف سوى عشرين دقيقة ،
رت رجالى أن يتخذوا مواقفهم . وعلى
غم من التوتر المتزايد شعرنا بالراحة لأننا
شرع فى العمل قريباً . وقد صفا الجو
ه الحمد ، وبدأ الفجر يطلع ، وفرغنا من
ر ودخلنـا فوق الأرض ، أرض
يداناو ، وقد نسـتطيع إذا أسقطت
ئرتنا أن نفلت من بعض هؤلاء الثلاثين
اً من اليابانيين المقيمين حول مدينة دافاو ،
لذين نطير فوق مزارعهم . وقد نستطيع
، نزحف من خلال النبات إلى مطار ديل
تى الذى لا يزال فى أيدى الأمريكيين .

« وكان قائدنا سيسيل كومز ، وكان يسير بنا بسرعة ٣٠٠ ميـل فى الساعة . فلماذا نكاف محركاتنا كل هـذا الجهد ؟ ألا ينبغى أن نريحها وندخر قوتها ؟ ولـكن لعل سيسيل على حق ، فإنه يريد أن يسرع وهو يضرب الهدف ، ويجتاز منطقته ، وينقذ رجاله وطياراته ولو بإرهاق الآلات .

« وبلغنا نقطة متفقاً عليها من قبل ، وعلينا فيها أن ننثنى مقدار ١٢٠ درجة ونمضى إلى دافاو مباشرة . وإنى لأنثنى انثناء حاداً وإذا بى أبصر الهدف للمرة الأولى ، والعادة أن لا يراه الطيار رؤية مفصـلة ، فإنه وهو فى مقعده لا يرى إلا السماء والأفق البعيد . وقاذف القنابل هو الذى يستطيع أن ينظر إلى ما تحته ، وهو الذى يوجه الطائرة إلى تلك النقطة الصغيرة التى سنهاجمها ، وهى تبدو كرأس الدبوس . ولـكنى الآن ، وقد ارتفع أحد جناحى جداً ، أستطيع أن ألمح من خلال النافذة الجانبية المـائلة — والمدينة ما زالت نائمة ، وخليج دافاو كالفضة من نور الفجر ، ويا ما أحلى هـذا المنظر ! سفينة كبيرة بعيدة من الشاطىء ، تحيط بها مدمرات تحميها ، وهى جميعاً لا حركة بها . ألا لقد داهمناهم وهم نيام يغطون وهـذا ما كنا نبغى .

« ولـكن تغييراً حدث ، فقد سمعت من

تليفوني الداخلي « ستون » ، قاذف القنابل في الطائرة القائدة ، يقول لكومز الذي يقودنا :

« هل تسمح بأن ندور ؟ إني أرى هدفنا الحقيقي الآن » .

« فوقف كومز ، وملنا مرة أخرى واتجهنا على ما يظهر إلى ميناء دافاو الداخلي ، وأتيح لي مرة أخرى أن أرى ما تحتي ، ففهمت سبب التغيير ، فقد كان هناك أكبر حشد من السفن رأيته في حياتي – من بوارج ، وطرادات وناقلات وغواصات ومدمرات ، وكلها منثورة على الماء ، ومتقاربة مع كثرتها بحيث لا يمكن أن نخطىء . وجاء وقت القذف ، فأنا أعدل الطائرة وأكسبها الاتزان ، طبقاً لآلة التوجيه التي عند الطيار ، وهذا جهاز لاترون أنتم فيه أكثر من إبرة تختلج وتضطرب على اللوح ، ولكنه متصل بمنظار قاذف القنابل في القسم الأسفل ، وكلما تحركت أصابع القاذف الحساسة قليلا على آلاته ، سجل الجهاز هذه الحركة بفضل هذه الإبرة . وأنا لا أرى الهدف ، ولكني أتبع ما تشير به الإبرة فلا أخطىء .

« وبدأت أعصابنا تتوتر ، فأنا أنظر بسرعة إلى ما أمامي ، فأرى سيسيل كومز يطير فوق الهدف . ولما كنا في المؤخرة ، فإن سيسيل مني على مسافة تسعة أميال وقلعته الطائرة لا تبدو أكبر من طير وهذه السماء أمامي ملأى بنفخات من الغبار الأسود من المدافع المضادة ، وهو يكون طبقة سوداء فوقه ، فقد أبعد اليابانيون مرماهم قليلا ليصيدوا سيسيل ، ولكني كنت أعرف أني بعد ثوان قليلة سأرى هذه الدا[ئرة] عن كثب ، ودعوت الله أن لا يخطئ القاذف الذي في طائرة سيسيل ، وقلت لنفسي « ألقها عليهم يا ستون ! ألقها يا فتى ! »

« ولكن هذا الفتى لا يخطىء ، فإنه من خير القاذفين ، وإنه الآن ليهيئ لليابانيين مثل صنيعهم ببيرل هاربر . فقد كان الهدف هنا شبيها به هناك ، سوى أنه لم يكن له سوى عشر طائرات نغير بها ، أما اليابانيون فضربوا هاواي بعشرات وعشرات .

« وكانت سماعات التليفون تقرقر من جراء لغط رجال الدفعية الرشاشة ، وكلهم يتطلع من النافذة حذراً من إقبال طائرات زيرو . وكانت مهمتي أن أتقيد بما تأمر به الإبرة ، وأن أوجه طائرتي طبقاً لها ، وينبغي أن يكون التوقيت دقيقاً محكما كما يكون بين اثنين من العازفين على الكمان ، فالقاذف في طائرتي يحتاج إلى خفة لمس العازف ، وأنا لا بد أن أتبعه بمثل هذه الخفة في لمس الدفة . فإذا اضطرب وحرك آلات[ه]

أبعد مماينبغى، فإنى أنا أيضاً أطيع الإبرة
بدفع الدفة إلى أبعد مما يجب ، فتخرج
ائرة عن نهجها .

« وتمتمت : « لكأنى أسأل الله أن
يفعل ذلك ، هيا يا صاحبى لا تبالغ
الإحكام » .

« والآن أخاطر برفع عينى هنيهة عن
رة لألقى نظرة على ما أمامى، فأرى الطائرة
نية تدخل فى نطاق الهدف ، وتجتاز خط
ف . وكانت المدافع المضادة قد أبعدت
ن ، فالآن صارت قذائفها تنفجر تحت
رة ، ومعنى هذا أنهم يتوخون أن
روننا بين قوسين من النيران، ومتى جاء
فا كان التسديد محكما .

« وإنى لفى هذا ، وإذا بى أسمع المدفعى
يح بالتليفون :

« طائرات القتال صاعدة إلينا من جهة
ل » ، ولم أكن أستطيع أن أراها
ذ ولكنى كنت أسمع رجال المدافع
ى يقولون: « أنها تصعد فى خط حلزونى
ل بطىء كالنحل خارجاً من عشه ،
تصعد عمودياً تقريباً، حتى لتستطيع أن
بطونها وكأنها معلقة من مراوحها » .

« ومالى أنا بهم؟ إن هذا شأن المدفعيين،
أنى أنا مرهون بشأن قاذف القنابل .
رت طلقات المدافع المضادة فى مستوانا

ولقد استطاعت أن تحصرنا بين قوسين ،
وسيكون على أن أدفع بالطائرة فى هذا
الجحيم، إذا أردنا أن نظل على مجرى القذف
وهذا ما لا مفر منه .

« ثم تثور ثائرتى ، فإن كتبنا المدرسية
تقول إن المدافع اليابانية المضادة لا تستطيع
أن تصيب شيئاً على ارتفاع يتجاوز ١٨٫٠٠٠
قدم . وها نحن أولاء على ضعفى هذا
الارتفاع تقريباً والقذائف تصل إلى مستوانا

« وإنى لكذلك وإذا بأنف الطائرة
يرتفع فجأة ويميل إلى الشمال ، وما كدت
أردها إلى الاستواء، حتى حاولت أن تنثنى
مرة أخرى . وكان السبب راجعاً إلى انفجار
القذائف — وفى هذه الحالة تحدث موجات
خفية من الهواء مع كل انفجار — فالطائرة
الآن ترتج كأنها طراز قديم من سيارة
فورد فوق طريق وعر . وقد جعلت الإبرة
قيد نظرى ، ودعوت الله أن يوفق القاذف .

« وفى هذه اللحظة تلقيت منه إشارة،
وفتحت أبواب مستودع القنابل ، وأحسست
بالوطأة الخفيفة على الطائرة، ثم سمعت الإشارة
المزدوجة التى معناها أنه يقول: « امض على
استواء يافرنك من فضلك » ، ولا أجيبه
إلا بقدمى ضاغطتين برفق على الدفة ، وأهيىء
له ذلك الاستواء التام الذى ينشده ، لأن

نصف درجة هنــا معناه خطأ يبلغ مئات الأقدام على الأرض .

« وأخيرا يضىء النــور الكهربائى على اللوح أمامى ، ومعنى هذا أن القاذف يلقى فعلا قنابله واحدة واحــدة — وهى أربع ضخام زرق زنة الواحدة ستمائة رطل ، يرميها وبين كل اثنتين نصف ثانيــة — وتظل قدماى على الدفة برفق حتى لتكاد لا تلمسها .

« ثم نادى : « ألقيت القنابل » وفى هذه اللحظة نفرغ من العمل للحكومة ، ونشرع فى العمل فى سبيل زوجاتنا وأسرنا ، لأن هذا معناه أن آخر قنبلة قد رميت ، فهمنا بعــد ذلك أن نعود سالمين ، وإن كان لك أن تقول إن هذا يعنى الحكومة أيضاً ، من جراء المال الذى أنفقته على تدريبنا نحن التسعة ، ولأننا فى طيارتها ، وهى تساوى ثلث مليون ريال .

« غير أن همنا الآن كما قلت هو العودة ، فأستخدم كل ذرة من القوة لدينا ، وأنقض انقضاضاً جانبياً لأكتسب السرعة ، وأحاول أن أفر من طائرات زيرو .

« وطائراتنا جميعاً تتدانى وتتجمع لتكون مربعاً متماسكا غــير متفكك ، ولتكون قوة نيراننا المجتمعة أفتك بطــائرات زيرو التى تلاحقنا . وعلى الطــائرة القائدة أن تتريث لأستطيع أنا وجيم أن ندركها .

« وكنا لا نزال نتساءل عن طـائرات القتال أين هى ، فهل تستطيع الطائرات القاتلة التى رأيناها كالمعلقة من مراوحها فوق دافاو أن تدركنا ؟ وهل عنــد[illegible] طـائرات أخرى فى الجو ستتعرض لنا [illegible] فى طريق خروجنا ؟ ولاحظوا أنى لا أقو[illegible] «فى طريقنا إلى قاعدتنا» ، لأنا غير متجه[illegible] إلى هذه الناحية ، فقد كنا واثقين أن بـ[illegible] طائرات من طراز زيرو ، قد أرسلت وكلفـ[illegible] أن تطير تحتنا لتراقبنا وتعرف إلى أين نذهب فإذا عرفت فإن قاعدتنا لا تلبث أن تضر[illegible] بعد بضعة أيام . فما دام من المحتمل أن تكو[illegible] طـائرات المراقبة تحتنا ، فنحن نتبع طر[illegible] غير منتظم .

« والآن بعدنا حتى صارت طائرات ز[illegible] مضطرة إلى العودة ، ومن أجل هذا شرع[illegible] فى الهبوط إلى ارتفاع أدنى ، ليتسنى للرجا[illegible] أن ينزعوا أقنعة الأوكسـيجين ، ويشعلو[illegible] سجايرهم ، وحينئذ يتولى رئيس الرجا[illegible] توزيع الساندويتش والقهوة الساخنــة ولست أظن مذاقهــا يحلو ويطيب كما يحـ[illegible] فى هذا الوقت . ولست أدخن ولكنه كا[illegible] يسرنى أن أشم رائحته ، وأعرف أن الذ[illegible] معى فى راحة .

« ودعوت القاذف والمــلاح أن يصعـ[illegible]

ـثانى بما صنعا باليابانيين ، ففعلا وهما ـيان القهوة ويمضغان الساندويتش .

« قالا إنه كان منظراً يستحق أن يرى ، استطاعت بضع طرادات ومدمرات ـة أن تسير وتخرج ، وكانت وهى تفعل تتعرج لتتقى القنابل . وفيما خلا هذه ـن القليلة، داهمنا اليابانيين وهم فى غفلة، كان عدد طائراتنا أكبر لنسفنا جانباً الأسطول اليابانى لا يفيق بعده أبداً .

« وقد رأيا أربع إصابات مباشرة على يابانية ، وشاهدا حطاماً يتطاير فى كل ، والدخان يتصاعد . وفضلاً عن هذا ـن سربنا ثلاث سفن أصغر — طرادين ـلة — وقد رأيا إحدى السفن تميل ـ ، وأخرى يرتفع مقدمها فى الهواء جراء إصابة مباشرة فى مؤخرتها ، وقد عرقت قبل أن تغيب عن أنظارنا .

« وقالا إن قنابلنا قد تركت المنطقة كلها بيضاء من الزبد ، وإن آلافاً من رجال البحر الحاذقين لا بد أن يكونوا قد قتلوا أو جرحوا ، وإننا دمرنا الأرصفة .

« ونزلنا فى سمارندا قبل الغداء بقليل ، وهذه هى الفتاة الهولندية الرائعة تنتظرنا ، وأحلى ما سمعت من الأصوات فى ذلك اليوم هو صوت أبواب سيارة الإسعاف تغلق ، لتعود من حيث جاءت فارغة ، حين قلنا لهم إنه لم يصب أحد .

«ولعل أملكم خاب، لأنه لم يحدث شىء أكثر استثارة للعواطف، ولم يقتل أحد ؟ أما نحن فلا ! لقد قمنا بمهمتنا ، وعدنا أحياء، وهذا أعظم مايحرك النفس إذا كنت تخوض المعركة ولست تقرأ عنها فحسب ! »



وقعت فى لسانه

كان جورج برنارد شو مدعواً إلى حفلة خيرية ، فرأى أن ينهض بما ينتظر منه ، فدعا سيدة نبيلة كبيرة السن إلى الرقص ، وفى أثناء الرقص سألته ، وفى لهجتها مزيج من الدلال والفخر : قل لى يا مستر شو ماذا حملك على مراقصة مسكينة مثلى ؟

فجاءها الرد فى الحال « أليست حفلة خيرية ؟ ! »

سبعة عقلاء من الشرق

من بضع سنوات قال كارول ملك رومانيا (سابقاً) ، لبروس لوكارت الكاتب والسياسي الأسكتلندى ، إنه اختار أربعة عشر شاباً من أنجب الشبان الرومانيين وأذكاهم ، لتدريبهم وإعدادهم لخدمة الحكومة . فأرسل سبعة منهم إلى انجلترا ، وسبعة إلى الولايات المتحدة ، لدراسة نظمهما السياسية والاقتصادية. قال كارول : وكان السبعة الذين ذهبوا إلى إنجلترا على جانب عظيم من النباهة ، وهم يشغلون الآن مناصب عالية فى بوخارست ، فقال لوكارت : وماذا حدث للسبعة الذى أوفدتهم إلى الولايات المتحدة ؟ فأجاب الملك : كانوا أذكى وأنبه من زملائهم ، فأقاموا فى أمريكا !

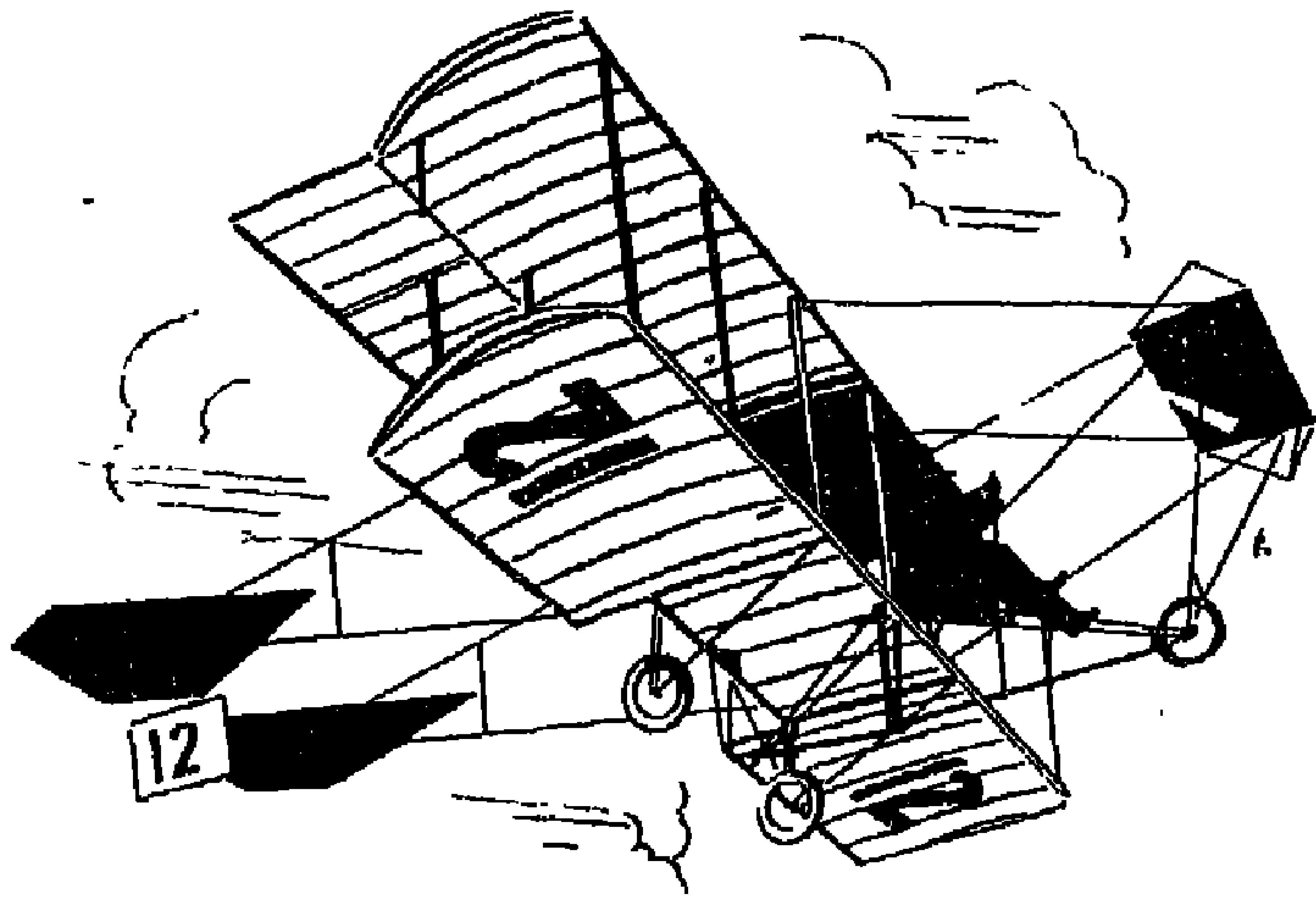
علاج الضجر

إذا غلب عليك الضجر فماذا تفعل وكيف تعالجه ؟

أجابت ليلى بونز ، مغنية الأوبرا المشهورة : أذهب إلى أقرب حديقة حيوانات ، فأنسى هموم العالم جميعاً وأنا أراقب الحيوانات أو أعطيها الطعام من راحتى .

وأجاب فرانك نوكس ، وزير البحرية : ليس عندى علاج للضجر لأننى لا أضجر مطلقاً ، فالحياة تستهوينى دائماً .

وأجابت دوروثى ديكس الصحفية الكبيرة : أشترى قبعة حمراء ! فليس فى الدنيا كلها هم لا تبدده قبعة حمراء ! إنها آخر ظفر للأمل على التجربة . إنها تحملنى على أن أصدق أنها تستطيع أن تصد الشيب ، وأن تخفض الوزن بغير التزام نظام خاص من الطعام ، وأن تعيد عجوزاً فى الستين فتاة فى السادسة عشرة . إنها طبعاً لا تحقق شيئاً من هذه العجائب ، ولكنها تحفز نفسى فتردنى إلى طريق الصواب .



منذ سنة ١٩٠٩ وهى السنة التى صنع جلن مارتن
فيها طائرته الأولى (التى ترى صورتها فوق هذا
الكلام) اشتهرت طائراته بإمكان الاعتماد عليها .
أما اليوم فإن مصانع مارتن الكبرى فى أمريكا
منصرفة إلى إنتاج الطائرات الحربية للأمم المتحدة .
إلا أنها ستنتج طائرات تجارية هائلة لتوسيع نطاق
التجارة وتمهيد أسباب السفر بين الأمم عند ما
تضع الحرب أوزارها .

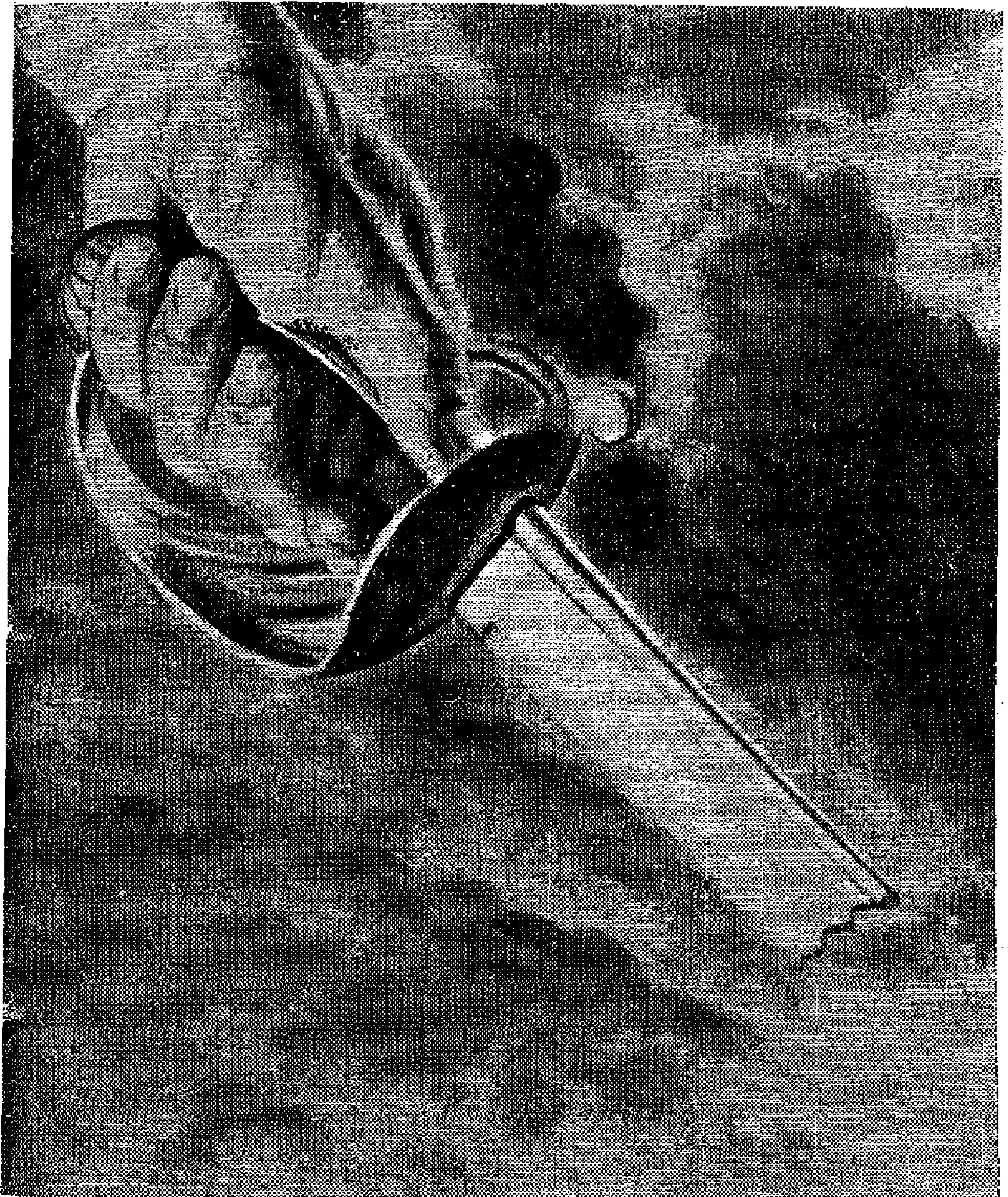
Martin

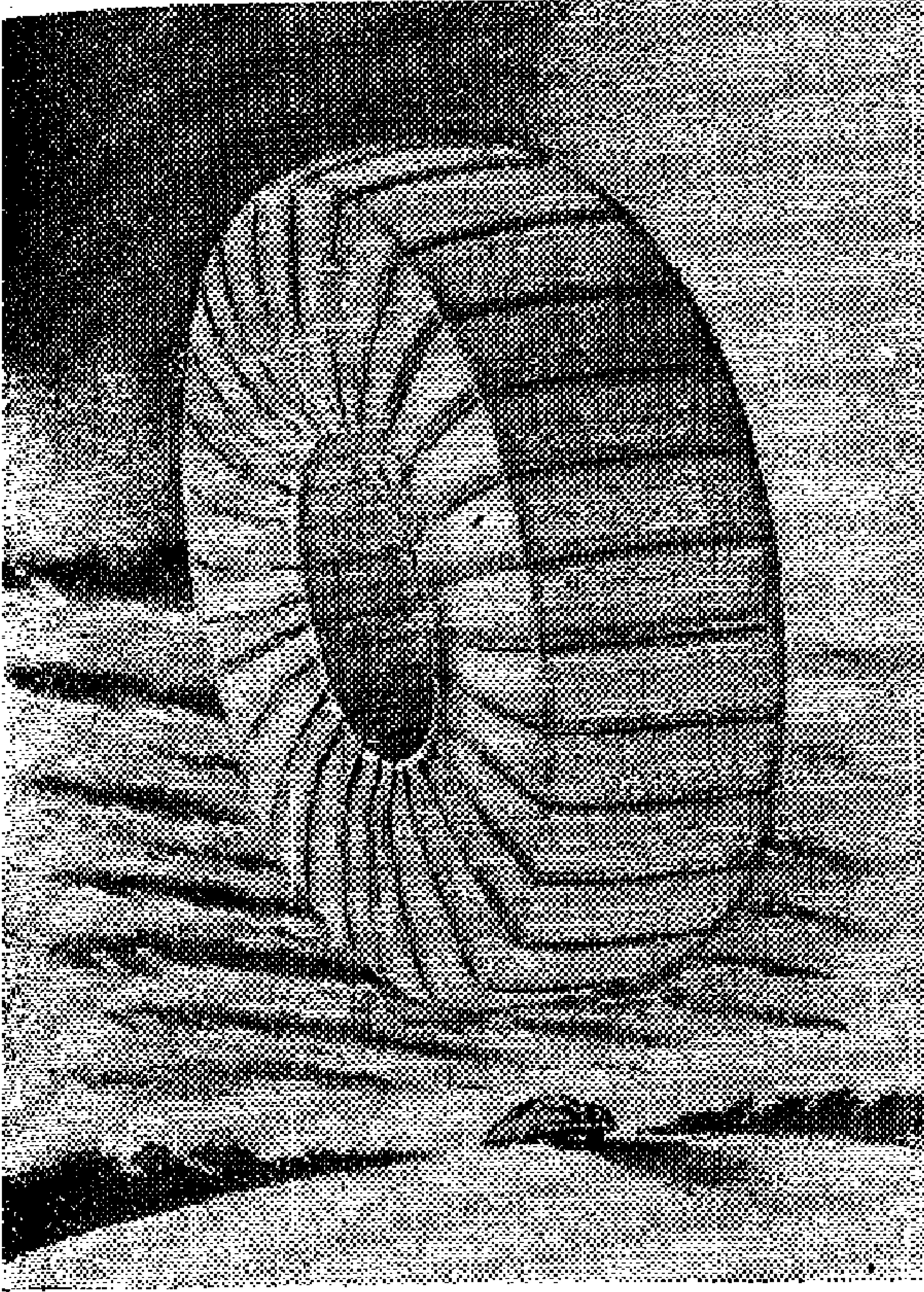
Builders of Dependable Aircraft Since 1909



شركة جلين ل. مارتن • بلتمور بالولايات المتحدة

إذا حكم العالم رجال ذوو عظمة صادقة
كان القلم أشد بأساً من السيف





إطار المستقبل

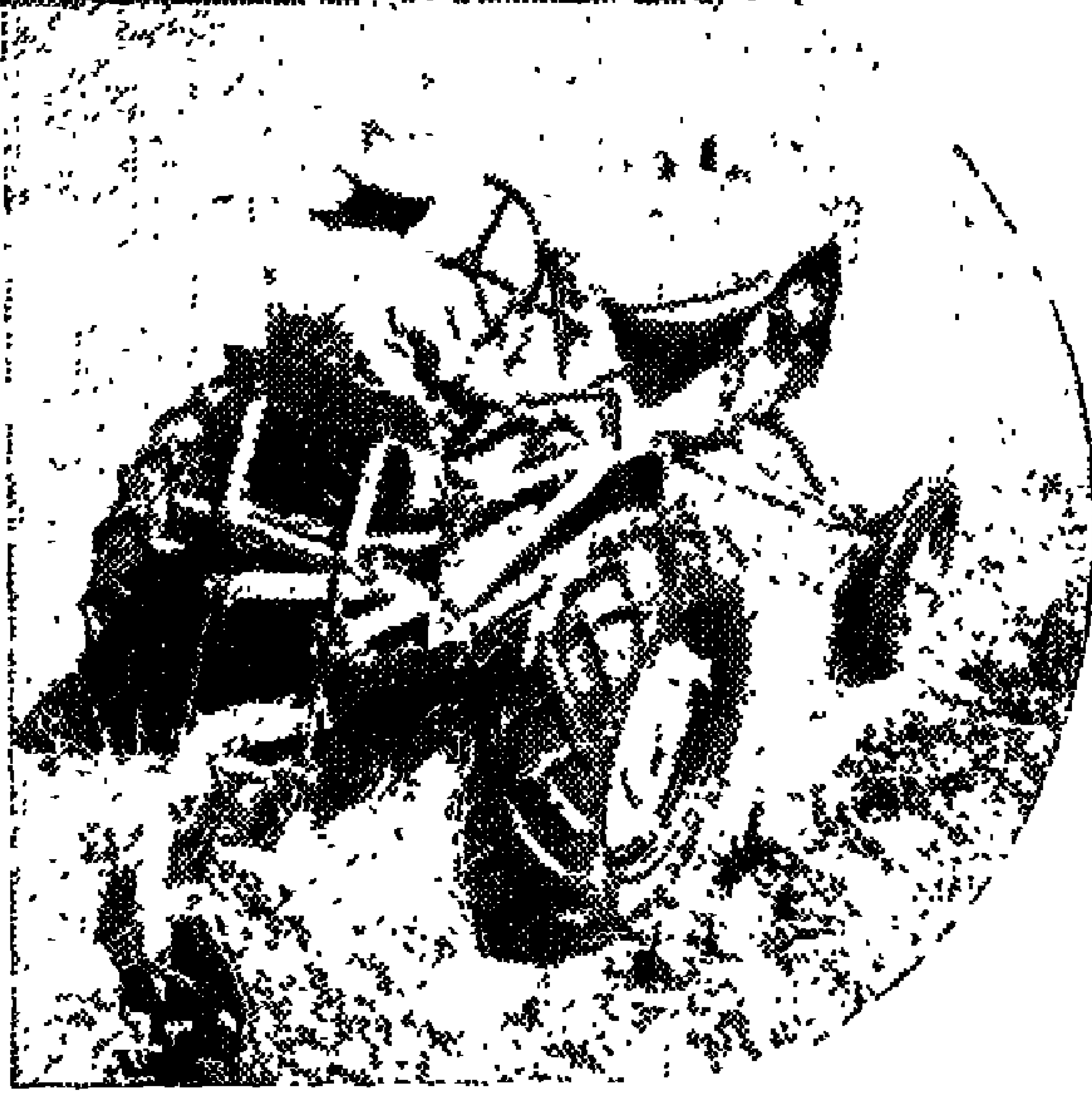
ماذا داخل الغلاف ؟ إنه إطار قد يدوم ما دامت سيارتك . . . وهو يحتاج إلى ضغط جوى أقل . . . ثم هو أخف وزناً ولكنه أمتن . أمصنوع من رايون ، نيلون ؟ عليك أن تنتظر لتعرف البقية ! .

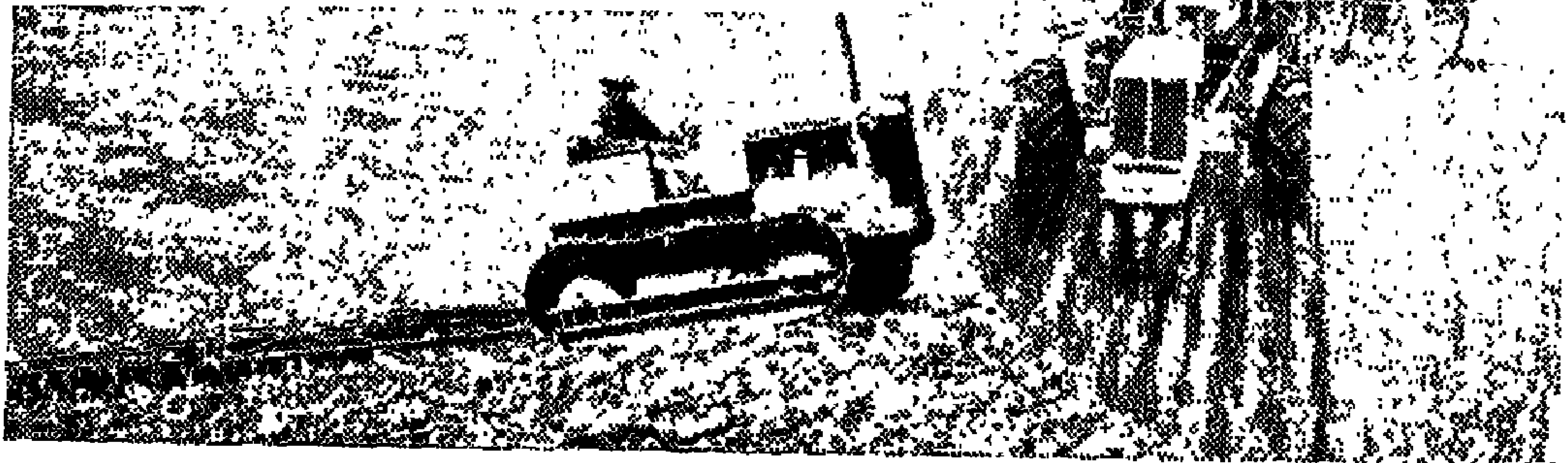
ولكن ثق بهذا إن المركبات والعمليات الجديدة التى استحدثت وتمت فى أثناء الحرب ، ستعطيك فى يوم ما ، أجود ما صنع من « جنرال تير » ! أما فى الوقت الحاضر . . . حافظ على إطاراتك الحالية . احترس فى قيادة سيارتك . واستوثق دائماً من أن إطاراتها منفوخة نفخاً صحيحاً . اكشف عليها بانتظام . . . ولا تهمل ما تحتاج إليه من ترميم .



علامة الإنتاج الجيد

شركة "جنرال تير" وتصدير المطاط
اكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة
تلغرافيا : "جنتيروكو اكرونوهايو"
المصانع فى الولايات المتحدة . وكذا . ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلى ، والبرتغال





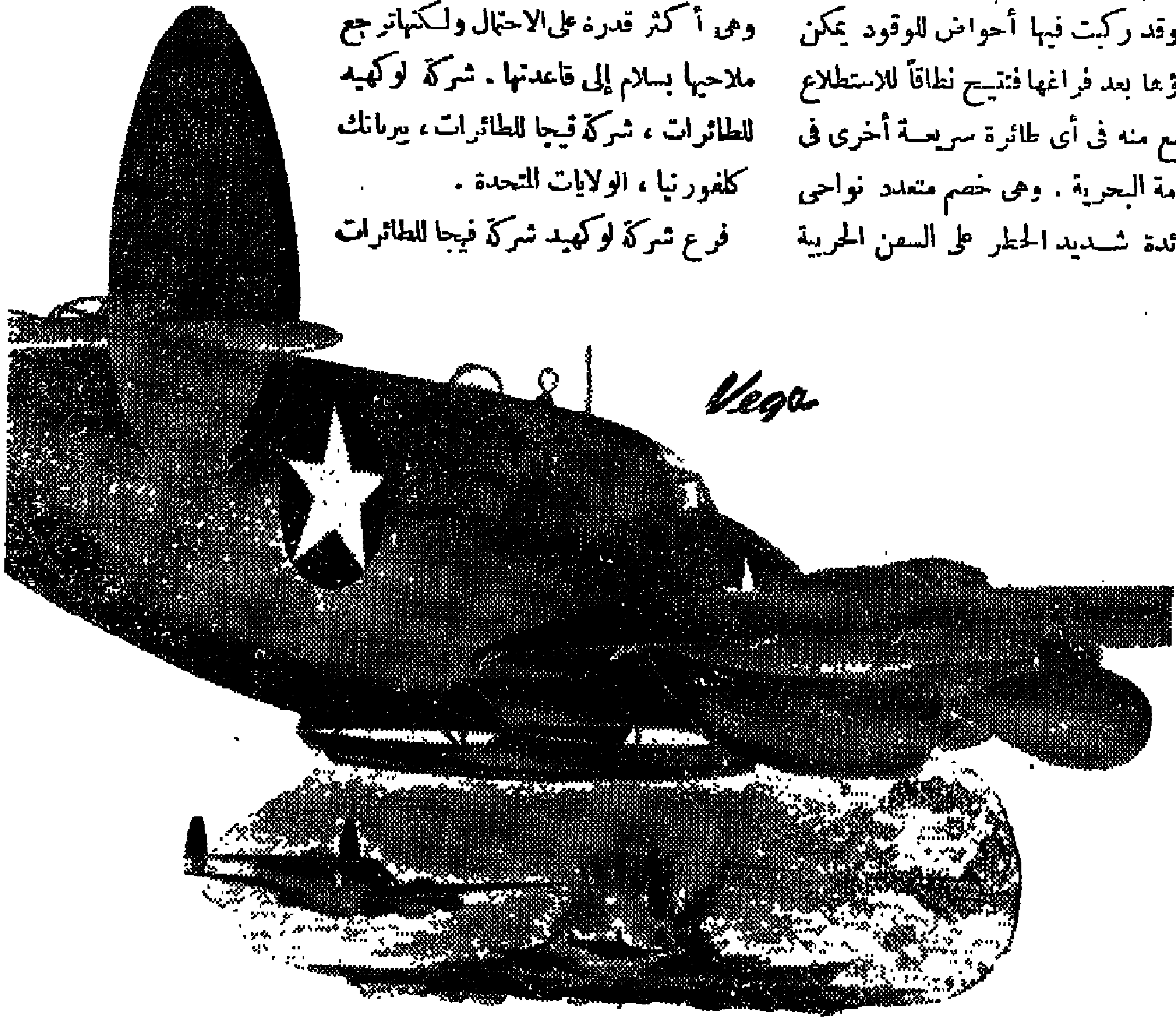
امريكا تقدم قاذفة الأسطول الأولى التي تستند إلى البر

« PV — ١ » هو الاسم الذى أطلقته
برية الولايات المتحدة على طائرة ڤيجا
تورا وهى القاذفة الأمريكية الأولى ذات
المحركين التي تستند إلى قاعدة برية
تستخدم فى حراسة سفن الحلفاء وطرق
قوافلهم .

وقد ركبت فيها أحواض للوقود يمكن
إلقاؤها بعد فراغها فتتيح نطاقاً للاستطلاع
أوسع منه فى أى طائرة سريعة أخرى فى
الخدمة البحرية . وهى خصم متعدد نواحى
الفائدة شديد الخطر على السفن الحربية
المغيرة أو الغواصات ، إذا هى حملت
بالطوربيد أو بقنابل الأعماق .

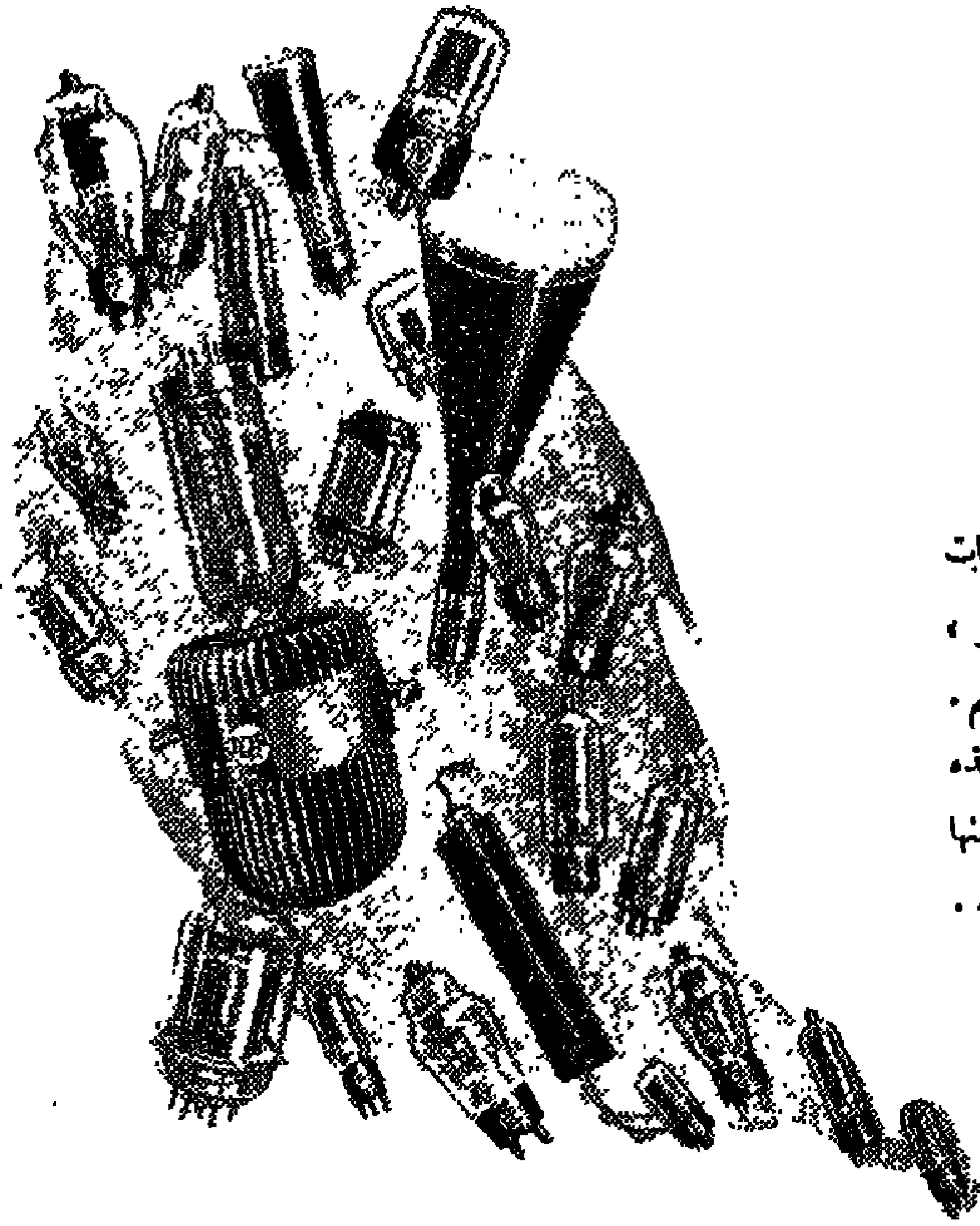
والفنتورا أكبر وأسرع وأقدر على رفع
حمل أكبر من طائرة لوكهيد التي تشبهها
تماماً . وهى مثل الهدسون وطائرات
لوكهيد الأخرى ، يمكن الاعتماد عليها —
وهى أكثر قدرة على الاحتمال ولكنها ترجع
ملاحيها بسلام إلى قاعدتها . شركة لوكهيد
للطائرات ، شركة ڤيجا للطائرات ، بربانك
كلفورنيا ، الولايات المتحدة .

فرع شركة لوكهيد شركة ڤيجا للطائرات



RCA تقدم

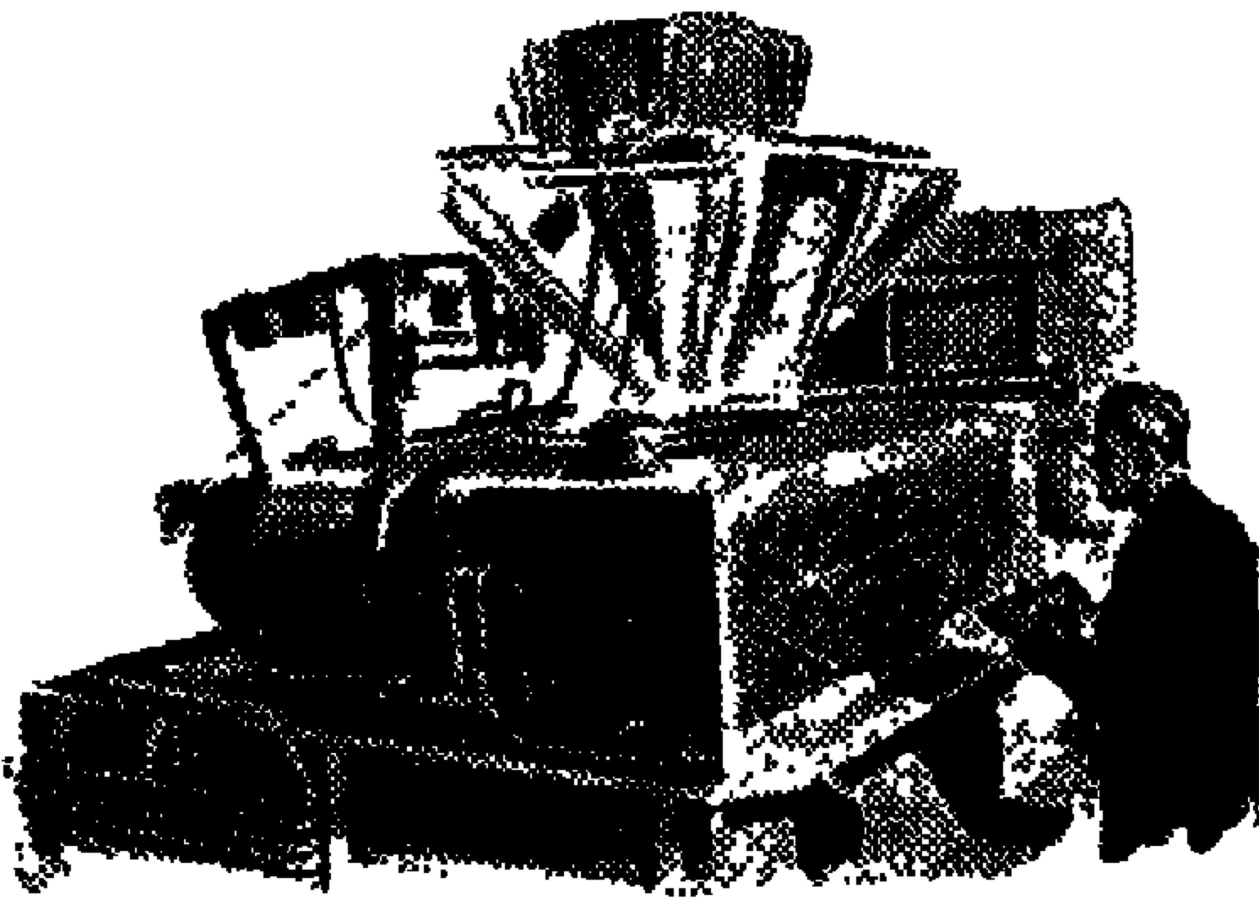
حدث الأنباء



مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب : تقوم صمامات
ا الالكترونيه بمعجزات فى الصناعة والعلم ... أنها تنظر ،
، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم .
: صمام RCA الكترونى خاص لكل غرض . وهـــذه
ت تستعمل الآن لتأييد قضية الدول المتحدة ولكنها
ك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب .



لفتنة دائماً جديدة : فتنة ديناشور نجمة شركة وارنر السينمائية
بلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم
ب فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتوفون .
المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الالكترونية
أو أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل
؛ والصوت بالمسرح .

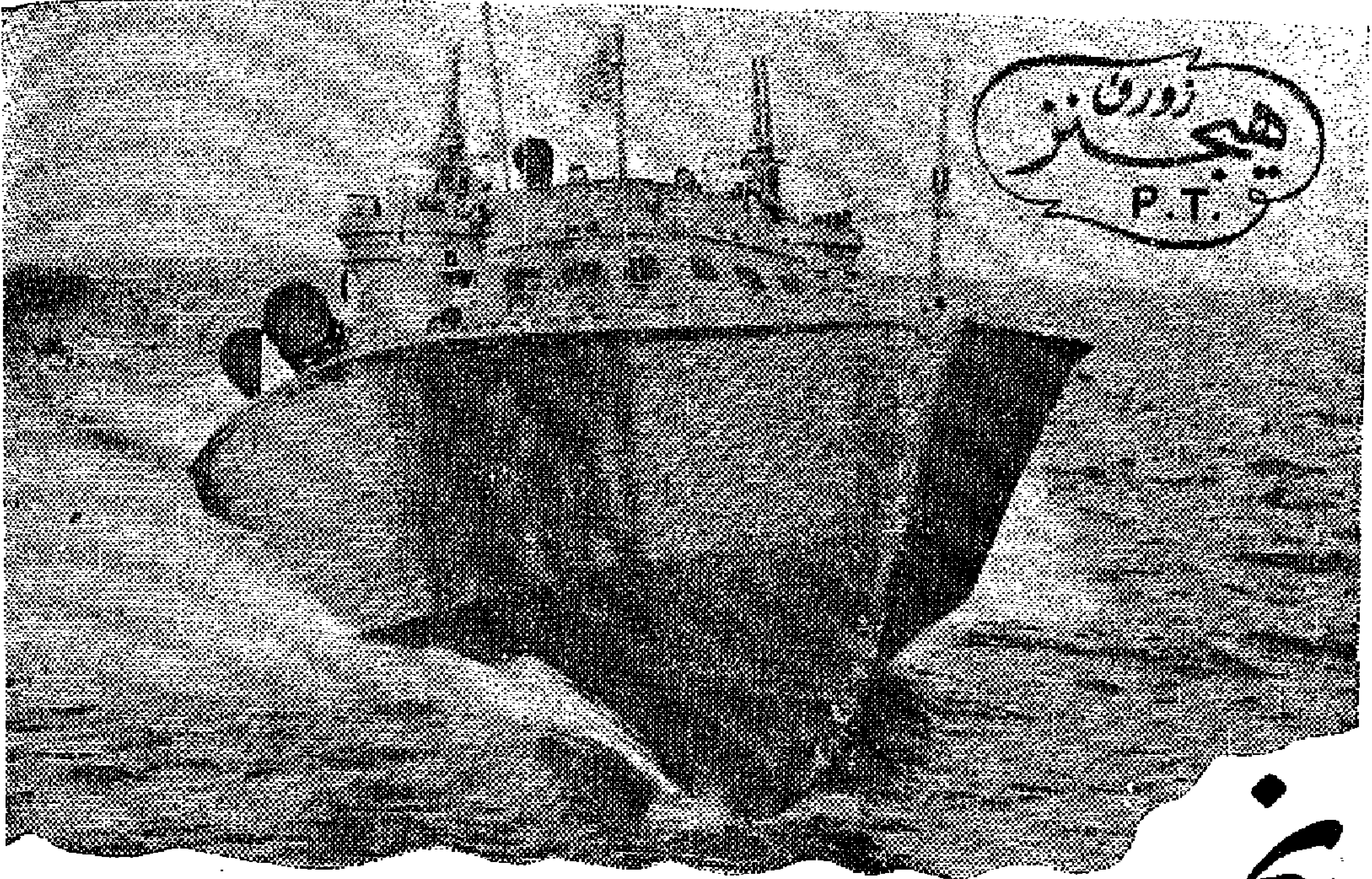


يمكنها أن تهز منزلك ! لإتقان المعدات اللاسلكية للطائرات
قبل تجهيزها للخدمة العسكرية اخترعت شركة RCA أجهزة
تهز اهتزازاً قوياً لمنع ضعف التركيب فى لاسلكى الطائرات .



ر. كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R. C. A. فيكتور — كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة


زورق
هجنز
P.T.

التجارب الخاصة التي نستفيدها في معاشرة الناس من قيمة ممتازة ، فخير وسائل تهذيب النفسى هي مطالعة ما ينتجه كبار الكتاب والأدباء . فلا غنى عن مطالعة الصحيفة اليومية لتتبع أحوال عالم سريع متغير . ولا غنى كذلك عن المجلات السائرة والكتب إذا أردت أن تساير تيارات الفكر الحديث التي تدل على اتجاه المدنية في المستقبل .

واعتقادي أن نشر مجلة « ريدرز دايجست » باللغة العربية يساهم بنصيب وافر في إمداد العالم العربي بالجيد الممتاز من ذخائر العلوم والآداب والفنون .

وقد تتبعت هذه المجلة من سنين طويلة وقرأتها في طبعتها الانجليزية ورأيت في كل عدد منها ما يحفزني إلى التفكير ، ويفتح لي آفاقاً جديدة فيه . ففي مقالاتها الحافلة المختارة من أشهر مجلات العالم ، ومن الكتب المنشورة بجميع اللغات ، يجد كل قارىء ما يجعله على صلة دائمة بأحدث الآراء والحقائق ، في أمور لها أعظم شأن في حياتنا الخاصة والعامة .

ويسرني أن تظفر بلادنا بطبعة عربية من هذه المجلة لتؤدي ما تؤديه أخواتها في الانجليزية والاسبانية والبرتغالية والسويدية . وإني لعلى ثقة بأن آلافاً من أصدقائي سوف يجدون في الطبعة العربية من اللذة والمتاع ما أجد . فقراءة مختار من مجلة ريدرز دايجست ، طريقة مثلى تمكنك من متابعة تعليم نفسك وتهذيبها .

حاجتنا إلى تربية مستمرة

للدكتور توفيق شوشة بك
وكيل وزارة الصحة ، رئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، سابقاً ،
عضـو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كلُّ رجل فى عصرنا هذا يقف بسع سـنوات قصار من حياته على المطالعة والدراسة واستماع المحاضرات ، يستطيع أن ينتفع من تجارب الملايين من الناس. وقد احتشدت فى كل ميدان من ميادين النشاط الإنسانى ذخائر مدونة، فهى دانية لكل من يريد أن يتعلم . فليس عجيباً أن يكون من فاز بنعمة التربية الحديثة أقدر من غيره على الحياة فى هذا العالم الحديث ، وعلى المشاركة فى أسـباب ارتقائه .

ومهما نقل فى قيمة المعرفة والتعليم ، فمستحيل أن يبلغ ما نقوله درجة الغلو فى تقديرها :

وأنا أنظر الآن لأرى اليوم الذى تهيأ فيـه الفرصة لكل رجل وامرأة مصر ليظفر من التعليم بما يكفل له النجاح فى ممارسة فن الحياة .

وقد يظن البعض ممن نال منا حظاً كافياً من التعليم والتربيـة فى المدارس والجامعات ، أن ما يمكن أن نتعلمه قد انتهى بعـد نيل الشهادة ، ولكنى لا أعرف رأياً هو أبعد عن الحقيقة من هـذا الرأى . فما الشهادة إلا علامة منصوبة على مرحلة واحدة من المراحل الممتدة التى لا تنتهى ، على الطريق إلى المعرفة المتجددة المستفيضة التى تجعل الحياة لذيذة ممتعة . وإذا استثنينا ما للاسفار

[البقية فى الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية